

# تفسير السمرقندي

المسقى

(بختر العلوم)

تأليف

قهرم محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي  
من علماء القرن الرابع الهجري

تحقيق

الدكتور محمد مؤيد مطرجي

الجزء الأول

نسخة جديدة منقحة ومصححة ومتممة بالأجزاء والقرائات  
ومحققة على أصل المطبوع

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

تفسير السمرقندي

تفسير  
بمصر



# تَفْسِيرُ السَّمْرِقَنْدِيِّ

لِسَمْتَى

بِحَمْرِ الْعِلْمِ

تَأَلَّفَ

فَضْلُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو اللَّيْثِ

السَّمْرِقَنْدِيُّ

مِنْ عُلَمَاءِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ الرَّجْوِيِّ

مَقَّهَ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ مَطْرُجِي

الْجُرْمُ الْأَوَّلُ

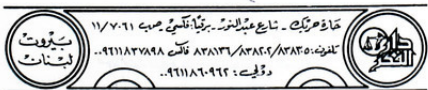
نُصْحَةُ مَحَقِّقَةٍ عَلَى مِخْطَرِ طَلَّانٍ وَتَشْكُورِيَةِ الْأَرِيَّانِ وَالْأَجَادِيثِ

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مدخل إلى التفسير

١ - خاطب الله سبحانه وتعالى خلقه بما يفهمونه، وأرسل كل رسولٍ بلسان قومه، وأنزل كتابه على نعتهم. وأخير سبحانه وتعالى: أنه أنزل القرآن الكريم بلسانٍ عربي فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا لَكَ آيَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَنزُورًا ﴿١﴾ نَزَّلَ بِهَا لُوحًا مَّبِينًا ﴿٢﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلسانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال الطبري: «نزل القرآن باللسن بعض العرب دون اللسن جميعها، وأن فراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم ببعض اللسن التي نزل بها القرآن دون البعض»<sup>(٣)</sup>.

وقال السيوطي في الإقتان: «إن التفسير من فروض الكفايات، وأجل العلوم الثلاثة الشرعية. وقال الأصبهاني: التفسير أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان لوجه الحاجة إليه، وشرف الموضوع»<sup>(٤)</sup>.

أما وجه الحاجة إلى التفسير، فنظهر في أن القرآن نزل بلسان عربي، في زمن أفصح العرب. فكانوا يعلمون كثيراً من مفرداته ومدلولاتها، وتراكيبه ومعانيه، وأسباب نزول الآيات، وظواهره، وأحكامه. وإذا أشكل على المسلمين الأوائل بعض دقائق باطنة ومعانيه، فكانوا يلجأون إلى النبي ﷺ يسألونه فيجيبهم ويشرح ما غمض وأشكل عليهم مع فصاحتهم وثاقب نظرهم. وفي سورة الأنعام مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَلْمِزُوكَ لِأَنزَالِهَا يُظَلِّمُوا﴾<sup>(٥)</sup> وقد شق على الناس معنى الظلم هل هو المألوف في لغتهم؟ قال السمرقندي: قال ابن مسعود: «فقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسر لهم رسول الله ﷺ الظلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَلْتَرِكَ لَظُلْمًا عَظِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>. ومنها تفسيره لعائشة رضي الله عنها معنى الحساب اليسير، ولعدي بن حاتم الخياط الأبيض والخياط الأسود.

والمسلمون بعد عصر الصدر الأول وإلى اليوم، هم بحاجة إلى ما كان يحتاج إليه أهل

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

(٣) تفسير الطبري: ١/٣٢ - طبعة دار الفكر، بيروت.

(٤) الإقتان في علوم القرآن للسيوطي: ١٧٥/٢. المكتبة الثقافية، بيروت.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

الصدر الأول وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة كما يقول السيوطي، ولأن النصّ الديني لم يصل إلينا المراد منه بالسماع، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأشعار والأمثال ونحوها، فإنّ الإنسان يفهم المراد فيها إذا استمع إلى صاحبها، أما القرآن فتفسيره على جهة القطع لا يعلم إلا بسماع من رسول الله ﷺ، وذلك متعذر في عصره إلا في آيات قلائل، لذا كان العلم بالمراد يستنبط بإمارات ودلائل، وقد تكون **الحكمة في ذلك**: أن الله سبحانه أراد أن يتفكر عباده المؤمنون في آيات كتابه، فلم يأمر نبيه ﷺ بالتنصيص على المراد بجميع آياته.

**أما شرف التفسير**، فقد حدّده عز وجل في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وقال ابن عباس: الحكمة هي المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومشابهه، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

**ثم إن شرف الصناعة** قد ترتبط بموضوعها، كالصياغة التي هي أشرف من الدباغة، أو شرف غرضها كالطب أشرف من الكناسة، أو بشدة الحاجة إليها كالفقه الذي ينتظم به صلاح أحوال الدين والدنيا، بخلاف الطب الذي يحتاجه المرضى دون غيرهم. **أما صناعة التفسير** فقد حازت جميع مراتب الشرف، لأن موضوعه هو كلام الله سبحانه وتعالى، وغرضه هو الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى، والحاجة إليه ترتبط بأن كلّ كمال ديني وديني مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى. فما هو التفسير والتأويل؟

## ٢ - التفسير لغة:

**لغة**: هو الكشف والبيان، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> أي بياناً وتفصيلاً.

**قال صاحب الإنقان**: هو تفعيل من الفسر، وهو البيان والكشف<sup>(٣)</sup>، وهو قول ابن فارس والجوهري وابن منظور: الفسر هو البيان، والتفسير هو الكشف. أي هو مصدر لفسر وفسر بتشديد السين وتخفيفها. وفسرت الكتاب، أفسره تفسيراً، وفسرته أفسره تفسيراً.

ويقال: هو مقلوب من السفر، تقول: أسفر الصبح، إذا أضاء وكشف، وعليه يكون التفسير إضاءة للنصّ وتوضيحاً لمعانيه، وكشفاً لمضمونه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٣) الإنقان: ١٧٣/٢.

وفي أساس البلاغة: مأخوذ من التفسرة، مثل: جُرِبَ تجربة، وكُرِمَ تكريمة، وفُسِّرَ تفسرة والتفسرة: اسم لما يعرف به الطبيب المرض، وهو قول السيوطي. أي ما يستدل به الطبيب على علة المريض، وذلك بأن يكشف بالنظر عن العلة، والمفسر هو الذي يكشف بالأدلة والقرائن عن المعنى.

### ٣ - التفسير اصطلاحاً

حدّده ابن حبان في البحر المحيط: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك»<sup>(١)</sup>.

وشرح السيوطي هذا التعريف في الإتيان<sup>(٢)</sup> فقال: «هو معنى يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»: هو علم القراءة، لأن المعنى يختلف باختلاف القراءة. ومثل من قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ﴾<sup>(٣)</sup> قال السمرقندي: ففي قراءة حمزة وعاصم والكسائي في رواية أبي بكر ﴿يَظْهَرَنَّ﴾ بتشديد الطاء والهاء والنصب بمعنى: حتى يغتسلن بالماء. وقرا الباقر ﴿حتى يظهن﴾ بالتخفيف بمعنى ينقطع الدم عنهن.

وقوله: «مدلولاتها»: أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقوله: «وأحكامها الإفرادية والتركيبية»: وهذا يشمل علم التصريف والبيان والبدع.

وقوله: «ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب» يشمل ما دلّته بالحقيقة وما دلّته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً يصدّ عنه الحمل عليه صاذاً، فيحمل على غيره، وهو المجاز.

وقوله: «وتتمت لذلك» هو مثل معرفة الناسخ والمنسوخ، وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.

يشير التعريف المتقدم إلى الآلة التي يحتاجها المفسر كي يلج إلى النص، وهي: علوم اللغة، والنحو، والبلاغة، والتصريف. ولكل علم من هذه العلوم قواعده وتعريفاته. إلا أن الآلة وسيلة وليست غاية. هي وسيلة تهدف إلى الكشف عن النص، وليست تحديداً أو تعريفاً للتفسير.

وحدّده الزركشي بقوله: «التفسير علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه

(١) البحر المحيط: ١٣/١. طبعة دار الفكر - بيروت.

(٢) الإتيان: ١٧٤/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. وهو تعريف أشمل من السابق.

وحذّه السيوطي فقال: «هو علم نزول الآيات وشؤونها الخاصة، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها».

تشير التعريفات المتقدمة إلى العلوم التي يجب أن يتخذها المفسر للكشف والإيضاح عن المعنى. أي تهدف هذه العلوم إلى بيان المقصود من النص، لا العلوم بذاتها، وهذا يتوافق مع التفسير اللغوي، إذ هدف الإثنين هو الكشف والتوضيح.

#### ٤ - التأويل لغة:

هو المرجع والمصير والمرذ. وقيل: التدبير والتقدير والتفسير. وقال ابن فارس: هو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته. وفي أساس البلاغة: هو الرذ، يقال: أُوِّلَ الكلام إلى أهله، أي رذه عليهم.

وفي القاموس المحيط: أُوِّلَ الكلام وتأوَّله تأويلاً، دبَّره وقدره وفسره.

واتفقوا أن أصل التأويل من الأُوِّل، وهو الرجوع. وآل الشيء يؤول، إذا رجع وصار إليه. والمؤول هو الذي يرجع بالكلام أو الآية إلى ما تحتمله من المعاني. والتأويل: الرجوع، فكانه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

وقيل: هو مأخوذ من الإباله، وهي السياسة، وآل الرعية، يؤولها إبالة: فكان المؤول للكلام قد ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه كما قال السيوطي في الانتقان، أي يسوس الكلام فيقلبه لينتهي بالمعنى إلى موضعه.

#### ٥ - التأويل اصطلاحاً:

اختلف علماء التفسير في المصطلح

فعند أبي عبيد وطائفة: التأويل والتفسير بمعنى واحد، أي يعرف التأويل بما يعرف به التفسير، ولا فرق بينهما اصطلاحاً.

وأنكر عليه قوم فقال السيوطي: حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: «نبيغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتموا إليه»<sup>(١)</sup>.

وأقام كثير من العلماء حدوداً واختلافات بين التفسير والتأويل فقال الراغب الأصفهاني:

(١) الانتقان: ١٧٣/٢.

التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومفرداتها. وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمال، وفي الكتب الإلهية، وأما التفسير فيستعمل في الكتب الإلهية وغيرها.  
وقال غيره: التفسير بيان لفظ يحتمل وجهاً واحداً، والتأويل هو توجيه لفظ متوجه إلى معانٍ مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة.

أما الماتريدي فقال: «التفسير هو القطع بأن المراد من هذا اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى بهذا اللفظ هذا. فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو منهى عنه. وأما التأويل فهو ترجيح أحد الاحتمالات دون القطع والشهادة على الله سبحانه»<sup>(١)</sup>.

وقال الثعالبي<sup>(٢)</sup>: «التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقةً أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر».

وعلى هذا يكون التفسير أخباراً عن دليل المراد، والتأويل أخباراً عن حقيقته، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل. ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَدٌ رَمَادٌ﴾<sup>(٣)</sup> ففي التفسير: المرصاد من الرصد، مفعال منه، يقال: رصدته، راقبته. والتأويل هو التحذر من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهية، والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلة هنا تقتضي: أن المراد منه على خلاف وضع اللفظ.

أما قدماء المفسرين كابن جرير الطبري، فالتفسير عنده مرادف للتأويل، وحتى القرطبي في تفسيره للآية ﴿وَمَا يَسْتَمِ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> اشتقاق التأويل من آل إلى كذا، يؤول إليه إذا صار، وأوله تأويلاً، أي صيره، فجعلنا التأويل مرادفاً للتفسير. وعلى هذا يحمل قول المبرد وابن الأعرابي في دعاء النبي ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

ورفض المتأخرون هذا الترادف بين التفسير والتأويل وأقاموا حدوداً بينهما، فرأى بعضهم: أن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله الدليل. وقال البغوي: «هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، بطريق الاستنباط، وغير مخالف للكتاب والسنة».

ويبقى التفسير موضوعاً مبيناً كما في كتاب الله، ومعيناً في صحيح السنة. لأن معناه قد وضح وظهر، وليس لأحد أن يعترض عليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله كل مفسر على المعنى الذي ورد فيه ولا يتعداه. أما التأويل، فهو ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الإلهي، الماهرين بالآلات العلوم.

(١) (٢) المرجع السابق: ١٧٣/٢.

(٣) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤.



## ٦ - العلوم - الآلة - التي يحتاج إليها المفسر والمؤول:

تقدم في تحديد التفسير والتأويل: أن المفسر يعتمد على آلة تفتح له مغاليت النص فتوضحه وتكشفه. وأن هذه الآلة ضرورية كي تظهر المراد من النص، وتوضح معانيه، وتستخرج أحكامه، وتبعد صاحبها عن الوقوع في الخطأ، وتقيه الزلل، وتدنيه من الصواب. هذه الآلة هي عدد من العلوم يستخدمها المفسر وسيلة لهدف، وليست غرضاً لذاتها. وقد أوجزها السيوطي في الاتقان بخمسة عشر علماً<sup>(١)</sup>.

**الأول: اللغة** وبها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب».

**الثاني: النحو**، لأن المعنى يختلف ويتغير باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره. وربما كان الجهل بالنحو سبيلاً إلى الكفر، في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٢)</sup> إذا قرأ «ورسوله» بالكسر فقد كفر. والصحيح: أنها بالرفع.

**الثالث: التصريف**. وبه تعرف صيغة الكلمة، فإذا وجدت كلمة مبهمه، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها. وفي الآية ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> فالجاهل هو الذي يعتبر إمامهم جمع أم، ويكون المعنى: يدعى الناس يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، والذي يقول إلى هذا المعنى هو الجهل بالتصريف، فإن أمًا لا تجمع على إمام.

**الرابع: الاشتقاق**. لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح من المسح أو السياحة، هل سمي مسيحاً لكثرة سياحته، أو لأنه كان يمسح على ذوي العاهات فيبرأون بإذن الله؟ والنبي هل هو من النبا بمعنى الخبر، أي المخبر عن الله، أم من النبوة بمعنى الرفعة؟.

**الخامس والسادس والسابع: علوم المعاني والبيان والبديع علوم البلاغة** فبالمعاني: يدرك خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى. وبالبيان: يدرك خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. وبالبديع: يدرك وجوه تحسين الكلام. وهي أركان مهمة للمفسر لمراعاة ما يقتضيه الإعجاز.

**الثامن: علم القراءات** وبه يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

(١) الإتقان: ١٨٠/٢ - ١٨٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

**التاسع:** علم أصول الدين. وبه يعرف من الآية الدالة بظاهاها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤزل ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب، وما يجوز.

**العاشر:** علم أصول الفقه. وبه يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

**الحادي عشر:** علم أسباب النزول. والقصاص والأخبار ليتمكن من معرفة معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

**الثاني عشر:** علم الناسخ والمنسوخ.

**الثالث عشر:** علم الفقه. ويعرف به طريق الاستنباط من النصوص. ومعرفة مذاهب الفقهاء، واحتجاج كل فقيه بالآية التي يتخذها أصلاً في مذهبه وفتواه.

**الرابع عشر:** الأحاديث والآثار الميئنة لتفسير المجمل والمبهم.

**الخامس عشر:** علم الموهبة. وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

وقد أضاف بعضهم: المعرفة بالأديان السماوية السابقة على الإسلام وما دخل عليها من تحريف وتغيير. والعلم بالسير: سيرة النبي ﷺ وأصحابه، وأحوال العرب في تاريخهم قبل الإسلام، ومعرفة أحوال الأمم الماضية، ومعرفة أيام الإسلام كيوم بدر، والخندق، والحديبية، وفتح مكة، وفتح خيبر...

هذه العلوم هي كالألة للمفسر، لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها. ومن كان مفسراً بدونها، كان مفسراً بالرأي المنهني عنه. وإذا فسر مع حصولها، لم يكن مفسراً بالرأي. وقد امتلك السمرقندي ناصية هذه العلوم، فأظهر في تفسيره إحاطة تامة بهذه العلوم، وقدرة كبيرة على استخدامها في تفسيره للآيات القرآنية كما سيأتي.

**٧ - وجوه التفسير: ما يجوز تفسيره وما لا يجوز تفسيره.**

أخرج ابن جرير الطبراني عن ابن عباس قال: «التفسير أربعة أوجه. وجه: تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى»<sup>(١)</sup> ثم رواه بسند ضعيف مرفوعاً.

**الوجه الأول:** ما هو واضح تعرفه العرب من كلامها. وهو المفسر باللسان العربي، أو ما يرجع إلى اللسان العربي وعلومه من اللغة والإعراب. وجب على المفسر معرفة قواعد العربية ليتوصل بها إلى معرفة المعنى، ويسلم والقارىء من اللحن.

وقال ابن جرير: «وذلك إقامة إعرابه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة، غير المشترك فيها، والموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد»<sup>(٢)</sup>. وذلك كسامع

(١) تفسير الطبري: ١/٣٤ والانتان: ٢/١٨٢.

(٢) تفسير الطبري: ١/٣٣.

لو سمع تالياً يتلو: ﴿قِرَاءَةً يَدْرُسُهَا فِي الْكُتُبِ﴾ (١) لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه لضرره، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله لما فيه من منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفساداً، والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً، فالذي يعلمه ذو اللسان الذي سأل، بلسانه نزل. إلا أن هذا التعريف يقتصر على العرب الخالص دون سواهم.

**وقال الزركشي في البرهان:** «قول ابن عباس صحيح، أما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارىء. وأما الإعراب، فما كان اختلافه محيلاً للمعنى، وجب على المفسر والقارىء تعلمه، ليوصل المفسر إلى معرفة الحكم، ويسلم القارىء من اللحن، وإن لم يكن محيلاً للمعنى، وجب تعلمه على القارىء ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله إلى المقصود» (٢).

**الوجه الثاني:** تفسير لا يعذر أحد بجهالته. وهو ما يتبادر إلى الفهم معناه من الآيات المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد. أو هو كل لفظ أفاد معنى واحداً واضحاً جلياً يعلم أنه مراد الله سبحانه، كقوله: ﴿قَالَ رَبُّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٣) أي لا شريك له في الألوهية. فالإنسان يدرك بفطرته وبصفاء الذهن معبوداً واحداً خالقاً للكون وإن لم يعلم أن «لا» الموضوعه للمضي و«إلا» للإثبات ومقتضاها الحصر. أي هو يدرك معناها من غير معرفة الأدوات التي اشتملت عليها.

ويعلم الإنسان قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أن هنا طلب إيجاب بإقامة الصلاة ونادية الزكاة، وإن لم يعلم صيغة أفعل للوجوب.

**الوجه الثالث:** تفسير تعرفه العلماء. ولا يجوز تفسيره إلا من قبل العلماء الراسخين في العلم، ويرجع فيه إلى اجتهادهم، ويغلب عليه عادة التأويل. وقيل: كل لفظ احتمل معنيين وأكثر لا يجوز لغير العالم الاجتهاد فيه، مع التأكيد أنه يجب اعتماد الأدلة والشواهد دون الرأي، وأنه إذا كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه، إلا إذا قام دليل أن الخفي هو المقصود. بل إذا كان أحد الدليلين لغوياً والثاني شرعياً، حمل على الشرعي دون اللغوي، كما في لفظ الصلاة، وجب صرفها إلى الشرعي لا إلى اللغة ومعناها: الدعاء. وكذلك الزكاة تصرف إلى المعنى الشرعي، لا اللغوي وهو الزيادة والنماء، كذلك المسجد مكان العبادة، لا المعنى اللغوي: موضع السجود.

**الوجه الرابع:** تفسير لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولا يجوز لأحد الاشتغال به. وهو مأ

(١) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٢) الإتيان: ١٨٢/٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

استأثر الله سبحانه بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه. وموضوعه: الروح، وقيام الساعة، وأحوال الآخرة، والحروف المقطعة في أوائل السور، فلا سبيل إلى معرفة ذلك بالآلة المتقدمة في التفسير، إلا إذا وجد نص قرآني، أو حديثي أو إجماع الأمة على تأويله: قال تعالى: ﴿وَسَيُنوَكُّكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُوبُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>. والسمرقندي يميل إلى رأي قتادة عن ابن عباس في سورة الإسراء: أنه من المكتوم الذي لا يفسر. ثم يعرض آثار الذين يؤولونه...

**أما الآيات المتشابهة مثل** ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى السَّمَوَاتِ اسْتَوَى﴾ و﴿وَسَيُنوَكُّكَ رَبُّكَ﴾ و﴿يَدُ اللَّهِ قُوَّةٌ أَيْدِيهِمْ﴾ و﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ فإن السلف آمنوا بها كما وردت دون تأويل ولا تشبيه ولا تكييف مع الاعتقاد التام بتنزيه الله عن ظواهرها المعروفة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

**وقال الشافعي رحمه الله:** لا يفسر المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ، أو خبر عن أحد من أصحابه، أو إجماع الأمة<sup>(٢)</sup> إلا أن السيوطي يرى عدم الخوض فيه لأنه لا يؤدي إلى أمر تركن إليه النفس ويطمئن إليه القلب، وأنه لم ترد رواية عن النبي ﷺ صحيحة وثابتة، والكثرة فيها روايات ضعيفة أو واهية أو مكذوبة، وما ورد عن الصحابة فمعظمه لم يصح عنهم.

ففي سورة الأعراف ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى السَّمَوَاتِ﴾ قال السمرقندي: قال بعضهم: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وذكر عن يزيد بن هارون قال: تأويله الإيمان به. وأن رجلاً دخل على مالك بن أنس سأله عن قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى السَّمَوَاتِ اسْتَوَى﴾ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيفية غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً.

وفي سورة الفجر قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ قال السمرقندي: قال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. وقال أهل السنة: وجاء ربك بلا كيف.

#### ٨ - نوعا التفسير: المأثور، والرأي.

**النوع الأول: التفسير المأثور أو التقليدي:** والمأثور: مفعول من أثمر الحديث، إذا نقلته. وحديث مأثور، أي منقول. ويعتبر هذا التفسير أصلاً، فما صح منه لا يجوز العدول عنه إلى غيره، إلا أنه يجب الحذر فيه لقلّة الصحيح وكثرة الضعيف والموضوع فيه، لما دخله من الإسرائيليات والأقاصيص في أمور الغيب والساعة، وقد سرى من مسلمة أهل الكتاب وصدقهم فيه الرواة، ثم اختلاف المفسرين في مسائله. ولهذا التفسير مصادره:

**المصدر الأول: القرآن الكريم:** أي تفسير القرآن بالقرآن. وقال بعضهم: القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأنه قد بين في موضع ما أجمله في آخر، أو قيد بما أطلقه، أو خصص ما عممه. ومن أمثله ذلك في تفسير السمرقندي في أول سورة المائدة، قوله عز وجل ﴿يَأْتِيهَا الذَّبَابُ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) الإنفان: ١٨٣/٢.

مَامُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ سَيِّئَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَقَى عَلَيْكُمْ ﴿١١﴾ قال السمرقندي: يعني رخصت لكم الأنعام كلها إلا ما حرم عليكم، ثم فسر ﴿إِلَّا مَا يُنْتَقَى عَلَيْكُمْ﴾ في الآية الثالثة فقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيُتَةُ وَاللَّمُ وَلَقَمُ الْمُنْزِيرِ وَمَا أُهْلِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾.

وفي سورة الواقعة قوله عز وجل: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٢﴾﴾ قال السمرقندي: تكونون يوم القيامة ثلاثة أصناف. وقد فسرت الآيات التالية الأصناف ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿وَاصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ و﴿وَالسَّيِّئُونَ الشَّقِيُونَ \* الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿٣﴾.

وفي سورة المعارج قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ كَلِيمًا ﴿٤﴾﴾ وقد فسرت الهلع الآيتان ﴿إِنَّا مَسَّ الشَّرَّ حُرُومًا \* وَإِنَّا مَسَّ الْخَيْرَ مَرُومًا﴾ ﴿٥﴾.

وفي سورة الفاتحة قوله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال السمرقندي قد أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين أراد بهم النصارى، فإن قيل: كيف صرف المغضوب عليهم إلى اليهود والضالين إلى النصارى، أجب السمرقندي: استدلالاً بالآية، فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود ﴿فَبَاءَهُمُ يَعْصِبُ عَلَىٰ عَصَبِهِ﴾ ﴿١﴾ وقال تعالى في قصة النصارى ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَسْأَلُوا كَثِيرًا مَسْأَلًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٧﴾.

المصدر الثاني: السنة النبوية، أي تفسير القرآن بالسنة.

والمقصود: الأحاديث الشارحة والميمنة لكلام الله تعالى. فما صح عنه ﷺ في التفسير، أخذ به للقطع بعصمته وتوقيفه، ولأنه سبحانه وتعالى وعده ببيان القرآن له فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ﴿٨﴾.

وقال الإمام أحمد: «السنة تفسر الكتاب وتبينه». وقال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٩﴾.

وقال عمران بن الحصين: «ليس في كتاب الله أن الظهر أربع ركعات لا يجهر فيها بالقراءة» أي أن القرآن أجمل ولم يفصل، فجاءت السنة تفسر وتفصل في آيات الأحكام ما غمض على المسلمين وأشكل عليهم. أما في الآيات الكونية والتي تستدعي مجال التأمل والنظر والتدبير، فقد فتح القرآن أمام العقل الإنساني الآفاق للتعرف على بدائع خلقه تعالى، فلم تخبر السنة عن حقائقها، وما نقل فهو قليل جداً، وقد يكون الهدف حث العقل والتفكير ليتأمل في كتاب الله ليفهموا معانيه، ويكتشفوا الهندسة البديعية التي أبدعها خالق الكون سبحانه وتعالى.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٩٠.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٨) سورة القيامة، الآية: ١٩.

(٩) سورة النحل، الآية: ٣.

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٨ - ١١.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ١٩.

(٥) سورة المعارج، الآية: ٢٠ - ٢١.

ومن صور تفسير القرآن بالسنة النبوية ما أورده السمرقندي في قوله تعالى: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: أجمع المفسرون أن المغضوب عليهم أراد به اليهود، والضالين النصراني، ويعرف ذلك بالخبر، فما روي عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأله وهو بوادي القرى: من المغضوب عليهم؟ قال: «اليهود» قال: ومن الضالين؟ قال: «النصارى».

وفي سورة الأنفال قوله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup> قال السمرقندي: يعني السلاح ثم قال: وروى عقبه بن عامر أن النبي ﷺ قرأ على المنبر ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وقال: «إِلَّا إِنْ الْقُوَّةَ الرَّمِي، أَلَا إِنْ الْقُوَّةَ الرَّمِي» ثلاثاً.

وفي سورة الكوثر قوله عز وجل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾<sup>(٢)</sup> يفسر السمرقندي الكوثر بحديثين، أحدهما: عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافئاه الذهب، ومجزاه الدر والباقوث، وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل». والثاني: حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة فإذا بنهر حافئاه من اللؤلؤ المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل، قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك».

المصدر الثالث: تفسير القرآن بالصحابة.

وأصحاب النبي ﷺ هم أعلم الناس بالتفسير بعد النبي ﷺ، مع تفاوت بينهم بما قدره الله سبحانه لهم من الملكة والتوفيق والفهم لمعاني التنزيل. وقد عاشوا فترة نزول الوحي، وما صاحبه عن وقائع ودلائل، وسمعوا قول النبي ﷺ وعانوا أفعاله، واعتبروا بما عاينوه من قرائن في نزول القرآن، وتفسير النبي ﷺ لهم. قال الإمام الشافعي رحمه الله: «هم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل».

ومن صور تفسيرهم ما نقله السمرقندي في النساء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيمُوا فِي الْيَمِينِ﴾<sup>(٣)</sup> قال السمرقندي: وروى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون بينهم، ولم يكن لهم أحد يخاصم عنهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيمُوا فِي الْيَمِينِ﴾».

وفي سورة النصر قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٤)</sup> قال السمرقندي: كان عمر رضي الله عنه يذني ابن عباس ويقول: سأريكم منه اليوم ما تعرفون به فضله. فسأله عن هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال ابن عباس: أعلمه الله تعالى متى يموت فقال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فهي آيتك من الموت. ولما نزلت السورة استبشر أبو بكر وعمر، وسمع بذلك ابن عباس فبكى، فقال له النبي ﷺ: «وما يبكيك؟» قال ابن عباس: نعيث

(١) سورة الأنفال، الآية: .

(٣) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٤) سورة النصر، الآية: ١.

نفسك» فقال ﷺ: «صدفت» فعاش بعد هذه السورة ستين.

وفي سورة الكوثر قوله تعالى: ﴿تَصَلَّىٰ لِرَبِّكَ وَأَتَّخِرُ﴾<sup>(١)</sup> قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يعني ضغ اليمين على الشمال في الصلاة».

وهل قول الصحابي في التفسير في حكم المرفوع أم الموقوف؟ أجاب الحاكم النيسابوري في مستدركه بأن تفسير الصحابي في حكم المرفوع. وقد نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين لأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي منه<sup>(٢)</sup>.

**وابن حجر<sup>(٣)</sup>:** يشترط شرطين باعتبار قول الصحابي في حكم المرفوع:

**الأول:** أن لا يكون الصحابي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا.

**والثاني:** أن يكون مما لا مجال للرأي فيه، كأسباب النزول، وأحوال يوم القيامة، واليوم الآخر ونجومه.

وذهب بعضهم: إلى أن النبي ﷺ، بين لأصحابه معاني القرآن وألفاظه، وأنه لا يتصور أن يحفظ القرآن ويعلموا به إذا لم يفهموا معانيه. وقيل: إنه ﷺ بين لأصحابه بعض الكلام الألهي، لأن الحكمة الإلهية تقتضي أن يفكر المؤمن في النص الإلهي، ليفهم معانيه، ويكتشف أسرارها وأسرار الخلق والوجود.

**واشتهر بالتفسير عشرة من الصحابة:** الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير.

**وقال السيوطي:** أما الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان، فالرواية عنهم قليلة. وأما علي فروي عنه الكثير، وقيل: إنه في أثناء خطبة له قال: «والله ما نزلت آية إلا وأعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وأين نزلت وفيم نزلت».

وأما ابن مسعود فهو من حفاظ القرآن، فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر مرفوعاً: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمَعَاذِ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ» وقال علي رضي الله عنه: «علم القرآن والسنة انتهى إلى ابن مسعود، وكفى بذلك علماً».

وأما ابن عباس فقد دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل» وقال: «اللهم آتِه الحكمة» وسماه ابن مسعود: ترجمان القرآن، وكان عمر يجلسه مع صغر سنة مع الأشياخ من الصحابة. وقال مجاهد: «هو البحر» لكثرة علمه. وقال ابن الحنفية: «هو حبر الأمة». وروى عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة.

(١) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٢) الكفاية: ١٧٩/٢.

(٣) فتح الباري: ١٦٧/١.



وأبي بن كعب أبو المنذر قال فيه عمر: «أبئ أفرأنا» وفي حديث أنس الصحيح: أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وزيد بن ثابت كاتب الوحي وممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعثمان. وأما أبو موسى وابن الزبير فروي عنهما أقل مما روي عن ابن مسعود وابن عباس.

**المصدر الرابع: التابعون،** وهم الذين تعلموا وتفقهوا في العلم عن الصحابة.

واختلف العلماء في اعتبار التابعين مصدراً من مصادر التفسير المأثور، فقال الزركشي: عن أحمد روايتان، واختار ابن عثيل: المنع<sup>(١)</sup> وحكوه عن شعبة بن الحجاج حتى قال: أقوالهم في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟

إلا أن عمل المفسرين على خلاف ذلك، فقد امتلأت كتبهم بأقوالهم، واعتبروا أنهم تلقوا تلك الأقوال والشروحات والتفسيرات عن الصحابة. إلا أن أقوال التابعين مع علمهم الذي تلقوه، فقد امتاز عدد لا يستهان به منهم بالضعف والكذب وعموم الثقة. بل إن كثيراً من الروايات التي اعتمدها السمرقندي في تفسيره تعتمد على رواة اتهموا بالضعف والكذب والوضع كالكلبي، والسدي...

**وأشهر التابعين الذين حفل بهم تفسير السمرقندي من تلامذة ابن عباس:** عكرمة (ت ١٠٥هـ) والأكثرون على توثيقه وعطاء ابن أبي رباح (ت ١١٤هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد ابن جبير (ت ١٠٢هـ). وقال الإمام سفيان الثوري: «خذوا التفسير من أربعة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك».

وهناك أبو العالية رفيع بن مهران (ت ٩٠هـ) قيل: ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقراءة منه. ومحمد بن كعب القرظي (ت ١١٨هـ) من رجال الكتب الستة. وزيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ) ومسروق (ت ٦٣هـ) من رجال الكتب الستة. والحسن بن يسار (ت ١١٠هـ) وقناة (ت ١١٧هـ) من رجال الكتب الستة. مرة بن شراحيل الكوفي (ت ٧٦هـ) أخرج له أصحاب الكتب الستة، والضحاك (ت ١٠٥هـ) وثقة ابن حنبل وأبو زرعة. وطاوس اليماني (ت ١٠٦هـ) ووهب بن منبه (ت ١١٤هـ) بالإضافة إلى أعلام من أهل الرواية كسفيان الثوري (ت ١٦١هـ) وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) ووكيع الجراح (ت ١٩٦هـ) وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) ويزيد بن هرون (ت ٢٠٦هـ) وإسحق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ).

وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات وطرق مختلفة ورد معظمها في تفسير السمرقندي، وعقد السيوطي في الانتقان فضلاً لها<sup>(٢)</sup> فقال: «فمن جيدها: طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه وقال ابن حجر: رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن

(٢) الانتقان: ١٨٨/٢.

(١) الانتقان: ١٧٩/٢.

أبي طلحة عن ابن عباس، وهي عند البخاري: عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً. وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً بوسائط بينهم وبين أبي صالح.

**وقال قوم:** لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير. وقال الخليلي في الإرشاد: تفسير معاوية عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبي صالح عن معاوية، وأجمع الحفاظ أن ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس وقال: وهذه التفاسير الطوال التي أسندها إلى ابن عباس غير مرضية، ورواها مجاهيل. كتفسير جوير عن الضحاك، عن ابن عباس.

**وتفسير أبي نجيب عن مجاهد،** عن ابن عباس قريب إلى الصحة. وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به. أما تفسير إسماعيل السدي الذي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وان عباس، وروى عنه الأئمة مثل الثوري وشعبة، ولكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا على صحته، وتفسير السمرقندي حافظ بهذا السند. وهذا التفسير يورد منه ابن جرير من طريق السدي، عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، ولم يورد ابن أبي حاتم منه شيئاً لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد.

والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه، لكن من طريق مرة، عن ابن مسعود فقط، دون الطريق الأول. وقد قال ابن كثير: إن هذا الإسناد يروي به السدي أشياء فيها غرابة.

**ومن جيد الطرق عن ابن عباس:** طريق قيس، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وهي طرق صحيحة على شرط الشيخين.

**وطريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي مولى آل زيد بن ثابت،** عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس هي طريقة جيدة بإسنادها وإسنادها حسن، وقد أخرج منها: ابن جرير وابن أبي حاتم.

وأوهى الطرق هي طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية: محمد بن مروان السدي الصغير، فهي سلسلة الكذب. إلا أن ابن عدي في الكامل قال: للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف في التفسير، وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشيع. وبعده مقاتل بن سليمان، إلا أن الكلبي يفضل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الردية.

**وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة،** فإن الضحاك لم يلقه، فإذا انضم إليها رواية بشر بن عمار عن أبي روق عن الضحاك فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم.

وإن كان من رواية جوير عن الضحاك فأشدّ ضعفاً، لأن جويراً شديد الضعف ومتروك ولم يخرج ابن جرير من هذا الطريق شيئاً، وإنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ.

وطريق العوفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم، والعوفي ضعيف وليس بواب، وربما حسن له الترمذي. وأخرج القطان عن الشافعي قال: «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهة بمائة حديث».

**أما أبي بن كعب**، فعنه نسخة صحيحة يرويها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، عن أبي بن كعب وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً، وكذلك الحاكم في مستدرکه وأحمد في مسنده<sup>(١)</sup>.

**حفل تفسير السمرقندي بجميع هذه الأسانيد**، وهي تتراوح بين الصحيح والحسن والضعيف، شأنه شأن معظم المفسرين الذين اعتمدوا على هذه الأسانيد، وحفلت بها كتبهم. إلا أن السمرقندي أكثر من رواية الكلبي أبي النصر محمد بن السائب، يرويه عن أبي صالح وهو مولى أم هانئ، عن ابن عباس. والكلبي متهم بالكذب وقيل: قال في مرضه: كل شيء حدثتكم به عن أبي صالح فهو كاذب. وهناك محمد بن مروان السدي الصغير، كذاب، وصالح بن محمد الترمذي كذاب ومدلس. وجويبر وهو واه، وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال أبو حاتم: كان يكتب حديثه ولا يحتج به، وهناك تفسير مقاتل بن سليمان قال الشافعي عنه: قاتله الله.

وأوهى الطرق كما تقدم: الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإذا انضمت إليها رواية محمد بن مروان فهي سلسلة الكذب. وستجد أن السمرقندي يكثر من هذه الروايات في أول سورة. فأخرج في سورة الفاتحة عن محمد بن مروان السدي الصغير، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: الشكر لله.

#### ٩ - النوع الثاني من التفسير: التفسير بالرأي:

قال السمرقندي في مقدمة تفسيره: «لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن من ذات نفسه برأيه ما لم يتعلم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل، ففي حديث ابن عباس المرفوع: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وفي رواية: «مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

والمقصود من قوله: من يجعل الرأي أصلاً والقرآن تبعاً، فيفسر بناء على طبعه ووفق هواه دون اعتماد العلوم التي افترضت في الفقه، أو الآلة التي تمكنه من فهم النص والكشف عن معناه، من موافقة لأدلة الشرع، ومعرفة بقوانين العربية، فإنه يعتبر مذموماً. وكما يقول الشاطبي

(١) راجع الإقنان: ١٨٧/٢ - ١٨٨.

«فقد تقول على الله بغير برهان، فيرجع إلى الكذب على الله تعالى»<sup>(١)</sup> وهذا النوع من التفسير المذموم هو ما صدر عن أهل الأهواء والفرق، كالمعتزلة، والخوارج والباطنية أو أدعياء العلم الذي يفسرون بالهوى والاستحسان، فيحرفون الكلم عن مواضعه.

**أما إذا فُسر النص بما هو معلوم لغة وشرعاً فلا حرج عليه، وهو كمن تسلح بالعلوم المتقدمة لاستنتاج النص، أي شرط أن يوافق في تفسيره الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، وقواعد العربية وقوانينها، متمكناً من العلوم إلى حد تقيه من الوقوع في الزلل أو الخطأ.**

**أما تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القول فيه برأيه كما قال الطبري<sup>(٢)</sup> بل القائل فيه برأيه وإن أصاب الحق فيه فهو مخطئ، لأن إصابته ليس إصابة موقن أنه حق، وإنما إصابته إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن هو قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرّمه الله تعالى كما قال الطبري.**

**وتشدد بعض العلماء في التفسير بالرأي، حتى ولو استخدم في تفسيره جميع العلوم اللازمة لفهم النص، وقالوا: لا يجوز تفسير القرآن بغير ما وزد عن النبي ﷺ وعن الصحابة وعن التابعين إلا أن هذا الشرط مستحيل القبول به لما تقدم أن النبي ﷺ لم يفسر لأصحابه جميع معاني ومفردات القرآن الكريم، وكذلك فالصحابة الذي اشتهروا بالتفسير لم يفسروا جميع معاني القرآن، الأمر الذي يجعل معظمه مجهول الحال.**

#### ١٠ - التفسير والإعراب:

**الإعراب:** مصدر أعرب، بمعنى: أبان وأفصح. والتعريب: مصدر عرب، ومعناها: أي الإعراب والتعريب واحد وهو: الإبانة والإفصاح كما قال الأزهرى.

وهو اصطلاحاً عند ابن هشام وغيره: الأثر الظاهر أو المقدر من حركة أو سكون أو حذف في أواخر الكلمة. أي ما يجلبه العامل من أثر ظاهر أو مقدر.

**اعتبره ابن فارس من العلوم التي اختلفت بها العربية، فلولاها لما ميز بين فاعل ومفعول، ولا مضاف من منعت، ولا تعجب من استفهام. وقال السيوطي: من فوائده معرفة المعنى، لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين<sup>(٣)</sup> لذلك قال: على الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في الكلمة وصيغتها، ومحلتها لكونها مبتدأ، أو خبراً، أو فاعلاً، أو مفعولاً به، أو في مبادئ الكلام...**

وأخرج أبو عبيد عن عمر رضي الله عنه قال: «تعلموا اللحن والفرائض كما تعلمون»

(١) الموافقات للشاطبي: ٣/٤٢٢ دار المعرفة، بيروت.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥/١.

(٣) الإقنان: ١٧٩/١.

القرآن، لذلك كان الإعراب وسيلة لفهم اللسان العربي، وأداة للوصول إلى معرفة أغراض المتكلمين، باللسان الذي نزل به القرآن.

ثم إن القرآن الكريم جاء معرباً بالنقل والتواتر عن النبي ﷺ فاعتبر الأصل الذي اعتمد عليه علماء النحو في وضع أسس علم النحو، وكانت المادة الأولى لتأسيس قواعد الإعراب.

وقد سرى الفساد إلى اللغة العربية بعد أن شاع اللحن في الصدر الأول في كلام الموالي والمعتزبين، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بضرب كاتب أبي موسى الأشعري عندما أرسل إليه كتاباً قد لحن فيه. ومن هنا نشأ الاهتمام بالإعراب لأن الشريعة كما يقول الشاطبي: «لا يفهمها حقّ الفهم إلا من فهم العربية حقّ الفهم» فكان طلب إجادة الإعراب واللغة مطلباً شرعياً مُحأً، وإلزاماً من جانب الدين. لأن المبتدئ في فهم العربية هو نفسه مبتدئ في فهم الدين، والمتوسط في فهم العربية هو متوسط في فهم الشريعة، والمسلم يطلب الكمال والسعادة الدنيوية والدينية، ولا سبيل له إلا بفهم مقاصد الشريعة، ولا يتم ذلك إلا بإجادته قواعد اللغة.

لذا كان المطلوب من المفسر خاصة والمؤمن عامة، ولكل من يتصدى إلى معرفة النصّ الشرعي، أن يجيد قواعد العربية وعلوم اللغة، كي تطمئن نفسه إلى أن فهمه المراد من النصّ صحيح، ولكي لا يقول على الله ما لا يعلم، فيضل نفسه والناس معاً.

وإذا كان الإعراب ضرورياً ومدخلاً إلى معرفة المعنى، فكل تفسير لا يستند إلى هذا المبدأ لا يعتمد حجة ولا يعتبر شرعاً، وبالتالي لا يلتفت إليه. وكل معنى مستنبط من القرآن وغير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، وهو في دعواه مبطل كما قال الشاطبي<sup>(١)</sup>. فالإعراب أشدّ العلوم حاجة يعتمدها المفسر، لأنه السبيل الممهّد لفهم معاني القرآن وإدراك الصلة بين ألفاظه وتراكيبه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(٢)</sup> فإذا قرئ «ورسوله» بالجر أفاد أن الله بريء من رسوله كما هو بريء من المشركين، وهذا كفر وبالرفع قال السمرقندي: يعني ورسوله أيضاً بريء من المشركين. وقال: وقرأ بعضهم «ورسوله» بنصب اللام ومعناه: إن رسوله بريء من المشركين، وهي قراءة شاذة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٣)</sup> فلو رفع الله، ونصب العلماء لاختل المعنى اختلالاً شنيعاً فصارت الخشية والعقوبة لله لا للعلماء. وقال السمرقندي: يعني

(١) الموافقات: ٤/١١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) الموافقات: ٢/٣٩١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

أن العلماء يتفكرون في خلق الله ويعملون ثوابه وعقابه، فيخشونه ويعملون بالطاعة خشية عقابه، وفيها تقديم، أي إنما يخشى العلماء الله.

**وفي قوله تعالى:** ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾<sup>(١)</sup> قال السمرقندي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿بعُد﴾ بتشديد العين وبغير ألف وقرأ الباقون: ﴿باعد﴾ بالألف. وقرأ يعقوب الحضرمي من أهل البصرة ربُّنا بضمِّ الباء - مبتدأ - وبعُد بنصب العين على أنه فعل ماضٍ، وهو على معنى الخبر، ومن قرأ ﴿ربُّنا﴾ فهو منادى مضاف، وبعُد فعل أمر بمعنى الدعاء، فاختلف المعنى في القراءتين.

ويظهر السمرقندي في تفسيره إحاطة تامة بقواعد اللغة، وخاصة الإعراب ووجوه ومدارسه، وقلَّما تخلو آية من شاهد من الإعراب، أو القراءات ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكٌ مُلْكُكَ﴾<sup>(٢)</sup> يقول: أصل ﴿اللهم﴾ يا الله أماناً بخير، ولكن لما كثر استعمال هذا اللفظ في الناس، صارت الكلمتان واحدة. وفي قوله: ﴿تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ قَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: معناه تولي الملك من نشأ أن تؤتبه وحذف الهاء في الكلام دليلاً عليه.

**وفي قوله تعالى:** ﴿إِنَّا رَبَّنَا أَلْمَمْنَا الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾<sup>(٤)</sup>. قال السمرقندي: وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿بزينة﴾ بالتنوين و﴿الكواكب﴾ بالنصب. وقرأ الباقون ﴿بزينة﴾ بالكسر بغير تنوين و﴿الكواكب﴾ بكسر الباء. ومن قرأ بزينة الكواكب بالكسر جعل الكواكب بدلاً من الزينة والمعنى: إننا زيننا السماء الدنيا بالكواكب. ومن قرأ بالنصب أقام الزينة مقام التنزين فكانه قال: إننا زيننا السماء الدنيا بتزيننا للكواكب، فيكون الكواكب على معنى النفسير. ومن قرأ بغير تنوين فهو على معنى الإضافة، أي إضافة الزينة إلى الكواكب.

**وفي قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٥)</sup> قال السمرقندي: ﴿إن﴾ ههنا للتأكيد، وهو حرف من حروف القسم. وفي قوله عز وجل ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَصِيبًا لِّأَهْلِ الْبَيْتِ﴾<sup>(٦)</sup> قال: نصب إحساناً على معنى أحسنوا إحساناً، فيكون إحساناً بدلاً من اللفظ، أي: أحسنوا إلى الوالدين برأ بهما وعطفاً عليهما.

**وفي قوله عز وجل:** ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾<sup>(٧)</sup> قال السمرقندي: قرأ عاصم في رواية حفص ﴿شهر﴾ بفتح الراء، وقرأ الباقون بالضم. وإنما صار رفعاً لمعنيين، أحدهما: أنه مفعول ما لم يسم فاعله بقول: كتب عليكم شهر رمضان. ومعنى آخر: أنه خير مبتدأ يعني: هذا شهر رمضان ومن قرأ بالنصب احتمال أنه صار نصباً لوقوع الفعل عليه، أي

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(١) سورة سبأ، الآية: ١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٦.

صوموا شهر رمضان. وقيل: صار نصباً لتزج الخافض، أي: في شهر رمضان، ويحتمل: عليكم شهر رمضان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلَسَّجِدَ الْكِرَامِ﴾<sup>(١)</sup> قال: وإنما صار خفضاً لأنه عطف على سبيل الله، فكانه قال: وصدّ عن سبيل اللّٰهِ وعن المسجد الحرام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَمْتَوْهُ أَبَدًا﴾<sup>(٢)</sup> قال السمرقندي: في الآية دليل أن ﴿لَنْ﴾ لا تدل على التأييد، خلافاً لقول المعتزلة.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾<sup>(٣)</sup> قال السمرقندي: قرأ بعضهم بالرفع، وقرأ بعضهم: ما هذا بيشر يعني: مثل هذا لا يكون بشراً. وقراءة العامة ﴿ما هذا بشراً﴾ بالنصب والتنوين لأنه خير ﴿ما﴾ ولأنه صار نصباً لتزج الخافض.

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَا مَبِيَّةٌ آَلَةٌ مَبِيَّةٌ﴾<sup>(٤)</sup>. قرأ أهل الكوفة ﴿أنا صبينا﴾ بنصب الألف والباقون بالكسر. فمن قرأه بالنصب جعله بدلاً عن الطعام يعني: فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صباً. ومن قرأ بالكسر فهو على الاستئناف.

وقد أفرد السيوطي في الإتيان<sup>(٥)</sup>: فضلاً من أربع وعشرين صفحة بين فيها معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، ويعني بالأدوات: الحروف وماشاكلها من الأسماء والأفعال والظروف. ثم أفرد فصلاً في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها<sup>(٦)</sup> كقاعدة في الضمائر، وجمع العاقلات، والتذكير والتأنيث... وهي ضرورية لكل من يريد التفسير بالإعراب.

**١١ - التفسير والقراءات:** عزّف صاحب كشف الظنون القراءة بقوله: «هي وجه من الوجوه التي روي القرآن بها، يأخذ بها راوٍ من الرواة»<sup>(٧)</sup>. وقال أبو البقاء في كليته: «هي اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتشديد...»<sup>(٨)</sup> وقال: «كلّ قراءة وافقت العربية بوجه، أو وافقت أحد المصاحف العثمانية وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها».

فالقراءات علم يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن وحروفه واختلافها. فموضوعه الكلمات القرآنية من حيث أحوالها واختلافها في الحروف: من مدّ وقصر، وتخفيف وتشديد... وهذا الاختلاف يربنا لهجات العرب واختلافها، وكيفية النطق بها، أي في الحروف

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٣) الإتيان: ١٤٥/١ - ١٧٩.

(٤) كشف الظنون: ١٣١٧/٢.

(٥) الكليات لأبي البقاء: ص ٧٠٢ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

(٧) سورة عبس، الآية: ٢٥.

(٨) الإتيان: ١٨٦ - ٢٠٠.



ومخارجها. فبعضهم يفتحون الألف ويميلونها، وبعضهم يفخمون الراء ويرققونها وكذلك اللام، ويأتون بالقلقلة في الجيم، والذال، والقاف، والطاء ..

**وأهل التفسير مجمعون على الاحتجاج بالقراءة لاتخاذها آلة أو علماً، أو بينة على لفظة من ألفاظ القرآن الكريم، ولاظهار الوجه الصحيح في القراءة، الذي يشير بدوره إلى المعنى المقصود.**

**ولما كانت القراءات متعددة الوجوه للفظ الواحد، فقد تعددت المعاني التي تظهرها القراءات، وتعددت بالتالي وجوه الإعراب لفظة الواحدة، لارتباط القراءة بالإعراب. وتأتي مهمة المفسر في اختيار القراءة الصحيحة التي تظهر معنى صحيحاً لا لبس فيه.**

**وقد احتج السمرقندي بالقراءات في معظم الآيات الكريمة، وأظهر قول البصريين، والكوفيين، والصحيح منها، والشاذ، والذي اتفق عليه الجمهور وابتعد عن الشاذ مع الإشارة إليه، ورجح القراءة التي أجمع عليها العلماء. وأظهر العلاقة بين القراءة، والإعراب والمعنى. ومن شواهد ذلك.**

ففي قوله عز وجل: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> قال السمرقندي: قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: ملك بغير الألف. وقرأ عاصم والكسائي بالألف فأنا من قرأ بالألف قال: لأن المالك أبلغ في الوصف، لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال ملك إلا الملك الملوك. ومن قرأ بغير ألف - ملك - قال: لأن الملك أبلغ في الوصف، لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة، يكون ذلك كتابة عن الولاية دون الملك، وإذا قلت: فلان مالك هذه البلدة كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة. ثم ساق حديث أنس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي يقرأون: ﴿مالك يوم الدين﴾ بالألف. ثم ساق حجة أخرى على صحة قراءة الكسائي بالألف فعن أبي عبد الله البلخي الذي قال له بعض أهل اللغة: الملك أبلغ في الوصف، فرأى في المنام آت يلومه على حذف الألف من ﴿مالك﴾ وأن رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَخَمَّأْ مَفْحَمًا﴾ وحديث ثابن مرفوع ﴿من قرأ القرآن فله بكل حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ﴾، فقد أنقص عشر حسنات بانقاصه الألف من ﴿مالك﴾ وعاد إلى قراءة الكسائي.

وفي قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا مِنَ الْأَنْعَامِ﴾<sup>(٢)</sup> قال السمرقندي: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿يسمعون﴾ بنصب السين والتشديد، والباقون ﴿يسمعون﴾ بنصب الباء وجزم السين مع التخفيف. فمن قرأ بجزم السين فهو بمعنى يسمعون، ومن قرأ

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٨.

بالتشديد فأصله: يتسمعون، فأدغمت التاء في السين وشدّدت يعني: لكيلا يسمعون.

وفي قوله عز وجل: ﴿فَكَ رَقِبَةً﴾ ﴿أَوْ يُطْعَمُونَ فِي يَوْمٍ مَّسْبُورٍ﴾<sup>(١)</sup> قال السمرقندي: قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي ﴿فَكَ رَقِبَةً﴾ بنصب الكاف والهاء. و﴿أطعمم﴾ بنصب الهمزة وبغير ألف، والباقون ﴿فَكَ رَقِبَةً﴾ بضم الكاف وكسر الهاء ﴿أو إطعمام﴾ بكسر الهمزة وإثبات الألف. فمن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى أي: فلا فك رقبته ولا أطعمم في يوم ذي مسغبة، فكيف يجاوز العقبة. ومن قرأ بالضم فمعناه: افتحام العقبة، فك رقبته أي: مجاوزة العقبة بعق رقبته وإطعام في يوم ذي مسغبة، أي مجاعة.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال: قرأ ابن كثير وابن عامر ﴿يعملون﴾ بالياء، وقرأ الباقر بالتاء، واختلفوا في مواضع أخرى. فقرأ حمزة والكسائي في كل موضع ﴿وما الله بغامل عما تعملون﴾ بالياء وفي كل موضع ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ بالتاء، واختلفت الروايات عن غيرهما،

وفي قوله عز وجل: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾<sup>(٣)</sup> قال السمرقندي: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لتركين) بنصب التاء والباقر بالضم. فمن قرأ بالنصب، فمعناه: لتركبن يا محمد من سماء إلى سماء. ومن قرأ بالضم فالخطاب لامته أجمعين يعني: لتركبن حالاً بعد حال وقرأ بعضهم: ليركبن بالياء يعني: ليركبن هذا المكذب طبقاً عن طبق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجٌّ﴾<sup>(٤)</sup> قال السمرقندي: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿حجج﴾ بكسر الحاء والباقر بالنصب، وهما لغتان ومعناهما واحد.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ بَلِّغْنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا﴾<sup>(٥)</sup> قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿وكنت نسياً منسياً﴾ بنصب النون والباقر نسياً بكسر النون. وقال أبو عبيد: بالكسر نقرأها، لأنها كانت أكثر في لغة العرب وأفشاهها، وعليها أهل الحرمين والبصرة.

وقوله: ﴿فَأَدْنَاهَا مِن نَّمِيحٍ﴾<sup>(٦)</sup> قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص ﴿من﴾ بالكسر يعني: الملك، وهكذا قرأ مجاهد والحسن، وقرأ الباقر ﴿من﴾ بالنصب يعني به: عيسى عليه السلام، وقال أبو عبيد: بالأولى نقرأ، يعني بالكسر، لأن قراءتها أكثر والمعنى فيها أعم.

وقوله: ﴿وَهَرَيْتَ إِلَيْكَ يَمْنَعُ أَنْ تَخْلُقَ تُسْقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَبِينًا﴾<sup>(٧)</sup> قرأ حمزة: تساقط بنصب

- |                                 |                               |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة البلد، الآية: ١٣ - ١٤. | (٥) سورة مريم، الآية: ٢٣.     |
| (٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.     | (٦) سورة مريم، الآية: ٢٤.     |
| (٣) سورة الانشقاق، الآية: ١٩.   | (٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٥. |
| (٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.   |                               |

التاء وتخفيف السين، وأصله: تنساقط، إلا أنه حذف منه إحدى التاءين للتخفيف. وقرأ عاصم في رواية حفص: تنساقط، بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف، يعني: أن التخلّة تنساقط عليك. وقرأ الباقون بالنصب وتشديد السين ونصب القاف، لأن التشديد أقيم مقام التاء التي حذفّت. وروي عن البراء بن عازب أنه كان يقرأ يساقط بالياء يعني: أن الجذع يساقط عليك. وقرأ بعضهم: نساقط بالنون ومعناه: نحن نساقط عليك.

**وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تُدْأُوا الْعَدَّةَ فَبِمَا هِيَ﴾** <sup>(١)</sup> قال السمرقندي: قرأ الكسائي وحزمة وابن عامر: ﴿فبمها﴾ بنصب النون وكسر العين. وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع في رواية ورش وابن كثير بكسر النون وكسر العين. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر بكسر النون وحزم العين. وكل ذلك جائز وفيه ثلاث لغات: نيم، ونيم، ونعم، وما زيدت فيها للصلة.

## ١٢ - الاسرائيليات:

هي كل ما لحق بكتب التفسير من خرافات وأباطيل، وأساطير وأخبار، وقصص تناقلها علماء اليهود أولاً، والنصارى ثانياً بعد تحريفهم للتوراة والإنجيل، وخاصة أن معظمها مأخوذ من التلمود، ومن القصص التي اختلقها علماء اليهود.

وقد انتقلت هذه الأخبار والاختلافات إلى كتب التفسير في عصر كثرت فيه الفتن والصراع الحزبي، والعقائدي، فوجد أعداء الإسلام في ترويجها من الزنادقة وغيرهم متنسّلاً يروجون به أباطيلهم وقصصهم وينسبونها إلى الصحابة والتابعين ممن كانوا على دين اليهودية ودخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم وأشهرهم: الصحابي الجليل عبد الله بن سلام (ت ٤٣هـ). وكعب الأخبار (ت ٣٤هـ) الذي لم يدرك النبي ﷺ، ووهب بن منبه (ت ١١٠هـ). وهو من كبار التابعين، وقد نسبوا هذه الأخبار إليهم وهم منها براء.

وعلى هذا، احتشدت كتب التفسير بالمنقولات عنهم، ونسب إليهم الرواة أخبار الأمم الماضية، والفتن، وبدء الخلق، والملاحم، وتساهل المفسرون في قبولها مع علمهم بإسرائيلية الأخبار. وقد يكون السبب: أن من الصقت بهم هذه الأخبار كابن سلام وكعب الأخبار ووهب بن منبه معروفون بالتوثيق والصدق والبعد عن الكذب والوضع والاختلاق، فقبلوا الروايات دون تمحيص أو تحقيق، فوقعوا في فخّ الوضاعين والدسّاسين.

والسمرقندي كمعظم المفسرين - كابن جرير الطبري، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم قد ذكر الكثير من هذه الاسرائيليات في تفسيره دون إشارة في الكثير منها إلى أنها مختلفة أو واهية،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

إلا أنه لا يتمادى في الإكثار من الاسرائيليات ووجوهها واستطراداتها كما في كتب التفسير الأخرى.

**ومنها:** قصة - هارون وماروت التي وردت في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتٌ وَمُرُوتٌ وَمَا يُمْلِكَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (١) قال السمرقندي: «قال بعضهم: إن سليمان عليه السلام أمر بأن لا يتزوج المرأة من غير بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل يقال لها: ضبنة بن صابورا، فعاقبه الله بأن أجلس مكانه شيطاناً، وكان الناس يظنون أنه سليمان، وأشكل عليهم أمره، فجاءوا إلى أصف بن برخيا وكان وزيره. . . ودخل أصف على نساء سليمان فسألهن عن ذلك فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكتم، والله ما يعتزل منا حائضاً، وما يغتسل من جنابة، هكذا ذكر في رواية الكلبي». . . ثم قال: ولما عرف الشيطان أن الناس علموا بحاله كتب سحراً وجعله تحت كرسيه، وألقى خاتم سليمان في البحر وهرب. وكان سليمان عليه السلام خرج إلى ساحل البحر وأجر نفسه للملاحين كل يوم بسمكتين، فلما أعطوه أجره، باع أحدهما واشترى به الخبز، وشق بطن الأخرى، فوجد فيه الخاتم، فرجع إلى ملكه. . .

ثم أخرج السمرقندي عن ابن عباس قال: إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك واتخذوا هذه الأصنام وعبدوا غير الله تعالى، فجعلت الملائكة، يدعون عليهم ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسن خلقهم ورزقهم. . . فقال لهم الرب: إنهم في عذر، فجعلوا لا يعذرونهم ويدعون عليهم، فقال لهم الرب اختاروا منكم اثنين، فاختاروا هاروت وماروت فأهبطهما الله إلى الأرض، فأمرهما ونهاهما عن الزنا وقتل النفس وشرب الخمر. فمكثا زماناً يحكمان بالحق، وكان في ذلك الزمان امرأة فضلت بالحسن على سائر النساء، فأتيها فحضا لها بالقول وراودها عن نفسها، فقالت: إلا حتى تصليا لهذا الصنم، أو تقتلا هذه النفس، أو تشربا هذه الخمر، فقالا: أهون الشرئين شرب الخمر، فلما شربا الخمر سجدا للصنم، وفعلا بالمرأة، وقتلا النفس. . .

وقال السمرقندي: وروي في الخبر أن المرأة تعلمت منهما اسم الله الأعظم، فصعدت به إلى السماء، فمسحها الله كوكباً هو الذي يقال له الزهرة، وروي أن ابن عمر: كان إذا نظر إلى الزهرة لعنها ويقول: هي التي فتنت هاروت وماروت، وروي عن علي رضي الله عنه هذا.

هذه الأخبار مختلفة، نسبها الدسامون إلى ابن عباس، وعلي، قال القاضي عياض في الشفا: ما ذكره المفسرون وأهل الأخبار في قصة هاروت وماروت لم يرد فيها شيء صحيح، وهو قول ابن كثير في البداية<sup>(٢)</sup>: منشأها روايات إسرائيلية، ورفعها إلى النبي ﷺ ووقفها على

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٣٦/١ - ٣٨.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

ابن عباس وعلي اختلاق وكذب. ثم إن الملائكة معصومون عن الخطأ فكيف يرتكب الملكان الفجور ويزنيان؟ ثم كيف ترفع الفاجرة لتصير نجماً ملعوناً في السماء، وهو كوكب مضيء؟  
**وفي قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا نُوحًا﴾**<sup>(١)</sup> في قصة هبوط آدم وحواء من الجنة. قال السمرقندي: وروي عن ابن عباس أنه قال: لما رأى إبليس آدم في النعمة حسده واحتال لإخراجه منها، فعرض نفسه على كل دابة من دواب الجنة أن يدخل في صورتها فأبت عليه، حتى أتى الحية وكانت أعظم وأحسن دابة في الجنة، وكانت لها أربعة قوائم، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته، فدخل ما بين لحييها وأقام في رأسها. . . وقالت حواء لآدم: تعال حتى نأكل من هذه الشجرة وأخذت بيده، وكان يحب حواء ففكر أن يخالفها لحبه إياها، وكان يقول لها: لا تفعليني إني أخاف العقوبة، وكانت تقول له: إن رحمة الله واسعة. . .

**وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا مَلَكُواهُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾**<sup>(٢)</sup> ونقل السمرقندي عن مقاتل: أن السكينة دابة رأسها كراس الهرة ولها جناحان، فإذا صوتت عرفوا أن النصر لهم، ويقال: كانت جوهرأ أحمر يسمع منه الصوت، ويقال: كانت ريحاً تهب فيها لها صوت، يعرفون منه النصر. وكان الأفضل للسمرقندي لو اكتفى بالقول: إن السكينة هي طمانينة من ربكم.

ثم يقول السمرقندي قال الكلبي: وكان التابوت من عود الشمشاد الذي يتخذ منه الأمشاط، فأخذوا بقرتين من المدينة وتركوا أولادها في المدينة، وربطوا التابوت على عجلة، ثم ربطوا العجلة بالقرتين، ثم وجهوهما نحو بني إسرائيل، فضربت الملائكة جنوبها وساقوهما حتى هجموا بها على أرض بني إسرائيل، فأصبحوا والتابوت بين أظهرهم. . .

**وفي قوله تعالى: ﴿لَيْنَ مَا تَيْتَنَا صَليماً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الْفَكِرِينَ﴾**<sup>(٣)</sup> نقل السمرقندي عن قتادة قال: كان آدم لا يولد له ولد إلا مات، فجاء الشيطان وقال: إن سرُّك أن تعيش ولدك فسمه عبد الحارث، ففعل، فأشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة. وروى عن السدي قال: اسم إبليس هو الحارث يوم لمن، فأراد أن ينسب إليه فأمرهما، فسمته عبد الحارث فعاش أياماً ثم مات.

**ومن الاسرائيليات:** في تفسير قصة ذي القرنين في سورة الكهف (٨٣ - ٨٥) وقصة سبأ في سورة النمل (٤٢ - ٤٤). وفي صورة ص (٢١ - ٢٣).

### ١٣ - تفسير السمرقندي:

يتضح لنا من قراءتنا لتفسيره المسمى: بحر العلوم، أنه جمع بين التفسير المأثور النقلي، والتفسير بالرأي الممدوح وليس المذموم. فلا يكتفي بمجرد النقل للدليل الشرعي من الكتاب

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

والسنة والصحابي والتابعي، وإنما يدخل رأيه، فيعرض لرأي اللغويين والنحاة، وأهل الصرف والنحو والاشتقاق والإعراب والقراءات والفقهاء، فيوازن ويقارن، ويترجح عنده الدليل فيختار ما يوافق الدليل الشرعي أو اللغوي الذي يلوح له، ولا يعتمد ما سنع له خاطره، أو ميله، بل يستنبط معتمداً على الأصول المتفق عليها في العلوم المتقدمة، وهذا الطريق ليس بمذموم ولا بخارج، على رأي أهل السنة والجماعة.

قد يغالي البعض ويقول: كان عليه الاعتماد على التفسير المأثور دون غيره، وترك الاستنباط. لكنه قول مردود، لأن الصحابة أنفسهم اختلفوا في التفسير، ولم ينقلوا كل ما قاله عن النبي ﷺ، فكان لا بدّ أمام هذه الواقعة أن يعتمد كغيره من المفسرين على علوم تساعده على فهم النصّ وكشف ما غمض منه، فأردف التفسير المأثور بالعلوم المبنية على الاجتهاد، فجمع بين الاثنين.

إلا أنه في تفسيره يورد الأحاديث والأثار المرفوعة والموقوفة، دون انتقاد للسند والرواة، ودون تمييز بين حديث صحيح أو حسن، أو ضعيف أو موضوع... ودون تمييز للدخيل وغير الدخيل. بل إنه في كثير من المواضع يحذف الأسانيد، لذلك لم يسلم تفسيره من الروايات المنكرة والضعيفة والاسرائيلية وإذا عزا الرواية إلى مخرجيها، فلا يبيّن منزلتها من الصحة أو الضعف.

يستعين بكتب معاني القرآن. كغيره من المفسرين، وما شرحوه وبيّنوه من ألفاظ القرآن ومعانيه، وأهل البلاغة والصرف والإعراب: كسيبويه، والأخفش، والزجاج، والكسائي، وابن عمرو، وابن الأعرابي، وقطرب، والفراء... فينتفع بأقوالهم وشروحاتهم لتبيان المعنى المقصود.

يمتاز تفسيره بالسهولة في الألفاظ والتراكيب، والبعد عن التعقيد والغرابة والصعوبة، وعدم الاستطراد، وعدم الإكثار في المباحث اللغوية والنحوية والفقهيّة، وخلوه من الحشو والتطويل. يصدق عليه القول: ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخذل.

#### التعريف بالمصنف وأثاره

هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي<sup>(١)</sup>، كنيته: أبو الليث. علامة، ومن أئمة الحنفية، ومن الزهاد والمتصوّفين. له لقبان، الأول: إمام الهدى.

(١) راجع ترجمته في الأعلام للزكلي: ٢٧/٨. والفوائد البهية: ٢٢٠.

والجواهر المضئية: ١٩٦/٢. ومفتاح الكنوز: ١٣٠، ١٤٠.

وكشف الظنون: ١١٨٧/٢، وطبقات المفسرين للدودي: ٢٤٥/٢.

**والثاني: الفقيه**، وكان يؤثره على الأول. وقد لقبه النبي ﷺ بالفقيه، إثر رؤيا عرضت له في المنام، رأى النبي ﷺ فقال له: يا فقيه.

اغفل المؤرخون سنة ميلاده فلم يحدّوها، وذكروا على وجه التقريب أن ميلاده كان بين سنة ٣٠٠ و ٣١٠، كما اختلفوا في سنة وفاته فقيل: ٣٧٥ و ٣٧٦، و ٣٨٣ و ٣٩٣ هـ.

كما لم يذكر المؤرخون شيئاً عن أسرته، ومكانتها في سمرقند، إلا أنهم أشاروا كما أشار هو في تفسيره إلى أبيه الشيخ محمد الذي تتلمذ أبو الليث عليه، فقرأ القرآن، ونال مبادئ الفقه وعلومه، فقال في كثير من المواضع في تفسيره: حدثني أبي.

**ولد في سمرقند**، عاصمه العلم والأدب، والفقه، والتصوّف، والزهد في عصره. يقصدها طلاب العلم والشيوخ والمريدون لينهلوا من مساجدها ومدارسها ورباطاتها الفقه والطب والفلسفة، والفلك، والزهد، والتصوف.

**تتلمذ على أبيه في الفقه والقراءات**، كما تتلمذ على شيخين يذكرهما كثيراً في تفسيره هما: أبو جعفر البلخي، والقاضي الخليل بن أحمد، وهما مقدّمان في الفقه والفتوى بسمرقند على المذهب الحنفي.

**نال ثقافة فلسفية** أكسبته المهارة في الجدل والمناظرة والاطلاع على مذاهبهم ومناهجهم العقلية والعلمية. وأحاط بمذهب أبي حنيفة، وأصوله وفروعه واجتهاداته وطرق استنباطاته عند أبي حنيفة وصاحبيه، بالإضافة إلى إطلاع تام على مذاهب الأئمة: الشافعي، ومالك، وابن حنبل.

بالإضافة إلى مناهج التفسير المأثور والعقلي وأصحاب القراءات، واللغة والصرف، والنحو، والاشتقاق، وأيام العرب، وأخبار الأمم الماضية.

**وعاشر زهاد عصره** ومتصوفي سمرقند، فاكتسب منهم العزوف عن الدنيا وزينتها والإنابة إلى دارالخلود، بالعلم والعمل.

#### مؤلفاته:

١- بحر العلوم. في التفسير. يجمع فيه بين التفسير المأثور والتفسير بالرأي. قال الزركلي: وفي فهارس بعض المكتبات: من تصنيفه بحر العلوم، بضعة مجلدات في التفسير، والصواب: أن بحر العلوم من تأليف سمرقندي آخر اسمه علي، من أبناء المئة التاسعة كما في كشف الظنون ٢٢٥ والقول لصاحب الأعلام. وقال: وله تفسير القرآن، مخطوط في أجزاء متفرقة، وهو غير كبير، اقتنيت منه الجزء الأخير، وأوله: تفسير الحاققة.

٢- تفسير جزء عم يتساءلون.

٣- خزنة الفقه. وهي رسالة. مطبوع.

٤- المقدمة: في الفقه.



- ٥ - عيون المسائل: فتاوى وتراجم في مسائل المذهب الحنفي.
- ٦ - شرعة الإسلام: في الفقه.
- ٧ - النوازل من الفتاوى: في الفقه. في الفروع.
- ٨ - مختلف الرواية: في الخلافات بين أبي حنيفة ومالك والشافعي.
- ٩ - رسالة في أصول الدين.
- ١٠ - عمدة العقائد.
- ١١ - بستان العارفين: في التصوف، وسمّاه البستان. وهو مطبوع.
- ١٢ - تنبيه الغافلين: في المواعظ والزهد. وهو مطبوع.
- ١٣ - دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة والنار. في الزهد والتصوف.
- ١٤ - فضائل رمضان. في الأذكار والأدعية.
- ١٥ - قرة العيون ومفرح القلب المحزون: في الزهد. مطبوع.

#### وصف المخطوط:

اعتمدنا في تحقيق هذه التفسير على مخطوطتين، الأولى: نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦، ورمزنا إليها بالحرف (ب) عدد أوراقها: (٥٤٣) ومسطرتها: (٢٩). وهي منسوخة بخط واضح وجلي. وقد كتبت الآيات القرآنية بالحبر الأحمر، وكتب التفسير بالحبر الأسود.

اعتمدنا هذه النسخة أصلاً في التحقيق لوضوحها. وخلوها من الأخطاء، بل ولندرة أخطائها. وفي الصفحة الأخيرة يشير المؤلف إلى الانتهاء منها فيقول: أنه انتهى من نسخها يوم الأحد المبارك، مستهل محرم الحرام، افتتاح سنة اثنين وتسعين وتسعمائة المباركة.

النسخة الثانية: وهي نسخة جامعة أدبناغ تحت رقم (٣٦٨٨) ورمزنا إليها بالحرف (أ). وعدد أوراقها (٣٥٢) مسطرتها: ٢٤، وفيها نقص لأربع سور: الحجر، والنحل، والإسراء، والكهف، وفي الصفحة الأولى للمخطوطة فهرس للسور، وبدون تاريخ للنسخ. وتمتاز هذه المخطوطة بكثرة الشروح والتعليقات، التي يوضح فيها الناسخ معنى لفظة، أو يصحح لفظ حديث، أو معنى من المعاني، وعلى جانبي صفحاتها. إلا أنّ خطها رديء النسخ، وتمتاز بكثرة الأخطاء النحوية.

وقد أشرنا إلى الاختلاف الوارد بين النسختين، واعتمدنا الأصحّ منهما، وخرّجنا الأحاديث والآثار الواردة في النسختين، معتمدين كتب الصحاح والسنن والتفسير.

والله ولي التوفيق

د. محمود مطرجي



فعلان يراد به المتابعة في وصفه كما يقال سمان وعصان اذا امتلأ غضبا فلقد اسمى نفسه جباناً  
لان رحمة وسعت كل شيء لا يجوز ان يقال لغيره تعالى الرحمن لان هذا الوصف لا يوجد في غيره وان الرحمن  
قال سبق بالموسير فانه ليس عليهم ذنوبهم في الدنيا وبرحمتهم في الاخرة ويدخلهم الجنة وتسل ايضا  
اما سمي نفسه رجيماً لانه لا يكلف عباده جميع ما لا يطيقون وكل ملك يكلف عباده جميع ما لا يطيقون  
فليس برحيم وروي عن علي بن ابي طالب عن رضى الله عنه انه قال في قوله ليم الله شفان كل داووقو فان علي كل  
ذو الاله اسره واما الرحمن فهو عون لمن امر به وهو اسم له يستمر به عبيد واما الرحمن فان تاب وامر  
بالحق فانها قد فسرت بعضهم على الحروف وروي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر ان عثمان بن عفان  
رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ليم الله الرحمن الرحيم فقال اما السابق الا الله ووجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما النبي فذلك الله ولما الله فلا اله غيره واما الرحمن فالناطق  
على البر والفاجر واما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة وروي عن كعب الاحبار انه قال انما جاء  
والسنة سنان ولاي الاله واليه ملجئه وهو على كل شيء قدير فلا شيء يقاومه ولا يقبل ان كل حرف  
هو التمام اسم برسمه والتمافتاح اسمه بفتح السين وفتح الهمزة وفتح المعجمة وفتح التاء  
وتسبيل لحد والالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه الملك والهمزة مفتاح اسمه تعالى والراء  
مفتاح اسمه ران والحاء مفتاح اسمه حليم والواو مفتاح اسمه نور ومعنى هذا كله دعا الله عند التمام

### سورة الفاتحة

روي عن جماعة انه قال سورة فاتحة الكتاب مدنية وروي ابو صالح عن ابن عباس انه قال هي مكتوبة وتقال  
نصفها برحلة ونصفها برحل بالمدنية قال عدنا الحاكم ابو الفضل محمد بن الحسين الجدي قال عدنا الربيع  
بان يوردنا حدسا ارامين من مرووق قال حدسا عمرو بن يوسف بالحدسا جضم وفتح الهاء عن الهار جده  
الرحمن بن ابي عن ابي هريرة عن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فات الله تعالى اليوم  
ما امر الله على نبي من نبي من الله ان يرضى عنه فقال في لاجهوا لا يخرج من النبات حتى يعلق بالجمادات  
انما سأل الله اني عنها فقال يا ابي بكر كيف تغد في صلاتك فقال ما امر الغراني فقال والذبيعتي  
ده ما اراد الله في الواسعة والاحجيل مثلها واما التسبيح الثاني والآخران العظيم الذي اعتدله فلا  
تدعيه التسبيح الثاني التسبيح الطوال سبعون المقعد والاول والثاني الذي بعد دعا وسماها مناسي  
دره العصفور اربعين قال انما قيل العياضي سورة الحمد واما التسبيح الثاني لاها سبع  
آيات واما تبيت المناسي لاها ثلثي بقسرا لها في كل صلاة وقال حدسا اني قال حدسا ابو عبد الله محمد  
ابن حاتم الخزرجي قال عدنا علي بن ابي طالب قال عدنا محمد بن زوران عن محمد بن ابي طالب الكوفي عن ابي صالح  
مولد ارضي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا  
الهدى من ربنا الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا الهدى من ربنا الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا الهدى من ربنا



حتى تعلم ما تجد ان تطارتم ساله ان يحب عنهما فقال كيف تقبل ان يفسدوا بك فقال يا ام  
 فقال لك انفسى بيد ما نزل الله في التوراه والمجيد في الانجيل في مثلها وانها السبع الثاني  
 والقران العظيم الذي اعطسناه وقال بعضهم السبع الثاني هي السبع الطوال البقرة ولكن هو ان الحشر  
 التي بعدهما وقال لزم اهل العلم في سورة فاتحة الكتاب وانما سميت السبع لانها سبع ابواب وانما  
 سميت الثاني لانها تسمى بقرانها في الاصول وقيل انما سماها لثاني الزك الفصح فهما تسمى قال  
 لعقبة احمد انه حدثنا ابي قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن حاتم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول  
 محمد بن رومان عن محمد بن الساس الكلبي عن الفضل بن مولي انه عاين ابن عباس في قوله عز وجل  
**الحمد لله** قال الشكر لله ومعنى قوله ان عباس الشكر لله يعني به الشكر لله على نعمائه كما جاء  
 وفيه ليل الحمد لله يعني الروحانية لله وفيه في كل الامور لله وروى عن ابن عباس انه قال معناه الحمد لله  
 الذي خلقنا من غير غضوب عليهم والصلابن ثم معنى قوله الحمد لله قال بعضهم قل فيضد  
 يعني قل الحمد لله وقال بعضهم هذا الرب نفسه ليعلم عباده فيحمد لله وقال اهل اللغة الحمد لله  
 النساء الجمل وهذا الله المتعال به صفاته الحسنى وما انعم على عباده ويكون الحمد لله معنى الشكر وفيه  
 معنى للبحر وهو انهم من الشكر لله في موضع الشكر والبر في موضع الشكر ومعنى الحمد لله وقال بعضهم الشكر  
 اعلم لانها للسان وبالبحر وبما انقلب والحمد يكون باللسان خاصة وروى عن ابن عباس انه قال  
 الحمد لله كلمة شكر وذلك لان آدم عليه السلام قال حين عطف لله الحمد لله فقال الله تعالى ارجع الله  
 فسبقت رحمة غضبه وقال الله تعالى لنوح قل الحمد لله الذي اخرجنا من ارض الظالمين قال  
 ارجع الله الحمد لله الذي وهب لي الذليل اسماعيل واسحق وقال في قصة داود وسليمان  
 الحمد لله الذي فضلتنا على اكثر من عبان المرصين وقال الحمد لله اللام وقال الحمد لله الذي اخرجنا من ارضنا وقال  
 اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فوهى كلمة يذكر قول **الحمد لله** العليلين  
 قال ابن عباس سبب العليلين وهو رب كل ذي روح دبت على وجه الارض وقال معنى  
 قوله رب العالين خلق الخلق ورازقهم ومربيهم ومحوهم من حال الى حال من خلقه الى خلقه  
 ثم الخيضة والرب في اللغة هو السيد قال الله تعالى ارجع اليك يعني الى سيدك والرب  
 هو الملك يذال رب الارواح والدة والرب هو المربي من قولك ربني فربني فربني وقوله العالين  
 كل ذي روح وقال الكلام من كل لفظ محيط مثل اني ادمو للابنة والرب والرب والرب على الهمام

نسخة - جامعة ادنبرغ - (سورة الفاتحة)





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة المصنف

قال: أخبرنا أبو الفضل جبريل بن أحمد اليوناني قال: أنبأنا أبو محمد لقمان بن حكيم بن خلف الفرغاني بأوزكندة قال: **حدثنا** الفقيه أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي رحمة الله عليه قال: أخبرنا أبو جعفر الكرابيسي قال: **حدثنا** إبراهيم بن يوسف قال: **حدثنا** وكيع، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن مرة الهمداني قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثر القرآن» وفي رواية أخرى: «فليؤثر القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخريين». وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما من شيء إلا وعلمه في القرآن، غير أن أراء الرجال تعجزُ عنه».

**حدثنا** أبو جعفر محمد بن الفضل قال: **حدثنا** محمد بن جعفر قال: **حدثنا** إبراهيم بن يوسف قال: **حدثنا** محمد بن الفضل، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمى، قال: **حدثنا** من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ: «أنهم كانوا يقرؤون على النبي ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل».

قال: **حدثنا** الفقيه أبو الليث رحمه الله: **حدثنا** أبي قال: **حدثنا** أبو بكر محمد بن أحمد المعلم قال: **حدثنا** أبو عمران الفريابي قال: **حدثنا** عبد الرحمن بن جبير قال: **حدثنا** داود بن المعبر قال: **حدثنا** عباد بن كثير، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال في خطبته: «**إِنَّهَا النَّاسُ، قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، فَأَجْلُوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَأَبْنُوا بِمُنْتَسَابِهِ، وَأَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِأَنْثَالِهِ**»<sup>(١)</sup> قال: فلما أمر النبي ﷺ بأن يحل حلاله ويحرم حرامه، ثم لا يمكن أن يحل حلاله ويحرم حرامه إلا بعد ما يعلم تفسيره. ولأن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس، وجعله حجة على جميع الخلق لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَتَدْرِكَهُ بِهِ وَمَنْ يَلْعَقْ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فلما كان القرآن حجة على العرب والعجم، ثم لا يكون حجة عليهم إلا بعد أن يعلموا تفسيره وتأويله، فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب. ولكن لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه من ذات نفسه، ما لم يتعلم أو يعرف وجوه اللغة، وأحوال التنزيل، لأنه روي في الخبر ما **حدثنا** به محمد بن الفضيل قال: **حدثنا** محمد بن جعفر قال: **حدثنا** إبراهيم بن يوسف قال: **حدثنا** وكيع عن سفيان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن

(١) قال السيوطي في الدر المنثور ١٤٩/٢، وأخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد بسندٍ واهٍ عن علي مرفوعاً.

النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(۱)</sup>. وروى أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(۲)</sup>.

**قال الفقيه:** حدثنا محمد بن الفضيل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا أبو حفص، عن ابن مجاهد قال: قال رجل لأبي: أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟ فيكفي أبي ثم قال: «إني إذا لجري»، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلِكَلِمَةٍ رَأْبًا﴾ [عس: ۳۱] فقال: «لا أدري ما الأب». فقيل له: قل من ذات نفسك يا خليفة رسول الله، قال: «أي سماء نظلني وأي أرض تقأني إذا قلت في القرآن بما لا أعلم»<sup>(۳)</sup>. فإذا لم يعلم الرجل وجوه اللغة وأحوال التنزيل، فتعلم التفسير وتكلف حفظه، فلا بأس بذلك، ويكون ذلك على سبيل الحكاية. والله أعلم.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدثنا القاضي الخليل بن أحمد<sup>(۴)</sup> قال: حدثنا السراج<sup>(۵)</sup> قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا خالد، عن داود، عن عامر<sup>(۶)</sup> قال: «كان النبي ﷺ يكتب باسمك اللهم، فلما نزل في

- (۱) أخرجه الترمذي (۲۹۵۰) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد: ۲۳۳/۱ وشرح السنة للبخاري: ۲۵۸/۱، ۲۵۹ ومشكاة المصابيح: (۲۳۴) و(۲۳۵). والطبري: ۳۴/۱.
- (۲) أخرجه الترمذي من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (۲۹۵۱) بلفظ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» وقال: حديث حسن.
- (۳) أخرجه السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد. ۴۲۱/۸ والقرطبي: ۱/۳۵.
- (۴) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، البحمدي، أبو عبد الله (۱۰۰ - ۱۷۰هـ). ووضح علم العروض، ومن أئمة اللغة والأدب، وهو أستاذ سيويه. صدوق له: كتاب العين، وجملة آلات العرب، وتفسير حروف اللغة، وكتاب العروض، والنغم... راجع: الأعلام: ۳۱۴/۲ ووفيات الأعيان: ۱۷۲/۱ وأنباء الرواة: ۳۴۱/۱، وتهذيب التهذيب: ۱۶۲/۳.
- (۵) محمد بن إسحاق بن إبراهيم، مهران النخعي، مولا هم، النيسابوري، أبو العباس السراج (۲۱۶ - ۳۱۳هـ) حافظ للحديث، ثقة، كان شيخ خراسان له: «المستد» أربعة عشر جزءاً و«التاريخ». راجع: الأعلام: ۶/۲۹ وتذكرة الحفاظ: ۱۶۸/۲ وتاريخ بغداد: ۲۴۸/۱.
- (۶) عامر الشعبي. هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو (۱۹ - ۱۰۳) من التابعين، راوية، يضرب المثل بحفظه، ومن رجال الحديث الثقات. راجع: الأعلام: ۲۵/۳ وتهذيب التهذيب: ۶۵/۵. وحلية الأولياء: ۳۱۰/۴، ووفيات: ۲۴۴/۱ وتاريخ بغداد: ۲۲۷/۱۲.



سورة هود ﴿يَسِّرَ اللَّهُ يُجْرِبَهَا وَمُرْسَلَهَا﴾ [هود: ٤١] كتب: بسم الله، فلما نزل في سورة بني إسرائيل ﴿فَلْيُأَدِّعُوا اللَّهَ أَوْ أَدِّعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كتب: بسم الله الرحمن، فلما نزل في سورة النمل ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئِنَ وَإِنَّهُ يُسِرُّ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ [النمل: ٢٠] كتب: بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الخبر دليل على أنه ليس من أول كل سورة، ولكنه بعض آية من كتاب الله تعالى من سورة النمل.

فأما تفسير قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، يعني: بدأت باسم الله، ولكن لم يذكر بدأت، لأن الحال بنى أنك مبتدىء فيستغنى عن ذكره. وأصله: باسم الله بالالف، ولكن حذفت من الاسم لكثرة الاستعمال، لأنها ألف وصل وليست بأصلية، بدليل أنها تسقط عند التصغير، فنقول سُمِّيَ. وقال بعضهم: معنى قوله ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، يعني: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى لعباده، ليذكروا اسم الله تعالى عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة اسم الله.

وقوله ﴿اللَّهُ﴾ هو اسم موضوع ليس له اشتقاق، وهو أجل من أن يذكر له اشتقاق، وهو قول الكسائي<sup>(٢)</sup>. قال أبو الليث رحمه الله: هكذا سمعت أبا جعفر يقول: روي عن محمد بن الحسن أنه قال: هو اسم موضوع ليس له اشتقاق. وروي عن الضحاك أنه قال: إنما سمي ﴿اللَّهُ﴾ إلهاً، لأن الخلق يألهون إليه في قضاء حوائجهم، ويتضرعون إليه عند شدائدهم. وذكر عن الخليل بن أحمد البصري أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه، بتصب اللام، ويألهون بكسر اللام أيضاً، وهما لغتان. وقيل أيضاً: إنه إنما اشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول للشيء المرتفع: «لاه»، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: طلعت لاهة، وغربت لاهة. وقيل أيضاً: إنما سمي ﴿اللَّهُ﴾، لأنه لا تدركه الأبصار، «لاه» معناه: احتجب، كما قال القائل:

لاه رَبِّي عَنِ الْخَلَائِقِ طُرّاً لا يُرى خالِقُ الخلق وهو يُرى  
وقيل: إنما سمي ﴿اللَّهُ﴾ لأنه يوله قلوب العباد بحبه.

فأما ﴿الرحمن﴾ فالعاطف على جميع خلقه بالرزق لهم، ولا يزيد في رزق التقي لأجل تقواه، ولا ينقص من رزق الفاجر لأجل فجوره. وما كان في لغة العرب على ميزان «فعلان» يراد به المبالغة في وصفه، كما يقال: شبعان من شبع، وغضبان من غضب، إذا امتلأ غضباً،

(١) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٨٩/١.

(٢) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي (ت ١٨٩هـ). أمام في اللغة والنحو والقراءة، ومؤدب الرشيد والأمين. له: معاني القرآن، والقراءات، والنوادر، والمنشأه في القرآن، ويعد من القراء السبعة. راجع: الأعلام: ١٨٣/٤ وابن خلكان: ١/٣٣٠ وتاريخ بغداد: ١١/٤٠٣ وأبناء الرواة: ٢/٢٥٦.

فلهذا سمي نفسه رحماناً، لأن رحمته وسعت كل شيء، فلا يجوز أن يقال لغير الله تعالى «الرحمن»، لأن هذا الوصف لا يوجد لغيره.

وأما «الرحيم» فالرفيق بالمؤمنين خاصة، يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا، ويرحمهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة. وقيل أيضاً: إنما سمي نفسه رحيماً، لأنه لا يكلف عباده جميع ما لا يطيقون، وكل ملك يكلف عباده جميع ما لا يطيقون، فليس برحيم.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في قوله: «بسم الله» اسمه شفاه من كل داء، وعون على كل دواء<sup>(١)</sup>، وأما «الرحمن» فهو عون لمن آمن به، فهو اسم لم يسم به غيره. وأما «الرحيم» فلمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

وقد فسره بعضهم على الحروف، وروى عبد الرحمن المدني، عن عبد الله بن عمر: أن عثمان بن عفان رضي الله عنهم سأل رسول الله ﷺ عن تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: «أما الباء قبلاء الله وروحه، ونضرته وبهاؤه، وأما السين: فسناء الله، وأما الميم: فملك الله؛ وأما الله: فلا إله غيره، وأما الرحمن: فالعاطف على البر والفاجر من خلقه، وأما الرحيم: فالرفيق بالمؤمنين خاصة»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: «الباء: بهاؤه، والسين: سنازه، فلا شيء أعلى منه، والميم: ملكه، وهو على كل شيء قدير، فلا شيء يعاذه»<sup>(٣)</sup>. وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه؛ فالباء: مفتاح اسمه بصير، والسين: مفتاح اسمه سميع، والميم: مفتاح اسمه مليك وقيل: مجيد، والألف: مفتاح اسمه الله، واللام: مفتاح اسمه لطيف، والهاء: مفتاح اسمه هادي، والراء: مفتاح اسمه رزاق، والحاء: مفتاح اسمه حلیم، والنون: مفتاح اسمه نور. ومعنى هذا كله: دعاء الله تعالى عند الافتتاح<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه القرطبي: ١٠٢/١.

(٢) أخرجه القرطبي: ١٠٢/١ - ١٠٣/١ والدر المشور: ٢٣/١.

(٣) أخرجه القرطبي: ١٠٣/١ وكعب الأحبار هو: كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحق (ت ٣٢ هـ) نابي كان من كبار علماء اليهود في الجاهلية، أسلم في زمن أبي بكر، وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الماضية. راجع: الأعلام ٢٢٩/٥ والإصابة: ٣٢٢/٥ وخزانة البغدادي: ٢٠٠/١ وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ١٧/١: روي مرفوعاً. ورواه الحافظ ابن مردويه من حديث أبي سعيد وقال: رواه ابن جرير الطبري من حديث ابن مسعود. وأبي سعيد وقال: هذا غريب جداً، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات، لا من المرفوعات.

(٤) راجع القرطبي: ١٠٣/١.

## سورة فاتحة الكتاب

مدنية وهي سبع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾

روي عن مجاهد<sup>(١)</sup> أنه قال: «سورة فاتحة الكتاب مدنية»، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: «هي مكية». ويقال: نصفها نزل بمكة، ونصفها نزل بالمدينة.

قال الفقيه رحمه الله: حدثنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي قال: حدثنا أبو حامد المروزي قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال: حدثنا عمر بن يونس قال: حدثنا جهضم بن عبد الله بن العلاء عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَسُورَةَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ مِثْلِهَا»، فسأله أبي بن كعب عنها فقال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنَ الْبَابِ حَتَّى تَدُلَّنِيهَا»، فجعلت أتبطأ، ثم سأله أبي عنها فقال: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي صَلَاتِكَ؟» قال: بَأَمِّ الْكِتَابِ. فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتَهُ»<sup>(٢)</sup> وقال بعضهم: السبع المثاني، هي السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والخمس التي بعدها. وقال أكثر أهل العلم: هي سورة الفاتحة. وإنما سميت السبع المثاني، لأنها سبع آيات، وإنما سميت المثاني، لأنها تتلى بقرائها في كل صلاة وقيل: إنما سماها مثاني لذكر القصص فيها مرتين.

قال الفقيه رحمه الله: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو عبد الله، محمد بن حامد الخزعي

(١) مجاهد بن جبير، أبو الحجاج المكي (٢١٠ - ١٠٤هـ) مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر، قال الذهبي: هو شيخ القراء والمفسرين عن ابن عباس، وقرأه عليه ثلاث مرات. الإعلام: ٢٧٨/٥ وصفوة الصفوة: ٢/١١٧ وميزان الاعتدال: ٩/٣. وحلية الأولياء: ٢٧٩/٣.

(٢) أخرجه الترمذي: (٢٨٧٦) وقال: حديث حسن صحيح وقال السيوطي في الدر المنثور ١٣/١: أخرجه الدارمي والترمذي وحسنه، والنسائي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد السنن، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب، والقرطبي: ١٠٥/١.

قال: حدثنا علي بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن مروان، عن محمد بن السائب الكلبي<sup>(١)</sup>، عن أبي صالح، مولى أم هانئ، عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: الشكر لله. ومعنى قول ابن عباس: الشكر لله، يعني: الشكر لله على نعمائه كلها. وقد قيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يعني الوجدانية لله. وقد قيل: الألوهية لله. وروي عن قتادة<sup>(٢)</sup> أنه قال: معناه الحمد لله الذي لم يجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين. ثم معنى قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال بعضهم: «قل» فيه مضمرة يعني، قل: الحمد لله. وقال بعضهم: حمد الرب نفسه ليعلم عباده فيحمدونه.

وقال أهل اللغة: الحمد هو الثناء الجميل، وحمد الله تعالى هو الثناء عليه بصفاته الحسنى، وبما أنعم على عباده. ويكون في الحمد معنى الشكر، وفيه معنى المدح وهو أعم من الشكر، لأن الحمد يوضع موضع الشكر، ولا يوضع الشكر موضع الحمد. وقال بعضهم: الشكر أعم، لأنه باللسان وبالجوارح وبالقلب، والحمد يكون باللسان خاصة، كما قال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «الحمد لله كلمة كل شاكر»<sup>(٣)</sup>، وذلك أن آدم عليه السلام قال حين عطس: «الحمد لله» فقال الله تعالى: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»، فسبقت رحمته غضبه<sup>(٤)</sup>. وقال الله تعالى لنوح: ﴿فَقُلْ تَعَزَّوْا لِلَّهِ الَّذِي يَخْتَرُ لِمَنْ يَكْفُرُ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] وقال في قصة داود وسليمان: ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] وقال لمحمد

(١) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النظر (ت ١٤٦). عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة. له: تفسير القرآن وضعيف في الحديث. ورواياته من روايات الضعفاء عن ابن عباس. فإنه يرويه عن أبي صالح - مولى أم هانئ - عن ابن عباس. وقالوا: هو متهم بالكذب، وقال النسائي: حدث عنه ثقات من الناس ورضوه بالتفسير، وأما في الحديث فقيه مناكير. وقيل: كان سببياً وقيل: قال قبل وفاته في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب. روى عنه من الثقات: سفيان الثوري، ومحمد بن فضيل. راجع: الأعلام: ١٣٣/٦ وتذهيب التهذيب: ١٧٨/٩ ووفيات الأعمال: ٤٩٣/١ وميزان الاعتدال: ٦١/٣ والوافي بالوفيات: ٨٣/٣.

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١ - ١١٨ هـ) مفسر وحافظ ضرير. قال الإمام أحمد: هو أحفظ أهل البصرة، تابعي وعالم بالحديث، والعربية وأيام العرب، وكان يرى القدر. وقال بعضهم: كان يدلس في الحديث. راجع الأعلام: ١٨٩/٥ وتذكرة الحفاظ: ١١٥/١ وابن خلكان: ٤٢٧/١ وإنباء الرواة: ٥٣/٣. وابن خلكان: ٤٢٨/١.

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور: ٣٠/١ وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق، عن ابن عباس.

(٤) حديث ابن عباس: أخرجه الحاكم: ٢٦١/٢ بلفظ: قال ابن عباس: لما فرغ الله من خلق آدم وأجرى فيه الروح، عطس فقال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك ربك وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد أسنده عتاب عن خفيف، وليس من شرط هذا الكتاب ووافقه الذهبي.

عليه السلام: ﴿وَقُلِ اعْتَمِدُوا اللَّهَ الَّذِي تَرْتَكِبُونَ﴾ [الإسراء: ١١١] وقال أهل الجنة: ﴿اعْتَمِدُوا اللَّهَ الَّذِي آذَنَ عَنَّا الْحَرْزَ﴾ [فاطر: ٣٤] فهي كلمة كل شاعر.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سيد العالمين، وهو رب كل ذي روح دب على وجه الأرض»<sup>(١)</sup>. ويقال: معنى قوله ﴿رب العالمين﴾: خالق الخلق ورازقهم ومربيهم ومحوّلهم من حال إلى حال، من نطفة إلى علقه، ثم إلى مضغة.

والرب في اللغة: هو السيد، قال الله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِنِّي رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، يعني: إلى سيدك. والرب: هو المالك، يقال: رب الدار، ورب الدابة والرب هو المربي من قولك: ربى يربي تربيةً وقوله: ﴿العالمي﴾ كل ذي روح، ويقال: كل من كان له عقل يخاطب، مثل بني آدم والملائكة والجن، ولا يقع على البهائم ولا على غيرها. وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ مِنْهَا عَالَمٌ وَاحِدٌ»<sup>(٢)</sup> ويقال: كل صنف عالم على حدة.

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ قال في رواية الكلبي: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر. وقال بعض أهل اللغة: هذا اللفظ شنيع، فلو قال: هما اسمان لطيفان، لكان أحسن ولكن معناه عندنا والله أعلم: أنه أراد بالركة الرحمة، يقال: رق فلان فلاناً إذا رحمه. يقال: رق يرق إذا رحمه. وقوله: أحدهما أرق من الآخر، قال بعضهم: الرحمن أرق، لأنه أبلغ في الرحمة لأنه يقع على المؤمنين والكافرين. وقال بعضهم: الرحيم أرق، لأنه في الدنيا وفي الآخرة. وقال بعضهم: كل واحد منهما أرق من الآخر من وجه، فلهذا المعنى لم يبين، وقال: أحدهما أرق من الآخر، يعني: كل واحد منهما أرق من الآخر.

قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ قرأ نافع وابن كثير وحمزة وأبو عمرو بن العلاء وابن عامر: «ملك» بغير الألف، وقرأ عاصم والكسائي بالألف «مالك». فأما من قرأ «مالك» قال: لأن المالك أبلغ في الوصف، لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال «ملك» إلا لملك من الملوك. وأما الذي قرأ «ملك» قال: إن «ملك» أبلغ في الوصف، لأنك إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة، يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك. وإذا قلت: فلان مالك هذه البلدة، كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة.

وروى مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر

(١) الدر المنثور: ٣٣/١ - ٣٤ والطبري: ٦٣/١.

(٢) عزاء في الدر المنثور: ٣٤/١ إلى أبي الشيخ وأبي نعيم في الحلية. وهو موقوف برواية وهب بن منبه وابن كثير: ٢٣/١ وقال: هذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح.

وعثمان وعلي يفتتحون الصلاة بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وكلهم يقرؤون ﴿مالك يوم الدين﴾ بالألف<sup>(١)</sup>.

قال الفقيه رحمه الله: سمعت أبي يحكي عن أبي عبد الله، محمد بن شجاع البلخي يقول: كنت أقرأ بحرف الكسائي ﴿مالك يوم الدين﴾ بالألف، فقال لي بعض أهل اللغة: الملك أبلغ في الوصف، فأخذت بقراءة حمزة: ﴿ملك يوم الدين﴾، فرأيت في المنام كأنه أتاني آت فقال لي: لم حذف الألف من ﴿مالك﴾؟ أما بلغك الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿أقرؤوا القرآن فحماً مُحْفَماً<sup>(٢)</sup>؟ فلم أترك القراءة بـ «ملك» حتى أتاني بعد ذلك آت فقال لي: لم حذف الألف من ﴿مالك﴾؟ أما بلغك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ القرآن قلَّه بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ»<sup>(٣)</sup>، فَلَمْ نَقُصْ من حسناتك عشراً في كل قراءة؟ فلما أصبحت، أتيت قطرباً<sup>(٤)</sup>، وكان إماماً في اللغة، فقلت له: ما الفرق بين ملك ومالك؟ فقال: بينهما فرق كثير. فأما ملك فهو ملك الملوك، وأما مالك فهو مالك الملوك. فرجعت إلى قراءة الكسائي.

ثم معنى قوله: ﴿مالك﴾ يعني: قاضي وحاكم ﴿يوم الدين﴾ يعني: يوم الحساب كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّتِي أَلْفَيْمٌ﴾ [النوبة: ٣٦ وغيرها]. وقيل أيضاً: معنى يوم الدين، يعني يوم القضاء. كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي بَيْنِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦] يعني: في قضائه، وقيل: ﴿يوم الدين﴾ يعني يوم الجزاء، كما يقال: كما تدين تدان، يعني كما تجازي تجازي به. فإن قيل: ما معنى تخصيص يوم الدين، وهو مالك يوم الدين وغيره؟ قيل له: إن في الدنيا كانوا منازلين له في الملك، مثل فرعون ونمرود وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا يمتاز أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له. كما قال الله تعالى: ﴿لَمِنَ الَّتِي الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فأجاب جميع الخلق ﴿يَلِّقُوا الْوَجِيهَ الْقَهَّارِ﴾ [الرعد: ١٦، وغيرها] فكذلك هاهنا. قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ يعني

(١) حديث أنس روى من طرق عدة. عن قتادة عن أنس. وقاتدة وثابت وحמיד عن أنس، وأبي قلابة عن أنس. وهو في البخاري (٧٤٣) ومسلم (٣٩٩) وأحمد: ١٠١/٣ - ١٣٥ والنسائي: ١٣٥/٢ وأبي داود (٧٨٢) وابن ماجه (٨١٣) والترمذي (٢٤٦) وابن خزيمة (٤٩٦) والبيهقي (٥٨١) والبيهقي: ٥٠/٢.

(٢) حديث زيد بن ثابت، أخرجه الحاكم: ٢٣١/٢ مرفوعاً بلفظ: «انزل القرآن بالتفخيم كهيئة الطير عذراً ونذراً...» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: لا والله، العوفي مجمع على ضعفه والحديث واهٍ منكر.

(٣) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر السلفي في كتاب الوجيز، عن أنس مرفوعاً، وإلى ابن أبي داود في المصاحف من حديث ابن عمر، وإلى أبي جعفر النحاس في الوقف والابتداء من حديث ابن مسعود موقوفاً.

(٤) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب (ت ٢٠٦هـ) نحوي، عالم باللغة والأدب، بصري، ومن الموالي. يرى رأي المعتزلة له: معاني القرآن، والنوادر، والأزمنة، وغريب الحديث راجع: الأعلام: ٩٥/٧. وفيات الأعيان: ٤٩٤/١. تاريخ بغداد: ٢٩٨/٣.

في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاض ولا مجازٍ غيره.

قوله تعالى: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** هو تعليم، علم المؤمنين كيف يقولون إذا قاموا بين يديه في الصلاة، فأمرهم بأن يذكروا عبوديتهم وضعفهم، حتى يوفقهم ويعينهم فقال **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** أي: نوحده ونطيع. وقال بعضهم **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾** يعني إياك نطيع طاعة نخضع فيها لك.

قوله: **﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** يقول: بك نستوثق على عبادتك وقضاء الحقوق. ففي هذا دليل على أن الكلام قد يكون بعضه على وجه المغايبه وبعضه على وجه المخاطبة، لأنه افتتح السورة بلفظ المغايبه وهو قوله: **﴿الحمد لله﴾** ثم ذكر بلفظ المخاطبة، فقال: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**؛ وهذا كما قال في آية أخرى **﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْقِ وَالْبَحْرَ حَيْثُ إِذَا كُنْتَ فِي الْفَلَكِ﴾** [يونس: ٢٢] فذكر بلفظ المخاطبة، ثم قال: **﴿وَجَهَنَّمَ نَزَّاجًا وَمِنْهَا يُرْجَعُ الْطَائِفَةُ وَمِنْهَا يُرْجَعُ الْطَائِفَةُ وَمِنْهَا يُرْجَعُ الْطَائِفَةُ﴾** [يونس: ٢٢] على المغايبه، ومثل هذا في القرآن كثير.

قوله تعالى: **﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** رويت القراءتان عن ابن كثير: أنه قرأ **﴿الصراط﴾** بالسين، وروي عن حمزة: أنه قرأ بالزاي، وقرأ الباقون بالصاد؛ وكل ذلك جائز، لأن مخرج السين والصاد واحد، وكذلك الزاي مخرجها منهما قريب، والقراءة المعروفة بالصاد **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾**. قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** يعني: أرشدنا الطريق المستقيم وهو الإسلام فإن قيل: أليس هذا الطريق المستقيم وهو الإسلام، فما معنى السؤال؟ قيل له: الصراط المستقيم هو الذي ينتهي بصاحبه إلى المقصود، فإنما يسأل العبد ربه أن يرشده الثبات على الطريق الذي ينتهي به إلى المقصود، ويعصمه من السبل المتفرقة.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **﴿خطأ لي رسول الله ﷺ خطأ مستقيماً، وخطب بجنبه خطوطاً، ثم قال: «إن هذا الصراط المستقيم وهذه السبل المتفرقة، وعلى رأس كل طريق شيطان يدعو إليه ويقول: هلم إلى الطريق»﴾**<sup>(١)</sup>. وفي هذا نزلت هذه الآية **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾** [الأنعام: ١٥٣] فلهذا قال: **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾**، واعصمنا من السبل المتفرقة. قال الكلبي: أمنا على دين الإسلام.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: **﴿هدنا الصراط المستقيم﴾** يعني: **﴿ثبتنا عليه﴾**. ومعنى قول علي: **﴿ثبتنا عليه﴾**، يعني احفظ قلوبنا على ذلك، ولا تقلبها بمعصيتك. وهذا موافق لقوله تعالى: **﴿وَيَهْدِيكَ رَبُّكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾** [الفتح: ٢] فذلك ههنا.

وقوله تعالى: **﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** يعني طريق الذين مننت عليهم، فحفظت قلوبهم على الإسلام حتى ماتوا عليه، وهم: أنبياءه وأصفياءه وأولياؤه. فامن علينا كما مننت عليهم.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١١٩/٢ وقال: أخرجه أحمد والدارمي والسنائي وعبد حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم.



قال الفقيه: أخبرنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن سهل القاضي قال: حدثنا أحمد بن جرير قال: حدثنا عمرو بن إسماعيل بن مجالد قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصم، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هو النبي ﷺ وصاحبه من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن البصري فقال: صدق والله أبو العالية ونصح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي غير طريق اليهود. يقول: لا نخذلنا بمعصيتنا، كما خذلت اليهود ولم تحفظ قلوبهم، حتى تركوا الإسلام.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يعني ولا النصارى، يعني: لم تحفظ قلوبهم وخذلتهم بمعصيتهم حتى تنصروا. وقد أجمع المفسرون: أن ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أراد به اليهود، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ أراد به النصارى، فإن قيل: أليس النصارى من المغضوب عليهم، واليهود أيضاً من الضالين؟ فكيف صرف المغضوب عليهم إلى اليهود، وصرف الضالين إلى النصارى؟ قيل له: إنما عرف ذلك بالخبر واستدلالاً بالآية. فأما الخبر، فما روي عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأله وهو بوادي القرى: من المغضوب عليهم؟ قال: «اليهود» قال: ومن الضالين؟ فقال: «النصارى»<sup>(٢)</sup>، وأما الآية، فلأن الله تعالى قال في قصة اليهود: ﴿فَبَاءُوا بِمِيثَابِ عَنَّا عَذَابًا﴾ [البقرة: ٩٠] وقال تعالى في قصة النصارى: ﴿صَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَسْأَلُوا كَثِيرًا وَصَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقوله: «آمين» ليس من السورة. ولكن روي عن النبي ﷺ أنه كان يقوله ويأمر به<sup>(٣)</sup>، ومعناه ما قال ابن عباس يعني: كذلك يكون. وروي عن مجاهد أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى ويكون معناه: يا الله استجب دعاءنا. وقال بعضهم: هي لغة بالسريانية. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: مَا حَسَدْتَكُمْ النَّصَارَى فِي شَيْءٍ، كَحَسَدِهِمْ فِي «آمين»<sup>(٤)</sup> يعني: أنهم يعرفون

(١) قال السيوطي: ٤٠/١ أخرجه عبد بن حميد. وقال: أخرجه الحاكم وصححه من طريق أبي العالية عن ابن عباس.

(٢) قال السيوطي: (٤٢/١) أخرجه البيهقي في الشعب. وأخرجه وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن عبد الله بن شقيق العقلي.

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة العرفوع: «إذا آمن الإمام فأمنوا، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». أخرجه البخاري (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) و(٤٤٧٥) ومسلم (٤١٠) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) وأحمد: ٢٣٣/٢، ٢٧٠، ومالك: ٨٧/١، وأبو داود (٩٣٥) (٩٣٦) والترمذي (٢٥٠) والسنائي ٢٢/١٤٤ والبيهقي: ٥٧، ٥٥/٢، والبخاري (٥٨٧) وابن خزيمة (٥٦٩).

(٤) حديث عائشة: أخرجه ابن ماجه (٨٥٦) وفي الزوائد: إسناده صحيح واحتج مسلم بجميع رواه وأخرجه من حديث ابن عباس (٨٥٧) وإسناده ضعيف والبيهقي: ٥٧/٢ والسيوطي: ٤٤/١ وقال: أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقي من حديث عائشة، وقال: ويسند ضعيف أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس.



ما فيها من الفضيلة. وروي عن كعب الأحبار قال: «أمين» خاتم رب العالمين، يُخَيَّمُ بِهِ دُعَاءُ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ». وقال مقاتل: هو قوة للدعاء واستنزال للرحمة. وروى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ ما معنى أمين؟ قال: يا ربِّ افْعَلْ<sup>(١)</sup>. ويقال: فيه لغتان «أمين» بغير مد، و«أمين» بالمد، ومعناهما واحد، وقد جاء في أشعارهم كلا الوجهين. قال القائل:

تَبَاعَدَ عَنِّي فُطْحُلُ إِذْ دَعَوْتُهُ      آمِينَ فَنَزَاذَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُغْدَا  
وقال الآخر:

يَا رَبِّ لَا تَسْلُبْنِي حُبَّهَا أَبَدًا      وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قَالَ: آمِينَا<sup>(٢)</sup>  
وصلى الله على سيدنا محمد.

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/١.

(٢) البيتان: ذكرهما القرطبي في تفسيره: ١٢٦/١.

## سورة البقرة

مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

قال الفقيه رحمه الله عليه : حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثني محمد بن حماد قال : حدثنا علي بن إسحاق قال : حدثنا محمد بن مروان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس<sup>(١)</sup> في قوله تعالى : ﴿الْم﴾ قال : أنا الله أعلم . ومعنى قول ابن عباس «أنا الله أعلم» يعني الألف : أنا ، واللام : الله ، والميم : أعلم ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ، والعرب قد كانت تذكر حرفاً وتريد به تمام الكلمة ، ألا ترى إلى قول القائل :

قُلْنَا لَهَا قَبِيضِي فَقَالَتْ قَافٌ لَا تُحْسِبِي أَنَا نَسِينَا الْإِبْجَافُ<sup>(٢)</sup>  
يعني بالقاف : قد وقفت .

وقال الكلبي : هذا قسم ، أقسم الله تعالى بالقرآن أن هذا الكتاب الذي أنزل على قلب محمد ﷺ ، هو الكتاب الذي نزل من عند الله تعالى لا ريب فيه . وقال بعض أهل اللغة : إن هذا الذي قال الكلبي لا يصح ، لأن جواب القسم معقود على حروف مثل : إن ، وقد ، ولقد ، وما ، واللام ، وهنا لم نجد حرفاً من هذه الحروف ، فلا يجوز أن يكون يميناً . ولكن الجواب أن يقال : موضع القسم قوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، فهو أن إنساناً حلف فقال : والله هذا الكتاب لا ريب فيه ، لكان الكلام سديداً ، وتكون «لا» جواباً للقسم ، فثبت أن قول الكلبي صحيح سديد . فإن قيل : إيش الحكمة في القسم من الله تعالى ، وكان القوم في ذلك الزمان على صنفين : مصدق ومكذب ، فالمصدق يصدق بغير قسم ، والمكذب لا يصدق مع القسم . قيل له : القرآن نزل بلغة العرب ، والعرب إذا أراد بعضهم أن يؤكد كلامه ، أقسم على كلامه ، فإله تعالى أراد أن يؤكد عليهم بالحجة فأقسم أن القرآن من عنده .

(١) وفي نسخة (ب) . حدثني أبي رحمه الله قال : حدثني محمد بن حماد قال : قال ابن عباس . والأثر في الدر المنثور : ٥٦/١ وقال : أخرجه وكيع وعبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والنحاس .

(٢) وفي نسخة (ب) :

لَا تُحْسِبِينَ أَنَا نَسِينَا الْإِبْجَافُ قُلْتُ لَهَا قَبِيضِي فَقَالَتْ : قَافٌ  
واعتمدنا النسخة (أ) وهو في الطبري : ٩٠/١ والقرطبي : ١٥١/١ .

وقد قيل **﴿الم﴾** : الألف : الله ، واللام : جبريل ، والميم : محمد ﷺ ويكون معناه : الله الذي أنزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه .

وقال بعضهم : كل حرف هو افتتاح اسم من أسماء الله تعالى . فالألف مفتاح اسمه الله ، واللام مفتاح اسمه لطيف ، الميم مفتاح اسمه : مجيد ، ويكون معناه : الله اللطيف المجيد أنزل الكتاب .

وروي عن محمد بن علي الترمذي الحكيم<sup>(١)</sup> أنه قال : إن الله تعالى أودع جميع ما في تلك السورة من الأحكام والقصاص في الحروف التي ذكرها في أول السورة ، ولا يعرف ذلك إلا نبي أو ولي ، ثم بين ذلك في جميع السور ليفقه الناس . وروي عن الشعبي أنه قال : إن الله تعالى سرأ خفياً جعله في كتبه ، وإن سره في القرآن هو الحروف المقطعة<sup>(٢)</sup> . وروي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر . وعن علي رضي الله عنه أنه قال : «هو اسم من أسماء الله تعالى ، فرقت حروفه في السور» . يعني أن هاهنا قد ذكر **﴿الم﴾** وذكر : **﴿الر﴾** في موضع آخر ، **﴿حم﴾** في موضع آخر ، **﴿نون﴾** في موضع آخر ، فإذا جمع يكون **﴿الرحمن﴾** ، كذلك سائر الحروف إذا جمع يصير اسماً من أسماء الله .

وذكر عن قطرب أنه قال : المشركون كانوا لا يسمعون القرآن ، كما قال الله تعالى : **﴿وَأَنزَلْنَا فِيهِ لَمَلَكًا قَلْبُونَ﴾** [فصلت : ٢٦] فأراد أن يسمعهم شيئاً لم يكونوا سمعوه ، ليحملهم ذلك على الاستماع حتى يلزمهم الحجة . وقال بعضهم : إن المشركين كانوا يقولون : لا نفقه هذا القرآن ، لأنهم قالوا : **﴿فَلَوْلْنَا فِي أَكَيْتِهِ﴾** [فصلت : ٥] فأراد الله أن يبين لهم أن القرآن مركب على الحروف التي ركبت عليها الستكم ، فما لكم لا تفقهون؟ وإنما أراد بذكر بعض الحروف تمام الحروف ، كما أن الرجل يقول : علمت ولدي : ألف ، باء ، تاء ، ثاء ، وإنما يريد جميع الحروف ولم يرد به الحروف الأربعة خاصة .

وقال بعضهم : هو شعار السور ، وكان اليهود أعداء الله فسروه على حروف الجمل ، لأنه ذكر أن جماعة من اليهود ، منهم كعب بن الأشرف ، وحسي بن أخطب ، وأبو ياسر بن الأخطب ، ومالك بن الضيف ، وشعبة بن عمرو ، دخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا : بلغنا أنك قرأت : **﴿الم ذلك الكتاب﴾** فإن كنت صادقاً ، فيكون بقاء أمتك إحدى وسبعين سنة ، لأن

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشير أبو عبد الله الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ) . صوفي وعالم بالحديث وأصول الدين له : نوادر الأصول في أحاديث الرسول ، والفروق ، والرياضة ، وأدب النفس راجع : الأعلام : ٢٧٦/٦ ولسان الميزان : ١٠٨/٥ وطبقات السبكي : ٢٠/٢ ومفتاح السعادة : ١٧٠/٢ .

(٢) عزاه في الدر المنثور لابن المنذر وأبي الشيخ وابن حبان .

الألف: واحد، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، فضحك رسول الله ﷺ ثم قالوا له: وهل غير هذا؟ قال: نعم. ﴿المص﴾ فقالوا: هذا أكثر لأن ﴿ص﴾ تسعون. فقالوا: هل غير هذا؟ قال: نعم. ﴿الر﴾ فقالوا: هذا أكثر، لأن «الراء»: مائتان، ثم ذكر ﴿المر﴾ فقالوا: خلطت علينا يا محمد لا ندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير<sup>(١)</sup>؟ وإنما أدركوا من القرآن مقدار عقولهم، وكل إنسان يدرك العلم بمقدار عقله. وكل ما ذكر في القرآن من الحروف المقطعة، فتفسيره نحو ما ذكرنا هنا، والله أعلم بالصواب.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلْكِتَابٌ﴾ يعني: هذا الكتاب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شك فيه أنه مني، لم يختلفه محمد من تلقاء نفسه. وقد يوضع ﴿ذلك﴾ بمعنى هذا، كما قال القائل:  
أَسْأَلُ لَهُ وَالرُّنْحُ بِأَطْرُ مَشْتُهُ تَأْمَلُ خَفَافاً أَنِّي أَنَا ذَلِكَا<sup>(٢)</sup>  
يعني هذا. وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي كنت وعدتك يوم الميثاق أن أوحيه إليك، وقال بعضهم: معناه ذلك الكتاب الذي وعدت في التوراة والإنجيل أن أنزل على محمد ﷺ.

وروي عن زيد بن أسلم أنه قال: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ، يعني: الكتاب الذي ثبت في اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: أنه لا شك فيه، أنه من الله تعالى ولم يختلفه محمد ﷺ من تلقاء نفسه. فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: ﴿لَا شَكَّ فِيهِ﴾ وقد شك فيه كثير من الناس وهم الكفار والمنافقون؟ قيل: معناه ﴿لَا شَكَّ فِيهِ﴾ عند المؤمنين وعند العقلاء. وقيل: ﴿لَا شَكَّ فِيهِ﴾ أي لا ينبغي أن يشك فيه، لأن القرآن معجز فلا ينبغي أن يشك فيه أنه من الله تعالى.

وقوله عز وجل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني بياناً من الضلالة للمتقين الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش. فهذا القرآن بيان لهم من الضلالة، وبيان لهم من الشبهات، وبيان الحلال من الحرام. فإن قيل: فيه بيان لجميع الناس، فكيف أضاف إلى المتقين خاصة؟ قيل له: لأن المتقين هم الذين يتتبعون بالبيان ويعملون به، فإذا كانوا هم الذين يتتبعون به، صار في الحاصل البيان لهم. روي عن أبي رزق أنه قال: ﴿هدى للمتقين﴾ أي كرامة لهم. يعني إنما أضاف إليهم إجلالاً لهم، وكرامة لهم، وبياناً لفضلهم.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقِيمُونَ﴾

(١) عزاء السيوطي في الدر المنثور إلى ابن إسحق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف: ٥٧/١ - ٥٨.

(٢) وفي نسخة (ب):

أَسْأَلُ لَهُ وَالرَّمْحُ بِأَطْرُ بَطْنُهُ تَأْمَلُ خَفَافاً فَنَأْسِي أَنَا ذَلِكَ  
وهو في الطبري ٩٦/١ والقرطبي ١٥٣/١ بلفظ «مته» والبيت لخفاف بن ثذبة السلمي وأطر: يثني.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: يصدقون بالغيب. والغيب: هو ما غاب عن العين، وهو محضر في القلب. وإنما أراد به أصحاب محمد ﷺ ومن تابعهم إلى يوم القيامة، أنهم يصدقون بغيب القرآن أنه من الله تعالى فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه. ويقال: يؤمنون بالغيب يعني: بالله تعالى.

قال: حدثنا القاضي الخليل بن أحمد قال: حدثنا الديلمي قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان الثوري قال: حدثنا أصحابنا، عن الحرث بن قيس أنه قال لعبد الله بن مسعود: نحتسب لكم يا أصحاب محمد ما سبقتونا إليه من رؤية محمد ﷺ وصحبته، فقال عبد الله بن مسعود: ونحن نحتسب لكم إيمانكم به ولم تروه، وأن أفضل الإيمان إيمان بالغيب، ثم قرأ عبد الله ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقد قيل: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ يعني: يصدقون بالبعث بعد الموت.

قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، يعني: يحافظون على الصلوات الخمس بموافقتها وركوعها وسجودها والتضرع بعدها. وقد قيل معناه: يقيمون الصلاة، أي يديمون الصلاة، بمعنى المداومة. وقد قيل: إن العبد إذا صلى صلاة تُقبَل منه، خلق الله تعالى منها ملكاً يقوم ويصلي لله تعالى إلى يوم القيامة، وثوابه لصاحب الصلاة، فهذا معنى قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي يتصدقون، قال الكلبي: وهو زكاة المال. وروى أسباط<sup>(١)</sup>، عن السدي<sup>(٢)</sup>، عن أصحابه قال: هي نفقة الرجل على أهله، وهذا قبل نزول آية الزكاة. ويقال: يعني يتصدقون صدقة التطوع. ويقال: هي عليهما جميعاً الفريضة والتطوع.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿١﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: بالقرآن. قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل وسائر الكتب، ويقال لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قالت اليهود والنصارى: نحن آمننا بالغيب، فلما قال: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قالوا: نقيم الصلاة؛ فلما قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قالوا: ننفق وتنصدق. فلما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ نفروا من ذلك.

(١) أسباط بن نصر الهمداني الكوفي، أبو يوسف (ت ١٧٠هـ). مفسر ومن رجال الحديث، أخرجه له مسلم والأربعة والبخاري في تاريخه وتوقف أحمد في الرواية عنه. الأعلام: ٢٩٢/١. تهذيب التهذيب: ٢١١/١.

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (ت ١٢٨) تابعي وهو صاحب التفسير والمغازي والسير وإمام في أيام الناس والوقائع. الأعلام: ٣١٧/١، واللباب: ٥٣٧/١.

وقوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعني: يقرون بيوم القيامة والجنة، والنار، والبعث، والحساب، والميزان. واليقين على ثلاثة أوجه: يقين عيان، ويقين خبر، ويقين دلالة. فأما يقين العيان، إذا رأى شيئاً زال الشك عنه في ذلك الشيء: وأما يقين الدلالة، فهو أن يرى دخاناً يرتفع من موضع، يعلم باليقين أن هناك ناراً وإن لم يرها. وأما يقين الخبر، فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد، وإن لم يكن يعاينها، فهاهنا يقين خبر، ويقين دلالة: أن الآخرة حق، ولكن تصير معاناة عند الرؤية.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يعني: أهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله تعالى، يعني: أكرمهم الله تعالى في الدنيا حيث هداهم، وبين لهم طريقهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في الآخرة، يعني: هم الناجون. يعني: أن الله تعالى أكرمهم في الدنيا بالبيان، وفي الآخرة بالنجاة. وقد قيل: الفلاح هو البقاء في النعمة. وقد قيل: الفلاح إذا بلغ الإنسان نهاية ما يأمل. ويقال: معناه قد وجدوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما هربوا منه. وكل ما في القرآن ﴿المفلحون﴾ فتفسيره هكذا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿إِنْ﴾ هاهنا للتأكيد، وهو حرف من حروف القسم. والكفر في اللغة: هو الستر، يقال: ليلة كافرة إذا كانت شديدة الظلمة، وإنما سمي الكافر كافراً، لأنه يستر نعمة الله تعالى.

وقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلَّذَرْتَهُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة وعاصم وحزمة والكسائي بهمزتين ﴿ألذرتهم﴾. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر في رواية هشام: بهمزة واحدة مع المد ﴿أذرتهم﴾، وتفسير القراءتين لا يختلف. قال مقاتل<sup>(١)</sup>: نزلت هذه الآية في مشركي قريش، منهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل وغيرهم. وقال الكلبي: نزلت في رؤساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب. قال الكلبي: وليس هو بأخي حبي. وقال بعضهم: هو أخو حبي؛ دخلوا على النبي ﷺ حيث سألوه عن ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ ثم خرجوا من عنده فنزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: جحدوا القرآن.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلَّذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ يعني خوفتهم أو لم تخوفهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن (ت ١٥٠هـ) من أعلام المفسرين، وقيل: كان متروك الحديث. له: التفسير الكبير، والتاسخ والمنسوخ، والقراءات. وراجع الأعلام ٢٨١/٧ وفيات الأعيان ١١٢/٢ وميزان الاعتدال: ١٩٦/٣.

يصدقون. فإن قيل: إذا علم أنهم لا يؤمنون، فما معنى دعوتهم إلى الإسلام؟ قيل له: **يَلْمِزُ كَيْفِي** الدعوة زيادة الحجة عليهم، كما أن الله تعالى بعث موسى إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام **وَيُعَلِّمُ** أنه لا يؤمن. وجواب آخر: أن الآية خاصة، وليست بعامّة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم، كما روي عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: رجع أبي وعمي من عند رسول الله ﷺ، فقال أحدهما لصاحبه: ما ترى في هذا الرجل؟ فقال: إنه نبي، فقال: ما رأيك في أتباعه؟ فقال: رأيي أن لا أتبعه، وأن أظهر له العداوة إلى الموت. فأنزلت هذه الآية في شأن مثل هؤلاء الذين قد ظهر لهم الحق وكانوا لا يؤمنون. فقال: **﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾**. وأصل الإنذار: هو الإعلام، يعني خوفتهم بالنار، وأعلمتهم بالعذاب أو لم تعلمهم، فهو سواء ولا يصدقونك.

**﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** (٧)

قوله تعالى: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني طبع الله»، ومعنى الختم على القلوب: ليس أنه يذهب بعقولهم، ولكنهم لا يتفكرون فيعتبرون بعلامات نبوة محمد ﷺ فيؤمنون، **﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** يعني: لا يسمعون الحق، **﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾** يعني: غطاء فلا يبرصون الهدى. واتفقت الأئمة السبعة على رفع الهاء **﴿غِشَاوَةً﴾** وقرأ بعضهم: بنصب الهاء **﴿غِشَاوَةً﴾** وهي قراءة شاذة. فأما من قرأ برفع الهاء، فهو على معنى الابتداء يعني: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، ثم ابتداء فقال: **﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾**؛ وأما من قرأ بالنصب فيكون الجعل فيه مضمرأ، يعني: جعل على أبصارهم غشاة. فقد ذكر في شأن المؤمنين ثوابهم في الدنيا الهدى، وفي الآخرة الفلاح، وذكر في شأن الكفار عقوبتهم في الدنيا الختم، وفي الآخرة كما قال تعالى: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** يعني: عذاباً وجيعاً، يخلص وجعه إلى قلوبهم.

قال الفقيه رحمه الله: وفي الآية إشكال في موضعين: أحدهما في اللفظ، والآخر في المعنى. فأما في اللفظ قال: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** ذكر جماعة القلوب ثم قال: **﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** ذكر بلفظ الوجدان ثم قال: **﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾** ذكر بلفظ الجمع، فجوابه: أن السمع مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع، فلماذا ذكر بلفظ الوجدان والله أعلم. وقد قيل: **﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** يعني: موضع سمعهم، لأن السمع لا يختم وإنما يختم موضعه. وقد قيل: إن الإضافة إلى الجماعة تغني عن لفظ الجماعة، لأنه قال: **﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** فقد أضاف إلى الجماعة، والشئ إذا أضيف إلى الجماعة، مرة يذكر بلفظ الجماعة، ومرة يذكر بلفظ الوجدان، فلو ذكر القلوب والأبصار بلفظ الوجدان لكان سديداً في اللغة، فذكر البعض بلفظ الوجدان، وذكر البعض بلفظ الجماعة؛ وهذه علامة الفصاحة، لأن كتاب الله تعالى أفصح الكلام.

وأما الإشكال الذي في المعنى أن يقال: إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، فمنهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ والجواب عن هذا أن يقال: إن ختم الله مجازاة لكفرهم. كما قال في آية أخرى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (النساء: ١٥٥) لأن الله تعالى قد يسر عليهم السبيل، فلو جاهدوا لوقفهم، كما قال في آية أخرى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (المنكوت: ٦٩)، فلما لم يجاهدوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، وفي الآخرة بالعذاب العظيم.

وروي عن مجاهد أنه قال: من أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين. وروي عن مقاتل أنه قال: آيتان من أول السورة في نعت المؤمنين المهاجرين، وآيتان في نعت المؤمنين غير المهاجرين، وآيتان في نعت مؤمني أهل الكتاب، وآيتان في نعت الكفار، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين من قوله: ﴿ومن الناس﴾ إلى قوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَإِنَّا لَيُؤْمِنُونَ بِالْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ﴾: قوله ﴿من﴾ للتبعض، فإنه أراد به بعض الناس ولم يرد به جميع الناس، فكأنه قال: بعض الناس يقولون: آمنا بالله. وقد قيل: معناه: ومن الناس ناس يقولون: آمنا بالله، يعني: صدقنا بالله وصدقنا ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وبالبعث بعد الموت ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: ليسوا بمصدقين، بل هم منافقون منهم: عبد الله بن أبي بن سلول، ومعتب بن قشير، وجد بن قيس، ومن تابعهم من المنافقين. وفي هذه الآية دليل على أن القول بغير تصديق القلب لا يكون إيماناً، لأن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم، ولم يكن لهم تصديق القلب، فنفى الله الإيمان عنهم فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وأصل الخداع في اللغة: الستر. يقال للبيت الذي يخزن فيه المال: مُخَدَّعٌ، والعرب تقول: انخدعت الضبُّ في جحرها. فكان المنافقون يظهرون الإيمان ويستترون نفاقهم وكفرهم فقال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: يكذبون ويخالفون الله والذين آمنوا، ويقال: يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا، لأنه قد بين في سياق الآية حيث قال: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾. وروي عن الأخفش<sup>(١)</sup> أنه قال: اجترؤوا على الله، حتى

(١) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البخلي، أبو الحسن المعروف بالأخفش (ت ٢١٥). نحوي وعالم باللغة والأدب، وتلميذ سيبويه. له: تفسير معاني القرآن، والاشتقاق، ومعاني الشعر. راجع: الأعلام: ١٠٢/٣ وفيات الأعيان: ٢٠٨/١ وأبناء الرواة: ٣٦/٢.



ظنوا أنهم يخادعون الله . - وقال بكر بن جريج: يظهرون لا إله إلا الله، يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وأنفسهم<sup>(١)</sup> . ويقال: يظهرون غير ما في أنفسهم، وهذا موافق لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «علامة المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا أوتى خان، وإذا حدث كذب»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: **﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾**. قرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم والكسائي **﴿وما يخدعون﴾** بغير ألف، وقرأ الباقون **﴿وما يخادعون﴾**. بالألف وتفسير القراءتين واحد، يعني: وبالخداع يرجع إليهم، يضر بأنفسهم.

وقوله: **﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾**. قال الكلبي: يعني وما يعلمون أن الله يطلع نبيه على كذبهم. وقال بعضهم: معناه وما يشعرون أن وبال الخداع يرجع إليهم.

**﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** (١٠)

قوله تعالى: **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** يعني: شكاً ونفاقاً وظلمة وضعفاً، لأن المريض يكون فيه فترة ووهن، والشاك أيضاً في أمره فترة وضعف. وعبر بالمرض عن الشك، لأن المنافقين فيهم ضعف ووهن، ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبَاحَةٍ عَلَيْهِمْ هُرُوءًا أَلَدُّوا﴾** [المنافقون: ٤]. ويقال: إن المريض يعرض للهلاك، فسمي النفاق مرضاً، لأن النفاق يهلك صاحبه.

ثم قال تعالى: **﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾** وهذا اللفظ يحتمل معنيين: يحتمل الخبر عن الماضي، ويحتمل الدعاء فإن كان المراد به الخبر فمعناه: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً إلى مرضهم، كما قال في آية أخرى **﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِنَّ رِجْسَهُمْ﴾** [التوبة: ١٢٥]، لأن كل سورة نزلت يشكون فيها، فكان ذلك زيادة المرض لهم، وللمؤمنين زيادة اليقين. وإن كان المراد به الدعاء، فمعناه: فزادهم الله مرضاً على مرضهم، على وجه الذم والطردهم، كما قال في آية أخرى **﴿فَتَنَلَّهُمُ اللَّهُ﴾** [التوبة: ٣٠]، فإن قيل: كيف يجوز أن يحمل على وجه الدعاء، وإنما يحتاج إلى الدعاء عند العجز؟ قيل له: هذا تعليم من الله تعالى أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطردهم، لأنهم شر خلق الله تعالى، ولأنه وعد لهم يوم القيامة: الدرك الأسفل من النار.

ثم قال: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** يعني: مؤلماً، أي عذاب وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** يعني: مجازاة لتكذيبهم.

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٣٣) و(٢٦٨٢) و(٦٧٣٩) و(٦٠٩٥) ومسلم (١٠٧) (٥٩) وأحمد: ٣٩٧/٢، ٥٣٦، والترمذي (٢٦٣١) والنسائي: ١١٧/٨ والبيهقي: ٢٨٨/٦ والبخوي (٣٥) (٣٦) وابن منلة (٥٢٧).

(٢) ما بين معقوفتين ساقط في النسخة (١).

قرأ حمزة وابن عامر ﴿فَرَّادَهُمْ اللهُ﴾ بكسر الزاي، وهي لغة لبعض العرب، وقرأ أبو عمرو وعاصم بالفتح، وهي اللغة الظاهرة، وقرأ أهل الكوفة: عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديد الذال. فمن قرأ بالتخفيف معناه: بما كانوا يكذبون بقولهم إنهم مؤمنون، وجحدوا في السر، لأنهم كفروا بالله وبمحمد ﷺ في السر. ومن قرأ بالتشديد فمعناه: بما كانوا يكذبون، يعني ينسبون محمداً إلى الكذب، ويجحدون نبوته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾، قرأ الكسائي برفع القاف ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ وكذلك كل ما ذكر في القرآن: قِيلَ وَغِيضٌ، وسِيءٌ، وحِيلٌ، وسِيَقٌ. وقرأ حمزة وعاصم وغيرهما بكسر القاف، وأصله في اللغة: قول مع الواو، فحذفت الواو للتخفيف، فجعل الكسائي الرفع مكان الواو، وقرأ غيره بالكسر للتخفيف.

والآية نزلت في شأن المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: لا تعملوا فيها بالمعاصي وهو الفساد، لأن الأرض كانت قبل أن يبعث النبي فيها الفساد، وكان يُعمل فيها بالمعاصي، فلما بعث النبي عليه السلام ارتفع الفساد وصلحت الأرض؛ فإذا عملوا بالمعاصي فقد أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، كما قال في آية أخرى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦ و٨٥].

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يعني: نعمل بالطاعة، ولا نعمل بالفساد. وقد قيل: معناه ﴿لَا تفسدوا في الأرض﴾ يعني: لا تداهنا بين الناس ولا تعملوا بالمداهنة، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يعني: لا نعادي الكفار ولا المؤمنين، حتى لو كانت الغلبة للمؤمنين أو للكفار، لا يصيبنا من دائرتهم شيء.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ في الأرض وليسوا بمصلحين، لأن عداوتهم مع الفريقين، لأن كل فريق منهم يعلم أنهم ليسوا معهم. وقد قيل: معناه لا تفسدوا في الأرض بتفريق الناس عن محمد ﷺ، يعني: لا تصرفوا الناس عن دينه ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ بتفريقنا عن محمد ﷺ. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ ألا: كلمة تنبيه، فنبه المؤمنين وأعلمهم نفاقهم، فكانه قال: ألا أيها المؤمنون، اعملوا أنهم هم المفسدون العاصون، ويكون تكرار كلمة ﴿هم﴾ على وجه التأكيد، والعرب إذا كررت الكلام تريد به التأكيد. ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم مفسدون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا مِثْلُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشَّهَادَةُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشَّهَادَةُ

﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾**. قال في رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية نزلت في شأن اليهود **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾** يعني: اليهود **﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾** يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه، **﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾** يعني: الجهال الخرقى. قال الله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾** يعني الجهال الخرقى بتركهم الإيمان بمحمد عليه السلام، **﴿وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾** أنهم السفهاء.

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في شأن المنافقين، وهكذا قال مجاهد ومعناه: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾** يعني: للمنافقين **﴿آمِنُوا﴾** يعني صدقوا بقلوبكم، كما صدق أصحاب محمد عليه السلام **﴿قَالُوا: أَنُؤْمِنُ﴾** يعني: أنصدق كما صدق الجهال. قال الله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾** يعني الجهال بتركهم التصديق في السر، ولكن لا يعلمون أنهم جهال.

**﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكُنُوزِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ**

**مُتَّبِعُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا﴾**. هذه الآية نزلت في ذكر المنافقين، منهم: عبد الله بن أبي بن سلول، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير وغيرهم وذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم مروا بقوم من المنافقين، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء الجهال عنكم فتعلموا مني كيف أكلهم، فأخذ بيد أبي بكر، وقال: مرحباً بسيد بني تميم، وثاني اثنين، وصاحبه في الغار، وصفيه من أمته، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر قال: مرحباً بسيد بني عددي القوي في أمر الله تعالى، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بسيد بني هاشم، ما خلا رسول الله ﷺ، الباذل نفسه ودمه لرسول الله ﷺ، والسابق إلى الهجرة؛ فقال له علي: اتق الله يا عبد الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر خليفة الله تعالى. قال: فلم تقول لي هكذا وإيماني كإيمانكم وتصديقي كتصديقكم؟ ثم افرقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتم ردي بهؤلاء عنكم؟ فقالوا له: لا نزال بخير ما عشت لنا<sup>(١)</sup>، فنزلت الآية: **﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا﴾** يعني: إيماننا كإيمانكم، وتصديقنا كتصديقكم.

وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾** قال الكلبي: يعني إلى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود، ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان، منهم: كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة الأسلمي في بني سليم وأبو السواد بالشام، وعبد الدار من جهينة، وعوف بن مالك من بني

(١) قال السيوطي ٧٨/١: أخرجه الواحدى والثعلبي بسنده عن ابن عباس.

أسد. ويقال: **﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾** يعني: إلى رؤسائهم في الضلالة. وقال أبو عبيدة<sup>(١)</sup>: كل عابٍ متمرّد فهو شيطان. ثم قال تعالى: **﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾** على دينكم **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾** بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

**﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ وَيَسْتَهْزِئُ بِمَنْ فِي طَعْنِيهِمْ يَعْهُونَ ﴿١٥﴾﴾**

قال الله تعالى: **﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾** يعني: يجازيهم جزاء الاستهزاء. وفي رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: «أن الاستهزاء أن يفتح لهم وهم في جهنم، باب من الجنة فيقبلون ويستبحون في النار والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عليهم وفتح لهم باب آخر في مكان آخر، والمؤمنون ينظرون إليهم ويضحكون» كما قال في آية أخرى **﴿قَالِیَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِن الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾** [المطففين: ٣٤] الآية. وقال مقاتل: الاستهزاء ما ذكره الله تعالى في سورة الحديد **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسِيقُونَ وَالْمُسِيقَاتُ لِلذِّبِّ مَأْمُورًا أَنْظِرُونَا نَقْبِشَ مِن نُّورِكُمْ قَبْلَ أَنْزِعُوا وَرَادَكُمْ فَالْقَيْسُ نُورًا﴾** [الحديد: ١٣] فهذا استهزاء بهم.

ثم قال تعالى: **﴿وَيَسْتَهْزِئُ فِي طَعْنِيهِمْ يَعْهُونَ﴾** يعني: يتركهم في ضلالتهم يتحبرون ويرددون، عقوبة لهم لاستهزائهم.

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾**

وقوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ﴾**، يعني اختاروا الكفر على الإيمان. وفي الآية دليل أن الشراء قد يكون بالمعنى دون اللفظ وهو المبادلة، لأن الله تعالى سمى استبدالهم الضلالة بالهدى شراء، ولم يكن هنالك لفظ شراء.

وقوله: **﴿فَمَا رِبِحَتْ بِجَارَتِهِمْ﴾** فقد أضاف الربح إلى التجارة على وجه المجاز، والعرب تقول: ربحت تجارة فلان، وخسرت تجارة فلان، وإنما يريدون به: أنه ربح في تجارته وخسر في تجارته، والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب على ما يتعارفون فيما بينهم، قال: **﴿فَمَا رِبِحَتْ بِجَارَتِهِمْ﴾** يعني: فما ربحوا في تجارتهم.

وقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** قال بعضهم: معناه وما هم بمهتدين في الحال، كقوله تعالى: **﴿كَيْفَ نَكْفُمُ مَنْ كَفَّ فِي الْمَهْدِ صَيْبًا﴾** [مریم: ٢٩] يعني من هو في المهدي في الحال. وقال بعضهم: معناه **﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** من قبل، لأنهم لو كانوا مهتدين من قبل لوقفهم الله تعالى في الحال، ولكن لما لم يكونوا مهتدين من قبل، خذلهم الله تعالى مجازاة لأفعالهم الخبيثة.

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي (١١٠ - ٢٠٩هـ). من أئمة العلم والفقه

والأدب من إياضي وشعوبي من حفاظ الحديث، ينفخ العرب وقد ألف في مثالبهم كتاباً. له نحو ٢٠٠

مؤلف. راجع الإعلام ٢٧٢/٧ وبغية الوعاة: ٣٩٥ ومفتاح السعادة: ٩٣/١.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، روى معاوية بن طلح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزلت هذه الآية في شأن اليهود الذين هم حوالي المدينة، فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ يعني: كمثل من كان في السفازة في الليلة المظلمة وهو يخاف السباع، فأوقد ناراً فأمن بالنار من السباع، ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ طفت ناره وبقي في ظلمة، كذلك اليهود الذين كانوا حوالي المدينة، كانوا يقرن بالنبي ﷺ قبل أن يخرج، وكانوا إذا حاربوا أعداءهم من المشركين يستنصرون باسمه ويقولون: بحق نبيك محمد أن تنصرنا، فلما خرج النبي ﷺ وقدم المدينة، حسدوه وكذبوه وكفروا به فطفت نارههم وبقوا في ظلمات الكفر.

وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، يقول: مثل المنافق مع النبي ﷺ كمثل رجل في مغارة فأوقد ناراً ليأمن بها على نفسه وعياله وماله، فكذلك المنافق يتكلم بلا إله إلا الله مراعاة للناس، فيأمن بها على نفسه وعياله وماله، وينكح مع المسلمين، فكان له نوراً بمنزلة المستوقد النار يمشي في ضوئها ما دامت ناره تنقد، فلما أضاءت النار أبصر ما حوله بنورها، وذهب نورها فبقي في ظلمة.

- قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي يذهب الله بنور الإيمان الذي يتكلم به ﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ الهدى (١) - فكذلك المنافق، إذا بلغ آخر عمره بقي في ظلمة كفره، وهكذا فسرت قتادة والقتبي (٢) وغيرهما.

﴿ضُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨)

ثم قال عز وجل: ﴿ضُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «ضُمَّ بَكُمْ عَمِيًّا»، وإنما جعلها نصباً لوقوع الفعل عليها، يعني: وتركهم صماً بكم عمياً. وقراء غيره: ﴿ضُمَّ بَكُمْ عَمِيًّا﴾. وتفسير الآية: أنهم يتصاممون، حيث لم يسمعوا الحق ولم يتكلموا بالحق، ولم يبصروا العبرة والهدى، فكانهم صم بكم عمي، ولأن الله تعالى خلق السمع والبصر واللسان لينتفعوا بهذه الأشياء، فإذا لم ينتفعوا بالسمع والبصر صار كأن

(١) في نسخة «ب».

(٢) هو عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ). له: تأويل مختلف الحديث، والمعارف، والاشتقاق، ومشكل القرآن، والمشتبه في الحديث والقرآن، وتفسير غريب القرآن. الأعلام ٤/ ١٣٧ وفيات الأعيان: ٢٥١/١.

السمع والبصر لم يكن لهم. كما أن الله تعالى سمي الكفرة موتى حيث قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] يعني: كافرًا فهديناه. وإنما سماهم موتى والله أعلم لأنه لا منفعة لهم في حياتهم، فكانت تلك الحياة لم تكن لهم، فكذلك السمع والبصر واللسان، إذا لم ينتفعوا بها، فكانها لم تكن لهم، وكانهم ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾، يعني: لا يرجعون إلى الهدى.

وقال القتيبي: معنى قوله: ﴿وَتَرَكْتَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ قال: الظلمة الأولى كانت ظلمة الكفر، واستيقادهم النار قول: لا إله إلا الله، وإذا خلوا إلى شياطينهم فناقوا وقالوا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فسلبهم نور الإيمان وبقوا في ظلمة الكفر، ﴿وَتَرَكْتَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾، يعني: كمطر نزل من السماء، فضرب لهم الله تعالى مثلاً آخر، لأن العرب كانوا يوضحون الكلام بذكر الأمثال، فالله تعالى ضرب لهم الأمثال ليوضح عليهم الحجة، فضرب لهم مثلاً بالمستوقد النار، ثم ضرب لهم مثلاً آخر بالمطر. فإن قيل كلمة ﴿أَوْ﴾ إنما تستعمل للشك، فما معنى ﴿أَوْ﴾ ها هنا، فقيل له: ﴿أَوْ﴾ قد تكون للتخيير، فكانه قال: إن شتمت فاضربوا لهم مثلاً بالمستوقد النار، وإن شتمت فاضربوا لهم المثل بالمطر، فأنتم مصيبون في ضرب المثل في الوجهين جميعاً. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿أَوْ كَلُمَلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَيْجٍ﴾ [النور: ٤٠] فكذلك ها هنا ﴿أَوْ﴾ للتخيير لا للشك. وقد قيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو يعني: وكصيب من السماء، معناه: مثلهم كرجل في مفازة في ليلة مظلمة، فنزل مطر من السماء، وفي المطر ظلمات ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾؛ والمطر: هو القرآن، لأن في المطر حياة الخلق وإصلاح الأرض، فكذلك القرآن فيه هدى للناس، وبيان من الضلالة وإصلاح الأرض، فلهذا المعنى شبه القرآن بالمطر. والظلمات: هي الشدائد والمحن التي تصيب المسلمين، والشبهات التي في القرآن، والرعد: هو الوعيد الذي ذكر للكفار والمنافقين في القرآن، والبرق: ما ظهر من علامات نبوة محمد ﷺ ودلائله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾، يعني: يتصاممون عن استماع الحق ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ يعني: لحذر الموت، والكلام إنما ينصب لنزع الخافض، مثل قوله ﴿وَأَنْتَ أَرْسَلْتَهُمْ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه، فكذلك ها هنا ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، يعني لحذر الموت ومعناه: مخافة أن ينزل في القرآن شيء يظهر حالهم، كما قال في آية أخرى

﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْتَ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ [التوبة: ١٢٧] قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناها: يجعلون أصابعهم في آذانهم من الرعد، ويغضون أعينهم من الصواعق. وقال أهل اللغة: الصاعقة صوت ينزل من السماء فيه نار، فمن قال بهذا القول لا يحتاج إلى الإضمار في الآية: يجعلون أصابعهم في آذانهم من خوف الصاعقة.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يعني عالم بأعمالهم. والإحاطة: هي إدراك الشيء بكماله، والله أعلم.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، يعني ضوء البرق، يذهب ويختلس بنوره أبصارهم من شدة ضوء البرق، فكذلك نور الإيمان من المنافق يكاد يغشى على الناس كفره في سره، حتى لا يعلموا كفره. وقد قيل: معناه يكاد أن يظهر عليهم نور الإسلام، فيثبتون على ذلك.

ثم قال: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾، يعني: كلما لمع البرق في الليلة المظلمة مضوا فيه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: إذا ذهب ضوء البرق ﴿قَامُوا﴾ متحيرين فكذلك المنافق، إذا تكلم بلا إله إلا الله، يمضي مع المؤمنين، ويمنع بها من السيف، فإذا مات بقي متحيراً نادماً. ويقال: معناه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] يعني: كلما ظهر لهم دليل نبوة محمد ﷺ وظهرت لهم علاماته مالوا إليه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: أصابت المسلمين محنة، كما أصابتهم يوم أحد، وكما أصابتهم يوم بئر معونة ﴿قَامُوا﴾ أي ثبتوا على كفرهم.

وروي أسباط، عن السدي أنه قال: كان رجلاً من المنافقين هرباً من المدينة إلى المشركين، فأصابهما المطر الذي ذكر الله فيه ظلمات ورعد وبرق، كلما أصابهما الصواعق جعلاً أصابعهما في آذانهما، فإذا لمع البرق مشياً في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصر، فقاما مكانهما فجعلوا يقولان: يا ليتنا لو أصبحنا فنأتي محمداً ﷺ فنضع أيدينا في يده، فأصبحا فأتياه فأسلما وحسن إسلامهما، فضرب الله تعالى بشأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين كانوا بالمدينة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ قال بعضهم: ﴿بِسَمْعِهِم﴾ الظاهر الذي في الرأس ﴿وَأَبْصَارِهِم﴾ التي في العين، كما ذهب بسمع قلوبهم، وأبصار قلوبهم عقوبة لهم. وقد قيل: معناه، ولو شاء لجعلهم صماً وعمياً في الحقيقة، كما جعلهم صماً وعمياً في الحكم. فقد قيل: ﴿ولو شاء الله﴾ لجعلهم صماً وعمياً في الآخرة، كما جعلهم في الدنيا. وروي في إحدى



الروايين، عن ابن عباس أنه قال: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من العقوبة وغيرها.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

قول تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، يعني أطيعوا ربكم، ويقال: وخذوا ربكم. وهذه الآية عامة، وقد تكون كلمة ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خاصة لأهل مكة، وقد تكون عامة لجميع الخلق، فهاهنا ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ لجميع الخلق. يقول للكفار: وخذوا ربكم، ويقول للمطيعين: اثبتوا على طاعة ربكم. واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم. واعلم أن النداء في القرآن على ستة مراتب: نداء مدح، ونداء ذم، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية. فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾. ونداء الذم مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾. ونداء التنبيه مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. ونداء الإضافة مثل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِي﴾. ونداء النسبة مثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ونداء التسمية مثل قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ﴾، ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ والنداء السابع: نداء التعتيف مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فهاهنا ذكر نداء التنبيه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، أخير بالنداء أنه يريد أن يأمر أمراً أو ينهى عن شيء، ثم بين الأمر فقال: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، يعني: وخذوا وأطيعوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، معناه: أطيعوا ربكم الذي هو خالقكم، فخلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، يعني: وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعصية وتنجون من العقوبة.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ

رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ معناه: اعبدوا ربكم الذي خلقكم وجعل لكم الأرض فراشاً، يعني: مهاداً وقراراً. وقال أهل اللغة: الأرض بساط العالم. وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «إنما سميت الأرض أرضاً، لأنها تارض ما في بطنها»، يعني تأكل ما فيها. وقال بعضهم: لأنها تارض بالحوافر والأقدام. ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ في اللغة: ما علاك وأظلك. يعني: اذكروا الله بهذه النعم واعبدوه، واعرفوا شكر هذه النعم حيث جعل لكم الأرض فراشاً، والسَّمَاءَ ﴿بِنَاءً﴾، يعني: سقفاً. قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية الكلبي: «كل سماء مطبقة على الأخرى مثل القبة، وسماء الدنيا ملتزقة أطرافها على الأرض» رينال: ﴿والسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يعني: مرتفعاً.



ثم قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعني: المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾، يعني: أنبت بالمطر ﴿مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لِّكُمْ﴾، يعني: من ألوان الثمار ﴿رِزْقًا لِّكُمْ﴾، يعني: طعاماً لكم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، يعني: لا تقولوا له شركاء ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أنه خالق هذه الأشياء، وغيره لا يستطيع أن يخلق شيئاً من هذه الأشياء. ويقال: كل شيء في هذه الدنيا فيه دلالة على كونه الخالق من أربعة أوجه: فوجود هذه الأشياء وكونها يدل على كون الصانع واستقامتها يدل على توحيده، وهو استقامة الليل والنهار، والشتاء والصيف، وخروج الثمرات، وحدوث كل شيء في وقته، لأن المدبر لو كان اثنين لم تكن على الاستقامة، كما قال في آية أخرى ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وتجانسها يدل على أن الخالق واحد عالم حيث خلق الأشياء أجناساً مختلفة، وتمازج الأشياء يدل على أن خالقها قديم قادر.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٢٣)

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ قال بعضهم: هذا الخطاب لليهود، يعني: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: يعني: في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾، يعني: من القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ أنه ليس من الله تعالى ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، يعني: من مثل هذا القرآن من التوراة، يعني: فأتوا بسورة من التوراة، وقابلوها بالقرآن، فتجدوها موافقة لما في التوراة، فتعلموا به أن محمداً ﷺ لم يختلفه من تلقاء نفسه وأنه من الله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: استعينوا بأحباركم ورهبانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فيما تشكون فيه.

وقال بعضهم: نزلت في شأن المشركين فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي: في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد عليه السلام وتقولون: إنه اختلفه من تلقاء نفسه ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أي فاختلقوا بسورة من مثل هذا القرآن، لأنكم شعراء وفصحاء ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾، يعني: استعينوا بالهتكم، ويقال: استعينوا بخطبانكم وشعرائكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أن محمداً يقول من تلقاء نفسه.

وقال قتادة: معناه ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ فيها حق وصدق ولا باطل فيها. وكان الفقيه أبو جعفر رحمه الله يقول: «الهاء» إشارة إلى النبي ﷺ فكانه قال: فأتوا بسورة من مثل محمد ﷺ، لأنه لم يكن قرأ الكتب، فأتوا بسورة من رجل لم يقرأ الكتب، كما جاء به محمد ﷺ. ويقال: هذه الآيات أصل لجميع ما تكلم به المتكلمون في التوحيد والعلم والشريعة، لأن في أول الآية إثبات الصانع ثم في الآية الأخرى إثبات نبوة محمد ﷺ، فالله تعالى أمرهم أولاً بأن أتوا بعشر سور مثله فعجزوا عنها، ثم أمرهم بسورة من مثله، فعجزوا عنها، فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ لِي أَجْتَعِبَ

الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَنَ أَنْ يَأْتُوا بِبَيِّنَاتٍ هَذَا الْقُرْآنِ ﴿الإسراء: ٨٨﴾ الآية .

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾، ﴿لَمْ﴾ تستعمل للماضي ﴿وَلَنْ﴾ تستعمل للمستقبل، فكانه قال: فإن لم تفعلوا، أي: لم تأتوا في الماضي، ولن تفعلوا، أي: لن تأتوا في المستقبل، وتجددون بغير حجة ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ .

قال قتادة: معناه ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ولن تقدرُوا أن تفعلوا ولن تطبقوا ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، يقول: احذروا النار ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، يعني: حطبها الناس إذا صاروا إليها، والحجارة قبل أن يصيروا إليها. ويقال معناه: إن مع كل إنسان من أهل النار حجراً معلقاً في عنقه حتى إذا طفت النار، رسبه به الحجر إلى الأسفل. ويقال: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي: حجارة الكبريت، وإنما جعل حطبها من حجارة الكبريت لأن لها خمسة أشياء ليست لغيرها: أحدها: أنها أسرع وقوداً، والثاني: أنها أبطأ خموداً، والثالث: أنها أنتن رائحة، والرابع: أنها أشد حراً، والخامس: أنها الصق بالبدن. ثم قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يعني: وهيت وخلفت وقدرت لهم .

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقد ذكر في أول الآية إثبات الصانع وذكر حجته، ثم ذكر إثبات الكتاب والنبوة، ثم ذكر الوعيد للكافرين، لمن لا يؤمن بالله، ثم ذكر ثواب للمؤمنين؛ وهكذا في جميع القرآن في كل موضع ذكر عقوبة الكفار، ثم ذكر على أثره ثواب المؤمنين لتسكن قلوبهم إلى ذلك، وتزول عنهم الوحشة لكي يشبوا على إيمانهم ويرغبوا في ثوابه، فقال ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: فرِّح قلوب الذين آمنوا، يعني: صدقوا بوحداية الله تعالى، وبمحمد ﷺ وبما جاء به جبريل عليه السلام ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ يعني: بأن لهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت شجرها ومسكنها وغرفها الأنهار، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾، يعني: أطعموا منها، أي من الجنة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ يعني: طعاماً .

﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا﴾ يعني: أطعمنا من الجنة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ . قال بعضهم: معناه إذا أتى بطعام وثمار في أول النهار فأكلوا منها، ثم إذا أتى بها في آخر النهار، ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ

**قَبْلَ** ، يعني : الذي أطعمنا في أول النهار ، لأن لونه يشبه لون ذلك ، فإذا أكلوا منه وجدوا لها طعماً غير طعم الأول . وقال بعضهم : معناه **«كُلَّمَا رَزَقُوا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلَ** يعني : في الدنيا ، لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا ، فإذا أكلوا وجدوا طعمها غير ذلك .

ثم قال : **«وَأَنْتُمْ بِهِ مُنْشَاهِبٌ»** قال بعضهم : معناه **«متشابهاً»** يعني : في المنظر ، مختلفاً في الطعم . وقيل : **«متشابهاً»** يعني يشبه بعضها بعضاً في الجودة ، ولا يكون فيها رديء .

قال الفقيه رحمه الله : حدثنا محمد بن الفضل قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء» . يعني : أسماء الثمار .

ثم قال تعالى : **«وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجَارٌ مُطَهَّرَةٌ»** يعني : مهذبة في الخلق ويقال : مطهرة في الخلق والخلق . فأما الخلق فإنهم لا يحضن ولا يبلن ولا يتمخطن ولا يأتين الخلاء . وأما الخلق ، فمن لا يحسدن ولا يغرزن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن .

ثم قال تعالى : **«وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»** يعني : دائمين لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾

قوله تعالى : **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا»** وذلك أنه لما نزل قول الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾** [الحج : ٧٣] وقال في آية أخرى : **﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾** [العنكبوت : ٤١] ، قالت اليهود والمشركون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فنزلت هذه الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾** ، يعني : لا يمتنع من ضرب المثل وبيان الحق فيها . ويقال : لا يمنعه الحياء أن يضرب المثل ويروي ويصف للحق شيئاً

ببعوضة **﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾** ، يعني : بالذباب والعنكبوت . وقال بعضهم : **﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾** ما دونها في الصغر ، وهذا من أسماء الأضداد ، يذكر الفوق ويراد به دونه ، كما

ويراد به الأمام مثل قوله : **﴿وَيَذُرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾** [الإنسان : ٢٧] يعني : أمامهم ، يذكر الفوق ويراد به ما دونه ، يعني : يضرب المثل بالبعوضة وبما دون البعوضة ، بعد أن

فيه إظهار الحق ، وإرشاد إلى وكيف الهدى ، وكيف يمتنع من ضرب المثل بالبعوضة ، ولو جمعت الإنس والجن على أن يخلقوا بعوضة لا يقدرن عليه . ويقال : إنما ذكر المثل

بالبعوضة، لأن خلفة البعوضة أعجب خلقةً، لأن خلقتها تشبه حلقة الغيل. قيل: إن البعوضة ما دامت جانحة عاشت فإذا شبت ماتت، فكذلك الآدمي إذا استغنى، فإنه يطغى. فضرب الله المثل للآدمي.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: صدقوا وأقروا بتوحيد الله تعالى: ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: المثل بالذباب والعنكبوت، فيؤمنون به. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: اليهود والمشركين ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾، بذكر البعوضة والذباب.

قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ يعني: إنما ضرب المثل ليضل به كثيراً من الناس، يعني: يخذلهم ولا يوفقهم للهدى ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾، يعني: يوفق به على معرفة ذلك المثل كثيراً من الناس وهم المؤمنون. وقال بعضهم: معناه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾، يعني: يسميه ضالاً، كما يقال: فسئت فلاناً، يعني: سميت فاسقاً، لأن الله تعالى لا يضل أحداً، وهذا طريق المعتزلة، وهو خلاف جميع أقاويل المفسرين، وهو غير محتمل في اللغة أيضاً. يقال: ضلله إذا سماه ضالاً ولا يقال: أضله إذا سماه ضالاً، ولكن معناه ما ذكره المفسرون: أنه يخذل به كثيراً من الناس مجازة لكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يعني: وما يهلك، وأصل الضلالة: الهلاك. يقال: ضل الماء في اللبن إذا صار مستهلكاً. وما يهلك وما يخذل به، يعني: بالمثل إلا الفاسقين يعني: العاصين، وأصل الفسق في اللغة: هو الخروج من الطاعة، والعرب تقول: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، ويقال للفارة: فويسقة، لأنها تخرج من الحجر وقال الله تعالى ﴿فَقَسَّقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] يعني: خرج عن طاعة ربه.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ

فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

ثم نعت الفاسقين فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ يعني: يتركون أمر الله ووصيته ﴿من بعد ميثاقه﴾، يعني: من بعد تغليظه وتوكيده، وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام في التوراة بأن يأمر قومه فيقروا بمحمد ﷺ ويصدقوه إذ خرج. وكان موسى عليه السلام عاهداهم على ذلك، فلما خرج رسول الله ﷺ نقضوا العهد وكذبوه ولم يصدقوه، ويقال: إنما أراد به العهد الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم، حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] يقال: إنه أراد به العهد فنقضوا ذلك العهد والميثاق وهم يقرؤون. فإن قال قائل: فكيف يجوز هذا واليهود كانوا مقرّين بالله تعالى، فكيف يكون نقض العهد وهم مقرّون؟ قيل: له: إذا لم يصدقوا بمحمد ﷺ فقد أشركوا بالله، لأنهم لم يصدقوا بأن القرآن من عند الله، ومن



ثم قال: **﴿وَكُنْتُمْ أَشْوَاثًا فَأَخْبَأْتُمْ﴾**، يعني: كنتم نطفاً في أصلاب آباءكم فأحياكم في أرحام أمهاتكم **﴿ثُمَّ يُمَيِّنْكُمْ﴾** عند انقطاع آجالكم، **﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾** للبعث يوم القيامة. **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** في الآخرة فتثابون بأعمالكم. قال الكلبي: فلما ذكر البعث عرف اليهود فسكتوا وأنكر ذلك المشركون قالوا: ومن يستطيع أن يحيينا بعد الموت؟ فنزل قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾** [البقرة: ٢٩]. فإن قيل: كيف يجوز أن يكون هذا الخطاب لليهود وهم لم يكفروا بالله تعالى؟ فالجواب ما سبق ذكره: أنهم لما أنكروا نبوة محمد ﷺ فقد أنكروا وحدانية الله تعالى، لأنهم أخبروا أن القرآن قول البشر.

**﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (٢٦)

قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾**، يعني: قدر خلقها، لأن الأشياء كلها لم تخلق في ذلك الوقت، لأن الدواب والثمار وغيرها التي في الأرض تخلق وقتاً فوقتاً، ولكن معناه: قدر خلق الأشياء التي في الأرض.

وقوله: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾** هذه الآية من المشكلات، والناس في هذه الآية وما شالكها على ثلاثة أوجه: قال بعضهم: نفرّوها ونؤمن بها ولا نفسرها، وهذا كما روي عن مالك بن أنس أن رجلاً سأل عن قوله: **﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾** [طه: ٥] فقال مالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، فأخرجوه» فنظروا فإذا هو جهنم بن صفوان، وقال بعضهم: نفرّوها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم: نقرأها ونتأولها وللتأويل في هذه الآية وجهان: أحدهما: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾**، يعني: صعد أمره إلى السماء، وهو قوله: **﴿كَانَ فَكَانَ﴾**، والثاني: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾** يعني: أقبل إلى خلق السماء. فإن قيل: قد قال في آية أخرى **﴿أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهَا رَفَعْنَا سَنَكُمَا فَسَوَّاهَا﴾** إلى قوله **﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** [النازعات: ٢٧، ٢٨، ٣٠] فذكر في تلك الآية أن الأرض خلقت بعد السماء، وذكر في هذه الآية أن السماء خلقت بعد الأرض الجواب عن هذا أن يقال: خلق الأرض قبل السماء وهي روبة حمراء في موضع الكعبة، فلما خلق السماء بسط الأرض بعد خلق السماء فذلك قوله: **﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** يعني: بسطها.

ثم قال تعالى: **﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾** يعني: خلقهن **﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾** فهن أعظم من خلقكم **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** يعني: بكل خلق عليم. معناه: أن الذي خلق لكم الأرض جميعاً وخلق السماوات، قادر على أن يحييكم بعد الممات. قرأ نافع والكسائي وأبو عمرو **﴿وهو﴾** بجزم

الهاء. وقرأ الباقون بضم الهاء ﴿وهو﴾ في جميع القرآن، وهما لغتان ومعناها واحد.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾، روي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه وقال ربك، و﴿إِذْ﴾ زيادة. وروي عن الفراء أنه قال: معناه واذكر إذ قال ربك. وقال مقاتل: معناه، وقد قال ربك للملائكة. والملائكة: جميع الملك. وهذا اللفظ على غير القياس، لأنه يقال: ملائكة بالهمزة ويقال للواحد: ملك بغير همز. وإنما قيل ذلك لأنه في الأصل كان مالك بالهمز فأسقط الهمزة للتخفيف. وأصله من: لأك، بالك، والألوكة الرسالة. كما قال القائل:

وَعُلَامٌ أَرْسَلْتُهُ أُمَةً<sup>(١)</sup> بِأَلْوَكٍ، فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ

وإنما سميت الملائكة ملائكة، لأنهم رسل الله تعالى، وإنما أرادها هنا بعض الملائكة، وهم الملائكة الذين كانوا في الأرض. وذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض، خلق الجن من نار، أي من لهب من نار لا دخان لها، فكثر نسله، وهم الجن بنو الجن، فعملوا في الأرض بالمعاصي وسفكوا الدماء، فبعث الله تعالى ملائكة سماء الدنيا، وأمر عليهم إبليس وكان اسمه عزازيل، حتى هزموا الجن، وأخرجوهم من الأرض إلى جزائر البحور، فسكنوا الأرض، فصار الأمر عليهم في العبادة أخف، لأن كل صنف من الملائكة يكون أرفع في السماوات فيكون خوفهم أشد، وملائكة سماء الدنيا يكون أمرهم أيسر من الذين فوقهم، فلما سكنوا الأرض صار الأمر عليهم أخف مما كانوا، وسكنوا الأرض واطمأنوا إليها، وكل من اطمأن إلى الدنيا أمر بالتحول عنها. فأخبرهم الله تعالى أنه يريد أن يخلق خليفة في الأرض سواكم فشق ذلك عليهم وكرهوا ذلك، فذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني: أريد أن أخلق في الأرض خليفة سواكم، فشق ذلك عليهم وكرهوا ذلك ﴿فَقَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ يعني: أتخلق فيها ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسدت الجن ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت الجن ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾، يعني: نصلي لك بأمرك. ويقال معناه، نحن نسبحك ونحمدك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. قال بعضهم: نقدس أنفسنا لك، يعني: نظهر أنفسنا بالعبادة عن المعصية. وقال بعضهم: ﴿ونقدس لك﴾ أي: ننسبك إلى الطهارة.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال مجاهد: علم من إبليس المعصية،

(١) في «ب»: الوكة. وفي القرطبي: ٢٥٠: ١ والطبري: ١٩٨/١ والمقاتل: لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ) أبو عقيل، أدرك الإسلام، ويعد من الصحابة ومن المؤلفين قلوبهم، ومن أصحاب المعلقات. الأعلام ٥/ ٢٤٠.



وهو قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾**، وأصل السجود في اللغة: هو الميلان والخضوع، والعرب تقول: سجدت النخلة إذا مالت، وسجدت الناقة إذا طأطأت رأسها ومالت. وإنما كانت سجدة التحية لا سجدة العبادة، وكانت السجدة تحية لآدم وطاعة لله تعالى **﴿فَسَجَدُوا﴾** كلهم **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾**. يقال: إبليس اسم أعجمي، ولذلك لا ينصرف، وهو قول أبي عبيدة. وقال غيره: هو أفعل من أبلس إبليس إذا ينس وكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أنه أيشه من رحمته. وكان اسمه عزازيل<sup>(١)</sup> ويقال: عزائيل، وإنما لم ينصرف لأنه لا سمي له فاستثقل. وقال ابن عباس: إنما سمي آدم، لأنه خلقه من أديم الأرض. وروي عن قطرب أنه قال: هذا الخبر لا يصح، لأن العربية لا توافقه. ويقال: هو مأخوذ من الأذمة، وهو الذي يكون في لونه سمرة. **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَأَسْتَكْبَرَ﴾** يعني امتنع عن السجود تكبراً، معناه: أن كبره منعه من السجود.

وقوله تعالى: **﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** قال بعضهم: وصار من الكافرين، كما قال في آية أخرى **﴿كَانَ مِنَ الْمُتَكْفِرِينَ﴾** [هود: ٤٣]، يعني: صار من المغرقين. ويقال: **﴿كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** في علم الله، معناه: كان في علم الله تعالى أنه يكفر. وقال بعضهم بظاهر الآية وقال: كان كافراً في الأصل، وهو قول أهل الجبر. وقالوا: كل كافر أسلم فقد ظهر أنه كان مسلماً في الأصل، وكل مسلم كفر ظهر أنه كان كافراً في الأصل، لأنه كان كافراً يوم الميثاق. ألا ترى أن الله تعالى قال في قصة بلقيس **﴿إِنَّمَا كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾** [النمل: ٤٣] ولم يقل إنها كانت كافرة، وقال في قصة إبليس **﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**. وقال أهل السنة والجماعة: الكافر إذا أسلم كان كافراً إلى وقت إسلامه، وإنما صار مسلماً بإسلامه إلا أنه غفر له ما قد سلف. والمسلم إذا كفر كان مسلماً إلى ذلك الوقت، إلا أنه حبط عمله.

**﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**

**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «أمر الله تعالى ملائكته أن يحملوا آدم على سرير من ذهب إلى السماء، فأدخلوه الجنة، ثم خلق منه زوجة حواء، يعني من ضلعه الأيسر، وكان آدم بين النائم واليقظان». وقال ابن عباس رضي الله عنه: «سميت حواء لأنها خلفت من الحي<sup>(٢)</sup>». ويقال: إنما سميت حواء لأنه كان في

(١) السيوطي: ١٢٣/١ وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن الأباري في الأضداد والبيهقي في الشعب.

(٢) عزاء السيوطي ١٢٧/١ إلى ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

شفتيها حوة، يعني: حمرة، فقال عز وجل: **﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾** يعني: حواء. يقال للمرأة: زوجة وزوج، والزوج أنصح.

وقوله تعالى: **﴿ وَكُلَا مِنْهَا ﴾**، يعني: من الجنة **﴿ رِزْقًا ﴾**، يعني: موسعاً عليكما بلا فوب ولا هتزاز بالزاي المعجمة، هكذا قال في رواية الكلبي يعني: بغير تقدير. وقال بعض أهل اللغة: الرغد هو السعة في الرزق من غير تقدير.

وقوله تعالى: **﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾**، يعني: ولا تأكلا من هذه الشجرة. وروى السدي، عن حدثه عن ابن عباس أنه قال: «هي شجرة الكرم». وروى الشعبي عن جعد بن هبيرة مثله. وروى عن علي رضي الله عنه مثله. وقال قتادة: وذكر لنا أنها شجرة التين ويقال: إنما كان النهي عن الأكل من الشجرة للمحنة، لأن الدنيا دار محنة، وقد خلق من الأرض ليسكن فيها، فامتنحن بذلك، كما امتنح أولاده في الدنيا بالحلال والحرام. فذلك قوله: **﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾**، يعني فتصيرا من الضالين بأنفسكما.

**﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾**

وقوله تعالى: **﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾**، قرأ حمزة: **﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾** بالالف، وقرأ غيره **﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾** بغير الف. وأصله في اللغة: من أزل يزل، معناه: فأغراهما الشيطان واستزلَّهُمَا. وأما من قرأ **﴿ فَأَزَالَهُمَا ﴾** بالالف، فأصله من أزال يزيل، إذا أزال الشيء عن موضعه.

وقوله تعالى: **﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾**، يعني: مما كانا فيه من النعمة. وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: مكث آدم في الجنة كما بين الظهر والعصر، يعني: من أيام الآخرة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كالف سنة من أيام الدنيا.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «لما رأى إبليس آدم في النعمة حسده، واحتال لإخراجه منها، فعرض نفسه على كل دابة من دواب الجنة أن يدخل في صورتها فأبت عليه، حتى أتى الحية وكانت هي أحسن دابة في الجنة خلقاً، وكانت لها أربع قوائم، فلم يزل يستدرجها حتى أطاعته، فدخل ما بين لحييها وأقام في رأسها، ثم أتى باب الجنة وناداهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، يعني: أن هذه الشجرة شجرة الخلد، فمن أكل منها يبقى في الجنة أبداً، فأكلا منها».

ويقال: إن حواء قالت لآدم: تعال حتى نأكل من هذه الشجرة فقال آدم: قد نهانا ربنا عن أكل هذه الشجرة، فأخذت بيده حتى جاءت به إلى الشجرة، وكان آدم يحب حواء، ففكره أن يخالفها لجه إياها، وكان آدم يقول لها: لا تفعلني فإني أخاف العقوبة. وكانت حواء تقول: إن

رحمة الله واسعة، فأخذت من ثمرها فأكلت. ثم قالت لآدم: هل أصابني شيء بأكلها؟، وإنما لم يصبها شيء بأكلها لأنها كانت تابعة وآدم متبوعاً، فما دام المتبوع على الصلاح يتجاوز عن التابع، فإذا فسد المتبوع فسد التابع ثم أخذت ثمرة أخرى فدفعت إلى آدم. فلما أكل آدم لم تصل إلى جوفه حتى أخذتهما الرعدة، وسقط عنهما من الحلبي والحلل وغيرهما، وعريا عن الثياب حتى بدت عورتها فاستحييا وهربا. قال الله تعالى: أمني تهرب يا آدم؟ قال: لا ولكن حياء من ذنبي. فأخذا من أوراق التين، وألصقا على عوراتهما، ثم أمرهما الله تعالى بأن يهبطا منها إلى الأرض، فوقع آدم بأرض الهند، وحواء بجدة، والحية بأصهبان، وإبليس في جزائر البحر. وروي عن ابن عباس أنه قال: «إنما سمي الإنسان إنساناً، لأن الله تعالى عهد إليه فئسي»، يعني: ترك.

وقوله تعالى: **﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** يعني: آدم وحواء والحية وإبليس، فبني بين إبليس وبين آدم عداوة إلى يوم القيامة. وكذلك بين الحية وبين أولاد آدم عداوة ظاهرة. ثم قال: **﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾**، يعني موضع القرار وقوله: **﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾**، يعني: الحياة والعيش إلى حين، يعني: الموت.

**﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾**، قرأ ابن كثير **﴿فتلقى آدم﴾** فنصب آدم ورفع الكلمات. وقرأ غيره برفع **﴿آدم﴾** وكسر الكلمات. فأما من قرأ **﴿فتلقى آدم﴾** بالرفع فمعناه: أخذ وقيل من ربه. ويقال: تلقى وتلقف بمعنى واحد في اللغة. وأما من قرأ بنصب **﴿فتلقى آدم﴾**، يعني: استقبلته الكلمات من ربه. يقال: تلقيت فلاناً بمعنى استقبلته. ومعنى ذلك كله: أن الله تعالى ألهمه بكلمات، فاعتذر بتلك الكلمات وتضرع إليه، فتاب الله عليه.

وقال مجاهد: تلك الكلمات هي قوله تعالى: **﴿قَالَ رَبَّنَا عَلَّمَنَا أَسْمَاءَ﴾** [الأعراف: ٢٣] الآية. وقال بعضهم: قال: بحق محمد أن تقبل توبتي. قال الله تعالى له: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، فتاب الله عليه. وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: «تلك الكلمات هي قوله: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم». الثاني: «فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين». الثالث: «فارحمني إنك أنت خير الراحمين».

وقوله تعالى: **﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾**، يعني: فقبل توبته. يقال: تاب العبد إلى ربه، وتاب الله على عبده، فهذا اللفظ مشترك، إلا أنه إذا ذكر من العبد يقال: تاب إلى الله، وإذا ذكر من الله تعالى يقال: على، فيقال: تاب العبد إلى ربه، إذا رجع عن ذنبه. وتاب الله على عبده، إذا قبل

توبته. قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ الْتَوَابُ الرَّحِيمِ﴾** يعني: المتجاوز عن الذنوب الرحيم بعباده.

**﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ**

**يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾**، يعني: آدم وحواء والحية وإبليس. وفي الآية دليل على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها، لأن آدم قد أخرج من الجنة بمعصيته. وهذا كما قال القائل:

إِذَا كُنْتُ فِي نِعْمَةٍ فَأَزَعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ  
وَدَاوِمٌ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهَ شَدِيدُ التُّقْمِ

وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾** [الرعد: ١١] الآية.

وقوله تعالى: **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾**، وأصله: فإن ما، إلا أن النون أدمغت في

الميم، وإن لتأكيد الكلام، وما للصلة، ومعناه: فإن يأتينكم مني هدى، يعني: البيان، وهو الكتاب والرسل، خاطب به آدم وعن به ذريته. **﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾**، يعني: من اتبع كتابي وأطاع رسلي **﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** فيما يستقبلهم من العذاب، **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** على ما خلفوا من أمر الدنيا.

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾**

ثم قال عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾**، يعني: جحدوا برسلي وكذبوا بآياتي **﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، يعني: دائمين.

**﴿يَتَّبِعِ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا يَتَّبِعِ آلِيَّ أَنْعَمْتَ عَلَيْكَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾**

وَمَا إِسْرَءِيلُ إِلَّا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِمَا نَزَّلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا أَوْلَٰئِكَ كَافِرٌ بِؤَدِّهِمْ وَلَا تَشْكُرُوا بِآيَاتِي إِنَّمَا قَلِيلًا مِمَّا

فَأَنْتُمْ تُعْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَمَّارُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَقْسِمُوا بِالصَّلَاةِ وَءَاتُوا

الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**، يعني: أولاد يعقوب. وإنما سمي إسرائيل، لأن الأسر بلغتهم عبد، وأيل هو الله، فكانه قال: يا بني عبد الله. وقيل: إنما سمي إسرائيل لأنه أسره ملك يقال له: إيل، وذلك أنه كان في سفر مع أولاده، وكان يسير خلف القافلة، وكان له قوة فدخل في نفسه شيء من العجب، فابتلاه الله تعالى، أن جاءه ملك على هيئة اللص وأراد أن يضرب على القافلة، فأراد يعقوب أن يضربه على الأرض فلم يقدر على ذلك، وكانا في تلك

قال: حدثنا الحجاج بن يوسف، عن سهل بن حماد، عن أبي بن غياث، عن هشام الدستوائي، عن المغيرة وهو ختن مالك بن دينار، عن مالك بن دينار، عن أبي ثمامة، عن أنس قال: لما عرج بالنبي ﷺ مر على قوم تفرص شفاههم بمقاريض من النار، فقال: «يا جنريل من هؤلاء؟» فقال: «هم الخطباء من أمثك، الذين يأمرزون الناس بالبز، وتسنون أنفسهم»<sup>(١)</sup>. ثم قال: «وأنتم تثلون الكتاب أفلا تعقلون»، يعني أفلا تعقلون أن صفة في التوراة. ويقال: «وأنتم تثلون الكتاب أفلا تعقلون» أن ذلك حجة عليكم.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»، يعني: استعينوا بالصبر والصلاة، على أداء الفرائض، وبكثرة الصلاة على تمحيص الذنوب. ويقال: استعينوا بالصبر على نصره محمد ﷺ. وقال مجاهد: «استعينوا بالصبر والصلاة» يعني: استعينوا بالصوم والصلاة، وإنما سمي الصوم صبراً لأن في الصوم حبس النفس عن الطعام والشراب والرفث. وقد قيل: الصبر على ثلاثة أوجه: صبر على الشدة والمصيبة، وصبر على الطاعة وهو أشد من الأول وأجره أكثر، وصبر عن المعصية وهو أشد من الأول والثاني، وأجره أكثر منهما. وفي هذا الموضع أراد الصبر على الطاعة.

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، يعني: الاستعانة، ويقال: الصلاة لكبيرة أي ثغيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، يعني: المتواضعين. ويقال: الذليلة قلوبهم.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ»، يعني: يستيقنون أنهم يبعثون يوم القيامة بعد الموت. وإنما سمي اليقين ظناً، لأن في الظن طرفاً من اليقين، فيعبر بالظن عن اليقين. وقوله: «وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» يعني: في الآخرة بعد البعث للحساب.

﴿يَبْنَئِي إِبْرَاهِيمَ أَدْكُرُوا يَحْيَىٰ آلِيٍّ أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أذْكُرُوا بِنِعْمَتِي إِلَيْيَ أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»، يعني: عالمي زمانهم. وقال بعضهم: من آمن من أهل الكتاب بمحمد ﷺ كانت له فضيلة على غيره وكان له اجران: اجر إيمانه بنبيه، وأجر إيمانه بمحمد ﷺ؛ وقد روِيَ عن رسول الله النبي ﷺ أنه قال: «ثَلَاثَةٌ يَغْفِيهِمُ اللَّهُ الْأَجْرَ مَرَّتَيْنِ، مَنْ اشْتَرَى جَارِيَةً فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا

(١) عزاء السيوطي ١٥٦/١ إلى وكيع وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري وابن أبي داود في البعث، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جبان وأبي نعيم في الحلية، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

فَأَعْتَقَهَا وَتَرَوُوهَا، وَعَبْدٌ أَطَاعَ سَيِّدَهُ وَأَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَذْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ قَامَنَّ بِهِ<sup>(۱)</sup>. وقيل: معنى قوله ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بإنزال المن والسلوى وغير ذلك، ولم يكن لأحد من العالمين غيره.

﴿وَأَنقُوتُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهَا نُفُوسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقَبُلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنقُوتُوا يَوْمًا﴾، يعني: اخشوا عذاب يوم ﴿لَا تَجْرِي فِيهَا نُفُوسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾،

يعني: لا تنغي في ذلك اليوم نفس مؤمنة عن نفس كافرة، وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن من ولد إبراهيم خليل الرحمن، ومن ولد إسحاق والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَجْرِي فِيهَا نُفُوسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾، يعني: لا تنغي نفس مؤمنة عن نفس كافرة. ﴿وَلَا يَقَبُلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، يعني: من نفس كافرة.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿وَلَا يَقَبُلُ﴾ بالثاء، لأن الشفاعة مؤنثة؛ وقرأ الباقون بالياء، لأن تانيثه ليس بحقيقي، وما لم يكن تانيثه حقيقياً جاز تذكيره، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: 275].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، يعني: لا يقبل الغداء من نفس كافرة كما قال في موضع آخر ﴿فَلَنْ يُبَدِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ يُلْهُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: 91]، ويقال: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها لا يقبل منها. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، إنما خاطبهم وأراد به آباءهم، لأنهم كانوا يتولون آباءهم فأضاف إليهم. ومعناه: واذكروا إذ نجيناكم من قوم فرعون ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي يعذبونكم بأشد العذاب وأقبح العذاب. ويقال في اللغة: سامه الخسف، إذا أولاه الهوان، يعني: يولونكم بأشد العذاب. ثم بين العذاب فقال: ﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الصغار ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، يعني: يستخدمون نساءكم. وأصله في اللغة: من الحياة، يقال:

(۱) حديث أبي موسى الأشعري: أخرجه البخاري (۹۷) و(۳۰۱۱) و(۳۴۴۶) ومسلم (۱۵۴) وأحمد ۴/۳۹۵  
 ۴۱۴/۴۰۲ والترمذي (۱۱۱۶) والنسائي: ۱۱۵/۶ وابن ماجه (۱۹۵۶) وأبو داود (۲۰۵۳) والبيهقي ۷/۱۲۸.

استحيا، يستحي إذا تركه حياً. وكانوا يذبحون الأولاد، ويتركون النساء أحياء للخدمة، وذلك أن فرعون قالت له كهنته: يولد في بني إسرائيل مولود ينازعك في ملكك، فأمر بأن يذبح كل ابن يولد في بني إسرائيل، وتترك البنات.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾، يعني: في أي إنحاء الله تعالى من ذبح الأولاد واستخدام النساء نعمة لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، فالبلاء: يكون عبارة عن النعمة، ويكون أيضاً عبارة عن البلية والشدة، وأصله: من الابتلاء والاختبار يكون بهما جميعاً. فإن أراد به النعمة، فمعناه ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾، يعني من انحاء الله تعالى من ذبح الأولاد واستخدام النساء نعمة لكم من ربكم عظيم، وإن أراد به العذاب، فمعناه: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾، يعني: في ذبح الأبناء واستخدام النساء بلاء لكم من ربكم عظيم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْبَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْبَيْنَاكُمْ﴾، يعني: فرق الماء يميناً وشمالاً حين خرج موسى مع بني إسرائيل من مصر، فخرج فرعون وقومه في طلبهم، فلما انتهوا إلى البحر ضرب موسى عصاه على البحر، فانفلق، فصار اثني عشر طريقاً يابساً لكل سبط منهم طريق. فلما جاوز مرسى البحر ودخل فيه فرعون مع قومه، غشيهم من اليم ما غشيهم، يعني: غشيهم الماء فغرقوا في اليم فذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾. يقول: واذكروا إذا فلقنا بكم البحر فأنجيناكم من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، يعني: فرعون وآله. قال بعض أهل اللغة: آل الرجل أتباع الرجل، قريبه كان أو غيره، وأهله قريبه أتبعه أو لم يتبعه. ويقال: الآل والأهل بمعنى واحد، إلا أن الآل يستعمل لاتباع رئيس من الرؤساء، يقال: آل فرعون وآل هارون، ولا يقال: آل زيد، وآل عمرو. روي عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: من آلك؟ قال: «آلي كُلُّ تَقِيٍّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، يعني: تنظرون إليهم حين لفظهم البحر بعدما غرقوا، يعني آباءهم. وقال بعضهم: معناه أنكم تعلمون ذلك كأنكم تنظرون إليهم. قال الفقيه: وكان في قصة فرعون وغيره علامة نبوة محمد ﷺ لأنه لا يعرف ذلك إلا بالوحي، فلما أخبرهم بذلك من غير أن يقرأ كتاباً، كان ذلك دليلاً أنه قاله بالوحي، وفيه أيضاً تهديد للكفار ليؤمنوا حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وفيه أيضاً تنبيه للمؤمنين وعظة لهم ليزجرهم ذلك عن المعاصي.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا آلَ الْعِجْلِ مِنْ بَعْدِيهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، قرأ أبو عمرو بغير الف ﴿وَإِذَا وَعَدْنَا



**موسى**، وقرأ غيره **﴿وَأَذِّنَا﴾** بالالف، فمن قرأ بغير ألف فمعناه ظاهر، يعني أن الله تعالى وعد موسى عليه السلام. ومن قرأ بالالف فالمواعدة تجري بين اثنين، وإنما كان الواعد من الله تعالى ومن موسى الوفاء، ومن الله الأمر، ومن موسى الالتزام. فكأنما جرت المواعدة بين الله تعالى وبين موسى. وقد يجوز أن تكون المفاعلة من واحد، كما يقال: سافر وناق. .

ويقال: أربعين ليلة، كانت ثلاثين ليلة منها من ذي القعدة وعشرأ من ذي الحجة. وقال بعضهم: ثلاثين كانت من ذي الحجة وعشرأ من المحرم، وكانت مناجاته يوم عاصوراء. وروى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: لما وعدهم موسى أربعين ليلة، عدت بنو إسرائيل عشرين يوماً وعشرين ليلة، وقالوا: قد تمت أربعون ولم يرجع موسى، فقد خلفنا.

وذكر أن السامري قال لهم: إنكم قد استعرتن من نساء آل فرعون حليهن ولم تردوه عليهن، فلعل الله تعالى لم يرد علينا موسى لهذا المعنى، فهاتوا ما معكم من حليهن حتى نحرقه، فلعل الله يرد إلينا موسى، فجمعوا تلك الحلي، وكان السامري صانعاً فاتخذ منها عجلاً، وقد كان قبل ذلك رأى جبريل عليه السلام على فرس الحياة، فكلما وضع حافره اخضر ذلك الموضع، فرجع من تحت سُنْبِكِه قبضة من التراب، ونفخ ذلك التراب في العجل فصار ذلك عجلاً جسداً له خوار. وروى عن ابن عباس أنه قال: «صار عجلاً له لحم ودم وفيه حياة له خوار». وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «اتخذ عجلاً جسداً مشبكاً من ذهب له خوار، فدخل الريح في جوفه وخرج من فيه كهيئة الخوار». فقال للقوم: هذا إلهكم وإله موسى فني، يعني أن موسى أخطأ الطريق. ويقال: كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة، فنم ميقات ربه أربعين ليلة، لأنه قد أفطر من الصيام في تلك العشرة، فإنما ظهر لهم الخلاف في تلك العشرة وهذا الطريق أوضح.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾**، يعني: عبدتم العجل من بعد انطلاق موسى إلى الجبل **﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾**، يعني: كافرين بعبادتكُم العجل. ويقال: وأنتم ضارون بأنفسكم بعبادة العجل.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾**، يقول: تركناكم من بعد عبادة العجل، فلم نستاصلكم **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**، يعني: لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة.

قوله تعالى: **﴿وَأَذِّنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾**، يعني: أعطينا موسى التوراة **﴿وَالْفُرْقَانَ﴾**، يعني: الفارق بين الحلال والحرام. ويقال: **﴿الفرقان﴾** هو النصره بدليل قوله تعالى: **﴿يَوْمَ أَفْرَقْنَا﴾** [الأنفال: ٤١] يعني: يوم النصره. ويقال: الفرقان هو المخرج من الشبهات. ويقال: هو انفلاق البحر بدليل قوله: **﴿وَأَذِّنَا فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾** [البقرة: ٥٠]. وقال الفراء: في الآية مضمرة، ومعناها: وآتينا موسى الكتاب يعني التوراة، وآتينا محمداً الفرقان، يعني: أعطينا موسى التوراة، وأعطينا محمداً الفرقان، كأنه خاطبهم فقال: قد أعطيناكم علم موسى وعلم محمد ﷺ



فدك الجبل، فلم يصدقوه وقالوا: لن نصدقك حتى نرى الله جهرة. فأخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم، فدعا موسى ربه فأحياهم الله تعالى، فذلك قوله: ﴿فَأَخَذْتَكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى الصاعقة. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، يعني: أحييناكم من بعد هلاككم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للحياة بعد الموت.

﴿وَوَهَبْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ﴾، خاطبهم وأراد به آباءهم، وهم قوم موسى حيث أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين، فأبوا ذلك وقالوا لموسى: ﴿أَنْتَ وَرَبُّكَ فَكَيْتَلَا إِنَّا هَهُنَا قَائِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فعاقبهم الله تعالى فبقوا في التيه أربعين سنة، وكانت المفازة اثني عشر فرسخاً، وكان يؤذيهم حر الشمس فظل عليهم الغمام، ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ﴾ وهو السحاب الأبيض، يقيكم حر الشمس في التيه، وكان لهم في التيه عمود من نور مدلى لهم من السماء، فيسير معهم من الليل مكان القمر. فأصابهم الجوع، فسألوا موسى، فدعا ربه فأنزل عليهم المن وهو الترنجيبيل كان يتساقط عليهم كل غداة، فيأخذ كل إنسان منهم ما يكفيه يومه وليلته، فإن أخذ أكثر من ذلك دود ما زاد عليه وفسد. وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل إنسان منهم مقدار ما يكفيه ليومين، لأنه لا يأتيهم يوم السبت، وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن، فأجموا من المن، يعني: ملوا من أكله. فقالوا لموسى: قتلنا هذا المن بحلاوته وأحرق بطوننا، فادع لنا ربك أن يطعمنا لحماً. فدعا لهم موسى فبعث الله إليهم طيراً كثيراً وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ﴾، وهو السماني، وهو طير يضرب إلى الحمرة. قال بعضهم: كان طيراً يأتيهم مشوياً. قال عامة المفسرين: إنهم كانوا يأخذونها ويذبحونها.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾، يعني: قيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ وهذا من المضمرات، وفي كلام العرب يضمن الشيء إذا كان فيه دليل يستغنى عن إظهاره، كما قال في آية أخرى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، يعني: يقال لهم أكفرتم؛ وكما قال في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣] يعني قالوا: ما نعبدهم. ومثل هذا في القرآن كثير. وكذلك قوله هاهنا ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، يعني: من حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، أي أعطيناكم من المن والسلوى ولا ترفعوا منها شيئاً، كما قال في آية أخرى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه: ٨١]، يعني: لا تعصوا فيه ولا ترفعوا إلى الغد، فرفعوا وجعلوا اللحم قديداً مخافة أن ينفد، فرقع ذلك عنهم، ولو لم يرفعوا لدام ذلك عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعني: وما أضرونا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، يعني: أضروا بأنفسهم حيث رفعوا، فمنع ذلك عنهم. وروى خلاص، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْلَا يَتُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبُثِ الطَّعَامُ، وَلَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَاءَ لَمْ تُخْنِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا»<sup>(۱)</sup>.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَنْزِلَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسْتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿۵۸﴾﴾ بَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجُلًا مِنْ آلِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّسَقَتْ مَوْتَزَ لِقَوْمِهِمْ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجْوًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنثَىٰ مَن تَشْرِيهِنَّ كَلِمًا كَلُمًا فَاسْتَرْتَبْنَاهُنَّ فِي الْوُجُوهِنَّ لِيَكُنَّ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿۵۹﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، قال الكلبي: يعني أريحا، وقال مقاتل: إيليا. ويقال: هذا كان بعد موت موسى وهرون، وبعد مضي أربعين سنة، حيث أمر الله تعالى يوشع بن نون وكان خليفة موسى بأن يدخل مع قومه المدينة، فقال لهم يوشع بن نون: ادخلوا الباب سجداً، يعني: إذا دخلتم من باب المدينة فادخلوا ركعاً منحنين ناكسين رؤوسكم متواضعين، فيقوم ذلك منكم مقام السجود، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، يعني أريحا أو إيليا.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، يعني: موسعاً عليكم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، يعني: ركعاً منحنين.

﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾. قرأ بعضهم بالرفع، وبعضهم بالنصب وهي قراءة شاذة، وإنما جعله نصباً لأنه مفعول من قرأ بالرفع معناه: قولوا قولاً فيه حطة. وروى عن قتادة أنه قال: تفسير ﴿حِطَّةً﴾ يعني: حطّ عنا ذنوبنا، وقال بعضهم: بسم الله، وقال بعضهم: معناه لا إله إلا الله. وقال بعضهم: بسم الله. وقال بعضهم: أمروا بأن يقولوا بهذا اللفظ ولا ندري ما معناه.

وقوله تعالى: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام ﴿تُغْفِرْ﴾ بالياء والضمّة، لأن لفظ الخطايا مؤنث. وقرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ بالياء والضمّة بلفظ التذكير، لأن تأنيبه ليس بحقيقي ولأن الفعل مقدم. وقرأ الباقون بالنون وكسر الفاء على معنى الإضافة إلى نفسه، وذلك كله يرجع إلى معنى واحد، ومعناه: تغفر لكم خطايا الذين عبدوا المعجل. ﴿وَسْتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي في إحسان من لم يعبد

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (۲۳۳۰) ومسلم (۱۴۷۰) وأحمد: ۳۰۴/۲، ۳۱۵ والبيهقي (۲۳۳۵). وخنز اللحم: اتن.

العجل. ويقال: نغفر خطايا من رفع المن والسلوى للغد، وسنزيد في إحسان من لم يرفع إلى الغد. ويقال: نغفر خطايا من هو عاص، وسنزيد في إحسان من هو محسن. فلما دخلوا الباب خالفوا أمره. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ «أَتَهُمْ دَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ»<sup>(١)</sup>. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: «دخلوا على أستاذهم»<sup>(٢)</sup>. ويقال: دخلوا منحرفين على شق وجوههم، وقالوا: «حنطاً سقمناً» يعني حنطة حمراء، بلغة النبط استهزاء وتبديلاً، وإنما قال ذلك سفهاؤهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، يعني: فير ذلك القول وقالوا بخلاف ما قيل لهم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾، أي عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهو موت الفجاءة. وقال أبو روق: الرجز الطاعون. ويقال: مات منهم بالطاعون سبعون ألفاً في وقت واحد. ويقال: نزلت بهم نار فاحترقوا. ويقال: وقع بينهم قتال فاقتلوا، فقتل بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعني: جزاء لفسقهم وعصيانهم. ثم رجع إلى قصة موسى عليه السلام حين كانوا في التيه وأصابهم العطش فاستغاثوا بموسى، فدعا ربه، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن يضرب بعصاه الحجر، فأخذ موسى حجراً مربعاً مثل رأس الإنسان، ووضعه في المخلاة بين يدي قومه، ضَرَبَ بِعَصَاهُ عَلَيْهِ، فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا مَاءً عَذْبًا، وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً لكل سبط منهم عين على حدة.

قال الفقيه: حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مندوسة قال: حدثنا أبو القاسم، أحمد بن حمزة الصفار قال: حدثنا عيسى بن أحمد قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن الفضل بن مرزوق، عن عطية العوفي قال: تاه بنو إسرائيل في اثني عشر فرسخاً أربعين عاماً على غير ماء، وجعل لهم حجراً مثل رأس الثور، فإذا نزلوا منزلاً وضعوه فضره موسى بعصاه، فذلك قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ فإذا ساروا حملوه واستمسك. وقال بعضهم: كان يخرج عيناً واحدة ثم تنفرك على اثني عشرة فرقة، وتصير اثني عشر نهراً. وقال بعضهم: كان للحجر اثنا عشر ثقباً، يخرج منها مشربهم وموردهم، يعني: موضع شربهم من العيون. قال مقاتل: كان الحجر مربعاً، وكان جبريل عليه السلام أمر موسى يوم جاوز البحر ببني إسرائيل، وإنما انفجرت اثنا عشرة عيناً لأنه أخذ من مكان فيه اثنا عشر طريقاً.

(١) عزاه السيوطي ١٧٤/١ إلى أحمد والبخاري ومسلم وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) عزاه السيوطي ١٧٤/١ إلى ابن المنذر وابن جرير.

(٣) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «ب».

ثم قال تعالى: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ أي قد عرف كل سبط مشربهم أي موضع شربهم من العيون. لا يخالفهم فيها غيرهم. والحكمة في ذلك أن الأسباط كانت بينهم عصبية ومباهاة، وكل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر، وأراد كل سبط تكثير نفسه، فجعل لكل سبط منهم نهراً على حدة يستقون منه، ويسقون دوابهم لكيلا يقع بينهم جدال ومخاصمة. ويقال: كان الحجر من الجنة. ويقال: رفعه موسى من أسفل البحر حيث مر فيه مع قومه. ويقال: كان حجراً من أحجار الأرض.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ يعني: قبل لهم كلوا من المن والسلوى، واشربوا من ماء العيون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، يعني: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي، يقال: عثا يعثر عثواً، إذا أظهر الفساد وعثي يعثي عثياً، وعاث يعث عثواً ومعاناً ثم أجمعوا من المن والسلوى.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ رَبِّكَ فَانْجِرْ لَنَا مِنَّا ثَمَرًا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَافِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَيْنَاكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِّتْ عَلَيْهِنَّ الذَّلَّةُ وَالنَّسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِمَعْصِرِ رَبِّكَ فَكَرِهَتْ فَأَقْبَرَتْهُنَّ فَكَرِهْتُمُوهُنَّ وَتَيَسَّرَ لَكُمْ فِيهَا مِمَّا سَأَلْتُمْ وَتَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ وَيَتْلُونَ مِمَّا رَبَّرْتُمْ فِيهَا مِنِّي ذَلِكِ لِمَا كَانُوا يَمْتَدُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ رَبِّكَ﴾، يعني: من جنس واحد ﴿فَأَذَعْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ مِمَّا سَأَلُوا﴾، يعني: سل لنا ربك ﴿يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، يعني: مما تخرج الأرض ﴿مِن بَقْلِهَا وَقِثَافِهَا﴾. وقوله: ﴿بَقْلِهَا﴾ أراد به: البقول كلها، وقوله ﴿وقثافها﴾ أراد به: جميع ما يخرج من الفاكهة نحو: القثاء والبطيخ ونحو ذلك، وقوله: ﴿وقومها﴾، يعني: طعامها وهي الحبوب كلها، ويقال: هي الحنطة خاصة. وقال مجاهد: القوم الخبز. وقال الفراء: فومي لنا يا جارية، يعني اخبزي لنا، ويقال: القوم هو الثوم، والعرب تبادل القثاء بالثاء لقرب مخرجيهما. وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وقومها وعديسها وبصلها﴾.

فغضب عليهم موسى و﴿قَالَ آتَيْنَاكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، يعني: أتستبدلون الردي من الطعام بالذي هو خير، يعني: بالشريف الأعلى؟ ويقال: معناه تسألون الدنيء من الطعام وقد أعطاكم الله الشريف منه وهو المن والسلوى؟ ويقال: أتختارون الدنيء الخسيس وهو الثوم والبصل على الذي هو أعلى وأشرف وهو المن والسلوى؟ فقال لهم: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ قرأ أبي بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهما بلا تنوين يعني: مصر الذي خرجتم منه، وهو مصر فرعون، ومن قرأ ﴿مِصْرًا﴾ بالتنوين يعني: ادخلوا مصرًا من الأمصار، ﴿فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ تزرعون وتحصدون.

قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾. قال الحسن وقتادة: جعلت عليهم الجزية يعني: على ذريتهم. ويقال: جعل عليهم كذا العمل، يعني أولئك القوم حتى كانوا ينقلون السرقين.  
وقوله: ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يعني زي الفقر. قال الكلبي: الرجل من اليهود وإن كان غنياً، يكون عليه زي الفقر.

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْذُوا بِغَضَبٍ﴾، يعني: استوجبوا الغضب ﴿مَنْ أَلَّه﴾. وقال بعضهم: من الرجوع، يعني: رجعوا باللعة في أثر اللعة. ويقال: باؤوا أي احتملوا كما يقال: بؤت بهذا الذنب أي احتملته.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني: ما أصابهم من الذلة والمسكنة، وهم اليهود، بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، يعني: كذبوا عيسى وزكريا ويحيى ومحمداً، عليهم السلام ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، يعني: بغير جرم منهم، وهم زكريا ويحيى. قرأ نافع ﴿النبیین﴾ بالهمزة وكذلك جميع ما في القرآن: ﴿يا أيها النبي﴾، وقرأ الباقون: بغير همزة. وروي عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له: يا نبي الله، فقال: «الست بنبي الله ولكن نبي الله»<sup>(١)</sup> والنبیین: جماعة النبي. وأما من قرأ بالهمزة، قال: أصله من النبا وهو الخبر، لأنه أنبا عن الله، ومن قرأ بغير همزة فأصله مهموز، ولكن قريشاً لا تهمز<sup>(٢)</sup>. وقال بعضهم: هو مأخوذ من الثبوة وهو الارتفاع، لأنه مشرف على جميع الخلق. ويقال: النبي هو الطريق الواضح، سمي بذلك لأنه طريق الخلق إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾، يعني: ذلك الغضب على اليهود بما عصوا، يعني: بعصيانهم أمر الله تعالى، فخذلهم الله تعالى حين كفروا، فلو أنهم لم يعصوا الله تعالى كانوا معصومين عن ذلك.

﴿وَكَانُوا يَغْتَدُونَ﴾ يعني: يقتلهم الأنبياء وركوبهم المعاصي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ﴾، قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «إن الذين آمنوا وهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى والثورة ولم يتهودوا ولم يتنصروا». والنصارى: الذين تركوا دين عيسى وتسموا بالنصاراة. واليهود الذين تركوا دين

(١) قال السيوطي: ١٧٨/١: أخرجه الحاكم وصححه، وتعبه الذهبي وقال: منكر لم يصح.

(٢) قال السيوطي: ١٧٩/١: أخرجه الحاكم عن ابن عمر قال: «ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمز بدعة من عندهم».



موسى وتسموا باليهودية. والصابئين: هم قوم من النصارى الذين قولاً منهم. ﴿مَنْ آمَنَ﴾ من هؤلاء. ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: ثوابهم. وقال مقاتل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من الذين هادوا ومن النصارى والصابئين فلهم أجرهم. وقال القتبي: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم قوم آمنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، فكانه قال: إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين. ويقال: اليهود سموا يهوداً بقول موسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّا هُنَا بِإِتِّكَ﴾ [الأعراف: ۱۵۶]. اشتقاقه من الميل، من هاد يهود، وهو الميل عن الطريق. وأما النصارى قال بعضهم: سمو أنفسهم نصارى بقول عيسى عليه السلام حيث قال: ﴿مَنْ أَصَارَ إِلَىٰ آفْوٍ﴾ [آل عمران: ۱۵۲] ويقال: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، فتوافقوا على دينهم، فسموا نصارى. وأما الصابئي فقد أخذ من صبا يصبو، إذا مال. ويقال: من صبا يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء، لأنهم يعبدون الملائكة. قرأ نافع و﴿الصابئين﴾ بغير همز، من صبا يصبو، إذا خرج من دين إلى دين. وقرأ الباقون بالهمزة من صبا يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء. واختلف العلماء في حكم الصابئين، فقال بعضهم: حكمهم حكم أهل الكتاب، يجوز أكل ذبائحهم، ويجوز مناكحة نسائهم، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، لأنهم قوم بين اليهودية والنصرانية يقرؤون الزبور. وقال بعضهم: هم بمنزلة المجوس، لا يجوز أكل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم، وهو قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله، لأنهم يعبدون الملائكة فصار حكمهم حكم عبدة التيران.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولم يذكر في الآية الإيمان بمحمد ﷺ، لأنه لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بمحمد ﷺ، لأنه لا يكون مؤمناً بالله تعالى ما لم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ وعلى جميع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فكانه قال: من آمن بالله وبما أنزل على جميع أنبيائه، وصدق باليوم الآخر وعمل صالحاً، أي أدى الفرائض ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: لهم ثواب أعمالهم في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيما خلفوا من الدنيا. ويقال: ليس عليهم خوف النار ولا حزن الفرع الأكبر. فإن قيل فيه: كيف ذكر من آمن بالله بلفظ الوجدان، ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ولم يقل: فله أجره، قيل له: لأنه انصرف إلى ما سبق ذكره، وإنما سبق ذكر الجماعة فمرة يذكر بلفظ الوجدان لا اعتبار اللفظ، ومرة بلفظ الجمع لا اعتبار المعنى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَوَفَّقْنَا فُوقَكُمْ الظُّلُورَ حُدُوا مَا ءَاتَيْنَكُمْ بِقُوْرٍ وَأَذَكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ثُمَّ قَوْلَيْتُمْ رَبِّ! بَعْدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿۱۶۱﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾، قال ابن عباس: «هما ميثاقان: الأول: حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام، والثاني: الذي أخذ في التوراة وسائر الكتب». ﴿وَوَفَّقْنَا فُوقَكُمْ﴾

**الطُّورُ** ﴿١٠﴾ وذلك أن موسى عليه السلام، لما أتاهم بالتوراة فأروا ما فيها من التغليظ والأمر والنهي، فشق ذلك عليهم فأبوا أن يقبلوا. وإن الله تعالى قد منَّ على هذه الأمة حيث فرض عليهم الفرائض واحداً بعد واحد، ولم يفرض عليهم جملة، فإذا استقر الواحد في قلوبهم فرض الآخر. وأما بنو إسرائيل، فقد فرض عليهم دفعة واحدة، فشق ذلك عليهم ولم يقبلوا، فأمر الله تعالى الملائكة فرفعوا جبلاً من جبال فلسطين، وكان عسكر موسى فرسخاً في فرسخ، والجبل مثل ذلك، فلما رأوا أنه لا مهرب لهم، قبلوا التوراة وسجدوا من المهابة والفرع، وهم يلاحظون في سجودهم الجبل، فمن ذلك يسجد بعض اليهود على أنصاف وجوههم، فذلك قوله تعالى: **﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾**. والطور: اسم جبل بالسريانية: ويقال: هو جبل ذو أشجار.

ثم قال تعالى: **﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾**، يعني: قيل لهم: اعملوا بما آتيناكم بجد ومواظبة، واصلوا في طاعة الله **﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾**. قال بعضهم: اعملوا بما فيه. وقال بعضهم: اذكروا ما فيه من الثواب والعقاب، لكي يسهل عليكم القبول. **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**، يعني: لكي تتقوا عقوبته في المعصية فتمتنعوا عنها.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾**، أي عرضتم من بعد ذلك الإقرار، يعني: من بعد ما رفع عنكم الجبل، وقيل: البرهان وهو أخذ الميثاق، ورفع الجبل. **﴿فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾** أي من الله عليكم ورحمته بتأخير العذاب، وقيل: من بعد البيان في كتابهم بتأخير العذاب، **﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** والخسران: النقصان. **﴿فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾** بإرسال الرسل إليكم لكيلا تقيموا على الكفر **﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** في العقوبة وقيل: فضله في قبول التوبة.

**﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٠٦﴾﴾** فجعلناها نكلاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴿١٠٦﴾

ثم قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾**، يعني: اصطادوا، ويقال: استحلووا أخذ الحيتان يوم السبت. والسبت في اللغة هو الراحة، كما قال في آية أخرى **﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾** [النبا: ٩] أي راحة. فيوم السبت كان راحة لليهود عن أشغال الدنيا. وهذه الآية على معنى التحذير والنهي، فكانه قال: إنكم تعلمون ما أصاب الذين استحلووا أخذ السمك في يوم السبت من العقوبة، فاحذروا كيلا يصيبكم مثل ما أصابهم، وذلك أن مدينة يقال لها آيلة على ساحل البحر كان يجتمع فيها السمك يوم السبت حتى يأخذ وجه الماء، وفي سائر الأيام لا يأتيهم إلا قليل. وقال بعض أهل القصص: إنما كانت الحيتان تجتمع هناك لزيارة السمكة التي كان في بطنها يونس عليه السلام ففي كل سبت يجتمعن لزيارتها. ويقال: لم يكن لهذا المعنى،

ولكن كانت لهم محنة أولئك، فاحتالوا وحبسوا ذلك السمك في يوم السبت وأخذوه يوم الأحد، فلما لم تصيهم العقوبة لفعلمهم ذلك آمنوا، واستحلوا أخذها، فمسخهم الله قرده. وقد بين قصتهم في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿فَنَلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، يعني: مبعدين من رحمة الله. وأصله في اللغة: من البعد. يقال: خسا الكلب إذا بعد. ويقال: ﴿خَاسِئِينَ﴾ يعني: صاغرين ذليلين.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾، يعني: جعلنا تلك العقوبة نكالاً ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾، يعني لما سبق منهم من الذنب ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾، يعني: عبرة لمن بعدهم. ويقال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾، يعني تلك القرية ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من القرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى ليعتبروا بها. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، يعني: نهيًا لأمة محمد ﷺ وعبرة لهم.

قال الفقيه: حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد قال: حدثنا أبو بكر الواسطي قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا كثير بن هشام، عن المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن المسور بن الأحنف قال: قيل لعبد الله بن مسعود: رأيت القرده والخنازير، أمن نسل القروذ والخنازير التي قد مسخت؟ قال عبد الله بن مسعود: «إن الله تعالى لم يمسخ أمة فجعل لها نسلًا، ولكنها من نسل قروذ وخنازير كانت قبل ذلك».

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَنْجِدْنَا هُرُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا مَا مِنْهُ لَنَا مَا مِنْهُ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِشٌ وَلَا بَكَرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْئَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا مَا مِنْهُ إِنْ الْبَقَرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرَمَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَّا جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، قال ابن عباس: وذلك أن بني إسرائيل قيل لهم في التوراة: أيما قتيل وجد بين قريتين لا يدرى قاتله، فليقس إلى أيتهما أقرب، فعمد رجلان أخوان من بني إسرائيل إلى ابن عم لهما واسمه عاميل، فقتلاه لكي يرثاه، وكانت ابنة عم لهما شابة جميلة حسناء، فخشيا أن يتكهما ابن عمها عاميل، ثم حملاه فآلفياه إلى جانب قرية، فأصبح أهل القرية والقتيل بين أظهرهم، فأخذ أهل القرية بالقتيل وجاؤوا به إلى موسى.

وروى ابن سيرين عن عبيدة السلماني: أن رجلاً كان له قرابة فقتله ليرثه، ثم ألقاه على

باب رجل، ثم جاء يطلب بدمه، فهموا أن يقتلوا ولبس الفريقان السلاح، فقال رجل: أتقتلون وفيكم نبي الله؟ فجاؤوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام فأخبروه بذلك، فدعا الله تعالى في ذلك أن يبين لهم المخرج من ذلك، فأوحى الله تعالى إلى موسى، فأخبروهم بذلك وقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة تفضربوه ببعضها، يعني: ببعض أعضاء تلك البقرة فيحيا، فيخبركم من قتله **﴿قَالُوا﴾**: لموسى، **﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا؟﴾** قرأ عاصم في رواية حفص برفع الزاي بغير همزة، وقرأ حمزة بسكون الزاي مع الهمزة، وقرأ الباقون بالهمزة ورفع الزاي. ومعناه: أنتخذنا سخرية، يعني يا موسى أنتخُرُ بنا؟ فإن قيل: ألم يكن هذا القول منهم كفراً، حيث نسبوه إلى السخرية؟ قلنا: لا لأنهم قد ظهر عندهم علامات نبوته وعلموا أن قوله حق، ولكنهم أرادوا بهذا الكشف والبيان، ولم يريدوا به الحقيقة؛ فـ **﴿قَالَ﴾** لهم موسى **﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**، يعني أمتنع بالله. ويقال: معاذ الله أن أكون من المستهزئين.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «فلو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم بالمسألة فشدد الله عليهم بالمنع» لما **﴿قَالُوا﴾**: يا موسى **﴿أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾**، يقول: سل لنا ربك أن **﴿يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ﴾**، يعني: يبين لنا كيفية البقرة، إنها صغيرة أو كبيرة. **﴿قَالَ﴾** لهم موسى: **﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرٌ﴾**، يعني: لا كبيرة هرمة، ولا صغيرة **﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾**، يعني: وسطاً ونصفاً بين ذلك، يعني: بين الصغيرة والكبيرة. وقد قيل في المثل: «العوان لا تعلم الخفرة»، يعني أن المرأة البالغة ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر.

ثم قال تعالى: **﴿فَاتَّمَلُوا مَا تُمَزُونُ﴾** ولا تسألوا. فسألوا وشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا﴾**: يا موسى **﴿أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾**، يعني: سل ربك **﴿يُبَيِّنَ لَنَا مَا لُونُهَا﴾**، قال لهم موسى: **﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لُونُهَا﴾**، يعني شديد الصفرة. يقال: أصفر فاقع إذا كان شديد الصفرة، كما يقال: أسود حالك، وأبيض يقق، وأحمر قاني، وأخضر ناضر إذا وصف بالشدة. وقال بعضهم: أراد به بقرة صفراء الظلف والقرن، يعني: شعرها وظلفها وقرنها وكل شيء فيها أصفر. ويقال: أراد به البقرة السوداء، لأن السواد الشديد يضرب إلى الصفرة، كما قال تعالى: **﴿كَالْقَصْرِ كَأَنَّكُمْ جَمَلَتْ سُمْرُهُ﴾** (المرسلات: 33)، يعني: سود وكما قال القائل:

بَلِّغْ خَيْلِي مِنْكُمْ، وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالرِّبِيبِ

أراد بالصر السود. ولكن هذا خلاف أقاويل المفسرين، وكلهم اتفقوا أنه أراد به: اللون الأصفر، إلا قولاً روي عن الحسن البصري.

قوله عز وجل: **﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾**، يعني: تعجب من نظر إليها لحسن لونها، فشددوا على أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ، يعني: إنها من العوامل أو من غير العوامل. ﴿إِنَّ الْبَقْرَ نَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾ ، يعني: تشاكل علينا في أسنانها ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ، يعني نهتدي للفتل. أو يقال: لمهتدون إلى البقرة، أي ندرکہا بمشيئة الله تعالى. وروى عن ابن عباس أنه قال: «لولا أنهم استثنوا لم يدركوها». وروى عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذُوا أَذَى بَقْرَةٍ لَأَجْرَأَتْ عَنْهُمْ، وَلَوْلا أَنَّهُمْ قَالُوا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ مَا وَجَدُوهَا»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ﴾ ، لهم موسى: إن ربكم ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ ذَلُولٌ﴾ ، يعني: لم يذللها العمل. وقال أهل اللغة: الذلول في الدواب مثل الذليل في الناس، يقال: رجل ذليل بين الذلِّ، ودابة ذلول بينة الذل. ﴿ثَبِيرُ الْأَرْضِ﴾ يعني: ثقلها للزراعة. ويقال للبقرة: المشيرة: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ، يعني لا يسقى عليها الحرث، أي لا يستسقى عليها الماء لسقي الزرع، ومعناه: أن هذه البقرة لم تكن تعمل شيئاً من هذه الأعمال. ﴿مُسَلِّمَةٌ﴾ يعني: مهذبة سليمة من العيوب. ويقال: مسلمة من الألوان. ﴿لَا شِبْهَ فِيهَا﴾ ، يعني: لا عيب فيها ويقال: لا وضح ولا سواد ولا بياض ولا لون سوى الصفرة. وقال أهل اللغة: أصله من وشى الثوب، وأصله في اللغة: لا وشية فيها، ولكن حذفت الواو منها للخفة مثل عدة وزنة.

فلما وصف لهم موسى تلك ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ، يعني: الآن أتمت الصفة، ويقال: الآن جئت بالصفة التي كنا نطلب. ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ ، يعني: البقرة: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، يعني: كادوا أن لا يذبحوها. وقد قيل: إنما لم يريدوا أن يذبحوها، لأن كل واحد منهم خشي أن يظهر القاتل من قبيلته. وقال بعضهم: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمن البقرة، لأنهم كانوا لا يدركون بقرة بتلك الصفة. وروى عن وهب بن منبه أنه قال: لم توجد تلك البقرة إلا عند فتى من بني إسرائيل، كان باراً بوالديه وكان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس عند رأس أمه ويقول لها: إن لم تقدرى على القيام فسبحي الله وهللي، وكان ورث من أبيه بقرة فلم يجد أهل تلك القرية بقرة على تلك الصفة إلا هذه البقرة، فاشتروها بملء مسكها دنائير. وقال بعضهم: كان رجل يبيع الجوهر، فجاءه إبليس يوماً من الأيام بجراب من اللؤلؤ فعرض عليه، وأراد أن يبيع منه بمائة ألف، وكان ذلك يساوي مائتي ألف. فلما أراد أن يشتري، فإذا مفتاح الصندوق كان تحت رأس أبيه وهو نائم، فذهب ليوقظه ليرفع المفتاح فيدفع الثمن، ثم قال في نفسه: كيف أوقظ أبي لأجل ربح مائة ألف، ولم يحتمل قلبه فرجع، فقال: أبي نائم. فقال له إبليس: اذهب فأيقظه فإني أبيع منك بخمسين ألفاً فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه فرجع، فلا

(١) عزاء السيوطي في الدر المنثور ١/١٨٩ إلى البزار والقرطبي وسعيد بن منصور وابن المنذر.

يزال يحط من الثمن حتى بلغ إلى عشرة دراهم فلم يوقظه وترك ذلك الشراء، فجعل الله في ماله البركة حتى اشتروا بقرته بملىء مسكها ذهباً.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ فَقَلْنَا أضرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي: تدافعتم، أي: ألقى بعضكم على بعض. يقال: ادارأ القوم إذا تدافعوا، وقال القتيبي: أصله تدارأتم، فادغمت التاء في الدال وأدخل الألف ليسلم السكون للدال، ويقال: هذا ابتداء القصة، ومعناه: وإذ قتلتم نفساً فأتيتم موسى وسألتموه أن يدعو الله تعالى، وقال موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، يعني: مظهر ما كنتم تصمون من قتل عاميل.

وقوله تعالى: ﴿فَقَلْنَا أضرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يعني: اضربوا الميت ببعض أعضاء البقرة. قال بعضهم: بفخذها الأيمن. وقال بعضهم: بلسانها. وقال بعضهم: بعجزها وهو عظم في أصل ذنبها، ويقال: عليها يتركب الخلق، فأول شيء يخلق ذلك الموضع، ثم يركب عليه سائر البدن، وهو آخر الأعضاء فساداً بعد الموت. فلما ضربوه جلس وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلتني ابنا عمي. فأخذوا وقتلا، ولم يعط لهما من ميراثه شيئاً. وقال عبدة السلماني: لم يورث قاتل قط بعد صاحب البقرة.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُخْبِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾، كان في ذلك دليل لأولئك القوم أن البعث كائن لا محالة، لأنهم رأوا الإحياء بعد الموت معانية. وكان في ذلك أيضاً دليل لهذه الأمة ولمشركي العرب وغيرهم، لأن الله تعالى لما أخبر محمداً ﷺ بذلك، وأخبرهم فصدقه في ذلك أهل الكتاب ولم يكونوا على دينه، فكان من أدل الدليل عليهم بالبعث. قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾، يعني: عجائبه مثل إحياء الموتى وغيره. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أي تفهمون أن الذي يخبركم به محمد ﷺ حق.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْهِيَاطَةِ لَمَّا يَنْجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَقِقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَحِيطُ مِنْ حَشِيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِتَعَوِّلٍ عَلَّمَا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿أَنْتُمْ تَكْتُمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَاتٍ مِنْ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَحْسَرُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾، قال الزجاج: تأويل ﴿قست﴾ في اللغة غلظت ويست، فتأويل القسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ



ذَلِكَ ، قد قيل : من بعد إحياء الميت ، ويحتمل بعد الآيات التي ذكرت ، نحو مسخ الفردة والخنازير ورفع الجبل وتفجير الأنهار من الحجر وغير ذلك . وقال بعض الحكماء : يعني قوله : **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ** ، يعني : يبست . ويبس القلب أن يبس عن مائين : أحدهما : ماء خشية الله والثاني : ماء شفقة الخلق .

ثم قال تعالى : **فَنهَم كَالْحِجَارَةِ** ، وكل قلب لا يكون فيه خشية الله تعالى ، ولا شفقة الخلق ، فهو كالحجارة .

وقوله تعالى : **أَزْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ، قال بعضهم : بل أشد قسوة ، مثل قوله : **إِن يَأْتِ آيَةٌ أَوْ يُزِيدُواكَ** [الصفوات : ١٤٧] بمعنى : بل يزيدون ، وكقوله : **كَلَّمَجِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** [النحل : ٧٧] ، أي : بل هو أقرب ، وكقوله : **قَاب قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى** . أي : بل هو أدنى . وقال بعضهم : معناه وأشد قسوة ، والألف زائدة . وقال الزجاج : **أَوْ** للتخيير يعني : إن شئتتم شبتهم قسوتها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة فأنتم مصيبون كقوله عز وجل : **أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ** [البقرة : ١٩] ثم قال : **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ** ، يعني : الحجر الذي تخرج منه العيون في الجبل فأعذر الحجارة ، وعاب قلوبهم بقساوتها ، حين لم تكن بذكر الله ولا بالمواعظ فقال : **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ** ، يعني : الحجر الذي تخرج منه العيون في الجبل . ويقال : أراد به حجر موسى عليه السلام الذي كان يخرج منه العيون .

قوله تعالى : **وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشْقَى** ، يعني : من الحجارة ما يتصدع **فَيُخْرَجُ مِنْهَا الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** . ويقال : كل حجر يتردى من رأس الجبل إلى الأرض فهو من خشية الله . ويقال : أراد به الجبل الذي صار دكاً حين كلم الله موسى عليه السلام . ويقال : هو جميع الجبال ، مما زان الحجر من مكانه . وقال بعضهم : هو على وجه المثل ، يعني : لو كان له عقل لهبط من خشية الله تعالى ، وهو قول المعتزلة ، وهو خلاف أقاويل أهل التفسير .

قوله تعالى : **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ، قرأ ابن كثير وابن عامر : **يَعْمَلُونَ** بالياء والباقون بالياء . واختلفوا في مواضع أخرى . قرأ حمزة والكسائي في كل موضع **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ، وفي كل موضع **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** [مرد : ١١٣] بالياء . واختلفت الروايات عن غيرهما . وهذا كلام التهديد ، يعني : أن الله تعالى يجازيك بما تعملون فيحذرهم بذلك .

ثم ذكر التعزية للنبي ﷺ لكيلا يحزن على تكذيبهم إياه ، وأخبره أنهم من أهل السوء الذين مضوا فقال تعالى : **أَفَنْتَضِعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ** ، قال ابن عباس : يعني به النبي ﷺ خاصة . وقال بعضهم : أراد به النبي ﷺ وأصحابه ، أفنتضعون أن يصدقوكم **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ** ؟ فإن أراد به النبي ﷺ خاصة ، فمعناه : أفنتضع أن يصدقوك؟ وقد يذكر لفظ الجماعة ويراد به الواحد ، كما قال في آية أخرى **بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ** [يونس : ٨٣] ،



وقال: ﴿إِنَّ قُرْآنَكَ كَانَ مِنْ قَبْلِهِ مَوْجِبٌ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ۷۶]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: ۱۴]، أراد به النبي ﷺ خاصة كذلك ها هنا.

ثم قال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾، قال في رواية الكلبي: يعني السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام إلى طور سيناء فسمعوا هناك كلام الله تعالى، فلما رجعوا قال سفاهؤهم: إن الله أمر بكذا وكذا بخلاف ما أمرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: غيره من بعد ما حفظوه وفهموه. وقال بعضهم: إنما أراد به الذين يغيرون التوراة. وقال بعضهم: يغيرون تأويله وهم يعلمون.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (۷۶) ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (۷۷) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظَنُّونَ﴾ (۷۸)

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: المنافقين منهم ﴿قَالُوا﴾ للمؤمنين ﴿آمَنَّا﴾، يعني: أقرنا بالذي أقرتم به. وهم منافقو أهل الكتاب. ﴿وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، يعني: إذا رجعوا إلى رؤسائهم، ﴿قَالُوا﴾ بعضهم لبعض: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: أتخبرونهم بأن ذكر محمد ﷺ في كتابكم فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك حجة لهم عليكم؟ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾، أي ليخاصمكم. ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ باعترافكم أن محمداً ﷺ نبي لا تتبعوه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفليس لكم ذهن الإنسانية، لا ينبغي لكم هذا فيما بينكم.

قال الله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. قال بعضهم: ﴿مَا يَسْرُونَ﴾ في قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ بالقول فيما بينهم. وقال بعضهم: ﴿مَا يَسْرُونَ﴾ فيما بينهم، ﴿وما يعلنون﴾ مع أصحاب محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾، يعني: من أهل الكتاب وهم السفلة أميون لا يقرؤون الكتاب، يقول: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته. وقال الزجاج: الأمي المنسوب إلى ما عليه جبلة الأمية، يعني: هو على الخلقة التي خلقت، لأن الإنسان في الأصل لا يعلم شيئاً ما لم يتعلم.

وقوله عز وجل: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾، قال بعضهم: إلا التلاوة، وهذا كما قال في آية أخرى ﴿إِلَّا إِنَّا نَسَخَ أَفْقَىٰ اللَّيْلُ نَسْخَ فِي أُمِّيَّتِهِ﴾ [الحج: ۵۲]، يعني: في تلاوته. يعني: إن السفلة منهم لا يعرفون من التوراة شيئاً سوى تلاوته. وقال بعضهم: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾: إلا أباطيل. وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: «ما تغنيت ولا تمنيت»، أي ما تكلمت بالباطل منذ

أسلمت. وروي في الخير: «أن الإنسان إذا ركب دابته ولم يذكر الله تعالى، صكّه الشيطان في فناه ويقول له: تغنّ، فإن لم يحسن الغناء، يقول له: تمنّ يعني: تكلم بالباطل». ﴿وَأَن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، يعني: السفلة لأنه قد ظهر لهم الكذب من رؤسائهم فكانوا يشكون في أحاديثهم، وكانوا يظنون من غير يقين. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والظن فإنه من أكذب الحديث»<sup>(١)</sup>.

﴿قَوْلِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِمْ نَمَنَّا قَلِيلًا قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(٧٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، الويل: الشدة من العذاب. ويقال: الويل كلمة تستعمل عند الشدة ويقال: يا ويلاه. ويقال: الويل واد في جهنم.

قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر أنه قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا وكيع عن سفيان، عن زياد، عن ابن عباس قال: «الويل واد في أصل جهنم يسيل فيه صديدهم»<sup>(٢)</sup>. وإنما صار رفعا بالابتداء. وقال الزجاج: ولو كان هذا في غير القرآن لجاز (قويلا) على معنى: فجعل ويلا للذين، إلا أنه لم يقرأ. وذلك أن رؤساء اليهود محوا نعت محمد ﷺ وكتبوا سوى نعته، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ للسفلة ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَمَنَّا قَلِيلًا﴾، يعني: عرضاً يسيراً من مال الدنيا. وروي عن إبراهيم النخعي: أنه كره أن يكتب المصحف بالأجرة، وتأول هذه الآية ﴿قَوْلِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. إلى قوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ نَمَنَّا قَلِيلًا﴾ وغيره من العلماء أباحه.

ثم قال: ﴿قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: مما يصيبهم من العذاب ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾، يعني: مما يصيبون، فجعل لهم الويل ثلاث مرات.

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّقْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَتْلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّقْدُودَةً﴾، روي عن الضحاك أنه قال: لم يكن أحد من الكفار أجراً على الله تعالى من اليهود، حين قالوا: ﴿عُرِّبَرُ أَيُّنُ اللَّهُ﴾<sup>(الثوبة: ٣٠)</sup>

(١) حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا... أخرجه مالك: ٩٠٨/٢ والبخاري (٦٠٦٦) ومسلم (٢٥٦٣) (٢٨) وأحمد ٥١٧، ٤٦٥/٢ وأبو داود (٤٩١٧) والبيهقي: ٨٥/٦، ٢٣١/١٠.

(٢) عزاه السيوطي ٢٢/١ إلى هناد في الزهد. وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد بن حميد.

وقالوا: إن الله فقير، وأيضاً **«وَقَالُوا لَنْ نَمْسُكَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً»**، أي: مقدار الأيام التي عبد فيها آباؤنا العجل، وهي أربعون يوماً. وقال مجاهد: **«لَا أَيَّامًا مَعْدُودَةً»**: أي مقدار عدد أيام الدنيا وهي سبعة أيام. وهكذا روي عن عكرمة، عن ابن عباس: وقال بعضهم: كان مذهبهم مذهب جهنم: في أنهم لا يرون الخلود في النار.

قال الله تعالى: **«قُلْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدَاءُ»**، قال الزجاج: أعهد إليكم ألا يعذبكم إلا هذا المقدار، إن كان لكم عهد؟ **«فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ»**، أي وعده. ويقال: أعقدتم عند الله عهداً؟ وهو عقد التوحيد، **«فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ»** أي وعده. وقد قيل: هل أنزل عليكم بذلك آية؟ **«أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ»**، أي بل تقولون على الله **«مَا لَا تَعْلَمُونَ»**. وروي في الخبر: «أنه إذا مضت عليهم في النار تلك المدة، قالت لهم الخزنة: يا أعداء الله ذهب الأجل وبقي الأبد، فأيقنوا بالخلود».

**«كَبَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ خَطِيبَتِهِمْ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»** (٨٢) **«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»** (٨٣)

قال الله تعالى **«بَلَىٰ»**، يعني: بلى يخلد فيها **«مَن كَسَبَ سَيِّئَةً»**، يعني: الشرك **«وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ خَطِيبَتِهِمْ»**، يعني: مات على الشرك. وقال بعضهم: السيئة الشرك، والخطيئة الكبائر. وهو قول المعتزلة خذلهم الله تعالى: إن أصحاب الكبائر مخلدون في النار. وقال الربيع بن خثيم: **«وأحاطت به خطيئته»** الذي يموت على الشرك. قرأ نافع **«خطاياهم»** وهو جمع خطيئة. وقرأ والباقون **«خطيئته»** وهي خطيئة واحدة، والمراد به الشرك. **«فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»** يعني: دائمين لا يخرجون منها أبداً.

قوله تعالى: **«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»**، معناه: والذين صدقوا بالله وبمحمد ﷺ وعملوا الصالحات أي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، يعني: أدوا الفرائض وانتهوا عن المعاصي، **«أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»**، يعني دائمين لا يموتون ولا يخرجون.

**«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ»** (٨٣)

قوله تعالى: **«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»**، يعني: وقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل في التوراة، يعني: بمجيء محمد ﷺ. ويقال: الميثاق الأول حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام.

وقوله: **«لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ»**، قرأ حمزة والكسائي وابن كثير **«لَا يَعْْبُدُونَ»** بالياء، وقرأ

الباقون بالثناء. فمن قرأ بالياء، فمعناه: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا يعبدوا إلا الله، ومن قرأ بالياء فمعناه: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل وقلنا: لا تعبدوا إلا الله، يعني: أخذنا عليهم الميثاق بأن لا تعبدوا إلا الله، يعني: لا توحدوا إلا الله. ﴿وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾، نصب إحساناً على معنى أحسنوا إحساناً، فيكون إحساناً بدلاً من اللفظ، أي: أحسنوا إلى الوالدين يعني: برأ بهما وعطفاً عليهما. وفي هذه الآية بيان حرمة الوالدين، لأنه قرن حق الوالدين بعبادة نفسه. ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل إحداها بدون الأخرى. إحداها: قوله عز وجل: ﴿وَأَطِئُوا اللَّهَ وَأَطِئُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، والثانية: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [القصص: ١٤]، والثالثة: ﴿وَأَبِئُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣ وغيرها].

وقوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾، يعني: أحسنوا إلى ذي القربى ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾، يعني: أحسنوا إلى اليتامى ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾، والإحسان إلى اليتامى والمساكين: أن نحسن إليهم بالصدقة وحسن القول. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، قرأ حمزة بنصب الحاء والسين، وقرأ الباقون برفع الحاء وسكون السين. فمن قرأ بالنصب يعني: قولوا للناس حسناً يعني: قولوا لهم قولاً صدقاً في نعت محمد ﷺ وصفته كما بين في كتابكم. ونظيرها في سورة طه ﴿أَلَمْ يَبْدِكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦]، أي: وعداً صدقاً. ومن قرأ بالرفع، فمعناه: قولوا لجميع الناس حسناً يعني: خالقوا الناس بالخلق الحسن، فكانه يأمر بحسن المعاشرة وحسن الخلق مع الناس. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: أقرؤا بها، وأدوها في مواقيتها. ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾، المفروضة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، يعني: أعرضتم عن الإيمان والميثاق، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾، أي: تاركون لما أخذ عليكم من المواثيق.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ثُمَّ أَفَرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ قَتْلَهُدُونَ ﴿٨٧﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهَلْ تُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتَوِيْتُونَ بِعِضِ الْكِتَابِ وَتَكْتُمُونَ بَعْضٌ مَّا جَاءَ مِنْ يَدَيْكُمْ لِأَنَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَيْومَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْكَ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِمُنْفِعِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٨٩﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾، أي: إقراركم ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾، أي: بأن لا تسفكوا دماءكم، يعني: لا يهريق بعضكم دماء بعض، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: لا يخرج بعضكم بعضاً ﴿مِن دياركم﴾. فجملة ما أخذ عليهم من الميثاق ألا يعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ويقولوا للناس حسناً، ويقوموا

الصلاة، ويؤتوا الزكاة ولا يسفكوا دماءهم، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأن ينادوا أسراهم. فذكر المفادة بعد هذا حيث قال تعالى: **﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أسَارَى تَفَادُوهُمْ﴾** تفدوهم على وجه التقديم والتأخير.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾**، يعني: بني قريظة والنضير، يعني: أقررتهم بهذا كله، وأنتم تشهدون أن هذا في التوراة، فنقضوا العهد فغيرهم الله تعالى بذلك فقال تعالى: **﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾**، يعني: أنتم يا هؤلاء، ويقال: معناه، ثم أنتم هؤلاء يا معشر اليهود **﴿تقتلون أنفسكم﴾** أي يقتل بعضهم بعضاً، **﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾**، يعني: بعضكم بعضاً، لأنه كان بين الأوس والخزرج عداوة وكان قريظة وبنو النضير: إحدى القبيلتين كانت معينة للأوس، والأخرى كانت معينة للخزرج، فإذا غلبت إحدهما على الأخرى كانت تقتلهم وتخرجهم من ديارهم. وفي الآية دليل أن الإخراج من الدار ينزل منزلة القتل، لأن الله تعالى قرن الإخراج من الديار بالقتل حيث قال تعالى: **﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾**.

وقوله: **﴿نَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ﴾**، قرأ أهل الكوفة وحزمة وعاصم والكسائي بالتحفيف، وقرأ الباقون بالتشديد **﴿نَظَاهِرُونَ﴾** لأن أصله تنظاهرون، فأدغم إحدى التاءين في الظاء وأقيم التشديد مقامه، معناه: تتعاونون عليهم **﴿بِالْإِيمَانِ وَالْعَدْوَانِ﴾**، يعني: بالمعصية والظلم. قال الزجاج: العدوان هو الإفراط في الظلم. **﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أسَارَى تَفَادُوهُمْ﴾**، قرأ عاصم والكسائي ونافع **﴿أسارى تَفَادُوهُمْ﴾** كلاهما بالألف، وقرأ حمزة **﴿أَسْرَى تَفَادُوهُمْ﴾** بغير ألف فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر **﴿أسارى تَفَادُوهُمْ﴾** الأول بالألف والثاني بغير ألف. وهذا من الميثاق الذي أخذ عليهم بأن ينادوا الأسارى.

وقوله تعالى: **﴿وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾** هذا انصرف إلى ما سبق ذكره من الإخراج، فكأنه يقول: وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم وهو محرم عليكم، يعني: ذلك الإخراج كان محرماً، ثم بين الإخراج مرة أخرى لتراخي الكلام، فقال: **﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾**. ثم قال: **﴿أَفْتَتُمُونُونَّ بِبَغْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَّ بِبَغْضِ﴾**، لأنهم كانوا إذا أسروا من غيرهم قتلوا الأسرى ولا ينادوهم، وإن أسر منهم أحد يأخذوهم بالفداء، فهذا معنى قوله تعالى: **﴿أَفْتَتُمُونُونَّ بِبَغْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَّ بِبَغْضِ﴾**.

ثم قال: **﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جُزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**، يعني: عقوبة من يفعل ذلك منكم إلا حزي في الحياة الدنيا، وهو إخراج بني النضير إلى الشام وقتل بني قريظة، وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم. ثم أخبر أن الذي أصابهم في الدنيا من الحزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم ولكنهم: **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾**. ويقال: الحزي في الدنيا الجزية.

ثم قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أي لا يخفى على الله تعالى من أعمالهم شيء، ويجازون بأعمالهم.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾، يعني: اختاروا الدنيا على الآخرة ﴿فَلَا يَخْفَىٰ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ﴾، ليس لهم مانع يمنعهم من العذاب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَدْوِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني: أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾، يعني: أعطينا موسى عليه السلام التوراة جملة واحدة، ويقال: الألواح ﴿وَوَفَّيْنَا مِنْ بَدْوِهِ بِالرُّسُلِ﴾، يعني: أتبعنا وأرقدنا، معناه: أرسلنا رسولا على أثر رسول. يقال: قفوت الرجل إذا ذهب في أثره. ﴿وَأَتَيْنَا﴾، يعني: أعطينا ﴿عيسى ابن مريم البينات﴾، يعني: الآيات والعلامات مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ﴾. قرأ ابن كثير ﴿القدس﴾ بسكون الدال، وقرأ الباقون برفع الدال؛ تفسيرهما واحد، يعني أعانه بجبريل حين أرادوا قتله فرفعه إلى السماء. وقال بعضهم: ﴿أيدناه﴾ أي قويناه وأعناه باسم الله الأعظم الذي يحيي به الموتى.

وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ﴾ يقول: بما لا يوافق هواكم ﴿استكبرتم﴾، يعني: تعظمتم من الإيمان. قال الزجاج: معناه أنتمم أن تكونوا أتباعاً له، لأنه كانت لهم رياسة وكانوا متبوعين، فلم يؤمنوا مخافة أن تذهب عنهم الرياسة. فقالوا: ﴿ففریقاً كذبتم﴾، مثل عيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليهما وعلى جميع الأنبياء وسلم ﴿وفریقاً تقتلون﴾، مثل يحيى وزكريا عليهما السلام.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ وَلَمَّا بَاءَهُمْ كَيْتَبٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ بَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧٩﴾﴾ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعَثْنَا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَهُمْ بِعَفْسٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، قرأ ابن عباس رضي الله عنه: ﴿غُلْفٌ﴾ بضم اللام وهي نراة شاذة. وقرأ الجمهور بسكون اللام، يعني ذو غلاف، والواحد أغلغف مثل: أحمر وحمر. ومعناه: أنهم يقولون قلوبنا في غطاء من قولك ولا نفقه حديثك. وهذا كما قال في آية أخرى



﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَرٍ﴾ [فصلت: ٥]. وأما من قرأ ﴿غُلْفٌ﴾ فهو جماعة الغلاف، على ميزان حمار وحمز. يعنون: أن قلوبنا أوعية لكل علم ولا نفقه حديثك، فلو كنت نبياً لفهمنا قولك. قال الله تعالى ردّاً لقولهم: ﴿بَلْ لَعْنَتُهُمْ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ يعني: خذلهم الله وطردهم مجازاة لكفرهم. ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، صار نصباً لأنه قدم المفعول. وقال بعضهم: معناه لا يؤمنون إلا القليل منهم، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال بعضهم: إيمانهم بالله قليل، لأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. وقال بعضهم: معناه أنهم لا يؤمنون، كما قال: فلان قليل الخير يعني: لا خير فيه.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: موافقاً للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع. ويقال: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني يدعوهم إلى تصديق ما معهم، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بالتوراة. ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: من قبل مجيء محمد ﷺ كانوا يستنصرون على المشركين، لأن بني قريظة والنضير قد وجدوا نعت محمد ﷺ في كتبهم فخرجوا من الشام إلى المدينة، ونزلوا بقربها ينتظرون خروجه. وكانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب يستفتحون عليهم، أي: يستنصرون ويقولون: اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وكتابتك الذي تنزل عليه الذي وعدتنا، وكانوا يرجون أن يكون منهم، فتمسروا على عدوهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يعني: باسم النبي ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، يعني: عرفوا محمداً ﷺ وعرفوه ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ وغيروا صفة مخافة أن تزول عنهم منفعة الدنيا. قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعني: سخط الله وعذابه على الجاحدين بمحمد ﷺ.

ثم قال عز وجل: ﴿بِشْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾. قال الكلبي: بشس ما باعوا به أنفسهم من الهدايا بكتمان صفة محمد ﷺ. ويقال: بشس ما صنعوا بأنفسهم حيث كفروا بما أنزل الله عليهم، بعد ما كانوا خرجوا من الشام على أن ينصروا محمداً ﷺ. وكفروا به حسداً منهم، فذلك قوله: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، يعني حسداً منهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿أَنْ يَنْزَلَ اللهُ﴾، يعني: كفروا مما ينزل الله تعالى. ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: لم يؤمنوا لأجل أن الله تعالى ينزل من فضله النبوة والكتاب ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، من كان أهلاً لذلك وهو محمد ﷺ. ﴿فَبَاؤُوا بِغُضْبِ عَلَى غُضْبٍ﴾ يعني: استوجبوا اللعنة على إثر اللعنة. قال مقاتل: الغضب الأول حين كفروا بعبسى عليه السلام، واستوجبوا الغضب الآخر حين كفروا بمحمد ﷺ. ويقال: الغضب الأول حين عبدوا العجل، والغضب الثاني حين استحلوا السمك في يوم السبت. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿أَنْ يَنْزَلَ اللهُ﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. وأنزل يُنزل، ونزل يُنزلُ معناهما واحد.



قوله تعالى: **﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾** أي: يهانون فيه.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نُنزِلُ وَمَا نُنزِلُ بِأَرْءَابٍ وَمَا وَرَاءَهُمْ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** ﴿٩١﴾

ثم قال عز وجل: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾**، يعني: صدقوا بالقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، وهم يهود أهل المدينة ومن حولها. **﴿قَالُوا نُنزِلُ بِمَا نُنزِلُ﴾** في التوراة وبموسى عليه السلام **﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾**، يعني: بما سواه وهو القرآن. **﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾**، يعني: القرآن هو المصدق، وهو منزل من الله تعالى موافق لما معهم، يعني: أنهم إذا جحدوا بالقرآن صار جحدوا بما معهم، لأنهم جحدوا بما هو مصدق لما معهم فقالوا له: إنك لم تأتنا بمثل الذي آتانا به أنبياءنا، ولم يكن لنا نبي إلا كان آتينا بقرآن يأكله النار.

قال الله تعالى: **﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾** وقد جازوا بالقرآن والبيئات، أي بالعلامات **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**، أي إن كنتم مصدقين بالأنبياء. فهذا اللفظ للمستأنف، وهو قوله تعالى: **﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾**، ولكن المراد منه الماضي، وإنما خاطبهم وأراد به آباءهم. وفي الآية دليل أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها، لأنهم كانوا راضين بقتل آباءهم الأنبياء، فسامهم الله تعالى قاتلين. وفي الآية دليل أن من ادعى أنه مؤمن، ينبغي أن تكون أفعاله مصدقة لقوله، لأنهم كانوا يدعون أنهم مؤمنون بما معهم. قال الله تعالى: **﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾**، يعني: أي كتاب جُوز فيه قتل نبي من الأنبياء عليهم السلام، وأي دين وإيمان جُوز فيه ذلك؟ يعني: قتل الأنبياء.

**﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾**، يعني: بالآيات والعلامات. ويقال: بالحلال والحرام والحدود والفرائض. **﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾**، يعني: عبدتم العجل **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾**، يعني: بعد انطلاق موسى إلى الجبل. **﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾**، أي: كافرون بعبادتكم العجل.

**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ يَقْوُوا وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنشَرِينَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَقْسَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيْمَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِقُوَّةٍ﴾**، أي بجد ومواظبة في طاعة الله **﴿وَأَسْمِعُوا﴾**، يعني: قيل لهم اسمعوا، **﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾**. قال في

رواية الكلبي: قالوا: سمعنا قولك وعصينا أمرك، ولولا مخافة الجبل ما قبلنا. ويقال: إنهم يقولون في الظاهر: سمعنا، ويضمرون في أنفسهم: وعصينا أمرك.

ثم قال: **﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾**، يعني: جعل حلاوة عبادة العجل، في قلوبهم مجازاة لكفرهم. ويقال: حب عبادة العجل فحذف الحب، وأقيم العجل مقامه؛ ومثل هذا يجري في كلام العرب. كما قال في آية أخرى: **﴿وَسَبَّ الْقَرْيَةَ﴾** [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية.

ثم قال تعالى: **﴿قُلْ بِشَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾**، يعني: بشس الإيمان الذي يأمركم بالكفر. وقال مقاتل: معناه إن كان حب عبادة العجل في قلوبكم يعدل حب عبادة خالقكم، فبشس ما يأمركم به إيمانكم **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** كما ترعمون.

**﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (٩١) **﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَنَّهُ عَيْنٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** (٩٥) **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمُ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْتَضٍ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** (٩٦)

قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾** يعني: الجنة. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: إن الجنة لنا خاصة من دون سائر الناس. قال الله تعالى لمحمد ﷺ: قل لهم: إن كان الأمر كما تقولون إن الجنة لكم خاصة. **﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾**، يعني: سلوا الله الموت يعني: بما عملوا من المعاصي **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** أن الجنة لكم. فقال لهم النبي ﷺ: **﴿قُولُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ: اللَّهُمَّ آمِنَّا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا غَضُّ بِرَيْحِهِ﴾**، يعني: يموت مكانه. فأبوا أن يقولوا ذلك، فنزل: **﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾** يعني: بما عملوا من المعاصي. قال الزجاج: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة رسالة النبي ﷺ، لأنه قال لهم: **﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾** وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً، فلم يتمنه واحد منهم. ويقال إن قوله: **﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾** إنما يقع على الحياة الدنيا خاصة، ولا يقع على أمر الآخرة، لأنهم يتمنون الموت في النار إذا كانوا في جهنم. وفي هذه الآية دليل أن لفظة **﴿لَنْ﴾** لا تدل على التأييد، لأنهم يتمنون الموت في الآخرة خلافاً لقول المعتزلة في قوله: **﴿لَنْ تَرَانِي﴾** ويقال: ولو أنهم سألوا الموت في الدنيا ولم يموتوا، وكان في ذلك تكذيباً لقول النبي ﷺ، وكان في ذلك أيضاً ذهاب معجزته. فلما لم يتمنوا الموت، ثبت بذلك عندهم أنه رسول الله وظهر عندهم معجزته، وظهر أن الأمر كما عز وجل ثم قال: **﴿وَأَنَّ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**، فهو عليم بهم وبغيرهم من الظالمين، وإنما الفائدة هاهنا أنه بمجازاتهم عليهم.

ثم قال عز وجل: **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾**، يعني: أن اليهود أحرص الناس على البقاء. **﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾**، يعني: أحرص الناس على الحياة، وأحرص من الذين أشركوا قال الكلبي: **﴿الذين أشركوا﴾** يعني المجوس. وقال مقاتل: **﴿أحرص الناس على حياة﴾** وأحرص **﴿من الذين أشركوا﴾** يعني مشركي العرب. فإن قيل: كيف يصح تفسير الكلبي والمجوس لا يسمون مشركين؟ قيل له: المجوس مشركون في الحقيقة، لأنهم قالوا بالهين اثنين: النور والظلمة.

قوله تعالى: **﴿يَبُودُ أَحَدُهُمْ﴾**، يعني: المجوس يقولون لملوكهم في تحيتهم: عش عشرة آلاف سنة وكل ألف نيروز. وقال مقاتل: يود أحدهم يعني اليهود **﴿لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾**، ثم قال: **﴿وَمَا هُوَ بِمُرْخِزِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرَ﴾**، يعني: طول حياته لا يبعده ولا يمنعه من العذاب وإن عاش ألف سنة كما تمنى. **﴿وَاللهَ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾** يعني عالم بمجازاتهم بأعمالهم.

**﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

قوله تعالى: **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾**، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لليهود: «ما لكم لا تؤمنون بمحمد ﷺ؟» قالوا: لأن جبريل هو الذي ينزل عليه بالوحي، فلو نزل عليه ميكائيل بالوحي لآمنا به، لأن ميكائيل ملك الرحمة، وجبريل ملك العذاب فنزلت هذه الآية. ويقال: إنهم كانوا يقولون: إن النبوة كانت فينا، فجبريل صرف النبوة عنا لعداوته معنا، فنزلت هذه الآية **﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾**. قال بعضهم: في الآية مضمر، ومعناه: قل من كان عدوًّا لجبريل فلا يبغضه، فإن جبريل هو الذي ينزل بالقرآن فيقرأه عليك فتحفظه في قلبك **﴿بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** من التوراة. ويقال: هذا على وجه الترغيم، فكانه يقول: قل من كان عدوًّا لجبريل، فإن جبريل هو الذي ينزل عليك رغماً لهم بهذا القرآن ليقراء عليك، وليثبت به فؤادك. وهذا القرآن **﴿وَهُدًى﴾** هدى من الضلالة **﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**. أي لمن آمن به من المؤمنين.

ثم قال الله عز وجل: **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾**، ومعناه: من كان عدوًّا لجبريل فإنه عدو لله **﴿وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾**، يعني: اليهود.

ويقال: إن عبد الله بن سوريا هو الذي قال لعمر: إن جبريل عدونا لأنه ينزل بالشدة والخوف، وميكائيل ينزل بالرخاء، فنزلت هذه الآية **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾** الآية. قرأ حمزة والكسائي وقرأ عاصم في رواية أبي بكر

﴿جَبْرِئِيلَ﴾ بفتح الجيم والراء والهمزة، ﴿وَمِيكَائِيلَ﴾. بالياء مع الهمزة. وقرأ نافع ﴿جبريل﴾ بكسر الجيم والراء بغير همزة ﴿وَمِيكَالَ﴾ بالهمزة بغير ياء. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص بغير همزة بكسر الجيم والراء وميكال بغير همز وياء. وقرأ ابن كثير جبريل بنصب الجيم ﴿جبريل﴾ بغير همزة و﴿ميكائيل﴾ بغير الهمزة والياء. وقرأ ابن عامر جبريل بكسر الجيم مثل قراءة نافع وميكائيل بالياء مع المد والهمزة مثل حمزة، وإنما لم ينصرف لأنه اسم أعجمي، فوقع ذلك في لسان العرب فاختلّفوا فيه لاختلاف ألفاظهم ولغاتهم. ويقال: جبريل وميكائيل بمنزلة عبد الله وعبد الرحمن، يعني: بلغتهم غير لغة العربية.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: واضحات. ويقال: مبيّنات للحلال والحرام. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾، يعني: وما يجحد بالآيات ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ يعني: الكافرين من اليهود ومشركي العرب.

﴿أَوْكَلْنَا عَهْدًا وَعَهْدًا بُدِّئَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

قال عز وجل: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾، وهو العهد الذي بُيّن لهم في التوراة ويوم الميثاق ﴿بُدِّئَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾، أي تركه ولم يعمل به فريق منهم، أي طائفة منهم. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقد ذكرناه.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، يعني: محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾، يعني: يدعوهم إلى تصديق ما معهم، ﴿بُدِّئَ فَرِيقٌ﴾، يعني: طرح فريق ﴿مِمَّنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يؤمنوا به، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في كتابهم بأن محمداً رسول الله.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّخْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتٌ وَمُرُوتٌ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِبَصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَإِذْنَ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَحْسُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا سُكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾، يعني: تقفرو الشياطين ويقال: ما كتبت

الشياطين، ويقال: ما ألفت الشياطين ويقال: ما افتعلته الشياطين. ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾، أي على عهد سليمان. ويقال: ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى: في، أي في ملك سليمان، ويقال: في وقت ذهاب ملك سليمان. ويقال: هذا منسوب على الأول، فكأنه قال: نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين، يعني: تركوا سنة أنبياء الله واتبعوا السحر. ويقال: تركوا شيئين واتبعوا شيئين: تركوا اتباع الكتب واتباع الرسل والعمل بذلك، واتبعوا ما تتلو الشياطين أي ما تدونه الشياطين ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِنَابِلٍ هَازُوتٌ وَمَأْرُوتٌ﴾.

واختلفوا في سبب ذلك، قال بعضهم: إن سليمان عليه السلام أمر بأن لا يتزوج امرأة من غير بني إسرائيل، فتزوج امرأة من غير بني إسرائيل يقال لها: ضُبَيْبَةُ بنت صابورا، فعاقبه الله تعالى بأن أجلس مكانه الشيطان؛ وكان الناس يظنون أنه سليمان، فأشكل عليهم أمره، فجاؤوا إلى آصف بن برخيا، وكان معلم سليمان بن داود في حال صغره وكان وزيره في حال كبره مذكراً فقالوا له: إن قضاياه لا تشبه قضايَا سليمان. فقام آصف ودخل على نساء سليمان فسألهن عن ذلك فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكتنا وهلكتم والله ما يعتزل منا حائضاً، ولا يغتسل من جنابة، هكذا ذكر في رواية الكلبي.

وقال بعضهم: هذا خطأ لأن نساء الأنبياء معافات معصومات عن الفواحش، فلا يجوز أن يظن بهن أن الشيطان يقربهن وهو الأصح. وقال بعضهم: كان هذا على وجه الخيال لا على وجه الحقيقة، لأن الشيطان روحاني وليس له جسم، فلا يجوز أن تقع بينه وبين آدمي شهوة، ولكن كان يربهن ذلك على وجه الخيال. فلما عرف الشيطان أن الناس علموا بحاله، كتب سحراً كثيراً وجعله تحت كرسبه وألقى خاتم سليمان في البحر وهرب. وكان سليمان خرج إلى ساحل البحر وأجر نفسه من الملاحين كل يوم بسمكتين، فلما أعطوه أجره، باع إحداهما واشترى به الخبز وشق بطن الأخرى، فوجد الخاتم في بطنها فرجع إلى ملكه فلما توفي سليمان جاء الشيطان على صورة آدمي وقال: إن أردتم أن تعلموا علم سليمان بن داود عليهما السلام فانظروا تحت كرسبه. فنظروا وحفروا ذلك الموضع وأخرجوا منه كتباً كثيرة، فوجدوا فيها السحر والكفر، فقال العلماء منهم: لا يجوز أن يكون هذا من علم سليمان، وقال السفهاء منهم: بل هذا من علم سليمان فاتبعوه، فنزلت هذه الآية على محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء عذراً لسليمان عليه السلام.

ثم قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، يعني: ما كان ساحراً. وفي الآية دليل أن الساحر كافر، لأنه سُمي الساحر كفراً. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى جرير بن معاوية وهو عم الأحنف بن قيس: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة».

ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾، يعني: هم الذين كتبوا السحر. قرأ حمزة

والكسائي ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ بكسر النون من غير تشديد ورفع النون في ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ وقرأ الباقون بتشديد النون مع النصب ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ بفتح النون في ﴿الشَّيَاطِينَ﴾. وهذا هو الأصل في اللغة، فإن كلمة أن لكن إذا كانت مشددة تنصب ما بعدها، وإن لم تكن مشددة ترفع ما بعدها.

وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر؛ وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويعلمون الناس السحر وأبواب النيرنجيات، فكان سليمان يأخذ ذلك منهم ويدفنه تحت الأرض، فلما مات سليمان قالت الشياطين للناس: إن علم سليمان مدفون في موضع كذا وكذا، فحفروا ذلك الموضع وأخرجوا منه كتباً كثيرة. وقال بعضهم: معناه أن سليمان كان إذا أصبح كل يوم، رأى نباتاً بين يديه فيقول له: لأي دواء أنت؟ فيقول: لكذا وكذا، وإن اسمي كذا. وكان سليمان يكتب ذلك، فنبت يوماً من الأيام نبات بين يديه فقال له سليمان: ما اسمك؟ فقال: خرنوب. فقال له: لأي دواء أنت؟ فقال: لخراب المسجد. فعلم سليمان أنه قد جاء أجله، لأنه علم أن المسجد لا يخرّب في حياته، وكان له صحيفة فيها يكتب أسماء الأدوية ويضعها في الخزانة، فكتبت الشياطين سحراً ووضعوه في ذلك الموضع، فلما مات سليمان وجدوا ذلك في كتبه فأتبعه بعض الناس فذلك قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، يعني: اتبعوا الذي أنزل على الملكين يعني: وهما الملكان ﴿يَبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾. حدثنا القاضي الخليل بن أحمد قال: حدثنا الماسرجسي فقال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا حكام بن سليمان الرازي قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ يَبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾. قال: «إن الناس بعد آدم وقعوا في الشرك، واتخذوا هذه الأصنام، وعبدوا غير الله تعالى، فجعلت الملائكة يدعون عليهم ويقولون: ربنا خلقت عبادك فأحسن خلقهم، ورزقتهم فأحسن رزقهم، فعصوك وعبدوا غيرك». فقال لهم الرب عز وجل: إنهم في عذر، وقيل: في عيب فجعلوا لا يعذرونهم ويدعون. فقال لهم الرب: اختاروا منكم اثنين، فأهبطهما إلى الأرض فأمرهما ونهاهما، فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطهما الله تعالى إلى الأرض فأمرهما ونهاهما عن: الزنى، وقتل النفس، وشرب الخمر. فمكثا زمناً يحكمان في الأرض بالحق. وكان في ذلك الزمان امرأة فضّلت بالحسن على سائر النساء، فأتيا عليها فحضا لها بالقول وراوداها عن نفسها فقالت: لا حتى تصليا لهذا الصنم، فقالا: هذا أمر عظيم، هذا كفر بالله، فأبيا، ثم عبدا زمناً، فأبيا عليها، فحضا لها بالقول، فقالت: لا حتى تصليا لهذا الصنم أو تقتلا هذه النفس، أو تشربا هذا الخمر. فقالا: أهون الثلاثة شرب الخمر. فشربا الخمر، فلما شربا الخمر وفعلا بالمرأة وقتلا النفس، فكشف الغطاء

فيما بينهما وبين الملائكة، فنظروا إليهما وما يعملان، فجعلت الملائكة بعد ذلك يعذرون أهل الأرض ويستغفرون لمن في الأرض. فقيل لهاروت وماروت: اختارا إما عذاب الدنيا فهما يعذبان، وإما عذاب الآخرة. فقالا: عذاب الدنيا يذهب وينقطع، وعذاب الآخرة لا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذبان إلى يوم القيامة.

وروي في الخبر: أن المرأة تعلمت منهما اسم الله الأعظم، فصعدت إلى السماء فمسحها الله تعالى كوكباً. ويقال: هو الكوكب الذي يقال له الزهرة. وروي عن ابن عمر: كان إذا نظر إلى الزهرة لعنها ويقول: «هي التي فتنت هاروت وماروت». وروي عن علي رضي الله عنه هذا<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن هذا الكوكب قد كان في الأصل خلقه حين خلق النجوم، وجعل مدار الأشياء على سبع من الكواكب، وجعل لكل كوكب سلطاناً، وجعل سلطان الزهرة الرطوبة واسمها بالعبرانية: ناهيد وبالقبطية بيذخت، وقال بعضهم: إن كوكب الزهرة قد كان، ولكن الله تعالى مسح هذه المرأة على شبه الكوكب فهي تعذب هناك. وقال بعضهم: قد صارت إلى النار، كما أن سائر الأشياء التي مسخت لم يبق منها أثر فذلك قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلِكِينَ﴾، يعني: اليهود اتبعوا ﴿وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلِكِينَ بِبَابِلْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ﴾، قال بعضهم: هذا ﴿مَا﴾ للنفي، فكأنه يقول: ولم ينزل على الملكين السحر. وقال بعضهم: إن إبليس قد جاء بالسحر ووضعه عند أقدامهما وهما معلقان بالسلسلة فيذهب اليهود ويتعلمون السحر من تلك الكتب والملكان يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، يعني: لا تتعلم السحر، لأنه لا يجوز للملكين أن يعلموا الكفر. وقال بعضهم: ويبينان أن عمل السحر كفر، وينهيان عن التعلم، ويبينان كيفية السحر، ويكون بمنزلة رجل قال لآخر: علمني ما الزنى أو علمني ما السرقة، فيقول له: إن الزنى كذا وكذا، وهو حرام فلا تفعل وإن السرقة كذا وكذا هي حرام فلا تفعل. كذلك هاهنا الملكان يقولان: السحر كذا وكذا، وهو كفر فلا تكفر. وقرأ بعضهم ﴿وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلِكِينَ﴾ بكسر اللام وهي قراءة شاذة، يعني: كانا ملكين في بني إسرائيل فمسحهما الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني: اختبار أو ابتلاء. وأصل الفتنة الاختبار. وقوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ يعني: من الملكين: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾، يعني: فيتعلمون منهما من السحر ما يفرقون به بين الرجل وزوجته، يؤخذ الرجل عن المرأة حتى لا يقدر على الجماع.

(١) عزاه السيوطي ٢٣٩/١ إلى ابن جرير والخطيب وابن راهويه وابن مردويه. وقال: وأخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه عن أبي العباس قال: «كانت الزهرة امرأة في قومها».



وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾ من الناس ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، أي بإرادة الله تعالى ويقال: بتخلية الله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ، يعني: ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في الآخرة، ويقال: ما يضرهم بعلم الله في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا، يعني السحر.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ، يعني: اليهود علموا في التوراة أن من اختار السحر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ يعني: نصيب. والخلاق في اللغة: هو النصيب الوافر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، يقول: لبئس ما باعوا به أنفسهم. ويقال: بشس ما اختاروا لأنفسهم السحر على كتاب الله تعالى وسنن أنبيائه لو كانوا يعلمون، ولكنهم لا يعلمون. فإن قيل: ذكر في الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ وفي هذه الآية يقول: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فمرة يقول: يعلمون، ومرة يقول: لا يعلمون. فالجواب أن يقال: إنهم يعلمون ولكن لا منفعة لهم من علمهم، وكل عالم لا يعمل بعلمه فليس بعالم، لأنه يتعلم العلم لكي ينتفع به، فإذا لم ينتفع به فكأنه لم يعلم، فكذلك ما هنا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ، لو كانوا يوفون للعلم حقه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ بِأَيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ ، يعني: اليهود، ولو صدقوا بشواهد الله واتقوا السحر، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يعني: كان ثواب الله تعالى خيراً لهم من السحر، والمثوبة والثواب بمعنى واحد وهو الجزاء على العمل وكذلك الأجر ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، فهذا نداء المدح، يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد ﷺ ، ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . وذلك أن المسلمين كانوا يأتون رسول الله عليه السلام ويقولون له: يا رسول الله ﴿راعنا﴾ وهو بلغة العرب: أرعنا سمعك وأصله في اللغة: من راعيت الرجل إذا تأملته وتعرفت أحواله . وكان هذا اللفظ بلغة اليهود سباً بالرعبنة، فلما سمعت اليهود ذلك من المسلمين، أعجبهم ذلك فقالوا فيما بينهم: كنا نسب محمد سراً فالآن نسبه علانية، فكانوا يقولون حين يأتونه: راعنا يا محمد، ويريدون به السب.

وقال بعضهم: كان في لغتهم معناه: اسمع لا سمعت، فنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ . فنهى المسلمين أن لا يقولوا بهذا اللفظ، وأمرهم أن يقولوا بلفظ أحسن منه.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ أي أطيعوا ما تؤمرون به. ثم ذكر الوعيد



مجاهد أنه قال: نثبت خطها، ونبدل حكمها. فهذا هو المعروف عند الناس. والنسخ الثاني: أن ترفع الآية المنسوخة بعد نزولها، ولهذا دلائل جاءت فيه، من ذلك: ما روي عن النبي ﷺ أنه صلى ذات يوم صلاة الغداة، فترك آية، فلما فرغ من صلاته قال: «هَلْ فِيكُمْ أَبِي؟» قالوا: نعم. قال: «هَلْ تَرَكَتُمْ مِنْ آيَةٍ؟» قالوا: نعم تركت آية كذا، أنسخت أم نسيت قال: «لا، وَلَكِنْ نَسِيتُ». وجاءت الآثار في نحو هذا، أن الآية قد تنسخ بعد نزولها وترفع. والنسخ الثالث: تحويلة من كتاب إلى كتاب، وهو ما نسخ من أم الكتاب، فأنزل على محمد ﷺ ﴿أَوْ نَسَّاها﴾ أي تركها في اللوح المحفوظ.

وقال بعضهم: لا يجوز النسخ فيما يرفع كله بعد نزوله، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ زَرَقْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُهَيِّظُونَ﴾ [الحجر: 9] وقال: ﴿إِنَّا عَيْنًا جَمَعَهُمْ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17] ولكن أكثر أهل العلم قالوا: يجوز ذلك. والنسخ يجوز في الأمر والنهي والوعد والوعيد ولا يجوز في القصص والأخبار، لأنه لو جاز ذلك يكون كذباً، والكذب في القرآن لا يجوز. ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعني: من الناسخ وانسوخ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يحكم فيهما ما يشاء بالأمر ثم يأمر غيره. قال الزجاج: المملك في اللغة: هو تمام القدرة، وأصل هذا من قولهم: ملكت العجين إذا بالغت في عجنه. ومعنى الآية: أن الله يملك السموات والأرض وما فيهما. فهو أعرف بما يصلحهم فيما يتعبدون به من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغير متروك. وكان اليهود أعداء الله ينكرون النسخ، وكانوا يقولون حين تحولت القبلة إلى الكعبة: لو كنتم على الحق فلم رجعتم؟ ولو كان هذا الثاني حقاً، فقد كنتم على الباطل، وكانوا لا يرون النسخ في الشرائع، لأن ذلك حال البداء ولا يجوز ذلك على الله. ولكن الجواب أن يقال: إن الله تعالى يدبر في أمره ما يشاء، كما أنه يخلق الخلق ولم يكونوا، ثم يميتهم بعد ذلك، ثم يحييهم كذلك يجوز أن يأمر ثم يأمر بغير ذلك، كما أن شريعة موسى لم تكن من قبل، فأمره بذلك. والمعنى في ذلك: أنه حين أمرهم بالأمر الأول كان الصلاح في ذلك الأمر ثم إذا أمر بأمر آخر كان الصلاح في ذلك الوقت في الأمر الثاني، وهذا هو معنى قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني: هو أعلم بأمر الخلق، وما يصلحهم في كل وقت.

ثم بين الوعيد لمن لم يؤمن بالناسخ والمنسوخ فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، يعني: عذاب الله من ﴿ولِيٍّ﴾ أي: من قريب ينفعكم ﴿ولا نصيرٍ﴾ أي مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾، قال مقاتل: معناه أتريدون أن تسألوا رسولكم ﴿كما سئل موسى من قبل﴾، يعني: كما سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام حيث قالوا: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ جَهْرَةٌ﴾ ﴿النساء: ١٥٣﴾. ويقال: إن اليهود سألو أصحاب رسول الله ﷺ بأن يظلبوا الغريبان كما كان لموسى. وروي عن الضحاك أنه قال: دخل جماعة من كفار قريش منهم أبو جهل وغيره فقالوا للرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً فاكشف عنا الغطاء حتى نرى الله جهرة، فنزلت هذه الآية: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث قالوا: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَنَّهُ جَهْرَةٌ﴾، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾، أي يختار الكفر على الإيمان، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، يعني أخطأ قصد السبيل وهو طريق الهدى.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾؛ وذلك أن المسلمين لما أصابتهم المحنة يوم أحد، قالت اليهود لعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان: قد أصابكم ما أصابكم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم، فنزلت هذه الآية ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يريد ويتمنى كثير من أهل الكتاب ﴿لَوْ يَرُدُّوكُمْ﴾، يعني: يصذنوكم ويردونكم عن التوحيد ﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ إلى الكفر.

ثم أخبر أن هذا القول لم يكن منهم على وجه النصيحة، ولكن هذا القول كان ﴿حَسَدًا﴾ منهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ ما في التوراة أنه ﴿الْحَقُّ﴾، يعني: أن دين محمد ﷺ هو الحق، ﴿فَاعْتَرُوا وَأَصْفَحُوا﴾، يقول: اتروكهم وأعرضوا عنهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾، يعني: الأمر بالقتال، وكان ذلك قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب، ثم أمرهم بعد ذلك بقتالهم، وهو قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا الَّذِي لَمْ يَكُن مِّنْ أَمْرٍ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿حَتَّىٰ يَبْطُغُوا الْبِحْرَةَ﴾ ﴿التوبة: ٢٩﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصرة للمسلمين على الكفار. ويقال: هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَرَّبُوا إِلَيْكُمْ مِن حَتْمٍ فَعِدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ﴾ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾**، يعني: أفرؤا بالصلاة وأدوها في مواعيتها بركوعها وسجودها وخشوعها، **﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾**، يعني: أعطوا الزكاة المفروضة.

ثم قال: **﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾**، يعني: ما تصدقتم من الصدقة وتعملون من العمل الصالح، تجدوه عند الله محفوظاً بجزئكم به. ونظير هذا ما قال في آية أخرى **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَسَّرًا﴾** [آل عمران: ٢٠]، وقال: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧]. وذكر أنه مكتوب في بعض الكتب: يا ابن آدم، ضع كتفك عندي لا سرق ولا حرق ولا فساد، تجده حين تكون أحوج إليه.

ثم قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**، يعني: عالماً بأعمالكم، يجازيكم بالخير خيراً وبالشر شراً.

**﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ آمَانِيَّتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [١١١] **﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [١١٢].

قوله تعالى **﴿وَقَالُوا﴾**، يعني اليهود والنصارى، وهم يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران. **﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾** فاليهود جماعة الهائد، وإنما أراد به اليهود، وهذا من جوامع الكلم، وهذا كلام على وجه الاختصار، فكأنه يقول: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً. وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. قال الله تعالى ردّاً لقولهم: **﴿تِلْكَ آمَانِيَّتُهُمْ﴾**، أي ظنهم وأباطيلهم. وهذا كما يقال للذي يدعي ما لا يبرهن عليه: إنما أنت متمن، وإنما يراد به: إنك مبطل في قولك.

ثم قال تعالى: **﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾**، يعني: حججتكم من التوراة والإنجيل. **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**، يعني: بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً.

قوله تعالى: **﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾**، معناه: بل يدخل الجنة غيركم من أسلم وجهه لله، يعني: من أخلص دينه لله وآمن بمحمد ﷺ **﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾** في عمله، **﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾**، يعني: ثوابه في الآخرة. **﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾** من العذاب حين يخاف أهل النار، **﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمر الدنيا. ويقال: الخوف إنما يستعمل في المستأنف، والحزن في الماضي، كما قال الله تعالى: **﴿لِيَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾** [الحديد: ٢٣] ويقال: الخوف ثلاثة: خوف الأبد، وخوف الانقطاع، وخوف الحشر والحساب. فأما خوف الأبد فيكون أمناً للمسلمين، وخوف العذاب على الانقطاع يكون أمناً للتائبين، وخوف الحشر والحساب يكون أمناً للمحسين. والمحسنون يكونون آمنين من ذلك.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبِستِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَبِستِ الْيَهُودَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿۱۱۳﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبِستِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَبِستِ الْيَهُودَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يعني: من أمر الدين. وروي عن ابن عباس أنه قال: «صدقوا ولو حلفوا على ذلك ما حثوا، لأن كل فريق منهم ليس على شيء». ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، يعني: عندهم ما يخرجهم من ذلك الاختلاف أن لو نظروا فيه. وقال الزجاج: معناه، كلا الفريقين يتلون الكتاب وبينهم هذا الاختلاف، فدل ذلك على ضلالتهم. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، يعني: الذين ليسوا من أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعني: أنه يريهم من يدخل الجنة عياناً يدخل النار عياناً، ويبين لهم الصواب ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، في الدنيا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَمَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿۱۱۴﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، قال في رواية الكلبي: ومن أكثر. وقال بعضهم: هذا التفسير غير سديد، لأن الكفر كله سواء. ولكن معنى قول الكلبي: «ومن أكثر»، يعني من أشد في كفره، لأن الكفار وإن كانوا كلهم في الكفر سواء، فربما يكون بعضهم في كفره أشد شراً من غيره. قال الكلبي: نزلت هذه الآية في شأن ططوس بن أسفيانوس الرومي، حيث خرب بيت المقدس وألقى فيه الجيفة، وكان خراباً إلى زمن عمر رضي الله عنه فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَمَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾، فلم يدخلها بعد عمارتها رومي إلا خائفاً ومستخفياً، لو علم به قتل. قال قتادة: هم النصاري. وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى ويقال: من أراد أن يكون ملكاً عليهم، لا يمكنه ذلك ما لم يكن دخل مسجد بيت المقدس، فيجيء ويدخله مستخفياً.

ثم قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾، يعني: بفتح مدانهم الثلاثة: قسطنطينة، وعمورية، وأرمينية. وقال بعضهم: لنزول الآية سبب آخر، وذلك أن النبي ﷺ لما خرج عام الحديبية إلى مكة، ومنعه أهل مكة فرجع، ولم يدخلها منها تلك السنة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَمَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾، يعني: سعى في منع المسلمين عن الصلاة، وذكر الله فيها لأن عمارة المسجد بالصلاة، وذكر الله فيها وخرابها في ترك ذلك. ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يعني: بعد فتح مكة، فلا يقربون المسجد الحرام بعد عامهم هذا إلا خائفين.



قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو فتح مكة، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لمن مات على كفره أو قتل. وروى الزجاج عن بعض أهل العلم قال: نزلت في شأن جميع الكفار، لأن الكفار كانوا يقاثلون المسلمين ويمنعونهم من الصلاة، فقد منعوا المسلمين عن جميع المساجد، لأن الأرض كلها جعلت مسجداً وطهوراً. فمعناه: ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام؟ قال: ومعنى قوله ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾، يعني: دار الإسلام يعني: يظهر الإسلام على سائر الأديان كقوله تعالى: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ۲۳ وغيرها].

﴿وَلِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾. قد اختلفوا في سبب نزول هذه الآية. روي عن ابن عباس أنه قال: «خرج رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر فأصابهم الضباب، فمتمهم من صلى إلى المشرق، ومنهم من صلى إلى المغرب، فلما طلعت الشمس وذهب الضباب، استبان لهم ذلك، فلما قدموا على النبي ﷺ سألوه عن ذلك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾، يعني: ﴿فأينما تولوا﴾ وجوهكم في الصلاة ﴿فتم وجه الله﴾. قال بعضهم: فتم قبله الله. وقال بعضهم: فتم رضا الله. وقال بعضهم: فتم ملك الله. وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن قوماً خرجوا إلى السفر وذكر القصة نحو هذا. وقال بعضهم: المراد به الصلاة على الدابة.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن سعيد الترمذي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا علي بن شيبه قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً، حيث ما توجهت به<sup>(۱)</sup> وهو جاء من مكة، ثم تلا ابن عمر: ﴿وَلِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾. قال ابن عمر: في هذا نزلت هذه الآية».

وقال بعضهم: لنزول هذه الآية سبب آخر: وذلك أن النبي عليه السلام كان يصلي إلى بيت المقدس، فلما أمر بالتحويل إلى الكعبة، قالت اليهود: مرة يصلون هكذا، ومرة يصلون هكذا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلِلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾، يعني: الواسع الجواد المحسن، يقبل اليسير، ويعطي الجزيل عليم بصلواتكم. ويقال: ﴿واسع﴾ يعني: يوسع عليكم أمر الشرائع، ولم يضيق عليكم الأمر. ويقال: ﴿واسع﴾ يعني: واسع الفضل ويقال: ﴿واسع﴾ الغني عن صلاة الخلق، وإنما

(۱) حديث ابن عمر: أخرجه مالك: ۱/۱۵۱ والبخاري (۱۰۹۶) ومسلم (۷۰۰) (۳۷) (۳۸) وأحمد: ۲/۶۶ والتسائي: ۱/۲۴۴ و ۲/۶۱ والبيهقي: ۲/۴.



يطلب منهم النية الخالصة، **«عليهم»** بنياتكم. وقال الزجاج: معنى قوله: **«فَقَمَّ وَجَهَ اللَّهُ»**، يعني: اقتصدوا وجه الله بنيةكم القبلية، كقوله: **«وَبَحِثْ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَيُوبِعْكُمْ سَطْرًا»** [البقرة: ۱۴۴ و ۱۵۰].

**﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَكُمْ قَدِيثُونَ﴾**

**﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**

قال عز وجل: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا﴾**، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام **﴿قالوا﴾** بغير واو. وقرأ الباقون بالواو، ومعناها واحد، لأن الواو للعطف، وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال بعض المشركين: الملائكة بنات الله. فالله: **﴿سُبْحَانَ﴾**، نزه نفسه عن الولد. **﴿بَلْ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** كلهم عبده **﴿كُلُّ لَكُمْ قَدِيثُونَ﴾**، يعني مطيعون ومقرون بالعبودية، مجيئون للطاعة. وقد قيل: إن لفظ الآية عام والمراد به الخاص.

وقوله: **﴿كُلُّ لَكُمْ قَدِيثُونَ﴾** يعني به: المؤمنين خاصة. ويقال معناه: أثر صنعه وشواهد توحيدِهِ ودلائل ربوبيته في جميع ما في السموات والأرض. ويقال: **﴿كُلُّ لَكُمْ قَدِيثُونَ﴾** يعني: كل خلق لا يستطيع أن يغير نفسه عن خلقته، فأخبر الله تعالى أن جميع ما في السموات والأرض له، خالق الأشياء، والمستغني عن الولد سبحانه وتعالى.

ثم قال عز وجل: **﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، يعني: خالقهما. والإبداع في اللغة: إنشاء شيء لم يسبق إليه على غير مثال ولا مشورة. وإنما قيل لمن خالف السنة: مبتدع، لأنه أتى بشيء لم يسبقه إليه الصحابة ولا التابعون. ومعناه: هو خالق السموات والأرض. **﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾**، يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً، **﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**. ويقال: هذه الآية نزلت في شأن وفد نجران السيد والعاقب وغيرهما، وكانوا يقولون للنبي ﷺ: هل رأيت خلقاً من غير أب؟ فنزلت هذه الآية: **﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**، كما كان عيسى بن مريم عليه السلام خلقه من غير أب. فإن قيل: قوله: **﴿كُنْ﴾** هذا خطاب للموجود أو للمعدوم؟ فإن قال: الخطاب للمعدوم. قيل له: كيف يصح الخطاب لشيء معدوم، وكيف يصح الإشارة إليه بقوله: **﴿كُنْ﴾**؟ فإن قال: الخطاب للموجود. قيل له: كيف يأمر الشيء الكائن بالكون؟ فالجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها، فكان الخطاب للموجود في علمه. وجواب آخر: أن معناه إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كُنْ فيكون، يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً يخلقه، والقول فيه على وجه المجاز. قرأ ابن عامر **﴿فَيَكُونُ﴾** بالنصب، لأن جواب الأمر بالفاء، وقرأ الباقون بالرفع على معنى الاستئناف، يعني: فهو يكون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ نَحْوِ مَا قَالُوا لَوْلَا نُكَلِّمُكَ اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلُ آيَةٍ﴾ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ نَحْوِ مَا قَالُوا لَوْلَا نُكَلِّمُكَ اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلُ آيَةٍ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي لا يعلمون توحيد الله تعالى ومعناه. وقال الجاهل من الناس وهم الكفار: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾، يعني: هلا يعلمنا الله فيخبرنا بأنك رسوله، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾، يعني: علامة لنبوتك.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: اليهود لموسى عليه السلام: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَنَّا جَاهِلُونَ﴾ [النساء: ١٥٣]. ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، يعني في القسوة والكفر. ويقال: تشابهت كلمتهم كما تشابهت قلوبهم في القسوة والكفر.

قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾، يعني: في التوراة أي العلامات إنك نبي مرسل في الصفة والنعمة. ويقال: قد بينا العلامات لنبوتك. ويقال: لم يكن لني من الأنبياء معجزة وعلامة إلا وقد كان للنبي ﷺ مثلها. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾، يعني مؤمني أهل التوراة. ويقال: من كان له عقل وتمييز.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ أَهْلُوهُ وَلَا الضَّرِيءَ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ بِلَهُمْ قُلُوبُهُمْ هَلْ هَكَذَا اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ آيَةٌ إِلَّا الْآيَةُ الَّتِي جَاءَكَ مِنَ الْمَلَأِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، يعني: بالقرآن. ويقال ﴿بالحق﴾: أي لأجل الحق ويقال: أي بالدعوة إلى الحق. ويقال: ببيان الحق. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾؛ قرأ نافع ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بنصب التاء وجزم اللام، والباقون برفع التاء واللام. فمن قرأ بالرفع، فمعناه: أنك إذا بلغت الرسالة، فإنك قد فعلت ما عليك، ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ عما فعلوا، وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿فَلَمَّا عَلَيكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤] ومن قرأ بالنصب، فهو في معنى النهي، أي ﴿لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ أي عما فعلوا.

قال الفقيه: حدثنا القاضي الخليل بن أحمد: أخبرنا الذبيلي قال: أخبرنا أبو سعيد الله قال: حدثنا سفيان، عن موسى بن عبيدة الردي، عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ بِأَبَوَيْ» (١). فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.

(١) عزاه السيوطي: ٢٧١/١ إلى وكيع وسفيان، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي. وقال السيوطي: هذا مرسل ضعيف الإسناد لا تقوم به حجة. والقرظي تابعي =

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾، يعني: يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، يعني: تصلي إلى قبلتهم. ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾، يعني: إن قبله الله هي الكعبة ﴿وَلَمَّا تَبَيَّنَ أَهْوَاءُهُمْ﴾، يعني: صليت إلى قبلتهم ﴿بِعَذِّ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، يعني من بعد ما ظهر لك أن القبلة هي الكعبة، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينفك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾، يعني: مانع بمنك. ويقال: معناه ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، يعني: حتى تدخل في دينهم، وذلك أن الكفار كانوا يطلبون الصلح، وكان يرى أنهم يسلمون، فأخبره الله تعالى أنهم لن يرضوا عنه، حتى يتبع ملتهم، فنهاه الله عن الركون إلى شيء مما يدعون إليه. فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾، يعني: دين الله هو دين الإسلام. ﴿وَلَمَّا تَبَيَّنَ أَهْوَاءُهُمْ﴾، وهذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه أمته، يعني: لئن اتبعت دينهم بعد ما جاءك من العلم، يعني: ما ظهر أن دين الإسلام هو الحق ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾، أي من عذاب الله ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينفك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾، أي: مانع يمنعك عنه.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب يصفونه في كتبهم حق صفته لمن سألتهم. قال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه. وقال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود قال: «والله إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأ حق قراءته كما أنزل الله تعالى، ولا يحرف عن مواضعه». ويقال: يقرؤونه حق قراءته. ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ ويصدقونه. ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾، يعني: بمحمد ﷺ ويقال بالقرآن، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وهو كعب بن الأشرف وأصحابه. ويقال: نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، وهم اثنان وثلاثون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وكانوا يتبعون القرآن حق اتباعه.

﴿يَذِيٰٓرَ إِسْرَءِيْلَ اذْكُرُوْا يَمْثِيۡرَ الَّذِيۡ اٰتَمَنۡتُمْ عَلَيۡكُمْ وَاَنۡتُمْ عَلَیۡ الْعٰنِيۡنَ ﴿١١٦﴾ وَاَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَنۡ نَّفۡسٍ سَيِّئًا وَلَا يُقۡبَلُ يَنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا نِنۡعَمُهَا سِنۡمَةً وَلَا هُمۡ يُصۡرَوۡنَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا بِعِمِّيَّتِي الَّتِي اٰتَمَنۡتُمْ عَلَيۡكُمْ﴾، إلى قوله ﴿وَلَا هُمُ يَنْصُرُونَ﴾، قد ذكرناها من قبل.

= ثقة فالحديث مرسل. والعريضي ضعفه أحمد وقال: منكر الحديث، وقال غيره: كذاب ومتروك الحديث.

﴿ وَإِذْ أَنْتَنَّا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قَالَ إِبْنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ دُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، قرأ ابن عامر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، وروي عنه أنه قرأ ﴿أَبْرَاهِيمَ﴾ وهي لغة بعض العرب، وقرأ غيره ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في جميع القرآن، وهو اسم أعجمي ولهذا لا يتصرف. وروي عن ابن عباس أنه قال: «أمر الله تعالى إبراهيم بعشر خصال من السنن: خمس في الرأس، وخمس في الجسد»<sup>(١)</sup>، وروي عن النبي ﷺ نحو هذا.

حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن الفضل البلخي قال: حدثنا أبو بشر محمود بن مهدي، قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطاة، عن عطاء قال: قال رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِمَّا عَلِمَهُنَّ وَعَمِلَ بِهِنَّ أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ، وَخَمْسٌ فِي الْجَسَدِ؛ فَأَمَّا الَّتِي فِي الرَّأْسِ: فَالسُّوَاكُ وَالْمُضْمَضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْجَسَدِ فَالْحِثَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَالِاسْتِجَاءُ وَتَنْفُؤُ الْإِبْطِ وَقَصُّ الْأُظْفَارِ»<sup>(٢)</sup> ويقال: ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، يعني: اختبره. والاختبار من الله تعالى: أن يظهر حاله ليستوجب الثواب أو العقاب، لأن الله تبارك وتعالى لا يعطي الثواب والعقاب ما لم يظهر منه ما يستوجب به الثواب أو العقاب بما يعلم. كما علم من إبليس الكفر، ولم يلغنه بما لم يختبره وأظهر منه ما يستوجب به اللعنة والعقوبة.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنْتَنَّهُنَّ﴾، يعني: عمل بهن. ويقال: كان إبراهيم أفضل الناس في زمانه، وأكرم على الله تعالى، فابتلاه الله عز وجل بخصال لم يبتل بذلك غيره، فكان من الابتلاء: أن أمه ولدته في غار. ومن الابتلاء: حيث نظر إلى الكوكب فقال: هذا ربي. وروي عن الحسن أنه قال: الابتلاء كان ثلاثة أشياء؛ أوله: الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس، والثاني: بالنار، والثالث: بأمر سارة. ويقال: كل من كان أكرم على الله كان ابتلاؤه أشد، لكي يتبين فضله ويستوجب الثواب. كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني الذهب والفضة

(١) عزاه السيوطي ٢٧٣/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه.

(٢) الحديث مرسل وقال السيوطي ٢٧٤/١: أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء مرفوعاً بلفظ من فطرة إبراهيم السواك والحجاج بن أرطاة مدلس لا يحتج به. وقال السيوطي: وأخرج أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار وتنف الإبط» وفي البخاري من حديث ابن عمر: «حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب». وعند مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة مرفوعاً «عشر من الفطرة...».

بختيران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا. **﴿فَاتْمَهُن﴾**، يعني: عمل بهن. ويقال: **﴿فَاتْمَهُن﴾** فوفى بهن، فلما وفى الأمر جعله الله تعالى إماماً للناس ليقنّدى به. وفي هذا دليل: أن الإنسان لا يبلغ درجة الأخيار إلا بالتعب وجهد النفس، فلما جعله الله تعالى إماماً، **﴿قَالَ﴾** له: **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾** والإمام الذي يؤتم به فأعجبه ذلك، وتمنى أن يكون ذلك لذريته مثل ذلك، **﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾**، يعني اجعلهم أئمة يقتدى بهم.

قال الله تعالى: **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾**، يعني: الكافرين، يعني: لا يصلح أن يكون الكافر إماماً للناس. ويقال: لا تصيب رحمتي الكافرين، فالله تعالى أخبره أنه يكون في ذريته كفار، وأخبره أنه لا ينال مثل ما عهده إليه من كان كافراً.

قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: **﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** بسكون الياء. والباقون ينصب الياء **﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾** وهما لغتان ومعناهما واحد.

**﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَابِرِ إِِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّبِينَ وَالرُّكَّعِ الشُّجُورِ﴾**

قوله تعالى عز وجل: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنَّا﴾**، يقول: وضعنا البيت، يعني: الكعبة معاداً لهم، يعودون إليه مرة بعد مرة. وقال قتادة: مجمعاً للناس يثوبون إليه من كل جهة، وفي كل سنة فلا يقضون منها وطراً. **﴿وَأَنَّا﴾**، يعني: جعلناه أمناً لمن التجأ إليه، يعني: من وجب عليه القصاص. ولهذا قالوا: لو أن رجلاً وجب عليه القصاص فدخل الحرم، لا يقتص منه في الحرم. وهكذا روي عن ابن عمر أنه قال: «لو وجدت قاتل عمر في الحرم، ما هيجته»، يعني: ما أزعجته ولكن يمنع منه المنافع، حتى يضجر فيخرج فيقتص منه. ويقال: **﴿أَمْنًا﴾** لغير الممتحنين، وهي الصيود إذا دخلت الحرم صارت أمنة. ويقال: أمناً من الجذام.

ثم قال تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾**، قرأ نافع وابن عامر **﴿وَاتَّخِذُوا﴾** ينصب الخاء على وجه الخبر، معناه: جعلناه مثابة فاتخذوه مصلى. وقرأ الباقون بكسر الخاء على معنى الأمر.

حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا الذبيلي قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا سفيان، عن زكريا بن أبي زائدة، عن عمن حدثه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت يوم الفتح، فلما فرغ من طوافه أتى المقام فقال: «هَذَا مَقَامُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ»، فقال عمر: أفلا تتخذة مصلى يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** ويقال: المسجد الحرام كله مقام إبراهيم، هكذا روي عن مجاهد وعطاء.

قوله تعالى: **﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾**، أي: أمرنا إبراهيم وإسماعيل: **﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾**، يعني: مسجدي من الأوثان، ويقال: من جميع النجاسات، ثم قال: **﴿لِلطَّائِفِينَ﴾**، أي

طهراً المسجد من الأوثان والنجاسات، لأجل الطائفين الذين يطوفون بالبيت وهم الغرباء، **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾** وهم أهل الحرم المقيمون بمكة من مكة وغيرهم **﴿وَالرُّزْقَ السَّجُودِ﴾**، يعني: أهل الصلاة من كل وجه من الآفاق. قرأ نافع وعاصم في رواية حفص **﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾** بنصب الباء. وقرأ الباقون بسكون الباء.

**﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آسَافًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** (١٢٦)

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾**، يعني: الحرم. **﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾**، فاستجاب الله تعالى دعاءه، فنحمل الثمار إلى مكة من كل جهة، فيوجد فيها في كل وقت من أنواع الثمار، فاشتراط إبراهيم في دعائه فقال: **﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾**. وإنما اشترط هذا الشرط، لأنه قد سأل الإمامة لذريته، فلم يستجب له في الظالمين، فخشي إبراهيم أن يكون أمر الرزق هكذا، فسأل الرزق للمؤمنين خاصة، فأخبره الله تعالى: أنه يرزق الكافر والمؤمن، وأن أمر الرزق ليس كأمر الإمامة. قالوا: لأن الأمامة فضل، والرزق عدل، فآله تعالى يعطي بفضله من يشاء من عباده من كان أهلاً لذلك، وعدله لجميع الناس لأنهم عباده، وإن كانوا كافرين، فذلك قوله تعالى: **﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾**، قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام «فَأُمَتِّعُهُ» بالتخفيف من أمتعت، وقرأ الباقون بالتشديد من منعت، يعني: سارزقه في الدنيا يسيراً **﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾**، يعني: مصيره، ويقال: ملجأه **﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** إذا صاروا إليه.

**﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (١٢٧)  
**﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (١٢٨)  
**﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (١٢٩)

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾**، يعني: يبني إبراهيم **﴿القواعد﴾**، يعني: أساس البيت، يعني: الكعبة. والقواعد جماعة الأساس، واحدها قاعدة. **﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾**، يعني إسماعيل بعينه. قال مقاتل: وفي الآية تقديم وتأخير، معناه: وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت. ويقال: إن إبراهيم كان يبني البيت وإسماعيل بعينه، والملائكة يناولون الحجر من إسماعيل، وكانوا ينقلون الحجر من خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتا، والجودي، ولبنان، زحراء، فلما فرغا من البناء، قال **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾**، يعني: أعمالنا. **﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**، يعني: لدعائنا **﴿العلم﴾**، بياننا.

وفي الآية دليل: أن الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقبول، ويقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. وروي في الخبر: أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لما فرغا من البناء، جثيا على الركب وتضرعا وسألا القبول، فقال جبريل لإبراهيم: قد أجيب لك، فاسأل شيئاً آخر، قال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾، يعني: مخلصين لك، ويقال: واجعلنا مشيئين على الإسلام، ويقال: مطيعين لك، ويقال: وأمتنا على الإسلام.

ثم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾، يعني: اجعل بعض ذريتنا من يخلص لك، وثبت على الإسلام. ثم قال: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾. يعني: علمنا أمور مناسكنا. وقال القتيبي: الرؤية المعانية في اللغة كقوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا رَأَيْتُمْ تَمَّ رَأَيْتُمْ نَبِيًّا﴾ [الإنسان: ٢٠]. ويقال: يذكر الرؤية ويراد بها العلم كقوله تعالى: ﴿ألم تر الذين كفروا﴾ وكقوله تعالى: ﴿أَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾، أي: عملنا. وكقوله ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾. قرأ ابن كثير ومن تابعه من أهل مكة ﴿وَأَرْنَا﴾ بسكون الراء في جميع القرآن، والباقون بكسر الراء، وهما لغتان، والكسر أظهر وأفصح.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ يعني: مطيعين وموحدين لك، واجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ جماعة موحدة مطيعة لك. ويقال: أشكل عليهما موضع البيت، فبعث الله تعالى سحابة فقالت له: ابن بخيالي، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت بخيال السحابة. ثم قال تعالى: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: ﴿وَتَبَّ﴾ يعني: تجاوز عنا الزلة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَرْزُقُ﴾ المتجاوز ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعبادك.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾. قال مقاتل: لأن إبراهيم علم أن في ذريته من يكون كفاراً، فسأل الله تعالى أن يبعث فيهم رسولاً فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، يعني: القرآن. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، أي: القرآن. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: الموعظة التي في القرآن من الحلال والحرام. ويقال: علم التفسير. ﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾ أي: يطهرهم من الكفر والشرك. ويقال: يأمرهم بالزكاة لتطهر أموالهم. قال مقاتل: استجاب الله دعاءه في سورة الجمعة. وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَيُشْرَىٰ عَيْسَىٰ»<sup>(١)</sup>. يعني قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ رَسُولًا يَأْتِي مِنَ بَدْيِ أُمَّتِهِ أُمَّتٌ﴾ [الصافات: ٦]. وقوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، المنيع الذي لا يغلبه شيء، ويقال:

(١) عزاه السبوطي إلى ٣٣٤/١ إلى أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث العرياض بن سارية.



﴿العزیز﴾: الذي لا يوجد مثله ويقال: الذي لا يعجزه شيء عما أراد. ويقال: ﴿العزیز﴾ بالنقمة، ينتقم ممن شاء ممن عصاه، ﴿الحكيم﴾ في أمره الذي يكون عمله موافقاً للعلم.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، يقول: عن سنته ودينه وهو الإسلام. ويقال: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه: التقرير والتوبيخ، ويقال: ﴿وَمَنْ﴾ ها هنا بمعنى ما، فكأنه يقول: ومن يرغب عن دين إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾. قال أبو عبيدة: إلا من أهلك نفسه. وقال الأخفش: معناه إلا من سفه من نفسه. وهذا كما قال في آية أخرى ﴿وَلَا تَمَرُّوا عُقَدَةَ النَّكاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] يعني: على عقدة النكاح. ويقال: إلا من جهل أمر نفسه، فلا يتفكر فيه، كما قال في آية أخرى ﴿وَرَوْى أَنفُسَكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، قال الكلبي: ومن يرغب عن دين إبراهيم الإسلام والحج والطواف، إلا من خسر نفسه.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾، يقول: اخترناه في الدنيا للنبوة والرسالة والإسلام والخلة. ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يعني: في الجنة. ويقال: مع الصالحين في الجنة وهو أفضل الصالحين ما خلا محمداً ﷺ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾، قال ابن عباس: «يعني أخلص». ويقال: معناه قل لا إله إلا الله. ويقال: معناه استقم على ما أنت عليه. ويقال: حين خرج من السرب، نظر إلى الكوكب والقمر والشمس، فابتلي بذلك فألهمه الله تعالى الإخلاص، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية. فهذا معنى قوله ﴿أَسْلِم﴾ يعني: أخلص دينك لله، فقال إبراهيم: ﴿أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾، يعني: أخلصت ديني لرب العالمين، ويقال: معناه: فوض أمرك إلى الله فقال: فوضت أمري إلى الله.

ثم قال عز وجل: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾، يعني: بشهادة أن لا إله إلا الله. قرأ نافع وابن عامر ﴿وَأَوْصَى﴾ وقرأ الباقون ﴿وَوَصَّى﴾ وهو أبلغ من أوصى، لأنه لا يكون إلا لمرات كثيرة. وقوله ﴿بِهَا﴾، يرجع إلى الملة، والملة هي السنة والمذهب. ويقال: إنه جمع بنيه عند موته، لأنه خشي عليهم كيد إبليس، فجمعهم وأوصاهم بأن يثبتوا على الإسلام. قال مقاتل: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ الأربعة: إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومدابن، ثم أوصى بها ﴿يعقوب﴾ بنيه، وهم اثنا عشر ابناً، وذلك حين دخل مصر فراهم يعبدون الأصنام، فأوصى

بنيه بأن يشنوا على الإسلام وكان له اثنا عشر ابناً: روبيل، وشمعون، ويهوذا، نفتالي، ولاوي، وزيالون، ويشجر، ودان، واسترقفا، وجادو، ويوسف، وبنامين.

وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾**، يعني: اختار لكم دين الإسلام **﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**، يعني: اثبتوا على الإسلام وكونوا بحال لو أدرركم الموت يدرككم على الإسلام، وأنتم مخلصون بالتوحيد. فقالت اليهود للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟

**﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾**

فأنزل الله تعالى **﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾**، يعني: أكنتم حضوراً حين **﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾** وإنما لم ينصرف **﴿شُهَدَاءَ﴾** لمكان ألف التانيث في آخره، وإذا دخلت ألف التانيث أو هاء التانيث في آخر الكلام فإنه لا ينصرف. معناه: إنكم تدعون ذلك، كأنكم كنتم حضوراً في ذلك الوقت، يعني أنكم تقولون ما لا علم لكم بذلك، والله تعالى يخبر ويبين أن وصيته كانت بخلاف ما قالت اليهود.

ثم قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾**، يعني: من بعد موتي؟ **﴿قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ﴾**. روي عن الحسن البصري أنه قرأ **﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ﴾**. وقرأ غيره **﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾**. وإسماعيل كان عم يعقوب، ولكن العم بمنزلة الأب بدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿عَمُّ الرَّجُلِ صِنُّ أَبِيهِ﴾**<sup>(١)</sup>. ثم قال: **﴿إِلَهُهَا وَاحِدًا﴾**، يعني: نعبد إلهاً واحداً. **﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** يعني: مخلصون له بالتوحيد.

**﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

قال تعالى: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾** يعني: جماعة قد مضت. **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾**، يعني: جزاء ما عملت **﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾** يعني: جزاء ما عملتم من خير أو شر. **﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون: نحن على دينهم، فقال لهم: **﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾**، لا تقدرن عليهم يشهدوا لكم، فلهم ما عملوا وإنما لكم ما تعملون، وإنما ينظر اليوم إلى أعمالكم، ولا يفتعكم من أعمالهم شيء.

(١) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٥٨) وقال: حديث حسن صحيح و(٣٧٦٠) من حديث علي وقال: حديث حسن صحيح ومن حديث أبي هريرة (٣٧٦١) وقال حسن صحيح غريب. وأحمد: ٩٤/١ و٩٤/٤.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الشُّرَكِيِّينَ﴾ (۱۳۵)

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾، وذلك أن يهود المدينة ونصارى أهل نجران اختلفوا، فقال كل فريق: ديننا أصوب، ونبينا أفضل. فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ: أينا أفضل؟ فقال لهم: «كُلُّكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ». فأعرضوا عنه فنزلت هذه الآية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ يعني: اليهود قالوا: كونوا على دين اليهودية والنصارى قالوا: كونوا على دين النصرانية تهتدوا من الضلالة.

قال الله تعالى لمحمد ﷺ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾. وإنما نصب المائة على معنى: بل تنبع ملة إبراهيم حنيفاً. ويقال: معناه واتبعوا ملة إبراهيم. وقال مقاتل: بل الدين ملة إبراهيم حنيفاً، يعني: مخلصاً. وقال القتيبي: ﴿حنيفاً﴾ يعني: مستقيماً. ويقال للأعرج: حنيف، نظراً إلى السلامة، كما يقال للديع: سليم، وللجبانة مفاضة، وإن كانت مهلكة. وقال الزجاج: أصل الحنيف إذا كان أصابع الرجل مقبلاً بعضها إلى بعض إقبالاً لا تتصرف عن ذلك أبداً، فكذلك كان إبراهيم عليه السلام مقبلاً على دين الإسلام، مائلاً عن الأديان كلها ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الشُّرَكِيِّينَ﴾. ولكنه كان على دين الإسلام. فقال أصحاب محمد ﷺ: كيف نقول حتى لا نكذب أحداً من الأنبياء؟ فعلمهم الله تعالى فقال عز وجل:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (۱۳۶) فَإِنَّمَا أُمُوتُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَبِّحْهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (۱۳۷)

قال عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، يعني صدقنا بالله بأنه واحد لا شريك له. ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعني: صدقنا بما أنزل إلينا، يعني: بما أنزل على نبينا ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعني: صدقنا بما أنزل على إبراهيم من الصحف. ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ وهم ولد يعقوب، كان له اثنا عشر ابناً، فصار أولاد كل واحد منهم سبطاً، والسبط بلغتهم بمنزلة القبيلة للعرب. وإنما أنزل على أنبيائهم وكانوا يعملون به، فأضاف إليهم، كما أنه أنزل على محمد ﷺ فأضاف إلى أمته فقال: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾. فكذلك الأسباط أنزل على أنبيائهم فأضاف إليهم، لأنهم كانوا يعملون به.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾، يعني: التوراة والإنجيل. ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: وما أنزل على الأنبياء من الله تعالى، وقد آمنا بجميع الأنبياء وبجميع الكتب

﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، كما فرقت اليهود والنصارى، ﴿وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ﴾، يعني: مخلصون له بالتوحيد.

ثم قال عز وجل للمؤمنين: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾، يعني: اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ مَا آمَشْتُمْ بِهِ﴾ يا أصحاب محمد ﷺ، ﴿فَنَقَدْ آمَنَدُوا﴾ من الضلالة. ﴿وَأِنْ تَوَلَّوْا﴾، يقول: أعرضوا عن الإيمان بسحمد ﷺ وبجميع الأنبياء ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، يعني في خلاف من الدين. ويقال: في ضلال. والشقاق في اللغة: له ثلاثة معان، أحدها: العداوة مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ [هود: ٨٩]، والثاني: الخلاف مثل قوله: ﴿وَإِنْ جِئْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]، والثالث: الضلالة مثل قوله: ﴿وَإِلَى الظَّالِمِينَ لَبِئْسَ شِقَاقٍ بَئِيسٌ﴾ [الحج: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني: يدفع الله عنكم مؤنتهم. وقال الزجاج: هذا ضمان من الله تعالى النصر لنبية، أنه سيكفيه إياهم بإظهاره على كل دين سواه، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِيَّكَ أَنَا وَرَسُولِي﴾ [المجادلة: ٢١] يعني: أن عاقبة الأمر كان لهم. قال مقاتل: يعني قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ بقولهم للمؤمنين حيث قالوا: كونوا هوداً أو نصارى ﴿العليم﴾ بعقوبتهم.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

ثم فضل دين محمد ﷺ على كل دين فقال عز وجل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، يقول: اتبعوا دين الله والزموه، لا دين اليهود والنصارى. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾، يعني: أي دين أحسن من دين الله تعالى، وهو دين الإسلام. ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ يقول: اثبتوا على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ أي: موحدون مقرون، وذلك أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد غمروه في اليوم السابع في ماء لهم، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وهم صنف من النصارى يقال لهم: المعمودية.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾، أي مطيعون، ولنا الختان طهور، طهر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام. وروى عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أختتن إبراهيم عليه السلام بالقدم وهو ابن مائة وعشرين سنة» والقدم موضع بالشام. ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة<sup>(١)</sup>. وقال القتيبي: هذا من الاستعارة حيث سمي الختان صبغة، لأنهم كانوا يصبغون أولادهم في ماء. قال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ لا صبغة النصارى، يعني: اتبعوا دين الله والزموا دين الله.

(١) حديث أبي هريرة: «أختتن إبراهيم بالقدم وهو ابن مائة وعشرين وعاش بعد ذلك ثمانين سنة» أخرجه البخاري (٣٣٥٦) و(٦٢٩٨) ومسلم (٢٣٧٠) وأحمد: ٣٢٢/٢ والبيهقي: ٣٢٥/٨ والحاكم ٥٥١/٢.

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَكُمْ مُخْلِصُونَ﴾ (١١٣)

ثم قال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ليهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾، يعني: أتخاصموننا في دين الله؟ وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في اليهود الذين يظاهرون المشركين، فقال: أنتم تقولون: أنكم توحدون الله ونحن نوحده الله تعالى، فلم تظاهروا علينا من لا يوحد الله تعالى؟ والله ﴿رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾، أي ثواب أعمالنا ﴿وَلَكُمْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَالِكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، مقرون له بالوحدانية، مخلصون له بالعبادة.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَنتُمْ أَغْلَمُ أَرَأَيْتُمْ أَكْثَرَ شُكْرًا عِنْدَ رَبِّكَ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٤)

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالياء على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون: بالياء «أَمْ يَقُولُونَ». ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، يعني إن تعلقتم أيضاً بدين الأنبياء فنحن على دينهم، وقد آمننا بجميع الأنبياء، فإن ادعيتهم أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية، ﴿قُلْ أَنتُمْ أَغْلَمُ﴾ بذلك ﴿أَمْ اللَّهُ﴾. والله تعالى أخبر أنهم كانوا على دين الإسلام، وقد بين ذلك في كتبهم ثم قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾، لأن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق بأن يبينوه فكتموه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، يعني: لا يخفى على الله من عملهم شيء فيجازيهم بذلك. ويقال: هذا القول وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٥)

ثم قال عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، الآية، وقد ذكرناها.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١٦)

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾، يعني: الجهال من الناس وهم اليهود والمنافقون. ويقال: هم أهل مكة: ﴿مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾؟ يقول: ما الذي صرفهم ﴿عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ﴾؟ يعني: التي صلوا إليها من قبل. وذلك أن الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فلما قدم النبي ﷺ المدينة، صلى إلى بيت المقدس ثمانية عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، فلما صرفت قبلته إلى الكعبة. فقال أهل مكة: إذا حركت القبلة إلى الكعبة رجع محمد إلى قبلتنا، فمن قريب يرجع إلى ديننا، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْرِبِ﴾ ، يقول: الصلاة إلى بيت المقدس والصلاة إلى الكعبة لله، إذا كان بأمر الله. ﴿يَهْدِي مَنِ يَشَاءُ﴾ إلى قبلة الكعبة ﴿يَهْدِي مَنِ يَشَاءُ﴾ أي: يرشد من يشاء ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: ديناً يرضاه. روي عن أبي العالية الرياحي أنه قال: رأيت مسجد صالح عليه السلام وقبلته إلى الكعبة وقال: وكان موسى عليه السلام يصلي من الصخرة نحو الكعبة، وهي قبلة الأنبياء كلهم، صلوات الله عليهم.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَافِرِينَ لَءَوَّفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ والوسط: هو العدل، كما قال في آية أخرى: ﴿فَأَلَّ أَهْوَاؤَهُمْ﴾ [الفلم: ٢٢٨] ، أي: أخيرهم وأعدلهم. والعرب تقول: فلان من أوسط قومه، أي خيارهم وأعدلهم، ومنه قيل للنبي ﷺ: «هو أوسط قريش حسياً». أي جعلناكم عدلاً للخلائق. ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ، للنبیین. ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ بالتصديق لكم، وذلك أن الله تعالى إذا جمع الخلق يوم القيامة فيسأل الأنبياء عن تبليغ الرسالة لقوله تعالى: ﴿يَسْتَسْئِلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨] فيقولون: قد بلغنا الرسالة، فننكر أممهم تبليغ الرسالة، فتشهد لهم أمة محمد ﷺ بتبليغ الرسالة، فنظعن الأمم في شهادتهم، فيزكيهم النبي ﷺ فذلك معنى قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ويكون الرسول عليكم شهيداً ومعنى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي وكما هديتكم للإسلام ولقبلة الكعبة فكذلك ﴿جعلناكم أمة﴾ عدلاً لتكونوا شهداء على الناس ولآية تأويل آخر: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي عدلاً ﴿لنتكونوا شهداء على الناس﴾ يقول: إنكم حجة على جميع من خلقنا ورسول الله ﷺ حجة عليكم. والشهادة في اللغة: هي البيان، فلهذا يسمى الشاهد بيّنة، لأنه بيّن حق المدعي، يعني: أنكم تبينون لمن بعدكم، والنبي ﷺ يبين لكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ ، يعني: ما أمرناك بالصلاة إلى القبلة الأولى، ويقال: ما حولنا القبلة التي كنت عليها، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ . يقول: إلا لتمييز نبين ﴿مَنِ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ ، يعني: من يطيع الرسول في تحويل القبلة، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ﴾ ، أي: يرجع إلى دينه بعد تحويل القبلة. ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ ، أي: وقد كانت لثقيلة وهو صرف القبلة. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ، يعني: حفظ الله قلوبهم على الإسلام وأكرمهم باتباع محمد ﷺ في تحويل القبلة، وهم أصحاب محمد ﷺ قالوا: يا رسول الله، فأخواننا الذين ماتوا ما صنع الله بصلاتهم التي صلوا إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ، يعني صلواتهم إلى بيت المقدس التي صلوا إليها وماتوا عليها ويقال: إن اليهود

قالوا: قد بطل إيمانكم حيث تركتم القبلة فنزل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني: يبطل إيمانكم، وإنما تحولت قبلتكم. قال الضحاك: يعني لم يبطل تصديقكم بالقبلتين.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، يعني: بالمؤمنين رحيم حين قبلها منهم ولم يضيع إيمانهم. قرأ أبو عمرو حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿لَرُؤُفٌ﴾ بالهمزة على وزن رَعَف، وقرأ الباقون: ﴿رُؤُوفٌ﴾ على وزن رُؤُف في جميع القرآن، وهما لغتان ومعناها واحد.

﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَتَوَلَّىٰ نَتَكَ قِبَلَهُ رَضْنَهَا قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِدَا لَئِنَ الْفَلَّاحِينَ﴾ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، يعني: رفع بصرك إلى السماء، وذلك أن النبي ﷺ قال لجبريل: «وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَرَفَنِي عَنْ قِبَلَةِ الْيَهُودِ إِلَىٰ غَيْرِهَا» وإنما أراد الكعبة لأنها قبله إبراهيم عليه السلام وقبله الأنبياء عليهم السلام، ولأنها كانت ادعى للعرب إلى الإسلام، فقال جبريل: إنما أنا عبد مملوك لا أملك شيئاً فأسأل ربك، فجعل النبي ﷺ يديم النظر إلى السماء فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، يعني: رفع بصرك إلى السماء. ﴿فَلَتَوَلَّىٰ نَتَكَ﴾، يعني: فلنحولنك ولنوجهنك في الصلاة ﴿قِبَلَةَ تَرْضَاهَا﴾، يقول: نهواها إلى الكعبة. فأمره الله تعالى بالتوجه فقال: ﴿قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، يعني: نحوه وتلقاه ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، يعني: أن القبلة إلى الكعبة هو الحق وهي قبله إبراهيم عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، يعني: جحودهم القبلة إلى الكعبة، فقالوا للنبي ﷺ: انتنا بعلامة على تصديق مقاتلتك، وهم اليهود والنصارى، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُمْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِكُلِّ آيَةٍ﴾، يعني: بكل علامة ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾، أي ما صلُّوا إلى قبلتك. ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾، أي ما أنت بمصل إلى قبلتهم، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ ويقال: معناه كيف ترجو أن يتبعوك ويصلوا إلى قبلتك وهم لا يتبعون بعضهم بعضاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ هذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد منه أمته، يعني: لئن صليت إلى قبلتهم واتبع مذهبهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي البيان أن دين الإسلام



هو الحق، والكعبة هي القبلة. ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، أي الضارين بنفسك.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَلَتْ يَرْفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكَلَتْ﴾ ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني: محمداً ﷺ بنعته وصفته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ بين الغلمان. قال عبد الله بن سلام: والله لانا كنت أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني، فقال له عمر: «وكيف ذلك يا ابن سلام؟» فقال: لأنني أشهد أنه رسول الله حقاً وصدقاً يقيناً، وأنا لا أشهد بذلك على ابني لأنني لا أدري ما أحدثت النساء بعدي، فقال له: «والله يا ابن سلام، لقد صدقت، أو أصبت».

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾ ، يعني: طائفة من اليهود ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ في كتابهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل. قال مقاتل: إن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لم تطوفون بالبيت المبني بالحجارة؟ فقال لهم: «إنكم تعلمون أن الطواف بالبيت حق وإنه هو القبلة مكتوب في التوراة» فجددوا، فنزل: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابُ﴾ ، يعني: التوراة يعرفون أن البيت قبله كما يعرفون أبناءهم؛ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ في أمر القبلة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد، قبله إبراهيم. ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، يعني: من الشاكرين، إنهم يعرفون أنها قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ ، أي: قبلة. والوجهة والجهة والوجه بمعنى واحد، أي لكل ذي ملة قبلة ﴿هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي: مستقبلها، وقيل: لكل دين وملة قبلة ﴿هُوَ مَوْلَاهُ﴾. قرأ ابن عامر: «وَهُوَ مَوْلَاهُ» يعني: إليه موليها، وقرأ الباقون بالكسر يعني: هو بنفسه موليها. وقال مقاتل: لكل أهل ملة قبلة هم مستقبلوها، يريدون بها الله تعالى. ﴿فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ، يعني: قال لهذا الأمة: فاستبقوا بالطاعات. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿يَكُلِّ جَمَلًا يَتَّكُمُ شِرْقَةً وَمِنْهَا جَاءُ﴾ [المائدة: ٤٨] ، يعني: لكل قوم شريعة وسبيلاً، فإذا أخذوا بالسنة والمنهاج رضي عنهم. فأمر الله تعالى أهل هذه الشرائع أن يستبقوا الخيرات في الأعمال الصالحة.

ثم قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ في الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ، يعني: يقبض أرواحكم يعني: يجمعكم يوم القيامة.

وقال مجاهد: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أمر كل قوم بأن يحولوا وجوههم إلى الكعبة.

ويقال: ولكل أمة قبلكم قبلة أمرتهم بأن يستقبلوها، ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ يقول: بادروا الأمم بالطاعات.

ثم قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُآت بِكُمْ اللَّهُ﴾، يعني: يقبض أرواحكم ويجمعكم يوم القيامة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي هو قادر على جمعكم يوم القيامة.

﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٤) ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا يَمَنِّي عَلَيْكُمْ وَلَمَلَكُم مَّهْتَدُونَ﴾ (١٢٥)

ثم قال عز وجل: ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ يقول: حيث صليت. ﴿قَوْلًا وَجْهَكَ﴾ بالصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: نحوه وتلقاه. ﴿وَأَنَّ لَهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أي: التوجه إلى الكعبة بالصلاة هو الحق من ربكم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، يعني: يجازيكم بأعمالكم، ﴿وَمِنَ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي لكي لا يكون لليهود ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، لأنهم يعلمون أن الكعبة هي القبلة، فلا حجة لهم عليكم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. يعني: إلا من ظلم باحتجابه فيما وضع له كما يقول الرجل لصاحبه: مالك عليّ حجة إلا أن تظلمني. وقال بعضهم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني: ولا الذين ظلموا لا حجة لهم عليكم. وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي ولا الذين ظلموا فهذا موضع واو العطف، فكأنه قال: ليس للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا منهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ بانصرافكم إلى الكعبة، ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ في تركها. قرأ نافع في رواية ورش: ﴿أَلِيلاً﴾ بغير همز. والباقون: ﴿إِنلأ﴾ بالهمز لأن أصله (لأن لا)، وإنما أسقط نافع الهمزة للتخفيف. ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَنِّي عَلَيْكُمْ﴾ بتحويل القبلة وبارسال الرسول، ﴿وَلَمَلَكُم مَّهْتَدُونَ﴾ أي لكي تهتدوا من الضلالة.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٢٦)

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ يعني: القرآن. وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من العرب. ويقال: آدمي مثلكم لأنه لو كان من الملائكة لا تستطيعون النظر إليه، فأرسل آدمياً مثلكم يتلو عليكم القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ قال

الكلبي: يقول ويصلحكم بالزكاة. وقال مقاتل: يعني: يطهركم من الشرك والكفر ﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾. وقال الزجاج: خاطب به العرب أنه بعث رسولا منكم، وأنتم كنتم أهل الجاهلية لا تعلمون الكتاب والحكمة، فكما أنعمت عليكم بالرسالة فاذكروني بالتوحيد. ويقال قوله: ﴿كَمَا﴾ وصل بما قبله ومعناه: ولأنتم نعمتي كما أرسلنا فيكم رسولا منكم. ويقال: وصل بما بعده، ومعناه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾. ﴿وَيَعْلَمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فاعرفوا هذه النعمة، واذكروني بالتوحيد.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٦)

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتوحيد ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ يقول: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة، فحق على الله أن يذكر من ذكره، فمن ذكره في طاعته، ذكره الله تعالى بخير. ومن ذكره من أهل المعصية في معصية، ذكره الله باللعنة وسوء الدار. ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في الرخاء، ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ عند البلاء. ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في الضرر ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ بالمخرج. ويقال: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ في الخلاء، ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ في الملا. ويقال: ﴿أذْكُرُونِي﴾ في ملا من الناس، ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ في ملا من الملائكة.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضيل الضبي، عن الحصين، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال<sup>(١)</sup>: «ما اجتمع قوم يذكرون الله تعالى، إلا ذكرهم الله في ملا أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم من مجلس لا يذكرون الله في مجلسهم، إلا كانت حسرة عليهم يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. ويقال: اذكروني في الدنيا بالإخلاص أذكركم في الآخرة بالإخلاص. ويقال: اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة. ويقال اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ يعني: اشكروا نعمتي التي أرسلت فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا، ولا تجحدوا هذه النعمة. ويقال: النعمة في الحقيقة هي العلم، وما سوى ذلك فهو تحويل من راحة إلى راحة، وليس الطعام بنعمة، لأن الطعام إذا أكله الإنسان فبعد ساعة يطلب منه الفرج، والثوب الحسن ربما يمل منه إذا كان يؤذيه الحر أو البرد، والعلم لا يمل منه صاحبه، بل ربما يطلب له الزيادة. فأمر الله تعالى بشكر هذه النعمة التي بعث رسولا ليعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.

(١) وفي نسخة «ب» قال الفقيه: حدثنا محمد بن فضيل الضبي عن حصين، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه السيوطي: ٣٦٦/١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامَرْتُ بِئِ آخِيَاءَ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعني: صدقوا بتوحيد الله تعالى. وهذا نداء المدح، وقد ذكرنا قبل هذا أن النداء على ست مراتب. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فاذغ له سمعك فإنه أمر تؤمر به، أو نهى تنهى عنه».

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ يقول: استعينوا بالصبر على أداء الفرائض وبالصلاة خاصة. قال الزجاج: استعينوا بالصبر على ما أنتم عليه وإن أصابكم مكروه. وقال مجاهد: ﴿استعينوا بالصبر﴾ أي بالصوم والصلاة. وقال الضحاك: ﴿استعينوا بالصبر﴾ على صوم شهر رمضان وعلى الصلوات الخمس. ويقال: الصبر هو الصبر بعينه. ذكر في هذه الآية الطاعة الظاهرة والطاعة الباطنة، فأمر بالصبر والصلاة، لأنه ليس شيء من الطاعة الظاهرة أشد على البدن من الصلاة، لأنه يجتمع فيها أنواع الطاعات: الخضوع والإقبال والسكون والتسبيح والقراءة، فإذا تيسر عليه الصلاة، تيسر عليه ما سوى ذلك. وليس بشيء من الطاعات الباطنة أشد على البدن من الصبر، فأمر بالصبر والصلاة لأنه حسن.

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فالله تعالى مع كل واحد، ولكن خص الصابرين لكي يعلموا أن الله سبحانه وتعالى يفرج عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامَرْتُ بِئِ آخِيَاءَ﴾. قال الضحاك: هم نفر الذين قتلوا عند بئر معونة. وقال الكلبي: هم الذين قتلوا ببدر، قتل يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلاً وكان الناس يقولون: مات فلان ومات فلان، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَامَرْتُ بِئِ آخِيَاءَ﴾ يعني: هم في الحكم كالأحياء، لأنه يجري ثوابهم إلى يوم القيامة، ولأنهم يسرحون في الجنة حيث شاؤوا. كما قال في آية أخرى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقٌ وَفَرِيحٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿وَلَتَنبَلُوَكُمْ يَتَىٰ وَبَيْنَ الْقُرُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ يَدِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَتَنبَلُوَكُمْ﴾، يعني: المؤمنون ﴿بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾. يقول: لنختبرنكم بخوف العدو، وهو الخوف الذي أصابهم يوم الخندق، حتى بلغت القلوب الحناجر ﴿والجوع﴾ وهو القحط الذي أصابهم، فكان يمضي على أحدهم أيام لا يجد طعاماً. ﴿ونقص من

**الْأَمْوَالِ** ، يعني: ذهاب أموالهم، ويقال موت الناضية. **وَالْأَنْفُسِ** ، يعني الموت والقتل والأمراض. **وَالشَّمْرَاتِ** أي نقص الثمار، فلا تخرج الثمرة كما كانت تخرج أو تصيبها الآفة. ويقال: الثمرات هي موت الولد، وهو ثمرة القلب.

ثم قال تعالى: **وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ** ، يعني: الذين يصبرون على هذه المصائب والشدائد التي ذكر في هذه الآية.

ثم وصفهم فقال عز وجل: **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ، يعني: يقولون: نحن عبيد الله وفي ملكه، إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مردنا، وإليه راجعون بعد الموت، ونحن راضون بحكمه.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ** ، يعني: أهل هذه الصفة **عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** . والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أشياء: توفيق الطاعة، والعصمة عن المعصية، ومغفرة الذنوب، فبالصلاة الواحدة يكون لهم هذه الأشياء الثلاثة، فقد وعد لهم الصلوات الكثيرة، ومقدار ذلك لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

ثم قال تعالى: **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ، أي الموفقون للاسترجاع. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام قال: **يَتَأَسَّفَنَّ عَلَى يَوْمِكَ** [يوسف: ۸۴] فلو كان له الاسترجاع، لقال ذلك وروي عن عثمان بن عطاء، عن أبيه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **مَنْ ذَكَرَ مُصِيبَةَ أَوْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ فَاسْتَرْجَعَ، جَدَّدَ اللَّهُ ثَوَابَهُ كَيْزَمٍ أُصِيبَ بِهَا**(۱). وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال رسول الله ﷺ: **مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَكْظَمِ الْمَصَائِبِ**(۲). وروي هذان الحديثان، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ أيضاً. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **نعم العلاوة ونعم العداوة؛ فالعدلان قوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** ، والعداوة قوله تعالى: **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ****(۳).

﴿ إِنَّ الصَّمَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَامِ اللَّهِ فَمَنْ حَمَّ الْآيَةَ أَوْ اغْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّقَ بِهَمًّا وَمَنْ تَطَّلَعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ﴾

(۱) أخرجه ابن ماجه من طريق هشام بن زياد، عن أمه، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها (۱۶۰۰) وفي الزوائد إسناده ضعيف لضعف هشام بن زياد. ضعفه الإمام أحمد، وقال ابن حبان: روى الموضوعات عن الثقات وقال السيوطي: ۳۷۸/۱ أخرجه أحمد والبيهقي وابن ماجه وقال: ضعيف.

(۲) الحديث مرسل، وعطاء تابعي.

(۳) عزاه السيوطي: ۳۷۸/۱ إلى وكيع وسعيد بن منصور وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، والحاكم، وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، قال أهل اللغة: الصفا الحجارة الصلبة التي لا تنبت بها شيء. والواحدة: صفاة. يقال: حصن وحصاة. والمروة: الحجارة اللينة. والشعائر: علامة متعبداته. واحدها شعيرة. يعني: أن الطواف بالصفا والمروة من أمور المناسك، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. روي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. وروي عن ابن عباس، وأنس بن مالك أنهما كانا يقرآن كذلك. ومعنى ذلك: أن من حج البيت أو اعتمر فترك السعي، لا يفسد حجه ولا عمرته، ولكن يجب عليه جبر النقصان وهو إراقة الدم، وفي مصحف الإمام ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بحذف كلمة (لا). وذلك أن في الجاهلية كان لهم صنمان على الصفا والمروة: أحدهما يقال له: إساف، والآخر: نائلة، وكان المشركون يطوفون بين الصفا والمروة ويستلمون الصنمين. فلما قدم النبي ﷺ لعمرة القضاء، وكان الأنصار لا يسعون فيما بين الصفا والمروة ويقولون: السعي فيما بينهما من أمر المشركين، فنزلت هذه الآية. ويقال: إن النبي ﷺ لما فتح مكة، طاف بالبيت والمسلمون معه، فلما سعى بين الصفا والمروة، رفع المسلمون أزرهم، وشمروا فمصهم كيلا يصيب ثيابهم ذلك الصنمان، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يعني: من أمور المناسك. ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، يعني: لو أصاب شيء ذلك لا يضره ولا إثم عليه، فخرج عمر فتناول المعول وكسر الصنمين.

قال الفقيه: حدثنا أبو جعفر قال: حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الفضل، عن يعلى بن منبه، عن صالح بن حيان، عن أبي بريدة، عن أبيه قال: دخل جبريل المسجد، فبصر بالنبي ﷺ نائماً في ظل الكعبة فأيقظه فقام وهو ينفض رأسه ولحيته من التراب، فانطلق به نحو باب بني شيبه فلقبهما ميكائيل. فقال جبريل لميكائيل: ما يمنعك أن تصافح النبي ﷺ؟ فقال: أجد من يده ريح نحاس. فقال جبريل للنبي ﷺ أفعلت ذلك؟ وكان النبي ﷺ نسي ذلك ثم ذكر فقال: «صَدَّقَ أَخِي، مَزَرْتُ أَوْلَ أَمْسِ عَلَى إِسَافٍ وَنَائِلَةَ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى أَحَدِهِمَا وَقُلْتُ: إِنَّ قَوْمًا رَضُوا بِكُمَا إِلَهَةً مَعَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْمٍ سُوءٍ».

قال صالح: قلت لأبي بريدة: وما إساف ونائلة؟ قال: كانا إنسانين من قريش يطوفان بالكعبة، فوجدا منها خلوة، فراود أحدهما صاحبه، فمسخهما الله تعالى نحاساً، فجاءتهما بهما قريش وقالوا: لولا أن الله رضي بأن نعبد هذين الإنسانين ما مسخهما نحاساً. وأساف كان رجلاً ونائلة كانت امرأة. قال الزجاج: الجناح في اللغة: أخذ من جناح، إذا مال وعدل عن المقصد. وأصل ذلك من جناح الطير.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾. قرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم العين ﴿تَطَوَّعَ﴾، لأن الأصل يتطوع أدغمت التاء في الطاء وشددت. وقرأ الباقون ﴿تَطَوَّعَ﴾ على معنى الماضي

والمراد به الاستقبال، يعني: إذا زاد في الطواف حول البيت على ما هو واجب عليه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يقبله منهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما نورا وقال القسبي: يطوف أصله بتطوف فأدغمت التاء في الطاء. الجناح: الإثم. ويقال: إن الله شاكِرٌ يقبل اليسير ويعطي الجزيل ويقال: إن الله شاكِرٌ يقبل أعمالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بالثواب. ويقال: الطواف للغرباء أفضل من الصلاة، لأنهم يقدرون على الصلاة إذا رجعوا إلى منازلهم، ولا يمكنهم الطواف إلا في ذلك الوقت، والله تعالى قد حث على الطواف بقوله: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٢٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ نزلت في شأن رؤساء اليهود، منهم: كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف وابن صوريا، يقول: يكتُمون ما أنزلنا في التوراة من البينات: الحلال والحرام وآية الرجم. ﴿وَالْهُدَىٰ﴾، يعني: أمر محمد ﷺ ﴿بِمَنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾، يعني: في التوراة. ويقال: في القرآن ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: يخذلهم ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، قال ابن عباس: «وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره، سئل من ربك وما دينك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما دريت فهكذا كنت في الدنيا، ثم يضربه ضربة يسمعا كل شيء، إلا النقلين، فلا يسمع صوته شيء إلا لعنه». فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وروي عن ابن مسعود أنه قال: «إذا تلاعن اثنان، فإن كان أحدهما مستحقاً للعنة رجعت اللعنة إليه، وإن لم يكن يستحق أحدهما اللعنة ارتفعت اللعنة إلى السماء، فلم تجد هناك موضعاً فتسحدر فتراجع إلى الذي تكلم بها إن كان أهلاً لذلك؛ وإن لم يكن أهلاً لذلك رجعت إلى الكفار». وفي بعض الروايات: «إلى اليهود»، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

ثم استثنى الثائبين من اللعنة، فقال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الكفر واليهودية ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم فيما بينهم وبين ربهم. ويقال: معناه وأصلحوا لمن أفسدوا من السفلة، وبينوا صفته في كتبهم. ﴿فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: أتجاوز عنهم. ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ المتجاوز لمن تاب ورجع، فيقبل توبته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾، يعني: ثبتوا على كفرهم حتى ماتوا على ذلك. ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. قال الكلبي: لعنة المؤمنين



خاصة. وقال بعضهم: يلعنهم جميع الناس، لأن من يخالف دينهم يلعنهم في الدنيا، وأهل دينهم يلعنونهم في الآخرة، كما قال في آية أخرى: **﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ فِي عَذَابِ النَّارِ، يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾** [المنكوت: 25] ثم قال: **﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾**، يعني: في اللعنة. ولعنته عذاب النار، يعني: ما توجه اللعنة. **﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾**، يعني لا يهون عليهم طرفة عين. **﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾**، يعني لا يوجلون.

**﴿وَاللَّهُكَرُّ إِلَهٌُ وَجِدًّا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾** (١١٣)

قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**، قال مقاتل: يعني ربكم رب واحد. وقال الضحاك: كان لمشركي مكة ثلاثمائة وستون صنماً يعبدونها من دون الله تعالى، فدعاهم الله تعالى إلى توحيدهِ والإخلاص لعبادته فقال: **﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**. ويقال: نزلت هذه الآية في صنف من المجوس يقال لهم: المانوية فكان رئيسهم يقال له: ماني، فقال لهم: أرى الأشياء زوجين وضدين، مثل الليل والنهار، والنور والظلمة، والحر والبرد، والخير والشر، والسرور والحزن، والذي يصلح للشيء لا يصلح لخصمه، فمن كان خالق النور والخيرات لا يكون خالق الشر والظلمات؛ فهما اثنان: أحدهما يخلق الشر، والآخر يخلق الخير، فنزلت هذه الآية **﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**، أي خالقكم خالق واحد، هو خالق الأشياء كلها.

وقوله تعالى: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾**، وقوله: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** قال بعض الناس: هذا الكلام نصفه كفر، وهو قوله: **﴿لَا إِلَهَ﴾**، ونصفه إيمان وهو قوله: **﴿إِلَّا هُوَ﴾**. ولكن هذا الكلام غير سديد، لأن الله تعالى أمر رسوله بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فلا يجوز أن يأمرهم بالكفر. وقال بعضهم: النصف الأول منسوخ، والنصف الثاني ناسخ، وهذا أيضاً لا يصح، لأن المنسوخ هو الذي كان مباحاً قبل النسخ، والكفر لم يكن مباحاً أبداً. وأحسن ما قيل فيه: إن قوله: **﴿لَا إِلَهَ﴾** نفي معبود الكفار، وقوله: **﴿إِلَّا هُوَ﴾** إثبات معبود المؤمنين. أو نقول: **﴿لَا إِلَهَ﴾** نفي الألوهية عن من لا يستحق الألوهية، وقوله **﴿إِلَّا اللَّهُ﴾** إثبات الألوهية لمن يستحق الألوهية. لما نزلت هذه الآية، أنكر المشركون توحيد الله تعالى، وطلبوا منه دليلاً على إثبات وحدانيته. فنزلت هذه الآية:

**﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ الْبَيْتِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَسَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ حَيٍّ وَفَصَّلِ الْوَيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (١١٤)

قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، يعني: في خلق السموات والأرض دليل على وحدانيته في أنه خلقها بغير عمد ترونها، وزينها بمصابيح، والأرض أيضاً بسطها وجعل لها

أوتاداً وهي الجبال وفجر فيها الأنهار، وجعل فيها البحار. **﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾**، يعني: مجيء النهار وذهاب الليل، ومجيء الليل وذهاب النهار. ويقال: نقصان الليل في تمام النهار، ونقصان النهار في تمام الليل. ويقال: اختلفهما في اللون. **﴿وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾**. يعني: السفن، ويقال للسفينة الواحدة: الفلك ولجماعة السفن: الفلك. يعني السفن التي تسير في البحر، فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة، ففسر في البحر **﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾** من الكسب والتجارة وغير ذلك.

وقوله تعالى: **﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾**، يعني: المطر الذي ينزل من السماء، **﴿فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**، يعني: اخضرت الأرض بعد يبسا **﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾**، يقول: خلق في الأرض **﴿مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ وَتَضْرِيفَ الرِّيحِ﴾**؛ قرأ حمزة والكسائي: **﴿الرِّيحِ﴾** بغير ألف وقرأ الباقون بألف. واختار أبو عبيدة في قراءته: أن كل ما في القرآن من ذكر العذاب، الريح بغير ألف، وكل ما في القرآن من ذكر الرحمة: الرياح بالألف، واحتج بما روى أنس عن النبي ﷺ أنه كان إذا هاجت الريح قال: **﴿اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحاً وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحاً﴾**. ومعنى قوله تعالى: **﴿وَتَضْرِيفَ الرِّيحِ﴾** يعني: هبوب الرياح مرة جنوباً ومرة شمالاً، ومرة صباً، ومرة دبوراً.

وقوله تعالى: **﴿وَالسُّخَابِ الْمُنْسُخِرِ﴾**، يعني: المذلل والمطوع، **﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**، يعني: في هذه الأشياء التي ذكرت في هذه الآية، آيات لوحدانيته لمن كان له عقل وتميز. ويقال: هذه الآية تجمع أصول التوحيد، وقد بين فيها دلائل وحدانيته، لأن الأمر لو كان بتدبير اثنين يختلفان في التدبير، لفسد الأمر باختلافهما. كما قال تعالى: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [الأنبياء: 22].

**﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾** (١١٥) إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّأُوا إِلَى الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١١٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَنَنْجِيهِمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١١٧)

قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخُذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾**، يعني: بعض الناس وصفوا الله شركاء وأعدالاً وهي الأوثان.

وقوله تعالى: **﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾**، قال بعضهم: يحبون الأوثان كحبهم لله تعالى، لأنهم كانوا يقرون بالله تعالى. وقال بعضهم: معناه، يحبون الأوثان كحب المؤمنين لله تعالى.

ثم قال عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لَّهِ﴾** ، لأن الكفار يعبدون أوثانهم في حال الرخاء، فإذا أصابتهم شدة تركوا عبادتها؛ والمؤمنون يعبدون الله تعالى في حال الرخاء والشدة، فهذا معنى قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لَّهِ﴾** . فإن قيل: إذا كان المؤمنون أشد حُبًّا لله، فما معنى قوله: **﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾** ؟ قيل له: يحتمل أن بعض المؤمنين حُبهم مثل حُبهم، وبعضهم أشد حُبًّا لله، وفي أول الآية ذكر بعض المؤمنين الذين حُبهم مثل حُب الكفار، وفي آخر الآية ذكر المؤمنين الذين هم أشد حُبًّا لله. والحب لله أن يطيعوه في أمره ويتنزهوا عن نهيه، فكل من كان أطوع لله فهو أشد حُبًّا له. كما قال القائل:

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

ثم قال الله تعالى لمحمد ﷺ: **﴿وَلَوْ يَرَى﴾** يا محمد. **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾** ، يعني: حين يرون العذاب. **﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لَّهِ جَمِيعًا﴾** ، وفي الآية مضمرة ومعناها: لو رأيت يا محمد الذين ظلموا في العذاب، لرأيت أمراً عظيماً؛ كما تقول: لو رأيت فلاناً تحت السياط فتستغني عن الجواب، لأن المعنى مفهوم. فكذلك هاهنا لم يذكر الجواب، لأن المعنى معلوم. قرأ نافع وابن عامر: **﴿وَلَوْ تَرَى﴾** بالتاء عبدة الأوثان اليوم ما يرون يوم القيامة، أن الأوثان لا تنفعهم شيئاً وأن القوة لله جميعاً، تركوا عبادتها. وقرأ ابن عامر **﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾** بضم الياء على معنى فعل ما لم يسم فاعله وقرأ الباقون بنصب الياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الحسن وقتادة: **﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لَّهِ﴾** على معنى الابتداء، وقرأ العامة: **﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾** بالنصب على معنى البناء، يعني: بأن القوة لله.

وقوله عز وجل: **﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾** ، يعني: للرؤساء والاتباع من أهل الأوثان. قوله تعالى: **﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾** ، يعني: القادة **﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾** وهم السفلة **﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾** ، أي: حين رأوا العذاب **﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾** ، يعني: العهود والحلف التي كانت في الدنيا بينهم. وقال القتيبي: **﴿الأسباب﴾** يعني الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا. وقال بعضهم: **﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾** ، أي الخلة والمواصلت، كما قال في آية أخرى: **﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَتَّضُهُمْ بَتِّضُهُمْ لَئِيصٌ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾** [الزخرف: ٦٧] ؛ ويقال: الأرحام والمودة التي كانوا يتواصلون بها فيما بينهم.

وقوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾** ، أي السفلة: **﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾** ، يعني: رجعة إلى الدنيا، وذلك أن الرؤساء لما تبرؤوا منهم ولا ينفعونهم شيئاً، ندمت السفلة على اتباعهم في الدنيا ويقولون في أنفسهم: **﴿لو أن لنا كرة﴾** أي رجعة إلى الدنيا **﴿فتنبرأ﴾** ، من القادة **﴿كما تبرؤوا منا﴾** .

قال الله تعالى: **﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾** لأنهم يرون أعمالهم غير مقبولة، لأنها كانت لغير وجه الله تعالى، فيكون ذلك حسرة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، يعني: التابع والمتبوع، والعابد والمعبود.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَاسِبِينَ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿۱۳۸﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوَى وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿۱۳۹﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، وذلك أن قوماً من العرب مثل بني عامر وبني مدلج وخزاعة وغيرهم، حرموا على أنفسهم أشياء مما أحل الله عليهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة وغير ذلك، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ من الحرث والأنعام، و﴿حَلَالًا﴾ نصب على الحال. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، يعني: طاعات الشيطان. وقال مقاتل: يعني تزيين الشيطان. ويقال: وسواس الشيطان. وقال الفنبي: الخطوات جمع الخطوة. وقال الزجاج: خطواته أي طرقه، ومعناه: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾، يعني: ظاهر العداوة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوَى وَالْفَحْشَاءِ﴾، يعني: بالإثم والفيح من العمل. ويقال: السوء الذي يجب به الحبس والحساب، و﴿الفحشاء﴾: الذي يستوجب بها العقوبة في النار. ويقال ﴿بالسوء﴾ الذي يجب به التعزير في الدنيا، و﴿الفحشاء﴾ الذي يجب به الحد. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يعني: الشيطان يأمركم بأن تكذبوا على الله، لأنهم كانوا يقولون: هذه الأشياء حرمها الله تعالى علينا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُ كَانَتِ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿۱۴۰﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، يعني: اعملوا بما أنزل الله في القرآن، وهو من تحليل ما أحل الله، وتحريم ما حرم الله. ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، يعني: ما وجدنا عليه آباءنا. قال الله تعالى: ﴿أَوَّلُ كَانَتِ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، معناه: اتبعوا آباءهم وإن كانوا جهالاً فيتابعونهم بغير حجة، فكانه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة. وهذه الواو مفتوحة وهي واو: ﴿أَوَّلُ﴾ لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف التوبيخ وهي ألف الاستفهام.

قرأ أبو عمرو ومن تابعه من أهل البصرة: ﴿كَذَلِكَ يُرِيدُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ۱۶۷] بكسر الهاء والميم، وكذلك في كل موضع تكون الهاء والميم بعدهما الألف واللام. مثل قوله: ﴿وَوَصَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْآلَةَ﴾ [البقرة: ۶۱] ﴿وَوَلَّيْتُهُمُ الْأُمَّلَ﴾ [الحجر: ۳]. وكان عاصم وابن عامر ونافع وابن كثير يقرؤون بكسر الهاء وضم الميم. وكان حمزة والكسائي يقرآن: بضم الهاء والميم. وكان ابن كثير يقرأ: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ﴾ بضم الميم، وكذلك ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾؛ وكذلك كل ميم

ونحو هذا مثل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ۷] ، ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ۷] . وكان نافع في رواية ورش عنه يقرأ: سكون الميم، إلا أن يستقبله ألف أصلية فيضم الميم مثل قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ۶ ويس: ۱۰] ﴿إِذْ يَسْتَرْغِبُونَ بَيْنَهُمْ آمْنَهُمْ﴾ [الكهف: ۲۱] ، ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ [نوح: ۱۴] . وكان حمزة والكسائي يقرآن بسكون الميم، إلا أن يستقبله ألف ولام مثل قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ۶۱] .

وأما قوله: ﴿خُطُوبَاتٍ أَلْسِنَاتٍ﴾ [البقرة: ۱۶۸ وغيرها] قرأ نافع وأبو عمرو وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر ﴿خُطُوبَاتٍ﴾ بجزم الطاء. وقرأ الكسائي وابن كثير وعاصم في رواية حفص: ﴿خُطُوبَاتٍ﴾ بضم الطاء؛ وهما لغتان ومعناها واحد.

﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ يَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاؤُ وَنِدَاؤُ صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾ [۱۷۱]

ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاؤُ وَنِدَاؤُ﴾ . فهذا مثل ضرب الله تعالى لأهل الكفر، إنهم مثل البهائم لا يعقلون شيئاً سوى ما يسمعون من النداء. وفي الآية إضمار ومعناه: مثلك يا محمد مع الكفار، ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يُسْمَعُ إِلَّا دُعَاؤُ وَنِدَاؤُ﴾ وهذا قول الزجاج. وقال القتيبي: قال الفراء: ومثل وأعظ الذين كانوا، فحذف ذكر الواعظ. كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلِ النَّرْتِيَّةِ﴾ [يوسف: ۸۲] . وقال القتيبي أيضاً: ﴿مَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، يعني: ومثلنا في وعظهم، فحذف اختصاراً إذ كان في الكلام ما يدل عليه، ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ﴾ ، يعني: الراعي إذا صاح بالغنم لا يسمع إلا دعاء ونداء فحسب، ولا تفهم قولاً ولا بحسن جواباً، وكذلك الكافر لا يعقل المواعظ. ﴿صُمُّكُمْ﴾ عن الخير فهم لا يسمعون ﴿بِكُمْ﴾ ، يعني: خرساً لا يتكلمون بالحق ﴿عُمَىٰ﴾ لا يبصرون الهدى. ويقال: كآتهم صم، لأنهم يتصاممون عن سماع الحق. ﴿فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ﴾ الهدى.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُومًا مِنْ طَبِيبٍ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتِبَاءَ تَبَدُّدٍ﴾ [۱۷۲] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَعَنَ الْخِنْزِيرَ وَمَا أُهْلِيَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضَلُّ عَنِ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [۱۷۳]

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُومًا مِنْ طَبِيبٍ مَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ، يعني: من الحلال، من الحرث والأنعام. ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتِبَاءَ تَبَدُّدٍ﴾ ، يعني: إن كنتم تريدون بترك أكله رضى الله تعالى فكلوه، فإن رضى الله تعالى أن تحلوا حلاله وتحرموا حرامه. ويقال: إن محرّم ما أحل الله مثل محل ما حرم الله. ويقال: في الآيتين بيان فضل هذه الأمة، لأنه تعالى خاطبهم بما خاطب به أنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنه قال لأنبيائه: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

{المؤمنون: ٥١}، وقال لهذه الأمة **﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** وقال في الآية الأولى: **﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلْالًا طَيِّبًا﴾** {البقرة: ١٦٨}. فلما أمر الله تعالى بأكل هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها على أنفسهم. قالوا للنبي ﷺ: إن لم يكن هذه الأشياء محرمة فالمحرمات ما هي؟ فبين الله تعالى المحرمات، فقال: **﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾** وهي الدابة التي تموت من غير ذكاة سوى السمك والجراد، **﴿وَالدَّم﴾** يعني: الدم المسفوح أي الجاري. كما قال في آية أخرى: **﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوسًا﴾** {الأنعام: ١٤٥} **﴿ولحم الخنزير﴾** يعني: حرم عليكم لحم الخنزير، فذكر اللحم خاصة والمراد به: اللحم والشحم وجميع أجزائه. وهذا شيء قد أجمع المسلمون عليه فقد ذكر الميتة وإنما انصرف إلى بعض منها وأحل البعض منها وهو السمك والجراد، وذكر الدم وإنما المراد به بعض الدم، لأنه لم يدخل فيه الطحال والكبد، وذكر لحم الخنزير فانصرف النهي إلى اللحم وغيره. **﴿وَمَا أَهْلُ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾**، يعني: ما ذبح لغير اسم الله تعالى. والإهلال في اللغة: هو رفع الصوت. فكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا، رفعوا الصوت بذكر آلهتهم، فحرم الله تعالى على المؤمنين أكل ما ذبح لغير اسم الله تعالى. وفي الآية دليل: أنه إذا ترك التسمية عمداً لا يؤكل، لأنه قد ذبح بغير اسم الله تعالى.

ثم إن الله تعالى علم أن بعض الناس يبتلون بأكل الميتة عند الضرورة، فرخص لهم في ذلك بقوله تعالى: **﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾** قرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو: **﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾** بكسر النون وقرأ الباقون بالضم؛ وهما لغتان ومعناها واحد. يقول: فمن أجهد إلى شيء مما حرم الله من أكل الميتة **﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾** وقال بعضهم: يعني غير مفارق الجماعة **﴿ولا عاد﴾** على المسلمين بالسيف؛ فمن خرج لقطع الطريق، أو خرج على إمام المسلمين بالسيف لا رخصة له عند بعضهم. وقال الشافعي: من خرج في معصية فلا رخصة له. وقال بعضهم: كل من اضطر إلى أكل الميتة رخص له أن يأكل سواء خرج للمعصية أو غيرها. وهذا قول أصحابنا. ومعنى قوله: **﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾** يعني: غير طالب للحرام ولا راضٍ بأكله. **﴿ولا عاد﴾** يعني: لا يعود إلى أكله بعدما أكل مقدار ما يسد به رمقه.

وروي عن ابن عباس نحو هذا. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعيد الترمذي قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾** قال: «من أكل شيئاً من هذه الأشياء وهو مضطر، فلا حرج عليه؛ ومن أكله وهو غير مضطر، فقد بغى واعتدى»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: **﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** ثم اختلفوا

(١) عزاه السيوطي: ٤٠٧/١ إلى ابن أبي حاتم.



في حد الاضطرار الذي يحل له الميتة. قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف وهو قول الشافعي. وروي عن ابن المبارك أنه قال: إذا كان بحال لو دخل السوق لا ينظر إلى شيء سوى الخبز. وقال بعضهم: إذا كان بحال يضعفه عن أداء الفرائض.

وقد اختلفوا أيضاً في أكله: قال بعضهم: أكله حرام، إلا أنه كما قال تعالى: ﴿فلا إثم عليه﴾ ألا ترى أنه قال في سياق الآية ﴿إن الله غفور رحيم﴾. وقال بعضهم: هو حلال ولا يسعه تركه، لأنه قال في آية أخرى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: 119]، فلما استثنى منه ثبت أنه حلال. وروي عن مسروق أنه قال: «من اضطر إلى ميتة فلم يأكل حتى مات، دخل من النار».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ مِمَّا أَصْرَبَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، نزلت في رؤساء اليهود، كانوا يرجون أن يكون النبي عليه السلام منهم، فلما كان من غيرهم خشوا بأن تذهب منافعهم من السفلة، فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ فغيروها. وقال بعضهم: غيروا تأويلها فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يعني: في التوراة بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿وَيُسْرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً﴾، يعني: يختارون به عرضاً يسيراً من منافع الدنيا. ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾، يعني: يأكلون الحرام. وإنما سمي الحرام ناراً، لأنه يستوجب به النار، كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ غُلَامًا إِذَا مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10].

﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي لا يكلمهم بكلام الخير، لأنه يكلمهم بكلام العذاب حيث قال: ﴿أَنْشَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [المؤمنون: 108]، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، يعني: ولا يطهرهم من الأعمال الخبيثة السيئة. وقال الزجاج: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي لا يشفي عليهم خيراً، ومن لا يشفي عليه الخير فهو يعذبه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي وجيع، يعني: الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب، وكذلك كل من كان عنده علم فاحتاج الناس إلى ذلك فكنمه، فهو من أهل هذه الآية. وهذا كما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿مَنْ كَتَمَ جَلْمًا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، أَلْجَمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ﴾ (١).

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد: ٢٦٣/٢، ٣٠٥ وأبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجه =



ثم قال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾، يعني: رؤساء اليهود ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾، يعني: اختاروا الكفر على الإيمان ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾، يعني: اختاروا النار على الجنة، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، يقول: فما الذي أجراهم على فعل أهل النار؟ ويقال: معناه فما أبغاهم في النار؟ كما يقال: فما أصبر فلاناً على الحبس: أي أبغاه ﴿ذَلِكَ﴾، أي ذلك العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، أي القرآن بالحق، يعني: بالعدل. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾، أي: في القرآن ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، أي: في ضلالٍ بَيْنٍ. ويقال: معناه أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد ﷺ بالعدل، فتركوا اتباعه وخالفوه فاستوجبوا بذلك العذاب. ويقال: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، يعنى: في خلاف بعيد من الحق. وذكر عن قتادة أنه قال: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، أي: فما أجراهم على العمل الذي يقربهم إلى النار. وروي عن مجاهد أنه قال: ما أعملهم بعمل أهل النار، ويريد: ما أدومهم على أعمال أهل النار. وقال أبو عبيدة: ما الذي صيرهم ودعاهم إلى النار؟

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاللَّيْطَةِ وَاللَّيْسَةِ وَاللَّيْتِنِ وَمَاتَ عَلَىٰ حَيْهَةِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْأَنْسَاءِ وَالصَّرْفِ وَحِينَ الْأَيْمَانِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الراء على معنى خير ليس. وقرأ الباقون: بالرفع على معنى اسم ليس. من قرأ بالرفع فهو الظاهر في العربية، لأن ليس يرفع الاسم الذي بعده بمنزلة كان؛ وأما من قرأ بالنصب، فإنه يجعل الاسم ما بعده ويجعل ﴿البر﴾ خبره. وقرأ نافع وابن عامر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ﴾ بكسر التون وضم الراء، وقرأ الباقون: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ﴾ بنصب البنون مشددة وينصب الراء. قال مقاتل: في قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾، يعني: ليس البر أن تحولوا وجوهكم في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، فلا تعملوا غير ذلك، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾، يعني: صدق بالله بأنه واحد لا شريك له. ويقال: معناه ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما ذكر في هذه الآية من العبادات. ثم اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾. قال بعضهم: معناه ولكن ذو البر من آمن بالله. وقال بعضهم: معناه ولكن البرُّ من آمن بالله، وكلا المعنيين

= (٢٦١) والطبائسي (٢٥٣). وعند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو: ١٠٢/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه والبتوي (١٤٠).

ذكرهما الزجاج في كتابه. وقال بعضهم: ﴿ليس البر﴾ أي: ليس البار من يولي وجهه إلى المشرق والمغرب، ولكن البار من آمن بالله.

ثم ذكر في هذه الآية خمسة أشياء وهي من الإيمان، فمن لم يقر بواحدة منها فقد كفر. أحدها: الإيمان بالله تعالى أنه واحد لا شريك له، وصدق باليوم الآخر، وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، وأنه كائن، وأن أهل الثواب يصلون إلى الثواب، وأهل العقاب يصلون إلى العقاب، وصدق بالكتاب أنه منزل من الله تعالى يعني: القرآن وسائر الكتب: التوراة والإنجيل والزيور، ويقر بالملائكة أنهم عباده، ويقر بالنبیین أنهم رسله وأنبيأؤه، فهذه الخمسة من الإيمان فمن جحد واحدة منها فقد كفر.

ثم ذكر الفضائل فقال: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، يعني: يعطي المال على شهوته وجوعه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر، ويؤمل العيش. ويقال: ﴿على حبه﴾ الإغطاء بطيبة من نفسه، يعطي ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾، يعني: الضيف النازل ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الذين يسألون الناس ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾، يعني المكاتبين. وقد قيل: ﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع من ماله.

ثم ذكر الفرائض فقال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ المكتوبة، ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة. ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وفيما بينهم وبين الناس. ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِبْنَ الْبَأْسِ﴾. قال القتيبي: ﴿البأساء﴾ الفقر وهو من البؤس، ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة. ﴿وَجِبْنَ الْبَأْسِ﴾، يعني يصبرون عند الحرب. وقال القتيبي: ﴿البأس﴾ الشدة ومنه يقال: لا بأس عليك يعني لا شدة عليك يقال: فلهذا سمي الحرب البأس، لأن فيه شدة.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ يعني: صدقوا في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ عن نقض العهد.

فإن قيل: أيش معنى قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ وموضعه موضع رفع، ولم يقل: والصابرون؟ قيل له: قد قال بعض من تعسف في كلامه: إن هذا غلط الكاتب حين كتبوا مصحف الإمام، والدليل على ذلك ما روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألستها وهكذا قال في سورة النساء: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِالْبَكْرِ﴾ [النساء: 162] وفي سورة المائدة ﴿وَالصَّابِرُونَ﴾. لكن الجواب عند أهل العلم أن يقال: إنما صار نصباً للمدح والكلام يصير نصباً على المدح أو الذم. ألا ترى إلى قول القائل:

نَحْنُ بِنِي صَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ  
نَسَارُ السَّمَوَاتِ إِذِ السَّمَوَاتُ نَزَلَتْ

والموت أشهى عندنا من العسل<sup>(١)</sup>

وإنما جعله نصباً للمدح . وكان سيّله : نحن بنو ضبة ، إلا أنه لما جاء الكلام على سبيل المدح نصبه ، وأراد بالجمل : حرب الجمل والضبة : اسم قبيلة وهم الذين شهدوا معركة الجمل . وروي عن قتادة أنه قال : ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن البر فنزلت هذه الآية : **لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ** ، إلى آخر الآية . وقال الضحاك **«أُولَيْكَ الَّذِينَ صَدَقُوا»** ، يعني : صدقت نيّاتهم فاستقامت قلوبهم بأعمالهم . **«وَأُولَيْكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»** ، يعني المطيعين لله تعالى .

**﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ بِالْأَنْثَىٰ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِيَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَدَابٌ أَلَيْسَ ۖ﴾** **(١٧٦)** **﴿وَكُمُ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابَ لِمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۖ﴾** **(١٧٧)**

قوله تعالى : **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾** ، يعني : فرض عليكم ، وأوجب عليكم القصاص . فإن قيل : القصاص على من يكون؟ على الولي أو على غيره؟ قيل له : القصاص على القاضي إذا اخصموا إليه ، بأن يقضي على القاتل بالقصاص إذا طلب الولي ، لأن الله تعالى قد خاطب جميع المؤمنين بالقصاص ؛ ثم لا يتبها للمؤمنين ولا يمكنهم جميعاً أن يجتمعوا على القصاص فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص ، فخاطب الولي بالقصاص ، وخاطب غيره بأن يعين الولي على ذلك . وهو قوله : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾** ، أي : فرض عليكم إذا كان القتل عمداً .

**﴿الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾** . قال بعضهم : كان في أول الشريعة ، أن الحر يقتل بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، ولا يقتل الحر بالعبد ولا العبد بالحر ، ولا الذكور بالأنثى ثم نسخ بقوله تعالى : **﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾** **(المائدة: ٤٥)** . وقال بعضهم : هي غير منسوخة ، لأنه قد ذكر هذه الآية : **﴿الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾** ولم يذكر في هذه الآية : أن العبد لو قتل حراً ما حكمه ، فبيّن في آية أخرى وهو قوله : **﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾** . وقال ابن عباس : «نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية ، فكانت بينهم قتلى وجراحات ، وكان لأحدهما طول على الآخر فقالوا : لنقتلن بالعبد منا الحر منكم ، وبالعبد منا المرأة منكم ، وبالرجل منا الرجلين منكم ، فلما جاء الإسلام طلب بعضهم من بعض ذلك ، فنزلت هذه الآية : **﴿الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾** .

وقال تعالى : **﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾** ، يعني : ترك ولي المقتول من أخيه ، يعني : القاتل ولم يقتله وأخذ الدية . **﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾** ، يعني : يطلب الدية بالرفق ولا يعسر عليه ،

(١) البيتان : الثاني والثالث ، ساقطان من النسخة «ب» .

وأمر المطلوب بأن يؤدي الدية إلى الطالب لقوله: **﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾**. وقال القتيبي **﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَحْبَبِهِ شَيْءٌ﴾** قال: قبول الدية في العمد والعفو عن الدم. وقوله **﴿فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾** أي مطالبة جميلة **﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾** لا يبخسه ولا يماطله ولا يدفعه، ويقال: معناه إذا عفا أحد ولي القصاص صار نصيب الآخر مالا فتيبته بالمعروف، والقائل يؤدي إليه نصيبه بإحسان.

**﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾** لأن أهل التوراة كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو وليس لهم قود ولا دية، فجعل الله تعالى القصاص والدية والعفو تخفيفاً لهذه الأمة: فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا. وقد قال بعض الناس: إن الولي إن شاء قتل، وإن شاء أخذ الدية، وإن لم يرض القاتل، وهو قول الشافعي رحمه الله، وقال أصحابنا: ليس له أن يأخذ الدية إلا برضا القاتل. وليس في هذه الآية دليل، أن له أن يأخذ الدية بكره منه، وفيه دليل: أن له أن يقبل الدية ومعناه عند أصحابنا: أن له الدية إذا رضي القاتل وَأُضْطَلِحًا على ذلك.

ثم قال تعالى: **﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾** يعني: أن يقتل بعد ما أخذ الدية **﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** أي: وجيع. وقال قتادة: يقتل ولا يقبل منه الدية إذا اعتدى، واحتج بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: **﴿لَا أُعْفَىٰ عَنْ أَحَدٍ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ﴾** (١). ولكن معناه عندنا: أنه إذا طلب الولي القتل، فأما إذا عفا عنه الثاني وتركه جاز عفو، لأنه قتل بغير حق، فصار حكمه حكم القاتل الأول، لأنه لو عفي عنه لجاز ذلك، فكذلك الثاني.

ثم قال عز وجل: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾** أي: بقاء. لأن الناس يعتبرون بالقصاص فيمتنعون عن القتل. وهذا كما قال القاتل:

أَبْلِغْ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُنْعَلَةً وَفِي الْعِقَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ

وهذا معنى قوله: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾** **﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾** يعني: يا ذوي العقول. **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** أي: القتل مخافة القصاص.

**﴿كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** (٢) **﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَدَلًا سَمِيمًا فَلْيَأْتِنَا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (٣) **﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَسٍ جَنًا أَوْ مِن شَاوِلِحٍ بَيْنَهُمْ فَلَا يُؤْذِرُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (٤)

قوله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُم﴾** أي: فرض عليكم **﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾** يقول: أي ترك مالا، والخير في القرآن على وجوه، أحدها: المال كقوله: **﴿إِنْ تَرَكَ**

(١) حديث جابر: أخرجه أبو داود في الديات (٤٥٠٧) وأحمد: ٣/٣٦٢.

خَيْرًا ﴿البقرة: ۲۱۵﴾ ، ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ ﴿البقرة: ۲۷۲﴾ أي المال . والثاني : الإيمان كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ يَوْمَ تَبَايَعْتُمْ أَنَّ بَيْنَكُمْ لَرِيبٌ مِنْهُمُ اللَّهُ بِخَبْرِكُمْ أَزَكَّ مِنْكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿البقرة: ۲۳﴾ يعني : إيماناً ، وقوله : ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَوَّجْتُمْ أَنْ يُزَوِّجَهُمُ اللَّهُ سَبِيحًا﴾ ﴿هود: ۳۱﴾ . والثالث : الفضل كقوله تعالى : ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْأَرْجِيئِينَ﴾ ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿المؤمنون: ۱۰۹ و ۱۱۸﴾ . والرابع : العافية كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَسْتَكْذِبْ فَخَبَّرْهُ﴾ ﴿الأحكام: ۱۷﴾ ﴿وَإِنْ يُزْكَرْ بِمَعْزِرٍ﴾ ﴿يونس: ۱۰۷﴾ . والخامس : الأجر ، كقوله تعالى : ﴿لَكَرَّ فِيهَا خَيْرٌ﴾ ﴿الحج: ۳۶﴾ أي أجر .

وقال بعضهم : الوصية واجبة على كل مسلم ، لأن الله تعالى قال : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ ، أي : فرض عليكم الوصية . وروى عن ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿مَا حَقَّ لِأَمْرِي مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ لَيْلَةً وَعِنْدَهُ مَالٌ يُوصِي بِهِ ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ﴾<sup>(۱)</sup> وقال بعضهم : هي مباحة وليست بواجبة . وقد روي عن الشعبي أنه قال : «الوصية ليست بواجبة فمن شاء أوصى ومن شاء لم يوص» . وقال إبراهيم النخعي : مات رسول الله ﷺ ولم يوص ، وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه ، فإن أوصى فحسن ، وإن لم يوص فليس عليه شيء . وقال بعضهم : إن كان عليه حج أو كفارة أو شيء من الكفارات فالوصية واجبة ، وإن لم يكن عليه شيء من الواجبات فهو بالخيار : إن شاء أوصى ، وإن شاء لم يوص . وبهذا القول نأخذ .

ثم بين موضع الوصية فقال تعالى : ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْأَوْلَادِ لِلذَّكَرِ مِثْلُ لِلْأُنثَى﴾ . وقال مجاهد : كان الميراث للولد والوصية للوالدين والأقربين ، فصارت الوصية للوالدين منسوخة . وروى جوير ، عن الضحاك أنه قال : نسخت الوصية للوالدين والأقربين ممن يرث ، وبقيت الوصية لمن لا يرث من القرابة . ويقال : في الآية تقديم وتأخير ، ومعناه : كتب عليكم الوصية للوالدين والأقربين إذا حضر أحدكم الموت . وكانوا يوصون للأجنيبين ولم يوصوا للقرابة شيئاً ، فأمرهم الله تعالى بالوصية للوالدين والأقربين ، ثم نسخت الوصية للوالدين بآية الميراث في قوله : ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ، يعني : واجباً على المتقين .

قوله تعالى : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ ، يعني : غيره بعدما سمع الوصية ؛ ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ، يعني : وزره على الذين يغيرونه لا على الموصي ، لأن الموصي قد فعل ما عليه . ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بالوصية ﴿عَلِيمٌ﴾ بشوايها وبجزاء من غير الوصية .  
قوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ ، أي علم من الموصي الجنف وهو الميل عن الحق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ، إذا غير وصيته فردها إلى الحق ، لأن تبديله كان للإصلاح ولم

(۱) حديث ابن عمر : أخرجه مالك ۲/ ۷۶۱ والبخاري (۲۷۳۸) ومسلم (۱۶۲۷) والترمذي (۹۷۴) وأبو داود (۲۸۶۲) والنسائي : ۶/ ۲۳۸ وابن ماجه (۲۶۹۹) وأحمد : ۵۷/ ۲ ، ۸۰ ، والبيهقي : ۶/ ۲۷۲ والبخاري (۱۴۵۷) .

يكن للجور. وقال الكلبي: **﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾**، يعني: علم من الميت الخطأ في الوصية، **﴿أَوْ إِنَّمَا﴾**، يعني تعمداً للجور في وصيته فزاد على الثالث؛ **﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾**، يعني: رد ما زاد على الثالث **﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾**. هكذا قال مقاتل. وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر».

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: **﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾** بنصب الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون: بسكون الواو وتخفيف الصاد. فمن قرأ بالنصب والتشديد، فهو من وصى يوصي، ومن قرأ بالتخفيف، فهو من أوصى يوصي. وهما لغتان ومعناهما واحد **﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**، معناه: **﴿غفور﴾** لمن جنف **﴿رحيم﴾** لمن أصلح.

**﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمُ تَقْوَىٰ ۗ﴾** (١٨٦) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُۥ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَلَكُمْ فَنُكُورٌ ﴿١٨٨﴾

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾**، يعني: فرض عليكم صيام شهر رمضان، **﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾**، يعني: فرض على الذين من قبلكم من أهل الملل. **﴿لِمَلَّكُمُ تَقْوَىٰ﴾** الأكل والشرب والجماع بعد صلاة العشاء الأخيرة وبعد النوم. ويقال: كما كتب في الذين من قبلكم في الفرض. ويقال: كما كتب على الذين من قبلكم في العدد **﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾**، أي: معلومات، وإنما صارت الأيام نصباً لنزع الخافض، ومعناه: في أيام معدودات. وقال مقاتل: كل شيء في القرآن معدود أو معدودات فهو دون الأربعين، وما زاد على ذلك لا يقال معدود.

ثم قال تعالى: **﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾**، فلم يقدر على الصوم **﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾**، فلم يصم في سفره. **﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾**، أي: فعليه أن يقضيها بعد مضي الشهر مثل عدد الأيام التي فاتته. **﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾**، يعني: يطيقون الصوم **﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾**، يعني: يدفع لكل مسكين مقدار نصف صاع من حنطة ويفطر ذلك اليوم. **﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾**، فتصدق على مسكينين مكان كل يوم يفطره، **﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾**، من أن يطعم مسكيناً واحداً، والصيام خير له من الإفطار وهو قوله: **﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾**، من أن تطعموا وتفطروا. قال الكلبي: ثم نسخت



هذه الآية بالآية التي بعدها، وهكذا قال القتيبي، وهكذا روي عن سلمة بن الأكوع أنه قال: لما نزلت هذه الآية: **«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ»**، من أراد أن يفطر ويفدي فعل، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسخناها: **«فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»**. وقال الشعبي: لما نزلت هذه الآية: **«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ»**، كان الأغنياء يطعمون ويفطرون ولا يصومون، وصار الصوم على الفقراء، فنسختها هذه الآية **«فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»**، فوجب الصوم على الغني والفقير، وقال بعضهم: ليست بمنسوخة، وإنما نزلت في الشيخ الكبير. وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ: **«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ»**، يعني: يكلفون فلا يطيقونه. وروي عطاء، عن ابن عباس أنه قال: «ليست بمنسوخة وإنما هي الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة للذان لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان كل يوم مسكيناً».

قرأ نافع وابن عامر **«فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ»** بضم الهاء وكسر الميم بآلف: على الإضافة. وقرأ الباقون بتنوين الهاء **«فِدْيَةٌ طَعَامٌ»** بضم الميم **«مسكين»** بغير آلف.

قوله تعالى: **«شَهْرُ رَمَضَانَ»**، قرأ بعضهم: **«شَهْرُ رَمَضَانَ»** قرأ عاصم في رواية حفص **«شَهْرٌ»** بفتح الراء وقرأ الباقون: **«شَهْرٌ»** بالضم. وإنما صار رفعاً لمعينين: أحدهما أنه مفعول ما لم يسم فاعله، يقول: كتب عليكم شهر رمضان، ومعنى آخر: أنه خبر الابتداء يعني: هذا شهر رمضان. ومن قرأ بالنصب احتمل أنه صار نصباً لوقوع الفعل عليه، أي صوموا شهر رمضان؛ ويقال: إنه لنزع الخافض، أي: في شهر رمضان. ويحتمل: عليكم شهر رمضان. كقوله: **«مِثْقَلَةُ أَلْفٍ»** [البقرة: ١٣٨].

وقوله تعالى: **«الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ»**، قرأ ابن كثير **«الْقُرْآنَ»** بالتخفيف وقرأ الباقون بالهمزة، وقال ابن عباس في معنى قوله: **«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ»**، يعني: أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا، ثم أنزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً نجوماً، أي الآية والآيتين في أوقات مختلفة؛ أنزل عليه في إحدى وعشرين سنة. وقال مقاتل: أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهراً، ونزل فيه جبريل في عشرين سنة.

حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا الفضل بن دكين<sup>(١)</sup>، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة قال: «أنزلت التوراة في ثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان، والإنجيل في ثمانية عشرة، والقرآن في أربعة وعشرين».

قال الفقيه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم القطان قال: حدثنا محمد بن صالح الترمذي قال:

(١) في نسخة «ب» حدثنا محمد بن الفضل العابد قال: حدثنا الفضل بن دكين.



حدثنا سويد بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن جريح قال: قال ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قال: «أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة القدر». قال ابن جريح: كان ينزل من القرآن في ليلة القدر كل شيء ينزل في تلك السنة. فينزل ذلك من السماء السابعة على جبريل في سماء الدنيا، ولا ينزل جبريل من ذلك على محمد ﷺ إلا كلما أمر به ربه عز وجل.

قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ يعني: القرآن هدى للناس من الضلالة وبيانا لهم. ﴿وَيُنَاتِ مِنْ الْهُدَى﴾ يعني: بيان الحلال والحرام ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ يعني: المخرج من الشبهات ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ يعني: من كان منكم شاهداً ولم يكن مريضاً ولا مسافراً فليصم الشهر. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَاذْفَرْ﴾، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بقضيه بعد ذلك. روي عن عبد الله بن عمر: «أنه كان يكره قضاء رمضان متفرقاً». وعن علي بن أبي طالب مثله. وقال معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وجماعة من الصحابة: «أحصى العدد وسم كيف شئت». واختلغوا في حد المريض الذي يجوز له الإفطار: قال بعضهم: إذا كان بحال يخاف على نفسه التلف، وقال بعضهم: إذا استحق اسم المريض جاز له الإفطار، وقال بعضهم: إذا كان بحال يخاف أن يزيد الصوم في مرضه، جاز له أن يفطر، وهذا قول أصحابنا.

ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ يعني: في الإفطار في حال المرض والسفر، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ يعني: بالصوم في المرض والسفر. ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، قال الكلبي: يعني لتتموا عدة ما أفطرت من الصوم في السفر أو في المرض. وقال الضحاك: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾. يعني: إذا غم عليكم هلال شوال فأكملوا الشهر ثلاثين يوماً. قرأ عاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في رواية هارون: ﴿وَلِتُكْمَلُوا﴾؛ ينصب الكاف وتشديد الميم، وقرأ الباقون بالتخفيف وسكون الكاف؛ وهما لغتان يقال: كملت الشيء، وأكملته مثل وضيت وأوصيت ثم قال: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾، يعني: لتعظموا الله على ما هداكم الشريعة وسننه وأمر دينه وقيل: تعظيم الله والثناء عليه، وقيل: هو تكبير يوم الفطر، وقيل: هذا التكبير للإلهال. ﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي لشكروا الله تعالى على هذه النعمة حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر. وقال مقاتل: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النعم، أن هداكم لأمر دينه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ أَلَمَسَايَ الرَّفَّتْ إِنْ يَسْأَلِكُمْ مِنْ يَأْسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسٌ لَهُمْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَفْتَاوَتْ أَنْسَكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَدَكُمْ فَالْتَقَ بِشِرْوَعَيْنِ وَابْتَعَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَقْبِضَ لَكَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ

مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ آتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْلِ وَلَا تَبْتَغُوا مِنْهُ وَآتُوا عَنْكُمْ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِيَتْلُوهُنَّ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿۱۷۷﴾

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ ؛ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿أَنْعَوْهُ أَسْتَجِبَ لَكَ﴾ [عاصم: 160]، قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، في أي وقت ندعو الله حتى يستجاب دعائونا؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، يعني: أجيبيكم في أي وقت تدعونني. وقال بعضهم: سأله بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقرب ربنا فنتجابه أم بعيد فنتداه؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾. وقال مقاتل: «إن عمر واقع امرأته بعدما صلى العشاء، فندم على ذلك فبكى وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ورجع من عنده مغتماً، وكان ذلك قبل الرخصة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في إحدى الروايتين: ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾ بالياء كليهما وقرأ الباقون كليهما بحذف الياء. وأصله بالياء، إلا أن الكسر يقوم مقام الياء. ويقال: فإني قريب في الإجابة، أجب دعوة الداعي إذا دعاني.

ثم قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ الاستجابة بالطاعة، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ وليصدقوا بوعدتي. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ الاستجابة أن تقولوا بعد صلاتكم: «ليبك اللهم ليبك لا شريك لك ليبك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ والإيمان أن تقول: «أمنت بالله وكفرت بالطاغوت، وأن وعدك حق لقاءك حق، وأشهد أنك أحد فرد، لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفواً أحد، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنت باعث من في القبور». وروي عن ابن عباس أنه قال: «ما تَرَكْتُ هذه الكلمات دبر كل صلاة منذ نزلت هذه الآية». وروي عن الكلبي أنه قال: ما تركتها منذ أربعين سنة. ويقال: معناه أجيبيوا لي بالطاعة إذا دعاكم محمد ﷺ ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، أي صدقوا بتوحيدي. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي يهتدون من الضلالة.

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾، يعني الجماع. كان في ابتداء الإسلام لا تحل المجامعة في ليالي الصوم، ولا الأكل ولا الشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله تعالى ذلك كله إلى طلوع الفجر. وروى بكر بن عبد الله، عن ابن عباس أنه قال: «الغشيان واللمس والإفشاء والمباشرة والرفث هو الجماع، ولكن الله حيي كريم يكتفي بما شاء». وسبب نزول هذه الآية: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع امرأته بعد صلاة العشاء في شهر رمضان بعد النوم، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿مَا كُنْتَ جَدِيراً بِذَلِكَ﴾. فرجع

مغتماً فنزلت هذه الآية: **﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾** (١)، يعني: رخص لكم الجماع مع نساءكم. **﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾**، يعني: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. ويقال: هن ستر لكم من النار وأنتم ستر لهن من النار. **﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾**، يعني: تظلمون أنفسكم. قال القتيبي: أصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه، وقد سمى الله تعالى هذا الفعل خيانة، لأن الإنسان قد أؤتمن على دينه، فإذا فعل بخلاف ما أمر الله به ولم يؤد الأمانة فيه، فقد خانه بمعصيته.

ثم قال **﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾**، يعني: فتجاوز عنكم **﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾** فلم يعاقبكم بما فعلتم. **﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾**، أي جامعوهن **﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**، يعني اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد الصالح. وقال الزجاج: **﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾**، أي اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه وأمرتم به.

**﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا﴾**، نزلت في شأن صرمة بن قيس، عمل في النخيل بالنهار، فلما رجع منزله غلب عليه النوم قبل أن يأكل شيئاً، فأصبح صائماً فأجهدته الصوم، فرآه رسول الله ﷺ في آخر النهار فقال له: **﴿مَا لَكَ يَا ابْنَ قَيْسٍ أَمْسَيْتَ طَلِيحاً؟﴾** فقال: ظللت أمس في النخيل نهاري كله أجزّ بالجرين، حتى أمسيت فأنيت أهلي، فأرادت أن تطعمني شيئاً سخناً فأبطأت عليّ، فنمت فأيقظوني وقد حرم عليّ الطعام والشراب، فلم آكل فأصبحت صائماً، فأمسيت وقد أجهدني الصوم. فنزلت هذه الآية (٢) **﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾**، وهذا أمر إباحة لله تعالى وليس بأمر حتم. هذا مثل قوله: **﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُ الْمَسْأَلَةَ﴾** [المائدة: ٢] ومثل قوله: **﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾** [الجمعة: ١٠]. اللفظ لفظ الأمر والمراد به الإباحة. وقد أباح الأكل والشرب إلى وقت طلوع الفجر بقوله: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾**، يعني: يستبين لكم بياض النهار من سواد الليل.

ويقال: في الابتداء حين نزل: **﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾**، كان بعضهم يأخذ خيطين أحدهما أبيض والآخر أسود، ويجعل ينظر إليهما ويأكل ويشرب، حتى يستبين له الأسود من الأبيض. وذكر عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال: «أخذت خيطين، فجعلت أنظر إليهما، فلم يتبين الأسود من الأبيض ما لم يسفر الفجر، فأنيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فتبسم وقال: **﴿إِنَّكَ لَمَرِيضٌ الْقَفَا؛ إِثْمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَبْيَاضُ النَّهَارِ﴾** (٣)، فنزل قوله: **﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾** فارتفع الاشتباه.

(١) عزاه السيوطي ٤٧٦/١ إلى ابن جرير.

(٢) عزاه السيوطي ٢٧٥/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبي داود والترمذي وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٣) حديث عدي أخرجه البخاري (٤٥٠٩) (٤٥١٠) ومسلم (١٠٩٠) وأحمد ٣٧٧/٤ وابن خزيمة (١٩٢٦) وأبو داود (٢٣٤٩) والبيهقي: ٢١٥/٤ والطحاوي: ٥٣/٢ والترمذي (٢٩٧١).

ثم قال تعالى: **﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾** يعني: إلى أول الليل وبعد غروب الشمس.  
وقوله تعالى: **﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ﴾** يقول: ولا تجمعوهم **﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾**، أي: وأنتم معتكفون فيها، وذلك أنه لما رخص لهم الجماع في ليلة الصيام، فكان الرجل إذا كان معتكفاً فإذا بدا له، خرج بالليل إلى أهله فيغشاها ثم يغتسل فيرجع إلى المسجد، فنزلت هذه الآية: **﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ﴾**، ليلاً ولا نهاراً **﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ﴾**؛ قال الكلبي: يعني المباشرة في الاعتكاف معصية الله **﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾** في الاعتكاف. وقال الزجاج: الحد في اللغة هو المنع، فكل من منع فهو حداد. ولهذا سمي حد الدار حداً، لأنه يمنع الغير عن دخولها. **﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾**، يعني: النهي عن الجماع **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** الجماع حتى يفرغوا من الاعتكاف. ويقال **﴿تِلْكَ خُدُودُ اللَّهِ﴾**، يعني: جميع ما ذكر من أول الآية إلى آخرها في أمر الصيام وغيره، ويبيّن لهم الآيات **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**: فيتقون عما نهى الله ويتبعون ما الله به.

**﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْهَكَامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِمَّا أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾**، يعني: بالظلم وشهادة الزور. **﴿وتذللوا بها إلى الحكام﴾**، يعني: تلجؤوا بالخصومة إلى الحكام. وقال الزجاج: معناه، تعملون بما يوجبه ظاهر الحكم، وتتركون ما علمتم أنه الحق. **﴿لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا﴾**، يعني طائفة **﴿مِمَّا أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾**، يعني: باليمين الكاذبة وشهادة الزور. ويقال: **﴿بالإثم﴾** يعني: بالجور. **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** أنه جور. ويقال: إنكم تعلمون أنكم تأخذون بالباطل.

وهذه الآية نزلت في شأن امرئ القيس بن عابس الكندي وعبدان بن أشوع الحضرمي<sup>(١)</sup>، اختصما إلى رسول الله ﷺ فادعى أحدهما على صاحبه شيئاً، فأراد الآخر أن يحلف بالكذب، فقال النبي ﷺ: **﴿إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضِ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ وَأَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ، فَإِنَّمَا أَقْضِي لَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ النَّارِ﴾**<sup>(٢)</sup>. فنزلت هذه الآية فيهما، وصارت عامة لجميع الناس. وروى سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ أنه قال: **﴿شَاهِدُ الزُّورِ إِذَا شَهِدَ لَا يَرْفَعُ قَدِيمِيهِ مِنْ مَكَانِهِمَا، حَتَّى يَلْعَنَهُ اللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ﴾**<sup>(٣)</sup>.

(١) في نسخة أب: عبدان بن الإسرع الحضرمي.  
(٢) حديث أم سلمة: أخرجه مالك: ٧١٩/٢ والبخاري (٢٤٥٨) (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣) (٤) (٥) والترمذي (١٣٣٩) والنسائي: ٢٣٣/٨ وابن ماجه (٢٣١٧) (٢٤٥٨) وأحمد ٢٠٣/٦، ٢٩١، والبيهقي ١٤٣/١٠ والبخاري (٢٥٠٧). وينحوه من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه (٢٣١٨) وأحمد: ٣٢٢/٢ وهو صحيح.  
(٣) الحديث مرسل. وسعيد بن المسيب تابعي.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾. الأهلة: جمع هلال، واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا صاح؛ وأهل بالحج: إذا رفع صوته بالتلبية. وكذلك الهلال سمي هلالاً، لأنه يهل الناس بذكره يعني: يرفعون الصوت عند رؤيته؛ وإنما سمي الشهر شهراً لشهرته. وقال الضحاك في معنى الآية: وذلك إن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عن حرص النخيل والتصرف في زيادة الشهر وتقصانه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، يعني: التصرف في زيادته وتقصانه سواء. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «نزلت هذه الآية في شأن معاذ بن جبل، وثعلبة الأنصاري، أنهما قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقتاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم ينقص؟! فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ يقول: «هي علامات للناس في حل ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسايتهم ووقت الحج».

ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾؛ قال الضحاك: وذلك أن الكفار كانوا لا يدخلون البيت في أشهر الحج من بابه، وكانوا يدخلونه من أعلاه، فنزلت هذه الآية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «وذلك أن الناس كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا أحرم رجل منهم قبل الحج، فإن كان من أهل المدر يعني من أهل البيوت، نحب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه. وإن كان من أهل الوبر يعني من أهل الخيام، يدخل من خلف الخيمة إلا من مكان من أهل الحمس أي نجران. وإنما سموا الحمس، لأنهم يحمسون في دينهم، أي شددوا على أنفسهم، فحرموا على أنفسهم أشياء أحل الله عليهم، وأحل لم أشياء كانت حراماً على غيرهم وهو الدخول من الباب. فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾، يعني: ليس التقوى بأن تأتوا البيوت من خلفها إذا أحرمتم. ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾، يعني: التقوى ﴿مَنِ اتَّقَى﴾، يعني: أطاع الله واتبع أمره. ويقال: ولكن ذو البر من اتقى الشرك والمعاصي.

ثم قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، يعني ادخلوها محلين ومحرمين. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تقتلوا الصيد في إحرامكم؛ وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: ﴿واتقوا الله﴾ ولا تعصوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي تنجون من العقوبة.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِلَٰهَ اللَّهِ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾  
وَتَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ بَلَّوْا فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ  
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْمَوَاسِّمْ فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّيْكُمْ عَلَيْكُمْ وَأَقْتُلُوا اللَّهَ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه إلى مكة للعمرة، فنزل بالحدبية بقرب مكة، والحدبية: اسم بئر، فسمي ذلك الموضع باسم تلك البئر، فصدته المشركون عن البيت، فأقام بالحدبية شهراً، وصالحه المشركون على أن يرجع من عامه كما جاء، وعلى أن تخرى له مكة في العام المقبل ثلاثة أيام، وصالحه المشركون على أن لا يكون بينهم قتال إلى عشر سنين، فرجع إلى المدينة. فخرج في العام الثاني للقضاء، فخاف أصحاب رسول الله ﷺ أن يقاتلهم المشركون، وكرهوا القتال في الشهر الحرام، فنزلت هذه الآية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: في طاعة الله ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، يعني: في الحرم أو في الشهر الحرام، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بأن تنقضوا العهد وتبدؤوهم بالقتال في الشهر الحرام أو في الحرم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، يعني: من بدأ بالظلم. قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، أي حيث وجدتموهم في الحل والحرم، الشهر الحرام. فأمرهم الله تعالى بقتل المشركين الذين ينقضون العهد.

وقوله: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْنَاكُمْ﴾ يعني: من مكة ﴿وَالْفِتْنَةَ﴾، يعني: الشرك بالله ﴿أَشَدُّ﴾، يعني: أعظم عند الله ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ في الشهر الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، يعني: في الحرم، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوَكُمْ فِيهِ﴾، يعني: يبدؤوكم بالقتال. ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾، يعني: يبدؤوكم بالقتال ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾، يعني: هكذا جزاؤهم، القتل في الحرم وغيره. قرأ حمزة والكسائي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ بغير الف ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوَكُمْ﴾، ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ وقرأ الباقون في هذه المواضع الثلاثة: بالالف. فمن قرأ بالالف فهو من المقاتلة؛ ومن قرأ بغير الف فمعناه: لا تقتلوهم حتى يقتلوا منكم.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ يعني: عن قتالكم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ يعني: إذا أسلموا. وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَكُوا﴾ (الأنفال: ١٣٨). ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، يعني: أهل مكة ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعني: الشرك بالله تعالى، ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ بَلَّوْا﴾، يعني: الإسلام. ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ عن قتالكم وتركوا الشرك ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾،



يقول: لا سبيل ولا حجة عليكم في القتل، ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الذين يبدؤونكم بالقتال. وقال القتيبي: أصل العدوان الظلم، يعني لا جزاء للظلم إلا على الظالمين.

فساق رسول الله ﷺ وأصحابه الهدايا فدخلوا مكة، وطافوا بالبيت، ونحروا الهدي، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا فنزل قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، يعني: الشهر الحرام الذي دخلت فيه الحرم، بالشهر الحرام الذي صدوكم عنه يعني: العام الأول وهو ذو القعدة ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: ما اقتضت لكم في ذي القعدة كما صدوكم. ويقال: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾، يعني: فقاتلكم يكون بقتالهم قصاصاً، فكما تركوا الحرمه فأنتم تتركون أيضاً ذلك.

ويقال: إن سبب نزول هذه الآية: أن المشركين سألو المسلمين فقالوا: في أي شهر يحرم عليكم القتال؟ وأرادوا أن يقفوا على ذلك، حتى يقاتلوهم في الشهر الذي حرم القتال على المؤمنين، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، يعني: في أي وقت قاتلكم المشركون حل لكم قتالهم.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، يعني: قاتلكم في الشهر الحرام ﴿فَأَغْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، أي قاتلوهم فيه، وإنما سمي الثاني اعتداء، لأنه مجازاة الاعتداء فسمي بمثل اسمه، وهذا كقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْذْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]؛ ثم صارت هذه الآية حكماً في جميع الجنابات: أن من جنى على إنسان أو في ماله، فله أن يجازيه بمثل ذلك، بظاهر هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن الاعتداء قبل أن يعتدوا عليكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، يعني: يعين من اتقى الاعتداء.

﴿وَأَنِيفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنِيفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: في طاعة الله. قال ابن عباس: «وذلك أن رسول الله ﷺ لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد، قام إليه ناس من الأعراب حاضري المدينة فقالوا: بماذا نتجهز؟ فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد». فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنِيفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله، يعني: في طاعة الله. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، يعني: ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا، وهكذا قال مقاتل. ومعنى قول ابن عباس: «ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا»، أي: لا تمسكوا عن النفقة والعون للضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلب عليكم العدو فتهلكوا. ومعنى آخر: ولا تمسكوا، فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. معنى آخر: ولا تمسكوا، فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة.





الفراء: الإحصار ما ابتلي به الرجل في إحصاره من المرض أو العدو وغيره. وقال بعضهم: لا يكون الإحصار إلا من العدو، وهو قول الشافعي. وقال بعضهم: يكون من العدو ومن المرض، وبه قال علماؤنا رحمهم الله.

ثم قال: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعني: ابعثوا إلى البيت ما استيسر من الهدى، فالحق تعالى رخص لمن عجز عن الوصول إلى البيت بالعدر أن يبعث الهدى، فيذبح عنه بمكة، ويحل الرجل من إحصاره إذا ذبح هديه، ويرجع إلى أهله، ثم يقضي حجه وعمرته بعد ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَخْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾، يعني المحصر إذا بعث بالهدى، لا يجوز له أن يحل من إحصاره ما لم يذبح هديه. يقول: لا يحلق رأسه، حتى يكون اليوم الذي واعد فيه، ويعلم أن هديه قد ذبح. ثم صار هذا أصلاً لجميع الحاج من كان مفرداً أو متمتعاً أو قارناً، لا يجوز له أن يحلق رأسه إلا بعد أن يذبح هديه وإن لم يكن محصراً.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾، يعني: إذا حلق رأسه على وجه الإحصار مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَمِدْيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ أُخْرَىٰ وَعَلَىٰ الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ﴾ [البقرة: 184] يعني إذا كان أفطر. وروي عن كعب بن عجرة أنه قال: في نزلت هذه الآية، وذلك أن النبي ﷺ مرّ بهي والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «أَيُّؤَذِيكَ هَوَامٌ وَأَسِيكَ؟» فقلت: نعم. فأمرني بأن أحلق وأطعم سيئة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من جنطية، «أَوْ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَنْسِكَ نَسِيكَةً» يعني: اذبح شاة، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، أي شاة يذبحها. قرأ حمزة: ﴿حتى يبلغ الهدى محله﴾ وروي عن عبد الرحمن الأعرج أنه قرأها: بتشديد الياء. وواحدتها هديّة. وقرأ الباقون: بالتخفيف، يقال: هدي وهديّة للواحدة.

ثم قال: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ وهذا على سبيل الاختصار والإحصار، ومعناه: فإذا أمنتم من العدو، فاقضوا ما وجب عليكم من الحج والعمرة. ويقال: إذا أمنتم من العدو وبرأتم من المرض، فحجوا واعتمروا.

ثم قال: ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، يعني: فعليه ما تيسر من الهدى؛ وللمتمتع أن يعتمر ويحج في سفرة واحدة من أشهر الحج. والمحرمون أربعة: مفرد بالحج، ومفرد بالعمرة، والمتمتع، والقارن. فأما المفرد بالحج أن يحج ويعتمر، والمفرد

(١) حديث كعب بن عجرة: أخرجه البخاري (١٨١٧) (١٨١٨) (٤١٩٠) و(٦٥٦٥) (٥٧٠٣) ومسلم (١٢٠١) (٨٠) (٨١) (٨٣) والترمذي (٢٩٧٤) و(٩٥٣) وأبو داود (١٨٥٧) (١٨٥٨) (١٨٥٩) (١٨٦٠) (١٨٦١) وأحمد: ٢٤١/٤ وابن خزيمة (٢٦٧٧) والبيهقي ٨٧/٥.

بالعمرة أن يعتمر ولا يحج، وأما المتمتع أن يعتمر في أشهر الحج ويمكث بمكة حتى يحج بعدما فرغ من عمرته، وأما الفارن فهو الذي يحرم بالحج والعمرة جميعاً. فمن كان مفرداً بالحج أو بالعمرة، فلا يجب عليه الهدى، ومن كان متمتعاً أو قارناً، فعليه الهدى. وقال عبد الله بن عمر: «الهدى: الجزور». وقال ابن عباس: «أقله شاة»، وبه أخذ علماؤنا.

**﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** يعني: إن لم يجد الهدى **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾**. قال ابن عباس: «آخرها يوم عرفة». **﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾**. قال بعضهم: «إذا رجعتكم» يعني: إلى أهاليكم. وقال بعضهم: إذا رجعتكم من منى. وقال بعضهم: إذا رجعتكم إلى الأمر الأول، يعني: إذا فرغتم من أمر الحج؛ وبهذا القول نقول.

ثم قال: **﴿بِئْسَ عُشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾**، في البديل من الهدى يعني: العشرة الكاملة كلها بدل عن الهدى. **﴿ذَلِكَ﴾** الغداء **﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ﴾** ومنزله في الحرم. وقال قتادة ومقاتل: ذلك يعني التمتع لمن لم يكن أهله **﴿حَاضِرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾** يعني: الحرم. **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** فيما أمركم به ونهاكم عنه. **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** إن خالفتهم أمره.

**﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَضِيَ فِيهَا فَمَنْ أَحْبَبَ﴾** **﴿فَمَنْ أَحْبَبَ﴾** أي: وقت الحج أشهر معلومة، أي: وقت الحج أشهر معلومة وهو: شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة. **﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهَا الْحَجَّ﴾**؛ قال القتيبي: الفرض هو إيجاب وجوب الشيء، يقال: فرضت عليك كذا، أي أوجبه. قال الله تعالى: **﴿فِيصُفِّ مَا فَرَضْتُمْ﴾**، أي ما ألزمت أنفسكم، وقال: **﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَيُّومِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٥٠]، وقال:

**﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهَا الْحَجَّ﴾**، يعني: فمن أحرم في هذه الأشهر بالحج، **﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾**. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ﴾** بالرفع مع التنوين، وقرأ الباقر بالنصب بغير تنوين. وانتفخوا في قوله: **﴿وَلَا جِدَالَ﴾** بالنصب، غير أبي جعفر المدني فإنه قرأ بالرفع، وهذا يقال له: لا التبرية، فكل موضع يدخل فيه لا التبرية، فصاحبه بالخيار إن شاء نصبه بغير تنوين، وإن شاء ضمه بالتنوين مثل قوله: **﴿وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَعَمَةٌ﴾** [البقرة: ٢٥٤].

وتفسير الرفث هو الجماع، كقوله عز وجل: **﴿أَجَلٌ لَكُمْ كَيْلَةَ الْبُرُوجِ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾** [البقرة: ١٨٧]؛ وقال بعضهم: الرفث، التعرض بذكر النساء، والفسوق: هو السباب، والجِدَالُ: أن يماري صاحبه حتى يغيظه. يعني: من كان محرماً لا يجامع في إحرامه ولا يسب ولا يماري. ويقال: الفسوق الذبح للأصنام. كقوله: **﴿أَرَىٰ نِسَاءَ أَهْلِ لَيْمٍ لَمَّ يَتَذَكَّرْنَ﴾** [الأنعام: ١٤٥]، والجِدَالُ: هو أن قريشاً كانت تقف بالمزدلفة وكانوا يجادلون كل فريق، يقولون: نحن أصوب سبيلاً. وروي عن مجاهد أنه قال: قد استقر الحج في ذي الحجة، فلا جدال فيه، وذلك أن

المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث أبا بكر ليحج بالناس فوافق ذلك آخر عام ذي القعدة، فلما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وافق ذلك أول عامي ذي الحجة، فقال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ الزُّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ». يعني: رجع أمر الحج إلى ذي الحجة كما كان، فنزل قوله: ﴿ذُولَا جَدَالٍ فِي الْحَجِّ﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ ، يعني: من ترك الفسوق والمرأة والجدال. ﴿يَعْلَمَهُ اللهُ﴾ ، يعني: يقبله الله فيجازيكم به .

ثم قال عز وجل: ﴿وَتَزُودُوا﴾ في سفركم للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسألة. ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ . وقال مقاتل: وذلك أن أناساً من أهل اليمن كانوا يخرجون بغير زاد، ويصيبون من أهل الطريق ظلماً، فنزلت في شأنهم ﴿وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ . وقال بعضهم: معناه، تزودوا لسفر الدنيا بالطعام، وتزودوا لسفر الآخرة بالتقوى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ويقال: ﴿خير الزاد﴾ هو التوكل على الله، وأن لا يؤدي أحدٌ لأجل الزاد والطعام. ثم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ، يعني: اطيعوني يا ذوي العقول فيما أمرتكم به .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْهَكَالَيْنِ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاجِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَاراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ؛ وذلك أنهم كانوا إذا حجوا، كفوا عن التجارة وطلب المعيشة في الحج، فلم يشتروا ولم يبيعوا حتى تمضي أيام حجهم، فجعل الله تعالى لهم رخصة في ذلك فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، أي: لا مانع عليكم أن تطلبوا رزقاً من ربكم من التجارة في أيام الحج. وقال مقاتل: سئل رسول الله ﷺ: عن سوق عكاظ وسوق منى وذي المجاز في الجاهلية كنا نقوم في التجارة قبل الحج وبعد الحج، فهل يصلح لنا البيع والشراء في أيام حجنا؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. ومعنى آخر: ما روي عن عبد الله بن عمر: أن رجلاً سأله فقال: إني رجل أكرى الإبل إلى مكة،

(١) عزاء السبوطي ١/٥٣٤ إلى سفيان وسعيد بن منصور والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس. وقال: وأخرجه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقي من طريق عبيد بن عمير، عن ابن عباس.

أفبجزىء عني من حجبي؟ فقال: «أولست تلمي، وتقف بعرفات وترمي الجمار؟ فقال: نعم فقال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن مثل ما سألتني، فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾. وروي عن ابن عباس نحوه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْضَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾، يعني: إذا رجعتن من عرفات بعد غروب الشمس، ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، يعني: بالمزدلفة. وقال عطاء: إنما سميت عرفات، لأن جبريل عليه السلام كان يعلم إبراهيم عليه السلام أمور المناسك، فكان يقول له: عرفت؟ فيقول: عرفت. فسميت عرفات. وقال ابن عباس: «إنما سميت منى، لأن جبريل قال لآدم: تمنى. قال: أتمنى الجنة. فسميت منى». قال: «وإنما سميت جمع، لأنه أجمع فيه آدم وحواء» والجمع أيضاً: هو المزدلفة وهو المشعر الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَذَاكُمْ﴾، يقول: اشكروا الله كما هداكم لدين الإسلام ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾، يعني: وقد كنتم ﴿مَنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْأَضْلَالِينَ﴾ عن الهدى، وكانت قريش لا تخرج من الحرم إلى عرفات، وكان الناس يقفون خارج الحرم من كان من أهل اليمن وغيرهم بعرفات، ويفيضون منها؛ فأمر الله تعالى قريشاً أن يقفوا من حيث وقف الناس، ويفيضوا من حيث أفاض الناس، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَفِيزُوا اللَّهَ﴾ لذنوبكم في الموقف. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني: متجاوز عن ذنوبكم. فأمر النبي ﷺ أبا بكر أن يخرج بالناس جميعاً إلى عرفات فيقف بها. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ وَيَقُولُ: أَنْظَرُوا إِلَى عِبَادِي جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فُجٍّ عَمِيقٍ شَغْنًا غُبْرًا، إِشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾، يعني: فرغتم من أمر حجكم ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ باللسان ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، في ذلك الموقف ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾؛ يقول: أو أكثر ذكراً، وذلك أن العرب كانوا إذا فرغوا من حجهم، وقفوا بين المسجد الذي بين وبين الجبل، ثم ذكر كل واحد منهم آباء بما كان يعلم منه من الخير ثم يتفرقون، قال الله تعالى: فأذكروني بالخير ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ بالخير، فإن ذلك الخير مني. وقال عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ هو كقول الصبي: آبه آبه، يعني أن الصبي إذا كان أول ما يتكلم فإن أكثر قوله: أب أب. ويقال: ﴿فأذكروا الله كذكركم﴾ آبائكم لأبيكم آدم، لأنه لا أب له، بل ﴿أشد ذكراً﴾ لأني خلقته من غير أب ولا أم، وخلقتمكم من الآباء والأمهات.

ثم قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، وهم المشركون، أي: كانوا

(١) عزاء السيوطي: ٥٣٥/١ إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وأحمد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وأبي داود وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامة عن ابن عمر.

يقولون إذا وقفوا: اللهم ارزقنا إبلاً وبقراً وغنماً وعبيداً وإماءً وأموالاً، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة ولا المغفرة، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ۗ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ﴾ ، أي نصيب .

﴿وَمِنَهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢١١) أَوْلَيْتُمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ؛ قال ابن عباس: «يعني المغفرة والشهادة والنعمة» ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ، أي الجنة . وقال القتيبي: الحسنة النعمة كقوله: ﴿إِن تَصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَاذْكُرْهَا﴾ [التوبة: ٥٠] ، أي نعمة . وقال الحسن البصري: ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ، أي العلم والعبادة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ، أي الجنة قال الإمام: حسنة الدنيا ذكر ثوابك، وقوت من الحلال يكفيك، وزوجة سالحة ترضيك، وعلم إلى الحق يهديك، وعمل صالح ينجيك. وأما حسنة الآخرة، أرض الخصومات وعفو السيئات، وقبول الطاعات، والنجاة من الدرجات، والفوز بالدرجات<sup>(١)</sup> ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ، يعني: ادفع عنا عذاب النار .

﴿أَوْلَيْتُمْ﴾ ، الذين يدعون بهذا الدعاء ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ، أي حظ ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من حجبهم . ويقال: لهم ثواب مما عملوا . وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً كان على عهد رسول الله ﷺ يدعو ويقول: «اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فأضني الرجل في مرضه حتى نحل جسمه، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فأناه فأخبره بأنه كان يدعو بكذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِعُقُوبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنْ قُلْ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ . فدعا بها الرجل فبرأ<sup>(٢)</sup> .

ثم قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ؛ قال الكلبي: إذا حاسب فحسابه سريع . ويقال: والله سريع الحفظ . وقال الضحاك: يعني لا يغالط العباد في الحساب يوم القيامة ولا يشغله ذلك . ويقال: يحاسب كل إنسان فيظن كل واحد منهم أنه يحاسبه خاصة .

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُمُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢١٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ، أي: معروفات وهي أيام التشريق . وقال القتيبي: المعدودات أيام التشريق، والمعكومات أيام النحر بدليل قوله ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا

(١) في نسخة «ب» في قوله: «حسنة الدنيا» . إلى بالدرجات .

(٢) عزاه السيوطي: ١/٥٥٩ إلى ابن أبي شيبة، وأحمد وعبد بن حميد وأبي يعلى وابن حبان .



رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿فَذَكَرَ النَّحْرَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ - وَقَالَ يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ: سَأَلَتْ عَطَاءَ عَنِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ وَعَنِ الْمَعْلُومَاتِ، قَالَ: الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَةُ: أَيَّامُ النَّحْرِ، وَالْمَعْلُومَاتُ: أَيَّامُ الْعَشْرِ<sup>(١)</sup>﴾. وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتِ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. وَالْمَعْلُومَاتُ: أَيَّامُ النَّحْرِ بِدَلِيلٍ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَيَّ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾. فَذَكَرَ النَّحْرَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أَيَّامٌ مَعْرُوفَاتٌ وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، يَعْنِي: كَبَرُوا دَبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مِنْ يَوْمٍ عَرَفَةَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. وَيُقَالُ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ يَعْنِي التَّكْبِيرَ عِنْدَ رَمِي الْجِمَارِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يَعْنِي: رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، بَعْدَمَا رَمَى فِي يَوْمَيْنِ وَتَرَكَ الرَّمِيَّ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فِي تَعَجُّلِهِ، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إِلَى آخِرِ النَّحْرِ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فِي تَأَخُّرِهِ. ﴿لَمَنْ اتَّقَى﴾، يَعْنِي: قَتَلَ الصَّيْدَ فِي الْإِحْرَامِ وَفِي الْحَرَمِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَبُو بِنْتِ مَسْعُودٍ قَالَ: «إِنَّمَا جَعَلْتَ الْمَغْفِرَةَ لِمَنْ اتَّقَى فِي حَجِّهِ». وَيُقَالُ: لِمَنْ اتَّقَى بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الْحَجِّ عَنِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي. وَإِنَّمَا حَذَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا مِنْ حَجِّهِمْ، يَجْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَعَاصِي، فَحَذَرَهُمْ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فَيَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِنْسَانِ ۗ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْكَدَ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۗ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۗ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ۗ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يَعْنِي: كَلَامُهُ وَحَدِيثُهُ، وَهُوَ أَحْسَنُ بِنِ شَرِيقٍ، كَانَ حَلُوَ الْكَلَامِ، حَلُوَ الْمَنْظَرِ، فَاجِرُ السَّرِيرَةِ. وَرَوَى أَسْبَاطُ عَنِ السُّدِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ أَحْسَنُ بِنِ شَرِيقٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَقَالَ: إِنَّمَا جِئْتُ أَرِيدُ الْإِسْلَامَ وَقَالَ: اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنِّي صَادِقٌ، فَاعْجَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَمَرَّ بِزُرْعٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهَا، وَمَرَّ بِحِمَارٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَعَقَرَهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يَعْنِي: يَعْجِبُ كَلَامُهُ وَحَدِيثُهُ. ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ مِنَ الضَّمِيرِ أَنَّهُ يَحِبُّ وَيُرِيدُ الْإِسْلَامَ ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾، يَعْنِي: شَدِيدُ الْخِصُومَةِ. قَالَ الْقَتَيْبِيُّ: يَعْنِي: أَشَدُّهُمْ خِصُومَةً. يُقَالُ: رَجُلٌ أَلَدٌ بَيْنَ اللَّدَدِ، وَقَوْمٌ لَدَدٌ. كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَتُؤَيِّدُ بِهِ قَوْمًا لَدًا﴾

[مریم: ۹۷]

(١) ما بين معقوفتين ساقط في «ب».



ثم قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ ، يعني: إذا فارقك رجع عنك، ﴿سَمَى فِي الْأَرْضِ﴾ ، أي: مضى في الأرض بالمعاصي. ﴿لِيُنْفِسَ فِيهَا﴾ ، يعني: يعصي الله في الأرض ﴿وَيُهْلِكَ الْحَزَنُ وَالنَّسْلُ﴾ ، يعني: يحرق الكدس ويعقر الدواب. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ، أي لا يرضى بعمل المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في صنعك، ﴿أَخَذْتَهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾ ، يعني: الحمية في الإثم، يعني: تكبراً. يقول الله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلِبَاسُ الْمِهَادِ﴾ ، يعني: ولبس الفراش ولبس القرار. وهذه الآية نزلت في شأن أخسر بن شريق، ولكنها صارت عامة لجميع الناس، فمن عمل مثل عمله، استوجب تلك العقوبة. وقال بعض الحكماء، إن من يقتل حماماً ويحرق كدساً، استوجب الملامة ولحقه الشين إلى يوم القيامة، فالذي يسعى بقتل مسلم كيف يكون حاله؟ وذكر أن يهودياً كانت له حاجة إلى هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يوماً على الباب، فلما خرج هارون سعى ووقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين. فنزل هارون عن دابته وخرّ ساجداً لله، فلما رفع رأسه أمر بحاجته، فقضيت له. فلما رجع قيل: يا أمير المؤمنين نزلت عن دابتك بقول يهودي؟ قال: لا ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذْتَهُ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ . وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى اللَّهِ فَأَجِيبُوا، وَإِذَا سُبِّحْتُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا كَذَلِكَ» .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في شأن صهيب بن سنان الرومي، مولى عبد الله بن جدعان، وفي نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: عمار بن ياسر، وسمية أم عمار، وخباب بن الأرت وغيرهم، أخذهم المشركون فعذبوهم. فأما صهيب فإنه كان شيخاً كبيراً وله مال ومتاع، فقال لأهل مكة: إني شيخ كبير لا أضركم إن كنت معكم أو مع عدوكم، فإنا أعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني، أشتريه منكم بمالي. ففعلوا ذلك، وأعطاهم ماله إلا مقدار راحلته، وتوجه إلى المدينة، فلما دخل المدينة لقيه أبو بكر فقال له: ربح البيع يا صهيب. فقال له: وبيعت لا يخسر. فقال: وما ذلك يا أبا بكر؟ فأخبره بما نزل فيه ففرح بذلك صهيب. وقتل ياسر أبو عمار وأمه سمية، فنزلت هذه الآية في شأن صهيب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ ، يعنى: يشري نفسه ودينه. وهذا من أسماء الأضداد، يقال: شرى واشترى وباع وابتاع. ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ ، يعني: يشري نفسه ودينه يطلب رضا الله. ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ، يعني: رحيم بهم. ثم هذه الآية صارت عامة لجميع الناس، من بذل ماله ليصون به نفسه ودينه، فهو من أهل هذه الآية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢٨﴾ فَإِنْ رَكَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾. قرأ نافع وابن كثير والكسائي: «السِّلْم» نصب السين وقرأ الباقون: بالكسر. «وَالسِّلْم» بالكسر هو الإسلام، والسِّلْم بالنصب هو المسالمة والصلح. ويقال: السِّلْم والسِّلْم في اللغة: هو الصلح. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا يتقون السبت، ويحرمون أكل لحم الجمال فنزل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ يعني: في شرائع دين محمد ﷺ. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. يعني: طاعات الشيطان.

وقال مقاتل: استأذن عبد الله بن سلام وأصحابه بأن يقرؤوا التوراة في الصلاة، وأن يعملوا ببعض ما في التوراة، فنزل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. فإن اتبع السنة أولى - بعدما بعث محمد ﷺ - ﴿مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. وقال بعضهم: ﴿آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾. يعني: اتبوا على شرائع محمد ﷺ ولا تخرجوا منها.

وقوله تعالى: ﴿كَآفَّةً﴾ يعني: عبارة عن الجميع، فيجوز أن يكون معناه: ادخلوا جميعاً، ويجوز أن يكون معناه: ادخلوا في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم إليها الشيطان. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. ظاهر العداوة. ثم قال عز وجل: ﴿فَإِنْ زُلْتُمْ﴾ يعني: ملتم عن شرائع محمد ﷺ. ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾. يعني محمداً ﷺ وشرائعه، ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. عزيز بالنعمة ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره، وقال مقاتل: ﴿حَكِيمٌ﴾ أي يحكم حكم عليهم بالعذاب الشديد.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُصِي الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ هل في القرآن على سبعة أوجه: في موضع يراد بها «قد»، كقوله: ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ﴾ [الناحية: ١] أي قد أنك. ومرة يراد بها «الاستفهام»، كقوله ﴿هَلْ إِنْ مَرَّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤] ومرة يراد بها «السؤال»، كقوله: ﴿فَهَلْ وَبَدَّ مَأْ وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] ومرة يراد به «التفهم»، كقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَخْرَجٍ﴾ [الصف: ١٠] ومرة يراد به «التوبيخ»، كقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ [الشعراء: ٢٢١] وقد يذكر ويراد به «الأمر»، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا، ومرة يراد به «الجدح»، كقوله في هذا الموضع: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ﴾ يعني: ما ينظرون. وقال ابن عباس في

رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يفسر وروى عبد الرزاق، عن سفیان الثوري قال: قال ابن عباس: تفسير القرآن على أربعة أوجه: «تفسير يعلمه العلماء، وتفسير تعرفه العرب، وتفسير لا يقدر أحد لجهالته، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل، ومن ادعى علمه فهو كاذب». وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وكذلك هذه الآية، سكت بعضهم عن تأويلها وقالوا: لا يعلم تأويلها إلا الله. وبعضهم تأولها فقال: هذا وعيد للكفار، فقال: ﴿هل ينظرون﴾، أي ماذا ينتظرون ولا يؤمنون ما ينظرون ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ يعني: أمر الله تعالى، كما قال في موضع آخر: ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهُ مِن حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، يعني: أمر الله تعالى. وقال بعضهم: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾، معناه بما وعد لهم من العذاب. ﴿في ظلل من الغمام﴾. يعني: في غمام فيه ظلمة. ويقال: على غمام فيه ظلمة.

﴿والملائكة﴾ قرأ أبو جعفر بكسر الهاء، يعني: في ظلل من الغمام وفي الملائكة وهي قراءة شاذة، والقراءة المعروفة: بالضم يعني تأتيهم الملائكة. وقال قتادة: ﴿والملائكة﴾، يعني: تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم. ويقال: يوم القيامة. ﴿وقضي الأمر﴾، يعني: فرغ مما يوعدون، يعني: دخول أهل الجنة في الجنة ودخول أهل النار في النار. ﴿والإلى الله ترجع الأمور﴾، يعني: عواقب الأمور. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر ﴿ترجع﴾ بنصب التاء ويكون الفعل للأمر. وقرأ الباقون: بضم التاء على فعل ما لم يسم فاعله.

﴿سئل بني إسرائيل كم آتيتهم من آياتهم بينت ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾ (١١١)

قوله تعالى: ﴿سئل بني إسرائيل كم آتيناهم﴾. ومعناه: سئل علماء بني إسرائيل كم أعطيناهم. ﴿من آية بينت﴾ حين فرق لهم البحر وأهلك عدوهم، وأنزل عليهم المن والسلوى. ويقال: ﴿كم آتيناهم من آية بينت﴾، يعني نعت محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾، يعني: يغير نعمة الله تعالى. ﴿من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب﴾، يعني يقول: إذا لم يشكروا نعمة الله، تزول عنهم النعم ويستوجبوا العقوبة.

﴿زئين للذين كفروا الحياة الدنيا وسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (١١٢)

قوله تعالى: ﴿زئين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾، قال الكلبي: نزلت في شأن رؤساء قريش، زين لهم ما بسط لهم في الدنيا من الخير. ﴿وسخرون من الذين آمنوا﴾ في أمر المعيشة، لأنهم كانوا فقراء.

﴿والذين اتقوا﴾، يعني: أطاعوا الله وهم فقراء المؤمنين. ﴿فوقهم يوم القيمة﴾، يعني:

فوق المشركين في الجنة والحجة في الدنيا. وقد اختلفوا في قوله: ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قال بعضهم: يعني زينها لهم إبليس، لأن الله تعالى قد زهدهم فيها وأعلم أنها متاع الغرور، ولكن الشيطان زين لهم الأشياء، كما قال في آية أخرى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْيُنَهُمْ﴾ [النمل: ۲۴] وقال بعضهم: معناه أن الله تعالى زين لهم، لأنه خلق فيها الأشياء المعجبة، فنظر إليها الذين كفروا فاغترتوا بذلك كما قال في آية أخرى ﴿رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا أَفْتَلَكُمُ﴾ [النمل: ۴] وكان ذلك مجازاة لكفرهم.

وروي عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى لملائكته: لَوْلَا أَنْ يَجْرِعَ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ، لَمَعْصَبْتُ الْكَافِرَ بِعَصَابَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَصَبَيْتُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا صَبَاءً. ومصدق ذلك في القرآن ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الزخرف: ۲۳] الآية. وقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تَرَزَّنَتْ عِنْدَ اللَّهِ قَدَرِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مَا سَفَى الْكَافِرُ مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»<sup>(۱)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. يعني: يرزق من يشاء رزقاً كثيراً لا يعرف حسابه. ويقال: معناه ﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾ يعني: ليس له أحد يحاسبه منه بما يرزقه ويقال: ﴿بغير حساب﴾ يعني: بغير احتساب. كما قال في آية أخرى ﴿وَرَزُقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ۳] وكل ما في القرآن: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فهو على هذه الوجوه الأربعة.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَا يَدَيْهِمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرْطَ سُبْحَانَكَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. قال الزجاج: الأمة على وجوه منها: القرن من الناس، كما يقال: مضت أمم، أي قرون، والأمة: الرجل الذي لا نظير له. ومنه قوله: ﴿إِنَّ إِزْهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ [النحل: ۱۲۰] والأمة: الدين، وهو الذي قال ها هنا: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. يعني: على دين واحد وعلى ملة واحدة. وقال بعضهم: كان الناس كلهم على دين الإسلام، جميع من كان مع نوح في السفينة ثم تفرقوا. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾. وقال بعضهم: كان الناس كلهم كفاراً في عهد نوح وعهد إبراهيم فبعث الله للناس إبراهيم وإسماعيل ولوطاً

(۱) أخرجه السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (۱۳۳). والطبقات لابن سعد ۱: ۱۵۸/۲ و الكنتز (۱۸۶۸۳) وابن ماجه (۴۱۱۰) وهو ضعيف لضعف زكريا بن منظور. وفي المطالب العالية (۳۱۷۲) ورواه البزار من حديث أبي هريرة بمعناه والترمذي من حديث سهل بن سعد.

وموسى ومن بعدهم **مُبَشِّرِينَ** بالجنة لمن أطاع الله، **وَمُنذِرِينَ** بالنار لمن عصى الله **وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**، يقول: بالعدل **لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ**، يعني: يقضي بينهم **فِيمَا اختلفوا فيه** من أمور الدين. **وَمَا اختلف فيه**، أي الدين. **إِلَّا الَّذِينَ أوتوه**، يعني: أعطوا الكتاب. **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ**، يعني: جاءهم البيان من الله تعالى، **بَغْيًا يَنْهَهُمْ**، يعني: اختلفوا فيه حسداً بينهم. **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفوا فيه**، يعني: هداهم ووقفهم حتى أبصروا الحق من الباطل **بِإِذْنِهِ** بتوفيقه ويقال: برحمته. **وَأَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**، يعني: الإسلام. ويقال: فعصم الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بعصمته **وَأَنَّهُ يَهْدِي** من يشاء إلى دين الإسلام. ويقال: يوفق الله بتوفيقه إذا جهدوا في طلب الحق. **وَأَنَّهُ يَهْدِي**، يعني: يوفق من يشاء إلى صراط مستقيم.

**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ آيَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿١١٦﴾**

قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾** يقول: أظننتم أن تدخلوا الجنة. **﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾** أي لم يأتكم صفة الذين مضوا من قبلكم، يعني: لم يصيبكم مثل الذي أصاب من قبلكم. ويقال: لم تبتلوا بمثل الذي ابتلي من قبلكم. **﴿مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾** **﴿الأساءة﴾**: الشدة والبؤس، **﴿والضراء﴾**: البلاء والأمراض. **﴿وَزَلُّوا﴾** أي حركوا واجهدوا، **﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾** قال مقاتل: يعني شعبياً النبي ﷺ وهو اليسع. وقال الكلبي: هذا في كل رسول بعث إلى أمته، واجتهد في ذلك حتى قال: **﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾** قال الله تعالى: **﴿أَلَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾**.

روي عن الضحاك أنه قال: يعني محمداً ﷺ. ومعنى ذلك: أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم، **﴿مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾** فيصيبكم مثل ذلك، حتى يقول: محمد ﷺ: **﴿مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾** قال الله تعالى: **﴿أَلَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾**، يعني: فتح الله تعالى عاجل، وإنما ظهر لهم ذلك في يوم الأحزاب، فأصابهم خوف شديد وكانوا كما قال الله تعالى: **﴿وَيَلْمِزُ الْمُكَلَّفِينَ الْمُكَلَّفِينَ وَيَلْمِزُ الْمُكَلَّفِينَ بِاللَّهِ الْكَلْبُوتَ وَتَلْمِزُونَ بِاللَّهِ الْكَلْبُوتَ﴾** [الأحزاب: ١٠] فصدق الله وعده وأرسل عليهم ريحاً وجنوداً، لم تروها وهزموا الكفار. فذلك قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾** قرأ نافع: **﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾** بالرفع على معنى الاستئناف. وقرأ الباقون: بالنصب على معنى الماضي.

**﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ قَبِلُوا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١١٧﴾**

قوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾**؛ وذلك أن النبي ﷺ لما حثهم على الصدقة، قال

عمرو بن الجموح: يا رسول الله، كم ننفق وعلى من ننفق؟ فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، أي ماذا يتصدقون من أموالهم؟ ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، يعني: من مال ﴿فِيَلِلَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، يعني: أنفقوا على الوالدين والقرابة، وعلى جميع المساكين. فهذا جواب قولهم: على من ننفق؟ ونزل في جواب قولهم: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾؟ قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمَغْفُورُ﴾ [البقرة: 219]، يعني: الفضل من المال، ثم نسخ ذلك بآية الزكاة. وقال بعضهم: آية الزكاة نسخت كل صدقة كانت قبلها. وقال بعضهم: هذه الآية ليست بمنسوخة، وإنما فيها بر الوالدين وصلة الأرحام. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، يعني: يجازيكم به.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَاؤُنَّ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَهُوَ لَآتِيهِمْ بِعَذَابٍ أَكْبَرٍ وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، أي: فرض عليكم القتال. ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾، أي: شاق عليكم. وذلك أن الله تعالى، لما أمرهم بالجهاد، كرهوا الخروج. وإنما كانت كراهتهم له، لأنه كان في لخروج عليهم مشقة، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾، يعني: الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، لأن فيه فتحاً وغنيمة وشهادة، وفيه إظهار الإسلام. ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾، وهو الجلوس عن الجهاد ﴿وهو شر لكم﴾، لأنه يسلط عليكم عدوكم. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾، أن الجهاد خير لكم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ذلك حين أحببتم القعود عن الجهاد. ويقال: ﴿والله يعلم﴾، ما كان فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك خيراً حين أحببتم القعود عن الجهاد.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾. وذلك أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن جحش مع تسعة رهط، في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين إلى عير لقريش، فلقوا العير، وكان ذلك آخر الشهر، فأمر عبد الله بن جحش بعض أصحابه، فحلق رأسه. فلما رآهم المشركون آمنوا وظنوا أنه دخل رجب، فقاتلهم المسلمون وأخذوا أموالهم، فغيروهم المشركون بذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾. قال الزجاج: معناه، يسألونك عن



القتال في الشهر الحرام. وقال القتيبي: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز؟ فأبدل قتالاً من الشهر الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، أي: عظيم عند الله وتمم الكلام. ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقول منع الناس عن دين الله وعن الكعبة أن يطاف بها. ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي بالله تعالى ويقال: ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ أي بالحج.

وقوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وإنما صار خفضاً، لأنه عطف على سبيل الله، كأنه قال: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر بالله تعالى. ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ أي من المسجد ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أي أعظم عقوبة عند الله من القتل في الشهر الحرام. ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾، يعني: الشرك ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، أعظم عقوبة من القتل في الشهر الحرام.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ الإسلام إلى دينهم الكفر. ﴿إِنْ أَسْتَطَاعُوا﴾، أي: إن قدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون عليه.

ثم هدد المسلمين ليثبتوا على دينهم الإسلام، فقال: ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْ دِينِهِ﴾ يعني: الإسلام. ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ بالله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي بطلت حسناتهم. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، يعني: لا يكون لأعمالهم التي عملوا ثواب، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ مَكَاةً مُنْتَهَرًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال في آية أخرى: ﴿فَلَا تُؤْمِنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَأَى﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، أي دائمون.

قال الفقيه: حدثنا إبراهيم محمد بن سعيد قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: حدثنا إبراهيم بن داود قال: حدثنا المقدمي، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: حدثنا الحضرمي، عن أبي السوار، عن جندب بن عبد الله: أن النبي ﷺ بعث رهطاً وبعث عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال: «لا تُكْرِهْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ». فلما بلغ المكان، قرأ الكتاب فاسترجع ثم قال: السمع والطاعة لله ولرسوله، فرجع رجلاً ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب، فقال المشركون: قتلهم محمد في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ...﴾ إلى آخر الآية. فقال المشركون: لو لم يكن عليهم وزر فليس لهم اجر، فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُؤَلِّقُكَ يَرْجُونَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: في طاعة الله بقتل ابن الحضرمي. ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾، أي ينالون جنة الله. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾



رَجِيمٌ ﴿﴾ بقتالهم في الشهر الحرام، ثم نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام وصار مباحاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْتُلُوا فِيهِنَّ أَمْشَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٣٦]؛ فنهاهم الله عن ظلم أنفسهم بالسيئات والخطايا، وأمرهم بالقتال عاماً. وروى أبو يوسف عن الكلبي أن القتال في الشهر الحرام لا يجوز. وقال أبو جعفر الطحاوي: لا نعلم أن أهل العلم اختلفوا أن قتال المشركين في الشهر الحرام غير جائز. وروي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن قتال الكفار في الشهر الحرام، فقال: لا بأس به، وكذلك قال سليمان بن يسار وغيره.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحِبُّونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَسْتِ قُلْ إِصْلَاحٌ لِمَنْ حَدَرَ وَإِنْ تَغَالَطَوْهُم فَاخُونَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾. قال بعض المفسرين: إن الله لم يدع شيئاً من الكرامة والبر إلا وقد أعطى هذه الأمة، ومن كرامته وإحسانه: أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة. فكذا في تحريم الخمر، كانوا مولعين بشربها، فنزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أي عن شرب الخمر، والميسر: وهو القمار. ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ﴾ في تجارتهم. ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾. فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس وقالوا: إنما نأخذ منفعتها ونترك إثمها. ثم نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا أَلْسِنَةً وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، فتركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما يمنعنا من الصلاة، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنزِّلُكَ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى آخر الآية. فصارت حراماً عليهم حتى كان يقول بعضهم: ما حرم علينا من شيء أشد من الخمر. وقيل: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ في أخذها، ومنافع في تركها.

وروي أن الأعشى توجه إلى المدينة ليسلم، فلقبه بعض المشركين في الطريق فقالوا له: أين تذهب؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً ﷺ. فقالوا: لا تقصد إليه فإنه يأمرك بالصلاة. فقال: إن خدمة الرب واجبة. فقالوا له: إنه يأمرك بإعطاء المال إلى الفقراء. فقال: اصطناع المعروف واجب. فقيل له: إنه ينهى عن الزنى. فقال: إن الزنى فحش قبيح في العقل، وقد صرت شيخاً، فلا أحتاج إليه. فقيل له: إنه ينهى عن شرب الخمر. قال: أما هذا فإني لا أصبر عنها فرجع وقال: أشرب الخمر سنة ثم أرجع إليه، فلم يصل إلى منزله، حتى سقط عن البعير فانكسر عنقه فمات. وقال بعضهم: في هذه الآية ما دل على تحريمه، لأنه سماها إثمًا، وقد

حرم الإثم في آية أخرى وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقال بعضهم: أراد بالإثم، الخمر بدليل قول الشاعر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلُّ عَقْلِي كَذَاكَ الْإِثْمُ يَذْخَبُ بِالْعُقُولِ

وروي عن جعفر الطيار: أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية، وكان يقول: الناس يطلبون زيادة العقل، فأنا لا أنقص عقلي. وأما الميسر، فكانوا يشترون جزوراً ويضربون سهامهم، فمن خرج سهمه أولاً، يأخذ نصيبه من اللحم ولا يكون عليه من الثمن شيء، ومن بقي سهمه آخراً، فكان عليه ثمن الجزور كله، ولم يكن له من اللحم شيئاً. وقال عطاء ومجاهد: الميسر هو القمار كله، حتى لعب الصبيان بالجزور والكعاب. قرأ حمزة والكسائي:

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالثاء من الكثرة وقرأ الباقون (كبير) يعني: ذنب عظيم ومعنى قوله: ﴿إِلَهُمَا﴾ بعد التحريم لأكثر من نفعهما قبل التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، أي ماذا يتصدقون؟ ﴿قُلْ أَعْمَقُوا﴾، يعني: الفضل من المال، يريد: أن يعطي ما فضل من قوته وقوت عياله، ثم نسخ بآية الزكاة. وقرأ أبو عمرو: ﴿قُلْ أَعْمُوا﴾ بالرفع، يعني: الإنفاق وهو الزكاة. وقرأ الباقون: بالنصب، يعني أنفقوا الفضل.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾، يعني: أمره ونهيه، كما يبين لكم أمر الصدقة. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، يعني: في الدنيا أنها لا تبقى ولا تدوم، ولا يدوم إلا العمل الصالح، وفي الآخرة أنها تدوم وتبقى ولا تزول. وقال بعضهم: معناه ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ فِي الدُّنْيَا﴾ لعلكم تتفكرون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، يقول: عن مخالطة اليتامى، وذلك أنه لما نزل قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلْمًا﴾ لَكُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴿[النساء: ١٠]﴾ تركوا مخالطتهم، فشق ذلك عليهم. وكان عند رجلٍ منهم يتيم، فجعل له بيتاً على حدة وطعاماً على حدة، ولا يخالطه بشيء من ماله. فقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، قد أنزل الله آية في أموال اليتامى، ما أنزل من الشدة، فعزلناهم على حدة، أفصلح لنا أن نخالطهم؟ فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾، أي عن مخالطة اليتامى. ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ من ترك خالطتهم. ﴿وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ﴾، يعني: تشاركوهم في النفقة والخدمة والدابة، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي في الدين. ويقال: الامتناع منه خير، وإن تخالطوهم فهم إخوانكم. ﴿وَأَلَّهُ يَغْلِبُ الْمُفْسِدِ﴾ لِمَالِ الْيَتِيمِ ﴿مِنَ الْمُضْلِحِ﴾ لِمَالِهِ، يعني: لا بأس بالخلة إذا قصدت به الإصلاح ولم تقصد به الإضرار به.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ﴾. قال القتيبي: ولو شاء الله، لضيق عليكم ولشدد عليكم، ولكنه لم يشأ إلا التسهيل عليكم. وقال الزجاج: ﴿لَأَعْتَبْتُمْ﴾، معناه لأهلككم. وأصل العنت في اللغة من قول العرب: عنت البعير، إذا انكسرت رجله، وحقيقته: ولو شاء الله

لكلّكم ما يشئد عليكم. وقال الكلبي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأْتَمَّكُمْ﴾ في مخالطتهم فجعلها حراماً. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، وقد ذكرناه .

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيَسِّرُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ . نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان يأتي مكة ويخرج منها ناساً من المسلمين كانوا بها سرّاً من أهل مكة، فلما قدم مكة جاءت امرأة يقال لها عناق، كانت بينهما خلة في الجاهلية، فقالت له: ألا تخلو بي يا مرثد؟ فقال لها: يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، وقد حُرِّمَتْ علينا. ولكني أسأل رسول الله ﷺ، ثم أتزوجك إن شئت. فلما رجع إلى رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ <sup>(١)</sup>، يقول: نكاح أمة مؤمنة ﴿خَيْرٌ مِّنْ﴾ نكاح حرة ﴿مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبْتُمْ﴾ ، نكاحها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ ، يقول: ولا تنكحوا نساءكم المشركين، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ﴾ تزويج ﴿مُشْرِكٍ﴾ حر. ﴿وَلَوْ أُعْجِبْتُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ ، يعني إلى عمل أهل النار. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ ، يعني إلى التوحيد والتوبة ﴿بِإِذْنِهِ﴾ ، يعني: بأمره ويقال: يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين، لأن ذلك أوصل إلى الجنة والمغفرة بإذنه، يعني: بعلمه الذي يعلم أنه أوصل لكم إليها ﴿وَيَسِّرُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ ، يعني: أمره ونهيه في أمر التزويج. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، أي ينتهون عن المعاصي والنكاح الحرام. ويقال: إن رجلاً من الأنصار أعتق جارية له، فأراد رجل من قريش أن يتزوجها فعيروه بذلك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ .

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْرِزُوا أَلَيْسَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا نَقْرُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ تُشَفُّوا وَاقْدِمُوا إِتْسَابًا وَأَقْبُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكْرَهُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ﴾ . قال ابن عباس: «نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له: عمرو بن الدحداح، سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف نصنع

(١) عزاء السيوطي: ١/ ٦١٤ إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن مقاتل بن حبان.

بالنساء إذا حضن؟ انقربهن أم لا؟ فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ يقول عن النساء إذا حضن. ويقال: ﴿يسألونك﴾ عن مجامعة النساء في المحيض. ﴿قُلْ هُوَ آدَى﴾، يعني: الدم هو قدر نجس. ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، يقول: لا تجامعوهن في حال الحيض. ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾، يعني لا تجامعوهن وهن حيض، ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بتشديد الطاء والهاء والنصب، وقرأ الباقر بالتخفيف وأصله يطهرن، فأدغمت التاء في الطاء فمن قرأ ﴿يَطْهُرْنَ﴾ أي يغتسلن، ومن قرأ ﴿يَطْهُرْنَ﴾ أي حتى يطهرن من الحيض.

قال الفقيه الزاهد: نعمل بالقراءتين جميعاً، فإن كانت المرأة أيام حيضها أقل من عشرة أيام فلا يجوز أن يقربها ما لم تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة. وإن كانت أيام حيضها عشرة، فإذا انقطع عنها الدم وتمت العشرة، جاز أن يقربها.

ثم قال: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعني: أي اغتسلن من الحيض، ﴿فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، يعني: جامعوهن ﴿من حيث أمركم الله﴾ يعني: من حيث رخص الله في موضع الجماع. ويقال: لما نزلت هذه الآية ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، اعتزلوا النساء في أيام الحيض وأخرجوهن من البيوت، فقدم أناس من الأعراب وقالوا: يا رسول الله البرد شديد وقد اعتزلنا النساء، وليس كلنا يجد سعة لذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَمَرْتُمْ أَنْ تَعْتَزِلُوا مُجَامَعَتَهُنَّ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ أَنْ تُخْرِجُوهُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ كَمَا يَفْعَلُ الْأَعَاجِمُ».

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّوَابِينَ﴾، يعني: من الذنوب والشرك. ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، يعني: من الجنابة والأحداث. ويقال: ﴿ويحب المتطهرين﴾ من إتيانهم في الحيض، وفي أدبارهن يتنزهون عن ذلك. ويقال: و﴿يحب الشوابين﴾ من الذنوب و﴿المتطهرين﴾ الذين لم يذنبوا. فإن قيل: كيف قدم بالذكر الذين تابوا من الذنوب على الذي لم يذنب؟ قيل له: إنما قدمهم لكيلا يقنط التائب من الرحمة، ولا يعجب المتطهر بنفسه؛ كما ذكر في آية أخرى: ﴿فَيَنْهَرُ طَائِفًا لِقِيسِهِ، وَبَيْنَهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

ثم قال عز وجل: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيُكُمْ﴾. يقول: مزرعة لكم للولد، ﴿فَأْتُوا خِزْيَكُمْ﴾. والحرث في اللغة: هو الزرع، فسمى النساء حرثاً على وجه الكناية، أي هن للولد كالأرض للزرع. وقوله: ﴿أَتَى شَيْئَكُمْ﴾، أي وكيف شئتم، إن شئتم مستقبلين، وإن شئتم مستدبرين، إذا كان في صمام واحد. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: إذا أتاها من خلفها، يكون الولد أحول<sup>(١)</sup>، فنزل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا خِزْيَكُمْ أَتَى شَيْئَكُمْ﴾. قال النبي ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ

(١) حديث جابر. أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥) (١١٧) (١١٨) (١١٨) والترمذي (٢٩٧٨) وابن ماجه (١٩٢٥) وأبو داود (٢١٦٣) والبيهقي ١٩٤/٧.

أَتَى زَجَلًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبْرهَا، وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرهَا»<sup>(۱)</sup>.

ثم قال تعالى: **«وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ»** من الولد الصالح. ويقال: **«قدموا لأنفسكم»** من العمل الصالح. ويقال: سما الله تعالى عند ذلك.

ثم قال: **«وَاتَّقُوا اللَّهَ»**، يقول: اخشوا الله ولا تقربوهن في حال الحيض ولا في أدبارهن. **«وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ»**، يعني تصيرون إليه يوم القيامة، فيجزيكم بأعمالكم. **«وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ»** الذين يحافظون حدود الله ويصدقون بوعده.

**«وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»** (١١٦) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ (١١٧) لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ إِنْسَانِهِمْ رِزْقٌ مُرْتَبِعٌ أَشْهُرًا قَانًا فَآؤُ قَانًا فَآؤُ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٨) وَإِنْ عَزَبُوا عَلَى الْوَالِدِ فَإِنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١١٩)

قال عز وجل: **«وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»** أي علة. وأصل العُرْضَة في اللغة: هو الاعتراض، فكأنه يعترض باليمين في كل وقت، فيكون كناية عن العلة. وقيل: العرضة أن يحلف الرجل في كل شيء، فمِنَعُوا من ذلك. **«أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا»**، يعني: لكي تبروا وتتقوا، لأنهم إذا أكثروا اليمين لم يبروا، وبهذا أمر أهل الأيمان. وقال الفراء: **«ولا تجعلوا الله عرضة»** الحلف بالله مانعاً لكم، متعرضاً، أي مانعاً لكم دون البرِّ والتعرض بين الشين المانع. وقال الفتيبي: لا تجعلوا الله بالحلف مانعاً لكم **«أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا»**، ولكن إذا حلفت على أن لا تصلوا رحماً، ولا تتصدقوا، ولا تصلحوا، أو على أشباه ذلك من أبواب البر، فكفروا باليمين. وقال الكلبي: نزلت في عبد الله بن رواحة الأنصاري. حين حلف أن لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان ولا يكلمه، فجعل يقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل، ولا يحل لي أن لا أبر في يميني. فنزل قوله تعالى: **«وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»**. يقول: علة لأيمانكم **«أَنْ تَبَرُّوا»**، يعني: تصلوا قرابتكم، وتتقوا اليمين في المعصية، وترجعوا إلى ما هو خير لكم منها، **«وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ»**، أي بين إخوانكم. وروى عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقول: **«ولا تحلفوا أن لا تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس»** والله سميع عليم. فمن حلف على ذلك، فعلى

(۱) الحدیثان فی النسخة «ب». حدیث ابن عباس مرفوعاً ولا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في دبرها أخرجه الترمذي (۱۱۶۵) وقال: حسن غريب والنسائي كما في التحفة: ۲۱۰/۵ وأبو يعلى (۲۳۷۸). وهو عند ابن ماجه من حدیث أبي هريرة (۱۹۲۳) وإسناده صحيح. وفي سنن أبي داود (۲۱۶۲) بلفظ ملعون من أتى امرأة في دبرها.

الذي حلف عليه أن لا يفعل ويكفر عن يمينه». وقال الزجاج: معنى الآية بأنهم كانوا يقبلون في البر بأنهم قد حلفوا، فأعلم الله تعالى أن الإثم إنما هو في الإقامة في ترك البر، واليمين إذا كُفرت، فالذنب فيها مغفور.

ثم قال تعالى: **«لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ»** أي بالإثم في الحلف إذا كُفرت، **«وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمُ»** بعزمكم على أن لا تبتروا ولا تتقوا. قال ابن عباس: **«لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم»** هو الرجل يحلف بالله في شيء يرى أنه فيه صادق، ويرى أنه نذلك، وليس كذلك، فيكذب فيها». **«وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمُ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ»** يعني: هو أن يحلف على شيء، ويعلم أنه كاذب. ويقال: **«لا يؤاخذكم الله باللغو»** باليمين إذا حلفتكم وكفرتكم، إذا كان في الحنث خير **«ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»** يعني: أنتم بغير كفارة.

**«وَاللَّهُ غَفُورٌ»** لمن حنث وكفر يمينه. **«غَلِيمٌ»** حيث رخص لكم في ذلك ولم يعاقبكم. قوله تعالى: **«لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ»** ، يعني: الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم، **«تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»** ، يعني: لهم أجل أربعة أشهر بعد اليمين، **«فَإِن قَاءُوا»** قال القتيبي: آليت من امرأتي، أولى إيلاء، والإسم: الآلية، يعني: إن رجعوا عن اليمين وجامعوا نساءهم من قبل أن تمضي أربعة أشهر، وكفروا عن إيمانهم ولا تبين المرأة عن الزوج: **«فَإِن اللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»** . قوله تعالى: **«وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ»** ، يعني: أوجبوا الطلاق بترك الجماع حتى مضت أربعة أشهر، وقعت عليها تطليقة واحدة بمضي أربعة أشهر. وقال بعضهم: لا يقع الطلاق، ولكن يؤمر الزوج بعد مضي أربعة أشهر أن يجامعها أو يطلقها. وقال بعضهم: وقع الطلاق بمضي أربعة أشهر، وهو قول علمائنا. وروي عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود أنهما قالا: «عزيمة الطلاق انقضاء الأربعة الأشهر» وذلك قوله تعالى: **«وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ»** ، يعني: أوجبوا الطلاق بترك الجماع، **«فَإِن اللّهُ سَمِيعٌ»** لمقاتلهم بكلمة الإيلاء **«غَلِيمٌ»** بهم.

**«وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٦﴾** الطَّلُقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ يَأْتِسِرُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْسِمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعْسِمَا اللَّهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ طَلَّقَا أَنْ يُعْسِمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٨﴾ قوله تعالى: **«وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ»** ، يعني: وجب عليهن العدة **«ثلاثة قُرُوءٍ»** ،



أي: ثلاث حيض. وقال بعضهم: ثلاثة أطهار. وقال أكثر أهل العلم: المراد به الحيض. وأصل القرء: الوقت. وظاهر الآية عام في إيجاب العدة على جميع المطلقات، ولكن المراد بها الخصوص، لأنه لم يدخل في الآية خمس من المطلقات: الأمة، والصغيرة، والآيسة، والحامل، وغير المدخول بها.

ثم قال: **«وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَلْبَسَ الْحُجْرَةَ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ»**، يعني: الحمل والحيض، لا يحل لها أن تقول: أنا حائض ولم تكن حائضاً أو تقول: أنا حامل وليست بحامل **«إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»**، يعني: إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر.

قوله تعالى: **«وَيُؤْمَلُتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا»**، يعني: في حال التبرص إذا كان الطلاق رجعياً. ثم قال: **«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»**، يعني: للنساء على الأزواج من الحقوق مثل ما للرجال على النساء في حال التبرص إذا كان الطلاق رجعياً **«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»** يقول: بما عرف شرعاً، **«وَاللرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ ذَرْجَةٌ»**، يعني: فضيلة في النفقة والمهر. **«وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»** فيما حكم من الرجعة في الطلاق الذي يملك فيه الرجعة.

ثم بين الطلاق الذي يملك فيه الرجعة، فقال تعالى: **«الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ»**، يعني: يقول: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان. **«فَإِن سَأَكَ بِمَعْرُوفٍ»**، يعني إذا راجعها، يمسكها بمعروف، ينفق عليها، ويكسوها، ولا يؤذيها، ويحسن معاشرتها؛ **«أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ»**، يعني: يؤدي حقها، ويخلي سبيلها. ويقال: **«أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ»**، يعني: يطلقها التولية الثالثة ويعطي مهرها. ويقال: يتركها حتى تنقضي عدتها. ويقال: يؤدي حقها ويخلي سبيلها ويقال: **«أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ»** وقال ابن عباس: «كان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته تطليقة أو تطليقتين، كان الرجل أحق بها، وإذا طلقها الثالثة، كانت المرأة أحق بنفسها؛ واحتج بقول الأعمش: كانت لديه امرأة بني هوزان:

يارب ذي ضغفني وضب فارض	ماله قره كقره الحائض
فأخذة بنو هوزان حتى يطلق امرأته، فلما طلقها واحدة قالوا له: عد فطلقها الثانية، فلما طلقها الثانية قالوا له: عد فطلقها الثالثة، فعرّف أنها بانت منه ولا تحل له، فقال عند ذلك:	
أَجَارَتْنِي بَيْنِي فإِنَّكَ طَالِقَهُ	كَذَا أُمُورُ النَّاسِ عَادٍ وَطَارِقَهُ
وَبَيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ حَيْثُ مِنَ الْعَصَا	وَأَنْ لَا تَزَالَ قَوْقُ زَائِيكَ بَارِقَهُ
وَدُوْقِي قَسَى الْحَسَى إِنِّي ذَائِقُ	قَنَاةَ أَنَاسٍ مِثْلُ مَا أَنْتِ ذَائِقَةُ
لَقَدْ كَانَ فِي شُبَّانٍ قَوْمِكَ مِنْكَ	وَفَتِيَانٍ هَوْزَانَ الطَّوَالِ الْعَرَابِقَةُ

قوله تعالى: **«وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا»**. نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول، وزوجها ثابت بن قيس وكانت تبغضه، فأتت رسول الله ﷺ



فقلت: لا أنا ولا ثابت، فقال لها: «أَتَرُدِّيْنَ عَلَيَّ حَدِيثَهُ؟» فقالت: نعم وزيادة. فقال: «أَنَا الرِّبَاةُ، فَلَا». فعدا رسول الله ﷺ زوجها وخلعها من زوجها<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنْ الْمَهْرِ شَيْئًا﴾، **﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾**، يعني: يعلما **﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**، أي: فيما أمروا بها. قرأ حمزة **﴿يَخَافَا﴾** بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: بالنصب. وقرأ ابن مسعود: **﴿إِلَّا أَنْ يَخَافُوا﴾**.

ثم قال تعالى: **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**، يقول: إن علمتم أن لا يكون بينهما إصلاح في المقام، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾**، أي لا حرج على الزوج أن يأخذ مِمَّا افْتَدَتْ بِهِ المرأة، إن كان النشوز من قبل المرأة. فأما إذا كان النشوز من قبل الزوج، فلا يحل له أن يأخذ، بدليل ما قال في آية أخرى: **﴿وَأَتَيْتُهُمْ إِسْدَانَهُمْ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾** [النساء: ٢٠].

ثم قال تعالى: **﴿بَلِّغْ حُدُودَ اللَّهِ﴾**، يعني: أحكامه وفرائضه **﴿فَلَا تَمْتَدُّوَهَا﴾**، يقول: لا تجاوزوها. **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾**، أي يتجاوز أحكام الله وفرائضه ويترك ما أمره الله تعالى، أو يعمل بما نهى عنه، **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**، يقول: الضارون بأنفسهم. ويقال: **﴿بَلِّغْ حُدُودَ اللَّهِ﴾**، يعني: الطلاق مرتان، فلا تجاوزوهما إلى الثالثة. **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾** بالتطليقة الثالثة، **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**. **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾** أي الثالثة، **﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾** الثالثة، **﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾**، يعني: تتزوج بزواج آخر ويدخل بها. وإنما عرف الدخول بالسنة، وهو ما روي عن ابن عباس: أن رفاة القرظي طلق امرأته ثلاثاً وكانت تدعى أميمة بنت وهب، فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير ولم تكن عنده إلا كهديبة الثوب، فأتت النبي ﷺ وقالت: إن رفاة طلقني فبئت طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن، ولم أكن عنده إلا كهديبة الثوب، فقال لها: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تُرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟» فقالت: نعم. قال: «لَيْسَ ذَلِكَ مَا لَمْ تَدُوقِي مِنْ عُسَيْبِيَّةٍ وَتَدُوقِي مِنْ عُسَيْبِيَّةٍ»<sup>(٢)</sup>، فذلك قوله تعالى: **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾**، يعني: إذا طلقها الثالثة.

ثم قال تعالى: **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾**، يعني: واحدة أو اثنتين؛ **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**، يعني: المرأة والزوج **﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾**. ويقال: فإن طلقها الزوج الثاني بعدما دخل بها، **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾**، يعني: المرأة والزوج الأول أن يتراجعا، يعني: أن يتزوجها مرة أخرى. **﴿إِنْ طَلَّقَا﴾**، يعني: إن علما **﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾**، يعني: فرائض الله يعني: إذا علما أنه يكون بينهما الإصلاح بالنكاح الثاني.

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣) (٥٢٧٤) (٥٢٧٥) (٥٢٧٦) (٥٢٧٧). وأبو داود (٢٢٢٧) ومالك ٢/ ٥٦٤ والنسائي ١٦٨/٦٠ والبيهقي ٣٠٣/٧ وأحمد: ٣/٤.

(٢) حديث عائشة: أخرجه البخاري (٢٦٣٩) (٥٢٦٠) (٥٢٦١) (٥٢٦٥) (٥٣١٧) (٥٧٩٢) (٥٨٢٥) ومسلم (١٤٣٣) (١١٠) (١١١) (١١٢).

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني: فرائض الله وأمره ونهيه وأحكامه، ﴿بَيْنَهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ويقال: إنما قال: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، لأن الجاهل إذا بين له، فإنه لا يحفظ ولا يتعاهد؛ والعالم يحفظ ويتعاهد. فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجاهل.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَ أَجَلَهُنَّ فَأُنكِهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنكِهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّخِذُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَأَذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِرُ بَيْدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَالِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَنْفُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكُرُ لَكُمْ وَالظَّهْرُ وَاللَّهُ يَتْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَ أَجَلَهُنَّ﴾، أي: مضى عليهن ثلاث حيض قبل أن يغتسلن، وقبل أن يخرجن من العدة؛ ﴿فَأُنكِهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، يعني: يراجعها ويمسكها بالإحسان. قوله: ﴿أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: لا يراجعها ويتركها حتى تخرج من العدة. ﴿وَلَا تُنكِهُنَّ ضِرَارًا﴾؛ والضرار في ذلك: أن يدعها حتى إذا حاضت ثلاث حيض، وأرادت أن تغتسل، راجعها ثم يطلقها، يريد بذلك: أن يطول عليها العدة. ففيه الله تعالى عن ذلك وقال: ﴿وَلَا تُنكِهُنَّ ضِرَارًا﴾. ﴿لِيَتَّخِذُوا﴾، يعني: لتتظلموهن. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يعني: الإضرار، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، يقول: أضر بنفسه بمعصيته في الإضرار. وقال الزجاج: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، يعني: عرض نفسه للعذاب، لأن إتيان ما نهى الله عنه، تعريض لعذاب الله، لأن أصل الظلم: وضع الشيء في غير محله.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾، يعني: القرآن لعباً. ويقال: إنهم كانوا يطلقون ولا يعدون ذلك طلاقاً، ويجعلونه لعباً، فنزل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾. قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿هُزُوعًا﴾ بغير همز، وكذلك قوله: ﴿كُفُّوا أَعْنَاقَكُمْ﴾ [الصمد: ٤] وقرأ الباقون بالهمز، وهما لغتان، ومعناها واحد.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، يقول: احفظوا نعمة الله عليكم بالإسلام يقول: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ﴾ في القرآن من المواعظ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ يعني: الفقه في القرآن ﴿بِعِظْمِكُمْ بِهِ﴾، يقول: ينهاكم عن الضرار. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في الضرار، ﴿وَعَالِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من أعمالكم فيجازيكم به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتَنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يقول: انقضت عدتهن؛ ﴿فَلَا تَنْفُلُوهُنَّ﴾، يقول: لا تحبسوهن ولا تمنعهن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بمهر ونكاح جديد. وذلك أن معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي الدحداح،

فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها فرضيت، وأبى أخوها أن يزوجها له وقال لها: وجهي من وجهك حرام أن تزوجه. فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ ، يعني: يؤمر به. ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ، يعني: يصدق بالله واليوم الآخر ﴿ذَلِكَ أَرْزَىٰ لَكُمْ﴾ ، يعني: خير لكم ويقال: أصلح لكم، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ من الريبة أي: الزنا. ﴿وَاللَّهُ يَغْلِبُ﴾ من حب كل واحد منهما لصاحبه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ويقال: ذلكم أطهر لقلوبكم من العداوة، لأن المرأة تأتي الحاكم فيزوجها، فتدخل في قلوبهم العداوة والبغضاء. وقال الضحاك: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الخير في الوفاء والعدل، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما عليكم في التفريق من العقوبة والعذاب. وقال مقاتل: فدعا رسول الله ﷺ معقلاً، فقال: ﴿إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا فَلَا تَمْنَعُ أختك عَنْ أَبِي الدُّخْدَاحِ﴾، فقال: آمنت بالله وزوجتها منه، وفي هذه الآية دليل أن الولي إذا منع المرأة عن النكاح، كان للحاكم أن يزوجها.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلُهُ وَعَلَى الْوَالِدِ يَتْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ، يعني: سنتين كاملتين، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ ، أي: يكمل الرضاعة. فإن قيل: لما ذكر الحولين، إيش معنى الكاملين؟ قيل له: هذا للتأكيد، لأن بعض الحولين يسمى حولين، كما قال في آية أخرى: ﴿الْحَيْجُ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وإنما هي شهران وعشرة أيام. فهاهنا لما ذكر الكاملين، علم أنه أراد الحولين بغير نقصان.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ ، يعني: على الأب أجر الرضاع ونفقة الأم، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، يعني: على قدر طاقته. ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، يعني: لا يجب على الأب من النفقة والكسوة إلا مقدار طاقته.

ثم قال: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِهَا﴾ يقول: لا ينزع الولد من الأم لأنها أحق بولدها من غيرها. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿وَلَا تُضَارُّ﴾ بضم الراء على معنى الخبر تبعاً لقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، فلفظه لفظ الخبر والمراد به: النهي. وقرأ الباقون: بالنصب على صريح النهي. ثم قال: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلُهُ﴾ ، يعني: الأب لا يضار بالولد، فتطرح الأم الولد على الأب بعدما عرفت أنه لا يقبل ثدي غيرها، فلا يجوز لها أن تفعل ذلك. فقال: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ

لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ يعني: إذا كان الأب يجد ظئراً أرخص من الأم، والأم أبت أن ترضع إلا بأجر كثير، فإن الأب لا يجبر على ذلك، وله أن يدفع إلى ظئر أخرى.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ بِمَثَلِ ذَلِكَ﴾، يعني: إذا لم يكن للصبي أب وله ورثة سوى الأب، فعلى وارث الصبي مثل ما على الأب. ويقال: على وارث الأب لا يضاها ولا تضاره. ويقال ﴿على الوارث مثل ذلك﴾، يعني: الرزق والكسوة في رضاع الأم الصبي ونفقتة. ﴿فَإِنْ أَرَادَ إِذَا فِضَالاً﴾، يعني: فطاماً ﴿عَنْ تَرْضَاعٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾، يعني الأب والأم دون الحولين. ويقال: بعد الحولين. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، أي لا حرج عليهما إن لم يرضعاه سنتين. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، يعني: أن تأخذوا ظئراً لأولادكم، إذا أرادت الأم النكاح ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾، يعني: لا إثم عليكم إذا أعطيت الظئر ﴿مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، بما تعرفونه. ويقال: أعطيت ما شرطتم له.

ثم خوفهما في الإضرار، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، يعني: الأبوين فلا يضار واحد منهما لصاحبه. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ من الإضرار فيجازيكم به. قرأ ابن كثير: ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ بغير مد، يعني: ما جتتم وفعلتم، وقرأ الباقون بالمد، يعني: ما أعطيتم.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾، يعني: يموتون منكم، ﴿وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾، يعني: يتركون نساء من بعدهم. ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾، يعني: ينتظرن بأنفسهن ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، لا يتزوجن ولا يتزوين ولا يخرجن. ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعني انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أي فلا إثم عليكم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من الزينة والكحل والخضاب. وذلك أن المرأة إذا انقضت عدتها، فكان أولياؤها يمنعونها من الزينة، فأباح الله تعالى لهن الزينة بعد العدة. ويقال: فلا جناح عليكم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، يعني: إذا تزوجن بزوج آخر، إذا كان الزوج كفواً، فلا يمنع من نكاحها. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من الزينة والمنع من نكاحها وغير ذلك. وهذه الآية عامة، يستوي فيها المدخولة وغير المدخولة، والصغيرة والكبيرة في وجوب العدة من الزينة والمنع وغير ذلك.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَمْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذُرْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ يِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَمْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ جُحْتِ الْنِسَاءِ﴾. فقد أباح للمخاطب أن يتعرض بالنكاح، ونهاه عن العقدة والخطبة، فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ﴾ يقول: لا بأس بأن يأتي الرجل المرأة المتوفى عنها زوجها، فيعرض لها ويقول: إنك لتعجبيني وإنك لموافقة لي، فأرجو أن يكون بيننا اجتماع، ونحو ذلك من الكلام. فهذا هو التعريض ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني أضمرتم في أنفسكم. قال الزجاج: كل شيء سترته فقد أكننته وكننته وهو مكنون، فلذلك أباح الله تعالى التعريض.

ثم قال تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، يعني: خافوا الله في العدة من تزويجهن. ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾، يعني: نكاحاً، ويقال: جماعاً. وقال القتيبي: سمي الجماع سرّاً، لأنه يكون في السر فيكنى عنه. ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، يعني: عدة حسنة، نحو إنك لجميلة، وإني فيك لراغب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾، يقول: ولا تحققوا عقدة النكاح، يعني: لا تنزوجهن في العدة. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾، يعني: حتى تنفصي عندها. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْفَعُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني: ما في قلوبكم من الوفاء وغيره. ﴿فَأَخَذُوا مِنْهُمُ مَخْرَجًا﴾، أن تخالفوه فيما أمركم ونهاكم. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، ذو تجاوز، ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث لم يعجل عليكم بالعقوبة.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوْبِخِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٧) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْتُوْرَ أَوْ يَعْتُوْرَ الَّذِي يَدِيهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْلَمُوا أَوْ رُبُّ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٧)

ثم قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أي: لا حرج عليكم ﴿إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾؛ قرأ حمزة والكسائي ﴿تَمَسُوهُنَّ﴾ بالألف من المفاعلة، وهو فعل بين اثنين؛ وقرأ الباقون بغير ألف، لأن الفعل للرجال خاصة. وقال بعضهم: المس هو الجماع خاصة، فما لم يجامعها لم يجب عليه تمام الصداق. وقال بعضهم: إذا جامعها أو خلا بها، وجب عليه جميع الصداق إذا كان سمي لها مهراً؛ وإن لم يكن سمي لها مهراً فلها مهر مثلها إن دخل بها، وإن لم يدخل بها فلها المتعة. فذلك قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾، يعني: إذا تزوج الرجل امرأة لم يجب عليه المقام معها، فلا بأس بأن يطلقها قبل أن يمسه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، يعني: لا حرج عليكم أن تنزوجهن النساء ولا تسموا لهن مهراً ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾، يعني: إذا طلقها قبل أن يدخل بها، فعلى الزوج أن يستمعها

﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: «قَدْرُهُ» بنصب الدال، وقرأ الباقون بالجزم؛ ومعناها واحد.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَمْثَلِ قَدْرِهِ مَنَاعاً بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ قال ابن عباس في رواية الكلبي: «أدنى ما يكون من المتعة ثلاثة أثواب: درع، وخمار، وملحفة»، وهكذا قال في رواية الضحاك ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أن يمتعوا النساء على قدر طاقتهم.

ثم قال عز وجل ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُموهنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾، يعني: من قبل أن تجامعوهن وقبل أن تخلوا بهن، هكذا قال في رواية الضحاك، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، يعني: على الزوج نصف ما فرض لها من المهر. ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّفِقُوا﴾، يعني: إلا أن تترك المرأة فلا تأخذ شيئاً، ﴿أَوْ يَتَّفِقُوا الَّذِي بَيْنَهُ عَهْدَةُ النِّكَاحِ﴾، يعني: الزوج، يكمل لها جميع الصداق. ﴿وَأَنْ تَتَّفِقُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾، يقول: أن يعفو بعضكم بعضاً كان أقرب إلى البر، فأيهما ترك لصاحبه فقد أخذ بالفضل. ويقال: إن الله تعالى ندب إلى الإنسانية، فأمر كل واحد منهما بالعفو.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، يعني: لا تتركوا الفضل والإنسانية فيما بينكم في إتمام المهر أو في الترك. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم بذلك.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَاتًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾؛ قال ابن عباس في قوله عز وجل ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ «حافظوا على الصلوات المكتوبات الخمس، في مواقيتها بوضونها وركوعها وسجودها» يقول: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾، خاصة حافظوا عليها. ويقال: هي صلاة العصر. ويقال: هي صلاة الصبح ويقال: هي صلاة الظهر.

حدثنا القاسم بن محمد بن روزية قال: حدثنا عيسى بن خنثام قال: حدثنا سويد بن سعيد، عن مالك بن أنس، أنه بلغه، عن علي وابن عباس رضي الله عنهما كانا يقولان: «صلاة الوسطى صلاة الصبح»<sup>(١)</sup>. قال مالك: وذلك رأيي. أخبرنا القاسم بن محمد قال: حدثنا عيسى بن خنثام قال: حدثنا سويد بن سعيد عن مالك، عن داود بن الحصين، عن رجل، عن زيد بن ثابت قال: «صلاة الوسطى صلاة الظهر».

وبهذا الإسناد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن القعقاع بن الحكم، عن أبي يونس

(١) عزاه السيوطي ٧١٨/١ إلى مالك في الموطأ عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب. وأخرجه البيهقي في



مولي عائشة رضي الله عنها أنه قال: «أمرني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني، فلما بلغت أذنتها، فأملت علي: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ صلاة العصر»<sup>(١)</sup>.

قال الفقيه: حدثنا أبو إبراهيم الترمذي عن أبي إسحق، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن نافع مولى ابن عمر<sup>(٢)</sup> قال: حدثنا علي بن معبد قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبي إسحاق، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن نافع، مولى ابن عمر وكان يكتب المصاحف أنه قال: استكتبني حفصة ابنة عمر مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها، حتى تأتيني فأملها عليك كما حفظتها من رسول الله ﷺ، فلما بلغت أتبعتها بالورقة فقالت: اكتب ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ صلاة العصر<sup>(٣)</sup>. ويقال: هي قراءة عبد الله بن مسعود.

وروي عن أبي هريرة وابن عمر أنهما قالوا: «صلاة الوسطى العصر»، وروي عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبیش، عن علي رضي الله عنه أنه قال: «كنت ظننت أنها صلاة الفجر، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق وقد شغلوه عن صلاة العصر، قال: «مَلَأَ اللَّهُ بَطُونَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ»<sup>(٤)</sup>. وإنما كان فائدة التخصيص بصلاة العصر، لأن ذلك وقت الشغل فيخاف فوتها ما لا يخاف لسائر الصلوات. وقد أكد بالذكر وبطريق المعقول لأن قبلها صلاتي النهار، وبعدها صلاتي الليل.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ يعني: قوموا لله طائعين في الصلاة مطيعين. ويقال: صلوا لله قانتين، فكانه أمر بطول القيام في الصلاة. كما قال في آية أخرى: ﴿يَتَزَيَّرُ آفَتِي رَبِّكَ﴾ [آل عمران: ٤٣] وروي عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال: «التي يطيل القنوت فيها»<sup>(٥)</sup>، يعني: القيام. ويقال: قانتين، يعني ساكتين، كما روي عن زيد بن أرقم أنه قال: «كنا نتكلم في الصلاة، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام». وقال الزجاج: القنوت المشهور في اللغة الدعاء في القيام، وحقيقة القانت القائم بأمر الله تعالى.

(١) الدر المنثور: ٧١٩/١.

(٢) هكذا في النسخة «ب».

(٣) عزاء السيوطي: إلى الموطأ. وهو في الموطأ: ١٣٨/١.

(٤) حديث علي: أخرجه البخاري (٢٩٣١) و(٤١١١) و(٤٥٣٣) و(٦٣٩٦) ومسلم (٦٢٧) وابن ماجه (٦٨٤) وأبو داود (٤٠٩) وأحمد: (١/١٢٢، ١٣٥، ١٣٧)، والبعوي (٣٨٧) والبيهقي ١/٤٦٠.

وفي الباب عن ابن مسعود مرفوعاً «صلاة الوسطى صلاة العصر» عند مسلم (٦٢٨) والترمذي (١٨١) و(٢٩٨٥) وأحمد: ١/٣٩٢ والبيهقي: ١/٤٦١.

(٥) حديث جابر: أخرجه مسلم (٧٥٦) (٧٥٦) و(١٦٥) والترمذي (٣٨٧) وابن ماجه (١٤٢١) والبيهقي ٨/٣ وأحمد ٣٠٢/٣ والبعوي: (٦٦٠).



ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، يعني: إذا خفتم العدو فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فصلوا ركباناً على الدواب، حيث ما توجهت بكم بالإيماء. وهذا موافق لما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر صلاة الخوف، ثم قال في آخره «فَإِنْ كَانَ الْخَوْفُ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، صَلُّوا عَلَى أَقْدَامِكُمْ أَوْ رُكْبَانًا مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا». «فَإِذَا آمَنْتُمْ»، يعني: من العدو والخوف، «فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمُ»، يعني: صلوا كما علمكم أربعاً. وعلمكم «مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ»، يعني: علمكم الصلاة ولم تكونوا تعلمون من قبل.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَمًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَعَبِّاتِ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، يعني: يموتون ويتركون نساءهم من بعدهم «وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ»، يعني: يوصون لسنائهم. قرأ ابن كثير ونافع والكاسي وأبو بكر عن عاصم «وَصِيَّةً بِالضَّمِّ، يعني: عليهم وصية؛ وقرأ الباقون: بالنصب، يعني: يوصون وصية لأزواجهم». «مَتَاعًا»، أي: نفقة وكسوة «إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ»، يقول: لا يخرجن من بيت أزواجهن. وهذا في أول الشريعة، كانت العدة حولاً، وهكذا كان في الجاهلية، ألا ترى إلى قول لبيد:

وَهُمْ رَبِيعٌ لِلْمُجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمُرْمِلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا

ثم نسخ ما زاد على الأربعة أشهر وعشراً، ونسخت الوصية للأزواج بقول النبي ﷺ: «لَا وَصِيَّةَ لِيُورَثُ»<sup>(١)</sup>. ويقال: نسخ بآية الميراث.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾، يعني: من الزينة، يحتمل أنه أراد به الخروج بعد مضي سنة، ويحتمل الخروج في السنة إذا خرجت بعذر في أمر لا بد لها منه. «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، وقد ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾. والمطلقات أربع: مطلقة سنى لها مهرأ، ومطلقة لم يسم لها مهرأ، ومطلقة دخل بها، ومطلقة لم يدخل بها، فالمتعة لا تكون واجبة إلا لمطلقة واحدة وهي التي لم يسم لها مهرأ وطلقها قبل الدخول، كما ذكر في الآية التي سبق

(١) حديث أبي أمامة: أخرجه الترمذي (٢١٢٠) و(٢١٢١) والبيهقي: (٨٥/٦) وأحمد: (١٨٦/٤) والطبراني:

٣٥/١٧ والدارقطني: (٧٠/٤) وعبد الرزاق (٧٢٧٧) والمطالبي: (١٤٦٧).

ذكرها، وفي سائر المطلقات المتعة مستحبة وليست بواجبة. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يعني: واجباً على المتقين، وذلك فيما بينه وبين الله تعالى، فلا يجبر عليه إلا في المطلقة التي ذكرناها. ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: أمره ونهيه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما أمرتم به. ويقال: آياته يعني دلالاته. ويقال: ﴿آيَاتِهِ﴾ يعني القرآن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ النَّاسِ فَذَرَوْهُم مَّا هُم مَّوْتُوا ثُمَّ أَخِيهَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ يقول: ألم تخبر: وهذا على سبيل التعجب، كما يقال: ألا ترى إلى ما صنع فلان؟! ويقال: ﴿ألم تر﴾ يعني: ألم تعلم؟ ويقال: ألم ينته إليك خبرهم؟ أي الآن نخبرك عنهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: «وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمر الناس بالخروج إلى الغزو فخرجوا، فبلغهم أن في ذلك الموضوع طاعوناً، فامتنعوا عن الخروج إلى هناك، ونزلوا في موضعهم، فهلكوا كلهم، فبلغ خبرهم إلى بني إسرائيل، فخرجوا ليدفنهم، فعجزوا عن ذلك لكثرتهم، فحفظوا عليهم الحظائر، ثم أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام، وبقيت منهم بقايا لم تحيي». وقال بعضهم: بلغهم أن هناك للعدو شوكة وقوة، فامتنعوا عن الخروج إليهم، فأهلكهم الله تعالى.

وقال بعضهم: إن أرضاً كان وقع بها الوباء فخرج الناس منها هاربين، فترلوا منزلاً فماتوا كلهم، فمر بهم نبي يقال له جزئيل عليه السلام فقال: الحمد لله القادر الذي يحيي هذه النفوس البالية ليعيدوه. فدعا لهم فأحياهم الله تعالى؛ فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي وفي رواية الضحاک: «ثمانية آلاف، ويقال: سبعون ألفاً، ويقال: ثمانية عشر ألفاً». وقال بعضهم ﴿وهم أوف﴾ كما قال الله تعالى، ولا يعرف كم عددهم إلا الله. ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ يعني: خرجوا من ديارهم مخافة الموت.

﴿فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا﴾ يعني: أماتهم الله، ﴿ثُمَّ أَخِيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ يعني: على أولئك الكفار حين أحياهم. يقال: هو ذو من على جميع الناس. ويقال: على الذين أحياهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعمة، يعني: الكفار، ويقال: على الذي أحياهم.

وفي هذه الآية: دلالة نبوة محمد ﷺ حيث أخبر عن قبله ولم يكن قرأ الكتب، فظهر ذلك عند اليهود والنصارى وعرفوا أنه حق. وفي هذه الآية إبطال قول من يقول: إن الإحياء بعد الموت لا يجوز، وينكر عذاب القبر؛ لأن الله تعالى يخبر أنه قد أماتهم ثم أحياهم.

﴿وَقَتَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ أَن تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «لما أحياهم الله قال لهم: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . ويقال: هذا أمر بالجهاد لأمة محمد ﷺ، قال لهم: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، أي: ﴿سميع﴾ لمقاتلتهم، ﴿عليم﴾ بالأرض التي وقع فيها الوباء .

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . نزلت في شأن أبي الدحداح، قال: يا رسول الله، إن لي حديقتين لو تصدقت بواحدة منهما، أأكون لي مثلها في الجنة؟ قال «نعم». قال: وأم الدحداح معي؟ يعني امرأته. قال: «نعم». قال: والدحداح معي؟ يعني ابنة، فقال: «نعم». قال: أشهدك أنني قد جعلت حديقتي لله تعالى. ثم جاء إلى الحديقة، وقام على الباب وتخرج الدخول فيها بعدما جعلها لله تعالى ونادى: يا أم الدحداح اخرجي، فإني جعلت حديقتي لله تعالى، فخرجت وتحولت إلى حديقة أخرى، وقالت له: هنيئاً لك بما فعلت أو كما فعلت<sup>(١)</sup>، فنزل قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ يعني: ألفي ألف ضعف.

قال الفقيه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا المعلى بن منصور قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا علي بن زيد، عن أبي عثمان الهدي قال: بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال: «إن الله تعالى يكتب للعبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة» فحججت ذلك العام لآلتي أبا هريرة، فأكلمه في هذا الحديث، فلقيته فأخبرته فقال: ليس كذا قلت، ولم يحفظ الذي حدثت عني، وإنما قلت: «ألفي ألف حسنة»، ثم قال أبو هريرة: «أو لستم تجدون في كتاب الله تعالى قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ . قوله: ﴿كَثِيرَةً﴾ أكثر من ألف ألف ومن ألفي ألف.

ثم قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ ، أي: يقتر الرزق على من يشاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ ، يعني: يوسع على من يشاء من عباده. ويقال: يقبض الصدقات ويخلفها الثواب في الدنيا وفي الآخرة. وقال بعضهم: يسلب قوماً ما أنعم عليهم، ويوسع على آخرين. ﴿وَاللَّهُ يُرْجِمُونَ﴾ في الآخرة. قرأ حمزة والكسائي ونافع وأبو عمرو: ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ بالالف وبضم الفاء، وقرأ عاصم ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ بالالف وينصب الفاء، وقرأ ابن كثير ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ بغير ألف بنصب الفاء. فأما من قرأ: ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ بالالف والضم، ﴿يُضَاعِفُهُ﴾ فهما لغتان بمعنى واحد. يقال: ضاعفت الشيء وضاعفته. ومن قرأ بضم الفاء عطفه على قوله: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ . ومن نصبه فعلى جواب

(١) عزاه السيوطي: ٧٤٦/١ إلى ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء. وعن الأخرج عن أبي هريرة.

الاستفهام. وقرأ نافع ﴿يَنْصُطُ﴾ بالصاد، وقرأ الباقون: بالسين وهو أظهر عند أهل اللغة. وفي كل موضع يكون الصاد قريباً من الطاء، جاز أن يقرأ بالسين وبالصاد مثل: المصيطرون ومثل: الصراط، لأنه يشتد فرق الصاد عند ذلك، فيجوز القراءة بالسين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّؤْا إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدْوٍ مُوسَى إِذْ قَالُوا نَبِّئْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٢﴾﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الرؤساء والقادة. وقال بعضهم: اشتقاق الملأ في اللغة من الملأ هو الجماعة التي تملأ بأديتهم. وقال بعضهم: الناظر إذا نظر إليهم، امتلا عينه هيبة منهم؛ وذلك أن كفار بني إسرائيل قهروا مؤمنينهم فقتلوه، وسبوه، وأخرجوهم من ديارهم. وكان رئيسهم جالوت، فلما اضطروا المسلمون في ذلك جاؤوا إلى نبي لهم يقال له: أشمويل بن هلقان عليه السلام بلغة العبرانية، وبالعربية إسماعيل بن هلقان، ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ﴾ يعني: أشمويل: ﴿إِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ يعني: ادع الله تعالى لنا أن يجعل لنا ملكاً، ﴿فَقَابَلَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال لهم أشمويل: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ قرأ نافع: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين، وقرأ الباقون: بالنصب، وهي اللغة المعروفة. والأول لغة لبعض العرب ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ يعني: إذا بعث الله لكم ملكاً وفرض عليكم القتال، لعلكم لا تقاتلون وتجنبون عن القتال. ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: كيف لا نقاتل في سبيل الله؟ ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ يعني: أخذوا ديارنا وسبوا أبنائنا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ يعني: فرض عليهم القتال. ﴿تَوَلَّوْا﴾ وتركوا القتال ولم يثبتوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعني: أن الله تعالى يعلم جزاء من تولى عن القتال.

ثم بين لهم القصة بقوله تعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ﴾** ، يعني: قد أجابكم ربكم إلى ما سألتهم من بعث ملك تقاتلون في سبيل الله معه، وقد جعل لكم **﴿طالوت ملكاً﴾** وكان طالوت فيهم حقيير الشأن، وكانت النبوة في بني لاوي بن يعقوب، والملك في سبط يهوذا. ولم يكن طالوت من أهل بيت الملك، ولا من أهل بيت النبوة. ويقال: كان رجلاً يبيع الخمر، ويقال: كان دباغاً، ولكنه كان عالماً فرفعه الله بعلمه. **﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾** ، يعني: المسلمون قالوا لنبيهم: من أين يكون له الملك علينا **﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾** ؟ لأن منا الملوك. **﴿وَلَمْ يَأْتِ﴾** طالوت **﴿سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾** ينفق علينا. والملك يحتاج إلى مال ينفق على جنوده وأعدائه.

**﴿قَالَ﴾** لهم نبيهم عليه السلام: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾** ، يعني: اختاره عليكم **﴿وزأده بسطة﴾** ، أي فضيلة **﴿في العلم والجسم﴾** ؛ وكان رجلاً جسيماً وكان عالماً بأمر الحرب. **﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** . والواسع في اللغة: هو الغني. ويقال: **﴿واسع﴾** بعبطية الملك، **﴿عالم﴾** لمن يعطيه. ويقال: **﴿واسع﴾** يعني: باسط الرزق، **﴿عليم﴾** : بمن يصلح له الملك. فظنوا أنه يقول لهم من ذات نفسه. وقالوا له: إن كان الله تعالى أمرك بذلك، فأتنا بآية: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾** وذلك أن الكفار كانوا أخذوا التابوت، وكان التابوت للمسلمين، فإذا خرجوا للغزو والتابوت معهم كانوا يرجون الظفر. فأخذ الكفار التابوت ووضعوه في مخرأة لهم فابتلاههم الله تعالى بالباسور. ويقال: إن أصل الباسور من ذلك الوقت، وأصل الجذام من وقت أيوب عليه السلام، وتغير الطعام من قبل بني إسرائيل. فجعل الله تعالى آية ملك طالوت رد التابوت إليهم، فذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾** يعني: علامة ملكة **﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾** . **﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** . قال الكلبي: طمانينة من ربكم، إذا كان التابوت في مكان اطمأنت قلوبهم بالظفر. وقال مقاتل: السكينة كانت دابة ورأسها كراس الهرة ولها جناحان، فإذا صوتت، عرفوا أن النصر لهم. ويقال: كانت جوهراً أحمر يسمع منه الصوت. ويقال: كانت ريحاً تهب فيها، لها صوت يعرفون أن النصر لهم عند الصوت.

وقوله تعالى: **﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾** ، يعني الرضراض من الألواح، وبقية من من في طست من ذهب، وعصا موسى، وعمامة هارون. قال الكلبي: وكان التابوت من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الأمشاط، فلما ابتلاههم الله تعالى بالباسور، عرفوا أن ذلك من التابوت، فقالوا: لعل إله بني إسرائيل الذي فينا، يعنون التابوت، هو الذي يفعل بنا هذا الفعل. فأخرجوا بقرتين من المدينة وتركوا أولادهما في المدينة، وربطوا التابوت على عجلة ثم ربطوا العجلة بالقرتين، ثم وجههما نحو بني إسرائيل؛ فضربت الملائكة جنوبهما، فساقوهما حتى هجموا بهما على أرض بني إسرائيل، فأصبحوا والتابوت بين أظهرهم. فذلك قوله تعالى: **﴿تَحْمِيلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾** ، يعني: الملائكة ساقوا العجلة. **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ﴾** ، يعني: إن في رد التابوت





بغير غرفة أن يرجعوا. ويقال: قد ظهر على شفاههم علامة، عرف بها من شرب من الذي لم يشرب، فردهم وأمسك المخلصين منهم.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ ، أي: النهر. ﴿هُوَ﴾ ، يعني: طالوت ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: المؤمنون ودنوا إلى عسكر جالوت، وكان معه مائة ألف فارس كلهم شاكون في السلاح. ﴿قَالُوا﴾ ، المؤمنون: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ، لما رأوا من كثرتهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ ، يعني: أيقنوا بالموت لما رأوا من كثرة العدو فأيقنوا بهلاك أنفسهم. ويقال: أيقنوا بالبعث بعد الموت وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ ، وهم أهل العلم منهم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ ، يعني: كم من جند قليل، ﴿غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةً﴾ عدتهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، أي: بنصر الله وأمره، إذا خلصت نيتهم، وطابت أنفسهم بالموت في طاعة الله ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر على عدوهم يعني: معيهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ، يقول: خرجوا واصطفوا لجالوت. دعوا الله تعالى، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ ، يقول: أصبب علينا صبراً، معناه: ارزقنا الصبر على القتال، ﴿وَبَيِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عند القتال ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

قال وكان داود عليه السلام راعياً، وكان له سبعة أخوة مع طالوت، فلما أبطأ خبر إخوته على أبيهم وكان اسمه إيشا، أرسل إليهم ابنه داود ينظر إليهم ما أمرهم ويأتيه بخبرهم، فلما خرج مرَّ على حجر فقال له الحجر: خذني فإني حجر إبراهيم الذي قتل بي عدوه، فأخذه وجعله في مخلاته ثم مرَّ بأخر فقال له: خذني فإني حجر موسى الذي قتل بي كذا كذا، ثم مرَّ بثالث فقال له: خذني فإنا الذي أقتل جالوت، فأخذه وجعله في مخلاته. فأتاهم وهم بالصفوف وقد برز جالوت فقال: من يبارزني؟ فلم يخرج إليه أحد. ثم قال: يا بني إسرائيل لو كنتم على حق، لخرج إلي بعضكم. فقال داود لإخوته: أما فيكم أحد يخرج إلى هذا الألف؟ فقالوا له: اسكت. فذهب داود إلى ناحية من الصف ليس فيها أحد من إخوته، فمر طالوت به وهو يحرض الناس، فقال له داود: وما تصنعون بمن يقتل هذا الألف؟ قال طالوت: أنكحه ابنتي واجعل له نصف ملكي. قال داود: فإنا أخرج إليه. فأعطاه طالوت درعه وسيفه، فلما خرج في الدرع جرها، لأن طالوت كان أطول الناس، فرجع داود إلى طالوت وقال: إني لم أتعود القتال في الدرع، فرد الدرع إليه. فقال له طالوت: فهل جرَّبت نفسك؟ قال: نعم، وقع ذئب في غنمي فضربته بالسيف فقطعته نصفين. فقال له طالوت: إن الذئب ضعيف، فهل جرَّبت نفسك في غير هذا؟ قال: نعم، دخل أسد في غنمي فضربته، ثم أخذت بلحيه فشققتها، فقال له: هذا أشد، ثم قال له ما اسمك؟ قال: داود بن إيشا. فعرفه. فرأى أنه أجلد إخوته، فأخذ قذافته وخرج فلما رآه جالوت قال: خرجت إلي لتقتلني بالقلاعة كما يقتل الكلاب؟ فقال له داود: وهل أنت إلا مثل الكلب؟ قال الكلب: وكان على رأس جالوت بيضة ثلاثمائة رطل، فقال له جالوت: إما



أن ترميني وإما أن أرميك. فقال له داود: بل أنا أرميك. ثم أخذ واحداً من الأحجار فرماه، فوقع في صدره ونفذ من صدره، وقتل خلفه خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: صارت الأحجار كلها واحدة، فلما رماها تفرقت في عسكره فقتلت خلقاً كثيراً. وقال بعضهم: رمى واحداً بعد واحد، فقتل جالوت وخلقاً كثيراً، وهزمهم بإذن الله، فذلك قوله عز وجل: **﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾**.

ثم إن طالوت زوج داود ابنته وأراد أن يدفع إليه نصف ملكه، فقال له وزراؤه: لو دفعت إليه نصف ملكك، فيصير منازعاً لك في ملكك، وينسد عليك الملك. فامتنع من ذلك وأراد قتل داود عليه السلام وكان في ذلك ما شاء الله حتى دفع إليه النصف، ثم خرج طالوت إلى بعض المغازي فقتل هناك، فتحول الملك كله إلى داود. ولم يجتمع بنو إسرائيل كلهم على ملك واحد إلا على داود. فذلك قوله عز وجل: **﴿وَاتَّاهَ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾**، يعني: ملك اثني عشر سبطاً **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**، يعني: النبوة، وأنزل عليه الزبور أربعمائة وعشرين سورة؛ **﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾**، يعني: ما يشاء داود من صنع الدروع وكلام الطيور وتسييح الجبال معه ويقال: ما شاء الله من الزبور، وكلام الطيور، وتسييح الطيور معه.

ثم قال تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ﴾**، أي يدفع البلاء عن المؤمنين بالنيين عليهم السلام، ويدفع بالمؤمنين عن الكفار، **﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾**، يعني: هلك أهلها. ويقال: **﴿ولولا دفع الله﴾** جالوت بطالوت، لهلكت بنو إسرائيل كلهم. ويقال: **﴿ولولا دفع الله﴾** البلاء بسبب المطيعين، لهلك الناس كما جاء في الأثر: «لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رقع، لصيبت عليكم العذاب صيباً». وروي عن الحسن أنه قال: لولا الصالحون لهلك الطالحون. ويقال: لولا أمر الله تعالى المسلمين بحرب الكفار، لفسدت الأرض بغلبة الكفار. ويقال لولا ما ينتفع بعض الناس ببعض، لأن في كل أرض بلدة يتولد منها شيء لا يوجد ذلك في سائر البلدان، فينتفع به أهل سائر البلدان؛ وينتفع بعضهم ببعض، فيكون في ذلك صلاح أهل الأرض.

قرأ نافع هاهنا **﴿وَلَوْلَا دَفَاعُ اللَّهِ﴾** وفي الحج: **﴿يُدْفَعُ﴾** وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بغير الف في كلا الموضعين، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر: **﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ﴾** بغير الف، **﴿لَمَتَ اللَّهُ يَدْفِعُ﴾** [الحج: ٣٨] بالألف. وتفسير القراءتين واحد وهما لغتان معروفتان.

ثم قال تعالى: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ﴾**، أي ذو من **﴿على العالمين﴾** برفع البلاء عنهم. ثم قال عز وجل: **﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾** وهو ما قص عليه من أخبار الأمم. **﴿عَلَيْكَ﴾**، يعني: نزلها، بقراءة جبريل عليك **﴿بِالْحَقِّ﴾**، يعني: بالصدق. **﴿وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**، يعني: إنك من جملة المرسلين الذين ذكرناهم. وقال الزجاج: **﴿تلك آيات الله﴾** أي هذه الآيات



أراد به الزكاة المفروضة. وقال بعضهم: صدقة التطوع. ثم بين لهم أن الدنيا فانية وأنه في الآخرة لا ينفعهم شيء إلا ما قدموه. فقال: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ يَوْمٌ لَا يَنْبَغُ فِيهِ﴾، يقول: لا فداء فيه ﴿وَلَا خَلَّةٌ﴾ يعني: لا صداقة، وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ يَدُ سَيْمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [الزخرف: 67]. ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ للكافرين كما تكون في الدنيا.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لَا يَنْبَغُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةَ﴾ بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم: ﴿لَا يَنْبَغُ فِيهِ وَلَا خَلَالٌ﴾ وقرأ الباقون بالضم مع التنوين.

ثم قال عز وجل: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يظلمون أنفسهم. والظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه. وكان المشركون يقولون: الأصنام شركاؤه وهم شفاعونا عند الله، فوحد الله نفسه فقال: .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّ الْقِيَوْمَ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

قال عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ يقول: لا خالق ولا رازق ولا معبود إلا هو. ويقال: الإنبات إذا كان بعد النفي، فإنه يكون أبلغ في الإنبات، فلهذا قيل: لا إله إلا الله، فبدأ بالنفي ثم استثنى الإنبات، فيكون ذلك أبلغ في الإنبات. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، يقول: ﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا يموت، ويقال: ﴿الْحَيُّ﴾ الذي لا بدى له، يعني لا ابتداء له ﴿الْقَيُّومُ﴾، يعني: القائم على كل نفس بما كسبت، ويقال: القائم بتدبير أمر الخلق في إنشائهم ورزقهم ومعنى القائم: هو الدائم.

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «السنة والنوم، كلاهما واحد، ولكنه أول ما يدخل في الرأس يقال له: سنة، ويكون بين النائم واليقظان، فإذا وصل إلى القلب صار نوماً». ويقال: معناه، أنه ليس بغافل عن أمور الخلق، فيكون النوم على وجه الكناية. وقال بعضهم هو على ظاهره: أنه مستغن عن النوم.

وروي في بعض الأخبار: «أن موسى بن عمران عليه السلام حين رفع إلى السماء، سأل بعض الملائكة: أينام ربنا؟ وقال بعضهم: خطر ذلك بقلبه، ولم يتكلم به، فأمره الله تعالى أن يأخذ زجاجتين في يده، وأمره بأن يحفظهما، ثم ألقى عليه النوم فلم يملك نفسه حتى نام، فانكسرت الزجاجتان في يده فقال له: يا موسى لو كان لي نوم، لهلكت السموات والأرض أسرع من كسر الزجاجتين في يدك»، فذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. كلهم عبيده وإماؤه وهو مستغن عن الشريك، ويقال: معناه أن كل ما في السموات والأرض يدل على وحدانيته.

ثم قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾، يقول: من ذا الذي يجتريء أن يشفع عنده ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي دون أمره، رداً لقولهم حيث قالوا: هم شفعاؤنا عند الله. وفي الآية دليل على إثبات الشفاعة لأنه قال: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فيه دليل على أن الشفاعة قد تكون بإذنه للأنبياء والصالحين.

ثم قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، هو الذي يعلم ما بين أيديهم من أمور الدنيا، يعني: يعلم أنهم لا يدعون الألوهية. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، يعني: يعلم أنه لا شفاعة لهم. وقال مقاتل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعني ما كان قبل خلق الملائكة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما يكون بعد خلقهم قال الزجاج: يعني يعلم الغيب الذي تقدّمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم. وقال الكلبي: ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، يعني: الملائكة لا يعلمون الغيب، لأن بعض الناس يعبدون الملائكة ويرجون شفاعتهم. فأخبر أنهم لا يملكون شيئاً ولا يعلمون مما تقدمهم ولا مما بعدهم، إلا بما أنبأهم الله تعالى. ويقال: لا يدركون جميع علمه. والإحاطة في اللغة: إدراك الشيء بكماله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فيعلمهم.

ثم أخبر عن عظيمته فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، يعني: ملاً كرسیه السموات والأرض.

وروي عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: السموات السبع والأرضون السبع تحت الكرسي كحلقة بأرض فلاة، وهكذا قال الكلبي ومقاتل. وقال بعضهم: الكرسي المكان الذي خلق الله فيه السموات والأرض. وقال بعضهم: الكرسي والعرش واحد، ولكنه مرة ذكر بلفظ العرش ومرة ذكر بلفظ الكرسي. وقال بعضهم: الكرسي غير العرش.

قال الفقيه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثنا فارس بن مردويه قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة وهو عاصم بن أبي النجود صاحب الفراء، عن زر بن حبیش، عن عبد الله بن مسعود قال: «بين كل سماء من مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، أي بالعلو والقدرة يعلم ما أنتم عليه».

وقال الزجاج: قال ابن عباس: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾، يعني: علمه وقال قوم: ﴿كرسيه﴾ قدرته التي يمسك بها السموات والأرض؛ وهذا قريب من قول ابن عباس. ثم أخبر عن قدرته: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، يقول: ولا يتقله حفظهما، يعني: حفظ السموات والأرض.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾، أي: الرفيع تعالى فوق خلقه، ﴿العظيم﴾ يعني: أعلى وأعظم من أن يتخذ شريكاً. ويقال: يحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة أوجه: وجه إنسان ووجه

ثور ووجه أسد ووجه نسر، أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرضين، هكذا قال الكلبي ومقاتل. ويقال: يدعو بالوجه الذي كوجه الإنسان لبني آدم، ويسأل الله تعالى لهم الرزق والرحمة والمغفرة، وبالوجه الذي كوجه الثور يدعو للأنعام بالرزق، وبالوجه الذي كوجه الأسد يدعو للوحوش، وبالوجه الذي كوجه النسر يدعو للطير.

وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال: لما نزلت آية الكرسي، حُرِّ كل صنم في دار الدنيا، وحُرِّ كل ملك في الدنيا على وجهه، وسقطت التيجان عن رؤوسهم، وهربت الشياطين يضرب بعضهم بعضاً، فاجتمعوا إلى إبليس وأخبروه بذلك، فأمرهم أن يبحثوا عن ذلك، فجاؤا إلى المدينة، فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قرأ آية الكرسي خَلَفَ كُلَّ صَلَاةٍ، أعطاه الله تعالى صلاة الشاكرين وصلاة المطيعين، وصلاة الصابرين، ولا يمنهم دخول الجنة إلا الموت»<sup>(١)</sup>.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، يعني: لا نكروها في الدين أحداً بعد فتح مكة وبعد إسلام العرب. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، يعني: قد تبين الهدى من الضلالة. ويقال: قد تبين الإسلام من الكفر، فمن أسلم وإلا وضعت عليه الجزية ولا يكره على الإسلام.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾، يعني: بالشیطان. ويقال: الصنم. ويقال: هو كعب بن الأشرف، ﴿وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾، يعني: لا انقطاع لها ولا زوال لها ولا هلاك لها، ويقال: قد استمسك بالدين الذي لا انقطاع له من الجنة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولهم، ﴿عليهم﴾ بهم.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

ثم قال عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني: حافظهم ومعينهم وناصرهم. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، يعني: من الكفر إلى الإيمان. واللفظ للمستقبل والمراد به الماضي، أي أخرجهم. ويقال: يثبتهم على الاستقامة كما أخرجهم من الظلمات، أي من ظلمة الدنيا ومن ظلمة القبر، ومن ظلمة الصراط إلى الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾، يعني: اليهود أولياؤهم كعب بن الأشرف

(١) الحديث من نسخة «ب».

وأصحابه. ويقال: المشركون أولياؤهم الشياطين. ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، يعني: يدعونهم إلى الكفر، كما قال في آية أخرى: ﴿أَنْتَ أَخْرَجْتَ قَوْمَكَ﴾ [إبراهيم: 5]، يعني: ادع قومك. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، يعني: أهل النار ﴿هَمَّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي دائمون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ بِإِزْهِيمٍ فِي رَيْبِهِ أَنْ هَاتَنَّهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِزْهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُعْنِي. وَيُبَيِّتُ قَالَ أَنَا أُعْنِي. وَأُمَيْتُ قَالَ إِزْهِيمُ فَإِنَّكَ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ بِإِزْهِيمٍ فِي رَيْبِهِ﴾، يقول: ألم تخبر قصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه ﴿أَنْ هَاتَنَّهُ اللَّهُ الْمَلَكُ﴾، وهو نمرود بن كنعان، وهو أول من ملك الدنيا كلها. وكانوا خرجوا إلى عيد لهم، فدخل إبراهيم عليه السلام على أصنامهم فكسرها، فلما رجعوا، قال لهم: أتعبدون ما ننحتون؟ فقالوا له: من تعبد أنت؟ قال: أعبد ربي الذي يحيي ويميت. وقال بعضهم: كان نمرود يحتكر الطعام، وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام كانوا يشترون منه، فإذا دخلوا عليه سجدوا له، فدخل عليه إبراهيم فلم يسجد له، فقال له نمرود: ما لك لم تسجد لي؟ فقال: أنا لا أسجد إلا لربي. فقال له نمرود: من ربك؟ فقال له إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ﴾ له نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، قال إبراهيم كيف يحيي وتميت؟ فجاءه برجلين فقتل أحدهما وخلقى سبيل الآخر، ثم قال: قد أمت أحدهما وأحييت الآخر. ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾: إنك أحييت الحي ولم تحيي الميت، وإن ربي يحيي الميت. فخشي إبراهيم أن يلبس نمرود على قومه، فيظنون أنه أحيأ الميت كما وصف لهم نمرود، فجاءه بحجة أظهر من ذلك قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فإن قيل: لم لم يثبت إبراهيم على الحجة الأولى، وانتقل إلى حجة أخرى، والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود؟ قيل له: الانتقال على ضربين: انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام، وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام. وإبراهيم عليه السلام انتقل بعد الإلزام، لأنه قد بين له فساد قوله، حيث قال: إنك قد أحييت الحي ولم تحيي الميت. وجواب آخر: إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن للمناظرة، وإنما كان قصده إظهار الحجة، فنرك مناظرته في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة، وأخذ بالاحتجاج بالحجة المسكتة، ولأن الكافر هو الذي ترك حد النظر، حيث لم يسأل عما قال له إبراهيم، ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه، حيث قال: أنا أحيي وأميت.

وقوله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾، يعني: انقطع وسكت متحيراً. يقال: بهت الرجل إذا تحير. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: لا يرشدهم إلى الحجة والبيان. وروي في الخبر أن الله عز وجل قال: «وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة، حتى آتي بالشمس من المغرب،

ليعلم أني أنا القادر على ذلك، ثم أمر نمرود بإبراهيم فألقي في النار، وهكذا عادة الجبابرة أنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة، اشتغلوا بالعقوبة، فأنجاه الله من النار وسنذكر قصة ذلك في موضعها إن شاء الله تعالى.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُغِيهِ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَآمَنَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَا قَالَ كَتَمَ لَيْثٌ قَالَ لَيْثٌ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمْرِكَ وَانظُرْ إِلَى النَّارِ الَّتِي أَنْظُرُ إِلَيْهَا الْوَطَّارُ كَيْفَ تُنشِرُهَا ثُمَّ نَكَّسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾؛ قال بعضهم: معناه إحيائي ليس كإحياء نمرود، ولكن إحيائي كإحياء عزيز عليه السلام أحييته بعد مائة عام. وقال بعضهم: هو معطوف على ما سبق من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] و ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ﴾. ﴿أَوْ﴾ زيادة في الكلام قال مقاتل: والذي مرَّ على قرية هو عزيز بن شرحبيل، ويروى: شرحبيل وكان من علماء بني إسرائيل، فمرَّ بدير هرقل بين واسط والمدائن ويروى: أنَّ شرحبيل كان على حمار فمرَّ بها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾. وقال الضحاك بن مزاحم: هو عزيز النبي عليه السلام، مرَّ ببيت المقدس وقد خربها بخت نصر، وقتل منهم سبعين ألفاً، وأسر منهم سبعين ألفاً، أي من بني إسرائيل، فمرَّ عزيز فقال: ﴿أَنَّى يُغِيهِ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن بخت نصر غزا بني إسرائيل، فسبى منهم ناساً كثيراً، فجاء بهم وفيهم عزيز بن شرحبيل كان من علماء بني إسرائيل، فجاء بهم إلى بابل. فخرج ذات يوم لحاجة له إلى دير هرقل على شاطئ دجلة، فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له، فربط حماره تحت ظل الشجرة، ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكناً ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾، يقول: ساقط عروشها يقول: ساقطة على سقفها، وذلك أن السقف يقع قبل الحيطان ثم الحيطان على السقف، فهي خاوية على عروشها. قال بعض أهل اللغة: الخاوية، الخالية. وقال بعضهم: بقيت حيطانها لا سقف عليها. فتناول من الفاكهة والتين والعنب، ثم رجع إلى حماره فجلس يأكل من تلك الفاكهة، ثم عصر من العنب فشربه، ثم جعل فضل التين في سلة، وفضل العصير في زق، ثم نظر إلى القرى فتعجب من كثرة حملها وفناء أهلها ف ﴿قَالَ أَنَّى يُغِيهِ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فلم يشك في البعث، ولكن أحب أن يريه الله كيف يحيي الموتى. فلما تكلم عزيز بذلك، نام في ذلك الموضع.



﴿فَأَمَّا اللَّهُ﴾ في منامه ﴿مِائَةَ عَامٍ﴾، وأمات حمارة، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ الله تعالى في آخر النهار، ومنعه الله تعالى حال موته عن أبصار الناس والسباع والطيور. فلما بعثه الله تعالى، سمع صوتاً ﴿قَالَ﴾ له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ أي كم مكثت في نومك يا عزيز؟ ﴿قَالَ﴾: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، ثم نظر إلى الشمس، وقد بقي منها شيء لم تغرب فقال: ﴿أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾. ﴿قَالَ﴾ له: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾، يعني: لبثت مائة عام، ثم أخبره ليعتبر. فقال: ﴿فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾، يعني: الفأكة، ﴿وَشَرَابِكَ﴾، يعني: العصير. ﴿لَمْ يَنْسَهُ﴾، يعني: لم يتغير، كقوله: ﴿يَنْ مَلَأَ غَيْرَ مَاسِينٍ﴾ [محمد: ۱۵]، أي غير متغير. ويقال: ﴿لَمْ يَنْسَهُ﴾ كأنه لم تأت عليه السنون.

قرأ حمزة وابن عامر وأبو عمرو: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ بإدغام التاء. وقرأ الباقون بإظهارها. وقرأ الكسائي: ﴿لَمْ يَنْسُ﴾ بغير هاء عند الوصل، وأثبتت عند القطع. وقرأ حمزة: بحذف الهاء عند الوصل والقطع جميعاً. وقرأ الباقون بإثبات الهاء عند الوصل والقطع. وقرأ نافع: ﴿أَنَا أُخْبِي﴾ بمد الألف، وكذلك في جميع القرآن نحو هذا، إلا في قوله: ﴿إِنَّا أَنَا إِلَّا نُنَبِّئُ﴾ [الأعراف: ۱۸۸] وقرأ الباقون بغير مد؛ ومعنى القراءتين في هذا كله واحد.

ثم نظر عزيز عليه السلام إلى حمارة وقد بلي فنودي: أَنْ ﴿انظر إلى حمارك﴾ فإذا هو عظام بيض تلوح، وقد تفرقت أوصاله. ثم سمع صوتاً قال: أيتها العظام البالية، إني جاعل فيكن روحاً فاجتمعن، فسمى بعضها إلى بعض حتى استقر كل شيء في موضعه، ثم بسط عليه الجلد ونفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق. فخرُّ عزيز ساجداً لله تعالى وقال عند ذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْمَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، يعني: عبرة للناس، لأن أولاده قد صاروا شيوخاً وهو قد كان شاباً. ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا﴾. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالراء، وقرأ الباقون بالزاي. فمن قرأ بالراء، فمعناه: كيف نحيتها. ونظيرها ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا إِلَهًا مِن دُونِ اللَّهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الأنبياء: ۲۱]، يعني: يبعثون الموتى. ومن قرأ بالزاي: يعني: كيف يضم بعضها إلى بعض. النشز: ما ارتفع من الأرض، وهذا كما جاء في الأثر: «الرضاع ما أثبت اللحم، وأنشز العظم». وقال أهل اللغة: النشز الحركة، يقال: نشز الشيء إذا تحرك، ونشزت المرأة عن زوجها، والمرادها هنا: نضمها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿أَعْلَمُ﴾ بالجزم على معنى الأمر، وقرأ الباقون: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ على معنى الخبر عن نفسه، علمت بالمعانية ما كنت أعلمه قبل ذلك غيباً. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإحياء وغيره. وقال بعضهم: أن عزيزاً لما أحياه الله تعالى قال في نفسه: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم. فلما رجع إلى منزله ولقيه أقرباؤه وحاسبوا غيبته، فقالوا له: بل لبثت مائة عام، وهذا قول من قال: إن هذا لم يكن عزيزاً النبي عليه السلام، بل رجل آخر سوى عزيز النبي عليه السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَنْزَلْنَاكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، وذلك أن نمرود لما قال له: أنا أحبي وأميت. ووصف لهم ذلك، فسألوا إبراهيم فقالوا له: كيف يحيي ربك الموتى؟ فأراد إبراهيم أن يرى ذلك بالمعانية، حتى يخبرهم بما يرى من المعانية، فسأل ربه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾.

وقال مقاتل: مرَّ إبراهيم فرأى جيفة على ساحل البحر، يأكل منها دواب البحر والطيور، وبعضها يصير مستهلكاً في الأرض، فوقع في قلبه أن الذي تفرق في البحر وفي بطون الطير كيف يجمعها الله تعالى، فأراد أن يعاين ذلك فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾. فـ ﴿قَالَ﴾ له ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟﴾ يعني: أو لم تصدق بأنني أحبي الموتى؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ قد صدقت؛ ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، يعني: ليسكن قلبي. ويقال: إنما قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟﴾ لكي يظهر إقراره، ولكي لا يظن أحد بعده أنه لم يكن مقرأً بذلك في ذلك الوقت، فظهر إقراره بقوله: بلى. وقال سعيد بن جبير: ليسكن قلبي أنك اتخذتني خليلاً.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾، فأخذ ديكاً وحمامة وطاووساً وغراباً؛ وفي بعض الروايات: أخذ طاووساً وثلاثة من الطيور مختلفة ألوانها وأسمائها وريشها. ﴿فَضَرَهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾، يعني: قطعهن وقال السدي: يعني ذقهن، وقال الأخفش: يعني ضمههن إليك. وذكر مقاتل بإسناده عن الأعمش قال: فيه تقديم وتأخير، يعني: فخذ إليك أربعة من الطيور فقطعهن واخْلَطْ بعضهن ببعض، ثم فرقهن في أربعة أجبل. ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا﴾. يعني: ففعل ذلك ودعاهن فسعين على أرجلهن.

ويقال: إنه لما وضعهن على الأجل، هبت الرياح الأربعة التي تقوم يوم القيامة: واحدة من قبل المشرق، والأخرى من قبل المغرب، والأخرى من قبل اليمين، والأخرى من قبل الشمال، فرفعت الأعضاء المتفرقة عن مواضعها، وحملتها إلى المواضع الأخرى، حتى اجتمع أعضاء كل طير في موضعها: فجعل إبراهيم ينظر ويتعجب حيث ينضم بعضها إلى بعض. فقال عند ذلك قوله: ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم بالبعث ولم أسأله لربيب كان في قلبي، ولكن سأله ليسكن قلبي في الخلعة. قرأ ابن كثير ﴿أَرِنِي﴾ بجزم الراء، وقرأ الباقون بالكسر؛ وقرأ حمزة ﴿فَضَرَهُنَّ﴾ بكسر الصاد، وقرأ الباقون بالضم. فمن قرأ بالكسر يعني: قطعهن، ومن قرأ بالضم يعني: فضمهن إليك؛ ويقال: هما لغتان ومعناها واحد وتفسيرهما واحد.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سِتْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ يَأْتِيهَا حَبٌّ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف. وذلك أن رسول الله ﷺ، لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك، فجاهد عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال: يا رسول الله، كانت لي ثمانية آلاف، فأمسكت منها لنفسي وعبالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها لربي. فقال له رسول الله ﷺ: ﴿بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ﴾. وقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، علي جهاز من لا جهاز له، فنزلت هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾؛ وفي الآية مضمرة، ومعناها: مثل النفقة التي تنفق في سبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾. وطريق آخر: مثل الذين ينفقون أموالهم، كممثل زارع زرع في الأرض حبة فـ ﴿أَنْبَتَتْ﴾ الحبة ﴿سِتْعَ سَنَابِلٍ﴾، يعني: أخرجت سبع سنابل. ﴿فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ يَأْتِيهَا حَبَّةٌ﴾، فيكون جملتها سبعمائة حبة، فشيء المتصدق بالزراع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيها الله تعالى بكل صدقة سبعمائة حسنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، يعني: يزيد على سبع مائة لمن يشاء، فيكون مثل المتصدق كممثل الزارع؛ إن كان الزارع حاذقاً في عمله، ويكون البذر جيداً، أو تكون الأرض عامرة، يكون الزرع مخصباً طيباً، فكذلك المتصدق إذا كان صالحاً والمال طيباً، ويوضع في موضعه، فيصير الثواب أكثر.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾، يعني: واسع الفضل لتلك الأضعاف، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفقون وبما نوا فيها. قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِّفُ﴾ بتشديد العين وحذف الألف، وقرأ الباقون ﴿يُضَاعِفُ﴾ بالألف؛ ومعناها واحد. فأما الذي قرأ ﴿يُضَعِّفُ﴾ من التضعيف، والذي قرأ ﴿يُضَاعِفُ﴾ من المضاعفة.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني: يتصدقون بأموالهم؛ ﴿ثُمَّ لَا يُنْفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ﴾، يعني: لا يمنون عليهم بما تصدقوا عليهم ولا يؤذونهم ولا يعيرونهم بذلك، ومعنى الأذى والتعيير: هو أن يقع بينه وبين الفقير خصومة، فيقول له: إني أعطيتك كذا وكذا. وقال بعضهم: المنُّ يشبهُ بالنفاق، والأذى يشبهُ بالرياء. ثم تكلم الناس في ذلك، فقال بعضهم: إذا فعل ذلك لا أجر له في صدقته وعليه وزرٌ فيما منُّ على الفقير. وقال بعضهم: ذهب أجره فلا أجر له ولا وزر عليه. وقال بعضهم: له أجر الصدقة، ولكن ذهب مضاعفته وعليه الوزر بالمنُّ.

ثم قال تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني: ثوابهم في الآخرة. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

فيما يستقبلهم من العذاب. ﴿وَلَا هُمْ يَخْرَتُونَ﴾ على ما خلفوا من أمر الدنيا. ويقال: الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان حين اشترى بئر رومة، ثم جعلها سبيلاً على المسلمين.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾

ثم قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ يعني: دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ يعني: يعفو ويتجاوز عن مظلّمته ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ﴾ يعطيها، ثم يمن على من تصدق عليه. ويقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ للفقير، يعني إذا أتاه سائل سأله ولم يكن عنده شيء يعطيه، فيدعو له بالجنة والمغفرة. فهو ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ﴾ يعطيها له، و﴿يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ﴾. ويقال: وعد المعطي خيراً من صدقة يتبعها أذى. ويقال: وعد الكريم خيراً من نقد اللئيم. ويقال: دعاء الفقير إذا دعا لصاحب الصدقة، ومغفرة الله خيراً من الصدقة التي يتبعها أذى. ويقال: قول معروف أي: يتجاوز عن من أساء إليه، ويحسن له القول خيراً من صدقة يتبعها أذى ويقال: الأمر بالمعروف، والصبر على ما أصابه، والتجاوز عن الذي ضره، خيراً من صدقة يتبعها أذى.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ يعني: ﴿غَنِيٌّ﴾ عما عندكم من الصدقة ﴿حَلِيمٌ﴾، حيث لا يعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ فالله تعالى أمر عباده برأفته، أن لا يمنوا بصدقاتهم، لكي لا يذهب أجرهم، ثم ضرب لذلك مثلاً فقال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. يعني: المشرك إذا تصدق، فأبطل الشرك صدقته، كما أبطل المن والأذى صدقة المؤمن. ثم ضرب لهما مثلاً جميعاً لصدقة المؤمن الذي يمن وبصدقة المشرك. فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾. قال القتيبي: الصفوان الحجر الذي لا ينبت عليه شيء، يعني كمثل حجر صلب عليه تراب. ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ يعني: المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ يعني ترك الصفا نقياً مجرد أملس ليس عليه شيء من تراب، فكذلك نفقة صاحب الرياء، ونفقة المشرك، لم يبق لهما ثواب.

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ يعني: لا يجدون للصدقة ثواباً في الآخرة، وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بَرْتَهُمْ أَصْحَابُهُمْ كَرَمَادٍ أُسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: 18]. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: لا يرشدهم إلى الإسلام والإخلاص ولا يوفقهم الله، بل يخذلهم مجازاة لكفرهم.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

ثم ضرب مثلاً لفقحة المؤمن الذي يريد بنفقته وجه الله تعالى، ولا يمن بها فقال عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ يعني: يتصدقون طلباً لرضى الله تعالى بصدقاتهم ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: وتصديقاً من قلوبهم، يعني: يصدقون الله تعالى من الثواب في الآخرة، والخلف في الدنيا. ويقال: وثبياً من أنفسهم، يعني: وتحقيقاً من قلوبهم يقصدون بها وجه الله. ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ يعني: بستاناً في مكان مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ يعني: البستان أصابه المطر الشديد ﴿فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿أَكْلَهَا﴾ بجزم الكاف، ونصب اللام. وقرأ الباقون بالضم ﴿أَكْلَهَا﴾، وتفسير القراءتين واحد. وقرأ عاصم وأبو عمرو ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بنصب الراء، وقرأ الباقون بالضم، وقرأ ابن سيرين بكسر الراء، وفيه ثلاث لغات: رَبْوَةٌ وَرَبْوَةٌ وَرَبْوَةٌ. وتفسير القراءات واحد.

وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه: كمثل جنة برية أصابها وابل ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ فأتت أكلها ضعفين، يعني: البستان إذا أصابه المطر أو الطل، والطل: البطيء من المطر، وهو مثل الندى، ﴿فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾، يعني: اخضرت أوراق البستان، وأخرجت ثمرها ضعفين، فكذلك الذي يتصدق به لوجه الله تعالى يكون له الثواب ضعفين، يعني: بالواحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وإلى ما لا نهاية له ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونُوا لَمْ جَنَّةٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَلِكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

ثم ضرب مثلاً آخر، لعمل الكافر والمنافق فقال عز وجل: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونُوا لَمْ جَنَّةٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ يقول: مثل الكافر كمثل شيخ كبير له بستان، وله أولاد صغار ضعفاء عجزة، لا حيلة لهم، ومعيشته ومعيشة ذريته من بستانه ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ يعني: ريحاً بها نار، يعني: تأتية السموم الحارة ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾، فأحترقت بستانه، ولم يكن له قوة أن يفرس مثل بستانه، ولم يكن عند ذريته خيراً يعينونه، فيبقى منحيراً، فكذلك الكافر إذا لقي ربه أحوج ما كان، فلا يجد خيراً، ولا يدفع عن نفسه شراً، ولا يكون له معين، ولا يعود إلى الدنيا، كما لا يعود الشيخ الكبير شاباً، وكان أحوج إليه.

قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثاله فتعتبرون.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يقول: من حلالات ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ في الآية أمر بالصدقة من الحلال، وفيها دليل: أن من تصدق من الحرام لا يقبل، لأن الواجب عليه أن يردها إلى موضعها. ويقال: ﴿أنفقوا من طيبات﴾ يعني: من المال اللذيذ والشهي عندكم مما كسبتم. يقول: مما جمعتم من الذهب والفضة.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: من الثمار والحبوب. ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ يعني: لا تعتمدوا إلى رديء المال فتصدقوا منه، وذلك أن النبي ﷺ لما حث الناس على الصدقة، فجعل الناس يأتون بالصدقة، ويجمعون في المسجد، فجاء رجل بهذق من تمر عامته حشفت، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾، يعني: لا تعتمدوا إلى الخشف فتصدقوا به ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ بدل الطيب ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يعني: إلا أن يهضم أحدكم، فيأخذ دون حقه مخافة أن يذهب جميع حقه، فيأخذ ذلك للضرورة مخافة فوت حقه، والله تعالى غني عن ذلك، فلا يقبل إلا الطيب، ويقال: ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا﴾ يعني: إلا أن يضطر أحدكم، فمسته الحاجة فرضي بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: ﴿غني﴾ عما عندكم من الصدقات، ﴿حميد﴾ في أفعاله عند خلقه. ويقال: ﴿حميد﴾ بمعنى محمود ويقال: ﴿حميد﴾ يعني من أهل أن يحمده ويقال: ﴿حميد﴾ يقبل القليل ويعطي الجزيل.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَرِضْوَانًا وَسِعَ عَلَيْهِ﴾

قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ يقول: الشيطان يأمركم بشيئين، والله تعالى يأمركم بشيئين. أما الشيطان، فإنه ﴿يعدكم الفقر﴾ ويقول: لا تنفق ولا تصدق، كأنك تحتاج إلى ذلك. ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ قال الكلبي: يمنع الزكاة. ويقال: جميع الفواحش مثل الزنى وقول الزور وغير ذلك ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ لذنوبكم، يعني: المغفرة من الله. ﴿ورضواناً﴾ يعني: خلفاً في الدنيا ﴿والله واسع﴾ الفضل ﴿عليهم﴾ بما تنفقون. ويقال: عليهم بمواضع الصدقات.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾



ثم قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: «يعني النبوة». وقال الكلبي: يعني الفقه. وقال مقاتل: يعني علم القرآن. ويقال: الإصابة في القول. ويقال: المعرفة بمكائد الشيطان ووساوسه. وقال مجاهد: الإصابة في القول والفهم والفقه. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ يقول: من يعط علم القرآن، فقد أعطي خيراً كثيراً. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يعني: لا يتفكر في ذلك ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: إلا ذوي العقول. ويقال: إن من أعطي الحكمة والقرآن، فقد أعطي أفضل مما أعطي من جميع كتب الأولين من الصحف وغيرها، لأنه تعالى قال لأولئك: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٥] وسمي هذا: ﴿رَأَى كَثِيرًا﴾ لأن هذا جوامع الكل.

وقال بعض الحكماء: من أعطي من العلم والقرآن، ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لأجل دنياهم، لأن ما أعطي أفضل مما أعطي أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً. وقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وسمى العلم ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٢٧٧] إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٧﴾

قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ يقول ما تصدقتم من صدقة. ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ فوفيتم بنذوركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ يعني: يحصيه ويقبله منكم، وهذا وعد من الله تعالى، فكأنه يقول: إنه لا ينسى بل يعطي ثوابكم. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني: ليس للمشركين من مانع في الآخرة يمنعهم من العذاب.

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ وذلك أن الله تعالى لما حثهم على الصدقة سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فنزل قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾، يعني: إن تعلنوا الصدقات المفروضة. ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وابن عامر، ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ بنصب النون وكسر العين، وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص ونافع في رواية ورش، وابن كثير بكسر النون وكسر العين، وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، ﴿فَنِعْمًا﴾ بكسر النون وجزم العين، وكل ذلك جائز وفيه ثلاث لغات نعيم نعيم ونعم، وما زيدت فيها للصلة.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء وضم الراء. وقرأ حمزة ونافع والكسائي ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالنون وجزم الراء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالنون وضم الراء، فمن قرأ بالجزم، فهو جزاء



للصدقة، ومن قرأ بالضم فهو على المستقبل، يعني إن تعدنوا الصدقات فحسن ﴿وإن تُخَفُّوْهَا وَتُوَفُّوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من صدقة العلانية.

فأما صدقة التطوع فقد اتفقوا أن الصدقة في السر أفضل، وأما الزكاة المفروضة قال بعضهم: السر أفضل، لأنه أبعد من الرياء وقال بعضهم: العلانية أفضل، لأن الزكاة من شعائر الدين، فكل ما كان أظهر، كان أفضل كالصلوات الخمس والجمعة والعيدن، ولأن في ذلك زيادة رغبة لغيره في أداء الزكاة.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني: فيما تصدقتم في السر والعلانية يعلمه ويتقبل منكم، ويكون في ذلك كفارة سيئاتكم، ويعطي ثوابكم في الآخرة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُغْفِرُوا مِنْ خَيْرٍ لَّا يُغْفِرُكُمْ وَمَا تُغْفِرُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُغْفِرُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ لِّلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْئَلُونَ صَرِيحًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُ الْكَاهِلُ افْتِسَاءً مِنَ الْعَمَلِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيئَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُغْفِرُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما قدم مكة لعمره القضاء، وخرجت معه أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها فتيلة، وجدها أبو قحافة، فسألا منها حاجة فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى أستامر رسول الله ﷺ، فإنكما لستم على ديني، فاستأمرت رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، يعني: يوفق من يشاء لدينه. فإن قيل قد قال في آية أخرى ﴿وَاللَّهُ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال هاهنا: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، قيل له: إنما أراد به هناك الدعوة، وهاهنا أراد به الهدى خاصة، وهو التوفيق إلى الهدى.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾ يعني: ما تنفقوا من مال، فتوابه لأنفسكم إذا تصدقتم على الكفار، أو على المسلمين.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه رأى رجلاً من أهل الذمة، يسأل على أبواب المسلمين فقال: «ما أنصفتك، أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً، ثم ضيعناك بعدما كبرت وضعفت، فأمر بأن يجري عليه قوته من بيت المال».

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ يعني: لا تنفقوا إلا ابتغاء ثواب الله ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: يوف ثوابكم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ يعني:

لا تنقصون من ثواب أعمالكم وصدقاتكم، فتكون ﴿مَا﴾ الأولى بمعنى الشرط، و﴿مَا﴾ الثانية للوجود و﴿مَا﴾ الثالثة للخبر.

ثم بين موضع الصدقة فقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: النفقة والصدقة للفقراء الذين حبسوا أنفسهم في طاعة الله، وهم أصحاب الصفة كانوا نحواً من أربعمئة رجل، جعلوا أنفسهم للطاعة، وتركوا الكسب والتجارة.

قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: لا يستطيعون الخروج إلى السفر في التجارة. ﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ قرأ حمزة وعاصم وابن عامر: ﴿يَحْسِبُهُمُ﴾ بنصب السين في جميع القرآن، وقرأ الباقون: بالكسر، وتفسير القراءتين واحد، يعني: يظن الجاهل بأمرهم وشأنهم أنهم ﴿أَغْنِيَاءُ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ لأنهم يظهرون أنفسهم للناس بالبأس وغيره، كأنهم أغنياء، ويتعففون عن المسألة. ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بصفرة الوجه من قيام الليل وصوم النهار ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ يعني: إلحافاً. قال ابن عباس رضي الله عنه: «لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاح»، ويقال: أصله من اللحاف، لأن السائل إذا كان ملحاً، فكانه يلمص بالمسؤول فيصير كاللحاف وجعل ذلك كناية عنه.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ بما أنفقتم، ويقال: هذا على معنى التحريض، فكانه يقول: عليكم بالفقراء الذين أحصروا في سبيل الله. وقال بعضهم: هذا على معنى التعجب، فكانه يقول عجباً للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ويقال: إنه رد إلى أول الآية ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ للفقراء الذين أحصروا.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال مقاتل والكلبي: نزلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت له أربعة دراهم لم يملك غيرها، فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم في السر، وبدرهم في العلانية، فنزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾. ﴿سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ يعني خفية وظاهراً. ويقال: هذا حث لجميع الناس على الصدقة يتصدقون في الأحوال كلها وفي الأوقات كلها، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَاذًا لَمَّا الْبَسَجُ يُشَلُّ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَسَجَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ يعني: يأكلون الربا استحلالاً ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ يوم القيامة

من قبورهم **﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾** يعني: يتخبله الشيطان **﴿مِنَ الْمَسِّ﴾** أي من الجنون. ويقال: إنهم يعيشون يوم القيامة، وقد انتفخت بطونهم كالجبال، وكلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم، فيكون ذلك علامة أكل الربا، ويقال: يكون بمنزلة المجنون **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾** يعني: الذي نزل بهم، لأنهم **﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾** معناه: استحلوا الربا، وكان الرجل إذا حل أجل ماله طالبه فيقول له المطلوب: زدني في الأجل، وأزيدك في مالك، فيفعلان ذلك. فإذا قيل لهما: إن هذا ربا قالوا: الزيادة في أول البيع، والزيادة عند حلول المال سواء، فذلك قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾** الزيادة في أول البيع كالزيادة في آخر البيع. ويقال: إنهم استحلوا الربا وقالوا: الربا والبيع سواء في الحل، فالله سبحانه وتعالى أبطل قولهم فقال: **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾**.

ثم قال: **﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾** ولم يقل جاءته، لأن التأنيث ليس بحقيقي، ويجوز أن يذكر ويؤنث، لأنه انصرف إلى المعنى، يعني فمن جاءه نهي **﴿مَنْ رَبِّهِ﴾** في القرآن قي بيان تحريم الربا **﴿فَأَنذَرْتَهُ﴾** عن أكل الربا **﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾** يعني: ليس عليه إثم فيما مضى قبل النهي، لأن الحجة لم تقم عليهم، ولم يعلموا بحرمة، وأما اليوم فمن تاب عن الربا، فلا بد له من أن يرد الفضل، ولا يكون له ما سلف، لأن حرمة الربا ظاهرة بين المسلمين، لأن كتاب الله تعالى فيهم.

ثم قال عز وجل: **﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** في المستأنف إن شاء عصمه، وإن شاء لم يعصمه **﴿وَمَنْ عَادَ﴾** إلى استحلال الربا **﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** قال ابن مسعود: «أكل الربا وموكله وكتابه وشاهداه ملعونون على لسان محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرِّبَا، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلِ الرِّبَا أَصَابَهُ مِنْ غَبَارِهِ»<sup>(٢)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الرِّبَا بَضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَذْنَاهَا كَأَيْتَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ»<sup>(٣)</sup>، يعني: كالزاني بأمه.

ثم قال تعالى: **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾** يعني: يبطله، ويذهب ببركته **﴿وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾** يقول: يقبلها ويضاعفها. ويقال: إن مال أكل الربا لا يخلو من أحد أوجه ثلاثة، إما أن يذهب عنه، أو عن ولده، أو ينفقه فيما لا يصلح.

ثم قال عز وجل: **﴿وَأَلَّهُ لَا يَجِبُ كُلُّ كَفَّارٍ﴾** يعني: جاحداً بتحريم الربا **﴿أَيِّمٍ﴾** يعني: عاص بأكله.

(١) أخرجه أحمد: ٤٠٩/١ و٤٣٠ و٤٦٥ والنسائي: ١٤٧/٨ وابن خزيمة (٢٢٥٠) والحاكم ٣٨٨/١ وأبو يعلى (٥٢٤١).

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه أبو داود (٣٣٣١). والنسائي: ٢٤٢/٧ وأحمد: ٤٩٣/٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢٢٧٤) بلفظ هوياً وإسناده ضعيف. ورواه صاحب الترغيب: ٣/٦ وهو في الضعفاء للمقبلي: ٢٥٨، ٢٥٧/٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿۲۷۷﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿۲۷۸﴾ إِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَکُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿۲۷۹﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّکُمْ إِن کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿۲۸۰﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿۲۸۱﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ يعني: وأعطوا الزكاة المفروضة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وقد ذكرناه.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعصوه فيما نهاكم من أمر الربا ﴿إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: مصدقين بتحريمه. وقال أهل اللغة: «إن» الخفيفة على ثلاثة أوجه: إن بمعنى ما، كقوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً﴾ [يس: ۲۹]. وإن بمعنى لقد، كقوله ﴿إِنَّ كَانَتْ وَعَدُّ رَبِّي لَمَعْمُولًا﴾ [الإسراء: ۱۰۸]. ﴿وَتَاللَّهِ إِن كُنَّا﴾، ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتُ لَأَتَّبِعَنَّ﴾ [الصفات: ۵۶]، ﴿إِنَّ كُنَّا عَنْ عِبَادِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ۲۹]، وإن بمعنى إذ كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَّاغْلُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ۱۳۹]، ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ۲۷۸] يعني: إذ كنتم مؤمنين نزلت هذه الآية في نفر من بني ثقيف، وفي بني المغيرة من قريش، وكانت ثقيف يربون لبني المغيرة في الجاهلية، وكانوا أربعة أخوة منهم: مسعود وعبد ياليل وأخواهما يربون لبني المغيرة، فلما ظهر النبي ﷺ على أهل مكة، وضع الربا كله، وكان أهل الطائف قد صالحوا على أن لهم رباهم على الناس يأخذونه، وما كان عليهم من ربا للناس فهو موضوع عنهم، لا يؤخذ منهم، وقد كان رسول الله ﷺ كتب لهم كتاباً، وكتب في أسفل كتابهم: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ﴾، فلما حلَّ الأجل طلب ثقيف رباهم، فاختصموا إلى أمير مكة وهو عتاب بن أسيد، فكتب بذلك بالمدينة إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَحِلُّوا الرِّبَا وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: مصدقين بتحريم الربا.

ثم خوفهم فقال عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا﴾ يعني: لم تقروا بتحريم الربا ولم تتركوه ﴿فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر ﴿فَاذْنُوا﴾ بمد الألف وكسر الذال، وقرأ أبو عمرو وورش عن نافع، ﴿فَاذْنُوا﴾ بترك الهمزة ونصب الذال، وقرأ الباقون بجزم الألف ونصب الذال،

فمن قرأ ﴿فَأَذْنُوا﴾ بالجزم معناه: فاعلموا يحزب من الله، يعني: بإهلاك من الله. ويقال: معناه، فاعلموا أنكم كفار بالله ورسوله، ومن قرأ ﴿فَأَذْنُوا﴾ يعني: اعلموا بعضكم بعضاً بحرب من الله، أي بإهلاك من الله تعالى ورسوله. فقالوا: وما لنا بحرب من الله ورسوله طاقة، فما توبتنا؟؟

فقال تعالى لهم: ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ فَلَكُمْ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ﴾ التي أسلفتم. وقال النبي ﷺ: «كُلُّ رِبَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مُؤْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبَاٍ وَضِعَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُلُّ ذِمَّ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مُؤْضُوعٌ، وَأَوَّلُ ذِمَّ وَضِعَ ذِمَّ رَبِيعَةَ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». ثم قال: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ يعني: الطالب لا يظلم بطلب الزيادة، ويرضى برأس ماله، ولا يظلم المطلوب، فينتقص عن رأس المال، وذلك أنهم طلبوا رؤوس أموالهم من بني المغيرة، فشكوا العسرة يعني: بني المغيرة وقالوا: ليس لنا شيء، وطلبوا الأجل إلى وقت إدراك ثمارهم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ يعني: إن كان المطلوب ذو شدة ﴿فَنظْرَةٌ إِلَىٰ مَيْسِرَةٍ﴾ يقول: أجله أن يتيسر عليه بإدراك ثمارهم ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ يقول: لو تصدقتم ولا تأخذونه فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ويقال: لئن تصدقتم بالتأخير فهو خير لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الصدقة خير لكم.

قرأ نافع إلى ﴿مَيْسِرَةٍ﴾ بضم السين. وقرأ الباقون والنصب، وهما لغتان ومعناها واحد. وقرأ عطاء ﴿فَنَظْرَةٌ﴾ بالالف. وقرأ العامة بغير الف، ومعناها واحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ يعني: اجتنبوا عذاب يوم ترجعون ﴿فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ يعني: في يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: «آخر آية نزلت من القرآن ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ فيه إلى الله ثم توفى ﴿قرأ أبو عمرو ﴿ترجعون﴾ بنصب التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون ﴿ترجعون﴾ بضم التاء ونصب الجيم وقرأ عاصم ﴿وان تصدقوا﴾ بالتخفيف، وقرأ الباقون بالشديد، لأن التاء أدغمت في الصاد وأصله: وإن تصدقوا.»

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَدَّيْنْتُمْ بِذَيْنِ إِلَهٍ أَجْكَو مُسَكَّىٰ فَاصْكَبُوهُ وَليَكْتَبَ بَيْنَكُم كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَسْمَعْ اللَّهُ رَدْمَهُ وَلَا يَجْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطَلِيعُ أَنْ يُعْلِمَ هُوَ فَلْيَسْلِمِ وَلْيُؤْتِ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا سَهْدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرًا تَكَانَ مِنْ رَضْوَانٍ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ

إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَبِيحًا أَوْ مَسَاءً إِنْ أَجَلُكُمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ  
لِلشَّهَادَةِ وَأَذِنَ آلَا تَرَائِبُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَانِبَهُ حَاضِرَةً تِجَارَةً بَيْنَكُمُ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا  
تَكْتُبُوهُمَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَكُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ مُسَوِّفٌ بِكُمْ  
وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَرَبِّكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَعَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا  
كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْهُ مَنَّهُ وَإِذَا دُعُوا فَادْعُوا وَلَا تَكْتُمُوا  
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإِنَّهُ إِيمَانُ قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينٍ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: «الآية  
نزلت في السلم»، ويقال: كل دين إلى أجل مسلماً كان أو غيره. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: إلى  
أجل معلوم، وفي الآية دليل: أن المدابنة لا تجوز إلا بأجل معلوم ﴿فَأَكْتُبُوهُ﴾ يعني: الدين  
والأجل، ويقال: أمر بالكتابة، ولكن المراد به الكتابة والإشهاد، لأن الكتابة بغير شهود لا تكون  
حجة. ويقال: أمر بالكتابة لكي لا ينسى. ويقال: من آدان ديناً، ولم يكتب، فإذا نسي ودعا الله  
تعالى بأن يظهره يقول الله تعالى: أمرتك بالكتابة فعصيت أمري، وإذا دعى بالنجاة من الزوجة  
يقول الله تعالى: جعلت الطلاق بيدك إن شئت طلقها، وإن شئت فأمسكها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلْيُكْتَبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ يعني: يكتب الكاتب بين البائع والمشتري  
بعدل بينهما في كتابته، ولا يزداد على المطلوب على حقه، ولا ينقص من حق الطالب.  
ويقال: إن هذا أمر للكاتب بالكتابة، وكانت الكتابة واجبة في ذلك الوقت على الكاتب،  
لأن الكتب كانوا قليلاً ثم نسخ بقوله: ﴿وَلَا يُضَارَكُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال بعضهم:  
الكتابة لم تكن واجبة، ولكن الأمر على معنى الاستحباب.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ يقول ولا يمتنع الكاتب عن الكتابة أن يكتب  
﴿حَمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يعني: يكتب شكراً لما أنعم الله عليه حيث علمه الكتابة، واحتاج غيره إليه،  
فكما أكرمه الله تعالى بالكتابة وفضله بذلك، فيعرف شكره، ولا يمتنع عن الكتابة لمن طلب  
منه.

ثم قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ يعني: المطلوب، هو الذي يملئ على الكاتب  
حتى يكتب الكاتب، لأن قول المطلوب حجة على نفسه، فإذا أملى على الكاتب يكون ذلك  
إقراراً منه بوجود الحق عليه.

ثم خوف المطلوب لكيلا ينقص شيئاً من حق الطالب. فقال تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾  
يعني: المطلوب ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ يقول: لا ينقص من الحق شيئاً. ويقال: معنى  
الكاتب، ولا يبخس في الكتابة شيئاً.



ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ يعني: المطلوب ﴿سَفِيهًا﴾ يعني: جاهلاً بالإملاء، ويقال: أحمق ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ يعني: صيباً عاجزاً عن الإملاء، ويقال: أخرس أو مجنوناً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ﴾ يعني: لا يحسن ﴿أَنْ يُبْلِغَ هُوَ﴾ على الكاتب فيرجع الإملاء على الطالب ﴿فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ﴾ يعني: ولي الحق، يعني: الطالب، هكذا قال في رواية الكلبي. وقال في رواية الضحاك: ولي المديون، يعني: إذا كان للصبى وصي أو ولي رجع الإملاء عليه فليملك وليه ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يعني: بالحق.

ثم أمر بالإشهاد فقال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ يعني: على حاكم ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: من أهل دينكم من الأحرار البالغين ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٍ﴾ فليكن رجلاً ﴿وَأَمْرَانِ مِنْ تَرْضَاؤِنَا مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ يعني: من العدول ﴿أَنْ تُضَلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ يعني: إذا نسيت إحدى المرأتين. ﴿فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ يعني: الشهادة إذا حفظت إحداهما، تذكر صاحبها ويقال: إن امتنعت إحداهما عن أداء الشهادة، فتعظها الأخرى حتى تشهد. قرأ حمزة ﴿إِنْ نُضِلَّ﴾ بكسر الألف ونصب التاء وضم اللام ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ بضم الراء، وإما كسر الألف على معنى الابتداء، وضم اللام بحرف الشرط، وقرأ الباقون بنصب الألف، ومعناه: لأن تضل. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، ﴿فَتَذَكَّرْ﴾ بالتخفيف. وقرأ الباقون بنصب الذل وتشديد الكاف، وهما لغتان أذكرته وذكرته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ يعني: الشاهد إذا دعي إلى الحاكم ليشهد، فلا يمتنع عن أداء الشهادة، والإباء عن الشهادة حرام، لأن الله تعالى نهى عن الإباء عن الشهادة. ويقال: إباء الشهادة على ثلاثة أوجه: أحدهما: أن يمتنع عن أدائه. والثاني: أن يشهد ويقصر في أدائه، لكيلا تقبل شهادته. والثالث بأن لا يصون نفسه عن المعاصي، فيصير مثملاً لا تُقبل شهادته، فكانه هو الذي أبطل حق المدعي، وخانه حيث عصى الله تعالى حتى ردت شهادته بمعصيته.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمَاوُا﴾ يقول: ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتَبُوا ضَعِيفًا أَوْ كَبِيرًا﴾ يقول: قليل الحق أو كثيره ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ لأن الكتابة أحصى للأجل وأحفظ للمال ﴿ذَلِكُمْ أَنْسَطَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: أعدل ﴿وَأَقْوَمُ﴾ وأصوب ﴿لِلشَّهَادَةِ وَأَذْنَىٰ﴾ يقول: أخرى وأجدر ﴿أَلَا تَرْتَابُوا﴾ يعني: لا تشكوا في شيء من حقوقكم.

ثم استثنى الله تعالى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأ عاصم ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب وقرأ الباقون بالرفع، فمن قرأ بالنصب جعله خير تكون، والاسم مضمراً معناه: إلا أن تكون المدينة تجارة حاضرة. ومن قرأ بالرفع جعله اسمه يعني: إذا كان البيع بالنقد ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يعني: تداولونها أيديكم، ولم يكن المال مؤجلاً ﴿فَلْيَسَّ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿أَلَا تَكْتَبُونَهَا﴾ يعني: التجارة. ثم قال ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ على حاكم ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ على كل حال، نقداً



كان أو مؤجلاً، وهذا أمر استحباب، ولو ترك الإشهاد جاز البيع.

ثم قال تعالى: **﴿وَلَا يَضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾** يقال: لا يعمد أحدكم إلى الكاتب والشاهد، فيدعوهما إلى الكتابة والشهادة، ولهما حاجة مهمة، فتمنعهما عن حاجتهما، وليتركهما حتى يفرغا من حاجتهما، أو يطلب غيرهما **﴿وَأِنْ تَفَلَّحُوا﴾** يقول: إن تضاروا الكاتب والشاهد **﴿فَبِإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾** يقول معصية منكم وترك الأدب قوله: **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** في الضرار ويقال: واتقوا الله ولا تعصوه فيما أمركم من أمر الكتابة والإشهاد **﴿ويعلمكم الله﴾** في أمر الكتابة، ويقال: ويؤدبكم الله **﴿وَأَنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** من أعمالكم.

ثم قال عز وجل: **﴿وَأِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾** يعني: كنتم مسافرين **﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾** يعني: لم تجدوا من يكتب الكتاب، وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ، **﴿ولم تجدوا كاتبًا﴾**، يعني: الكاتب والصحيفة **﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾** قرأ ابن كثير وأبو عمرو **﴿فَرِهَانٌ﴾**، والباقون **﴿فَرِهَانٌ﴾**، والرّهان: هو جمع الرهن، والرّهان: فهو جمع الرهان، وهو جمع الجمع. يعني: إذا كنتم في السفر، ولم تجدوا من يكتب، ولم تجدوا الصحيفة والدواة، فاقبضوا الرهن. وفي الآية دليل أن الرهن لا يصح إلا بالقبض، لأنه جعل الرهن بالقبض.

ثم قال تعالى: **﴿فَإِنْ أَمِنَ بَمُضْئِكُمْ بَعْضًا﴾** يعني: إذا كان الذي عليه الحق أميناً عند الطلب، فلم يطلب منه الرهن، ورضي بدينه بغير رهن قوله: **﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾** يعني: المطلوب يقضي دينه حيث ائتمنه الطالب، ولم يرتهن منه **﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾** ولا يمتع حقه. ثم رجع إلى الشهود فقال: **﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾** عند الحاكم يقول: من كانت عنده شهادة، فليؤدها على وجهها ولا يكتنها **﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾** يعني: الشهادة **﴿فَبِإِنَّهُ آتِمٌ قَلْبُهُ﴾** يعني: فاجر قلبه. **﴿وَأَنَّه بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** من كتمان الشهادة وإقامتها **﴿عليمٌ﴾**، فهذا وعيد للشاهد على كتمان شهادته لكيلا يكتنها.

قرأ حمزة وعاصم **﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾**، بضم الألف، والباقون يقرؤون بسكون الألف وكلاهما واحد. وقرأ نافع **﴿فَلْيُؤَدِّ﴾** بغير همز، وقرأ أبو عمرو بالهمزة، وتفسير القراءتين واحد.

**﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُعَاسِرْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾**

قوله تعالى: **﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** من الخلق كلهم عبيده وإماؤه، وهو خالقهم ورازقهم، وحكمه نافذ فيهم، معناه: لا تعبدوا أحداً سواه، لأنه هو الذي خلق المسيح والملائكة والأصنام، ويقال: **﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**، يعني: في كل شيء دلالة ربوبيته ووحدانيته.

ثم قال تعالى: **﴿وَأِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾** يعني: إن تظهروا ما في قلوبكم أو

تضمروه ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أي يجازيكم به الله وقال بعضهم: يعني في كتمان الشهادة، أن تعلنوا الشهادة أو تخفوها ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أي يجازيكم به الله.

وقال الكلبي: وإن تعلنوا ما في أنفسكم من المعصية أو تسروها ولا تظهروها، يجازيكم به الله. ويقال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله إنا لنحدث أنفسنا بالأمر من المعصية، ثم لا نعملها، أو نعمل بها فهو سواء، فشق ذلك على المؤمنين مشقة شديدة، فلما عرف الله مشقة ذلك على المسلمين، أنزل على نبيه ما هو أهون عليه منه فقال: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾ [البقرة: 286].

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديلمي<sup>(١)</sup>، قال حدثنا أبو عبيد الله عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: «سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي»<sup>(٢)</sup>.

قال سفيان: بلغني أن الأنبياء كانوا يأتون قومهم بهذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ فيقولون: لا نطبق هذا ولا نحتمله، فأعقبهم الله بالمواخذه، فلما عرض على هذه الأمة قبلوا، فأعقبهم الله تعالى أن وضعها عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾ [البقرة: 286] الآية.

ثم قال عز وجل: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: لمن تاب عن الذنوب ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أي: لمن أقام على ذلك، وأصر عليه. ويقال: ﴿يفغفر لمن يشاء﴾ الذنب العظيم لمن انتزع عنه، ﴿ويعذب من يشاء﴾ بالذنب الصغير إذا أصر عليه. ويقال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. قرأ عاصم وابن عامر، ﴿يفغفر﴾ بضم الراء على معنى الابتداء وقرأ الباقون بالجزم على جواب الشرط، وكذلك في قوله: ﴿ويعذب من يشاء﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من العقوبة والمغفرة.

﴿أَمَّا الرَّسُولُ فَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا سَيِّئًا أَوْ أَطَقْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا حَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾

(١) في نسخة «ب»: سقط اسم الديلمي.

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) و(٧٤٢٢) ومسلم (٢٧٥١) (١٤) (١٥) (١٦) وأحمد: ٣٩٧/٢، ٤٦٦ والبغوي (٤١٧٧).

قوله تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾ روي عن الحسن وعن مجاهد وعن الضحاک أنهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قصة المعراج، وهكذا روي في بعض الروايات عن عبد الله بن عباس.

وقال بعضهم: جميع القرآن نزل به جبريل على محمد ﷺ إلا هذه الآية، فإن النبي ﷺ سمعها ليلة المعراج. وقال بعضهم: لم يكن ذلك في قصة المعراج، لأن ليلة المعراج كانت بمكة، وهذه السورة كلها مدنية. فأما من قال: إنها كانت في ليلة المعراج قال: لما صعد النبي ﷺ، وبلغ فوق السموات في مكان مرتفع ومعه جبريل حتى جاوز سدره الممتهى، فقال له جبريل: إني لم أجاوز هذا الموضع، ولم يؤمر أحد بالمجازة عن هذا الموضع غيرك، فجاوز النبي ﷺ حتى بلغ الموضع الذي شاء الله، فأشار إليه جبريل بأن يسلم على ربه. فقال النبي ﷺ: «الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ». قال الله تعالى: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّيْءُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، فأراد النبي ﷺ أن يكون لأمته حظ في السلام فقال: «السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ». فقال جبريل وأهل السموات كلهم: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». قال الله تعالى على معنى الشكر: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾، أي: صدق النبي عليه الصلاة والسلام بما أنزل إليه من ربه، فأراد النبي ﷺ أن يشارك أمته في الفضيلة فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ يقولون: آمنا بجميع الرسل، ولا نكفر بواحد منهم، ولا نفرق بينهم، كما فرقت اليهود والنصارى.

فقال له ربه عز وجل: كيف قبولهم بالآية التي أنزلتها؟ وهي قوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي بُحُونِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فقال: رسول الله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي: أعطنا مغفرتك يا ربنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع. قال الله تعالى عند ذلك: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ يعني: طاقتها.

ويقال: إلا دون طاقتها، ويقال: لا يكلف الصلاة قائماً لمن لا يقدر عليها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَعَلَيْنَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الشر فقال له جبريل عند ذلك: «سَلْ تُعْطَ» فقال النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ يعني: إن جهلنا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ يعني: إن تعمدنا، ويقال إن عملنا بالنسيان، ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ يعني: عملنا بالخطأ، فقال له جبريل: «قد أعطيت ذلك، قد رفع عن أمتك الخطأ والنسيان فسل شيئاً آخر»، فقال عند ذلك: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ يعني: ثقلاً ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وهو: أنه حرم عليهم الطيبات بظلمهم، وكانوا إذا أذنبوا بالليل، وجدوه مكتوباً على بابهم، وكانت الصلوات عليهم خمسين، فخفف عن هذه الأمة، وحط عنهم بعدما فرض عليهم إلى خمس صلوات ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ يقول: لا تكلفنا من العمل ما لا نطيع، فتعذبنا. ويقال: ما يشق ذلك علينا، لأنه لو أمر

بخمسین صلاة، لكانوا يطيقون ذلك، ولكنه يشق عليهم، ولا يطيقون الإدامة على ذلك ﴿وَأَعْفُفًا﴾ من ذلك كله ﴿وَأَعْفُفٌ لَنَا وَأَرْحَمُنَا﴾ يعني: تجاوز عنا ويقال: ﴿واعف عنا﴾ من المسخ والخسف، ﴿وَأَرْحَمُنَا﴾ من القذف، لأن الأمم الماضية بعضهم أصابهم المسخ، وبعضهم الخسف، وبعضهم القذف.

ثم قال تعالى: ﴿أَنْتَ مُؤَلَّاتٌ﴾ يعني: أنت ولينا وحافظنا ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فاستجيب دعاؤه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ». ويقال: إن الغزاة إذا خرجوا من بلادهم بالنية الخالصة، وضربوا الطبل، وقع الرعب والهيبه في قلوب الكفار مسيرة شهر، علموا بخروجهم أو لم يعلموا، ثم إن النبي ﷺ لما رجع، أوحى الله تعالى إليه هذه الآية، ليعلم أمته بذلك.

ولهذه الآية تفسير آخر قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة في هذه السورة، وبين أحكام الحج، وحكم الحيض، والطلاق والإيلاء، وأقاصيص الأنبياء، وبين حكم الربا والدين، ثم ذكر تعظيمه بقوله عز وجل: ﴿يَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ثم ذكر تصديق نبيه ﷺ ثم ذكر تصديق المؤمنين جميع ذلك قال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾، أي: صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها، وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملانكته وكتبه ورسله.

قرأ حمزة والكسائي ﴿وكتابه﴾ على معنى الزحدان. وقرأ الباقون ﴿وكتبه﴾ على معنى الجمع. ثم قال: ﴿لا تفرق بين أحد من رسله﴾، فأخبر عن المؤمنين بأنهم يقولون: ﴿لا تفرق بين أحد من رسله﴾.

وقرأ الحضرمي ﴿لا يفرق﴾ بالياء، ومعناه: كل آمن بالله، وكل لا يفرق. وقرأ ابن مسعود ﴿لا يفرقون﴾ بين أحد من رسله. ﴿وقالوا: سمعنا وأطعنا﴾، أي: قبلنا ما سمعنا، لأن من سمع ولم يقبل قيل له: أصم أنت، لأنه لم ينتفع بسماعه.

وقرأ أبو عمرو ﴿من رُسُلِهِ﴾، بثقل السين، وكذلك جميع ما في القرآن فإذا جاوز عن هذه الحروف الأربعة، مثل رُسُلِنَا وُرُسُلِهِمْ يقرأ بالسكون، وقرأ الباقون برفع السين في جميع القرآن. ومعنى قوله: ﴿غفرانك ربنا﴾، يعني: اغفر غفرانك، وهو من أسماء المصادر، كالكفران والشكران ﴿والبلك المصير﴾. يعني: نحن المقرون بالبعث.

ثم قال عز وجل: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: طاقتها. قال الفقيه: حدثنا أبو الحسين قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا مروان، عن عطاء بن عجلان عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ

عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا حَدَّثَتْ بِهِنَّ أَنْفُسَهَا، أَوْ هَمَّتْ بِهِنَّ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِنَّ، أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِنَّ<sup>(۱)</sup>.

ثم قال ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، أي: لا تأخذ أحداً بذنوب غيره، كما قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَزِدُّكَ أُثْمَانًا وَلا يَنْقُصُكَ إِثْمَانًا﴾ [الأنعام: ۱۶۴].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَسِيتَ﴾ أي: إن تركنا أو أخطأنا، يعني: إن كسبنا خطيئة، فأخبر الله تعالى بهذا عن النبي ﷺ، وعن المؤمنين، وجعله في كتابه ليكون دعاء النبي ﷺ لهم دعوة يدعون بها من بعده، لأن هذا الدعاء قد استجيب له، فينبغي أن يحفظ، ويدعى به كثيراً.

قال الفقيه: حدثنا القاضي الخليل قال: حدثنا السراج قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي قال: حدثنا سهل بن بكار قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثِ خِصَالٍ: جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً، وَجُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَأُوتِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كُنْزٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلا يُعْطَى أَحَدٌ بَعْدِي»<sup>(۲)</sup>.

وروي أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «تَعَلَّمُوا الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَجِيئَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالْغَمَامَتَيْنِ - أَوْ كَغِيَابَتَيْنِ، أَوْ كَفِرْقَتَيْنِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، وَتَحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا»<sup>(۳)</sup>. ثم قال: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ»<sup>(۴)</sup>، يعني: السحرة.

وروي عن النبي ﷺ أنه نزل عليه ملك فقال له: «إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِنُورَيْنِ، لَمْ يُعْطَهُمَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لا يقرأ بحرفٍ منهما إلا أعطيه ما وعد له»<sup>(۵)</sup>. وروي عن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ بَلَّغْتَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ثَلَاثِينَ آيَةً، لَتَكَلَّمْتَ» يعني: لصارت بحال تتكلم، لأنه لا يبقى شيء، إلا اجتمع فيها من كثرة ما فيها من العجائب. والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد.

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (۲۵۲۸) و(۶۶۶۴) وأبو داود (۲۲۰۹) والترمذي (۱۱۸۳) والنسائي: ۱۵۶/۱ - ۱۵۷/۱ وابن ماجه (۲۰۴۴) وأحمد: ۴۹۱/۲ والبيهقي ۲۹۸/۷۰.

(۲) حديث صحيح أخرجه ابن خزيمة (۲۶۴) وأحمد: ۳۸۲/۵ والبيهقي ۲۱۳/۱ والسيوطي: ۱۳۸/۲.

(۳) أخرجه مسلم (۸۰۴) (۲۵۲) وأحمد: ۲۵۱/۵، ۳۶۱، والمجمع: ۱۵۹/۷ والدر المنثور: ۴۷/۱.

(۴) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عمر والدارمي ومحمد بن نصر والحاكم وصححه عن بريدة.

(۵) حديث أبي أمامة. أخرجه مسلم (۸۰۴) (۲۵۲).

## سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنية وهي: مائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْغَيْبُ ﴿٢﴾ ﴿

﴿الم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا الله أعلم» يعني: هو ﴿الله﴾ الذي ﴿لا إله إلا هو﴾ الذي لا يموت ولا يزول أبداً. ويقال: ﴿الحي﴾ الذي لا بدى له أما ﴿الغيب﴾ يعني: القائم على كل نفس بما كسبت. ويقال: القائم بتدبير الخلق.

وروي الضحاك عن ابن عباس أنه قال: «الحي قبل كل حي، والحي بعد كل حي، الدائم الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، والقائم على العباد بأرزاقهم وآجالهم». ويقال: ﴿الحي القيوم﴾ وهو اسم الله الأعظم. ويقال: إن عيسى ابن مريم عليهما السلام كان إذا أراد أن يحيي الموتى، يدعو بهذا الاسم: يا حيُّ يا قيوم. ويقال: إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان دعا بقوله: يا حيُّ يا قيوم ويقال: إن بني إسرائيل، سألو موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال لهم: قولوا بأهيا يعني: يا حي، شراها يعني: يا قيوم. ويقال: هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِقَائِي وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: أنزل عليك جبريل بالقرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: بالعدل، ويقال: لبيان الحق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: موافقاً للكتب المتقدمة في التوحيد، وفي بعض الشرائع ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ﴾ يعني: أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى من قبل نزول هذا الكتاب.

وروي عن الفراء أنه قال: اشتقاق التوراة من وري الزند، وهو ما يظهر من النور والضياء، فسمي التوراة بها، لأنه ظهر بها النور والضياء لبني إسرائيل، ومن تابعهم، وإنما سمي الإنجيل إنجيلاً، لأنه أظهر الدين بعدما درس، وقد سمي القرآن إنجيلاً أيضاً لما روي في قصة مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: يا رب أرى في الألواح أقواماً أناجيهم في صدورهم، فاجعلهم أمتي، قال الله تعالى: «هم أمة محمد ﷺ». وإنما أراد بالإنجيل القرآن.

قرأ حمزة والكسائي وابن عامر ﴿التوراة﴾ بكسر الراء، والباقون بالفتح.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ معناه: وأنزل أيضاً التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام بياناً لبني إسرائيل من الضلالة ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ على محمد ﷺ بعد التوراة والإنجيل. وقال الكلبي: ﴿الفرقان﴾ هو الحلال والحرام، يعني: بيان الحلال والحرام. ويقال: المخرج من الشبهات.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: جحدوا بمحمد ﷺ وما أوتي به من آيات نبوته والقرآن ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

قال الكلبي: نزلت في وفد نجران، قدموا على رسول الله ﷺ، وجادلوه بالباطل. ويقال: نزلت في شأن اليهود. ويقال: نزلت في شأن مشركي العرب. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ يعني: منيع بالنقمة، يعني: ينتقم ممن عصاه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ يعني: لا يذهب ولا يغيب عنه شيء. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ معناه: أنه لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم، فيجازيهم يوم القيامة، وهم وفد نجران، وسائر المشركين.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

ثم أخبر عن صنعه، ليعتبروا بذلك فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يعني: يخلقكم كيف يشاء قصيراً أو طويلاً، حسناً أو ذمياً، ذكراً أو أنثى. ويقال: شقياً أو سعيداً. وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه» ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الولد في بطن الأم يكون نطفة أربعين يوماً، ثم يصير علقة أربعين يوماً، ثم يصير مضغة أربعين يوماً، ثم ينفخ فيه الروح، ثم يكتب شقي أم سعيد» (١).

وذكر عن إبراهيم بن أدهم: أن القراء اجتمعوا إليه ليسألوا ما عنده من الحديث. فقال لهم: إني مشغول بأربعة أشياء، فلا أتفرغ لرواية الحديث فقليل له: وما ذلك الشغل؟ فقال أحدها: إني أنفكر في يوم الميثاق. حيث قال: هؤلاء في الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا أدري من أي الفريقين كنت في ذلك الوقت. والثاني: حيث صورني في رحم أمي، فقال الملك الموكل على الأرحام: يا رب شقي هو أم سعيد؟ فلا أدري كيف كان الجواب

(١) حديث ابن مسعود: أخرجه البخاري (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢) و(٦٩٥٤) ومسلم (٢٦٤٣) (١) وأحمد: ١/

٣٨٢ والدر المنثور: ١٤٤/٢.



في ذلك الوقت. والثالث: حيث يقبض روعي ملك الموت فيقول: يا رب أمع الكفر أم مع الإيمان؟ فلا أدري كيف يخرج الجواب. والرابع: حيث يقول: ﴿وَأَمْسُرُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ الْحَبْلِ﴾ [يس: ٢٥٩]، فلا أدري من أي الفريقين أكون وإلى هذا ذهب أهل الخبر؟

ثم قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: لا خالق ولا مصور إلا هو ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يعني: المنيع بالنقمة لمن جحدته ﴿الْحَكِيمُ﴾ يحكم تصوير الخلق على ما يشاء.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَعْدُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْأَبْعَادُ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: جبريل أنزل بالقرآن ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ يعني: من القرآن آيات واضحة، ويقال: مبينات بالحلال والحرام. ويقال: ناسخات لم تنسخ قط ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني: أصل كل كتاب، وهي ثلاث آيات من سورة الأنعام وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَّالُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات. وروي عن ابن عباس أنه سمع رجلاً يقول: فاتحة الكتاب أم الكتاب؟ فقال له ابن عباس: بل أم الكتاب، قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَّالُوا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر ثلاث آيات.

ثم قال تعالى ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قال الضحاك: يعني: منسوخات، وقال الكلبي: يعني ما اشتبه على اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿الْأَلْمِ﴾، و﴿الْمِر﴾ ويقال: المحكم ما كان واضحاً لا يحتمل التأويل، والمتشابه الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى مختلف.

ويقال: المحكم الذي هو حقيقة اللغة، والمتشابه ما كان مجازاً. ويقال: المحكمات التي فيها دلالة نبوة محمد ﷺ، والمتشابه الذي اشتبهت الدلالة فيه، فإن قيل: إذا أنزل القرآن للبيان، فكيف لم يجعل كله، واضحاً؟ قيل له: الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن يظهر فضل العلماء، لأنه لو كان الكل واضحاً، لم يظهر فضل العلماء بعضهم على بعض. وهكذا يفعل كل من يصنف تصنيفاً يجعل بعضه واضحاً، وبعضه مشكلاً، ويترك للحيرة موضعاً، لأن ما هان وجوده، قل بهأوه.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني: منيل عن الحق وهم اليهود ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾ قال الضحاك: يعني ما نسخ منه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ يعني: طلب الشرك واستبقاؤه ما

ہم علیہ ﴿وَأَبَيْنَا تَأْوِيلَهُ﴾ یعنی: طلب بقاء<sup>(۱)</sup> هذه الأمة إلى أذنى زمن. ويقال: طلب وقت قيام الساعة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني: انتهى ملك هذه الأمة، وذلك أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ، وفيهم حيي بن أخطب وغيره، فقالوا: بلغنا أنه نزل عليك ﴿آلِمٌ﴾، فإن كنت صادقاً في مقالتك، فإن ملك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة، لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فنزل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، يعني: انتهى ملك هذه الأمة.

ثم قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: استأنف الكلام يعني: لما قال ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، فقد تم الكلام واستأنف فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعني: المبالغون في علم الكتاب، كتابهم التوراة والإنجيل ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ يعني: بالقرآن ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال بعضهم: هو معطوف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، والراسخون في العلم يعني: يعلمون تأويله. ويقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. وروى ابن طائوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه كان يقرأ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، ويقول: الراسخون في العلم: آمنا به، وهذا يوافق قول الكلبي ومقاتل. وقال عامر الشعبي: لو كان ابن عباس بين أظهرنا ما سألته عن آية من التفسير، لأنني أحلُّ حلاله، وأحرّم حرامه، وأومن بمتشابهه، وأكل ما لم أعلم منه إلى عالمه.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني: ما يتعظ بما أنزل من القرآن إلا ذوو العقول من الناس.

ثم قال عبد الله بن سلام وأصحابه، حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم: ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا﴾ يعني: لا تُحَوِّلْ قلوبنا عن الهدى ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي: بعد ما أكرمتنا بالإسلام، وهديتنا لدينك ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ يعني: بُنِّتْنَا على الهدى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ يعني: المعطي الميثب للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ بعد الموت ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: في يوم لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائن لا محالة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الْمِيعَادَ﴾ في البعث ويقال: معناه إن الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الْمِيعَادَ﴾ في إجابة الدعاء، يعني: يوم يجمع الناس في الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

﴿كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(۱) في نسخة «ب» فناء.

ثم قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: اليهود، ويقال: جميع الكفار ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ﴾ كثرة ﴿أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾ يعني: لا يتفهم من عذاب الله ﴿شيئاً﴾ في الدنيا إذا نزل بهم شدة أو مرض، ولا في الآخرة عند نزول العذاب. ويقال: كل ما لم ينفق في طاعة الله، فهو حسرة له يوم القيامة. ويقال: إنما ذكر الأموال والأولاد، لأن أكثر الناس يدخلون النار لأجل الأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أنهما لا ينفعانهما في الآخرة، لكيلا يفني الناس أعمارهم لأجل المال والولد، وإنما ذكر الله تعالى الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون.

ثم قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ﴾ يعني: حطب النار. وقرأ بعضهم ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ بضم الواو، يعني: إيقاد النار كما قال في آية أخرى ﴿كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بِدَّلْتَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56] قالوا: معناه إذا أرادت النار أن تنطفئ، بدلهم الله جلوداً غيرها لتتقد النار.

ثم قال عز وجل: ﴿كِدَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: صنيع الكفار معك، كصنيع آل فرعون مع موسى. وقال مقاتل: كإشبه آل فرعون بالكذب بالعذاب في الدنيا. ويقال: إهلاك الله إياهم بالقتل، كإهلاك آل فرعون بالفرق. ويقال: تعاونهم وتظاهرهم فيما بينهم عليك، كتظاهر آل فرعون على موسى ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: قبل آل فرعون، مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بدلائلنا وعجائبنا، ويقال: بكتبي ورسلي كما كذب قومك يا محمد ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ يعني: أهلكتهم وعاقبهم بشرتهم ﴿والله شديد العقاب﴾ للكفار.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابٌ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَقَسُّ أَلْيَهُاءُ﴾

قوله تعالى ﴿قل للذين كفروا﴾ قال الضحاك: يعني كفار مكة لما ظهروا يوم أحد، فرحوا بذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿قل للذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿ستغلبون﴾ بعد هذا ﴿وتحشرون إلى نار جهنم﴾ وقال الكلبي: نزلت في شأن بني قريظة وذلك أن رسول الله ﷺ لما هزم المشركين يوم بدر، وقالت اليهود: هذا النبي الأمي الذي بشرنا به موسى الذي نجده في التوراة، فأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب محمد ﷺ وقالوا: والله ما هو إياه، فقد تغيرت صفته وحاله، فشكوا فيه ولم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، فأنزل الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾ وقال عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال: «لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا مفشش اليهود، أسلموا قبل أن يهيبكم الله بمثل ما أصاب قريشاً». قالوا: يا محمد لا تفرط نفسك. إنك قتلت نفرأ من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، فإنك لو قاتلنا لعرفت أننا نحن»

اولو البأس وأنك لم تلق مثلنا<sup>(۱)</sup>، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتَحْشُرُونَ﴾ يعني: اليهود تُهْزَمُونَ وَتُقْهَرُونَ وَتُحْشَرُونَ بعد القتل إلى جهنم ﴿وَيَسَّ الْمَهَاد﴾ يعني: لبس موضع الفرار جهنم. قرأ حمزة والكسائي ﴿سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ﴾ بالياء على معنى الخبر، والباقون بالياء على معنى المخاطبة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ النَّعْتِ فَمَنْ تَتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجْنَا كَافِرًا يَرَوْنَهُمْ مَثَلَهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ يُوَدُّ بِضُرِّهِمْ مَنْ يَشَاءُ لَكَ فِي ذَلِكَ لَئِيْلَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿۱۳﴾

ثم قال عز وجل: ﴿قد كان لكم آية﴾ يعني: عبرة ﴿في فتنين﴾ أي جمعين، يعني: جمع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجمع كفار أهل مكة ﴿التفتنا فنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم﴾ قرأ نافع ﴿ترونهاهم﴾ على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى الخبر، وذكر عن الفراء أنه قال: كان الكفار ثلاثة أمثال المسلمين، لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة ونيفاً، وكان الكفار تسعمائة ونيفاً. وقوله: ﴿مثليهم﴾ يعني: ثلاثة أمثالهم، والمعنى في ذلك عن طريق اللغة: أن الإنسان إذا كان عنده ألف درهم يقول احتاج إلى مثليها، فإنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف درهم. وقال الزجاج: هذا القول لا يصح في اللغة، ولا في المعنى، ولكن المسلمين يرونهم مثليهم في العدد لكي لا يجبنوا، لأنه أعلمهم أن المائة تغلب المائتين، فأراهم في ﴿رأي العين﴾ أن المشركين مثلهم في العدد، لكي لا يجبنوا، وهذا كما قال في آية أخرى، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُ إِذْ اتَّقَيْتُمْ فِي أَغْيَابِكُمْ قَلِيلًا وَفَلَّكُمُ فِي أَغْيَابِهِمْ﴾ [الأنفال: ۴۴]، وذلك أن المشركين كانوا تسعمائة، فأرى المسلمين أنهم ستمائة، لكي لا يجبنوا، وأرى الكفار أن المسلمين أقل من ثلاثمائة، ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب حتى انهزموا، فكان في ذلك دلالة من الدلالات. فمن قرأ بالياء فمعناه خطاب لليهود: إن لكم آية وعلامة، حيث رأيتم غلبة المسلمين على الكفار مع قلة المسلمين وكثرة الكفار. فإن قيل: اليهود لم يكونوا حضوراً في ذلك الوقت، فكيف يرون ذلك؟ قيل له: إذا انتشر الخبر فيهم، وعلموا ذلك صار كالمعاينة، ولأن لهم جواسيس عند المسلمين فيخبرون اليهود، فصار كأنهم رأوا ذلك. ومن قرأ بالياء فمعناه: أن المسلمين يرون الكفار مثليهم.

ويقال: إن المشركين حين خرجوا من مكة، كانوا ألفاً وثلاثمائة رجل، فلما وجدوا العير سالمة رجع مع العير ثلاثمائة وخمسون، وتحلف تسعمائة وخمسون للحرب، وكان أبو

(۱) عزاه السيوطي ۱۵۸/۲ إلى ابن إسحق وابن جرير، والبيهقي في الدلائل.



وروي عن أبي عبيدة أنه قال: **﴿المقنطرة﴾** مفغلة من الوراق. كما يقال: ألوف مؤلفة، ويدرار مُبْدَرَة. ويقال: **﴿المقنطرة﴾** هي المكيلة، ثم اختلفوا في مقدار القنطار، فروي عن مجاهد أنه قال: القنطار سبعون ألف دينار. وقال أبو هريرة: القنطار اثني عشر ألف أوقية. وقال معاذ بن جبل: ألف ومائتا أوقية<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: ملء منكب نَورٍ من ذهب، حكاه الكلبي، وقال: هو لغة رومية. وروي عن الحسن البصري أنه سئل عن القنطار فقال: هو مثل دبة أحدكم.

ثم قال تعالى: **﴿والخيل المُسَوِّمة﴾** يعني: الراعية كما قال في آية أخرى **﴿فيه تسيمون﴾** أي ترعون. وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل. وقال يحيى بن كثير: هي السمينة المصورة. وقال أبو عبيدة: المُعَلِّمة.

ثم قال تعالى: **﴿والأنعام﴾** يعني الإبل والبقر والغنم ثم قال: **﴿والحُرث﴾** يعني: الزرع. ذكر أربعة أصناف كل نوع من الأموال، كل نوع من الأموال يتمول به صنف من الناس. أما الذهب والفضة، فيتمول به التجار، وأما الخيل المُسَوِّمة، فيتمول به الملوك. وأما الأنعام، فيتمول بها أهل البوادي. وأما الحرث، فيتمول به أهل الرساتيق، فتكون فتنة كل النوع الذي يتمول به، وأما النساء والبينن فهي فتنة للجميع.

ثم زُهد في الدنيا، ورغب في الآخرة فقال: **﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾** يعني منفعة الحياة الدنيا تذهب، ولا تبقى **﴿والله عنده حسن المآب﴾** يعني: المرجع في الآخرة الجنة، لا نزول ولا نفسي. ثم بيّن أن الذي وعد المؤمنين في الآخرة، خير مما زين فقال عز وجل: **﴿قل أُوْنَبِّئْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾** يعني: من الذي زين للناس **﴿للذين اتقوا﴾** الشرك والفواحش والكبائر. ويقال للذين اتقوا الزينة، فلا تشغلهم عن طاعة الله: **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني: البساتين تجري من تحت شجرها، ومساحتها الأنهار، فهو خير من زينة الدنيا.

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **﴿لَيْبِئْرٌ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾**<sup>(٢)</sup> وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **﴿لِمَوْضِعٍ سَوَّطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾**<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: **﴿خالدين فيها﴾** يعني: مقيمين فيها أبداً **﴿وأزواجٍ مطهرة﴾** معناه: في الخَلْقِ والخَلْقِ. فاما الخَلْقُ فإنهن لا يَحْضُنْنَ ولا يَتَمَخَّطُنْنَ ولا يَأْتِين الخلاء. وأما الخَلْقُ، فإنهن لا

(١) الأثر عن أبي هريرة ومعاذ، أخرجهما السيوطي: ١٦١/٢ - ١٦٢.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة وابن ماجه عن ابن سعيد وإسناده ضعيف.

(٣) ساقط من نسخة «أ» - وحديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٢٧٩٣) و(٣٢٥٣) والترمذي (٣٢٩٢) والحاكم ٢٩٩/٢ وأحمد: ٤٨٢/٢.

يَغْرَنَ وَلَا يَحْسَدَنَّ، ولا ينظرون إلى غير أزواجهن ﴿ورضوان من الله﴾ يعني: مع هذه النعم لهم رضوان من الله، وهو من أعظم النعم كما قال في آية أخرى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿وَرُضْوَانٌ﴾ بضم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحد.

ثم قال تعالى: ﴿وَالله بصيرُ بالعباد﴾ يعني: عالم بأعمالهم وثوابهم.

ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ يعني: صدقنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ يعني: خطايانا التي كانت في الشرك وفي الإسلام ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يعني: ادفع عنا عذاب النار.

ثم قال عز وجل: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ الذين يصبرون على طاعة الله، ويصبرون على المعاصي، ويصبرون على ما أصابهم من الشدة والمصيبة.

ثم قال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في إيمانهم، وفي قلوبهم، وفي وعدهم بينهم وبين الناس، وبينهم وبين الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿وَالْقَائِنِينَ﴾ يعني: المطيعين لله تعالى ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الذي يتصدقون من أموالهم في سبيل الله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ يعني يصلون لله عند الأسحار. ويقال: يصابون الله بالليل، ويستغفرون عند السحر.

﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ولما خلق الملائكة شهدوا بذلك، ثم لما خلق الله المؤمنين شهدوا بمثل ذلك وهم ﴿أولو العلم﴾ يعني: المؤمنين شهدوا بذلك ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ يعني: الله قائماً بالعدل - على كل نفس. ويقال من أقر بهذه الشهادة على عقد قلبه، فقد قام بالعدل<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: سبب نزول هذه الآية، أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا لرؤساء اليهود: اتبعوا دين محمد ﷺ. فقالت اليهود: ديننا أفضل من دينكم. فقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأولو العلم﴾ يشهدون بذلك، وأولو العلم بالتوراة يشهدون بذلك، ويشهدون أن الله قائم بالقسط، يعني: بالعدل، وأن الدين عند الله الإسلام.

قال الكلبي: وفيه وجه آخر: وذلك أنه لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة، قدم عليه خيران من أحبار الشام، فلما نظرنا إلى المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «أ».



النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه قال له: أنت محمد؟ قال: «نعم». قال: وأنت أحمد؟ قال: «أنا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ». قالوا: أخْبِرْنَا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى، فنزلت هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى آخرها. فأسلم الرجلان وصدقوا أن الدين عند الله الإسلام.

وروي عن أبي عبيدة أنه قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يعني: عَلِمَ اللهُ، وَبَيَّنَّ اللهُ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلَّ عَلَى تَوْحِيدِهِ لِجَمِيعِ مَا خَلَقَ، فَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَنْشِئَ شَيْئاً وَاحِداً مِمَّا أَنْشَأَ اللهُ تَعَالَى، وَشَهِدَتْ ﴿المَلَائِكَةُ﴾ لِمَا عَلِمَتْ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَشَهِدَ ﴿أَوْلُو الْعِلْمِ﴾ بِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ، وَتَبَيَّنَ عِنْدَهُمْ، وَتَبَيَّنَ مِنْ خَلْقِهِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ غَيْرُهُ عَلَيْهِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ فَضْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ شَهَادَةَ نَفْسِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ شَهَادَةَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ شَهَادَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

ثم قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فشهد بمثل ما شهد من قبل، لتأكيد الكلام. - وروي عن سعيد بن جبيرة أنه قال: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية، أصبحت تلك الأصنام كلها قد خرت ساجدة<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّ أَوْلَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

ثم قال عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ قرأ الكسائي: إِنَّ ﴿الدين﴾ بالنصب على معنى البناء يعني: شهدوا أنه لا إله إلا هو، وأن الدين عند الله الإسلام، وقرأ الباقون بالكسر على معنى الابتداء، ومعناه: أن الدين المرضي عند الله الإسلام ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في هذا الدين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: بيان أمر محمد ﷺ، وهم اليهود والنصارى، فلما بعث الله تعالى محمداً، كفروا حسداً منهم، هكذا قال مقاتل. ويقال: إنهم كانوا مسلمين، وكانوا يسمون بذلك، وكان عيسى عليه السلام سمي أصحابه مسلمين، فحسدتهم اليهود لمشاركتهم في الاسم فغيروا ذلك الاسم، وسموا يهوداً، وأما النصارى فغيرهم عن ذلك الاسم بولس، وسماهم نصارى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: غيروا الاسم حسداً منهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ - لأنه قد جاء في آية أخرى ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ بَصْرَةٍ﴾ يعني: سريع المجازاة<sup>(٢)</sup>. - ويقال: ﴿سريع الحساب﴾ يعني: سريع المجازاة، ويقال: سريع التعريف للعامل لعمله، لأنه عالم بجميع ما عملوا، لا

(١) ما بين مقرونتين ساقط من السخة 'ب'. (٢) ما بين مقرونتين ساقط من السخة 'ا'.



مؤمنو بني إسرائيل، يأمرونهم بالمعروف، فكانوا يقتلونهم، فغيّرهم الله بذلك، وأوعدهم النار فقال: ﴿تَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يعني: وجيع، ويقال: ﴿أَلِيمٌ﴾ يعني: مؤلم.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبِطْتَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني بطل ثواب حسناتهم، فلا ثواب لهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يعني: مانعين يمنعونهم من النار.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَكَّأ فَرِيقٌ بَيْنَهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمُكِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: أعطوا حظاً من علم التوراة. قال مقاتل: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة منهم حين قالوا: نحن أهدى سبيلاً، وما بعث الله رسولاً بعد موسى فقال لهم النبي ﷺ: ﴿أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي أَقُولُ لَكُمْ حَقٌّ فَأَخْرِجُوا التَّورَةَ﴾، فأبوا. فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَّعْرُضُونَ﴾ وقال الكلبي: نزلت في يهوديين من أهل خيبر زنياً، وكان الحكم في كتابهم الرجم، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، ففضى عليهما بالرجم فقالوا: ليس هذا بحكم الله، فدعا بالتوراة، ودعا بابين سوريا، وكان أعور، فحلّفه بالله، فافتر بال قصة، فأنزل الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية.

ثم قال عز وجل: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ذلك الجزاء. قال مقاتل: فيها تقديم وتأخير، ومعناه: فبشرهم بعذاب أليم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمُكِّنَا النَّارَ﴾ ويقال: إنما جزاؤهم على خلاف الكتاب، لأنهم قالوا لن تمسنا النار ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ يعنون: أربعين يوماً، على عدد أيام عبادة العجل، ويقال: على عدد أيام الدنيا، ويقال: إن مذهبه كان مذهب جهنم، لأنهم لا يرون الخلود في النار.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَرَّضَهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ عَفَّوُا اللهُ عَنْهُمْ بتأخير العذاب ﴿مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ يكذبون على الله، وهو قولهم ﴿عَنُّوا أَبْتَكُوا اللهُ وَأَجْتَبَوْهُ﴾ [المائدة: ١٨]، فذلك قولهم الذي غرهم.

﴿فَكَفَيْتَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِتَوْبِ لَّا رَبِّ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

ثم خوفهم فقال تعالى: ﴿فَكَفَيْتَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ﴾ فقال: فكيف يصنعون، وكيف يحتالون إذا جمعناهم ﴿لِيَوْمِ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: يوم القيامة، لا شك فيه عند المؤمنين، بأنه كائن ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ يعني: وفيت وأعطيت كل نفسا عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني: لا يُفْتَضُونَ من ثواب أعمالهم شيء.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُوكَ الْعَزِيزُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «نزلت في شأن المنافقين»، وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة قال عبد الله بن أبي راس المنافقين: إن محمداً يتمنى أن ينال ملك فارس والروم وأنى له ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم: سأل النبي ﷺ ربه أن يجعل له ملك الروم وفارس في أمته، فعلمه الله بأن يدعو بهذا الدعاء، وهو قول مقاتل. وقال بعضهم: إن النبي ﷺ لما أمر بحفر الخندق، ظهرت في الخندق صخرة عجزوا عن خفرها، فأخذ النبي ﷺ المعول، وضرب ضربة، فظهر من تلك الصخرة نور فقال له سلمان: رأيت شيئاً عجبياً. فقال له النبي: «هَلْ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟» قال: «نعم». فقال: «رَأَيْتَ فِي ذَلِكَ النُّورِ قُصُورَ أَهْلِ الشَّامِ»، ثم ضرب ضربة أخرى، فكذلك ظهر أيضاً. فقال: «رَأَيْتَ قُصُورَ أَهْلِ فَارَسِ». فقال رسول الله ﷺ: «سَيَظْهَرُ لِأُمَّتِي مَلِكُ الشَّامِ، وَمَلِكُ فَارَسِ». فقال المنافقون: إن محمداً لا يأمن على نفسه، واضطر إلى حفر الخندق، فكيف يتمنى ملك الشام وفارس؟ فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم: إن مشركي مكة قالوا: إن ملك فارس والروم يبيتان في الحرير والديباج، فلو كان هو نبياً، كيف ينام على الحصى؟ فنزلت هذه الآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ وأصل ﴿اللهم﴾ في اللغة: يا الله أئنا بخير، أي أفصذننا بالرحمة، ولكن لما كثر استعمال هذا اللفظ في الناس صارت الكلمتان كلمة واحدة فقال: ﴿اللهم﴾، يعني اللهم يا مالك الملك، ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ يعني: تعطي الملك من تشاء يعني: محمداً ﷺ ومن أتبعه ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ يعني: من فارس والروم ﴿وتعز من تشاء﴾ يعني: أهل الإسلام ﴿وتذل من تشاء﴾ يعني: أهل الشرك والطغيان ﴿يبدك الخير﴾ يعني: النصر والغنيمة والعز ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ من العز والذل. وقال الضحاك: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾، يعني: الإسلام، ﴿وتعز من تشاء﴾ بالإسلام، ﴿وتذل من تشاء﴾ بالشرك، ﴿يبدك الخير﴾، يعني: الهداية والسعادة، ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ من الهداية والسعادة.

وقال الزُّجَاجُ: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ معناه: أن تؤتبه، ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ أن تنزعه، إلا أنه حذف الهاء، لأن في الكلام ما يدل عليه. قال مقاتل: وقد قيل في الملك قولان: أحدهما: هو المال والعبيد، والآخر: من جهة الغلبة بالدين.

ثم قال عز وجل: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يعني: ما نقص من الليل دخل في النهار حتى يبلغ خمس عشرة ساعة، وهو أطول ما يكون، والليل حتى يصير الليل تسع ساعات، يعني:

أقصر ما يكون. وهو قول الكلبي. ويقال: ﴿تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾ يعني: تذهب بالليل، وتجيء بالنهار، وتذهب بالنهار وتجيء بالليل، هكذا إلى أن تقوم الساعة.

ثم قال ﴿وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَنُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فقرأ نافع وحزمة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿الْمَيِّتِ﴾ بالشديد، وقرأ الباقون ﴿الْمَيِّتِ﴾ بالتخفيف، وهما لغتان ومعناها واحد.

قال الكلبي: يعني تخرج البيضة وهي ميتة من الطير وهو حي، وتخرج النطفة وهي ميتة من الإنسان الحي، وتخرج الطير الحي من البيضة الميتة، وتخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة، وتخرج الحبة من السنبل. وقال الحسن البصري: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن. ويقال: يخرج الجاهل من العالم، ويخرج العالم من الجاهل. وروى معمر عن الزهري: أن رسول الله ﷺ دخل على بعض نساءه، فإذا بامرأة حسنة الهيئة فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالوا: إحدى خالاتك. قال: «وَمَنْ هِيَ؟» قالوا هي خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث. فقال رسول الله ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ»<sup>(١)</sup>، وكانت امرأة سالحة، وكان أبوها كافراً.

ثم قال تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني: من غير أن تحاسب في الإعطاء، فكأنه يقول: ليس فوقي من يحاسبه في الإعطاء. كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ويقال: بغير تقدير. ويقال: بغير حسابان كما قال: وتوزقه من حيث لا يحتسب.

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسًا وَإِلَى اللَّهِ الْمَعِيرُ﴾

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «نزلت في شأن المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه من أهل النفاق، وقد أظهروا الإسلام والإيمان»، فكانوا يتولون اليهود في العون والنصرة، ويأتونهم بالأخبار، ويرجون أن يكون لهم ظفر على محمد ﷺ وأصحابه. وقال مقاتل: نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة وغيره، ممن كانوا يظهرون النمودة لكفار مكة، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، فهذا نهى بلفظ المغايب، يعني: لا يتخذونهم أولياء في النصره والعون ﴿مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني: ليس في ولاية الله، ويقال: ليس في دين الله من شيء، لأن ولي الكافر يكون راضياً بكفره، ومن كان راضياً بكفره،

(١) عزاه السيوطي ١٧٤/٢ إلى عبد الرزاق وابن سعد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق

الزهري.

فهو كافر مثله كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ يَنْتَهِمْ وَإِنَّهُمْ﴾ [المائدة: ۵۱].

ثم استثنى لما علم أن بعض المسلمين، ربما يبتلون في أيدي الكفار فقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَنْقُتُوا مِنْهُمْ نَقَاتًا﴾. قرأ يعقوب الحضرمي ﴿تَقِيَّةً﴾، وقراءة العامة ﴿نَقَاتًا﴾، ومعناها واحد، يعني: برضيهم بلسانه، وقبله مطمئن الإيمان، فلا إثم عليه كما قال الله تعالى في آية أخرى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ۱۰۶] وقراءة حمزة والكسائي ﴿نُقَاتًا﴾ بالإمالة. وقرأ الباقون بتفخيم الألف.

ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني: يخوفكم الله بعقوبته، يعني: الذي يتخذ الكافر ولياً بغير ضرورة، وهذا وعيد لهم. ويقال: إذا كان الوعيد مبهماً، فهو أشد.

ثم قال تعالى: ﴿وَالِي اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يعني: مرجعكم في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا بِعَلَنَةِ اللَّهِ وَصَلَّمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٩] يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ زَوْفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: إن تسروا ما في قلوبك من النكوث، وولاية الكفار ﴿أَوْ تُبْذَرُوا﴾ يعني: تعلقوا للمؤمنين ﴿يُعَلِّمُهُ اللَّهُ﴾ لأن الله ﴿وَيُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من عمل، فليس يخفى عليه شيء ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من السر والعلانية، والعتاب والمغفرة، قدير.

ثم قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ يعني: تجد ثوابه حاضراً، ولا ينقص من ثواب عمله شيء ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ يعني: من شر في الدنيا ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ يعني: تمنى النفس أن تكون بينها وبين ذلك العمل أجلاً بعيداً، كما بين المشرق والمغرب، ولم تعمل ذلك العمل قط.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يعني: عقوبته في عمل السوء ﴿وَاللَّهُ زَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ابن عباس: «يعني بالمؤمنين خاصة، وهو رحيم بهم».

ويقال: ﴿زَوْفٌ﴾ بالذين يعملون السوء، حيث لم يعجل بعقوبتهم. ويقال: في أول هذه الآية ذكر عدله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾، وفي أوسطها تحويفاً وتهديداً وهو قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وفي آخرها ذكر رافته ورحمته وهو قوله ﴿وَاللَّهُ زَوْفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ لما دعا كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، يعني: نحن في المنزلة بمنزلة الأبناء، ولنحن أشد حبا لله. فقال الله لنبئهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ على ديني، فإني رسول الله أؤدي رسالته.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّبِكُمْ اللَّهُ﴾ قال الزجاج يعني: ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي تقصدون طاعته، فافعلوا ما أمركم الله عز وجل، لأن محبة الإنسان لله وللرسول طاعته له، ورضاه بما أمر، والمحبة من الله عفوه عنهم، وإنعامه عليهم برحمته. ويقال: الحب من الله عصمته وتوفيقه، والحب من العباد طاعته كما قال القائل:

تُعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ      هَذَا لِعُمَيْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَتْ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمداً يريد أن تتخذة حناناً، كما اتخذت النصارى عيسى حناناً فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ففرون طاعته بطاعة رسوله رغماً لهم، ويقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فيما أنزل، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ فيما بين ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: أعرضوا عن طاعتها ﴿فَإِنْ﴾ الله لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: لا يغفر لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اسْتَفْطَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَةَ عَلَى الْكَلْبِيِّينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اسْتَفْطَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: اختاره، ويقال: اختار دينه، وهو دين الإسلام. ويقال: قد اختاره لخمسة أشياء: أولها: أنه خلقه بأحسن صورة بقدرته. والثاني: أنه علمه الأسماء كلها. والثالث: أنه أمر الملائكة أن يسجدوا له. والرابع: أسكنه الجنة. والخامس: جعله أباً للبشر. واختار نوحاً عليه السلام بخمسة أشياء: أولها: أنه جعله أباً للبشر، لأن الناس كلهم غرقوا، وصارت ذريته هم الباقون. والثاني: أنه أطال عمره. ويقال: طَوَّبِي لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَّنَ عَمَلُهُ. والثالث: أنه استجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين. والرابع: أنه حمله على السفينة. والخامس: أنه كان أول من نسخ به الشرائع، وكان قبل ذلك لم يحرم تزوج الخالات والأخوات والعمات، واختار آل إبراهيم عليه السلام بخمسة أشياء: أولها: أنه جعله أباً الأنبياء، لأنه روي: «أنه خرج من صلبه ألف نبي من زمانه إلى زمان النبي ﷺ». والثاني: أنه اتخذة خليلاً، والثالث: أنه أنجاه من النار، والرابع: أنه جعله للناس إماماً، والخامس: أنه ابتلاه الله بكلمات، فوفقه حتى أتتهن.

ثم قال تعالى: ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ قال مقاتل: يعني به أبا موسى وهارون. وقال الكلبي: هو عمران أبو مريم، وهو من ولد سليمان النبي عليه السلام، فإنه أراد به آل موسى وهارون، إنما كان اختارهما على العالمين، حيث بعثهما على قومه المن والسلوى، ولم يكن ذلك لأحد من



الأنبياء في العالم. وإن أراد به أبا مريم، فإنه اصطفى آله، يعني: مريم بولادة عيسى عليه السلام بغير أب، ولم يكن ذلك لأحد في العالم. وقال الكلبي: يعني اختار هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية **﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** يعني: عالمي زمانهم.

**﴿ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (٣٤) إِذْ قَالَتْ أَمْرًاثُ عِزْرَنَ رَبِّ إِي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَخِطْتُهَا مَرِيْرًا وَإِنِّي أُعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْرَيْمُ أَنْ لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَرُودُ مِنْ نِيْشَاءٍ يَخْبِرُ حِسَابَ (٣٧) ﴿

ثم قال تعالى: **﴿ذُرِّيَّةً بَعْضًا مِنْ بَعْضٍ﴾** يعني: بعضهم على إثر بعض. وقال: بعضهم على دين بعض. **﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾** بهم وبدنوبهم. ويقال: **﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾**، انصرف إلى ما بعده، يعني: سميع لقول امرأة عمران **﴿إذا قالت امرأة عمران﴾** وهي حنة أم مريم امرأة عمران بن ماثان، وذلك أنها لما حبلت، قالت: لئن نجانني الله ووضعت ما في بطني لأجعلنه محرراً، والمحرر من لا يعمل للدنيا، ولا يتزوج، ويتفرغ لعمل الآخرة، ويلزم المحراب، فيعبد الله تعالى فيه، وهذا قول مقاتل.

وقال الكلبي: **﴿محرراً﴾** أي خادماً لبيت المقدس، ولم يكن محرراً إلا الغلمان، وقال أهل اللغة: المحرر والعتيق في اللغة بمعنى واحد. فقال لها زوجها: إن كان الذي في بطنك أنثى، والأنثى عورة، فكيف تصنعين؟ فاهتمت بذلك وقالت: يا **﴿رب إني نذرت لك﴾** وأنت تعلم **﴿ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع﴾** لدعائي **﴿العليم﴾** بنيتي، وما في بطني **﴿فلما وضعتها﴾** يعني: ولدت فإذا هي أنثى **﴿قالت رب إني وضعتها أنثى﴾** يعني: ولدتها جارية **﴿والله أعلم بما وضعت﴾** قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: **﴿والله أعلم بما وضعت﴾**، بجزم العين، وضم التاء، يعني: أن المرأة قالت: والله أعلم بما وضعت، والباقون ينصب العين وجزم التاء، فيكون هذا قول الله إنه يعلم بما وضعت تلك المرأة.

ثم قال تعالى: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾**. قال بعضهم: هذا قول الله لمحمد ﷺ **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** با محمد في الخدمة. وقال بعضهم: هي كلمة المرأة، أنها قالت: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** في الخدمة. وقال مقاتل: فيها تقديم، فكانه يقول: قالت رب أبي وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى **﴿والله أعلم بما وضعت﴾**، ثم قالت حنة: **﴿وإني سميتها مريم﴾** يعني: خادم الرب بلغتهم **﴿وإني أعيذها بك﴾** يعني: أعصمها وأمنعها بك **﴿وذريتها﴾** إن كان لها

ذرية **﴿من الشيطان الرجيم﴾** يعني: الملعون. ويقال: المطرود من رحمة الله. ويقال: **﴿الرجيم﴾** بمعنى المرجوم كما قال: **﴿وَجَعَلْنَهَا يُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾** [الملك: ٥].

قال: حدثنا أبو الليث، قال: حدثنا الخليل بن أحمد القاضي. قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَنْحَسُهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنَ الشَّيْطَانِ، إِلَّا مَرْيَمَ وَأَبْنَاهَا﴾**، قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: **﴿وَإِنِّي أَعْبُدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** (١) وقال الزجاج: معنى قوله: **﴿إِذ﴾** يعني: إن الله اختار آل عمران، **﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ﴾**: واصطفاهم، إذ قالت الملائكة.

وقال أبو عبيدة: معناه، قالت امرأة عمران، وقالت الملائكة و**﴿إِذ﴾** زيادة. وقال الأخفش: معناه واذكر إذ قالت امرأة عمران، واذكر إذ قالت الملائكة. ثم إن حنة لفتها في خرق، ثم وضعتها في بيت المقدس عند المحراب، فاجتمعت القراء، أي الزهاد، فقال زكريا: أنا أحق بها، لأن خالتها عندي. فقال القراء: إن هذه محررة، فلو تركت لخالتها، لكانت أمها أحق بها، ولكن نتساهم. فخرجوا إلى عين سلوان، فألقوا أقلامهم في النهر. قال بعضهم: كانت أقلامهم من الشبه، فغابت أقلامهم في الماء، وبقي قلم زكريا على وجه الماء. وقال بعضهم: كانت أقلامهم من قصب، فبقيت أقلامهم على وجه الماء، وغاب قلم زكريا في الماء. وقال بعضهم: ألقوا أقلامهم في النهر، فسال الماء بأقلامهم إلا قلم زكريا، فإنه جرى من الجانب الأعلى، فعلموا أن الحنة له، فضمها إلى نفسه فذلك قوله تعالى: **﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾** يعني: تقبل منها نذرها **﴿وَأَبْنَاهَا بِنَاءً حَسَنًا﴾** وقال مجاهد: غذاها غذاء حسناً، وربهاها تربية حسنة. **﴿وَكَفَّلَهَا زَكْرِيَا﴾** قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالتشديد، يعني: ضمها الله إلى زكريا. وقرأ الباقون بالتخفيف، يعني: ضمها زكريا إلى نفسه. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص **﴿زَكْرِيَا﴾** بغير مد وإعراب، وجزم الألف. وقرأ الباقون بالإعراب والمد، وهما لغتان معروفتان عند العرب. فمن قرأ **﴿كَفَّلَهَا﴾** بالتشديد، قرأ زكريا بنصب الألف، لأنه بصير مفعولاً. ومن قرأ **﴿كَفَّلَهَا﴾** بالتخفيف قرأ زكريا برفع الألف على معنى الفاعل.

وذكر في الخبر: أن زكريا بنى لها محراباً في غرفة، وجعل باب الغرفة في وسط الحائط، لا يصعد إليها إلا بسلم، واستأجر ظئراً، فكان يغلق عليها الباب، وكان لا يدخل عليها أحد إلا زكريا حتى كبرت وكانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله، فتكون عند خالتها، وكانت خالتها امرأة زكريا. وهذا قول الكلبي.

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٣٤٣١) (٤٥٤٨) ومسلم (٢٣٦٦) وأحمد ٢/٢٣٣ و٢٧٥ والبيهقي

في معالم التنزيل: ٢٩٥/١.

وقال مقاتل: كانت أختها امرأة زكريا، وكانت إذا طهرت من حيضها واغتسلت، ردها إلى المحراب. وقال بعضهم: كانت لا تحيض، وكانت مطهرة من الحيض، وكان زكريا إذا دخل عليها في أيام الشتاء، رأى عندها فاكهة الصيف، وإذا دخل عليها في أيام الصيف، رأى عندها فاكهة الشتاء، وكانت الحكمة في ذلك أن لا يدخل في قلب زكريا شيء من الريبة، إذا رأى الفاكهة في غير أوانها، وعلم أنه لم يدخل عليها أحد من الآدميين، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ ويقال: ﴿المحراب﴾ في اللغة أشرف المجالس، وهو المكان العالي، وقد قيل: إن مساجدهم كانت تسمى المحارِب ف﴿قال﴾ لها زكريا ﴿يا مريم أتى لك هذا﴾ يعني: من أين لك هذا، فإنه لا يدخل عليك أحد غيري؟ ﴿فقلت﴾ مريم ﴿هو﴾ أي: هذا الرزق ﴿من عند الله﴾ يعني: من فضل الله ﴿إن الله برزق من يشاء بغير حساب﴾ في غير حينه. ويقال: من حيث لا يحتسب.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ يقول عند ذلك: طمع في الولد، وكان آيساً من ذلك، وكان مفاتيح بيت القربان عند آبائه، وقد صار ذلك بيده، وكان يخشى أن يخرج من أهل بيته إذا مات، فقال عند ذلك: إن الله قادر على أن يأتيها برزق الشتاء في الصيف، وبرزق الصيف في الشتاء، فهو قادر أن يرزق لي الولد بعد الكبر، فذلك قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ يعني: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ يعني: نقية مهذبة. ويقال: مستوي الخلق. ويقال: مسلمة مطيعة. ويقال: نقية ﴿إنك سمع الدعاء﴾ أي مجيباً له.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَآمَرَأَنِي عَائِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فنادته الملائكة﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء، يعني: ناداه جبريل عليه السلام وإنما صار مذكراً على معنى الجنس، كما يقال: فلان ركب السفن، وإنما ركب سفينة واحدة. وقرأ الباقون، ﴿فنادته﴾ على معنى التأنيث، لأن اللفظ لفظ الجماعة، والمراد به أيضاً جبريل ﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾ قرأ حمزة وابن عامر: ﴿إن الله يبشرك﴾، بكسر الألف، ومعناه: فنادته الملائكة. وقالوا له: إن الله يبشرك. وقرأ الباقون بالنصب، ومعناه: فنادته الملائكة، بأن الله يبشرك ﴿بيحيى﴾ قال مقاتل: اشتق اسمه من اسم الله تعالى حي، والله تعالى حي، فسماه الله تعالى يحيى، ويقال: لأنه حي به رسم أمه. ويقال: لأنه حي به المجالس.

ثم قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني بعيسى عليه السلام، وكان يحيى أول من

صدق بعيسى عليهما السلام، وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه، فلما شهد بذلك يحيى، عجبت بنو إسرائيل لصغره، فلما سمع زكريا شهادته، فقام إلى عيسى فضمه إليه وهو في خرقة، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين. وقال بعضهم صدقه وهو في بطن أمه، كانت أم يحيى عند مريم، إذ سجد يحيى بالتحية لعيسى، وكل واحد منهما كان في بطن أمه، وذلك قوله **﴿مصدقاً بكلمة من الله﴾** **﴿وسيداً﴾** يعني حكيماً **﴿وحصوراً﴾** يعني: لا يأتي النساء، وهو قول الكلبي. وقال سعيد بن جبير: السيد الذي يملك غضبه، وانحسور الذي لا يأتي النساء.

وقال مقاتل: يعني لا ماء له، يعني: لم يكن له ماء في الصلب. وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن العنة عيب بالرجال، والنبي لا يكن معيباً، ولكن معناه: أنه كان مانعاً نفسه من الشهوات، لأن الذي يمنع نفسه من الشهوات مع قدرته، كانت فضيلته أكثر من الذي لا قدرة له.

ثم قال تعالى: **﴿ونبياً من الصالحين﴾** يعني: أن يحيى كان نبياً من الصالحين، فلما بشره جبريل بذلك **﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾** قال ذلك على وجه التعجب، لا على وجه الشك، قال لجبريل: **﴿رب﴾** أي يا سيدي من أين يكون لي غلام؟ يعني: ولد، وهذا قول الكلبي. وقال بعضهم: قوله **﴿رب﴾** يعني: يا الله على وجه الدعاء يا رب من أين يكون لي ولد<sup>(۱)</sup>..

**﴿وقد بلغني الكبير﴾** قال القتيبي: هذا من المقلوب، يعني بلغت الكبير. وقال الكلبي: كان يوم بشر ابن تسعين سنة، وامرأته فريفة في السن منه. وقال الضحاك: كان ابن مائة وعشرين سنة، فذلك قوله، **﴿وقد بلغني الكبير﴾** يعني: الهرم **﴿وامرأتي عاقرة﴾** لا تلد **﴿قال كذلك﴾** قال بعضهم: تم الكلام عند قوله **﴿كذلك﴾**، يعني: هكذا كما قلت: إنه قد بلغك الكبير، وامرأتك عاقرة. ثم قال تعالى: **﴿الله يفعل ما يشاء﴾** وقال بعضهم: معناه. **﴿قال كذلك﴾** يعني الله تعالى هكذا قال: إنه يكون لك ولد **﴿والله يفعل ما يشاء﴾** إن شاء أعطاك الولد في حال الصغر، وإن شاء في حال الكبير.

**﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَنتَ الْبَشَرُ لِمَ تُؤَدُّ عِبَادَةً لِذِكْرٍ إِذ لَمْ يَلِدْكَ وَتَدْعُوهُ بَدْعًا كَدَّ بَدْعِكُمْ لَا تَعْلَمُ آلَافُ مَلَكُوتٍ أَن يَدْعُوهم بغيرِ سَمٍ وَلَا يُخَبِّرُهم بِالْعُسْرِ وَلَا يُعَذِّبُهم بِالْأُسْرِ﴾**

كثيراً وَسَيَجْزِي الْعُسْرَ وَالْإِنْشَاكَ ۗ ﴿١١﴾

قوله تعالى: **﴿قال رب اجعل لي آية﴾** يعني: اجعل لي علامة حين حملت امرأتي أعرف **﴿قال آيتك﴾** يعني: علامة الحبل **﴿ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾** يعني: أنك تصبح، فلا تطيق

(۱) ما بين معقوفين ساقط من نسخة (۱).

الكلام ثلاثة أيام ﴿إِلَّا زَمْرًا﴾ أي كلاماً خفياً. ويقال: الرمز بالشفيتين والحاجبين، والإيماء باليد والرأس.

قال بعضهم: كان منع الكلام عقوبة له، لأنه بُشِّر بالولد، فسأل آية، فحسب الله لسانه ثلاثة أيام عن الناس، ولم يحبسه عن ذكر الله، وعن الصلاة. وقال بعضهم: لم يكن عقوبة، لكن كرامة له، حين جعلت له علامة لظهور الحبل، ومعجزة له. وروى أسباط عن السدي أنه قال: لما بُشِّر بيحيى قال له الشيطان: إن النداء الذي سمعت بالبخارة كان من الشيطان، ولو كان من الله لأوحى إليك، كما أوحى إليك وإلى سائر الأنبياء، وكما أوحى إليك بسائر الأشياء. فقال عند ذلك: ﴿اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ حتى أعلم أن هذه البشارة منك. قال: ﴿آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، يعني: أنك مستوي الخلق، ولا علة بك. ثم أمره بذكر ربه، لأن لسانه لم يمنع عن ذكر الله تعالى فقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِحِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ يعني: بالغدوة والعشي وبالليل والنهار.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَمْطَفَنَكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْبُدِي وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ﴾ يعني: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ يعني: اختارك بالإسلام ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الذنوب والفواحش. ويقال: من دم الحيض والنفاس ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: بولادة عيسى بغير أب.

وقال بعضهم: ﴿اصْطَفَاكِ﴾ يعني: فضلك على نساء العالمين، يعني: عالمي زمانها ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ يعني: أطيعي. ويقال: أطيلي القيام في الصلاة. وقال مجاهد: قامت في الصلاة حتى تورمت قدمها، ونحل جسمها. ثم قال تعالى: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعني: مع المصلين، يعني: مع قراء بيت المقدس.

﴿وَذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَتَمْتُمْ بِهِمْ يَكْفُلْ مَرْيَمُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بَيَّرَكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَكْتُوبِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ يعني: الذي ذكر في هذه الآية من قصة زكريا ومريم من أخبار الغيب، مما غاب عنك خبره، ولم تكن حاضراً، وفي الآية دلالة نبوة محمد ﷺ، حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم، ولم يكن قرأ الكتب، وأخبر عن ذلك، وصدق أهل الكتاب

بذلك ولم يكن قرأ الكتاب، فذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فِي أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ يعني: لم تكن عندهم، وإنما تخبر عن الوحي. فقال: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يعني: يطرحون أقلامهم في النهر بالقرعة ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في أمر مريم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام وحده ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر ﴿يُبَشِّرُكِ﴾ بالتخفيف في جميع القرآن. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد في جميع القرآن إلا في ﴿حَمٍ، عَسَى﴾ ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ (الشورى: ۲۳) بالتخفيف، وقرأ حمزة بالتخفيف إلا في قوله ﴿فَبَشِّرْهُنَّ﴾ [الحجر: ۵۴] ووافقه الكسائي في بعضها. فمن قرأ بالتشديد، فهو من البشارة، ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: يفرحك وكانت قصة البشارة أن مريم لما طهرت من الحيض، ودخلت المغتسل كما قال في سورة مريم، ﴿إِذْ أَنْبَأَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا﴾ [مريم: ۱۶]، يعني: أرادت أن تغتسل في جانب المشرفة، فلما دخلت المغتسل، رأت بشراً كهيئة الإنسان كما قال ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ۱۷]، فخافت مريم، ثم قالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ رَقِيبًا﴾ [مريم: ۱۸]، لأن النبي يخاف الرحمن. فقال لها جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ۱۹]، وذكرها هنا بلفظ آخر. ومعناها واحد قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ۴۵]، بمعنى بولد بغير أب يصير مخلوقاً بكلمة من الله، وهو قوله: كن فكان ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ويقال: إنما سمي المسيح، لأنه يسبح في الأرض. ويقال: الماسح، كان يمسح وجه الأعمى فيصير. وقال الكلبي: المسيح الملك.

ثم قال تعالى: ﴿وَجِيهًا﴾ يعني: ذا جاه ﴿فِي الدُّنْيَا وَ﴾ وله منزلة ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ وقال مقاتل: فيها تقديم وتأخير يعني: وجيهاً في الدنيا ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ في الآخرة عند ربه. وقال الكلبي: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ يعني في أهل الدنيا بالمنزلة، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ عند ربه ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ في جنة عدن.

قال عز وجل: ﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ يعني: في حال صغره، وهو في حجر أمه طفلاً، ﴿وَكَهْلًا﴾: يعني إذا اجتمع عقله وكبير، فإن قيل: ما معنى قوله كهلاً، والكلام من الكهل لا يكون عجياً؟ قيل له: المراد منه كلام الحكمة والعبارة. ويقال: ﴿كهلاً﴾ بعد نزوله من السماء، وهو قول الكلبي ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مع آياته في الجنة.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٧) وَيَعْلَمُ الْكِنُوزَ وَالْغَيْبَ وَالنَّوَزَةَ وَالْإِنجِيلَ (١٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَيْتِهِ إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جَسَّعْتُكُمْ وَيَا بَقَرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَنزَلْتُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْهَافِيَةَ فَانفَعُ فِيهِ

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرِيكَ الْأَكْمَمَةَ وَالْأَبْرَمَكِ وَأَنْتِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَكَيْدٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْتُمْ أَتَّيَبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنْ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

ثم قال: **﴿قالت﴾** مريم **﴿رب ائني يكون لي ولد﴾** يعني: من أين يكون لي ولد **﴿ولم يمسنني بشر﴾** وهو كناية عن الجماع **﴿قال﴾** جبريل **﴿كذلك﴾** يعني: هكذا كما قلت أنه لم يمسك بشر ولكن **﴿الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً﴾** يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً **﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾** فنفخ جبريل في جيبها، يعني: في نفسها. قال بعضهم: وقع نفخ جبريل في رحمها، فعلمت بذلك. وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل، لأنه يصير الولد بعضه من الملائكة، وبعضه من الإنس، ولكن سبب ذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته، فجعل بعضهم في أصلاب الآباء، وبعضهم في أرحام الأمهات، فإذا اجتمع الماء ان صار ولداً، وإن الله تعالى جعل الماءين جميعاً في مريم، بعضه في رحمها، وبعضه في صلبها، فنفخ فيها جبريل لتهيج شهوتها لأن المرأة ما لم تهيج شهوتها، لا تحبل، فلما حاجت شهوتها بنفخة جبريل، وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها، فاختلط الماءان فعلمت بذلك، فذلك قوله: **﴿إذا قضى أمراً﴾**، يعني: إذا أراد أن يخلق خلقاً **﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾** بغير أب.

ثم قال تعالى: **﴿ويعلمه الكتاب﴾** قرأ نافع وعاصم **﴿ويعلمه﴾** بالياء يعني: أن الله يعلمه، وقرأ الباقون بالنون، ومعناه: أن الله يقول: ونعلمه **﴿الكتاب﴾** يعني كتب الأنبياء، وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: يعني الخط والكتابة، فعلمه الله بالوحي والإلهام **﴿والحكمة﴾** يعني: الفقه **﴿والتوراة والإنجيل﴾** يعني: يحفظ التوراة عن ظهر قلبه، وقال بعضهم: وهو عالم بالتوراة. وقال بعضهم: ألهمه الله بعدما كبر حتى تعلم في مدة يسيرة.

ثم قال تعالى: **﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾** نصب **﴿رسولاً﴾** لمعنيين: أحدهما: يجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، والثاني: ويكلم الناس وعطف رسولاً، أي في حال رسالته إلى بني إسرائيل دليله أنه قال: **﴿أني قد جئتكم بأية من ربكم﴾**. ثم أخبر عن أداء رسالته بعدما أوحى إليه في حال الكبر، حيث قال لقومه: **﴿قد جئتكم بأية من ربكم﴾**، يعني: علامة لنبوتي، ثم بين العلامة فقال: **﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾** ويقال: إن الناس سألوه عنه على وجه التعنت فقالوا له: اخلق لنا خفاشاً، واجعل فيه روحاً إن



كنت صادقاً في مفاثك. فأخذ طيناً، وجعل منه خفاشاً، ثم نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى عليه السلام، والخلق من الله تعالى، كما أن النفخ في مريم من جبريل عليه السلام، والخلق من الله تعالى. ويقال: إنما طلبوا منه خلق خفاش، لأنه أعجب من سائر الخلق، ومن عجائبه: أنه لحم ودم، يطير بغير ريش، ويولد كما يلد الحيوان، ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور، ويكون له الضرع يخرج منه اللبن، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما يحيض المرأة، فلما أن رأوا ذلك منه ضحكوا. وقالوا: هذا سيخر.

ثم قال تعالى: ﴿وأبرى الأكمه والأبرص﴾: الذي ولد أعمى فقالوا: إن لنا أطباء يفعلون مثل هذا، فذهبوا إلى جالينوس، وأخبروه بذلك فقال جالينوس: إذا ولد أعمى، لا يبصر بالعلاج، والأبرص إذا كان بحال إذا غرزت الإبرة لا يخرج الدم منه، لا يبرأ بالعلاج، فرجعوا إلى عيسى عليه السلام وجاؤوا بالأكمه والأبرص، فمسح يده عليهما، فأبصر الأعمى، وبرى الأبرص، فأمن به بعضهم، وجحد بعضهم، وقالوا: هذا سيخر.

ثم قال تعالى: ﴿وأخبي الموتى بإذن الله﴾ فأخبروا بذلك جالينوس. فقال: الميت لا يعيش، ولا يحيى بالعلاج، فإن كان هو يحيى الموتى، فهو نبي وليس بطبيب. وطلبوا منه أن يحيى الموتى، فأحيا أربعة نفر، أحدهم: عازر وكان صديقاً له، قبلغه أنه مات، فذهب مع أصحابه وقد دفن وأتى عليه أيام، فدعا الله، فقام بإذن الله تعالى وودَّكه يقطر، فعاش وولد له. والثاني: ابن العجوز، مَرَّ به وهو يحمل على سرير، فدعا الله فقام بإذن الله تعالى، وليس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله. والثالث: بنت من بنات العاشر ماتت، وأتى عليها ليلة، فدعا الله تعالى فعاشت بعد ذلك، وولد لها. والرابع: سام بن نوح، لأن القوم قالوا له: إنك تحيي من كان موته قريباً، فلعلهم لم يموتوا، وأصابتهم سكتة، فأحيا لنا سام بن نوح. فقال: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه حتى انتهوا إلى قبره، فدعا الله تعالى، فخرج من قبره قد شاب رأسه. فقال له عيسى عليه السلام: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب؟ فقال: يا نبي الله إنك لما دعوتني، سمعت صوتاً يقول أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي، فسأله عن النزع. فقال له: يا نبي الله إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي، وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، ثم قال للقوم: صدقوه فإنه نبي، فأمن به بعضهم، وكذبه بعضهم. وقالوا: هذا ساحر، فأرنا آية أخرى نعلم أنك صادق، فأخبرنا بما نأكل في بيوتنا، وما نُدخر للغد، فأخبرهم. فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وأذخرت كذا وكذا، فذلك قوله: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ للغد فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر.

ويقال: إن الله بعث كل نبي إلى قومه، وأظهر لهم نوع ما كانوا يعرفونه، فكان في زمن موسى عليه السلام الغالب عليهم السحر، فبين لهم من جنس ذلك ليعرفوا أن ذلك ليس بسحر، وأنه من الله تعالى. وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام علم الطب، فجاءهم عيسى بما عجز الأطباء عنه، فعرف الأطباء أن ذلك ليس من الطب، وكان في زمن نبينا عليه السلام الفصاحة والشعر، فجاءهم بقرآن عجز الفصحاء والشعراء عن إتيان مثله.

قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ﴾ يعني: فيما صنع عيسى عليه السلام علامة لنبوته ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين أنه نبي. قرأ نافع: ﴿فِيكون طائراً﴾، وكذلك في سورة المائدة. وقرأ الباقون بغير ألف، ومعناها واحد. ويقال: الطائر واحد، والطيور جماعة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه: جنتكم مصدقاً، يعني للكتاب الذي أنزل علي، وهو الإنجيل ﴿مُصَدِّقًا﴾ قال: أي موافقاً لما بين يدي من التوراة ﴿وَلأحل لكم﴾ يعني: أرخص لكم ﴿بعض الذي حُرِّمَ عليكم﴾ مثل الشحوم، ولحوم الإبل، ولحم كل ذي ظفر، وأما الميت، ولحم الخنزير، فهو حرام أبداً. قوله: ﴿وجنتكم بأية من ربكم﴾ يعني: أني لم أحل لكم شيئاً بغير برهان، فحقيق عليكم اتباعي، لأني أتيتكم ببرهان، وأتيتكم بتحليل الطيبات ﴿فاتفقوا الله وأطيعون﴾ فيما أمركم ونهاكم وأنصح لكم.

ثم قال تعالى: ﴿إِن الله ربي وربكم﴾ هذا تكذيب لقول النصارى حيث قالوا: إن الله هو المسيح. وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فاعترف عيسى أنه عبد الله، وهو قوله تعالى: ﴿إِن الله ربي وربكم﴾ يعني: خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم، ﴿فاعبدوه﴾، يعني: وحدوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿هذا صراط مستقيم﴾ يعني: التوحيد الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم، لا عوج فيه، وهو طريق الجنة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْغَوَارِيُّونَ غَنُ أَنْصَارُ اللَّهِ مَائِمًا وَاللَّهُ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ قال الكلبي: فلما عرف منهم الكفر بالله. ويقال: فلما سمع منهم كلمة الكفر. وقال الزجاج: أحس في اللغة علم ووجد، يقال: هل أحسست الخير؟ أي هل عرفته وعلمته؟

وقال مقاتل: فلما رأى من بني إسرائيل الكفر. كقوله عز وجل: ﴿هَلْ يُحِيسُ مِنْهُمْ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ [مریم: ٩٨] يعني: هل ترى؟ ويقال: إنه لما علم عيسى أنهم أرادوا قتله ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ يقول: من أعواني مع الله؟ قال القتيبي: ﴿إلى﴾ هاهنا بمعنى مع، مثل قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِنْ أَنْوَلَكُمُ﴾ [النساء: ٢]، أي مع أموالكم، كما يقال: الذود إلى الذود إبل، أي: مع

الذود. فقال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾ أي: مع الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: الحواريون هم أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلاً. وقال مقاتل: كانوا قُصَّارين، فمر بهم عيسى عليه السلام وقال: من أنصاري إلى الله أي: مع الله؟ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾. ويقال: إنه مر بهم وهم يغسلون الثياب. فقال لهم: إيش تصنعون قالوا: نظهر الثياب. فقال: ألا أدلكم بقصارة أنفع من هذا؟ قالوا: نعم. فقال: تَعَالَوْا حَتَّى نَطْهَرَ أَنْفُسَنَا مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ، فبايعوه. ويقال: إنهم كانوا صيادين، فمرُّ بهم وقال: ألا أدلكم على اصطيد أنفع لكم من هذا؟ قالوا: نعم. فقال: تَعَالَوْا حَتَّى نَصْطَادَ أَنْفُسَنَا مِنْ شَرِّ إِبْلِيسِ فبايعوه. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «إِنَّمَا سُمُّوا حَوَارِينَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ، وَكَانُوا صَيَادِينَ».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الرُّبَيْزِيُّ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوَارِيٌّ مِنْ أُمَّتِي»<sup>(١)</sup>، يعني به: الخالص، فهذا يكون دليلاً لقول الكلبي: إنهم خواصه وأصفياؤه، ومعنى آخر: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، يعني: أنصار دين الله: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ﴾ يعني: صدقنا بتوحيد الله ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: أشهدناك على ذلك، فاشهد يا عيسى بأنا مسلمون.

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ من الإنجيل على عيسى ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ يعني: عيسى عليه السلام على دينه ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني: اجعلنا مع من أسلم قبلنا، وشهدوا بوحدانيتك.

### ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾

ثم قال تعالى حكاية عن كفار قومه فقال: ﴿وَمَكَرُوا﴾ يعني: أرادوا قتل عيسى عليه السلام ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ يعني: جازاهم جزاء المكر ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ لأن مكرهم جُزِيَ ومكر الله غُذِل. قال الكلبي: وذلك أن اليهود اجتمعوا على قتل عيسى، فدخل عيسى عليه السلام البيت هارباً منهم، فرفعه جبريل عليه السلام من الكوة إلى السماء. كما قال في آية أخرى، ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧، ٢٥٣] فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه فاقتله، فدخل الرجل الخوخة، فلم يجد هناك عيسى، وأتى الله عليه شبه عيسى فلما خرج رأوه على شبه عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا، فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فوقع بينهم قتال، فقتل بعضهم بعضاً، فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ قال الضحاك: وكانت القصة أن اليهود لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام اجتمع الحواريون في غرفة، وهم اثنا

(١) حديث جابر: أخرجه البخاري (٢٨٤٦) (٢٨٤٧) - (٢٩٩٧) و(٤١١٣) و(٧٢٦١) ومسلم (٢٤١٥) وأحمد (٣٦٥/٣ والترمذي (٣٧٤٥) وابن ماجه (١٢٢) والبيهقي في الدلائل ٤٣١/٣.

عشر رجلاً، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر إبليس جميع اليهود، فركب منهم أربعة آلاف رجل، فأحدقوا أي تحلقوا بالغرفة. فقال المسيح للحواريين: أياكم يخرج فيقتل وهو معي في الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا يا نبي الله، فألقى إليه مدرعة من صوف، وعمامة من صوف، وناوله عكازه، فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه، وأما المسيح، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فطار في الملائكة.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ قَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّكَ مَرْجُومٌ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبُهمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهمْ أَجْرهمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتُوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ففي الآية تقديم وتأخير ومعناه: إني رافعك من الدنيا إلى السماء، ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء على عهد الدجال ويقال: إنه ينزل ويتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال، وتلد له ابنة، فتموت ابنته، ثم يموت هو بعدما يعيش سنتين، لأنه قد سأل ربه أن يجعله من هذه الأمة، فاستجاب الله دعاه. وروى عن أبي هريرة أنه قال: «جاء إلى الكتاب وقال للمعلم: قل للصبيا حتى يسكتوا، فلما سكتوا قال لهم: أيها الصبيان من عاش منكم إلى وقت نزول عيسى عليه السلام فليقرنه مني السلام، وإني كنت أرجو أن لا أخرج من الدنيا حتى أراه» وهذا كناية عن قرب الساعة.

قوله تعالى: ﴿ومطهرك﴾ يعني: منجيك ﴿من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك﴾ على دينك ﴿فوق الذين كفروا﴾ بالحجة والغلبة ﴿إلى يوم القيامة﴾. وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: «الذين اتبعوه هم أمة محمد ﷺ، لأنهم هم الذين صدقوه».

ثم قال تعالى: ﴿ثم إلي مرجعكم﴾ يعني الذين اتبعوك، والذين كفروا كلهم مرجعهم إلي. ﴿فأحكم بينكم﴾ يعني: بين المؤمنين والكفار ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من الدين.

ثم أخبر الله تعالى عن حال الفريقين في الآخرة فقال: ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة﴾ في الدنيا بالقتل والجزية، وفي الآخرة بالنار ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يعني: مانع يمنعهم من عذاب الله ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال مقاتل: هم أمة محمد ﷺ ﴿فيوفيهم أجورهم﴾.

قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿فيوفيهم﴾ بالياء، يعني: الله يوفيهم أجورهم، وأما الباقون بالنون، يعني: أن الله قال ﴿فنونفيهم أجورهم﴾ وهذا اللفظ لفظ الملوك، إنهم يتكلمون بلفظ

الجماعة، ويقولون: نحن نفعل كذا وكذا، ونكتب إلى فلان، ونأمر بكذا، فالله تعالى خاطب العرب بما يفهمون فيما بينهم، كما قال في سائر المواضع ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ [القمر: ۱۹] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ [النساء: ۱۰۵] وكذلك ها هنا: ﴿فِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني: نعطهم ثواب عملهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: لا يرضى دين الكافرين.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (۵۸)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾ يقول: هذه الآيات، وهذه القصص بينات في القرآن. وأنزلنا عليك جبريل، ليقرا عليك ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ يعني: من البيان ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: القرآن كله. وقال الكلبي: ﴿الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ الذي عند رب العالمين في درة بيضاء، وهو اللوح المحفوظ. ويقال هو القرآن، لأنه محكم ليس فيه تناقض، ولا يقدر أحد أن يأتي بمثله. ويقال: هو الشرف كقوله: ﴿وَرَأَيْتُمْ لِكُرْبِكُمْ﴾ [الزخرف: ۴۴].

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ جِبْرًا مِنْ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (۵۹)

قوله تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ نزلت في وفد نجران: السيد، والعاقب، والأسقف، وجماعة من علمائهم وأخبارهم، قدموا إلى النبي ﷺ، فناظروه في أمر عيسى عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ﴾، فقالوا: أرنا خلقاً من خلق الله تعالى من غير أب، وكان يُحيي الموتى، وكان فيه دليل على ما قلنا، وكانوا يقولون: إنه اتخذه ابناً، فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿أَسْلِمُوا﴾ فقالوا: قد أسلمنا قبلك، فقال لهم: ﴿كَذَّبْتُمْ، إِنَّمَا يُمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثٌ، أَكَلُ لَحْمِ الْخَنزِيرِ، وَعِبَادَةُ الصُّلْبِ، وَقَوْلُكُمْ: اللَّهُ وَلَدٌ﴾، فقالوا له: من أبو عيسى؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ﴾ يعني: شبه خلق عيسى عند الله كشبه خلق آدم ﴿خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ﴾ يعني: صورته من غير أب ولا أم ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فكان بشراً بغير أب، كذلك عيسى كان بشراً بغير أب، وفي هذه الآية دليل على أن الشيء يشبه بالشيء، وإن كان بينهما فرق كبير، بعد أن يجتمعا في وصف واحد، كما أن هاهنا خلق آدم من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب، وكان بينهما فرق من هذا الوجه، ولكن الشبه بينهما أنه خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقهما جميعاً كان من تراب، لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً، ثم جعله صلصلاً، ثم خلقه منه، فكذلك عيسى عليه السلام حوِّله من حال إلى حال، ثم خلقه بشراً من غير أب.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَشْكُوتِ﴾ (۶۰) ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنْ آلِهِ فَعَلَّ

تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنَفْسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ سَبَّهَلْ فَتَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١١١﴾ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿الحق من ربك﴾ يعني: جبريل عليه السلام، كما أخبرتك وأنبأتك في القرآن ﴿فلا تكن من الممترين﴾ أي: من الشاكين. ويقال: الممثل الذي ذكر في عيسى، هو الحق من ربك، وهذا الخطاب للنبي ﷺ، والمراد منه جميع من اتبعه، ومعناه: فلا تكونوا من الممترين، أي من الشاكين أن مثله كمثل آدم عليهما السلام.

قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه﴾ وذلك أن النصراري لما أخبرهم بالممثل في حق عيسى قالوا: ليس كما تقول، وهذا ليس بمثل، فنزلت هذه الآية ﴿فمن حاجك فيه﴾ يعني: خاصمك في أمر عيسى عليه السلام ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ أي من البيان في أمره ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ يعني: نخرج أبناءنا وأبناءكم ﴿و﴾ نخرج نساءنا ونساءكم وأنفسكم وأنفسكم ونجتمع في موضع ﴿ثم نبهل﴾ أي نلتعن. وقال مقاتل: يعني نخلص في الدعاء، ويقال: هي المبالغة في التضرع ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ فوعدهم رسول الله ﷺ بأن يخرجوا للملاعنة، فجعلوا وقتاً للخروج، وتفرقوا على ذلك، ثم ندموا، فلما كان ذلك اليوم خرج النبي ﷺ، وأخذ بيد الحسن والحسين، وخرج معه علي بن أبي طالب، وفاطمة، فلما اجتمعوا في الموضع الذي واعدتهم، طلب منهم الملاعنة، فقالوا: نعوذ بالله، فقال لهم: ﴿إما أن تلتعنوا، وإما أن تسلموا، وإما أن تقبلوا الجزية﴾، فقبلوا الجزية، وصالحوه بأن يؤدوا كل سنة ألفي حلة، ألف حلة في المحرم، وألف حلة في رجب، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، ورجعوا، فقال النبي ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّهُم التَّمَعُّوا لَهَلَكُوا كُلُّهُمْ حَتَّى الْعَصَايِرُ فِي سُقُوفِ الْجِبْطَانِ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَئِكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٢﴾﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١١٣﴾

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ يعني: ما أخبرهم من أمر عيسى عليه السلام هو الخبر الحق، أنه كان عبد الله ورسوله. ويقال: هذا القرآن هو الخبر الحق ﴿وما من إله إلا الله﴾ لا شريك له ﴿وإن الله لهو العزيز﴾ في ملكه، ﴿الحكيم﴾ في أمره، حكم بخلق عيسى في بطن أمه من غير أب.

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ يقول: أبوا، ولم يسلموا ﴿فإن الله عليهم بالفسدين﴾ يجازيهم بذلك، وهذه كلمة تهديد.

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَمَسُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّوهُمْ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَمَجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ يعني: كلمة عدل بيننا وبينكم. ويقال في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿إلى كلمة عدل بيننا وبينكم﴾، يعني: لا إله إلا الله، وهي كلمة الإخلاص. ويقال: إلى كلمة تسوي بيننا وبينكم فتصير دماؤكم كدمائنا، وأموالكم كأموالنا ﴿ألا تعبد إلا الله﴾ يعني: ألا تؤخذ إلا الله ﴿ولا تشرك به شيئاً﴾ من خلقه ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ لأنهم اتخذوا عيسى رباً. ويقال: لا يطبع بعضنا بعضاً في المعصية. كما قال: ﴿اتخذوا أبحارهم ورفقتهم أرباباً من دون الله﴾ [سورة التوبة: 31] أي أطاعوهم في المعصية. ويقال: لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً. كما قالت النصرانية: إن الله ثالث ثلاثة ﴿فإن تولوا﴾ يعني: أبوا عن التوحيد ﴿فقولوا﴾ لهم يا معشر المسلمين ﴿اشهدوا بأننا مسلمون﴾ يعني: مخلصون لله بالعبادة والتوحيد.

ثم قال عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾ وذلك أن اليهود والنصارى كانوا اجتمعوا في بيت مدرسة لليهود، وكل فريق كان يقول: إبراهيم منا، وكان على ديننا فنزل ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾ أي لم تخاصمون في دين إبراهيم ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾ يعني: من بعد إبراهيم، وأن اليهودية والنصرانية إنما سميت بهذا الاسم بعد نزول التوراة والإنجيل. وقال الكلبي: نزلت في شأن النفر الذين كانوا بالحبيشة من أصحاب النبي ﷺ، منهم جعفر الطيار وغيره. كما قال الله تعالى: ﴿اتخذوا أبحارهم ورفقتهم أرباباً﴾ أي أطاعوهم في المعصية، وكانت بينهم، وبين أبحار الحبيشة مناظرة في ذلك، فنزلت هذه الآية.

وقال الزجاج: هذه الآية أبين الحجج على اليهود والنصارى، بأن التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب، وهو قوله: ﴿لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾.

ثم قال تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ يقول: اليس لكم ذهن الإنسانية أن تنظروا فيما تقولون.

ثم قال عز وجل: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم﴾ أنتم يا هؤلاء خاصمتم ﴿فيما ليس لكم به علم﴾ في صفة محمد ﷺ، فتجدونه في كتبكم ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ يقول: ما ليس في كتابكم، وهو أمر إبراهيم عليه السلام ﴿الله يعلم﴾ أن إبراهيم كان على دين الإسلام ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك.



﴿مَا كَانَ إِذْهُمْ يُوَدُّوْنَ وَلَا تَصْرِيْئًا وَلٰكِنْ كَاثَ حَٰنِئًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴿٦٧﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ يقول: لم يكن إبراهيم عليه السلام على دين اليهودية ولا النصرانية ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ يعني: مخلصاً ﴿وما كان من المشركين﴾ يعني: ما كان على دينهم. وقال الزجاج: الحنيف في اللغة: إقبال، صدور القدمين إقبالاً لا رجوع فيه أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسلام: الإقبال والميل إليه، والإقامة على ذلك.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم﴾ يقول: أحق الناس بدين إبراهيم ﴿للذين اتبعوه﴾ واقتدوا به وامنوا به ﴿وهذا النبي﴾ يعني: محمداً ﷺ على دينه ومنهاجه ﴿والذين آمنوا﴾ هم أصحاب محمد ﷺ على دينه، ثم قال: ﴿والله ولي المؤمنين﴾ في العون والنصرة.

﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾ يعني: أرادت وتمنت جماعة من أهل الكتاب ﴿لو يضلونكم﴾ أي يصرفونكم عن دين الإسلام ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أي وبأل ذلك يرجع إلى أنفسهم. ويقال: وما يضلون إلا أمثالهم، أمثالهم كقوله عز وجل: ﴿فأقتلوا أنفسكم﴾ [سورة البقرة: ٥٤] يعني: بعضكم بعضاً ﴿وما يشعرون﴾ قال مقاتل: ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يضلون بأنفسهم. وقال الكلبي: ﴿وما يشعرون﴾ أن الله يذل نبيه عليه السلام على ضلالتهم، أي يظلمه.

﴿يَتَأْهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ يَتَأْهَلَّ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبَسُونَ

الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ يقول لم تجحدون بالقرآن ﴿وأنتم تشهدون﴾ أنه نبي الله، لأنهم كانوا يخبرون بأمره قبل مبعثه ويقال: ﴿بآيات الله﴾، يعني: عجائبه ودلائله: ويقال: بآية الرجم.

ثم قال عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل﴾ يعني: تخلطون الكفر بالإيمان؟ لأنهم آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه ﴿وتكتمون الحق﴾ يعني: نعت محمد ﷺ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه حق، وأنه في التوراة.

﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَايُونَا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَی الذِّكْرِ ءَامَنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَآكُرُوا

مَآخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ وَبِتَكْرُرٍ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ

مَا أُوْتِيتُمْ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا أَوَّاهًا وَخَجَّةً النَّهَارِ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ لما قَدِمَ المدينة، صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، فلما صرف الله نبيه عليه السلام إلى الكعبة عند صلاة الظهر، وقد كان صلى صلاة الصبح إلى بيت المقدس، وصلى صلاة الظهر والعصر إلى الكعبة. فقال رؤساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وغيرهما للسفلة منهم: ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا أَوَّاهًا وَخَجَّةً النَّهَارِ﴾، يقول: صدقوه بالقبلة التي صلى صلاة الصبح في أول النهار وآمنوا به، فإنه الحق، ﴿وَإَكْفَرُوا آخِرَهُ﴾ يعني: اكفروا بالقبلة التي صلى إليها آخر النهار ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى قبلكم ودينكم. وقال مقاتل: معناه أنهم جاؤوا إلى محمد ﷺ أول النهار، ورجعوا من عنده، وقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة، ثم رجعوا في آخر النهار. فقالوا: قد نظرنا في التوراة، فليس هو إياه، يعنون أنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة، وأن يشككوا فيه فذلك قوله: ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا أَوَّاهًا وَخَجَّةً النَّهَارِ﴾ يعني: قالوا لهم في أول النهار: آمَنوا به ﴿وَإَكْفَرُوا آخِرَهُ﴾ يعني: قالوا في آخر النهار: اكفروا به ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني: يشكون فيه فيرجعون.

ثم قالوا للسفلة: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾، أي لا تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فإنه لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من التوراة، والمن والسلوى، ولا تخبروهم بأمر محمد ﷺ، فيحاجوكم عند ربكم، أي: يخاصموكم، ويجعلونه حجة عليكم. فقالوا ذلك حسداً، حيث كان النبي ﷺ من غيرهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ وإن الفضل بيد الله، وهو قول مقاتل.

وقال الكلبي: فيه تقديم وتأخير، يقول: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾، أي: ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وصلى إلى قبلكم، ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ يقول: دين الإسلام. ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ يقول: لن يعطى أحد مثل ما أوتيتم من دين الإسلام، والقرآن الذي فيه الحلال والحرام ﴿أَوْ يَحَاجُّوكُم عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يقول: لن يخاصمكم اليهود عند ربكم يوم القيامة.

ثم قال ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ يعني: النبوة والكتاب والهدى، ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾ أي: بتوفيق الله، ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني: يوفق من يشاء، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. يقول: واسع الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يؤتاه الفضل ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني: بدينه يعطيه من يشاء من عباده ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ لمن اختصه بالإسلام.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾ قرأ أبو عمرو وحمرزة ﴿يؤده﴾ بجزم الهاء، وهي لغة بعض العرب، واللغة المعروفة هي: بإظهار الكسرة. قال مقاتل: يعني عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «إن الله تعالى ذكر أن أهل الكتاب فيهم أمانة، وفيهم خيانة». وقال الضحاك: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار﴾ يعني: عبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية من الذهب، فأداها إليه، فمدحه الله تعالى. - ويقال: إن نعت محمد ﷺ أمانة، فمن كتبه دخل تحت قوله: ﴿لا يؤده إليك﴾ ومن لم يكتبه دخل تحت قوله: ﴿يؤده﴾<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك﴾ وهو فئاض بن عازورا اليهودي، أودعه رجل ديناراً، فخانه. ويقال: ﴿يؤده إليك﴾، يعني: النصراني كانوا ألبين قلوباً، يؤدون الأمانة، واليهود لا يؤدون الأمانة، وكانوا إذا أخذوا أمانات الناس أو مال اليتامى، فكانوا يفتنمون ذلك، كما يفعل بعض أهل الإسلام إذا وقع في يده شيء من أموال المسلمين جعله كالغنيمة.

ثم قال تعالى: ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ يعني: مُلِحاً متقاضياً و﴿ذلك﴾ يعني: الاستحلال ﴿بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ يعني: يقولون: ليس علينا في مال العرب مائم. ويقال: من لم يكن على ديننا، فمأله لنا حلال، بمنزلة مذهب الخوارج أنهم يستحلون مال من كان على خلاف مذهبهم ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ لأنهم كانوا يقولون إن ذلك حلال في التوراة، فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون على الله ﴿وهم يعلمون﴾ أن الله أمرهم بأداء الأمانة، وأخذ على ذلك ميثاقهم، فهذا قوله تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهد﴾ الذي أخذ عليهم بأداء الأمانة، وأخذ على ذلك ميثاقهم وذلك قوله تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهد واتقى﴾ يعني: محارمه، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: ﴿واتقى﴾ ظلم الناس ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ عن نقض العهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ مِنْهُمْ

(١) ما بين معقوفين ساقط من نسخة «ه».

لَفَرِيفًا يَتُوبَ آسِئْتَهُمْ بِالْكِذْبِ، لِيَتَحَسَّبُوا مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلِكْتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: «نزلت في شأن عبدان بن الأشوح<sup>(١)</sup>، وأمريء القيس بن عابس، ادعى أحدهما على صاحبه حقاً، فأراد المدعى عليه أن يحلف بالكذب، فنزلت هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في شأن رؤساء اليهود، كتموا نعت محمد ﷺ. لأجل منافع الدنيا. ويقال: إن جماعة من علماء اليهود، قدموا المدينة من الشام لئسلموا، فنقصهم كتب بن الأشرف فقال لهم: تعلمون أنه نبي؟ قالوا: نعم. فقال لهم كعب: خزنتم على أنفسكم خيراً كثيراً، لأنني كنت أردت أن أبعث لكم الهدايا. فقالوا: حتى ننظر في ذلك، فنظرنا ثم رجعوا. فقالوا: ليس هو الذي وجدنا صفته، فأخذ منهم إقرارهم وخطوطهم وأيمانهم على ذلك، ثم بعث إلى كل واحد منهم ثمانية أذرع من الكرياس، وخمسة اصوع من الشعير، فنزل في شأنهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً﴾ يعني: عرضاً يسيراً ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم في الآخرة ﴿وَلَا يَكْلِمَهُمُ اللَّهُ﴾ وقال الزجاج: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْلِمَهُمُ اللَّهُ﴾، يحتمل معنيين: أحدهما: إسماع كلام الله تعالى أولياءه خصوصاً لهم، كما كلم موسى خصوصية له دون البشر، ويجوز أن يكون تأويله: الغضب عليهم، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، ولا ينظر إليه، أي هو غضبان عليه، وإن كان يكلمه بكلام السوء، فذاك معنى قوله: ﴿لَا يَكْلِمَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني: بكلام الرحمة ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بالرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيفًا﴾ يعني: طائفة من اليهود، وهذه اللام لزيادة تأكيد على تأكيد ﴿يَقُولُونَ آسِئْتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يعني يحرفون آسئتهم بالكتاب، يعني بنعت محمد ﷺ ويغيرونه، ويقال: يغيرونه في التلاوة فيقرؤونه على خلاف ما في التوراة. ويقال: يحرفون تأويله على خلاف ما فيه ﴿لِيَتَحَسَّبُوا مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من التوراة، بل هم كتبوا وهم تأولوا ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي ليس هو من عند الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه كذب.

﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُضَيِّقَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّصُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْحَةً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَثَكَةِ وَالنِّيَّانِ آيَةً أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَدَأَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

(١) في نسخة «ب» عبد الله بن الأشوح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ثم قال: ﴿وَالْحَكْمَ﴾ يعني: الفهم ﴿وَالنَّبُوَّةَ﴾ وهو عيسى ابن مريم عليهما السلام ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ﴾ ما جاز له أن يقول للناس: ﴿كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ويقال: إن اليهود والنصارى اختلفوا فيما بينهم، فجاء الفريقان جميعاً إلى رسول الله ﷺ. وقال كل فريق: نحن أولى بإبراهيم عليه السلام فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّكُمْ عَلَى الْخَطَاةِ فَغَضِبُوا﴾ وقالوا: والله ما تريد إلا أن تتخذك حثاناً، فأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحَكْمَ﴾، يعني: الحلال والحرام والنبوة، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَكِنْ﴾ يقول لهم: ﴿كُونُوا رِبَانِينَ﴾ يعني: متعبدين، ويقال: كونوا علماء فقهاء.

قال الزجاج: الربانيون أرباب العلم والبيان، أي: كونوا علماء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الكتاب يعني: كونوا عاملين بما كنتم تعلمون، لأن العالم إنما يقال له عالم إذا عمل بعلمه وإن لم يعمل بعلمه فليس بعالم، لأن من ليس له من علمه منفعة، فهو والجاهل سواء.

ثم قال تعالى: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ يقول: بما كنتم تقرأون، يعني: كونوا علماء بذلك عاملين به. قرأ ابن كثير وناقع وأبو عمرو ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بنصب التاء والتخفيف، يعني: يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ودرستم والباقون بضم التاء والتشديد يعني: تُعَلِّمُونُ غَيْرَكُمْ، فإنما يأمركم بذلك ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً﴾ يعني: عيسى وعزيراً والملائكة صلوات الله عليهم، ولو أمركم بذلك لكُفِّرَ، وتنزع منه النبوة ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ﴾ يعني: بعبادة الملائكة ﴿بِعَدَا إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يعني: مخلصون بالتوحيد لله. قرأ عاصم وحمره وابن عامر: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بنصب الراء انصرف إلى قوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾، فيصير نصباً بأن، والباقون ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بضم الراء على معنى الابتداء.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَخَذْتُمْ عَلَيْكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَوَاشِدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: الميثاق حيث أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليهم العهد والميثاق أن يبلغ الأول الآخر، وأن يصدق الآخر الأول، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: إقرار النبيين ﴿لَمَا آتَيْنُكُمْ﴾ قرأ حمزة ﴿لَمَا آتَيْنُكُمْ﴾ بكسر اللام والتخفيف، يعني: بما آتيتكم، والباقون بنصب اللام، ومعناه: فما آتيتكم يعني: أي كتاب آتيتكم لتؤمنوا به. وقرأ بعضهم: بنصب اللام والتشديد، يعني: حين آتيتكم ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ يعني: بيان الحلال والحرام. وقرأ نافع ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك، والباقون ﴿آتَيْنُكُمْ﴾ بلفظ الوجدان. ويقال: أخذ الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبياً

إلا ذکر له محمداً ﷺ ونعته، وأخذ عليه ميثاقه أن يبينه لقومه، وأن يأخذ منهم ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، ولا يكتُمونه ﴿ثم جاءكم رسول﴾ يعني: أهل الكتاب الذين كانوا في زمان محمد ﷺ ﴿مصدق لما معكم﴾ في التوحيد وبعض الشرائع، وذلك أن الله تعالى لما أخذ ميثاق الأنبياء، وأخذ الأنبياء الميثاق من قومهم بأن يبينوه، فلما قدم النبي ﷺ المدينة فكذبوه، فذكرهم الله تعالى ما أناهم به أنبياءهم وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ لِتُؤْمِنُوا بِهِ﴾ يعني: قال لهم في الميثاق: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ أي: لتصدقنّه إذا بعث ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ إذا خرج ﴿قال﴾ لهم ﴿أفترتم﴾ بتصديقه، يعني: هل أفرتم بما أخذ عليكم من الميثاق بتصديقه ونصره؟ ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ يعني: هل قبلتم على ذلك عهدي الذي أخذت عليكم على إيمانكم بمحمد ﷺ؟ ﴿قالوا أفزنا قال﴾ يعني: الله تعالى ﴿فأشهدوا﴾ بعضكم على بعض بأنني قد أخذت عليكم العهد ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ على إقراركم.

قال الزجاج: قوله ﴿فأشهدوا﴾، أي فينوا، لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي، ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾، وشهادة الله للنبيين تبينه أمر نبوتهم بالآيات المعجزات. وقال القتيبي: أصل الإصر الثقل، فسمي العهد إصرأ، لأنه يمنع صاحبه عن مخالفة الأمر الذي أخذ عليه فتقل.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ يعني: أعرض عن الإيمان، وعن البيان بعد ذلك الإقرار والعهد قوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ يعني الناقضون للعهد، ويقال: هم العاصرون، وأصل الفسق: الخروج من الطاعة كقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [سورة الكهف: 50] أي خرج عن طاعة ربه.

وقوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ قال الكلبي: وذلك أن كعب بن الأشرف اختصم مع النصراني إلى النبي ﷺ. فقالوا: أينما أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبي ﷺ: ﴿كلا الفريقين بريء من دينه﴾ فقالوا: ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزل قوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ يعني: يطلبون، قرأ عاصم في رواية حفص ﴿يبغون﴾ ﴿والله يرجعون﴾ كلاهما بالياء. وقرأ أبو عمرو ﴿يبغون﴾ بالياء، وإليه ﴿ترجعون﴾ بالياء، وقرأ الباقر كلاهما بالياء على معنى المخاطبة. فمن قرأ بالياء، يعني: أفغير دين الله يطلبون عندك، ومن قرأ ﴿تبغون﴾ يعني: قل لهم أفغير دين الله تطلبون، ﴿وله أسلم﴾، يعني: أخلص وخضع ﴿من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾. قال الكلبي: أما أهل السموات، فأسلموا لله طائعين، وأما أهل الأرض، فمن



ولد في الإسلام أسلم طوعاً، ومن أبي قُوتيل حتى دخل في الإسلام كرهاً، وأما آفاه الله عليهم مما يسبون، فيجاء بهم في السلاسل، فيكروهون على الإسلام. وقال مجاهد: يسجد ظل المسلم ووجهه طائع، ويسجد ظل الكافر وهو كاره. وقال مقاتل: ﴿وله أسلم من في السموات﴾، يعني: الملائكة والأرض، يعني: المؤمنين طوعاً وكرهاً، يعني: أهل الأديان يقولون الله ربهم وخالقهم فذلك إسلامهم، وهم مشركون. ومعنى قوله: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض﴾ قال الزجاج: وله أسلم من في السموات والأرض، أي: خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودرهم، لا يتمتع ممتنع من جبله ما جبل عليها، ولا يقدر على تغيير ما خلق عليه.

ثم قال: ﴿وإليه ترجعون﴾ كما خلفكم، أي كما بدأكم فلا تقدرون على الامتناع، كذلك بيعتكم كما بدأكم - قرأ عاصم في رواية حفص ﴿يرجعون﴾ وقرأ الباقون بالتاء (١) ..

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لَأُولُوا مِنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَلَمْ يَدْرُوا بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١٥١)

ثم قال: ﴿قل آمنا بالله﴾ خاطب النبي ﷺ، وأراد به أمته فقال: قل للمؤمنين إن لم يؤمن أهل الكتاب فقولوا أنتم آمنا بالله ﴿وما أنزل علينا﴾ أي آخر الآية وقد ذكرناه في سورة البقرة.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٥٢)

قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾ قال الكلبي: نزلت في شأن وطعمته بن أبيرق، ومقيس بن ضبابه، والحرث بن سويد ومرثد، وكانوا عشرة. وقال الكلبي: كانوا اثني عشر. وقال الضحاك: يعني لا يقبل الله من جميع الخلق من أهل الأديان ديناً غير دين الإسلام، ومن تدبى بدبى غير دين الإسلام ﴿فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ أي: من المغبونين، لأنه ترك منزله في الجنة، واختار منزله في النار.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٣) أَوْلَيْتِكَ جَزَاءَهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٥٤) خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٥٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١٥٧) ﴿

ثم قال تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾ يعني:

(١) ما بين معقوفين ساقط من النسخة (١).



كفروا بعدما شهدوا أن الرسول حق ﴿وجاءهم البينات﴾ يعني: بعدما ظهر لهم العلامات ﴿وإله لا يهدي القوم الظالمين﴾ فإن قيل: في ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه، لا يهديه الله، ومن كان ظالماً لا يهديه الله، وقد رأينا كثيراً من المرتدين قد أسلموا وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم؟ قيل له: معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يُفْلِحُونَ إلى الإسلام، فأما إذا جاهدوا وقصدوا الرجوع، وفقهم الله لذلك لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩) وتأويل آخر قوله: ﴿كيف يهدي الله﴾ يقول: كيف يرشدهم إلى الجنة؟ كما قال في آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (سورة النساء: ١٦٨) ويقال: كيف يرحمهم الله وينجيهم من العقوبة؟ ويقال: كيف يغفر الله لهم؟ وقالت المعتزلة: كيف يهدي الله؟ معناه: كيف يكونون مهتدين، لأنهم لا يرون الهداية، والاهتداء في الابتداء إلا على سبيل الجزاء، ويرون ذلك من كسب العبد.

ثم قال تعالى: ﴿أولئك جزاؤهم﴾ يعني: أهل هذه الصفة التي ذكرها ﴿أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ يعني: سخط الله. ويقال: الطرد والتبديد من رحمة الله والخذلان. ويقال: يلعنهم بالقول: ﴿والملائكة﴾ يعني: عليهم لعنة الله والملائكة ﴿والناس أجمعين﴾ إذا لعن رجل رجلاً، فإن لم يكن أهلاً لذلك، رجعت اللعنة إلى الكفار، ويقال: من لم يكن على دينهم يلعنهم في الدنيا، ومن كان على دينهم يلعنهم في الآخرة. لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (سورة العنكبوت: ٢٥) فذلك قوله تعالى: ﴿والناس أجمعين﴾.

ثم قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: في اللعنة فيما يوجبها الله تعالى، وهو عذاب النار خالدين فيها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ يعني: لا يهون عليهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: لا يؤجلون. ثم استثنى التوبة فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ يقول: من بعد الكفر، وأصلحوا أعمالهم بالتوبة. ويقال: أصلحوا لمن أفسدوا من الناس ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما كان منهم في الكفر، ﴿رحيمٌ﴾ بهم بعد التوبة. قال الكلبي ومقاتل: لما نزلت هذه الآية أي الرخصة بالتوبة، كتب أخوة الحارث بن سُؤَيْدٍ، إلى الحارث: إن الله قد عرض عليكم التوبة فرجع وتاب. وبلغ ذلك إلى أصحابه الذين بمكة، فقالوا: إن محمداً تبرص به ريب المنون، فقالوا: نقيم بمكة على الكفر، متى بدا لنا الرجعة رجعنا، فينزل فينا ما نزل في الحارث، فيقبل توبتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ اذْهَبُوا كُفْرًا﴾ يعني: ثبتوا على كفرهم بقولهم: نقيم بمكة ما بدا لنا ﴿لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ ما أقاموا على الكفر.

قال الزجاج: كانوا كلما نزلت آية كفروا بها، فكان ذلك زيادة كفرهم. وقوله: ﴿لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾، أي توبتهم الأولى، وحبط أجر عملهم. ويقال: ﴿لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾، معناه: أنهم لم يتوبوا. كما قال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنهَا شَفَعَةٌ﴾ (سورة البقرة: ٤٨)، أي لا يشفع لها أحد.

ثم قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الإسلام، وهم الذين لم يتوبوا.  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ تِلْهُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ آفَتَدَىٰ  
 يَدِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (١٦١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾  
 قال الكلبي: يعني وزن الأرض ذهباً. وقال مقاتل: إن الكافر إذا عاين النار في الآخرة، نسي أن  
 يكون له الأرض ذهباً، فيقدر على أن يفتدي به نفسه من العذاب ما تقبل منه، ونظيرها في سورة  
 المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٣٦).

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُونَ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح:  
 أنه قال: «لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون مما حتى تخرجوا زكاة  
 أموالكم طيبة بها أنفسكم». وقال مقاتل: يعني لن تنالوا التقوى حتى تنفقوا مما تحبون من  
 الأموال وقيل: هي منسوخة نسختها آية الزكاة. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الصدقة وصلوة  
 الرحم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: لا يخفى عليه، فيشيكم عليه. ويقال: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ حتى  
 تستكملوا التقوى. ويقال: لا تكونوا بارين حتى تنفقوا مما تحبون، أي: من الصدقة أي بعض  
 ما تحبون من الأموال.

وروي عن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يشتري أعدالاً من السكر، ويتصدق بها. فقيل  
 له: هلا تصدقت بشمته؟ فقال: لأن السكر أحب إلي، فأردت أن أنصق مما أحب.  
 وروي عن عبد الله بن عمر أنه اشترى جارية جديدة، وكان يحبها، فمكثت عنده أياماً،  
 فأعتقها وزوجها من رجل، فوُلِدَ لها ولد، فكان يأخذ ولدها ويضمه إلى نفسه، ويقول: «أشم  
 منك ريح أمك». فقيل له: قد رزقك الله من حلال وأنت تحبها، فلم تركتها؟ فقال: ألم تسمع  
 هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُونَ﴾. وروي عن عائشة رضي الله عنها، أنها  
 كانت تقرأ في مصحف مذمب، فلما انتهت إلى هذه الآية باعته وتصدقت بشمته (١).

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ  
 تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَنطَوهُمَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٢)

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ﴾ قال في رواية الكلبي: خرج يعقوب إلى  
 بيت المقدس، فلقبه ملك في الطريق، فظن يعقوب عليه السلام أنه لص، فعالجه، فغمز الملك

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «١».

رجل یعقوب، فهاج به عرق النساء، فنذر أن یحرم أحب الطعام إليه إن برىء من ذلك لما رأى فيه من الجهد. فلما برىء كان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وألبانها، فحرمها على نفسه، فقالت اليهود: هذا التحريم من الله تعالى في التوراة، فنزل قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل﴾ يعني: كان حلالاً، إلا الميتة والدم ولحم الخنزير.

ثم قال: ﴿إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ وليس تحريمها في التوراة.

ثم قال لمحمد ﷺ: ﴿قل﴾ لليهود ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ يعني: اقرؤوها ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأن تحريمها في التوراة، لأنهم كانوا يقولون: كان ذلك حراماً من وقت نوح، وأنت وأصحابك تستحلونها.

وقال الضحاك: إن يعقوب لما أصابه عرق النساء، وصف له الأطباء أن يتجنب لحوم الإبل، فحرم على نفسه لحوم الإبل. فقالت اليهود: حرمتها على أنفسنا، لأن يعقوب حرّمها على نفسه، ونزل تحريمها في التوراة، ونزلت الآية. ويقال: معناه كل طعام هو حلال لأمتك، مثل ما كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، وبعضها حرّم عليهم بذنوبهم. وقال الزجاج: هذه الآية أعظم دليل لنبوة محمد ﷺ: لأنه حين أخبرهم بأنه ليس في كتابهم، وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة، فأبوا وعرفوا أنه قال ذلك بالوحي.

﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يعني: اختلق على الله الكذب ﴿مَنْ يَغْدِ ذَلِكَ﴾ البيان في كتابهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: يظلمون أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أن تحريمه ليس في التوراة. ويقال: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ حين قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: مخلصاً مستقيماً، واكلوا لحوم الإبل وألبانها كما أكلها إبراهيم عليه السلام، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً باهوانكم ﴿وما كان﴾ إبراهيم ﴿من المشركين﴾ يعني: على دينهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: يعني أول مسجد وضع للناس، أي للمؤمنين. ويقال: أول موضع خلق، هو موضع الكعبة للناس، أي قبله للناس ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾

قال الكلبي: إنما بكة، لأن الناس يبك بعضهم بعضاً، أي يزدحم.

وقال الزجاج: بكة موضع البيت، وسائر ما حواليه مكة. وقال القتيبي: بكة ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم، كما يقال: سُدَّ رأسه وسبَّده إذا استأصله ويقال: بكة موضع المسجد، ومكة البلد حوله. ثم قال تعالى: ﴿مباركاً﴾ أي: فيها بركة ومغفرة للذنوب ﴿وهدى للعالمين﴾ يعني: قبلة لمن صلى إليها، وذلك أن اليهود قالوا للمؤمنين: لم عمدتم إلى الحجارة تطوفون بها وتصلون إليها؟ وجعلوا يعظمون بيت المقدس، فنزلت هذه الآية.

وروى الكلبي: أن آدم عليه السلام بنى البيت، فلما كان زمان الطوفان، رفع إلى السماء السادسة بحيال الكعبة - يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لم يدخلوه قط قبله. ويقال: أنزل من السماء، وهو من ياقوتة حمراء، فلما كان زمان الطوفان، رفع إلى السماء الرابعة<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿فيه آيات بينات﴾ يعني: علامات واضحات كالحجر الأسود والحطيم و﴿مقام إبراهيم﴾ - وروى عن عبد الله بن عباس: أنه كان يقرأ: ﴿فيه آية بينة مقام إبراهيم﴾ وقرأ غيره: ﴿آيات بينات﴾ ومعناه: من تلك الآيات مقام إبراهيم<sup>(٢)</sup>.

﴿ومن دخله﴾ يعني: الحرم ﴿كان آمناً﴾ يعني: أن من دخله فإنه لا يهاج منه إذا وجب عليه القتل خارج الحرم.

ثم قال تعالى: ﴿و الله على الناس حج البيت﴾ قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿حج البيت﴾ بكسر الحاء، والباقون بالنصب، وهما لغتان ومعناهما واحد. ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ يعني: بلاغاً، والاستطاعة: هي الزاد والراحلة وتخاية الطريق. ويقال: والله على الناس فريضة حج البيت.

ثم قال تعالى: ﴿ومن كفر﴾ يعني: من لم يز الحج واجباً فقد كفر، فذلك قوله ﴿ومن كفر﴾. ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ يعني: عمن حج، وعمن لم يحج.

قال الفقيه: حدثني أبي قال: حدثني أبو بكر المعلم قال: حدثنا أبو عمران الفاريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن حبيب قال: حدثنا داود بن المحبر قال: حدثنا عباد بن كثير، عن عبد خير عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «أيها الناس إن الله تعالى فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل، فليمت على أي حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، إلا أن يكون به مرض أو متع من سلطان جابر، إلا لا نصيب له في شفاعتي، ولا يرذ حوضي».

وروى عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السبيل الزاد والراحلة». وكذلك

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «ب».

(٢) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «أ».

روي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: ﴿مقام إبراهيم﴾ أثر قدميه.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن مَّأْمَنٍ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: لم تجحدون بالحج والقرآن ومحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ من الجحود والكفر.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ يقول: لم تصرفون الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي عن دين الإسلام والحج ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يعني: تطلبونها تغييراً وزيفاً ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أن ذلك في التوراة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان صفة محمد ﷺ ونعته. ويقال في اللغة: ما كان ينتصب انتصاب العود والحائط يقال: عوج بالنصب، وما لم ينتصب مثل الأرض والكلام يقال: عوج كما قال تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧] وقال: ﴿وَلَوْ يَجْمَلُ لَوَّ عِوَجًا قَنَسًا﴾ [الكهف: ١، ٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا رَبِّيًّا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَدِّ إِيمَانِكُمْ كَفِرِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَمِدِ بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا رَبِّيًّا﴾ يقول: طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ وهم رؤساء اليهود ﴿يَرُدُّوكُم بَدِّ إِيمَانِكُمْ﴾ بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿كافرين﴾، لأنهم كانوا يدعون إلى الكفر، واتباع مذهبهم، وكان يتبعهم بعض المنافقين، فنهى الله تعالى المؤمنين عن متابعتهم.

ثم قال تعالى على وجه التعجب: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: كيف تجحدون بوحدانية الله وبمحمد والقرآن؟ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ يقول: يُفْرَأُ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ، وفيه دلالة وعجابه، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ يعني: معكم محمد ﷺ.

قال الزجاج: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد ﷺ خاصة، لأن رسول الله ﷺ كان فيهم، وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة، لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا، فكان رسول الله ﷺ فينا وإن لم نشاهده.

(١) عزاء السيوطي ٢٧٤/٢ إلى ابن جرير والبيهقي وأما حديث أنس فأخرجه الدارقطني والحاكم وصححه:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْتَصِم بِاللهِ﴾ يقول: يتمسك بدين الله ﴿فقد هدي﴾ يقول وفق وأرشد من الضلالة ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يعني: الطريق الذي يسلك به إلى الجنة، وهو دين الإسلام.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿وَلَنْ تَكُونَ بَيْنَكُمْ أَنَّهُ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ يقول: أطيعوا الله حق طاعته، وحق طاعته أن يطاع فلا يعصى طرفه عين، وأن يشكر فلا يكفر طرفه عين، وأن يذكر فلا ينسى طرفه عين، فشق ذلك على المسلمين، فانزل الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فنسخت هذه الآية، هكذا قال الكلبي والضحاك ومقاتل، وغيرهم من المفسرين: إن هذه الآية منسوخة. وقال بعضهم: لا يجوز أن يقال هذه الآية منسوخة، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بشيء لا يطبقونه، بل إنهم يطبقونه، ولكن تلحقهم مشقة شديدة، وكان ذلك مجهود الطاقة، ولا يستطيعون الدوام عليه، والله تعالى لا يكلف عباده إلا دون ما يطبقونه، فخفف عنهم بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ولم ينسخ آخر الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يعني: اثبتوا على الإسلام، وكونوا بحال يلحقكم الموت، وأنتم على الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ يقول: تمسكوا بدين الله وبالقرآن. ويقال: تمسكوا بسبيل السنة والهدى، ﴿ولا تفرقوا﴾. يقول: ولا تختلفوا في الدين كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء، ويقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ يعني: اطلبوا النصر من الله، لا من القبائل والعشيرة. ويقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، يعني: ما أشبهت عليكم، فردوه إلى كتاب الله كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهَ إِلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا سبيل إلى النجاة منها إلا بالتمسك بحبل وحيق، وهو كتاب الله تعالى.

ثم ذكر لهم نعمته فقال: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يعني: احفظوا نعمة الله عليكم بالإسلام ﴿إذ كنتم أعداء﴾ في الجاهلية ﴿فألف بين قلوبكم﴾ يقول: جمع بين قلوبكم بالإسلام

توَدُّدًا ﴿فَاصْبِحْتُمْ بِنِعْمَةِ إِخْوَانِكُمْ﴾ يقول: فصرتم بنعمة الإسلام ﴿إِخْوَانًا﴾ في الدين، وكل ما ذكر في القرآن ﴿اصْبِحْتُمْ﴾، معناه: صرتم، كقوله: ﴿إِنْ أَسْبَحَ مَاؤُكَ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠] أي صار ماؤكم غوراً، وهذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، كان بينهم قتال قبل الإسلام بأربعين عاماً، حتى كادوا أن يفتانوا، فلما بعث النبي ﷺ بمكة، آمن به الأوس والخزرج وهم بالمدينة، ثم خرجوا إلى رسول الله ﷺ بمكة قبل أن يهاجر منهم سبعون رجلاً، فخرج رسول الله ﷺ، ومعه عمه العباس إلى العقبة، فرأى سبعين رجلاً من الأنصار فعاهدوه ثم رجعوا إلى المدينة، وهاجر النبي ﷺ إليهم بعد الحولين، فوقعت بين الأوس والخزرج أُنْفَةٌ، وزالت عنهم العداوة التي كانت عنهم في الجاهلية بالإسلام، وهذا كما ذكر في آية أخرى: ﴿لَوْ أَنفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَفَلَّتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وروي عن جابر بن عبد الله: أن رجلين من الأنصار، أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج، تفاعرا فيما بينهما واقتتلا، فاستعان كل واحد منهما بقومه، فاجتمعت الأوس والخزرج وأخذوا السلاح، وخرجوا للحرب، فبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ، فخرج إليهم في ثلاثين من المهاجرين وهو راكب على حمار له، قال جابر: فما كان من طالع يومئذ أكرم إلينا من رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا، فأوما إلينا بيده، فكففنا، ووقف بيننا على حمار له فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾. إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فَأَلْقُوا السِّلَاحَ وَأَطَعُوا الحروب التي كانت بينهم، وعانق بعضهم بعضاً يبكين، فما رأيت الناس أكثر باكياً من يومئذ، فلم يكن في الأرض شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ قال القتيبي: شفى على كذا، إذا أشرف عليه ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾، أي: حرف حفرة، ومعناه: وكنتم في الجاهلية على شرف هلاك بالشرك، من مات في الجاهلية كان في النار ﴿فَانْقَذِكُمْ﴾ الله ﴿مِنْهَا﴾ بعدما كنتم على حرف من النار ﴿كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: علاماته، أي كنتم أعداء في الجاهلية فصرتم إخواناً في الإسلام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا من الضلالة، وتعرفوا علامته بهذه النعمة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَكِن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ فهذه لام الأمر كقوله: ﴿قَلْبَعَمَلٍ عَبْدًا سَلِيمًا﴾ [الكهف: ١١٠] يعني: لكن منكم أمة.

قال الكلبي: يعني جماعة. وقال مقاتل: يعني عصابة، وقال الزجاج: معناه ولتكونوا كلكم أمة واحدة تدعون إلى الخير، و﴿مِنْ﴾ هاهنا لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، وهي مؤكدة كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُوهَا الرِّيسَ مِنْ الْأَوْتُنِ﴾ [الحج: ٣٠] وقوله: ﴿يدعون إلى الخير﴾ يعني: إلى الإسلام. ويقال: إلى جميع الخيرات ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ قال الكلبي: يعني باتباع محمد ﷺ ﴿وينهون عن المنكر﴾ يعني: الجبت والطاغوت. ويقال: ﴿المنكر﴾ العمل الذي بخلاف الكتاب والسنة. ويقال: ما لا يصلح في العقل.



وروي عن سفيان الثوري أنه قال: «إنما يجب النهي عن المنكر إذا فعل فعلاً يخرج عن الاختلاف». ويقال: إنما أمر بعض الناس بقوله، «ولتكن منكم أمة»، ولم يأمر جميع الناس، لأن كل واحد من الناس لا يحسن الأمر بالمعروف، وإنما يجب على من يعلم. ويقال: إن الأمراء، يجب عليهم الأمر والنهي باليد، والعلماء باللسان، والعوام بالقلب، وهنا كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا رأى أحدكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «بحسب امرئ إذا رأى منكراً، لا يستطيع التكبير أن يعلم الله من قلبه أنه كان». وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكراً، لا يستطيع التكبير عليه، فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه. ثم قال تعالى: «وأولئك هم المفلحون» يعني: الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، هم الناجون. ويقال: فازوا بالنعيم.

ثم قال تعالى: «ولا تكونوا» في الاختلاف «كالدِّينِ تَفَرَّقُوا» وهم اليهود والنصارى «وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» فافتقرت اليهود فرقاً والنصارى فرقاً، فنهى الله المؤمنين عن ذلك.

ثم خوفهم فقال: «وأولئك لهم عذاب عظيم» يعني: دائم لا يرفع عنهم أبداً، يعني: الذين اختلفوا «من بعد ما جاءتهم البينات» يعني: العلامات في أمر محمد عليه السلام، أو بيان الطريق.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup> وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ مَا كَانُوا فِيهَا يَخِلْدُونَ﴾<sup>(١١٧)</sup>

ثم بيّن منازل الذين تفرقوا، والذين لم يتفرقوا فقال عز وجل: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»

يعني: يوم القيامة حين يعثون من قبورهم. تكون وجوه المؤمنين مُبَيَّضَةً، ووجوه الكفار مُسْوَدَّةً. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه، فرأى في كتابه حسنة، استبشر وابتض وجهه. وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه، فرأى في كتابه سيئة، اسود وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان، إذا رجحت حسناته ابيض وجهه، وإذا رجحت سيئاته اسود وجهه. ويقال: عند قوله: «وَأَنْتُمْ زُرْتُمُوهَا الْمُجْرِمُونَ» (س: ٥٩)<sup>(٢)</sup> ويقال: إذا كان يوم القيامة

(١) حديث أبي سعيد: أخرجه مسلم (٤٩) والترمذي (٢١٧٢) والنسائي (١١١/٨) وأحمد: ٤٩/٣، ٥٣ وأبو داود (٤٣٤٠).

(٢) ما بين مقوفتين ساقط في النسخة «ب».

يؤمر كل قوم بأن يجتمعوا إلى معبودهم، فإذا انتهوا إليه حزنوا، واسودت وجوههم، فيبقى المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون، فيقول الله تعالى للمؤمنين: من ربكم؟ فيقولون: ربنا الله عز وجل. فيقول لهم: أنعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: سبحانه إذا عرفنا عرفناه، فيرويه كما شاء الله تعالى، فيخبر المؤمنون سجداً لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، وبقي المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرّون على السجود، فحزنوا واسودت وجوههم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يعني: يقال لهم: أكفرتُمْ؟ ولكن حُذِفَ القول، لأن في الكلام دليلاً عليه ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، يعني: يوم الميثاق. قالوا: بلى، يعني المرتدين والمنافقين. ويقال هذا لليهود، وكانوا مؤمنين بمحمد ﷺ، قبل أن يُبْعَث، فلما بُعِث كفروا به. وقال أبو العالية: هذا للمنافقين خاصة. يقول: أكفرتُمْ في السرّ بعد إيمانكم، مع إقراركم في العلانية ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن.

حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا محم بن صاعد، حدّثنا عباد بن الوليد قال: حدّثنا محمد بن عباد الهناني قال: حدّثنا حميد بن الخياط قال: سألت أبا العالية عن هذه الآية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فقال: حدّثنا أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّهُمْ الْخَوَارِجُ» وسألته عن قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] قال: سمعته قال: «إِنَّهُمْ الْخَوَارِجُ»<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي في جنة الله قال الزجاج: يعني في الجنة التي صاروا إليها برحمة الله تعالى، لأن الجنة تُنَالُ برحمة الله، ولا تُنَالُ بالجهد، وإن اجتهد المجتهد، لأن نعمة الله تعالى لا يكافئها عمل، ففي رحمة الله، أي في ثواب الله ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: دائمين.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَّا اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿تتْلوها عليك﴾ يعني: نزل عليك جبريل فيقرأ عليك ﴿بالحق﴾ أي بالصدق. وقال الزجاج: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: تلك التي جرى ذكرها، حجج الله وعلاماته ﴿تتْلوها عليك﴾، أي: نعرّفك إياها. ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ يعني: لا يعذبهم بغير ذنب.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال بعضهم: هذا معطوف على

(١) عزاه السيوطي ٢/٢٩٢ إلى عبد حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي أمامة.

الأول، كأنه يقول: وما الله يريد ظُلماً للعالمين لأنهم كلهم عبيده ومخلوقه ومرزوقه، فلا يريد ظلمهم. وقال بعضهم: هذا ابتداء الكلام، بين لعباده أن جميع ما في السموات وما في الأرض له حتى يسألوه ويعبدوه، ولا يعبدوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وإلى الله نرجع الأمور﴾ يقول: تصير أمور العباد إلى الله في الآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُوَّاءَ أَمَلِ الْكَتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ أَذْيَارًا ثُمَّ لَا يُضُرُّوكُمْ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال الكلبي: أخبر الله تعالى أن خير الدين عند الله دين أهل الإسلام، ووصفهم بالوفاء فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يقول: أنتم خير أهل دين كان للناس لأنهم لا يظلمون من خالطهم منهم، أو من غيرهم، فجعلهم الله خير الناس للناس ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ويقال: خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، لأنهم يأمرون بالمعروف، فيقاتلون الكفار ليسلموا، فترجع منفعتهم إلى غيرهم. كما قال ﷺ: «خيرُ الناسِ مَنْ يَنْفَعِ النَّاسَ». ويقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عند الله في اللوح المحفوظ. ويقال: كنتم مذ أنتم خير أمة. ويقال: هذا الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، يعني: أنتم خير الأمة. كما قال النبي ﷺ: «خَيْرُ الْقُرُونِ أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

ثُمَّ وَصَفَهُمْ، فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالتوحيد والإسلام. ﴿وتنهون عن المنكر﴾ أي: عن الشرك ﴿وتؤمنون بالله﴾ أي: تصدقون بتوحيد الله، وتثبتون على ذلك. وقال الزجاج: ﴿تؤمنون بالله﴾، معناه: تقرون بأن محمداً ﷺ نبي الله، لأن من كفر بمحمد ﷺ لم يوحد الله، لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من ذات نفسه.

ثم قال تعالى: ﴿ولو آمن أهل الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لكان خيراً لهم﴾ من الإقامة على دينهم.

ثم قال تعالى: ﴿منهم المؤمنون﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن آمن من اليهود والنصارى ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، والذين لم يؤمنوا منهم.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ يعني: باللسان بالسب وغيره، وليس لهم قوة القتال ﴿وإن يقاتلوكم﴾ يعني: إن أعانوكم في القتال، فلا منفعة لكم منهم لأنهم ﴿يؤلُّوكم الأذيَارَ﴾ وينهزمون ﴿ثم لا يضرُّون﴾ يقول: لا يُضْمِنُونَ من الهزيمة، فكأنه يحكي ضعفهم عن القتال. يقول: لو كانوا عليكم لا يضرُّونكم، ولو كانوا معكم لا ينفعونكم، وهذا حالهم إلى اليوم، وهم اليهود ليس لهم شوكة، ولا قوة القتال في موضع من المواضع. ويقال: ﴿وإن يقاتلوكم﴾



قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: يقرون بالله وبمحمد ﷺ ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني: باتباعه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يعني: الشرك ﴿وَيَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يعني: يبادرون إلى الطاعات، والأعمال الصالحة ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي مع الصالحين، وهم أصحاب محمد ﷺ في الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يَكْفُرُوهُ﴾ يعني: لن تجحدوه ولن تنسوه، يقول: تجزون به، وتسابون عليه في الآخرة، وهذا كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «البر لا يبلى والإثم لا يئسى».

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ يعني: عليم بشوابهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، ومن كان بمثل حالهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يَكْفُرُوهُ﴾ كلاهما بالياء، والباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: ذكر قبل هذا مؤمني أهل الكتاب، ثم ذكر كفار أهل الكتاب، وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وأما الكلبي فقال: هذا ابتداء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ كثرة ﴿أموالهم ولا أولادهم من﴾ عذاب ﴿الله شيئاً﴾ وقال الضحاك: يعني اليهود والنصارى، وجميع الكفار، وكل من خالف دين الإسلام. وذلك أنهم تفاخروا بالأموال والأولاد وقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، وما نحن بمعذبين، فأخبر الله تعالى أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من عذاب الله شيئاً. ثم قال: ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

ثم قال: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال الكلبي: يعني ما ينفقون في غير طاعة الله ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ يعني: برد شديد ﴿أصابت﴾ الريح الباردة ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بمنع حق الله تعالى فيه ﴿فأهلكته﴾ يقول: أحرقت، فلم ينتفعوا منه بشيء، فكذلك نفقة من أنفق في غير طاعة الله، لا ينفعه في الآخرة، كما لا ينفع هذا الزرع في الدنيا. وقال مقاتل: يعني نفقة السفلة على رؤساء اليهود. وقال الضحاك: مثل نفقة الكفار من أموالهم في أعيادهم وعلى أضيافهم وما يعطي بعضهم بعضاً على الضلالة ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ الآية.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يعني: أصحاب الزرع هم ظلموا أنفسهم بمنع حق الله تعالى، فكذلك الكفار أبطلوا ثواب أعمالهم بالشرك بالله تعالى.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتْ  
الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿۱۷۸﴾ هَتَأْتُمْ  
أَوْلَادَهُمْ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَضُوا عَلَيْنَكُمْ  
الْآيَاتِ مِنَ الْغَيْبِ قُلْ مُؤْتُوا يَعْطِيَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿۱۷۹﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِن دُونِكُمْ﴾ يعني: خلة وصدافة من غير  
أهل دينكم، وإنما سميت ببطانة الثوب ببطانة لقربها من البدن ﴿من دونكم﴾، يعني: من دون  
المؤمنين.

نزلت الآية في شأن جماعة الأنصار، كانت بينهم وبين اليهود مواصلة وخاصة، وكانوا  
على ذلك بعد الإسلام، فنهاهم الله تعالى عن ذلك. ويقال: كل من كان على خلاف مذهبهم  
ودينهم لا ينبغي له أن يخادنه، لأنه يقال في المثل:

عن المرء لا تسأل وأنبصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي

وروي أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من  
يخالل»<sup>(۱)</sup>. وروي عن ابن عباس أنه قال: «اعتبروا الناس بأخذانهم».

ثم بين الله المعنى الذي لأجله نهى عن المواصلة فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يقول:  
فساداً، يعني: لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني: أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر، فإنهم لا  
يتركون جهدهم في المكر والخديعة ﴿وَدُّوا مَا عَيْتُمْ﴾ يعني: ما أئتمتم بربكم. وقال الزجاج:  
الخبال في اللغة ذهاب الشيء، والغنث في الأصل: المشقة. وقال القتيبي: الخبال الفساد. وقال  
القتبي أيضاً: ﴿وَدُّوا مَا عَيْتُمْ﴾، يعني: ما أعتتم؛ وما نزل بكم من مكروه.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ﴾ يعني: ظهرت العداوة والتكذيب لكم.

ثم قال: ﴿مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ والذي في صدورهم من العداوة ﴿أكبر﴾  
مما أظهروا بأفواههم. ويقال: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكبر﴾، يعني: قصدهم قتل محمد ﷺ،  
لأنهم كانوا يظنسون ذلك ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ يقول: أخبرناكم بما أخفوا، وبما أبدوا  
بالدلالات والعلامات ﴿إن كنتم تعقلون﴾ وتصدقون.

ثم قال تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ﴾ يعني: ها أنتم يا هؤلاء ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لمظاهرتكم إياهم  
﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لأنهم ليسوا على دينكم.

وقال الضحاك: معناه كيف تحبون الكفار وهم لا يحبونكم ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه الترمذي (۲۳۷۸) وقال: حديث حسن غريب وأبو داود (۴۸۳۳) وأحمد: ۲/

يعني: بالثورة والإنجيل وسائر الكتب، ولا يؤمنون بذلك كله، وقد فضلكم الله عليهم بذلك، لأنهم لا يؤمنون إلا بكتابتهم.

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا لَقوكم﴾** يعني: المنافقين منهم **﴿قالوا آمنا﴾** بمحمد ﷺ أنه رسول الله **﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾** فيما بينهم **﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾** يعني: أطراف الأصابع **﴿من الغيظ﴾** والحنق عليكم، فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء قد ظهرُوا وكشروا. قال الله تعالى لمحمد ﷺ: **﴿قل﴾** لهم **﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾** يقول: موتوا بحنقكم يعني: على وجه الدعاء والطرد واللعن، لا على وجه الأمر والإيجاب، لأنه لو كان على وجه الإيجاب، لماتوا من ساعتهم. كما قال في موضع آخر: **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** [البقرة: ٢٤٣]، فماتوا من ساعتهم، فهانئا لم يرد به الإيجاب.

وقال الضحاك: **﴿قل موتوا بغيظكم﴾**، يعني: أنكم تخرجون من الدنيا بهذه الحسرة والغيظ، يعني: اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر، يعني: أنكم تموتون بغيظكم. ثم قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** يعني: بما في قلوبكم من العداوة للمؤمنين، يعني: إن الله يجازيكم بذلك.

**﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصَبُوا وَتَنَقَّوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**

ثم قال تعالى للمؤمنين: **﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ﴾** يعني: الظفر والغنيمة، كما أصابكم يوم بدر، **﴿تَسُؤْهُمْ﴾** يعني: ساءهم ذلك **﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾** يعني: الهزيمة، كما أصابكم يوم أحد، ويقال: الشدة في العيش والقحط **﴿يفرحوا بها وإن تصبروا﴾** على أذى المنافقين واليهود **﴿وتتنقوا﴾** المعصية والشرك، وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: **﴿وإن تصبروا﴾** على أمر الله **﴿وتتنقوا﴾** معاصيه. **﴿ولا يضرركم كيدهم شيئاً﴾** يقول: عداوتهم شيئاً. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: **﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾** بكسر الضاد وجرم الراء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء، ومعناها قريب في التفسير يعني: لا ضير عليكم من كيدهم.

ثم قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** يعني: أحاط علمه بأعمالهم، والإحاطة: هي إدراك الشيء بكماله.

**﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [١٢١] **﴿إِذْ هَمَّتْ خَطَايَاتُنَّ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا رَبَّنَا﴾** [١٢٢] **﴿وَأَنْتَ يَا رَبَّنَا اللَّهُ فَاسْتَوَكُنِّي الْأُمِّيَّةُ﴾** [١٢٣]

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾** يعني: خرجت من منزلك بالصباح. ويقال: من



عند أهلك، وهي عائشة رضي الله عنها ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: تهيبه للمؤمنين ﴿مقاعد للقتال﴾ يعني: مواضع للحرب. قال الكلبي: يعني: يوم أحد. وقال مقاتل: يعني: يوم الخندق ﴿والله سميع﴾ لدعائك ﴿عليم﴾ بأمر الكفار.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ يعني: أرادت وأضمرت طائفتان من المسلمين. وهما: حيان بني حارثة وبني مسلمة من الأنصار ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ يعني: أَنْ تَجْبُنَا عَنِ الْقِتَالِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وترجعاً ﴿والله وليهما﴾ يعني: ناصرهما ﴿وحافظهما﴾ يعني: وحافظ قلوبهما حيث لم يرجعوا، لأن النبي ﷺ خرج يوم أحد من المدينة ومعه ألف رجل، فرجع عبد الله بن أبي ابن سلول مع ثلاثمائة من المنافقين ومن تابعهم، فدخل الفشل في قبيلتين من الأنصار، وهم المؤمنون، فأرادوا أن يرجعوا، فحفظ الله قلوبهم، فلم يرجعوا، فذلك قوله: ﴿والله وليهما﴾ يعني: حافظ قلوبهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ يعني: على المؤمنین أَنْ يتوكلوا على الله، وهذه كلها مِنْ ذِكْرِهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، ليعرف ويشكر الله تعالى، ويصبر على ما يصيبه من الأذى.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ﴾ ﴿١٧٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾

ثم ذكرهم الله ببدري فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ يعني: أعانكم الله يوم بدر ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ يعني: قليلة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني: اعرفوا هذه النعمة، واتقوا الله ولا تعصوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا الله.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: يوم أحد<sup>(١)</sup> ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ من السماء. يقول الله: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا﴾ مع نبيكم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصيته بالهزيمة ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا﴾ يعني: العدو، يأتوكم من وجوههم، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ يعني: معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الخيل، وفي أذناها عليهم البياض، قد أزعجوا أطراف العمائم بين أكتافهم؛ فأنزل الله تعالى عليهم يوم بدر ثلاثة آلاف، ووعدهم ليوم أحد بخمسة آلاف. ولكنهم لما عصوا وتركوا أمر رسول الله ﷺ رجعوا عنهم، ولو أنهم صبروا لنزلت عليهم.

قرأ عاصم، وابن كثير، وأبو عمرو: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو، والباقون بالنصب ومعناهم قريب وهو: إرخاء أطراف العمائم بين الأكتاف؛ وهذا كما روي عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر:

(١) في نسخة «يوم بدر».

«تَسْمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسْمَوْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ﴾

ثم قال تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾ يعني: المدد من الملائكة. قال بعضهم: إن الملائكة لم تقاتل، ولكن إنما بعثهم للبشارة ولتسكين قلوب المؤمنين، لأن في قتال الملائكة لم يكن للمؤمنين فضيلة، وإنما كانت الفضيلة للمؤمنين إذ كانوا هم الذين يقاتلون ويهزمون الكفار، ولو كان ذلك لأجل الإعانة لكان ملك واحد يكفيهم كما فعل بقوم لوط. ألا ترى أنه قال: ﴿يَتَذَكَّرُونَ فِي آيَاتِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] فجعل الفضيلة في قتلهم في أعين الكفار ونصرتهم بالغبلة، وهذا معنى قوله: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ يعني: لتسكن به قلوبكم. وقال بعضهم: الملائكة كانوا يقاتلون، وكانت علامة ضربهم في الكفار ظاهرة، لأن كل موضع أصابت ضربتهم اشتعلت النار في ذلك الموضع، حتى إن أبا جهل قال لابن مسعود: أنت ما قتلتنني، إنما قتلني الذي لم يصل سناني إلى سنبك فرسه وإن اجتهدت. وإنما كانت الفائدة في كثرة الملائكة لتسكن قلوب المؤمنين، ولأن الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين إلى يوم القيامة، وكل عسكر من المسلمين صبروا واحتسبوا تأتيهم تلك الملائكة ويقاتلون معهم. ويقال: الفائدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويسبحون، وثواب ذلك للذين يقاتلون يومئذ. وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يعني: ليس بكثرة العدد ولا بقلته، ولكن النصر من الله تعالى، كما قال في آية أخرى: ﴿إِذْ أَغْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ مَتِينًا﴾ [التوبة: ٢٥].

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾

ثم قال تعالى: ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾ يعني: أرسل الملائكة ونصر المؤمنين لكي يقطع طرفاً، أي: يستأصل جماعة من الذين كفروا ﴿أو يكبتهم﴾ قال الكلبي: أي يهزمهم. وقال مقاتل: يعني يخزيهم كقوله ﴿كُنُوزًا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] ويقال: يغيظهم ﴿فينقلبوا﴾ إلى مكة ﴿خائبين﴾ لم يصيبوا ظفراً ولا خيراً، وقد قتل منهم سبعون وأسر سبعون. ويقال: معناه وما جعله الله إلا بشرى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، وليقطع طرفاً من الذين كفروا.

(١) عزاه السيوطي ٣١٠/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن جرير عن عمير بن إسحق.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٧٤)

قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ روى جويبر عن الضحاك قال: لما كان يوم أحد، كسرت رباعية النبي ﷺ وأدمي سافه، وقتل سبعون رجلاً من الصحابة، فهم النبي ﷺ أن يدعوا على المشركين، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ يعني: ليس لك من الحكم شيء، ﴿أو يتوب عليهم﴾ يعني: كفار قريش يهديهم إلى الإسلام. وقال الكلبي: فهم رسول الله ﷺ أن يلعن الذين انهزموا من الصحابة يوم أحد، فنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الذين انهزموا ﴿أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ قال: فلما نزلت هذه الآية، كف ولم يلعن المشركين، لأنه سيؤمن كثير منهم. وقد آمن كثير منهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم.

قال مقاتل: كان سبعون رجلاً من أصحاب الصفة، خرجوا إلى الغزو محتسبين، فقتل السبعون جميعاً، فشق ذلك على النبي ﷺ، فدعا الله تعالى عليهم أربعين يوماً في صلاة الغداة، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ويقال: معنى قوله: ﴿أو يتوب عليهم﴾، حتى يتوب عليهم. ﴿أو يعذبهم﴾ إن لم يكونوا من أهل التوبة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٥)

ثم عظم نفسه فقال: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني: جميع الخلق في ملكه وعبده ﴿يغفر لمن يشاء﴾ وقال الضحاك: يغفر لمن يشاء الذنب العظيم، ﴿ويعذب من يشاء﴾ على الذنب الصغير يعني: إذا أصرَّ على ذلك ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾ في تأخير العذاب عنهم، حيث لم يعاقبهم قبل توبتهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة﴾ قال الزجاج: يعني لا تضاعفوا أموالكم بالربا. وقال القتبي: هو ما يضاعف منها شيء بعد شيء، ويقال: ﴿أضعافاً﴾ عند البيع، يبيعه بأكثر من قيمته مضاعفة بعد العقد، أن يزيده في الأجل ويزيد في المال. ويقال: المضاعفة هي نعت الأضعاف كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ كَفَّيْنَاكَ﴾ (البقرة: ١٦٨ وغيرهما) والطيب هو نعت الحلال.

ثم قال تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي: في الربا فلا تستحلوه ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكي تتجوا من العذاب. ثم خوفهم فقال: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ يعني: خلقت وهيئ للكافرين. وقالت المعتزلة: من أتى بالكبيرة ومات عليها فإنه يخلد في النار كالكفار، لأنه وعد لأكل الربا

النار كما وعد الكفار. وقال أكثر أهل العلم والتفسير: هذا الوعيد لمن استحل الربا، ومن استحل الربا فإنه يكفر ويصير إلى النار. ويقال: معناه اتقوا العمل الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبون النار، لأن من الذنوب ما يستوجب به نزع الإيمان ويخاف عليه، فمن ذلك: عقوق الوالدين. وقد جاء في ذلك أثر: «أن رجلاً كان عاقاً لوالدته يقال له علقمة، فقبل له عند الموت: قل لا إله إلا الله، فلم يقدر على ذلك، حتى جاءت أمه فرضيت عنه». ومن ذلك: قطيعة الرحم، وأكل الربا، والخيانة في الأمانة. وذكر أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: أكبر ما في الذنوب، التي ينزع الإيمان من العبد عند الموت. ثم قال أبو بكر: فنظرنا في الذنب الذي ينزع الإيمان، فلم نجد شيئاً أسرع نزاعاً للإيمان من ظلم العباد.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿وَكَارِعُوا إِنَّا مَمْعِرَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ يعني: أطيعوا الله في الفرائض، والرسول في السنن. ويقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في تحريم الربا، ﴿وَالرَّسُولَ﴾ فيما بلغكم من تحريم الربا ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولا تُعَذَّبُونَ.

قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ قرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة، وابن عامر ومن تابعه من أهل الشام: ﴿سارعوا﴾ بغير الواو على معنى الابتداء. وقرأ الباقون ﴿وسارعوا﴾ بالواو على معنى العطف. قال الكلبي: معناه وسارعوا إلى التوبة من الربا. وقال مقاتل: وسارعوا إلى الأعمال الصالحة التي هي مغفرة لذنوبكم وإلى الجنة. وقال الضحاك: يعني سارعوا إلى النجاء الأكبر، إلى الصف المقدم في الصلاة، وإلى الصف المقدم في القتال. ويقال: ﴿وسارعوا﴾ حتى لا تفوتكم تكبيرة الافتتاح.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال الفتيبي: يعني: سعتها، ولم يرد به العرض الذي هو خلاف الطول. والعرب تقول: بلاد عريضة، أي واسعة. ويقال: عَرْضُ الجنة كعرض سبع سموات، وكعرض سبع أرضين، لو أُلزق بعضها إلى بعض. وإنما ذكر العرض ولم يذكر الطول، لأن طولها لا يعرف ولا يدرك. وقال الكلبي: الجنان أربع: جنة عدن وهي الدرجة العليا، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة النعيم. كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها إلى بعض. ويقال: لم يرد بهذا التقدير، ولكنه أراد بذلك: أنها أوسع شيء رأيتموه. وقال السدي: لو كسرت السموات والأرض وصرن خردلاً، فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والأرض.

حدثنا محمد بن داود، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال:

حدثنا يعقوب، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد قال: «إن أدنى أهل الجنة يقال له: تَمَنُّ، فيقول: أعطني كذا أعطني كذا، حتى إذا لم يجد شيئاً يتمنى لَقِنَ فيقال له: قل كذا، قل كذا، فيقول. فيقال: له لك ذلك ومثله معه». وفي رواية أبي سعيد الخدري: «لك هذه وعشرة أمثالها معها».

ثم قال تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: الجنة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَيِّبِ الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٢)

ثم نعت المتقين فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إلى آخر الآية. نعت للمتقين. ويقال: إن كل نعت من ذلك هو نعت على حدة، فكأنه يقول: أعدت للمتقين للذين ﴿ينفقون من السراء﴾ إلى آخر الآية.

قوله: ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ يعني: ينفقون أموالهم في حال اليسر وفي حال العسر، وهذا قول الكلبي وقال مقاتل، والضحاك: في حال السعة والشدة. ويقال: في الصحة والمرض. ويقال: ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾، يعني: في حال الحياة. وفي ﴿الضراء﴾ يعني: بعد الموت. ويقال في سراء المسلمين في عرسهم وولائمهم، والضراء في نوائبهم ومآثمهم. ويقال: ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾ يعني: النفقة التي تسرِّكم، مثل النفقة على الأولاد والأقربين ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ النفقة على الأعداء والكاشحين. ويقال ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾ يعني: على الأغنياء يضيفهم ويهدي إليهم ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ يعني: على أهل الضر يتصدق عليهم.

وقال: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ﴾ يعني: المرذدين الغيظ في أجوافهم، وأصله في اللغة: كظم البعير إذا زَدَّ جِرَّتَهُ. ومعناه: الذين إذا أصابهم الغيظ تجاوزوا ولم يعاقبوا.

ثم قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال الكلبي: يعني: عن المملوكين. ويقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ بعد قدرتهم عليهم، فيعفو عنهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ من الأحرار والمملوكين، ويقال: الذين يحسنون بعد العفو ويزيدون عليه إحساناً. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ ثُمَّ لَمْ يَنْفِذْهُ رَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>، وفي خبر آخر: عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا»<sup>(٢)</sup>.

(١) عزاه السيوطي: ٣١٦/٢ إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي هريرة. وعزاه من حديث معاذ بن أنس إلى الترمذي وحسنه وأبي داود وأحمد والبيهقي في الشعب. أخرجه الترمذي (٢٠٢١) وأبو داود (٤٧٧٧) والبيهقي: ١٦٠/٨ وأحمد: ٤٤٠/٣.

(٢) نسبه صاحب موسوعة أطراف الحديث إلى أحمد ٤٣٨/٢ والدر العثور: ٩/٦.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ  
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ  
وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ نزلت في شأن رجل ثمار، جاءت امرأة تشتري منه تمراً، فأدخلها في حانوته وقبلها ثم ندم على ذلك، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت هذه الآية في رجل من امرأة أخيه في الله، وكان أخوه خرج غازياً، ثم ندم وتاب. ويقال: إنها نزلت في شأن بهلول النباش، تاب عن صنيعه فنزلت هذه الآية. فقال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ يعني: القُبلة واللمس. ويقال: الفاحشة كل فعل يستوجب به الحد في الدنيا ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ ما دون ذلك. ويقال: الفاحشة ما استوجب به النار، ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ ما استوجب به الحساب والحبس. وقال إبراهيم النخعي: الظلم هاهنا تفسير الفاحشة فكأنه يقول: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم﴾ ثم قال: ﴿ذكروا الله﴾ يعني: خافوا الله، ويقال: ذكروا مقامهم بين يدي الله، ويقال: ذكروا عذاب الله. ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ يعني: الاستغفار باللسان والندامة بالقلب. ويقال: الاستغفار باللسان بغير ندامة للقلب توبة الكذابين. وروي عن الحسن البصري أنه قال: «استغفارنا يحتاج إلى الاستغفار الكثير».

ثم قال تعالى: ﴿ومن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني: لا يغفر الذنوب إلا الله ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ يعني: لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية ﴿وهم يعلمون﴾ أنها معصية فلا يرجعون. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، فكأنه يقول: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴿أولئك﴾ يعني: أهل هذه الصفة ﴿جزاؤهم﴾ يعني: ثوابهم ﴿مغفرة من ربهم﴾ وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ يعني: نعم ثواب العاملين الجنة، وهو قول الكلبي. وقال مقاتل: نعم ثواب التائبين من الذنوب، الجنة.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلكم سنن﴾ يعني: قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج، فإذا اتبعوها رضي الله عنهم. قال الكلبي: قد مضت لكل أمة سنن بالهلاك فيمن كان قبلكم، ﴿فانظروا﴾: أي: فاعتبروا ﴿كيف كان جزاء المكذبين﴾. أي جزاء المكذبين وقال مقاتل نحو هذا، وقال: يخوف الله هذه الأمة بمثل عذاب الأمم الخالية. وقال السدي: ﴿فسيروا في الأرض﴾ يعني: اقرؤوا القرآن ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ لأن من لم يسافر فإنه لا

يعرف ذلك، وأما من قرأ القرآن فإنه يعرف ذلك. وقال الحسن: اقرؤوا القرآن وتدبروا فيه، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ رَهْدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٤) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ  
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا  
 بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس﴾ يعني: القرآن بيان للناس من الضلالة ﴿ورهدى﴾ من العمى ﴿وموعظة﴾ من الجهل، ويقال: ﴿هدى وموعظة﴾ أي: كرامة ورحمة للمؤمنين ﴿ولا تهنوا﴾ يعني: ولا تضعفوا وقيل: ولا تجبنوا، ويقال: ولا تغضبوا عن عدوكم.

ثم قال: ﴿ولا تحزنوا﴾ وقيل: يعني على ما أصابكم يوم أحد من القتل والهزيمة ﴿وانتم الأعلون﴾ يعني: الغالبون، يقول: آخر الأمر لكم. ويقال: ﴿وانتم الأعلون﴾ في الحجّة. ويقال: هذا وعد لأصحاب محمد ﷺ في المستأنف ﴿وانتم الأعلون﴾ يعني: الغالبون على الأعداء بعد أحد، فلم يخرجوا بعد ذلك في عسكر إلا ظفروا في عهد رسول الله ﷺ، وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ﷺ، إذا كان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم، فهذه البلدان كلها إنما فتحت في عهد أصحاب رسول الله ﷺ، ثم بعد انقراضهم ما فتحت بلدة على الوجه كما كانوا يفتحون في ذلك الوقت. ويقال: في هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه، لأنه قال لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨] وقال لهذه الأمة: ﴿وانتم الأعلون﴾ ويقال: اشتقت هذه اللفظة من اسم الله تعالى، لأن اسمه العلي الأعلى. وقال للمؤمنين: ﴿وانتم الأعلون﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إن كنتم مصدقين بوعد الله. ويقال: معناه إذ كنتم مؤمنين. ويقال: في الآية تقديم وتأخير، فكأنه قال: ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وانتم الأعلون.

ويقال: هذا وعد لهم بأنهم غالبون إن ثبتوا وصدقوا، فلو أنهم ثبتوا وصدقوا لغلبوا كما غلبوا يوم بدر، ولكنهم تركوا أمر رسول الله ﷺ فرجع الأمر عليهم. وكانت القصة في ذلك أنهم لما غلبوا المشركين يوم بدر، وأصابوا منهم ما أصابوا. وسنذكر في سورة الأنفال قصة بدر إن شاء الله تعالى، فرجع أبو سفيان بن حرب بالعمير إلى مكة، وانهزم المشركون، وذهب عكدة بن أبي جهل، ورجال أمييب أبنائهم وأباؤهم وإخوانهم بيد إلى أبي سفيان بن حرب رهو رئيس مكة، فكتموه، وأناه كل من كان له في ذلك العمير مال، فقالوا: إن محمداً قد قتل خياركم، فاستعينوا بهذا المال على حربه، ففعلوا. قال الضحاك: قد أعانهم أبو سفيان بمائة



راحلة وما يصلحها من السلاح والزاد، فسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل، وعليهم أبو سفيان بن حرب، وكان في القوم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وذلك قبل دخولهم في الإسلام، فلم يبق أحد من قريش إلا وقد خرج أهله معه وولده يجعلهم خلف ظهره ليقاتل عنهم. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «إني رأيت فيما يري الثائم كأن في سيفي ثلمة فأولئها مصيبة في نفسي، ورأيت بثوراً قد ذبحت، فأولئها قتلى في أصحابي، ورأيت كأنني أذخلت يدي في درع حصينة، فأولئها المدينة فأبشروا علي ما ترون». وكره الخروج إليهم، وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رسول الله ﷺ بأن لا يخرج، ولكنه كان منافقاً فقال: يا رسول الله لا تخرج إليهم فإنما ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه. فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة وغيرهم ممن فاتته بدر: اخرج يا رسول الله، لكي لا يرى أعداء الله أنا قد جئنا لهم أو ضعفنا عنهم. فلم يزالوا به حتى دخل وليس لأمته، ثم خرج النبي ﷺ إليهم وقد خرج العاص فقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا رسول الله: قد استكرهناك وما كان لنا ذلك، فإن شئت فاخرج، وإن شئت فاقعد. فقال النبي ﷺ: «ما ينبغي لنبي أن يضع سلاحه إذا لسنه حتى يقابل». فخرج رسول الله ﷺ، وسار إلى أحد، فانخذل عبد الله بن أبي ابن سلول. قال في رواية الكلبي: فرجع معه ثلث الناس، وبقي مع رسول الله ﷺ نحو سبعمائة رجل. وقال في رواية الضحاك: فانخذل في ستمائة رجل من اليهود، وبقي مع النبي ﷺ ألف رجل من المؤمنين الطيبين. ثم خرج رسول الله ﷺ حتى نزل بالشعب من أحد، وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: «لا تترخوا عن هذا الموضع، واتبئوا هاهنا إن كان الأمر علينا أو لنا». وقال في رواية الكلبي: كان الرماة خمسين رجلاً. وقال في رواية الضحاك: كانوا سبعين رجلاً. فجعل رسول الله ﷺ ظهره إلى أحد، ودنا المشركون وأخذوا في الحرب، وقامت هند امرأة أبي سفيان وصواحبها حين حميت الحرب يضربن بالدؤوف خلف قريش ويقلن:

نَحْنُ بِنَاتُ طَارِقِ      نَمِيشِي عَلَى الثَّمَارِقِ  
 إِنْ تُفِيلُوا نَعَانِقِ      أَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقِ  
 الْمَسْكُ فِي الْمَفَارِقِ      وَالذُّرُّ فِي الْمَحَارِقِ  
 فِرَاقِ غَيْبِرِ وَامِقِ

فقاتل أبو دجانة في نفر من المسلمين قتالاً شديداً، وقاتل علي بن أبي طالب حتى التوى سيفه، وقاتل سعد بن أبي وقاص، وكان النبي ﷺ يقول لسعد: «إزم فداك أبي وأمي»<sup>(١)</sup> فقتلوا

(١) حديث علي: أخرجه البخاري (٢٩٠٥) (٤٠٥٨) ومسلم (٢٤١١) والترمذي (٢٨٢٨) (٢٨٢٩) (٤٠٥٨) وأحمد: ١٤٤/١ وابن ماجه (١٢٩) والبيهقي (٣٩٢٠). وحديث سعد عند البخاري (٣٧٢٥) (٤٠٥٦) ومسلم (٢٤١٢) والترمذي (٢٨٣٠) وابن ماجه (١٣٠).

جماعة من المشركين، وَصَدَقَهُمُ اللهُ وَعَدَهُ وَأَنْزَلَ نَصْرَهُ، حتى كانت هزيمة القوم لا شك فيها، وكشفوهم عن معسكرهم. قال الزبير: رأيت هنداً وصواحبها هوارب، فلما نظر الرماة إلى القوم قد انهزموا أقبلوا على النهب، فقال لهم عبد الله بن جُبَيْر: لا تَبْرَحُوا عن هذا الموضع، فإن رسول الله ﷺ قد عَهَدَ إِلَيْكُمْ. فلم يلتفتوا إلى قوله، وظنوا أن المشركين قد انهزموا. فبقي عبد الله بن جبیر مع ثمانية نفر، فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من قبيل الشَّعْب، وقتلوا من بقي من الرماة، ودخلوا خلف أقبية المسلمين، وتفرق المسلمون، ورجع المشركون، وحملوا حملةً واحدة، فصار المسلمون ثلاثة أنواع: بعضهم جريح، وبعضهم قتل، وبعضهم منهزم.

وكان مصعب بن عمير يَدُبُّ عن رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ دونه، ثم قام زياد بن السكن فقاتل بين يدي رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ، وخلص الحربُ إلى رسول الله ﷺ، وقذف بالحجارة حتى وقع بشفتيه، وأصيبت رباعيته، وكَلِمَتُ شَفْتِهِ، وأدمي ساقه. فقال سفیان بن عيينة: لقد أصيب مع رسول الله ﷺ نحو ثلاثين رجلاً، كلهم جثوا بين يدي رسول الله. أو قال: يتقدم بين يديه. ثم يقول: وجهي لوجهك الوقاء، ونفسي لنفسك الغداء، وعليك سلام الله غير مودع. فرجع الذي قتل مصعب بن عمير، فظن أنه كان رسول الله ﷺ. فقال للمشركين: قتلتم محمداً. فصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتِل. ويقال: كان ذلك إبليس لعنه الله، فولى المسلمون هاربين متحيرين، وجاء إبليس لعنه الله ونادى في المدينة: ألا إن محمداً قد قتل وأخذت النسوة في البكاء في البيوت، فأقبل أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رجالٍ من المهاجرين والأنصار، فقال لهم: ما يُحْبِسُكُمْ؟ قالوا: قتل محمد. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا كراماً على ما مات عليه نبيكم ﷺ. ثم أقبل نحو العدو، فقاتل حتى قتل.

قال كعب بن مالك: فأول من كنت عرفت من المسلمين، عرفت رسول الله ﷺ، عرفت عينيه من تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ. فأشار إليَّ بأنَّ اسكت. وقال أنس بن مالك: قد شجَّ وجه رسول الله ﷺ، وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضِبُوا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالذَّمِّ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَيْبِهِ». ويقال: إن أصحابه لما اجتمعوا قالوا: يا رسول الله، لو دعوت الله على هؤلاء الذين صنعوا بك؟ فقال ﷺ: «لَمْ أَبْعَثْ طَعْمَاناً وَلَا لَعْنَاناً، وَلَكِنْ يُعْبَثُ ذَاغِباً وَرَحْمَةً اللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» فجاهه أبيض خلف الجمحي وهو يقول: يا محمد لا نُجِوثُ إن نجوت مني، فهم المسلمون به، فقال لهم. «ذُؤُوهُ» حتى دنا منه، فتناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ورماه به، فخدشه في عنقه خدشاً غير كثير، وقد كان قبل ذلك لقي رسول الله ﷺ بمكة وقال: عندي فرس أعلفه كل يوم فرق ذرة، أفنلك عليه. فقال له رسول

الله ﷺ: «بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فلما خدشه رسول الله ﷺ في عنقه رجع إلى قريش وهو يقول: قتلني محمد. فقالوا له: ما بك من طعن. فقال: بلى، لقد قال لي: أنا أقتلك، والله لو بصر علي بعد تلك المقالة لقتلني. فمات قبل أن يصل إلى مكة في الطريق.

وكان رسول الله ﷺ واقفاً عند أحد وقد اجتمع إليه بعض أصحابه، فعلت عليه من قريش في الجبل فقال رسول الله ﷺ: «لَا يُثْبِتِي لَهُمْ أَنْ يَغْلِبُونَا». فأقبل عمر ورهط من المهاجرين، فقاتلوه حتى أهبطوهم من الجبل. وقد كان جبير بن مطعم قال لمملوك له يقال له وحشي: إن أنت قتلت محمداً جعلت لك أعنة الخيل، وإن أنت قتلت علي بن أبي طالب جعلت لك مائة ناقة كلها سود الحدقة، وإن أنت قتلت حمزة فأنت حرٌّ. فقال وحشي: أما محمد فعليه حافظ من الله لا يخلص إليه أحد، وأما عليّ فما برز إليه رجل إلا قتله، وأما حمزة فرجل شجاع، فمسي أن أصادفه في غزته فاقتله مكانه. وكانت هند كلما مرّ بها وحشي أو مرّت به، قالت له: إيهأ أبا دسمة، اشبّ واستشف. فكمن وحشي خلف صخرة وكان حمزة قد حمل على قوة من المشركين فلما رجع من حملته مرّ بوحشي وهو خلف الصخرة، فزرقه بالمزراق فأصابه فسقط، فذهبت هند ابنة عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى، يبدغن الآذان والأنوف، وشقّت هند بطن حمزة وأخذت كبده ومضغته، ثم صعدت هند على صخرة وهي تنادي بأعلى صوتها: نُحْنُ جَزَيْنَاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ. وأقبل أبو سفيان وهو يصرخ بأعلى صوته: اعلْ هُبْلُ يَوْمًا يَوْمَ بَدْرٍ. فقال النبي ﷺ لعمر: «أَجِبْنِي يَا عُمَرُ». فأجاب عمر: «الله أعلى وأجل لا سواه، قتلانا في الجنة وقتلاك في النار».

ثم ركب النبي ﷺ بغلته، وظاهر بين درعيه، وأخرج يده من جيب الدرع، وسلّ سيفه ذا الفقار، وياشر القتال بنفسه، وحمل على المشركين والتأم إليه المسلمون فأعانوه، وهزم الله جمع المشركين، وقتل يومئذ من المسلمين سبعون رجلاً: أربعة نفر من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار. وقتل يومئذ من المشركين تسعة عشر رجلاً أو أكثر، وكثرت القروح في أصحاب رسول الله ﷺ، فعزّاهم الله تعالى: في ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْسَنُكُمْ فَرْحًا﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر والكسائي وحمزة: ﴿فَرْحًا﴾ بضم القاف والباقون بالنصب. قال الفراء: الفَرْحُ والفَرْحُ واحد. ويقال: ﴿الفَرْحُ﴾ بالنصب مصدر، و﴿الفَرْحُ﴾ بالضم اسم. ويقال: الفَرْحُ بالنصب الجراحة بعينها، والفَرْحُ بالضم ألم الجراحة. يعني: أصابتكم الجراحات يوم أحد ﴿فقد من القوم فرح مثله﴾ يقول: قد أصاب المشركين جراحات مثلها يوم بدر. ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ يقول: يوم لكم ويوم عليكم، وهذا كما يقال في الأمثال: الأيام ذول والحرب سجال.

ثم بيّن المعنى الذي يداول مرة لهم ومرة عليهم، فقال تعالى: ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ يعني: يبيّن المؤمن من المنافق أنهم يشكون في دينهم أم لا، لأن المؤمن المخلص يتبين حاله

عند الشدة والبلايا. وهذا كما روي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: «الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلايا، والاختبار من الله تعالى إظهار ما علم منه من قبل، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني ليبين الله الذين يعلم إيمانهم، لأنه يعطى الثواب بما يظهر منه لا بما يعلم منه، وكذلك العقوبة. ألا ترى أنه عليم من إبليس المعصية في المستأنف ثم لم يلعه ما لم يظهر منه؟

ثم قال تعالى: ﴿وَيُخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني: لكي يتخذ منكم شهداء، وإنما كان لأجل ذلك، لا لأجل حب الكفار ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي الجاحدين.

﴿وَلِيَمْحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيَمْحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: لكي يطهر المؤمنين ويكفر ذنوبهم. والتمحيص في اللغة: الاختبار والتطهير. والله بين أنه يُدالو الأيام بين الناس لكي يظهر المؤمن من المنافق، ويكرم بعض المؤمنين بالشهادة لينالوا ثواب الشهداء، وقد ذكر ثوابهم بعد هذا في هذه السورة، وليكفر ذنوبهم.

ثم قال: ﴿وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ يعني: يهلكهم ويستأصلهم، لأنهم يجترون فيخرجون مرة أخرى فيستأصلهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْمُرُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١١٢﴾  
﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ قال مقاتل: بين للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء في ذات الله لكي يصبروا ويحتسبوا. فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ يقول: أظننتم أن تدخلوا الجنة بغير شيء قبل أن تصيبكم الشدة في ذات الله؟ فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَغْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ قال مقاتل: أي ولما يرى الله الذين جاهدوا منكم. ويقال: ولما يظهر جهاد الذين جاهدوا منكم ﴿وَيَعْلَمَ الضَّٰبِرِينَ﴾ الذين يصبرون عند البلاء. ويقال: ويعلم الصابرين الكافرين أي: غير الفارين عن القتال.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ وذلك أنه لما وصف لهم الله تعالى بما نزل بشهداء بدر من الكرامة، فقالوا: ليتنا نجد قتالاً فنقتل في ذلك لكي نصيب مثل ما أصابوا، فلما لقوا القتال يوم أحد هربوا، فعاتبهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ يعني: القتال والشهادة من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يوم أحد ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى السيوف فيها الموت. وقال الزجاج: معناه ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ القتال، لأن القتال سبب الموت، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾، يعني: وأنتم بصراء، كقولك: رأيت كذا وكذا ولم يكن في عينك علة. ويقال:

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى محمد ﷺ. وقال القتيبي: ﴿قَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعني: أسبابه، وهو السيف.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَإِنَّ لِلَّهِ مِنْ شَيْءٍ غَصْبًا وَسِيجًا﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ لأنهم هربوا حين سمعوا بقتله، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ كسائر الرسل ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يعني: مثله ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يعني: رجعتم إلى دينكم الشرك. ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ يعني: يرجع إلى الشرك بعد الإسلام ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ يقول: لن ينتقص من ملكه وسلطانه شيء، وإنما يضر نفسه ﴿وَسِيجًا﴾ يعني: الموحدين الله في الآخرة الجنة. ويقال: ﴿وَسِيجًا﴾ للمؤمنين المجاهدين الجنة.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْتُمْ مُؤْتَلِفًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزَى الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿وَلَا يَنْبَغِي قَتْلَ مَعْرِيَّتَيْنِ كَثِيرًا فَمَا وَهَرُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَنَتَّبِعْ أَمْرًا نَأْتِيهِمْ مِنْ أَلْفَاظٍ عَلَىٰ أَلْقَابِهِمْ﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿فَاتَّخَذُوا ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ يعني: قبل أجلها ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْتُمْ مُؤْتَلِفًا﴾ يقول: في موتها كتاباً موجلاً في اللوح المحفوظ، فلا يسبق أجله. وقال الزجاج: قوله ﴿كِتَابًا مُؤْتَلِفًا﴾، أي: كتب كتاباً ذا أجل، وهو الوقت المعلوم، وذكر الكتاب على معنى التأكيد. وفي هذه الآية إيصال قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكل ما ذبح من الحيوان كان هالكاً قبل أجله، لا يجب على القاتل القصاص والدية في الأدمي والضمآن في الحيوان ولو كان بأجلٍ لما وجب شيء، بقتله، وقلنا: قد بين الله تعالى في هذه الآية أنه لا تهلك نفس قبل أجلها.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ قال الكلبي: يعني يريد ثواب الدنيا بالعمل الذي افترض الله عليه ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يعني: نعطه ما أحبب فيها، وما له في الآخرة من نصيب ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَتَجْزَى الشَّاكِرِينَ﴾ في الآخرة. ومعناه: أن عمله للرب لا يكون له في الآخرة ثواب. ومن الناس من قال: إن الرباء يدخل في النوافل، ولا يدخل في الفرائض، لأن الفرائض واجبة على جميع الناس. وقال بعضهم: يدخل في الفرائض ولا يدخل في النوافل، لأنه لو لم يأت بها لا يؤاخذ بها، فإذا أتى بهذا القدر ليس عليه غير

ذلك . وقال بعضهم : كلاهما سواء ، فالرياء يدخل في الفرائض والنوافل جميعاً . وهذا القول أصح . لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا قَاتِلُونَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ قَاتِلُونَ كَمَا كُنَّا يُرَاكِبُونَ النَّاسَ ﴾ [النساء : ١٤٢] .

ثم إن الله تعالى أخبرهم بما لقيت الأنبياء والمؤمنون قبلهم ، فيعزيهم ليصبروا فقال تعالى سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ ﴾ قرأ ابن كثير ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ بمد الألف والهمزة ، وقرأ الباقون ﴿ كَأَيِّنْ ﴾ بغير مد وفتح الهمزة وباء مكسورة مشددة ، ومعناها واحد و﴿ كَأَيِّنْ ﴾ للتكثير . وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ ﴾ ، بضم القاف وكسر التاء . وقرأ الباقون : ﴿ قَاتَلَ ﴾ . فمن قرأ ﴿ قَاتَلَ ﴾ فمعناه : كم من نبي قاتل معه جموع كثيرة . ومن قرأ ﴿ قَاتَلَ ﴾ معناه : وكم من نبي قتل وقتل ﴿ مَعَهُ ﴾ جماعة كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ قال الكلبي : الربية الواحدة : عشرة آلاف . وقال الزجاج : هاهنا قراءتان ﴿ رَبِّيُّونَ ﴾ بضم الراء ، ﴿ وَرَبِّيُّونَ ﴾ بالكسر ، أما بالضم : الجماعة الكثيرة ، ويقال : عشرة آلاف ، وأما الرَّبِّيُّونَ بالكسر ، العلماء الأتقياء الصبراء على ما يصيبهم في الله . ويقال : وكأين من نبي قتل يعني : كم من نبي قتل وكان معه ربيون كثير . ﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ بعد قتلِه عن القتال ، وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم ﴿ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَمُفُوا ﴾ لعدوهم ، ويقال : وما جنوا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا اسْتَكْبَرُوا ﴾ يقول : وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ فكانه يقول للمؤمنين : فهلا قاتلتم مع نبيكم ﷺ وبعد قتله وإن قتل ، كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم إذا أصيبت أنبيائهم .

ثم أخبر عن قول الذين قاتلوا مع النبيين فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ ﴾ عند قتل أنبيائهم ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أي دون الكبائر ﴿ وَأَسْرَفْنَا فِي أُمُورِنَا ﴾ العظام من الذنوب ﴿ وَوَيْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ عند القتال ﴿ وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ معناه : هلاً قتلتم كما قالوا ، وقاتلتم كما قاتلوا . وقرأ بعضهم ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ ﴾ بالضم ، والمعنى في ذلك : أنه جعل القول اسم كان ، فيكون معناه : وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا . ومن قرأ بالنصب ، جعل القول خبر كان ، وجعل الاسم ما بعده .

قوله تعالى : ﴿ فَأَنَاهُمْ ﴾ بما قالوا . يقول : أعطاهم الله ﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ بالنعمة والنصرة ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ أي : الجنة ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المؤمنين المجاهدين .

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا خِسِرِينَ ﴿١٥١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : المنافقين ﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾ كفاراً بعد الإيمان ﴿ فتقلبوا خاسرين ﴾ إلى دينكم الأول ﴿ بل الله مولاكم ﴾ يقول :



أطيعوا الله فيما بأمركم، هو مولاكم يعني: وليكم وناصركم ﴿وهو خير الناصرين﴾ أي المانعين من كفار مكة.

﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة: ﴿الرُّعْبَ﴾ بتسكين العين. وقرأ ابن عامر والكسائي: ﴿الرُّعْبَ﴾ بضم العين. وأصله الضم، إلا أنه إذا اجتمع ضمتان حذف إحداهما عند من قرأ بالجزم. ومعنى الآية: سنلقى الهيبة في قلوب المشركين، وذلك بعد هزيمة المؤمنين، فذف الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فانهمزموا إلى مكة. ويقال: حين سعد خالد بن الوليد الجبل، قصد رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ فرجع خالد منهزماً. ويقال: عنى به يوم الأحزاب، ألقى في قلوبهم الرعب فانهمزموا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ يعني بأنهم أشركوا بالله ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: كتاباً فيه عذر وحجة لهم بالشرك ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ يعني: مصيرهم إلى النار في الآخرة ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني: وبئس مَثْوَى المشركين النار.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنَيْهِمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَعَصَيْبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْأَدْنَى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿١٨٢﴾ ﴿١٨٣﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿١٩٣﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿١٩٥﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿١٩٧﴾ ﴿١٩٨﴾ ﴿١٩٩﴾ ﴿٢٠٠﴾ ﴿٢٠١﴾ ﴿٢٠٢﴾ ﴿٢٠٣﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿٢٠٦﴾ ﴿٢٠٧﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿٢٠٩﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿٢١١﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿٢١٤﴾ ﴿٢١٥﴾ ﴿٢١٦﴾ ﴿٢١٧﴾ ﴿٢١٨﴾ ﴿٢١٩﴾ ﴿٢٢٠﴾ ﴿٢٢١﴾ ﴿٢٢٢﴾ ﴿٢٢٣﴾ ﴿٢٢٤﴾ ﴿٢٢٥﴾ ﴿٢٢٦﴾ ﴿٢٢٧﴾ ﴿٢٢٨﴾ ﴿٢٢٩﴾ ﴿٢٣٠﴾ ﴿٢٣١﴾ ﴿٢٣٢﴾ ﴿٢٣٣﴾ ﴿٢٣٤﴾ ﴿٢٣٥﴾ ﴿٢٣٦﴾ ﴿٢٣٧﴾ ﴿٢٣٨﴾ ﴿٢٣٩﴾ ﴿٢٤٠﴾ ﴿٢٤١﴾ ﴿٢٤٢﴾ ﴿٢٤٣﴾ ﴿٢٤٤﴾ ﴿٢٤٥﴾ ﴿٢٤٦﴾ ﴿٢٤٧﴾ ﴿٢٤٨﴾ ﴿٢٤٩﴾ ﴿٢٥٠﴾ ﴿٢٥١﴾ ﴿٢٥٢﴾ ﴿٢٥٣﴾ ﴿٢٥٤﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿٢٥٦﴾ ﴿٢٥٧﴾ ﴿٢٥٨﴾ ﴿٢٥٩﴾ ﴿٢٦٠﴾ ﴿٢٦١﴾ ﴿٢٦٢﴾ ﴿٢٦٣﴾ ﴿٢٦٤﴾ ﴿٢٦٥﴾ ﴿٢٦٦﴾ ﴿٢٦٧﴾ ﴿٢٦٨﴾ ﴿٢٦٩﴾ ﴿٢٧٠﴾ ﴿٢٧١﴾ ﴿٢٧٢﴾ ﴿٢٧٣﴾ ﴿٢٧٤﴾ ﴿٢٧٥﴾ ﴿٢٧٦﴾ ﴿٢٧٧﴾ ﴿٢٧٨﴾ ﴿٢٧٩﴾ ﴿٢٨٠﴾ ﴿٢٨١﴾ ﴿٢٨٢﴾ ﴿٢٨٣﴾ ﴿٢٨٤﴾ ﴿٢٨٥﴾ ﴿٢٨٦﴾ ﴿٢٨٧﴾ ﴿٢٨٨﴾ ﴿٢٨٩﴾ ﴿٢٩٠﴾ ﴿٢٩١﴾ ﴿٢٩٢﴾ ﴿٢٩٣﴾ ﴿٢٩٤﴾ ﴿٢٩٥﴾ ﴿٢٩٦﴾ ﴿٢٩٧﴾ ﴿٢٩٨﴾ ﴿٢٩٩﴾ ﴿٣٠٠﴾ ﴿٣٠١﴾ ﴿٣٠٢﴾ ﴿٣٠٣﴾ ﴿٣٠٤﴾ ﴿٣٠٥﴾ ﴿٣٠٦﴾ ﴿٣٠٧﴾ ﴿٣٠٨﴾ ﴿٣٠٩﴾ ﴿٣١٠﴾ ﴿٣١١﴾ ﴿٣١٢﴾ ﴿٣١٣﴾ ﴿٣١٤﴾ ﴿٣١٥﴾ ﴿٣١٦﴾ ﴿٣١٧﴾ ﴿٣١٨﴾ ﴿٣١٩﴾ ﴿٣٢٠﴾ ﴿٣٢١﴾ ﴿٣٢٢﴾ ﴿٣٢٣﴾ ﴿٣٢٤﴾ ﴿٣٢٥﴾ ﴿٣٢٦﴾ ﴿٣٢٧﴾ ﴿٣٢٨﴾ ﴿٣٢٩﴾ ﴿٣٣٠﴾ ﴿٣٣١﴾ ﴿٣٣٢﴾ ﴿٣٣٣﴾ ﴿٣٣٤﴾ ﴿٣٣٥﴾ ﴿٣٣٦﴾ ﴿٣٣٧﴾ ﴿٣٣٨﴾ ﴿٣٣٩﴾ ﴿٣٤٠﴾ ﴿٣٤١﴾ ﴿٣٤٢﴾ ﴿٣٤٣﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾ ﴿٣٤٨﴾ ﴿٣٤٩﴾ ﴿٣٥٠﴾ ﴿٣٥١﴾ ﴿٣٥٢﴾ ﴿٣٥٣﴾ ﴿٣٥٤﴾ ﴿٣٥٥﴾ ﴿٣٥٦﴾ ﴿٣٥٧﴾ ﴿٣٥٨﴾ ﴿٣٥٩﴾ ﴿٣٦٠﴾ ﴿٣٦١﴾ ﴿٣٦٢﴾ ﴿٣٦٣﴾ ﴿٣٦٤﴾ ﴿٣٦٥﴾ ﴿٣٦٦﴾ ﴿٣٦٧﴾ ﴿٣٦٨﴾ ﴿٣٦٩﴾ ﴿٣٧٠﴾ ﴿٣٧١﴾ ﴿٣٧٢﴾ ﴿٣٧٣﴾ ﴿٣٧٤﴾ ﴿٣٧٥﴾ ﴿٣٧٦﴾ ﴿٣٧٧﴾ ﴿٣٧٨﴾ ﴿٣٧٩﴾ ﴿٣٨٠﴾ ﴿٣٨١﴾ ﴿٣٨٢﴾ ﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٤﴾ ﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾ ﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾ ﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾ ﴿٣٩٤﴾ ﴿٣٩٥﴾ ﴿٣٩٦﴾ ﴿٣٩٧﴾ ﴿٣٩٨﴾ ﴿٣٩٩﴾ ﴿٤٠٠﴾ ﴿٤٠١﴾ ﴿٤٠٢﴾ ﴿٤٠٣﴾ ﴿٤٠٤﴾ ﴿٤٠٥﴾ ﴿٤٠٦﴾ ﴿٤٠٧﴾ ﴿٤٠٨﴾ ﴿٤٠٩﴾ ﴿٤١٠﴾ ﴿٤١١﴾ ﴿٤١٢﴾ ﴿٤١٣﴾ ﴿٤١٤﴾ ﴿٤١٥﴾ ﴿٤١٦﴾ ﴿٤١٧﴾ ﴿٤١٨﴾ ﴿٤١٩﴾ ﴿٤٢٠﴾ ﴿٤٢١﴾ ﴿٤٢٢﴾ ﴿٤٢٣﴾ ﴿٤٢٤﴾ ﴿٤٢٥﴾ ﴿٤٢٦﴾ ﴿٤٢٧﴾ ﴿٤٢٨﴾ ﴿٤٢٩﴾ ﴿٤٣٠﴾ ﴿٤٣١﴾ ﴿٤٣٢﴾ ﴿٤٣٣﴾ ﴿٤٣٤﴾ ﴿٤٣٥﴾ ﴿٤٣٦﴾ ﴿٤٣٧﴾ ﴿٤٣٨﴾ ﴿٤٣٩﴾ ﴿٤٤٠﴾ ﴿٤٤١﴾ ﴿٤٤٢﴾ ﴿٤٤٣﴾ ﴿٤٤٤﴾ ﴿٤٤٥﴾ ﴿٤٤٦﴾ ﴿٤٤٧﴾ ﴿٤٤٨﴾ ﴿٤٤٩﴾ ﴿٤٥٠﴾ ﴿٤٥١﴾ ﴿٤٥٢﴾ ﴿٤٥٣﴾ ﴿٤٥٤﴾ ﴿٤٥٥﴾ ﴿٤٥٦﴾ ﴿٤٥٧﴾ ﴿٤٥٨﴾ ﴿٤٥٩﴾ ﴿٤٦٠﴾ ﴿٤٦١﴾ ﴿٤٦٢﴾ ﴿٤٦٣﴾ ﴿٤٦٤﴾ ﴿٤٦٥﴾ ﴿٤٦٦﴾ ﴿٤٦٧﴾ ﴿٤٦٨﴾ ﴿٤٦٩﴾ ﴿٤٧٠﴾ ﴿٤٧١﴾ ﴿٤٧٢﴾ ﴿٤٧٣﴾ ﴿٤٧٤﴾ ﴿٤٧٥﴾ ﴿٤٧٦﴾ ﴿٤٧٧﴾ ﴿٤٧٨﴾ ﴿٤٧٩﴾ ﴿٤٨٠﴾ ﴿٤٨١﴾ ﴿٤٨٢﴾ ﴿٤٨٣﴾ ﴿٤٨٤﴾ ﴿٤٨٥﴾ ﴿٤٨٦﴾ ﴿٤٨٧﴾ ﴿٤٨٨﴾ ﴿٤٨٩﴾ ﴿٤٩٠﴾ ﴿٤٩١﴾ ﴿٤٩٢﴾ ﴿٤٩٣﴾ ﴿٤٩٤﴾ ﴿٤٩٥﴾ ﴿٤٩٦﴾ ﴿٤٩٧﴾ ﴿٤٩٨﴾ ﴿٤٩٩﴾ ﴿٥٠٠﴾ ﴿٥٠١﴾ ﴿٥٠٢﴾ ﴿٥٠٣﴾ ﴿٥٠٤﴾ ﴿٥٠٥﴾ ﴿٥٠٦﴾ ﴿٥٠٧﴾ ﴿٥٠٨﴾ ﴿٥٠٩﴾ ﴿٥١٠﴾ ﴿٥١١﴾ ﴿٥١٢﴾ ﴿٥١٣﴾ ﴿٥١٤﴾ ﴿٥١٥﴾ ﴿٥١٦﴾ ﴿٥١٧﴾ ﴿٥١٨﴾ ﴿٥١٩﴾ ﴿٥٢٠﴾ ﴿٥٢١﴾ ﴿٥٢٢﴾ ﴿٥٢٣﴾ ﴿٥٢٤﴾ ﴿٥٢٥﴾ ﴿٥٢٦﴾ ﴿٥٢٧﴾ ﴿٥٢٨﴾ ﴿٥٢٩﴾ ﴿٥٣٠﴾ ﴿٥٣١﴾ ﴿٥٣٢﴾ ﴿٥٣٣﴾ ﴿٥٣٤﴾ ﴿٥٣٥﴾ ﴿٥٣٦﴾ ﴿٥٣٧﴾ ﴿٥٣٨﴾ ﴿٥٣٩﴾ ﴿٥٤٠﴾ ﴿٥٤١﴾ ﴿٥٤٢﴾ ﴿٥٤٣﴾ ﴿٥٤٤﴾ ﴿٥٤٥﴾ ﴿٥٤٦﴾ ﴿٥٤٧﴾ ﴿٥٤٨﴾ ﴿٥٤٩﴾ ﴿٥٥٠﴾ ﴿٥٥١﴾ ﴿٥٥٢﴾ ﴿٥٥٣﴾ ﴿٥٥٤﴾ ﴿٥٥٥﴾ ﴿٥٥٦﴾ ﴿٥٥٧﴾ ﴿٥٥٨﴾ ﴿٥٥٩﴾ ﴿٥٦٠﴾ ﴿٥٦١﴾ ﴿٥٦٢﴾ ﴿٥٦٣﴾ ﴿٥٦٤﴾ ﴿٥٦٥﴾ ﴿٥٦٦﴾ ﴿٥٦٧﴾ ﴿٥٦٨﴾ ﴿٥٦٩﴾ ﴿٥٧٠﴾ ﴿٥٧١﴾ ﴿٥٧٢﴾ ﴿٥٧٣﴾ ﴿٥٧٤﴾ ﴿٥٧٥﴾ ﴿٥٧٦﴾ ﴿٥٧٧﴾ ﴿٥٧٨﴾ ﴿٥٧٩﴾ ﴿٥٨٠﴾ ﴿٥٨١﴾ ﴿٥٨٢﴾ ﴿٥٨٣﴾ ﴿٥٨٤﴾ ﴿٥٨٥﴾ ﴿٥٨٦﴾ ﴿٥٨٧﴾ ﴿٥٨٨﴾ ﴿٥٨٩﴾ ﴿٥٩٠﴾ ﴿٥٩١﴾ ﴿٥٩٢﴾ ﴿٥٩٣﴾ ﴿٥٩٤﴾ ﴿٥٩٥﴾ ﴿٥٩٦﴾ ﴿٥٩٧﴾ ﴿٥٩٨﴾ ﴿٥٩٩﴾ ﴿٦٠٠﴾ ﴿٦٠١﴾ ﴿٦٠٢﴾ ﴿٦٠٣﴾ ﴿٦٠٤﴾ ﴿٦٠٥﴾ ﴿٦٠٦﴾ ﴿٦٠٧﴾ ﴿٦٠٨﴾ ﴿٦٠٩﴾ ﴿٦١٠﴾ ﴿٦١١﴾ ﴿٦١٢﴾ ﴿٦١٣﴾ ﴿٦١٤﴾ ﴿٦١٥﴾ ﴿٦١٦﴾ ﴿٦١٧﴾ ﴿٦١٨﴾ ﴿٦١٩﴾ ﴿٦٢٠﴾ ﴿٦٢١﴾ ﴿٦٢٢﴾ ﴿٦٢٣﴾ ﴿٦٢٤﴾ ﴿٦٢٥﴾ ﴿٦٢٦﴾ ﴿٦٢٧﴾ ﴿٦٢٨﴾ ﴿٦٢٩﴾ ﴿٦٣٠﴾ ﴿٦٣١﴾ ﴿٦٣٢﴾ ﴿٦٣٣﴾ ﴿٦٣٤﴾ ﴿٦٣٥﴾ ﴿٦٣٦﴾ ﴿٦٣٧﴾ ﴿٦٣٨﴾ ﴿٦٣٩﴾ ﴿٦٤٠﴾ ﴿٦٤١﴾ ﴿٦٤٢﴾ ﴿٦٤٣﴾ ﴿٦٤٤﴾ ﴿٦٤٥﴾ ﴿٦٤٦﴾ ﴿٦٤٧﴾ ﴿٦٤٨﴾ ﴿٦٤٩﴾ ﴿٦٥٠﴾ ﴿٦٥١﴾ ﴿٦٥٢﴾ ﴿٦٥٣﴾ ﴿٦٥٤﴾ ﴿٦٥٥﴾ ﴿٦٥٦﴾ ﴿٦٥٧﴾ ﴿٦٥٨﴾ ﴿٦٥٩﴾ ﴿٦٦٠﴾ ﴿٦٦١﴾ ﴿٦٦٢﴾ ﴿٦٦٣﴾ ﴿٦٦٤﴾ ﴿٦٦٥﴾ ﴿٦٦٦﴾ ﴿٦٦٧﴾ ﴿٦٦٨﴾ ﴿٦٦٩﴾ ﴿٦٧٠﴾ ﴿٦٧١﴾ ﴿٦٧٢﴾ ﴿٦٧٣﴾ ﴿٦٧٤﴾ ﴿٦٧٥﴾ ﴿٦٧٦﴾ ﴿٦٧٧﴾ ﴿٦٧٨﴾ ﴿٦٧٩﴾ ﴿٦٨٠﴾ ﴿٦٨١﴾ ﴿٦٨٢﴾ ﴿٦٨٣﴾ ﴿٦٨٤﴾ ﴿٦٨٥﴾ ﴿٦٨٦﴾ ﴿٦٨٧﴾ ﴿٦٨٨﴾ ﴿٦٨٩﴾ ﴿٦٩٠﴾ ﴿٦٩١﴾ ﴿٦٩٢﴾ ﴿٦٩٣﴾ ﴿٦٩٤﴾ ﴿٦٩٥﴾ ﴿٦٩٦﴾ ﴿٦٩٧﴾ ﴿٦٩٨﴾ ﴿٦٩٩﴾ ﴿٧٠٠﴾ ﴿٧٠١﴾ ﴿٧٠٢﴾ ﴿٧٠٣﴾ ﴿٧٠٤﴾ ﴿٧٠٥﴾ ﴿٧٠٦﴾ ﴿٧٠٧﴾ ﴿٧٠٨﴾ ﴿٧٠٩﴾ ﴿٧١٠﴾ ﴿٧١١﴾ ﴿٧١٢﴾ ﴿٧١٣﴾ ﴿٧١٤﴾ ﴿٧١٥﴾ ﴿٧١٦﴾ ﴿٧١٧﴾ ﴿٧١٨﴾ ﴿٧١٩﴾ ﴿٧٢٠﴾ ﴿٧٢١﴾ ﴿٧٢٢﴾ ﴿٧٢٣﴾ ﴿٧٢٤﴾ ﴿٧٢٥﴾ ﴿٧٢٦﴾ ﴿٧٢٧﴾ ﴿٧٢٨﴾ ﴿٧٢٩﴾ ﴿٧٣٠﴾ ﴿٧٣١﴾ ﴿٧٣٢﴾ ﴿٧٣٣﴾ ﴿٧٣٤﴾ ﴿٧٣٥﴾ ﴿٧٣٦﴾ ﴿٧٣٧﴾ ﴿٧٣٨﴾ ﴿٧٣٩﴾ ﴿٧٤٠﴾ ﴿٧٤١﴾ ﴿٧٤٢﴾ ﴿٧٤٣﴾ ﴿٧٤٤﴾ ﴿٧٤٥﴾ ﴿٧٤٦﴾ ﴿٧٤٧﴾ ﴿٧٤٨﴾ ﴿٧٤٩﴾ ﴿٧٥٠﴾ ﴿٧٥١﴾ ﴿٧٥٢﴾ ﴿٧٥٣﴾ ﴿٧٥٤﴾ ﴿٧٥٥﴾ ﴿٧٥٦﴾ ﴿٧٥٧﴾ ﴿٧٥٨﴾ ﴿٧٥٩﴾ ﴿٧٦٠﴾ ﴿٧٦١﴾ ﴿٧٦٢﴾ ﴿٧٦٣﴾ ﴿٧٦٤﴾ ﴿٧٦٥﴾ ﴿٧٦٦﴾ ﴿٧٦٧﴾ ﴿٧٦٨﴾ ﴿٧٦٩﴾ ﴿٧٧٠﴾ ﴿٧٧١﴾ ﴿٧٧٢﴾ ﴿٧٧٣﴾ ﴿٧٧٤﴾ ﴿٧٧٥﴾ ﴿٧٧٦﴾ ﴿٧٧٧﴾ ﴿٧٧٨﴾ ﴿٧٧٩﴾ ﴿٧٨٠﴾ ﴿٧٨١﴾ ﴿٧٨٢﴾ ﴿٧٨٣﴾ ﴿٧٨٤﴾ ﴿٧٨٥﴾ ﴿٧٨٦﴾ ﴿٧٨٧﴾ ﴿٧٨٨﴾ ﴿٧٨٩﴾ ﴿٧٩٠﴾ ﴿٧٩١﴾ ﴿٧٩٢﴾ ﴿٧٩٣﴾ ﴿٧٩٤﴾ ﴿٧٩٥﴾ ﴿٧٩٦﴾ ﴿٧٩٧﴾ ﴿٧٩٨﴾ ﴿٧٩٩﴾ ﴿٨٠٠﴾ ﴿٨٠١﴾ ﴿٨٠٢﴾ ﴿٨٠٣﴾ ﴿٨٠٤﴾ ﴿٨٠٥﴾ ﴿٨٠٦﴾ ﴿٨٠٧﴾ ﴿٨٠٨﴾ ﴿٨٠٩﴾ ﴿٨١٠﴾ ﴿٨١١﴾ ﴿٨١٢﴾ ﴿٨١٣﴾ ﴿٨١٤﴾ ﴿٨١٥﴾ ﴿٨١٦﴾ ﴿٨١٧﴾ ﴿٨١٨﴾ ﴿٨١٩﴾ ﴿٨٢٠﴾ ﴿٨٢١﴾ ﴿٨٢٢﴾ ﴿٨٢٣﴾ ﴿٨٢٤﴾ ﴿٨٢٥﴾ ﴿٨٢٦﴾ ﴿٨٢٧﴾ ﴿٨٢٨﴾ ﴿٨٢٩﴾ ﴿٨٣٠﴾ ﴿٨٣١﴾ ﴿٨٣٢﴾ ﴿٨٣٣﴾ ﴿٨٣٤﴾ ﴿٨٣٥﴾ ﴿٨٣٦﴾ ﴿٨٣٧﴾ ﴿٨٣٨﴾ ﴿٨٣٩﴾ ﴿٨٤٠﴾ ﴿٨٤١﴾ ﴿٨٤٢﴾ ﴿٨٤٣﴾ ﴿٨٤٤﴾ ﴿٨٤٥﴾ ﴿٨٤٦﴾ ﴿٨٤٧﴾ ﴿٨٤٨﴾ ﴿٨٤٩﴾ ﴿٨٥٠﴾ ﴿٨٥١﴾ ﴿٨٥٢﴾ ﴿٨٥٣﴾ ﴿٨٥٤﴾ ﴿٨٥٥﴾ ﴿٨٥٦﴾ ﴿٨٥٧﴾ ﴿٨٥٨﴾ ﴿٨٥٩﴾ ﴿٨٦٠﴾ ﴿٨٦١﴾ ﴿٨٦٢﴾ ﴿٨٦٣﴾ ﴿٨٦٤﴾ ﴿٨٦٥﴾ ﴿٨٦٦﴾ ﴿٨٦٧﴾ ﴿٨٦٨﴾ ﴿٨٦٩﴾ ﴿٨٧٠﴾ ﴿٨٧١﴾ ﴿٨٧٢﴾ ﴿٨٧٣﴾ ﴿٨٧٤﴾ ﴿٨٧٥﴾ ﴿٨٧٦﴾ ﴿٨٧٧﴾ ﴿٨٧٨﴾ ﴿٨٧٩﴾ ﴿٨٨٠﴾ ﴿٨٨١﴾ ﴿٨٨٢﴾ ﴿٨٨٣﴾ ﴿٨٨٤﴾ ﴿٨٨٥﴾ ﴿٨٨٦﴾ ﴿٨٨٧﴾ ﴿٨٨٨﴾ ﴿٨٨٩﴾ ﴿٨٩٠﴾ ﴿٨٩١﴾ ﴿٨٩٢﴾ ﴿٨٩٣﴾ ﴿٨٩٤﴾ ﴿٨٩٥﴾ ﴿٨٩٦﴾ ﴿٨٩٧﴾ ﴿٨٩٨﴾ ﴿٨٩٩﴾ ﴿٩٠٠﴾ ﴿٩٠١﴾ ﴿٩٠٢﴾ ﴿٩٠٣﴾ ﴿٩٠٤﴾ ﴿٩٠٥﴾ ﴿٩٠٦﴾ ﴿٩٠٧﴾ ﴿٩٠٨﴾ ﴿٩٠٩﴾ ﴿٩١٠﴾ ﴿٩١١﴾ ﴿٩١٢﴾ ﴿٩١٣﴾ ﴿٩١٤﴾ ﴿٩١٥﴾ ﴿٩١٦﴾ ﴿٩١٧﴾ ﴿٩١٨﴾ ﴿٩١٩﴾ ﴿٩٢٠﴾ ﴿٩٢١﴾ ﴿٩٢٢﴾ ﴿٩٢٣﴾ ﴿٩٢٤﴾ ﴿٩٢٥﴾ ﴿٩٢٦﴾ ﴿٩٢٧﴾ ﴿٩٢٨﴾ ﴿٩٢٩﴾ ﴿٩٣٠﴾ ﴿٩٣١﴾ ﴿٩٣٢﴾ ﴿٩٣٣﴾ ﴿٩٣٤﴾ ﴿٩٣٥﴾ ﴿٩٣٦﴾ ﴿٩٣٧﴾ ﴿٩٣٨﴾ ﴿٩٣٩﴾ ﴿٩٤٠﴾ ﴿٩٤١﴾ ﴿٩٤٢﴾ ﴿٩٤٣﴾ ﴿٩٤٤﴾ ﴿٩٤٥﴾ ﴿٩٤٦﴾ ﴿٩٤٧﴾ ﴿٩٤٨﴾ ﴿٩٤٩﴾ ﴿٩٥٠﴾ ﴿٩٥١﴾ ﴿٩٥٢﴾ ﴿٩٥٣﴾ ﴿٩٥٤﴾ ﴿٩٥٥﴾ ﴿٩٥٦﴾ ﴿٩٥٧﴾ ﴿٩٥٨﴾ ﴿٩٥٩﴾ ﴿٩٦٠﴾ ﴿٩٦١﴾ ﴿٩٦٢﴾ ﴿٩٦٣﴾ ﴿٩٦٤﴾ ﴿٩٦٥﴾ ﴿٩٦٦﴾ ﴿٩٦٧﴾ ﴿٩٦٨﴾ ﴿٩٦٩﴾ ﴿٩٧٠﴾ ﴿٩٧١﴾ ﴿٩٧٢﴾ ﴿٩٧٣﴾ ﴿٩٧٤﴾ ﴿٩٧٥﴾ ﴿٩٧٦﴾ ﴿٩٧٧﴾ ﴿٩٧٨﴾ ﴿٩٧٩﴾ ﴿٩٨٠﴾ ﴿٩٨١﴾ ﴿٩٨٢﴾ ﴿٩٨٣﴾ ﴿٩٨٤﴾ ﴿٩٨٥﴾ ﴿٩٨٦﴾ ﴿٩٨٧﴾ ﴿٩٨٨﴾ ﴿٩٨٩﴾ ﴿٩٩٠﴾ ﴿٩٩١﴾ ﴿٩٩٢﴾ ﴿٩٩٣﴾ ﴿٩٩٤﴾ ﴿٩٩٥﴾ ﴿٩٩٦﴾ ﴿٩٩٧﴾ ﴿٩٩٨﴾ ﴿٩٩٩﴾ ﴿١٠٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وذلك أنهم لما أخذوا في الحرب انهزم المشركون، فلما أخذ بعض المسلمين في النهب والغارة، رجع الأمر عليهم وانهزم المسلمون، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾. ﴿إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنَيْهِمْ﴾ يقول: تقتلونهم بأمره. وقال



القتبي: ﴿نحسونهم﴾ يعني: تستأصلونهم بالقتل، يقال: جراد محسوس إذا قتله البرد.  
قوله تعالى: ﴿حتى إذا فشلتم وتنازعتم﴾ يعني: جَبْتُمْ من عدوكم، واختلقتم في الأمر  
﴿وعصيتهم﴾ أمر الرسول ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ يعني: أراكم الله ﴿ما تحبون﴾ من  
النصرة على عدوكم، وهزيمة الكفار والغنيمة.

ثم قال تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعني: يطلب الغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾  
وهم الذين ثبتوا عند المشركين حتى قتلوا. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «كنا لا  
نعرف أن أحداً يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية، فَعَلِمْنَا أن فينا من يريد الدنيا» ﴿ثُمَّ صَرَّفْنَاكُمْ  
عَنَّهُمْ﴾ بالهزيمة من بعد أن أظفركم عليهم ﴿لِيَتْلِيَكُمْ﴾ بمعصية الرسول بالقتل والهزيمة ﴿ولقد  
عفا﴾ الله ﴿عنكم﴾ ولم يعاقبكم عند ذلك، فلم تقتلوا جميعاً ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ في عفوه وإنعامه  
﴿على المؤمنين﴾ بالعفو والإنعام.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ يعني: إلى الجبل هارين، حيث صعدوا الجبل منهزمين من  
العدو، وكان رسول الله ﷺ يدعوهم: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ» فلم يلتفت إليه أحد،  
حتى أتوا على الجبل. فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ يعني: الجبل، وهذا قول الكلبي.  
وقال الضحاك: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ في الوادي منهزمين. وقال القتبي: يعني تبعدون في الهزيمة في  
الوادي، يقال: أصعد في الجبل إذا أمرع في الهزيمة. وقرأ الحسن: ﴿تَصْعَدُونَ﴾ بنصب التاء،  
أي: تَصْعَدُونَ الجبل. وقرأ العامة بضم التاء.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ يقول: ولا تقيمون على رسول الله ﷺ، ويقال:  
لا يقيم بعضكم على بعض ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ﴾ يقول: مِنْ خَلْفِكُمْ ﴿فَأَتَابِكُمْ غَمًّا  
بِغَمٍ﴾ يقول: جعل ثوابكم غمًّا على غمٍّ، ويقال: غمًّا متصلاً بالغم. فأما الغم الأول: فإشراف  
خالد بن الوليد بخيل المشركين وهم في ذلك الجبل، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: الغم  
الأول ما فاتهم من الفتح والغنيمة، فاجتمعوا وكانوا يذكرون فيما بينهم ما أصابهم في ذلك  
اليوم. والغم الثاني: إذ صعد خالد بن الوليد، فلما عاينوه أذعُرْهُمْ ذلك، أي: خوفهم ذلك،  
فأنساهم ما كانوا فيه من الحزن، فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَكْتَلِبَا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة  
والفتح ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة. ويقال: الغم الأول: الجرح والقتل، والغم  
الثاني: أنهم سمعوا بأن النبي ﷺ قد قتل فأنساهم الغم الأول.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعني: لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجازيكم بها.  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا﴾ الأمانة في اللغة: الأمن. قال  
الكلبي: إذا أمن القوم نعسوا. وقال الضحاك: النعاس عند القتال أَمْنَةٌ من الله تعالى. ويقال:  
الذي يصيبه الغم والهزيمة لا يكون له شيء أحسن من النعاس، فيذهب عنه همه، فأصاب القوم  
النعاس، فذهب عنهم الغم وأمنوا.

قوله تعالى: ﴿يَغْفِي طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني: النعاس يغشى ويعلو ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ من كان من أهل الصدق واليقين. قرأ حمزة والكسائي: ﴿تغشى﴾ بالتاء. وقرأ الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء انصرف إلى قوله ﴿أَمَنَةً﴾، ومن قرأ بالياء يكون نعتاً للنعاس.

ثم قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: أهل النفاق. وقال الكلبي: هو معتب بن قشير وأصحابه ﴿يَنْظُرُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ يعني: أنهم يظنون أن لا ينصر الله محمداً وأصحابه ﴿ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ قال الكلبي: يعني كظنهم في الجاهلية. وقال مقاتل: ظن الجاهلية كظن جهال المشركين، مثل أبي سفيان وأصحابه ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: النصر والفتح ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ يعني: النصر والغنيمة كله من الله ﴿يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: يُسِرُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يعني: يقولون ما لا يظهرون لك ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا﴾ يقولون: لو كان ديننا ما قتلنا. ﴿هَا هُنَا﴾ قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه: يقولون: هل لنا من الأمر من شيء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وقال الضحاك: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بضم اللام، والباقون بالنصب. فمن رفع جعله اسماً مستأنفاً، ومن نصب جعله نعتاً للأمر.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ يقول: لظهر. ويقال: لخرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ أي: قُضِيَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي إلى مواضع مصارعهم. معناه: أنهم وإن لم يخرجوا إلى العدو وقد قضى الله عليهم بالقتل، لخرجوا إلى مواضع قتلهم لا محالة، حتى ينفذ فيهم القضاء.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِيَتْلِيَهُ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني: ليختبر ويظهر ما في صدوركم ﴿وَلِيَمُنَّحَصَّ﴾ يعني: ليظهر ويكفر ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الذنوب ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعني: بما في القلوب من الخير والشر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

ثم نزل في المنهزمين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ يقول: انهزموا منكم ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين، وجمع المشركين ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ قال القتيبي: ﴿استزلهم﴾ يعني: طلب زلتهم، كما يقال: استعجلت فلاناً، أي طلبت عجلته، واستعملته أي: طلبت عمله. ويقال: زَيَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ يعني: الذي أصابهم كان بأعمالهم كما قال في آية أخرى ﴿وَمَا اسْزَلَكُمْ مِنْ مِصْبِحِكُمْ فَسَمًا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ﴾ [التورئ: ۳۰]. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ حيث لم يستأصلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة.

قال: حَدَّثَنَا الخليل بن أحمد، قال: حَدَّثَنَا السراج، قال: حَدَّثَنَا قتيبة، قال: حَدَّثَنَا أبو بكر بن غيلان عن جرير، أن عثمان بن عفان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال له عبد الرحمن: أَنْسَبُنِي وقد شهدت بدرًا ولم تشهداها؟ وباعت تحت الشجرة ولم تُبَاع؟ وقد كنت توليت فيمن تولى يوم الجمع، أي يوم أحد؟ فردَّ عليه عثمان وقال: أما قولك إنك شهدت بدرًا ولم أشهد، فإني لم أعب عن شيء شهده رسول الله ﷺ، إلا أن ابنة رسول الله ﷺ كانت مريضة فكنت معها أمرضها، وضرب لي رسول الله ﷺ بسهم في سهام المسلمين. وأما بيعة الشجرة، فبعتني رسول الله ﷺ ردًا على المشركين بمكة، فضرب رسول الله ﷺ يمينه على شماله فقال: **هَذِهِ لِيُثْمَانٌ**، فيمين رسول الله ﷺ وشماله إلي خير من يميني وشمالي. وأما يوم الجمع فقال الله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** فكتبت فيمن عفا الله عنهم. فخصم عثمان عبد الرحمن بن عوف (١).

**يَتَّيَبُّوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ أَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكُمْ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾**

قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا** يقول: كما نقفي أهل الكتاب **وقالوا لإخوانهم** من المنافقين: **إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ** يقول: ساروا في الأرض تجاراً مسافرين، فماتوا في سفرهم **أَوْ كَانُوا غُرَىٰ** يعني: خرجوا في الغزو فقتلوا. قال القتيبي: **غُرَىٰ** جمع غاز، مثل صائم وضوم، ونائم ونوم وعافي وعفى **لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا** بالمدينة **مَا مَاتُوا** في سفرهم **وَمَا قُتِلُوا** في الغزو **لِيَجْمَلَ اللَّهُ ذَلِكَ** الظن **حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ** ويقال: جعل الله ذلك القول **حسرة في قلوبهم** لأنه ظهر نفاقهم. وقال الضحاك: **ليجعل الله ذلك حسرة** في قلوب المنافقين، لأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في أشجار الجنان حيث شاءت. وأرواح قتلى المنافقين في حواصل طير سود تسرح في الجحيم.

ثم قال تعالى: **وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ** يعني: يحيي في السفر ويميت في الحضر، ويحيي في الحضر ويميت في السفر. ويقال: والله يحيي قلوب المؤمنين ويميت قلوب الكافرين، وقيل: يحيي قلوب المؤمنين بالنصر والخروج إلى الغزو، ويميت قلوب المنافقين بالتخلف وسوء ظن. وقال الضحاك: يعني يحيي من أحيا من نطفة بقدرته، ويميت من أمات بعزته وسلطانه. **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** قرأ عبد الله بن كثير وحزمة والكسائي: **يعملون** بالياء على معنى المغاية. وقرأ الباقون: بالياء، ومعناه: قل لهم: والله بما تعملون بصير.

(١) عزاء السيوطي ٣٥٦/٢ إلى أحمد وابن المنذر.

﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾  
 وَلَيْنَ مُمْتٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ فِيمَا رَحِمَ مِنَّا اللَّهُ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ  
 الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ  
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ يعني: إن متم في إقامتكم، أو قتلتم في سبيل الله وأنتم مؤمنون ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: ونعمة وجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يا معشر المنافقين في الدنيا من الأموال. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: ﴿مُمْتٌ﴾ بضم الميم في جميع القرآن، والباقون بكسرهما، وهما لغتان ومعناها واحد. ثم قال: ﴿وَلَيْنَ مُمْتٌ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الغزو ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ بعد الموت. قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ بالياء على معنى المغايبه. وقرأ الباقيون: بالتاء على معنى المخاطبة.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ يقول: فبرحمة من الله، وما صلة، فالله تعالى ذكر مثله أن جعل رسوله رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين، فقال: ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنَ اللَّهِ﴾ يا محمد ﴿لَيْتَ لَهُمْ﴾ جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ يعني: خشناً في القول غليظ القلب ﴿لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: لتفرقوا من عندك، والله جعلك سهلاً سهلاً سَمِحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً، هكذا قال الضحاك.

ثم قال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عنهم، ولا تعاقبهم بما يكون منهم من الزلة والذنب ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ من ذلك الذنب ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يقول: إذا أردت أن تعمل عملاً فاعمل بتدبيرهم ومشاورتهم، ويقال: ناظرهم في الأمر. ويقال: ناظرهم عند القتال. وروي عن عبد الله بن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ لأنه كان يشاورهم فيما لم ينزل عليه الوحي فيه، وكان النبي ﷺ عاقلاً ذا رأي، ولكنه أمر بالمشورة ليقْتَدِيَ به غيره، ولأن في المشاورة يتوَدَّد لأصحابه، لأنه إذا شاورهم يتوَدَّد قلوبهم. وفي المشورة أيضاً ترك الملامة، لأنه يقول: فعلت كذا بمشاورتكم. وروى سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا شَقِي عَبْدٌ قَطُّ بِمَشُورَةٍ وَمَا سَعِدَ عَبْدٌ بِاسْتِغْنَاءِ رَأْيٍ».

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: لا تتكل على المشورة، ولكن توكل على الله بعد المشورة، لا على الأصحاب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ الذين يتوكلون على الله. ﴿إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

ثم أخير عز وجل أن النصره كلها من الله، فقال: **﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾** يقول إن يمنكم الله **﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾** من العدو يعني: يوم بدر **﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾** يعني: يوم أحد **﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾** يعني: من يمنكم من عدوكم **﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾** يعني: فليتنقوا الوثاقون في النصره ويقال: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، لأنهم عرفوا أنه لا ناصر لهم غيره.. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر **﴿مُتَمِّمٌ﴾** بضم الميم في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان ومعناها واحد<sup>(١)</sup>..

**﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلُ وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ قَوَّى كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** **﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ يَضُونَ اللَّهُ كَمَا بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَمَنْ أَلْمَصِيرُ﴾** **﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾** قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: **﴿يُغْلُ﴾** بنصب الباء. وقرأ الباقون: **﴿يُغْلُ﴾** بضم الباء ونصب الغين. فمن قرأ بالنصب معناه: وما كان لنبي أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ بالضم فمعناه: لا ينبغي لنبي أن ينسب إلى الغلول. وذلك أنه لما كان يوم أحد أخذوا في النهب والغارة وتركوا القتال، وخافوا أن تفتوتهم الغنيمة، وظنوا أن من أخذ شيئاً يكون له، وأن النبي ﷺ لا يقسم لهم، فنزلت هذه الآية: **﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾** يقول: ما جاز لنبي أن يخون في الغنيمة، وما جاز لأصحابه أن ينسبوه إلى الخيانة.

ثم قال: **﴿ومن يغفل﴾** يعني: يخون في الغنيمة **﴿يأت بما عل يوم القيامة﴾** يعني: يحمله على ظهره. وهذا كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **﴿لأحرفن أحدكم يوم القيامة يأتي على عقبه شاة لها ثغاء، فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً﴾**<sup>(٢)</sup> يريد: أن من غل شاة أو بقرة أتى بها يوم القيامة يحملها. ويقال: من غل شيئاً في الدنيا، يمثل له يوم القيامة في النار، ثم يقال له: انزل إليه فخذه، فيهبط إليه فإذا انتهى إليه حمله، فكلمنا انتهى به إلى الباب سقط منه إلى أسفل جهنم، فيرجع فيأخذه فلا يزال هكذا ما شاء الله. ويقال: **﴿يأت بما عل﴾** يعني: تشهد عليه يوم القيامة تلك الخيانة والغلول، ويقال: هذا على سبيل التمثيل **﴿يأت بما عل﴾** يعني: يأتي بوباله، فيكون وباله على عنقه كما قال في آية أخرى: **﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾** [الأنعام: ٣١].

(١) ما بين معقوفتين ساقط من نسخة «ه».

(٢) هو جزء من حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) وأحمد ٤٢٦/٢ والبيهقي ٩/

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُؤْتِي كُلَّ نَفْسٍ﴾ يعني: توفى وتجازى كل نفس ما عملت من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني: لا يفتنون من ثواب أعمالهم شيئاً.

ثم قال: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ قال الكلبي: يعني أفمن أخذ الحلال من الغنيمة ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخِطِ بِنِ اللَّهِ﴾ يعني: كمن استوجب سخطاً من الله بأخذ الغلول من الغنائم. ثم بين مستقر من غل من الغنيمة ومن أخذ من الحلال، فقال لمن غل: ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الذي صاروا إليه يعني: النار. وقال لمن أخذ من الحلال: ﴿هُمُ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: لهم درجات عند الله في الجنة، ويقال: هم ذوو درجات عند الله ﴿وَاللَّهُ بِصَبِيرٍ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني: بمن غلّ وبمن لم يغلّ. وقال النبي: هم طبقات عند الله في الفضل، فبعضهم أرفع من بعض. وقال أبو عبيدة والكسائي: لهم درجات عند الله، ويقال لمن لم يغلّ: درجات في الجنة، ولمن غلّ: دركات في النار.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أنعم الله على المؤمنين ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: من أصلهم ونسبهم من العرب، يعرفون نسبه. ويقال: ﴿مَنْ أَنْفَسَهُمْ﴾، يعني: من جنسهم من بني آدم، ولم يجعله من الملائكة. وإنما خاطب بذلك المؤمنين خاصة، لأن المؤمنين هم الذين صدقوه فكانه منهم. وقرىء في الشاذ: ﴿مَنْ أَنْفَسَكُمْ﴾ بنصب الفاء، يعني: من أشرفهم. وقد كانت له فضيلة في ثلاثة أشياء: أحدها: أنه كان من نسب شريف لأنهم اتفقوا أن العرب أفضل، ثم من العرب قريش، ثم من قريش بنو هاشم، فجعله من بني هاشم. والثاني: أنه كان أميراً فيهم قبل الوحي. والثالث: أنه كان أميراً لكي لا يرتاب فيه الافعال.

ثم قال: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: يعرض عليهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعني: يأخذ منهم الزكاة ليظهر أموالهم، ويقال: يعني يطهرهم من الذنوب والشرك. ويقال: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعني: يأمرهم بكلمة الإخلاص، وهي قول: لا إله إلا الله.

ثم قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: الفقه وبيان الحلال والحرام ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعني: وقد كانوا من قبل مجيء محمد ﷺ لفي خطأ بين.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتِكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



ثم رجع إلى قصة أحد وذكر التعزية للمؤمنين بما أصابهم من الجراحات، فقال: ﴿أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةً﴾ يوم أحد ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يوم بدر، لأن المسلمين يوم بدر قتلوا سبعين نفساً من صناديد قريش، وأسروا سبعين. وقتل من المسلمين يوم أحد سبعين ولم يؤسر منهم أحد، فذلك قوله: ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ وقوله: ﴿أَوْ لِمَا﴾ فالألف للاستفهام والواو للعطف، وما صلة، فكانه يقول: ولئن متم أو قتلتم أو أصابتكم مصيبة يوم أحد، قد أصبتم مثلها يوم بدر ﴿قَلْتُمْ أَنِّي هَذَا﴾ يعني: قلتم: فمن أين لنا هذا؟ وكيف أصابنا هذا ونحن مسلمون؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: من عند قومكم بمعصية الرماة، بتركهم ما أمرهم به رسول الله ﷺ. وقال الضحّاك: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني: بذنوبكم التي سلفت منكم قبل القتال، يعني: أن في ذلك تطهيراً لما سلف من ذنوبكم وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصرة والهزيمة.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا فَنُقِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ لَوْ تَمَالَأْنَا تَلَبَّعْنَاهُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَمَّا عَوْنًا مَا قَاتِلُوا قُلْ قَادِرُوا عَلَيْنَا أَنُصِبَكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿فَيَا ذِينَ اللَّهِ﴾، أي فبإرادة الله أصابكم ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ يعني: أصابتكم المصيبة لكي يظهر المؤمن من المنافق.

ثم بين أمر المنافقين وصنيعهم وقلة حسبتهم في أمر الجهاد، فقال: ﴿وقيل لهم تمالؤا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ يعني: إن لم تقاتلوا لوجه الله، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وحریمکم. قال الكلبي: ويقال ﴿ادفعوا﴾ يعني: كثروا. وقال القتيبي: ﴿ادفعوا﴾، أي كثروا لأنكم إذا كثرتم دفعتم القوم بكثرتكم ﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾ يعني: لجننا معكم. قال الضحّاك: وذلك أن النبي ﷺ لما خرج يوم أحد، أبصر كتيبة خنساء وفيها كيبكة من الناس، فقال: ﴿مَنْ هَؤُلَاءِ؟﴾ فقيل: يا نبي الله، هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي. فقال: ﴿إِنَّا لَا نَسْتَمِينُ بِالْكَفَّارِ﴾ فرجع عبد الله مع حلفائه من اليهود. فقال له عمر: أقم مع المؤمنين. فقال: ﴿لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾.

قال الله تعالى: ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ يعني: ميلهم إلى الكفر أقرب من ميلهم إلى الإيمان. ويقال: عونهم للكفار أكثر من عونهم للمؤمنين ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ ذكر الأفواه على معنى التأكيد، لأن الرجل قد يقول بالمجاز بالإشارة، وهذا كما



قال: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] و ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق والكفر.

ونزل فيهم أيضاً: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ من المنافقين ﴿وَقَمَدُوا﴾ عن الجهاد ﴿لِرِطَابِ الْأَرْضِ﴾ في القعود عن الجهاد ﴿مَا قِيلُوا﴾ أي في الغزو ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿فَادْرُؤُوا عَنِ أَنْفُسِكُمْ﴾ في حال حضر ﴿الموت إن كنتم صادقين﴾ في مقاتلتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَادْرُؤُوا عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسْتَشِيرُونَ﴾ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾ يَتَعَمَّرُونَ مِنَ اللَّهِ وَقَضِي وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

ثم نزل في شأن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: في طاعة الله ﴿أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من التحف. وذلك أن المسلمين كانوا يقولون مات فلان ومات فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وهذا قول الكلبي. ويقال: ولا تظن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً كسائر الأموات ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ يعني: هم كالأحياء عند ربهم، لأنه يكتب لهم أجورهم إلى يوم القيامة، فكانهم أحياء في الآخرة. ويقال: لا يظن بهم كما يظن الكفار بهم أنهم لا يعيشون، بل يعيّنهم الله ويقال: أرواحهم في المنزلة والكرامة بمنزلة الأحياء. وروى عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ حُضْرٍ، تَرُدُّ أَنهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مُنْقَلَبِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ، وَرَأَوْا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانِنَا عَلِمُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمَا نُحْسِنُ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، فَلَمْ يَنْكَلُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَمْ يَجْتَبُوا عِنْدَ الْقِتَالِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنَّاكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ﴾ يعني: معجبين ﴿بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من رزقة في الجنة ﴿وَيَسْتَشِيرُونَ﴾ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم من بعدهم أن يأتوهم.

ثم رجع إلى الشهداء فقال تعالى: ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من الدنيا. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بنصب السين في جميع القرآن. وقرأ الباقون: بالكسر. وقرأ ابن عامر: ﴿فَقُتِلُوا﴾ بتشديد التاء على معنى التكثير: أنهم يقتلون واحداً فواحداً، وقرأ الباقون بالتخفيف.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ يقول: بجنة من الله، ويقال: بمغفرة من الله ﴿وَفَضْلٍ﴾ يعني: الكرامات في الجنة. وروي عن مجاهد أنه قال: السيوف مفاتيح الجنة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ». قال الفقيه: أروي هذا الحديث بمعناه لا بلفظه، إن الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات، لم يكرم بها أحد من الأنبياء ولا أنا، إحداها: أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذي سيقبض روحي، وأما الشهداء فالله تعالى هو الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء، ولا يسלט على أرواحهم ملك الموت. والثانية: أن جميع الأنبياء قد عُسَلُوا بعد الموت، وأنا أُعَسَلُ بعد الموت، وأما الشهداء فلا يغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا. والثالثة: أن جميع الأنبياء قد كَفَنُوا وأنا أكفن أيضاً، والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم. والرابعة: أن الأنبياء لما ماتوا فقد سُئِمُوا أمواتاً، وإذا مت أنا يقال: قد مات؛ والشهداء لا يُسْمُونَ موتي. والخامسة: أن الأنبياء تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة، وشفاعتي أيضاً يوم القيامة، وأما الشهداء فيشفع لهم كل يوم من يستشفعون.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ الكسائي: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكسر الألف، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه: يستبشرون بنعمة من الله، ويستبشرون بأن الله لا يضيع ثواب المؤمنين الموحدين. ومن قرأ بالكسر على معنى الابتداء: إن الله لا يبطل ثواب عمل الموحدين. وهذا الخبر للترغيب في الشهداء. وأما الشهداء والأولياء فيشفع لهم، لا يبلغون درجة الأنبياء. ومن قال إنهم يبلغون درجة الإباحة، ومن أنكر كرامات الأولياء، فهو معتزلي<sup>(١)</sup>..

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِمْ وَأَقْبَلُوا أَجْرَ عَظِيمٍ﴾<sup>(١٧٦)</sup> الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ<sup>(١٧٧)</sup> فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَاقْبَلُوهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ دُو فَضْلِهِ عَظِيمٍ<sup>(١٧٨)</sup> إِنَّمَا ذَلِكَ الْكَيْدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَكِنْ لَا يَأْتِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْعَذَابُ إِذْ كَانُوا كَأَنَّهم مُؤْمِنِينَ<sup>(١٧٩)</sup> ﴿

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال في رواية الكلبي: وذلك أن أبا سفيان حين رجع من أحد، نادى فقال: يا محمد، إن الموعد بيننا وبينك بدر الصغرى، فقال ﷺ لعمر: «قُلْ لَهُ ذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ». ثم ندم أبو سفيان، فقال لنعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجارة: إذا أتيت المدينة، فخوفهم لكيلا يخرجوا. فلما قدم نعيم المدينة قال: إن أبا سفيان قد جمع خلقاً كثيراً، فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج إليهم وتناقلوا،

(١) ما بين مقوفتين ساقط من نسخة «أ».

فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ منهم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرُجُنَّ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعِي مِنْكُمْ أَخَذَهُ» قال: فمضى رسول الله ﷺ للميعاد، ومعه نحواً من سبعين رجلاً، حتى أتتهوا إلى ذلك الموضع، وكان هنالك سوق فلم يخرج أحد من أهل مكة، فتسوقوا من السوق حاجتهم وانصرفوا، فنزل قوله تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» يعني: بعدما أصابتهم الجراحات يوم أحد «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ» أي: الذين أوفوا الميعاد «وَاتَّقُوا» السخط في معصية رسول الله ﷺ لهم «أَجْرٌ عَظِيمٌ» أي ثواب كثير.

قوله تعالى: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» يعني: نعيم بن مسعود، وإنما أراد به جنس الناس، وكان رجلاً واحداً «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» يعني: أبا سفيان وأصحابه «فَاخْشَوْهُمْ» يعني: ولا تخرجوا إليهم «فزادهم إيماناً» يعني: تصديقاً، ويقيناً، وجرأة على القتال «وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» يعني: ثقنا بالله، وأيقنوا أن الله لا يخذل محمداً ﷺ «ونعم الوكيل» أي: ونعم الثقة لنا. «فانقلبوا» أي انصرفوا «بنعمة من الله» يعني: بأجر من الله «وفضل» يعني: ما تسوقوا به من السوق، واشتروا الأشياء بسعر رخيص «لم يمسههم سوء» يعني: قتال «واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» يعني: ذو من عظيم. وقال في رواية الضحاك: كان ذلك يوم أحد، لما انهزمت قريش ونزلت في مواضع، وكثرت الجراحات في أصحاب محمد ﷺ، فهم رسول الله ﷺ بالخروج إليهم، فأجابه سبعون رجلاً، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: «إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ» يعني: نعيم بن مسعود، لأن كل عاب متبرّد شيطان يخوف أوليائه، يعني: بأوليائه الكفار. ويقال: يخوف أشكاله. وقال الزجاج: «إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ» يعني: ذلك التخويف عمل الشيطان، يخوفكم بأوليائه. وقال القنبي: «يخوف أوليائه» يعني: بأوليائه، كما قال: «يُسْتَنْزَرُ بِأَسَا سَدِيدًا» [الكهف: ٢] أي لينذركم بأس شديد.

ثم قال تعالى: «فَلَا تَخَافُوهُمْ» في الخروج «وِخَافُونَ» في القعود «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أي مصدقين. قال الزجاج: معناه، إن كنتم مصدقين، فقد أعلمتكم أنني أنصركم عليهم.

«وَلَا يَضُرُّكَ الَّذِينَ يُسَدِّعُونَ فِي الْكُفْرِ» إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: «وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» قال الكلبي: يعني به المنافقين ورؤساء اليهود، كنتموا صفة محمد ﷺ في الكتاب فنزل: «وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ». ويقال: إن أهل الكتاب لما لم يؤمنوا، شق ذلك على رسول الله ﷺ، لأن الناس ينظرون إليهم ويقولون: إنهم أهل الكتاب، فلو كان قوله حقاً لاتبعوه. فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في مشركي قريش لأنهم كانوا أقرباءه، والناس يقولون: لو كان قوله حقاً لاتبعوه أقرباؤه، فشق ذلك عليه فنزلت «وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» يعني: يبادرون في

الكفر ولا يصدقونك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ يعني: لن ينقصوا من ملك الله وسلطانه شيئاً بكفرهم وهذا كما روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قَالَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ أَوْلِيَّكُمْ وَأَجْرُكُمْ وَجِئْتُمْ وَإِنْسُكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَنْفِي قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِ اللَّهِ شَيْئاً، وَلَوْ كَانَ أَوْلِيَّكُمْ وَأَجْرُكُمْ وَجِئْتُمْ وَإِنْسُكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِ اللَّهِ جَنَاحٌ بِمَوْضِعَةٍ».

ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ يعني: نصيباً في الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. وقرأ نافع: ﴿وَلَا يُخْزِنُكَ﴾ بضم الباء وكسر الزاي، وكذلك ما كان نحو هذا في جميع القرآن إلا في قوله: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ۱۰۳] وقرأ الباقون بنصب الباء وضم الزاي، وهما لغتان وتفسيرهما واحد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْكُرُوا لَكَ كَفَرُوا بِالْإِيمَانِ لَنْ يُضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا﴾ يعني: اختاروا ﴿الكفر﴾ على الإيمان ﴿لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ يقول: لن ينقصوا من ملك الله شيئاً، وإنما أضروا بأنفسهم حيث استوجبوا لأنفسهم العذاب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَلَا يَخْزِيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا نَمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: لا يظنن الكفار أن الذي نملي لهم ونمهلهم خير لهم، ويقال: ما نعطيهم من المال والولد لا يظنن أن ذلك خير لهم في الآخرة، يعني: إنما نعطيهم المال والولد لأجل ذلك استدراجاً، بل هو شر لهم في الآخرة. ﴿إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي يهانون فيه. ويقال: ﴿إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ﴾، أي ونؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثمًا، أي جرأة على المعاصي، وإنما كان ذلك مجازة لكفرهم وخبث نياتهم. ويقال: إنما نملي لهم ما أصابوا من الظفر يوم أحد، لم يكن ذلك خيراً لأنفسهم، وإنما كان ذلك ليزدادوا عقوبة. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ بَرَّ وَلَا فَاجِرٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بَرًّا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ۱۹۸] وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نَمَلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِسْمًا﴾ قَرَأَ حَمْزَةُ بْنُ عَامِرٍ: ﴿لَا تَجْسِبَنَّ﴾ بِالتَّاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ كَذَلِكَ الَّذِي بَعْدَ هَذَا.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَاتِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَىٰ الظُّلْمِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَابْنَا وَبِئْسَ رُسُلًا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَسَوْفَ لَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ قال الكلبي: وذلك أن قريشاً من أهل مكة من المشركين، قالوا: يا رسول الله إنك تزعم أن الرجل منا في النار، وإذا ترك ديننا واتبع دينك، قلت: هو من أهل الجنة، فأخبرنا عن هذا من أين هو؟ وأخبرنا من يأتيك منا، ومن لا يأتيك مثلاً؟ فأنزله الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الكفر والمنافق. ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ يقول: حتى يخلص الكافر من المؤمنين ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ يعني: ليبين لكم المؤمن من الكافر قبل أن يؤمن. قال الفراء: لم يكن الله ليُعلم أو يُطلع على غيبه. ﴿ولكن الله يجتبي﴾ يقول: يصطفي ﴿من رسله من يشاء﴾ للنبوّة والرسالة من خلقه، فيوحى إليه بإذنه. قال في رواية الضحاك: إن المنافقين أعلنوا الإسلام وأسروا الكفر، وصلوا وجاهدوا مع المؤمنين، فأحب الله أن يميز بين الفريقين، وأن يدل رسوله على سرائر المنافقين فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يعني: المنافق من المؤمن ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ ولكن الله يُطلع أنبياءه ورسله يعني: أن المؤمنين لا يعلمون سر المنافقين، ولكن الله يبين ذلك للمنبي ﷺ. ويقال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ﴾، يعني: ليشرك من علم أنه من أهل الإيمان على ما أنتم عليه من الكفر حتى يوفقه للإيمان، ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ ولكن الله يطلع أنبياءه ورسله بالوحي، حتى يكون ذلك علامة لنبوتهم.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾ بالله ورسله ﴿وتتقوا﴾ الشرك والمعصية ﴿فلكم أجر عظيم﴾ يعني: ثواب في الجنة. ويقال: إن الكفار لما سألوا رسول الله ﷺ أن يبين لهم من يؤمن منهم، فنزل: ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يعني: لا تستغلوا بما لا يعنيكم، واشتغلوا بما يعنيكم، وهو الإيمان بالله ورسله، فإنكم إن فعلتم ذلك فلكم أجر عظيم. قرأ حمزة والكسائي: ﴿حَتَّىٰ يُنْمِيزَ﴾ بضم الياء ونصب الميم وكسر الياء مع التشديد. وقرأ الباقون بنصب الياء وكسر الميم بغير تشديد، وتفسيرهما واحد إلا أنك إذا قرأت بالتشديد قد يكون عبارة عن الكثرة والمبالغة.

﴿وَلَا يَخْصَىٰ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ إِيمَانًا أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَبْزُثُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٧٥﴾ لَنَدَّ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِ دُونِ عَذَابِ الْحَرِيقِ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ يعني: بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمتنعون الزكاة والصدقة، وصلة الأرحام، فلا تظنوا أن ذلك ﴿هو خير لهم

بل هو شر لهم ﴿يعني: البخل شر لهم. ويقال: الفضل شر لهم ﴿سبطوتون﴾ يقول: سيوتقون ﴿ما بخلوا به﴾ من الزكاة كهينة الطوق. وروي عن ابن عباس أنه قال: «يأتي كثر أحدهم شجاعاً أقرع له زبيبتان طوقاً في عنقه، تلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا» وروي عن رسول الله ﷺ نحو هذا<sup>(۱)</sup> فذلك قوله تعالى: ﴿سبطوتون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ ويقال: هو طوق من نار في عنقه. ويقال: هو على وجه المثل، يعني: وبال ذلك في عنقهم كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمِئْتُهُ طَكَرُؤُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء: ۱۳]

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: إذا هلك المخلوق كلهم أهل السموات من الملائكة، وأهل الأرض من الإنس والجن وسائر الخلق، ويبقى رب العالمين ثم يقول: ﴿لِيَمِيزَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ۱۶] فلا يجيبه أحد، فبرد على نفسه فيقول: ﴿يَلِّهِ الْكَرِيمُ الْفَهَّارُ﴾ [يوسف: ۳۹ وغيرها] فذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: يهلك أهل السموات والأرض ولم يبق لأحد ملك. وإنما سمي ميراثاً على وجه المجاز، لأن القرآن بلغه العرب، وكانوا يعرفون أن من رجع الملك إليه يكون ميراثاً على وجه المجاز، وأما في الحقيقة فليس بميراث، لأن الوارث في الحقيقة هو الذي يرث شيئاً لم يكن يملكه من قبل، والله عز وجل مالكهما، وكانت السموات وما فيها والأرض وما فيها له، وإنما كانت الأموال عارية عند أربابها، فإذا ماتوا رجعت العارية إلى صاحبها الذي كانت له في الأصل. ومعنى الآية: أن الله تعالى أمر عباده أن ينفقوا ولا يبخلوا قبل أن يموتوا ويتركوا المال ميراثاً لله تعالى، ولا ينفقهم إلا ما أنفقوا.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعني: عالم بمن يؤدي الزكاة وبمن يمنعها، فيجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء، والباقون بالتاء على وجه المخاطبة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. وقال في رواية الضحاك: لما نزل على رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ۲۴۵ والحديد: ۱۱] قالت الفجرة من كفرة اليهود: أفقير ربنا فيستقرضنا؟ قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية. ويقال إن النبي ﷺ بعث أبا بكر إلى اليهود ليأمرهم بالإسلام، وأن يعطوا الصدقة ويؤمنوا، فلما انتهى إليهم أبو بكر قال فنحاص بن عازورا: أيسأل الله منا الصدقة فهو فقير ونحن أغنياء؟ فنزلت هذه الآية ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ يعني: نحفظ قولهم ونجازيهم ويقال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ يعني: يكتب عليهم الكرام الكاتبون، ويؤاخذون به في الآخرة ﴿وَقَتْلِهِمْ﴾ يعني: نكتب قتلهم ﴿الأنبياء بغير حق﴾ بلا جرم ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (۱۴۰۲) و(۴۶۵۹) و(۶۹۵۷) ومسلم (۹۸۷) (۲۶) (۲۷) وأحمد ۲/ ۲۶۲، ۲۷۶ وأبو داود (۱۶۵۸) (۱۶۵۹) والبيهقي ۴/ ۸۱، ۱۱۹ والنسائي ۱۳/ ۵ وابن ماجه (۱۷۸۶).



يعني: تقول لهم خزنة جهنم في الآخرة ذلك. قرأ حمزة: ﴿سَيَكْتَبُ﴾ بضم الباء ونصب التاء، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ بضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله، يعني: يكتب قتلهم الأنبياء، ويقول بالياء. والباقون ﴿سَنَكْتَبُ﴾ بالنون مع فتحها وضمّ التاء، ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بنصب اللام، ونقول بالنون. وقوله: ﴿ذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ أَنَّ شِرَارَةَ وَقَعَتْ بِالْمَشْرِيقِ لَغَلَّتْ مِنْهَا جَمَاعَةٌ قَوْمٌ بِالْمَغْرِبِ، وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سَلَاسِلِ أَهْلِ النَّارِ وُضِعَتْ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لَأَخْرَقَتْ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ» فهذا معنى قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ﴾ يعني: يقال لهم: ذلك العذاب بما قدمت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ من الكفر والتكذيب، يعني: بما قدمتم. وذكر الأيدي على معنى الكناية. ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني: لا يعذب أحداً بغير ذنب.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ لَنَا أَنَّا لَأَنُؤْمِنَكَ رِسُولًا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ أَنفُسُنَا قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالذِّكْرِ الْقَلِيمِ فَاتْلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ يعني: كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف وغيرهما من رؤساء اليهود: قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ لَنَا﴾ يعني: أمرنا في التوراة ﴿أَن لا نؤمن﴾ يعني: أن لا نصدق ﴿لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ تحيء نار من السماء فتأكل القربان، فإن جئتنا بها صدقتك.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالذِّكْرِ الْقَلِيمِ﴾ يعني: بالآيات والعلامات ﴿وَبِالَّذِي قَلْتُمْ﴾ يعني: قد جاءكم الرسول بالذي قلتم من أمر القربان ﴿فَلِمَ تَلْتَمِهُمُ﴾ يعني: زكريا ويحيى وغيرهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تقولون.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ بما تقول لهم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم، ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات والعلامات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ قال الكلبي: يعني بأحاديث الأنبياء من قبلهم بالنبوة على ما يكون ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يعني: الحلال والحرام. وقال الزجاج: ﴿الزُّبُرِ﴾ جماعة الزبور وهو الكتاب يقال: زُبُرْتُ أَي كَتَبْتُ، ويقال: زُبُرْتُ أَي قرأت، ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يعني: المضيء بالحلال والحرام. قرأ ابن عامر ﴿بِالزُّبُرِ﴾ بالياء، وقرأ الباقر: ﴿وَالزُّبُرِ﴾ بغير الباء.

﴿كُلِّ تَفْسِيرٍ ذَابِقَةٌ لِّلنُّزْلِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقْتَ أُجْرَكَم بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ الْكَاثِرِ﴾



وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَكَرَّ فَأَرَىٰ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٧٥﴾

ثم قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فلما نزل: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أيقنت الملائكة أنها تهلك معهم.

ثم قال: ﴿وإنما توفون أجوركم﴾ يعني: توفون ثواب أعمالكم ﴿يوم القيامة فمن زحزح عن النار﴾ يعني: بُعد ونُحِّي عنها ﴿وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَكَرَّ﴾ يعني: نجا وسعد في الجنة.

حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا المسيب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن عن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَخَّرَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يَجِبُ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ قال ابن عباس: ﴿متاع الغرور﴾ مثل الكوز والقارورة والسكرجة ونحو ذلك، لأن ذلك لا يدوم، وكذلك الدنيا تزول وتغنى ولا تبقى. ويقال: هو مثل الزجاج الذي يسرع الكسر إليه، ولا يصلحه الجبر. ويقال: كزاد المسافر، يسرع إليه الفناء، فكذلك الدنيا.

﴿لَتَجَلَّوْا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْمًا كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لتبطلون في أموالكم وأنفسكم﴾ يقول: لتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب، ويقال: بوجوب الحقوق فيها وفي ﴿أنفسكم﴾، بالأمراض والأوجاع والقتل ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَعَبَدٌ أُفْرِيكٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] ﴿ومن الذين أشركوا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿أذى كثيراً﴾ باللسان والفعل، ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر رضي الله عنه، فكانوا يهددونه ويشتمونه ويقولون: ما يفعله محمد ﷺ إنما يفعله بمشاورته، فأمره الله تعالى بأن يصبر على أذاهم. ثم قال: ﴿وإن تصبروا﴾ على أذاهم ﴿وتتقوا﴾ المكافأة ويقال: وتتقوا معاصيه ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ يعني: من حقائق الأمور. ويقال: إن ذلك الصبر من خير الأمور.

(١) هو جزء من حديث عبد الله بن عمرو. أخرجه مسلم (١٨٤٤) (٤٦) وأبو داود (٤٢٤٨) والنسائي ٧/١٥٤ وابن ماجه (٢٩٥٦) وأحمد: ١٦١/٢، ١٩١.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِنْهُمَا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: أخذ عليهم الميثاق حين أخرج ذرية آدم من ظهورهم. ويقال: أخذ عليهم الميثاق بالوحي في كتب الأنبياء ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ يعني: نعت محمد ﷺ وصفته ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ عنهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ﴾، كلاهما بالياء. وقرأ الباقون بالياء، فمن قرأ بالياء فمعناه: أخذ عليهم الميثاق لكي يبينوه ولا يكتُموه، وأما من قرأ بالياء فمعناه: أخذ عليهم الميثاق، وقال لهم: لتبينته للناس ولا تكتُمونه.

ثم أخبر عن سوء معاملتهم ونقضهم الميثاق فقال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يعني: طرحوه خلف ظهورهم، يعني: تركوا الميثاق ولم يعملوا به ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ بكتمان نعت محمد ﷺ وصفته ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني: عرضاً يسيراً من متاع الدنيا ﴿فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ يعني: بس ما يختارون لأنفسهم الدنيا على الآخرة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٨٨﴾

ثم قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ يقول: لا تظنن يا محمد ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا﴾ يقول: يعجبون بما أوتوا، يعني: بما غيروا من نعته وصفته، وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك: إنا نجد في كتابنا أن الله يعث نبياً في آخر الزمان يختم به النبوة، فلما بعث الله سألهم الملوك: أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهود طمعاً في أموال الملوك: هو غير هذا، فأعطاهم الملوك مالاً فقال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا﴾ يعني: بما أعطاهم الملوك.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ لأنهم كانوا يقولون: نحن على دين إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا على دينه. ويقال: كانوا يقولون نحن أهل الصلاة والصوم والكتاب، ويريدون أن يحمدوا بذلك. يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ يقول: فلا تظننهم ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معناه: لا تظنن أنهم ينجون من العذاب بذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: عذاب دائم لا يخرجون منه أبداً.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٨٩﴾

ثم قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خزائن السموات المطر، وخزائن

الأرض النبات. ويقال: جميع من في السموات والأرض عبيده وفي ملكه ﴿والله علي كل شيء قدير﴾ من النبات وغيره. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام أنهم لا ينجون من عذابه، يأخذهم متى شاء لأنه على كل شيء قدير.

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

قوله تعالى: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية لصحة دعواه، لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فنزل ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خلقين عظيمين. ويقال: فيما خلق في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ يعني: ذهاب الليل ومجيء النهار، ويقال اختلاف لونهما ﴿لآيات﴾ لعبيرات ﴿لأولي الأبواب﴾ لذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ يعني: يصلون الله قياماً إن استطاعوا على القيام، وقعوداً إن لم يستطيعوا القيام ﴿وعلى جنوبهم﴾ إن لم يستطيعوا القعود لزمانة بهم، ويقال: معناه الذين يذكرون الله في الأحوال كلها، في حال القيام والقعود والاضطجاع، كما قال في آية أخرى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

ثم قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: يعتبرون في خلقهما. قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا ابن زرارَةَ الحلبي، عن أبي حباب، عن عطاء بن أبي رباح قال: دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة، فسلمنا عليها فقالت: «من هؤلاء؟» فقلت: عبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عمير. فقالت: مرحباً بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد: «رُزِغْتَا تَزُدُّ حَيَاةً» فقال ابن عمر: «دعونا من هذا، حديثنا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ»، فبكت بكاء شديداً ثم قالت: «كل أمره عجب، أناني في ليلتي، فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي، فقال: «يَا عَائِشَةُ أَنْذِينِي لِي أَنْ أَهْبِدَ لِرَبِّي» فقلت: والله إني أحبُّ قربك، وإني لأحبُّ هواك. فقام إلى قربة ماء فتوضأ منها، ثم قام فبكى وهو قائم حتى روت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى روت الدموع الأرض. ثم أتاه بلال بعدما أذن للفجر، فلما رآه يبكي قال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا بلال! أفلا أكون عبداً شكوراً، وما لي لا أتبكي وقد أنزلت عليّ الليلة؟»

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . إِلَى قَوْلِهِ - فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾ وَذِلَّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿١﴾ .  
وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» ﴿١﴾ . وقال ﷺ:  
«تفكرو ساعة خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ» ﴿٢﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ يعني: يتفكرون ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا  
بَاطِلًا﴾ عبثاً بغير شيء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن ﴿سَبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يعني: ادفع  
عنا عذاب النار. وقال الزجاج: معنى ﴿سَبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهما باطلاً  
﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي صدقنا رسلك، وسلمنا أن لك جنّة وناراً ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٦٢﴾﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا  
مُنَادِيًا يَنادِي لِلإِيمَنِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنا  
مَعَ الْأَنْبَارِ ﴿١٦٣﴾ رَبَّنَا وَمَا بَدَأْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا نَحْنُ بِأَيِّمَةٍ إِنَّكَ لَا تَهْدِي الْقَوْمَ الْآلِيَةَ ﴿١٦٤﴾  
فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنَ الْبَعْضِ فَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ  
جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ التَّوَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ﴾ يعني: ويقولون ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ  
أَخْرَيْتَهُ﴾ يعني: أهنته وفضحته ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ يعني: ما للمشركين من مانع يمنعهم  
من العذاب إذ أنزل بهم، ويقولون أيضاً: ﴿رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ينادي للإيمان﴾ يعني:  
محمداً ﷺ يدعو إلى التصديق ﴿أن آمنوا بربكم﴾ يعني: صدقوا بتوحيد ربكم، ﴿فآمننا﴾ يعني:  
صدقنا. وقال محمد بن كعب القرظي: ليس كل الناس لقي رسول الله ﷺ، ولكن المنادي هو  
كتاب الله يدعو إلى الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن آمنا بربكم فأمننا ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ وقال الكلبي: الذنوب الكبائر دون الصغائر، والسيئات الشرك. وقال  
الضحاك: ﴿ذنوبنا﴾ يعني: ما عملوا في حال الجاهلية، ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ يعني: ما عملوا  
في حال الإسلام. ويقال: الذنوب والسيئات بمعنى واحد. ويقال: الذنوب هي الكبائر،  
والسيئات ما دون الكبائر التي تكفر من الصلاة إلى الصلاة.

(١) عزاه السيوطي: ٤٠٩/٢ إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن حبان في صحيحه، وابن  
مردويه، والأصبهاني في الترغيب، وابن عساکر.

(٢) عزاه السيوطي: ٤٠٨/٢ إلى ابن أبي الدنيا والأصبهاني في الترغيب. وأبي نعوم في الدالية من حديث ابن  
عباس.

(٣) عزاه السيوطي إلى الديلمي، وأبي الشيخ.



لأنه مصدر مؤكد، معناه: لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولأثيبنهم ثواباً. وروى عن الفراء أنه قال: إنما صار نصباً على التفسير.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ يعني: حسن الجزاء وهو الجنة. ويقال: حسن المرجع في الآخرة خير من الدنيا.

﴿لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۗ مَنَّاعٌ لِّقَلِيلٍ نُّعْرَ مَا وَنَهَضَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ يقول: لا يحزنك يا محمد ذهابهم ومجيشهم في تجاراتهم ومكاسبهم في الأرض. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين، ومعناه: لا يغرّنكم تجارات الكفار وتصرفهم في أموالهم، لأن ذلك ﴿مَنَّاعٌ لِّقَلِيلٍ﴾ لأن الكفار كانوا في رخاء وعيش، وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف، وكان المؤمنون في ضيق وشدة، فأخبر الله تعالى بمرجع الكفار في الآخرة، وبمرجع المؤمنين فقال: ﴿لَا يَغْرَنكَ﴾ ما هم فيه من العيش والسعة، فإنما هو ﴿مَنَّاعٌ لِّقَلِيلٍ﴾ يعني: بعد وقت قريب.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ مَا وَاهِمٌ جَهَنَّمَ﴾ يعني: مصيرهم إلى جهنم ﴿وبئس المهاد﴾ يعني: بسن موضع الفرار في النار، وبئس المصير إليها، فما ينقهم تجاراتهم وأموالهم.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزْلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۝١٤٧﴾

ثم ذكر مرجع المؤمنين ومصيرهم فقال: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ اتقوا الشرك والفواحش، ووخدوا ﴿رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها أبداً ﴿نَزْلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يقول: ثواباً من عند الله للمؤمنين الموحدین خاصة ﴿وما عند الله﴾ أي الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿للأبرار﴾ يعني: للمؤمنين المطيعين.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعُوا لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِقَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٤٨﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب، معناه: من أهل الكتاب من آمن بالله فصدق ﴿وما أنزل إليكم﴾ من القرآن وصدق بما ﴿وما أنزل إليهم﴾ من التوراة والإنجيل، يعني: على أنبيائهم، فذكر حالهم وبين ثوابهم لكي يرغب غيرهم من أهل الكتاب ليؤمنوا إذا علموا بثوابهم.

ثم نعمتهم فقال: ﴿خاشعين لله﴾ يعني: متواضعين لله، والخشوع أصله التذلل وكذلك الخضوع، وقد فُرق بعض أهل اللغة بين الخشوع والخضوع، فقال: الخضوع في البدن خاصة،

والخشوع: يكون في البدن والبصر والصوت والقلب. قال الله تعالى: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَمْسَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه: ۱۰۸] وقال: ﴿خَائِعَةً مُّتَّزِعَةً﴾ [القلم: ۴۳ المعارج: ۴۴].

ثم قال تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني: عرضاً يسيراً كفعل اليهود ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني: ثوابهم ﴿عند ربهم﴾ الجنة ﴿إن الله سريع الحساب﴾ يعني: شديد العقوبة، ويقال: سريع الحفظ والتعريف.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠)

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾ على البلاء والجهد وأداء الفرائض، وعن المعاصي ﴿وصابروا﴾ مع نبيكم ﷺ على عدوكم حتى يدعوا دينهم إلى دينكم، يعني: يتركوا الشرك ويدخلوا في الإيمان ﴿ورابطوا﴾ مع عدوكم ما أقاموا، وهذا قول الكلبي. وقال عكرمة: ﴿اصبروا﴾ على البلاء وعلى طاعة الله، ﴿وصابروا﴾ أهل الضلالة، ﴿ورابطوا﴾ الخيول. وقال الزجاج: ﴿اصبروا﴾ على دينكم ﴿وصابروا﴾ على عدوكم، ﴿ورابطوا﴾ أي: أقيموا على جهادكم بالحرب وقيل: ﴿اصبروا﴾ بأبدانكم، ﴿وصابروا﴾ بقلوبكم، ﴿ورابطوا﴾ بأرواحكم. ﴿واتقوا الله﴾ في جميع ما أمركم ونهاكم. وقال القتيبي: أصل المرابطة، أن يربطوا خيولهم في الثغر.

ثم قال تعالى: ﴿لعلكم تفلحون﴾ يقول: تفوزون وتأمنون النار وتنجون منها. ويقال: أصل الفلاح ألبقاء في النعمة، ويقال: الفلاح أن يبلغ الإنسان نهاية ما يأمله. . والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسيماً كثيراً إلى يوم الدين، آمين (١) ..

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة (١).



## سورة النساء

مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ يعني: الناس عامة، وقد يكون ﴿يا أيها الناس﴾ خاصاً لأهل مكة، وفي هذا الموضع عام لجميع الناس ﴿اتقوا ربكم﴾ يعني: اخشوا ربكم، ويقال: أطيعوا ربكم، ويقال: احذروا المعاصي لكي تنجوا من عقوبة ربكم. ويقال: وخذوا ربكم ولا تتركوا به شيئاً.

ثم دل على وحدانيته ونفسه بصنعه فقال: ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: من نفس آدم زوجها حواء، وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم وأسكنه الجنة، ألقى عليه النوم، فكان آدم بين النائم واليقظان، فخلق من ضلع من أضلاعه اليسرى حواء، فلما استيقظ قيل له: من هذه يا آدم؟ قال: امرأة لأنها خلقت من المرأة، فقيل: ما اسمها؟ قال: حواء لأنها خلقت من حي. وقد قيل: إنما سميت حواء لأنه كان على شفيتها حوة، وقيل: لأن لونها كان يضرب إلى السمرة فسميت حواء من قولك: أحوى، كقوله تعالى ﴿فَجَمَلَةٌ غُثَاءٌ أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥].

ثم قال تعالى: ﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ يعني: خلق منهما أي من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساء كثيرة. قال مقاتل: يعني: خلق منهما ألف ذرية من الناس. يعني: من صلبه. ثم قال: ﴿واتقوا الله﴾ يعني: أطيعوا الله ﴿الذي تساءلون به﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، وأبو عمرو في رواية هارون: ﴿تسالون﴾ بغير تشديد. وقرأ الباقون بالتشديد، فمن قرأ بالتشديد لأن أصله تتساءلون، فادغم إحدى التاءين في السين وأقيم التشديد مقامه. ومن قرأ بالتخفيف فالأصل أيضاً تتساءلون، فحذف إحدى التاءين لاجتماع الحرفين من جنس واحد للتخفيف.

ثم قال تعالى: ﴿والأرحام﴾ قرأ حمزة: بكسر الميم، والباقون بنصب الميم، ومعناه: اتقوا الله الذي تسألون به الحاجات، يعني: الذي يسأل الناس بعضهم بعضاً، فيقول الرجل للرجل: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿والأرحام﴾. يقول: واتقوه في ذوي الأرحام، فصلوها ولا

نقطعوها. وأما من قرأ بالكسر معناه: أسألك بالله وبالرحم أن تعطيني شيئاً. وقال الزجاج: من قرأ بالخفض فخطأ في العربية وفي أمر الدين، أما الخطأ في العربية لأن الاسم يعطف على الاسم المفضح به ولا يعطف على المكنى به إلا في اضطراب الشعر، كقول القائل:

قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ تَهْجُونَا وَتَفْضُحُنَا فَمَا لَنَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

وأما في غير الشعر فلا يستعمل، وأما الخطأ الذي في الدين، لأن النبي ﷺ قال: «لَا تُخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ حَلَفَ فليحلف بالله أو ليدر»<sup>(۱)</sup>. فالسؤال بالأرحام أمر عظيم لأنه تحليف بها. ولكن روي عن إبراهيم النخعي أنه كان يقرأ أيضاً بالخفض أيضاً.

ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» يعني: حفيظاً لأعمالكم يسألكم عنها فيما أمركم به. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ عَمَلٍ خَسَنَ أَسْرَعُ نُؤَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّجْمِ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنَ النَّبِيِّ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةَ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ» وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الرَّجْمَ قَالَ لَهُ: صِلْ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعْ مَنْ قَطَعَكَ»<sup>(۲)</sup>. ويقال: الرحم مشتق من الرحمة، فمن قطعها فليس له من رحمة الله تعالى نصيب.. وقال ﷺ: «الرحم معلق بالعرش، فمن قَطَعَهَا قطعني، ومن وصلها وصلني»<sup>(۳)</sup>..

﴿وَأَوَّاؤَ الْيَتِيمِ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا

كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوَّاؤَ الْيَتِيمِ أَمْوَالَهُمْ﴾ يقول للأولياء: أعطوا اليتامى أموالهم التي عندكم إذا بلغوا النكاح، يعني: الحلم ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ يعني: الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ يعني: بالحلال من أموالكم يقول: لا تذرُوا أموالكم الحلال، وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى. ويقال: لا تخلطوا الخبيث بالطيب. ويقال: لا تخلطوا من مالكم الرديء، وتأخذوا الجيد من مال اليتيم. يعني: أن يرسل شاة عجفاء في غنمه ويأخذ مكانها شاة سميئة، وفي الحبوب كذلك. ويقال: لا تجعلوا أموالهم وقاية لأموالكم..

ثم قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ يعني: مع أموالكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ يعني: إثماً عظيماً. قرأ الحسن ﴿حُوبًا﴾ بنصب الحاء. قال مقاتل: هو بلغة الحبش.

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه أبو داود (۴۸ - ۳۲) والنسائي: ۵/۷ والبيهقي: ۲۹/۱۰ ومنه حديث ابن عمر أخرجه مالك: ۲/ ۴۸۰ والبخاري (۲۶۷۹) و(۶۶۶۶) ومسلم (۱۶۴۶) (۳) (۴) والترمذي (۱۵۳۴) وأبو داود (۳۲۴۹).

(۲) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (۴۸۳۱) و(۷۵۰۲) ومسلم (۲۵۵۴).

(۳) الحديث ساقط من النسخة «۱». وهو حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد ۲/ ۲۹۵ - ۳۸۳. والبخاري في الأدب المفرد (۵۹۸۸)

قال القتيبي: الحُوب والحُوب واحد، وهو الإثم. وقال مقاتل: نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخيه، فلما بلغ اليتيم طلب، ماله فمنعه العم، فنزلت الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال الرجل: أطلعنا الله ورسوله، ونعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله. فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ أَصَابَ الْأَجْرَ وَبَقِيَ الْوِزْرُ» فقالوا: كيف بقي الوزر وقد أنفقه في سبيل الله؟ فقال: «أَصَابَ الْغُلَامَ الْأَجْرَ وَبَقِيَ الْوِزْرُ عَلَى وَالِدِهِ».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتَلَّكَ وَرَبِّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَازِيءٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَمُولُوا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ﴾ يعني: ألا تعدلوا في أموال اليتامى، يقال في اللغة: أقسط الرجل إذا عدل، وقسط إذا جار. وقال ﷺ: «الْمُقْسِطُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>. يعني العادلون. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَأَنَّهُمْ يَهْمُرُونَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] يعني: الجائرون.

ثم قال تعالى: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون عن أمر اليتامى ويخافون ألا يعدلوا، وكانوا يتزوجون من النساء ما شاؤوا، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ «من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم إلا تعدلوا» يعني: فكما خفتم ألا تعدلوا في اليتامى، فخافوا في النساء إذا اجتمعن عندكم ألا تعدلوا بينهن. وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون بينهن، ولم يكن لهن أحد يخاصم عنهن، فنهاهم الله عن ذلك فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ﴾ الآية»<sup>(٢)</sup>. ويقال: إنهم كانوا يتزوجون امرأة لها أولاد أيتام، وكانوا لا يحسنون النظر إليهم، فنزل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ يعني: بغير ولد «مثنى وثلاث ورباع».

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ في القسم بين النساء والنفقة «فواحدة» يقول: تزوجوا امرأة واحدة، وإن خفتم ألا تعدلوا في الواحدة «أو ما ملكت أيمانكم» يعني: الإمام. ويقال: إن خفتم ألا تعدلوا في القسم بين النساء فواحدة، أي واشتروا الإمام لأن الواحدة لا تحتاج إلى القسمة، والإمام لا يحتاج فيها إلى القسمة. وقال بعض الروافض بظاهر هذه الآية:

(١) حديث عبد الله بن عمرو: أخرجه مسلم (١٨٢٧) والنسائي: ٢٢١/٨ وأحمد ١٥٩/٢ - ١٦٠ والبيهقي: ٨٨/١٠ والبخاري (٢٤٧٠) والحاكم ٨٨/٤.

(٢) عز: السيوطي ٤٢٧/٢ إلى البخاري ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه.

أنه يجوز نكاح تسع نسوة، لأنه قال: ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾، فيكون ذلك تسعاً. ولكن أجمع المفسرون أن المراد به: التفصيل، لا الاجتماع، لأن الواو للبدل الجمع، ومعناه: مثنى أو ثلاث أو رباع، وبذلك جاءت الآثار، وهو حديث غيلان بن سلمة: «أنه أسلم ومعه عشر نسوة، فخيرته النبي ﷺ فاختار أربعاً وفارق البواقي»<sup>(۱)</sup>. وروي الكلبي ومقاتل: أن قيس بن الحارث كان عنده ثمان نسوة حرائر، فلما نزلت هذه الآية «أمره رسول الله ﷺ أن يطلق أربعاً ويمسك أربعاً»<sup>(۲)</sup>. وروى محمد بن الحسن في كتاب «السير الكبير»: أن في ذلك كان الحارث بن قيس الأسدي، وهذا هو المعروف عند الفقهاء.

ثم قال تعالى: ﴿ذلك أدنى ألا تمولوا﴾ يعني: واحدة أخرى ألا تميلوا ولا تجوروا ولا تظلموا.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِيْنَ مِثْلَهُ مِمَّا لَكُمْ إِذَا زَوَّجْتُمْ مِمَّا كَانَتْ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأُولَئِكَ فِي سُنَّةِ اللَّهِ الْبَارِعَةِ﴾<sup>(۱)</sup> وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿۵﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِيْنَ نَحْلَةً﴾ يعني: أعطوا النساء مهورهن فريضة. ويقال: ديانة، كما يقال: فلان ينتحل مذهب كذا، أي: يدين بكذا. ويقال: نحلة أي صدقة وهبة، لأن المهر نحلة من الله تعالى للنساء حيث لم يوجب عليهن وأوجب لهن. وقال في رواية الكلبي: إن أهل الجاهلية كان الولي إذا زوجهما، فإن كانت معهم في العشرة لم يعطها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وإن كانت غريبة حملوها على بعير إلى زوجها ولا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير شيئاً، فنزح قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِيْنَ﴾ يعني به: الأولياء، يعني: أعطوهن مهورهن نحلة. يقول: عطية لهن. وقال في رواية مقاتل: كان الرجل يتزوج بغير مهر، ويقول: أرتك وترثيني، فنزلت الآية ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ﴾ يعني: الأزواج ﴿صَدُقَاتِيْنَ نَحْلَةً﴾ يعني: مهور النساء ﴿نَحْلَةً﴾ يعني: فريضة. ﴿فَإِنْ طَبِئَ لَكُمْ﴾ يا معشر الأزواج، أي إن أحللتكم ووهبت لكم. وقال في رواية الكلبي: يعني إذا وهبت المرأة المهر للولي فذلك قوله ﴿فَإِنْ طَبِئَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ أي طيباً لا إثم منه ﴿مَرِيئًا﴾ أي لا أذى فيه. ﴿مَرِيئًا﴾ لا داء فيه، ويقال: ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ يعني: حلالاً طيباً. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «إذا كان أحدكم مريضاً فليسال من امرأته درهمين من مهرها، حتى تهب له بطيبة نفسها،

(۱) حديث ابن عمر: أخرجه الترمذي (۱۱۲۸) وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: هذا حديث غير محفوظ، والعمل عليه عند أصحابنا: الشافعي وأحمد وإسحق. وأخرجه ابن ماجه (۱۹۵۳) والبيهقي: ۷/ ۱۸- ۱۹ وصححه الحاكم ۱۹۲/۲ وأحمد: ۴/۲.

(۲) حديث الحرث بن قيس: أخرجه أبو داود (۲۲۴۱) (۲۲۴۲) وابن ماجه (۱۹۵۲) والبيهقي: ۱۹/۷.

فيشتري بذلك عسلاً فيشربه مع ماء المطر، وقد اجتمع الهنيء والمريء، والشفاء والماء المبارك، يعني: أن الله تعالى سمى المهر هنيئاً مريئاً إذا وهبت، وسمى العسل شفاءً، وسمى ماء المطر مباركاً، فإذا اجتمعت هذه الأشياء يرجى له الشفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَدَّ السَّفَهَاءُ أَمْوَالِكُمْ﴾ يعني: النساء والأولاد الصغار، يعني: لا يجعل الرجل ماله في يدي امرأته وأولاده، ثم يدع نفسه محتاجاً إليهم، فلا يدفعون إليه عند حاجته. ويقال: لا تدفعوا أموالكم مضاربة، ولا إلى وكيل لا يحسن التجارة. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا». فذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَوَدَّ السَّفَهَاءُ أَمْوَالِكُمْ﴾ يعني: الجهال بالأحكام. ويقال: لا تدفعوا إلى الكفار، ولهذا كره علمائنا أن يوكل المسلم ذمياً بالبيع والشراء، أو يدفع إليه مضاربة.

ثم قال تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ يعني: الأموال التي جعل الله قواماً لمعاشكم. ثم قال: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يعني: الأولاد الصغار أطمعهم ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾ من أموالكم، وكونوا أنتم القوام على أموالكم ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ يعني: إذا طلبوا منكم النفقة ولم يكن عندكم في ذلك الوقت شيء، فعد، لهم عدة حسنة، يقول: سأفعل ذلك.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَقّاً إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ مَا كُنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَقَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾

ثم قال: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ يقول: اختبروا اليتامى وجربوا عقولهم، ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ يعني: الحلم، ويقال: مبلغ الرجال ﴿فإن أنستم منهم رشداً﴾ بقوا، إذا رأيتم منهم رشداً وصلاً في دينهم وحفظاً لأموالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ التي معكم ﴿ولا تأكلوها إسرافاً﴾ في غير حق ﴿وبداراً﴾ يعني: مبادرة في أكله ﴿أن يكبروا﴾ يعني: مخافة أن يكبروا فيأخذوا أموالهم منكم.

ثم قال: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ يعني: ليحفظ نفسه عن مال اليتيم ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾. وقد اختلف الناس في تأويل هذه الآية، وقالوا: فيها ثلاثة أقوال. قال بعضهم: يجوز للمعسر أن يأكل على قدر قيامه عليه. وقال بعضهم: لا يجوز أن يأكل إلا على وجه القرض، فيرةً عليه إذا كبر. وقال بعضهم: لا يجوز في الأحوال كلها.

فأما من قال: إنه يجوز أكله على قدر قيامه عليه، فإنه احتج بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، ﴿فمن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رجلاً سأله فقال: يا ابن عباس إن عندي مواشي أيتام، فهل علي جناح إن أصبت من رسل مواشيهم؟ قال ابن

عباس: «إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حياضها ولا تفرط لها يوم ردها، فلا جناح عليك إن أصبت من رسلها». وقال مجاهد كان يقول: «من أدركت من أصحاب النبي الله ﷺ أن للوصي أن يأكل بالمعروف مع البيت، فإنه يحلب غنمه، ويقوم على ماله ويحفظه».

وأما من قال إنه يجوز أكله على وجه القرض، احتج بما روي عن محمد بن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: هو قرض ثم يرد عليه إذا كبر. فقال: ألا ترى أنه قال في سياق الآية ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾؟ وقال أبو العالية: ما أكل فهو دين عليه. وقال الشعبي مثله.

وأما من قال إنه لا يجوز أكله لأن الله تعالى قال ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ كَلْمًا إِذْ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ثَارًا﴾ [النساء: ١٠] وتلك الآية محكمة وهذه من المتشابهة، لأنه يحتمل التأويل: أنهم يأكلون على وجه القرض أو على وجه الإباحة، فيرد حكم المتشابهة إلى المحكم. وقد قيل: إن هذه الآية منسوخة بتلك الآية. قال الفقيه رحمه الله: إذا كان الرصي فقيراً، فأكل من مال البيتيم مقدار قيامه عليه، أرجو أن لا بأس به، لأن كثيراً من العلماء أجازوا ذلك والاحتراز عنه أفضل.

قرأ نافع وابن عامر ﴿التي جعل الله لكم قِيَمًا﴾ بكسر القاف ونصب الباء بغير ألف، والباقون بالألف ومعناها قريب. وقال أهل اللغة: قِيَمًا وقواماً وقِيَمًا بمعنى واحد.

وقال تعالى ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: إذا أدرك التمام ودفعتم إليهم أموالهم ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ ذلك، وإنما الإشهاد على معنى الاستحباب لنفي التهمة عن نفسه، ولو لم يشهد على ذلك لجاز كقوله تعالى ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَكفى بالله حسيباً﴾ يعني: شهيداً في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا فينبغي أن يشهد العدول على ذلك ليدفع القالة عن نفسه، لأن الله تعالى لا يشهد له في الدنيا.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَحْتَشِ الْفَرِيقُ تَوَرَّكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال من كان يقاتل ويحوز الغنيمة، حتى مات أوس بن ثابت الأنصاري وترك ثلاث بنات، وترك امرأة يقال لها: أم كُبْجَة، فقام ابن عمه وأخذ ماله، فجاءت المرأة إلى النبي ﷺ وذكرت له القصة. ويقال: مات رفاعة وترك ابنه وابنته، فأخذ الابن ميراثه

كله، فجاءت المرأة إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فنزل قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ يقول: حظ ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ و﴿لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ يعني: حظ ﴿مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه﴾ يعني: قل المال ﴿أو أكثر نصيباً مفروضاً﴾ يعني: حظاً معلوماً لكل واحد منهم من الميراث، فبين في هذه الآية أن للرجال نصيباً وللنساء نصيباً، ولكن لم يبين مقدار نصيب كل واحد منهم. ثم بين في الآية التي بعدها فقال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ قال مقاتل: فيها تقديم وتأخير، معناه إذا حضر أولو القربى قسمة الميراث، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ يعني: أعطوهم من الميراث. قال مقاتل: وهذا كان قبل قسمة الميراث.

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يعني: إذا كانت الورثة كباراً، يعطون من الميراث لذوي القربى، وإن كانت الورثة صغاراً فقولوا لهم ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ يعني: عذوا لهم عدة حسنة. تقول لهم الأولياء: إذا أدرك الصغار أمرناهم حتى يعطوكم شيئاً ويزعموا حقكم. وقال الفثني: ﴿إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن تكون قسمة الوصية إذا حضرها أرباؤكم، فاجعلوا لهم حظاً من الثلث. ووجه آخر: أن تكون قسمة الميراث فارضخوا لهم منها.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يقول: وليخش على أولاد الميت الضياع، كما أنكم لو تركتم أولاداً ﴿ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾ يقول: عجة صغاراً، يعني: الذي يحضره الموت لا يقال له قدم لنفسك وأوص بكذا وكذا حتى يوصي بعامه ماله، فليخش على ذرية الميت كما يخشى على ذرية نفسه. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: إذا حضر الرجل الوصية، فلا ينبغي أن يقول له أوص بمالك، فإن الله تعالى رازق أولادك، ولكن يقول: له قدم لنفسك واترك لولدك؛ فذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يعني: يقولوا للميت قولاً عدلاً ويقال: وليقولوا قولاً سديداً، وهو أن ياتمه لا إله إلا الله ولا يأمره بذلك، ولكن يقول ذلك في نفسه حتى يسمعه منه ويتأقن. وهكذا قال النبي ﷺ ﴿لَقِّنُوا مَوْتَانِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. ولم يقل مروهم بذلك لأنه لو أمر بذلك، فلعله يغضب ويجدد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصَرُونَ سَعِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ يعني: بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ يعني: حراماً، لأن الحرام يوجب النار، فسماء الله باسمها. ويقال: إنه يلقم من النار إذا صار إلى جهنم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾. وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال في بعض قصة المعراج أنه قال: «رَأَيْتُ أَقْوَامًا يُبْطِنُونَ كَالْجِبَالِ فِيهَا

(١) حديث أبي سعيد: أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والنسائي: ٥/٤، والنرمذي (٩٧٦) وأحمد:

٣/٣ وابن ماجه (١٤٤٥) والبيهقي: ٣/٣٨٣.



الْحَيْثُ وَالْعَقَابُ، قُلْتُ: مَنْ هُوَ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا، ﴿وَيَصِلُونَ سَمِيرًا﴾ يعني: سيدخلونها في الآخرة.

قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (ويصلون) بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون بنصب الياء، وهذا كقوله: ﴿سيدخلون جهنم﴾. وسيدخلون وقال القتيبي في قوله: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم﴾ معناه: وليخش الذين يكفلون اليتامى، وليفعل بهم ما يحب أن يفعله بولده من بعده.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّمَّهَا الشُّدُّ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُّ مِمَّا بَعْدَ وَصِيَّتِ يَوْسَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٌ مَّا بَاتَؤَكُمُ وَأَبَاتَؤَكُم لَّا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ يعني: يبين الله لكم ميراث أولادكم كما بين قسمه الموارث، يعني: إذا مات الرجل أو المرأة وترك أولاداً ذكوراً وإناثاً، فـ ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يعني: لكل ابن سهمان، ولكل بنت سهم. وروى ابن أبي نجيع عن عطاء قال: «كان ابن عباس يقول: كان الميراث للولد، وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للوالدين لكل واحد منهما السدس، وللمرأة الثمن أو الربع، وللزوج النصف أو الربع».

ثم قال تعالى: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ يعني: إذا ترك الميت بناتاً ولم يترك أبناء، فلبنات إن كن اثنتين فصاعداً ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ من الميراث، ولم يذكر في الآية حكم البنين، ولكن أجمع المسلمون ما خلا رواية عن عبد الله بن عباس أنه قال: «للأثنتين النصف، كما كان يكون للإبنة الواحدة وللثلاث بنات الثلثان» وأما سائر الصحابة فقد قالوا: «إن للأثنتين الثلثين»، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. روى جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتها إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ﷺ، هاتان ابنتا سعد قد قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عنهما أخذ مالهما ولم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال». فقال النبي ﷺ: «سَيَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ» فانزل الله آية الميراث، فبعث النبي ﷺ إلى عنهما وقال: «أَعْطِ ابْنَتِي سَعْدِ الثُّلُثَيْنِ وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمْنَ وَالْبَاقِي لَكَ»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث جابر: أخرجه الترمذي (٢٠٩٢) وقال: حديث صحيح وأبو داود (٢٨٩٢) وابن ماجه (٢٧٢٠)

وصححه الحاكم ٣٤١/٤ ووافقه الذهبي.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾ يعني: إن ترك الميت بنتاً واحدة فلها النصف من الميراث، والباقي للعصبة بالخير. قرأ نافع: ﴿وإن كانت واحدة﴾ بالرفع على اسم كانت، وقرأ الباقون بالنصب على معنى الخبر، ويكون الاسم فيه مضمراً.

ثم قال تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك الميت من المال﴾ إن كان له ولد يعني: إن كان له ولد ذكر أو أنثى، أو ولد الابن ﴿فإن لم يكن له للميت ولد ولا ولد ابن وورثه أبواه﴾ يعني: إن لم يكن للميت وارث سوى الأبوين ﴿فلأمه الثلث﴾ يعني: للأم ثلث المال والباقي للأب. قرأ حمزة والكسائي: ﴿فلأمه﴾ بكسر الألف لكسر ما قبله، وقرأ الباقون ﴿فلأمه﴾ بضم الألف.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ يعني: إذا كان للميت إخوة، وقد اتفق أصحاب رسول الله ﷺ أن اسم الإخوة يقع على الاثنين فصاعداً، إلا في قول ابن عباس: «ثلاثة فصاعداً»، واتفقوا أن الذكور والإناث فيه سواء، فيكون للأم السدس، والباقي للأب.

ثم قال تعالى: ﴿من بعد وصية﴾ يعني: قسمة الميراث من بعد وصية ﴿يوصى بها﴾ الميت ﴿أو دين﴾ يعني: بعد قضاء الدين وإنفاذ الوصية. وروى الحارث عن علي رضي الله عنه قال: «قضى رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية، وأنتم تقرؤون ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ يعني: في الآية تقديم وتأخير<sup>(۱)</sup>، وروي عن ابن عباس هكذا. قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم ﴿يوصى بها﴾ على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون ﴿يوصى بها﴾ يعني: الميت إن كان يوصى بها، أو عليه دين.

ثم قال تعالى: ﴿أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ يعني: في الآخرة، إذا كان أحدهما أرفع درجة من الآخر، يسأل الله تعالى حتى يرفع إليه الآخر لتقر عينه به فقال: ﴿لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ يعني: أيهم أرفع درجة، فيلحق به صاحبه. ويقال: معناه أن الله علمكم قسمة الموارث، وأنكم لا تدرون ﴿أيهم أقرب لكم نفعا﴾ يعني: حياً حتى تعطوه حصته، ويقال: ﴿لا تدرون أيهم أقرب﴾ موتاً فيرث منه الآخر.

ثم قال تعالى: ﴿فريضة من الله﴾ يعني: بيان قسمة الموارث من الله تعالى، ويقال: القسمة فريضة من الله تعالى لا يجوز تغييرها عما أمر الله بذلك.

ثم قال تعالى: ﴿إن الله كان عليماً﴾ بقسمة الموارث ﴿حكيماً﴾ حكم قسمتها وبتبناها لأهلها. وقال الزجاج: معناه، كان الله ﴿عليماً﴾ بالأشياء قبل خلقها، ﴿حكيماً﴾ فيما يقدر ويدبر منها. وقال بعضهم: لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال، فالخبر منه بالماضي كالخبر

(۱) حديث علي: أخرجه الترمذي (۲۱۲۲) وقال: والعمل على هذا عند عامة أهل العلم، أنه يبدأ بالدين قبل الوصية. وأبو داود (۲۰۹۵) وابن ماجه (۲۷۱۵) وصححه الحاكم ۳۸۸/۴ وأحمد ۷۹/۱.

بالاستقبال. وقال سيويه: كان القوم شاهدوا علماً وحكماً، فقبل لهم: إن الله تعالى كان كذلك، أي: لم يزل على ما شاهدتم.

﴿وَلَكُمْ يَصِفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجِكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَتْ بِهَا أَوْ ذَيْنَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي نَوْصُوتَ بِهَا أَوْ ذَيْنَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَاللَّذِي أَوْ أَمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِثْمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَتْ بِهَا أَوْ ذَيْنَ غَيْرَ مُصَافِرٍ وَصِيَّتِي مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٨﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١١٩﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿ولكن نصف ما ترك أزواجكم﴾ يعني: إذا ماتت المرأة وتركت زوجاً، فللزوجة النصف ﴿إن لم يكن لهن ولد﴾ ذكر أو أنثى أو ولد ابن ﴿فإن كان لهن ولد﴾ أو ولد ابن ﴿فلكم الربع﴾ أي للزوج الربع ﴿مما تركت المرأة﴾ من بعد وصية يوصين بها أو دين.

ثم قال تعالى: ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن﴾ مما تركتم من بعد وصية يوصون بها أو دين. يعني: إذا مات الزوج وترك امرأة، فللمرأة الربع ﴿إن لم يكن لكم ولد﴾ ولا ولد ابن ﴿فإن كان لكم ولد﴾ فإن كان للاميت أي الزوج ولد أو ولد ابن ﴿فلهن الثمن﴾ سواء كان له امرأة واحدة أو أربع نسوة فلهن الربع بغير الولد، والثمن مع الولد لأنه قال: ﴿ولهن الربع﴾ فجعل حصتهن الربع أو الثمن. ثم قال: ﴿من بعد وصية يوصون بها أو دين﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ والكلالة: ما خلا الوالد والولد، ويقال: هو اسم الميت الذي ليس له ولد ولا والد. قال أبو عبيدة: هو مصدر من تكلمه النسب أي أحاط به، والأب والابن طرفا الرجل، فسُمي لذهاب طرفيه كلالة. وقرأ بعضهم: ﴿يورث﴾ بكسر الراء. قال أبو عبيدة: من قرأ ﴿يورث﴾ بكسر الراء جعل الكلالة الورثة، ومن قرأ بنصب الراء جعل الكلالة الميت.

وروي الشعبي عن أبي بكر وعمر أنهما قالا: «الكلالة من لا ولد ولا والد». وروي عنهما

أيضاً أنهما قالا: «الكلالة ما سوى الولد والوالد». وقال: **﴿أو امرأة﴾** يعني: إن كانت الكلالة هي امرأة.

ثم قال تعالى: **﴿وله أخ لو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾** من الميراث **﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾** يعني: الإخوة من الأم. وقد أجمع المسلمون أن المراد ها هنا: الإخوة من الأم. لأنه ذكر في آخر السورة: أن للأختين الثلث، ففهموا أن المراد ههنا الأخوة من الأم **﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾** وقد ذكرناه.

ثم قال تعالى: **﴿غير مضار وصية من الله﴾** يعني: غير مضار للورثة، فيوصي بأكثر من الثلث **﴿وصية من الله﴾** يعني: تلك القسمة فريضة من الله **﴿والله عليم حكيم﴾** يعني: **﴿عليم﴾** بأمر الميراث **﴿حكيم﴾** على أهل الجهل منكم، قال عليه الصلاة والسلام: **﴿من قطع ميراثاً فرضه الله، قطع الله ميراثه في الجنة﴾**<sup>(١)</sup> وقرأ بعض المتقدمين: **﴿والله عليم حكيم﴾**، يعني: حكم بقسمة الميراث والوصية وقضاء الدين.

ثم قال تعالى: **﴿تلك حدود الله﴾** يعني: هذه فرائض الله فيما أمركم به من قسمة الموارث، ويقال: تلك أحكام الله، ويقال: **﴿تلك﴾** بمعنى هذه، يعني: هذه أحكام الله قد بينها لكم لتعرفوها وتعملوا بها.

قوله: **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** في قسمة الموارث فيقر بها، ويعمل بها كما أمره الله **﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾** يعني: ذلك الثواب هو النجاة الوافرة.

قال تعالى: **﴿ومن يعص الله ورسوله﴾** في قسمة الموارث، فلم يقسمها ولم يعمل بها كما أمر الله **﴿ويتعد حدوده﴾** يعني: يخالف أمره **﴿يدخله ناراً خالداً فيها﴾** لأنه إذا جحد صار كافراً **﴿وله عذاب مهين﴾** يهان فيه. قرأ نافع وابن عامر: **﴿ندخله جنات﴾** **﴿ندخله ناراً﴾** كلاهما بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه، وقرأ الباقون كلاهما بالياء، لأنه سبق ذكر اسم الله تعالى.

**﴿وَأَلْبَسُوا يُأْتِيكَ مِنَ الْفَنَاحَةِ مِنْ يُسَابِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنصِبُوا فِي أَلْبُيُوتٍ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُنَّ قُلُوبًا وَأَصْلَحْنَ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ نُوَابِغًا رَجِيمًا ﴿١٦﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾** يعني: الزنى، وهي المرأة الشيب إذا زنت **﴿فاستشهدوا عليهن﴾** يعني: اطلبوا عليهن **﴿أربعة﴾** من الشهود **﴿منكم﴾** يعني: من أحرار

(١) ساقط من النسخة «أ».

المسلمين عدولاً ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهم بالزنى ﴿فَأَمْسُكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ﴾ يعني: احبسوهم في السجن ﴿حَتَّى يَتُوفَا مِنْ الْمَوْتِ﴾ يعني: يمتن في السجن ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ يعني: محيصاً ومخرجاً من الحبس، ثم نسخ فصار حدهن الرجم لما روي عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَتَقْرِيبُ عَامٍ وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَالرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر في الآية حد البكرين فقال: ﴿وَاللَّذَانِ﴾ لم يحصنا ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ الفاحشة ﴿مِنْكُمْ﴾ يعني: الأحرار المسلمين ﴿فَأَذُوهُمَا﴾ باللسان، يعني: بالتعير بما فعلا ليندما على ما فعلا ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ من بعد الزنى ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا﴾ يعني: فلا تسمعوهما الأذى بعد التوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ يعني: متجاوزاً ﴿رَحِيمًا﴾ بهما. ثم نسخ الحبس والأذى بالرجم والجلد، وإنما كان التعيير في ذلك الزمان لأن التعيير حل محل الجلد، وأما اليوم فلا ينفعهم التعيير. وروي ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنِ الْفَاحِشَةَ﴾ ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾ كان ذلك في أول الأمر، ثم فنسختها الآية التي في سورة النور. قرأ ابن كثير: ﴿وَاللَّذَانِ﴾ بتشديد النون، لأن الأصل واللذان. فحذف الباء وأقيم التشديد مقامه، وقرأ الباقون بالتخفيف.

﴿إِنَّمَا أَتُوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَنَّنِي وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: قبول التوبة على الله، ويقال: توفيقه على الله، ويقال: إنما التجاوز من الله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ قال ابن عباس: «كل مؤمن يذنب فهو جاهل في فعله»، ويقال: إنما الجهالة إنهم يختارون اللذة الفانية على اللذة الباقية، وذلك الجهل لا يسقط عنهم العذاب إلا أن يتوبوا.

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال ابن عباس: «كل من تاب قبل موته فهو قريب» ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يعني: ﴿عَلِيمًا﴾ بأهل التوبة ﴿حَكِيمًا﴾ حكمم بالتوبة. وقال مقاتل: نزلت الآية في رجل من قريش سكر وذكر فيه شعراً، وذكر اللات والعزى وأنكر البعث، فلما أصبح أخبر بذلك فندم على ذلك ثم استرجع، فنزلت الآية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يعني: قبل الموت.

(١) حديث عبادة: أخرجه مسلم (١٦٩٠) (١٣) (١٣) (١٤) وأبو داود (٤٤١٦) والترمذي (١٤٣٤) والدارمي

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ، عَنْ صَالِحِ الْمَرِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ إِلَى اللَّهِ فِيهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِهِ». وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَغْرُرْ»<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: «إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا أَهْبَطَ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: بَعِزَّتْكَ لَا أَفَارِقُ ابْنَ آدَمَ مَا دَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَبِعِزَّتِي لَا أَحْجِبُ التَّوْبَةَ عَنْ ابْنِ آدَمَ مَا لَمْ يَغْرُرْ بِنَفْسِهِ». قال أبو العالية الرياحي: نزلت أول الآية في المؤمنين، والوسطى في المنافقين، والأخرى في الكافرين. فأما توبة المؤمنين فذكرها قد مضى. وأما ذكر توبة المنافقين فقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الآية. يعني: ليس قبول التوبة للذين أصروا على فعلهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني: الشوق والنزع ومعاناة ملك الموت ﴿قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْآنَ﴾ فليس لهذا توبة. ثم ذكر توبة الكفار فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني: وجيعاً دائماً.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْسُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاصِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا سَكِينًا وَيَعْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قال ابن عباس: «كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة، وله ولد من غيرها، أو وارث غير الابن، فألقى ثوبه عليها وورث نكاحها بالصدوق الأول، ويقول: أنا ولي زوجك فورثك. فإن كانت جميلة أمسكها، وإن لم تكن جميلة طوّل عليها لتفتدي منه، فنزلت هذه الآية». وقال في رواية الضحاك: «كان الرجل عنده عجوز ونفسه تنشق إلى الشابة، فيكره فراق العجوز لمالها، فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدي منه بمالها أو تموت، فيرث مالها، فنزلت هذه الآية»، وأمر الزوج بأن يطلقها إن كره صحبتها فلا يمسكها كرهاً. فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قرأ عاصم وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع: ﴿كُرِهًا﴾ بنصب الكاف. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كُرِهًا﴾ بالضم. قال القشيري: الكره بالنصب بمعنى الإكراه، والكره الدشقة، ويقال: ليفعل ذلك طوعاً أو كرهاً، يعني: طائعاً أو مكراً.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضَلُوهُمْ﴾ يعني: لا تمنعوهن من الأزواج ﴿لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا

(١) حديث ابن عمر: أخرجه الترمذي (٣٥٣٨) وقال: حسن غريب وابن ماجه (٤٢٥٣) وأحمد ١٣١/٢ وصححه الحاكم ٢٥٦/٤ والدر المنثور ٤٦٠/٢.

آتيتموهن ﴿ من المهر ﴾ **﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾** وهي المعصية في النشوز على زوجها، فيحل له ما أخذ منها. ويقال: إلا أن تزني فيحل له أن يفتدي منه، يعني: إذا كانت بطيبة نفسها. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر **﴿بفاحشة مبينة﴾** بنصب الياء، وقرأ الباقون بكسر الياء. فمن قرأ بالكسر يكون الفعل للفاحشة يعني: فاحشة ظاهرة تبين منها نفسها. ومن قرأ بالنصب يكون بمعنى المفعول. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في محصن بن قيس، وامرأته هند بنت المغيرة وفي جماعة. وقال الكلبي: نزلت في حصين بن أبي قيس وامرأته كبشة بنت معن.

ثم قال تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾** يقول: صاحبوهن بالجميل **﴿فإن كرهتموهن﴾** يعني: كرهتم صحبتهن **﴿فمعي﴾** يقول: فلعل **﴿أن تكرهوا شيئاً﴾** من صحبتكم إياهن **﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** يعني: في صحبتهن يرزق لكم ولدًا صالحاً، وهذا كقوله عز وجل **﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾** ويقال **﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾** يعني: لعله إن أمسكها فيعطفه الله عليها من بعد ذلك، وأما أن يخلي سبيلها فيزوجها الله زوجاً غيره، فيرزقها الله منه الولد.

**﴿وَإِن أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُهُنَّ إِعْذَارَهُنَّ فَنَتَّطِرَ مِنْهُ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِنَّمَا مُبِينَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴿٢١﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿وإن أردتم استبدال زوج﴾** يعني: تغيير زوج **﴿مكان زوج﴾** يعني: إذا أراد أن يطلق امرأته ولم يكن منها نشوز، وأراد أن يتزوج غيرها **﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾** من المهر من ذهب. قال مجاهد: القنطار سبعون ألف دينار. وقال عطاء: سبعة آلاف دينار. وقال الحسن: ألف دينار أو إثنا عشر ألف درهم. وقال قتادة: يقال القنطار مائة رطل من ذهب، أو ثمانون ألفاً من وربي. وروي عن عبد الوهاب بن عطاء عن الكلبي قال: كل ما لم أسنده لكم فهو كله عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: «القنطار ألف مثقال مما كان من ذهب أو فضة».

ثم قال تعالى: **﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾** يقول: فلا تستحلوا أن تأخذوا مما أعطيتم شيئاً إذا لم يكن النشوز من قبلها. ثم قال: **﴿أتأخذونه بهتاناً﴾** يقول: أنستحلوا أخذه ظلماً **﴿وإنما مبيناً﴾** يعني: ذنباً ظاهراً.

ثم قال تعالى: **﴿وكيف تأخذونه﴾** يقول: كيف تستحلون أخذه، يعني: أخذ مهورهن **﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾** يقول: قد اجتمعوا في لحاف واحد. قال الفراء: الإفشاء أن يخلو الرجل والمرأة وجامعها، أو لم يجامعها إذا كان معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها فقد وجب المهر. وقال الكلبي: الإفشاء إذا كان معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها، فقد وجب المهر. وروى عوف الأعرابي عن زرارة بن أبي أوفى قال: «قضى الخلفاء الراشدون المهديون أن من أغلق باباً وأرخص سترأ، فقد وجب المهر والعدة». وقال مقاتل:



الإفضاء الجماع. وبهذا القول قال بعض الناس. وأما علماؤنا رحمهم الله قالوا: إذا خلا بها خلوة صحيحة يجب كمال المهر والعدة، دخل بها أو لم يدخل بها.

ثم قال: **﴿وَأَخْذُنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾** يقول: أوجبين عليكم عهداً وثيقاً بالنكاح. وهو قوله **﴿فَإِنْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَرْبِيحٍ يُلْحِظُنْ﴾** [البقرة: 229] فصار ذلك على الرجال ميثاقاً غليظاً من النساء، ثم بين ما يحل للرجال من النساء وما لا يحل فقال:

**﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَعْتَا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾** (٢٢) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأَهْلَبُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَابُكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُوبِكُمْ مِنَ نِسَابِكُمْ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْنَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٣)

فقال تعالى: **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾** يعني: لا تتزوجوا من قد تزوج آباؤكم من النساء، ويقال: اسم النكاح يقع على الجماع والتزوج، فإن كان الأب تزوج امرأة أو وطئها بغير نكاح، حرمت على ابنه. ثم قال: **﴿إلا ما قد سلف﴾** يقول: لا تفعلوا سوى قد فعلتم في الجاهلية، وكان الناس يتزوج الرجل منهم امرأة الأب برضاها بعد نزول قوله **﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾** حتى نزلت الآية **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم﴾** الآية. فصار حراماً في الأحوال كلها. ويقال: **﴿إلا ما قد سلف﴾** يعني: ولا ما قد سلف كقوله تعالى **﴿وَمَا كَانَتْ لِتُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا حَقًّا﴾** [النساء: 92] يعني: ولا خطأ. وقد قيل: إن في الآية تقدماً وتأخيراً، ومعناه: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، **﴿إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾** إلا ما قد سلف. وقد قيل: إن في الآية إضماراً يقول: **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾** فإنكم إن فعلتم تعاقبون وتواخذون **﴿إلا ما قد سلف﴾**. ثم قال: **﴿إنه كان فاحشة﴾** أي: معصية **﴿ومقتاً﴾** أي: بغضاً **﴿وساء سبيلاً﴾** أي بشس المسلك.

ثم قال تعالى: **﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾** يعني: نكاح أمهاتكم، فذكر الأمهات والمراد منه: الأمهات والجيدات.

ثم قال تعالى: **﴿وبناتكم﴾** ذكر البنات، والمراد به البنات والحفيدات، أي: بنات الأولاد. ثم قال تعالى: **﴿وأخواتكم﴾** يعني: من النسب إلى قوله: **﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾** **﴿وعماتكم﴾** يعني: أخوات أبيكم. **﴿وخالاتكم﴾** يعني: أخوات أمكم **﴿وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾**.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَمْهَاتِ نَسَائِكُمْ﴾ يعني: نكاح أمهات نسائكم حرام عليكم، سواء دخل بالابنة أو لم يدخل بها، هكذا روي عن ابن عباس وعن جماعة من الصحابة أنهم قالوا ذلك.

ثم قال: ﴿وَرِبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حَجُورِكُمْ﴾ يعني: حرام عليكم نكاح بنات نسائكم اللاتي في حجوركم. يعني: التي يربّيها في حجره، إذا دخل بأمرها فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم. يعني: إن لم يكن دخل بأمرها فهي حلال له أن يتزوجها، وقد اتفقوا على أن كونها في الحجر ليس بشرط، غير قول روي عن بعض المتقدمين، وإنما ذكر الحجر لتعارفهم فيما بينهم، وتسميتهم بذلك الاسم.

ثم قال تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ﴾ يعني: حرام عليكم نساء أبنائكم الذين من أصلابكم. يقال: إنما اشترط كون الأبناء الأصلاب لزوال الاشتباه، لأن القوم كانوا يتبنون في ذلك الوقت ويجعلون الابن المتبنى بمنزلة ابن الصلب في الميراث والحرمة. وتبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فتزوج زيد بن حارثة امرأة ثم طلقها، فتزوجها رسول الله ﷺ، فغيره المشركون بذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه، فنزل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وذكر في هذه الآية فقال: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَانِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ لكي لا يظن أحد أن امرأة الابن المتبنى تحرم عليه.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يعني: حرام عليكم أن تجمعوا بين الأختين في النكاح في حالة واحدة، ثم قال: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يقول: إلا ما قد مضى في الجاهلية. وروى هشام بن عبيد الله، عن محمد بن الحسن أنه قال: «كان أهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات كلها التي ذكر في هذه الآية إلا اثنتين، أحدهما: نكاح امرأة الأب، والثانية: الجمع بين الأختين. ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. ويقال: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، يعني: دع ما قد مضى إن الله كان غفوراً. لما كان في الجاهلية رحيماً. بما كان في الإسلام لمن تاب من ذلك.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَاتِبَاتٌ أَوَّ يَحْيَىٰ وَأُحْلَىٰ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَنْكِحُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا وَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٦١]

ثم قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال في رواية الكلبي وفي رواية الضحاك: يعني ذوات الأزواج حرام عليكم ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من السبايا، فإذا ملك الرجل امرأة لها زوج في دار الحرب واستبرأ رحمها بحيضة، فهي حلال له. وهذا موافق لما روي عن أبي سعيد الخدري: «أن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من المشركين، فتأمم المسلمون منهن وقالوا: لهن أزواج، فأنزل الله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

يقول: ما أفاء الله عليكم من ذلك. وإن كان لهن أزواج من المشركين، فلا بأس بأن يأتيها الرجل إذا استبرأ رحمها. وقال في رواية مقاتل: **«والمحصنات من النساء»** يعني: كل امرأة ليست تحتكم، فهي حرام عليكم. ثم استثنى من المحصنات فقال: **«إلا ما ملكت أيمانكم»** يعني: إلا ما قد تزوجتم من النساء مثنى وثلاث ورباع.

ثم قال تعالى: **«كتاب الله عليكم»** يقول: هذا ما حرم عليكم في الكتاب، ويقال: **«كتاب الله عليكم»** معناه: هذا الذي يقرأ عليكم هو كتاب الله تعالى، فاتبعوه ولا تخالفوه. وقال الزجاج: **«كتاب الله عليكم»** منصوب على التأكيد، محمول على المعنى، لأن معناه: **«حرمت عليكم أمهاتكم»** كتب الله عليكم هذا كتاباً. ويجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، كأنه قال: الزموا كتاب الله، ويكون **«عليكم»** نفيماً له.

ثم قال تعالى: **«وأحل لكم ما وراء ذلكم»** يقول: رخص لكم ما سوى ذلكم، فالله تعالى قد ذكر ما حرم في هذه الآية من قوله **«ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم»** أربع عشرة من المحرمات، سيع بالنسب وسيع بالسبب. ثم بين المحللات فقال: **«وأحل لكم ما وراء ذلكم»** يعني: ما سوى هذه الأربع عشرة التي ذكر في هذه الآية، فلو كان الأمر على ظاهر هذه الآية، لكان يجوز ما سوى ذلك، إلا أنه قد جاء الأثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يُخْرَمُ مِنَ الرُّضَاعِ مَا يُخْرَمُ مِنَ النَّسَبِ»**<sup>(١)</sup> وقال: **«لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَئِهَا وَلَا تُنْكَحُ الْأُمَةُ عَلَى الْحُرَّةِ»**<sup>(٢)</sup>. فوجب اتباعه لأن الله تعالى قال: **«وَمَا أَنْتُمْ بِأَرْسُلَ فُحْدُوهُ وَمَا تَهْنِكُمْ عَنْهُ فَاَنْهَوْا»** **«الحشر: ٤٧»**. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: **«وأحل لكم»** بضم الالف وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم لأنه عطف على قوله **«حرمت عليكم»**. ومن قرأ بالنصب لأنه نسق على قوله **«كتاب الله عليكم»**.

ثم قال تعالى: **«أن تبغوا بأموالكم»** يعني: أن تزوجوا بأموالكم، ويقال: تشتروا بأموالكم الجوارى ثم قال: **«محصنين غير مسافحين»** يقول: كونوا متعفين من الزنى غير زانين.

ثم قال: **«فما استمتعتم به منهن»** قال مقاتل: يعني به المتعة، أي فما استمتعتم منهن إلى أجل مسمى **«فأتوهن أجورهن»** يعني: أعطوهن ما شرطتم لهن من المال. وإنما كانت إباحة المتعة في بعض المغازي، ثم نهى عن ذلك. وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: **«فما استمتعتم**

(١) حديث عائشة: أخرجه البخاري (٥٠٩٩) ومسلم (٥٢٣٩) (١٤٤٤) (١) (٢) وأحمد: ٣٨/٦، ١٩٤.

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه مالك ٥٣٢/٢ والبخاري (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨) (٣٣) والنسائي ٩٦/٦، ٩٧ والبيهقي ١٦٥/٧ وأحمد ٤٦٢/٢. وحديث جابر: في البخاري (٥١٠٨) والنسائي ٩٨/٦٠ وأحمد ٣٣٨/٣.

به منهن﴾ إلى أجل مسمى. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: «ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها هذه الأمة، ولولا نهي عمر عنها ما زنى إلا شقي»<sup>(۱)</sup>. وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «إنما رخص في المتعة في بعض المغازي، ثم نسخها آية الطلاق والميراث والعدة»<sup>(۲)</sup>. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد قال: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ قال: النكاح، يعني: إن تمتعتن ﴿فأتوهن أجورهن﴾ يعني مهورهن. وقال في رواية الكلبي: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ بعد النكاح فأتوهن أجورهن، يعني: مهورهن ﴿فريضة﴾ لهن عليكم. وقال الضحاك: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ يعني: فما تزوجتم بهن فأعطوهن مهورهن.

ثم قال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ قال بعضهم: يعني المتعة قبل أن تنسخ، أجاز لهما أن يتراضيا على زيادة الأجل والمال. وقال بعضهم: يعني المهر، لا جناح على الزوجين أن يتراضيا بعد النكاح على زيادة المهر ﴿إن الله كان عليماً﴾ فيما رخص لكم من نكاح الأجانب ﴿حكيماً﴾ فيما حرم عليكم من ذوات المحارم.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَنكِحُكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُنْجَذَبَاتٍ أَخْدَانُ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِمَنْجِسَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ الْعَمَلُ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ أي غنى، يقول: من لم يجد منكم سعة في المال ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يعني: الحرائر، فليتزوج ﴿فمن ما ملكت أيمانكم﴾ من الإماء. ويقال: ﴿من لم يستطع منكم طولا﴾، يعني: من لم تكن له مقدرة على الحرية، فليتزوج الأمة، يعني: إذا لم يكن له امرأة حرة. وقد قال بعض الناس: إذا كان للرجل من المال مقدار ما يمكنه أن يتزوج بالحررة، لا يجوز له أن يتزوج الأمة. وفي قول علمائنا: يجوز إذا لم يكن عنده امرأة حرة، لأنه لو صرف إلى ذلك الوجه لا يضر، لأن كل مال يمكن أن يتزوج به الأمة يمكن أن يتزوج به الحررة، ولكن معناه: كون الحررة عنده أفضل.

ثم قال تعالى: ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ يعني: يتزوج الأمة المسلمة. وقال بعض الناس: لا يجوز أن يتزوج أمة يهودية أو نصرانية، لأن الله تعالى قال ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾. وفي

(۱) عزاه السيوطي ۴۸۶/۲ إلى عبد الرزاق وابن المنذر والبيهقي.

(۲) عزاه السيوطي ۲۸۷/۲ إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

قول علمائنا: يجوز نكاح الأمة اليهودية والنصرانية، وذكر المؤمنات ليس بشرط أنه لا يجوز غيرها، وهذا بمنزلة قوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَدْلُوا فَوْتِدَةً﴾ [النساء: ٣] فإن خاف ألا يعدل فيتزوج أكثر من واحدة جاز، ولكن الأفضل أن لا يتزوج، وكذلك ها هنا الأفضل أن لا يتزوج الأمة، إلا المؤمنة ولو تزوج غير المؤمنة جاز.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في الحقيقة، وأنتم تعرفون الظاهر وليس عليكم أن تبحثوا عن الباطن. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فما ملكت إيمانكم ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني: يتزوج هذا وليدة هذا، وهذا وليدة هذا. ثم قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾، يعني: بعضكم من بعض في النسب، يعني: كلكم ولد آدم ولا فخر فيما بينكم. ويقال: دينكم واحد، يعني: بعضكم على دين بعض.

ثم قال تعالى: ﴿فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ يعني: الولائد بإذن أربابهن ﴿وَأَتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول: أعطوهن مهرهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، يقول: مهرأ غير مهر البغي، بعدما أطلق ذلك.

ثم قال: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ يقول: عفائف ﴿غَيْرِ مَسَانِحَاتٍ﴾ يقول: غير زواني، ويقال: غير معلنات بالزنى ﴿وَلَا مَتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ يعني: أخلاء في السر، لأن أهل الجاهلية كان فيهن زواني في العلانية، ولهن رايات منصوبة وبعضهن اتخذن أخداناً يعني: أخلاء في السر، ولا يفعلن بالعلانية، فنهى الله عن نكاح الفريقتين جميعاً. فقال: تزوجوا محصنات غير معلنات بالزنى ولا في السر. قرأ الكسائي: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ بكسر الصاد في جميع القرآن إلا في قوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وقرأ الباقون في جميع القرآن بالنصب.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ يعني: أسلمن. ويقال: إذا أعففن. قرأ عاصم وحزمة والكسائي: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ بالنصب. وقرأ الباقون ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ بضم الألف. وروي عن ابن مسعود: أنه كان يقرأ بالنصب، ومعناه: إذا أسلمن. وقرأ ابن عباس بالضم، يعني: أحصن بالأزواج. ﴿فَإِنْ آتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ يعني: الزنى ﴿فَعَلِيهِنَّ﴾ يعني: وجب عليهن ﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: إذا زنت الأمة فحدّها نصف حدّ الحرّة، خمسون جلدة. والفائدة في نقصان حدّهن والله أعلم: أنهن أضعف من الحرّات، فجعل عقوبتهن أقل. ويقال: لأنهن لا يصلن إلى مرادهن كما تصل الحرّات إلى مرادهن. ويقال: لأن العقوبة تجب على قدر النعمة، ألا ترى أن الله تعالى قال لأزواج النبي ﷺ ﴿يُنِصَّأُ الَّذِي مِنْ بَيْنِكُمْ يَفْحَشَةٌ مُنِيسَةً يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٠] فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد، فكذلك الأمة لما كانت نعمتها أقل كانت عقوبتها أدنى. وذكر في الآية حدّ الإماء خاصة ولم يذكر حدّ العبيد، ولكن حدّ العبيد والإماء سواء: خمسون جلدة في الزنى، وفي حدّ القذف وشرب الخمر: أربعون جلدة. لأن حدّ الأمة إنما نقص لنقصان الرق، وذلك في العبد موجود،

إلا ترى أنه روي. وروي عن عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما أنهما قالوا: «حدّ العبد نصف حد الحر».

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكر في الآية، وهو رخصة نكاح الأمة ﴿لَمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ يعني: الإثم في دينه. ويقال: الزنى والفجور. قال القتيبي: أصله الضرر والإفساد.

ثم قال تعالى ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ يعني: عن نكاح الإمامة ﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ من تزوجهن، لأنه لو تزوج الأمة يصير ولده عبداً. وروي عن عمر أنه قال: «أيا ما حر تزوج بأمة فقد أرق نصفه»، يعني: يصير ولده رقيقاً، فالصبر عن ذلك أفضل لكيلا يرق ولده. وقال مجاهد: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على نكاح الأمة ﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ من أن تقعوا في الفجور. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما أصبتم منهن قبل تحليله ﴿رَحِيمٌ﴾ حين رخص في نكاح الأمة. ويقال: ﴿رَحِيمٌ﴾ إذ لم يعجل العقوبة.

﴿رِيدُ اللَّهِ يُسَيِّرُ لَكُمْ وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبْسِلُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ يعني: بين لكم أن الصبر خير لكم من نكاح الإمامة، ويقال: يبين لكم إباحة نكاح الأمة عند العذر. ثم قال: ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يعني: شرائع الذين من قبلكم بأنه لم يحل لهم تزوج الإمامة، وقد أحل لكم ذلك. وقال مقاتل: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ حلاله وحرامه من النساء، ﴿ويهديكم﴾ أي: يبين لكم شرائع من كان قبلكم. ﴿ويتوب عليكم﴾ يعني: يتجاوز عنكم ما فعلتم قبل التحريم ﴿والله عليم﴾ بمن فعله منكم بعد التحريم ﴿حكيم﴾ فيما نهاكم عن نكاح الإمامة يعني: لمن لم يجد طولاً. والنهي نهي استحباب لا نهي الوجوب. ويقال: إن هذا ابتداء القصة، ﴿يريد الله أن يبين لكم﴾ كيفية طاعته ﴿ويهديكم﴾ يعني: يعرفكم ﴿سنن الذين من قبلكم﴾، أي: أنهم لما تركوا أمري فكيف عاقبتهم؟ وأنتم إذا فعلتم ذلك لا أعاقبكم، ولكني أتوب عليكم ﴿والله عليم﴾ بمن تاب ﴿حكيم﴾ حكم بقبول التوبة.

ثم قال تعالى: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ يعني: يتجاوز عنكم ما كان منكم قبل التحريم، ويقال: ويتجاوز عنكم الزلل والخطايا ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ يعني أن تخطئوا خطأ عظيماً، لأن بعض الكفار كانوا يجيزون نكاح الأخت من الأب، ويقال: إن اليهود يريدون أن يقفوا منكم على الزلل والخطايا، يعني: أن الله قد بين لكم لكي لا يقفوا منكم على الزنا والخطايا.

ثم قال: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يقول: يهون عليكم الأمر، إذ رخص لكم في نكاح



الامة، ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ يعني: لا يصبر على النكاح. وقال الضحاك: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يريد: أن يضع عنكم أوزاركم، ويضع عنكم آثامكم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً  
عَنْ رِضَىٰ بَيْنِكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا  
وظُلْمًا قَسُوْفَ نُصَلِّيْهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٥﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ  
عَنْهُ نُهَيْتُمْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَدَخَلْتُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ يعني: بالظلم باليمين الكاذبة ليقطع بها مال أخيه في تجارته. ثم استثنى ما استفصل الرجل من مال أخيه في تجارته: أنه لا بأس به فقال: ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ ويقال: إلا ما كان بينهما تجارة، وهو أن يكون مضارباً له، فله أن يأكل من مال المضاربة إذا خرج إلى السفر. ويقال: إلا ما يأكل الرجل شيئاً عند الشراء ليدوقه. وقد قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿تجارة﴾ بنصب الهاء على معنى خير تكون. وقرأ الباقون بالضم على معنى الاسم.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ يعني: لا يقتل بعضكم بعضاً، فإنكم أهل دين واحد. وقيل ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ يعني أن يوجب الرجل على نفسه قتل نفسه، فأجابه باطل. وقال القتيبي: ﴿ولا تأكلوا أموالكم﴾ يعني: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل، ولا يقتل بعضكم بعضاً كقوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا آمَنَتَكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١١] أي: لا تعيبوا إخوانكم. ويقال: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ يعني: لا تقتلوا بالكسل والبخل ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾ إذ نهى عن القتل وعن أخذ الأموال بالباطل.

قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك عدواناً﴾ يعني: اعتداء، ويقال: مستحلاً ﴿وظلماً﴾ وجوراً ﴿فسوف نصليه ناراً﴾ هذا وعيد لهم من الله تعالى، يعني: يدخله في الآخرة النار ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ يعني: عذابه هين على الله.

قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ قال مقاتل: يعني ما نهى عنه من أول هذه السورة إلى هذه الآية. وقال في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه. ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ الكبائر: كل شيء سمى الله فيه النار لمن عمل بها، أو شيء نزل فيه حد في الدنيا، فمن اجتنب من هذا وهو مؤمن كفر الله عنه ما سواه من الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، وشهر رمضان إلى شهر رمضان إن شاء الله تعالى.

قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحاك، عن مسروق، عن ابن مسعود



قال: «الكبائر من أول السورة إلى قوله ﴿إِنْ تَجْنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾. وروى عن ابن مسعود أنه قال: «الكبائر أربعة: الإيأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والشرك بالله». وروى عامر الشعبي عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَاسْتِحْلَالُهُ حَرَمَةَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ». - وقال ابن عمر: «الكبائر تسعة: الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربوا، والسحر، وعقوق الوالدين، واستحلال حرمة البيت الحرام.»<sup>(۱)</sup> - ويقال: الكبائر ما أصر عليها صاحبها. ويقال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

ثم قال تعالى: ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يقول: نمحو عنكم ذنوبكم ما دون الكبائر ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ في الآخرة وهي الجنة. قرأ نافع: ﴿مَدْخَلًا﴾ بنصب الميم، والباقون بالضم. فمن قرأ بالنصب فهو اسم الموضع وهو الجنة، ومن قرأ بالضم فهو المصدر والموضع جميعاً.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَلَّوْا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَكُمْ وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس: «يعني لا يتمنى الرجل مال أخيه، ولا امرأته، ولا دابته، ولكن ليقول: اللهم ارزقني مثله». وقال الكلبي مثله. وفيها وجه آخر وهو: أن الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء، فلنا سهمان ولهن سهم، ونرجو أن يكون لنا أجران في الأعمال». وقالت أم سلمة: «ليت الجهاد كتب على النساء». فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» ويقال: إن النساء قلن: كما نقص سهمنا في الميراث، كذلك ينقص من أوزارنا، ويكون الإثم علينا أقل من الرجال، فنزلت الآية «للرجال نصيب مما اكتسبوا» ولا يتمنى أحدكم أكثر مما عمل «وللنساء نصيب مما اكتسبن» من الشر ولا ينقص منهن شيء مما عملن من الإثم.

قوله: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ جميعاً الرجال والنساء ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من رزقه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيما يصلح لكل واحد منهم من السهام، وبمن يصلح للجهاد. قرأ ابن كثير

(۱) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «ب».



ثم قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يعني: فضلوا على النساء بما أنفقوا من أموالهم عليهن من المهر والنفقة. ثم قال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ يعني: المحصنات من النساء في الدين، ﴿قَانِتَاتٌ﴾ أي: مطيعات لله تعالى ولأزواجهن. ويقال: ﴿الصَّالِحَاتُ﴾ يعني: المحسنات إلى أزواجهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ يعني: مطيعات لله عز وجل ولأزواجهن. ويقال: الصالحات يعني الموحدات ﴿قَانِتَاتٌ﴾ يعني: قائمات بأمر أزواجهن ﴿حَافِظَاتُ لَلْغَيْبِ﴾ يعني: لغيب أزواجهن في فروعهن، وفي أموال الأزواج ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ يقول: يحفظ الله إياهن. قال مقاتل: وما صلة، يعني: يحفظ الله لهن.

ثم قال عز وجل: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ يعني: تعلمون عصيانهن ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالله، يعني: يقول لها: اتقي الله، فإن حق الزوج عليك واجب فإن لم تقبل ذلك، فقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ قال الكلبي: يعني: يسبها وذلك هو الهجر، ويقال: لا يقرب فراشها، لأن الزوج إذا أعرض عن فراشها، فإن كانت محبة للزوج يشق عليها فترجع إلى الصلاح، وإن كانت مبغضة فتظهر السرور، فيتبين أن النشوز من قبلها. وقال الضحاك: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ يعني: يعرض عنها، فإن ذلك يغيظها، فإن لم ينفعها ذلك ﴿وَأُضْرَبُوهُنَّ﴾ يعني: ضرباً غير مبرح ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ بَلَغُوا عَلَيْكُمْ سَبِيلاً﴾ يقول: لا تطلبوا عليهن عللاً، ولا تكلفوهن من الحب لكم، فإن الحب أمر القلب وليس ذلك بيدها ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ يعني: رفيعاً علا فوق كل كبير، فلا يطلب من عباده الحب، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، ويطلب منهم الطاعة، فأنتم أيضاً لا تكلفوهن. ويقال: إن الله مع علوه يتجاوز عن عباده، فأنتم أيضاً تجاوزوا ولا تطلبوا العلل.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنْتَيْهِمَا فَاَبْعَثُوا حَكْماً مِّنْ أَهْلِهِ. وَحَكْماً مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾

ثم قال تعالى للأولياء ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ يقول: إن علمتم خلافاً بين الزوجين، ويقال: إن خفتم الفراق بينهما ولا تدرن من قبل أيهما يقع النشوز ﴿فَاَبْعَثُوا حَكْماً مِّنْ أَهْلِهِ﴾ يعني: رجلاً عادلاً من أهل الزوج له عقل وتميز، يذهب إلى الرجل ويخلو به، ويقول له: أخبرني ما في نفسك، أتوها أم لا حتى أعلم بمرادك؟ فإن قال: لا حاجة لي بها، خذ مني لها ما استطعت وفرق بيني وبينها، فيعرف أن من قبله جاء النشوز. وإن قال: فإني أهماها فأرضيها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها، فيعرف أنه ليس بناشز. ويخلو ولي المرأة بها ويقول: أتوهين زوجك أم لا؟ فإن قالت: فرق بيني وبينه وأعطه من مالي ما أريد، علم أن النشوز من قبلها. وإن قالت: لا تفرق بيننا ولكن حته حتى يزيد في نفقتي ويحسن إلي،

علم أن النشوز ليس من قبلها. فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلان عليه بالغلظة والزجر والنهي، وذلك قوله تعالى ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ **﴿إن يريدوا إصلاً﴾** يعني: عدلاً فينظران في أمرهما بالنصيحة والموعظة **﴿يوفق الله بينهما﴾** بالصلاح ويقال: كل اثنين يقومان في الإصلاح بين اثنين بالنصيحة، يقع الصلح بينهما لقوله تعالى **﴿إن يريدوا إصلاً﴾** يوفق الله بينهما.

ثم قال: **﴿إن الله كان عليماً خبيراً﴾** يعني: **﴿عليماً﴾** بهما، **﴿خبيراً﴾** بنصيحتهما. وفي هذه الآية دليل على إثبات التحكيم، وليس كما يقول الخوارج: إنه ليس الحكم لأحد سوى الله تعالى، فهذه كلمة حق ولكن يريدون بها الباطل.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: **﴿واعبدوا الله﴾** قال بعضهم: هذا الخطاب للكفار، **﴿واعبدوا الله﴾** يعني: وحدوا الله **﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾** يعني: لا تشبثوا على الشرك. ويقال: الخطاب للمؤمنين **﴿اعبدوا الله﴾** يعني: اثبتوا على التوحيد ولا تشركوا به. ويقال: **﴿اعبدوا الله﴾** يعني: أطيعوا الله فيما أمركم به، وأخلصوا له الأعمال، **﴿ولا تشركوا به شيئاً﴾**. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين وللمنافقين وللكفار، فأمر المؤمنين بالطاعة، والمنافقين بالإخلاص، والكفار بالتوحيد. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «كل عبادة في القرآن إنما يعني بها التوحيد». ويقال: هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، وذكر فيها أحكاماً كانت تعرف تلك من طريق العقل، وإن لم ينزل به القرآن وهو قوله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** يعني: أحسنوا إلى الوالدين **﴿وبذي القربى﴾** يعني: صلوا القرابات. **﴿واليتامى﴾** يعني: أحسنوا إلى اليتامى. ويقال: هذا أمر للأوصياء بالقيام على أموالهم. ثم قال: **﴿والمساكين﴾** يعني: عليكم بإطعام المساكين. ثم قال: **﴿والجار ذي القربى﴾** أي: عليكم بالإحسان إلى الجار الذي بينك وبينه قرابة، فله ثلاثة حقوق. هكذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الجار ثلاثة ثلاثة: جَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ. فَأَمَّا الْجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ فَالْجَارُ الْقَرِيبُ الْمُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الْجَوَارِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ. وَالْجَارُ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ: وَهُوَ الْجَارُ الْمُسْلِمُ الْأَجْنَبِيُّ، فَلَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْجَوَارِ. وَالْجَارُ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ هُوَ الْجَارُ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ».

ثم قال تعالى: **﴿والجار الجنب﴾** يعني: الجار الذي لا قرابة بينهما، وهو من قوم آخرين

﴿والصاحب بالجنب﴾ یعنی: الرفیق فی السفر. وروی عن معاذ بن جبل أنه قال: «الصاحب بالجنب یعنی المرأة»<sup>(۱)</sup>. ثم قال: ﴿وابن السبیل﴾ یعنی: الضیف، ينزل علیکم فأحسنوا إليه، وحقه ثلاثة أيام، وما زاد على ذلك فهو صدقة. ثم قال: ﴿وما ملکت ایمانکم﴾ من الخدم أحسنوا إليهم. وقد روی فی الخبر «أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحمٌ ودمٌ وخلقٌ أمثالکم»<sup>(۲)</sup>. رواه علي عن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الله الله فيما ملکت ایمانکم»<sup>(۳)</sup>. وذكر الحديث.

وروی عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِيَنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُنِي، وَمَا زَالَ يُوصِيَنِي بِالنِّسَاءِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَحْرَمُ طَلَاقَهُنَّ، وَمَا زَالَ يُوصِيَنِي بِالْمَمَالِكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ لَهُمْ مَدَّةً إِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهَا أُعْتِقُوا، وَمَا زَالَ يُوصِيَنِي بِالسُّوَالِكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُخْفِي فِيمِي عَنِ الْأَسْنَانِ، وَمَا زَالَ يُوصِيَنِي بِبِقِيَامِ اللَّيْلِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ خِيَارَ أُمَّتِي لَا يَنَامُونَ لَيْلًا»<sup>(۴)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ يعني: من كان ﴿مختالاً﴾ في مشيه، ﴿فخوراً﴾ على الناس، وهذا قول الكلبي. وقال القتيبي: المختال ذو الخيلاء والكبر، وهذا قريب من الأول. ويقال: ﴿فخوراً﴾ في نعم الله، لا يشكره ويتكبر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿۲۳﴾﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا سَاءً قَرِينًا ﴿۲۴﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ وقال مجاهد ومقاتل: نزلت في اليهود، يبخلون بكتمان صفة محمد ﷺ في كتابهم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ يعني: أمروا قومهم أن يكتموا صفة ﷺ ﴿ويكتمون ما آتاهم من فضله﴾ في التوراة. ويقال: أبخل الناس الذي يبخل بعلمه. ويقال: ﴿الذين يبخلون﴾ يعني: في المال، لأن رؤسائهم كانوا لا يعطون أحداً من أموالهم شيئاً، لأن عاداتهم كان الأخذ والمنع، وكانوا أيضاً يأمرون بالبخل، لأن من كان في معصية فإنه يأمر غيره

(۱) عزاء السيوطي ۵۳۲/۲ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي، وابن مسعود، وابن عباس.

(۲) عزاء السيوطي ۵۳۲/۲ إلى البخاري في الأدب من حديث جابر بلفظ أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم من لبوسكم ولا تعذبوا خلق الله.

(۳) حديث عائشة. أخرجه البخاري (۶۰۱۴) ومسلم (۲۶۲۴) وأحمد (۲۳۸/۶) والترمذي (۱۹۴۳) وأبو داود (۵۱۵۱) وعن ابن عمر عند مسلم (۲۶۲۵).

(۴) عزاء السيوطي ۵۳۲/۲ إلى البخاري في الأدب المفرد والبيهقي.

بذلك لكي لا يظهر عيبه ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ يعني: لا يشكرون على ما أعطاهم الله من نعمته، ولا يخرجون الزكاة.

ثم قال تعالى: ﴿وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ يعني: شديداً. قرأ حمزة والكسائي: ﴿بالبخل﴾ بنصب الباء والخاء وهي لغة الأنصار، وقرأ الباقون ﴿بالبخل﴾ بضم الباء وحزم الخاء. وقال بعض أهل اللغة: ها هنا أربع لغات: بخل، وبخل، وبخل، وبخل إلا أنه قرئ بحرفين ولا يقرأ بالحرفين الآخرين.

قوله تعالى: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ قال مقاتل: يعني اليهود. وقال الضحاك: يعني المنافقين، ينفقون أموالهم مراعاة للناس ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ يعني: ولا يصدقون في السر. ويقال: نزلت في مطعمي يوم بدر وهم رؤساء مكة، أنفقوا على الناس ليخرجوا إلى بدر.

ثم قال: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ ففي الآية مضمرة فكأنه قال: ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فقرينهم الشيطان ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ يعني: قرينهم الشيطان في الدنيا والشيطان، يأمرهم بالبخل. ويقال: قرينه في النار في السلسلة.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾  
﴿لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا ذَرَّةً وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾  
﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾  
﴿يَوْمَ يُؤْذَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ سَأَلْنَا بِهِمُ الْأَرْضَ لَوْ يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْدِينَ﴾

ثم قال تعالى: ﴿وماذا عليهم﴾ يعني: وما كان عليهم ﴿لو آمنوا بالله﴾ مكان الكفر ﴿وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ مكان البخل في غير رياء. ويقال: ﴿وماذا عليهم﴾ يعني: لم يكن عليهم شيء من العذاب ﴿لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ وأنفقوا مما رزقهم الله من الأموال، وهي الصدقة، ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ أنهم لم يؤمنوا. ويقال: إن الله عليهم بثواب أعمالهم، ولا يظلمهم شيئاً من ثواب أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ يعني: لا ينقص من ثواب أعمالهم وزن الذرة. قال الكلبي: وهي النملة الحمراء الصغيرة. ويقال: هو الذي يظهر في شعاع الشمس. . . ويقال: ﴿لا يظلم مثقال ذرة﴾ أي لا يزيد عقوبة الكافر مثقال ذرة، ولا ينقص من ثواب المؤمن مثقال ذرة.

ثم قال تعالى: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها﴾ قرأ نافع وابن كثير: ﴿وإن تك حسنة﴾ بضم الهاء لأنه اسم تك بمنزلة اسم كان. قرأ الباقون: ﴿حسنة﴾ بالنصب، وجعلوه خبر تك والاسم فيه مضمرة ومعناه: وإن يكن الفعل حسنة يضاعفها، يعني: إذا زاد على حسناته مثقال ذرة من

حسنة يضاعفها الله تعالى حتى يجعلها مثل أحد ويوجب له الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مَنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة. وروى عبد الله بن مسعود أنه قال: «خمس آيات في سورة النساء أحب إلي من الدنيا وما فيها: قوله: ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَارًا مَا نُثَبِّتُ عَنْهُ﴾ [سورة النساء: ۳۱] الآية. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَيَنْفَعُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ۴۸] الآية. وقوله: ﴿وَوَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة النساء: ۶۴] الآية. وقوله: ﴿وَمَنْ يَمَلِكْ سَوْماً يُجْزَى بِهِ﴾ [سورة النساء: ۱۲۳] الآية.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يعني: فكيف يصنعون؟ وكيف يكون حالهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ يعني: بنبيها هو شهيداً شاهد بتبليغ الرسالة من ربهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ يعني: على أمتك شهيداً بالتصديق لهم، لأن أمته يشهدون على الأمم المكذبة للرسالة، وذلك أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للأمم الخالية: هل بلغكم الرسل رسالاتي؟ فيقولون: لا. فتقول الرسل: قد بلغنا ولنا شهود، فيقول عز وجل: ومن شهودكم؟ فيقولون: أمة محمد ﷺ، فيؤتى بأمة محمد فيشهدون بتبليغ الرسالة، بما أوحى إليهم من ربهم في كتابهم في قصة الأمم الخالية. فتقول الأمم الخالية: إن فيهم زواني وسراقاً، فلا تقبل شهادتهم، فيزيكهم النبي ﷺ فيقول المشركون: ﴿وَأَلَّهَ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ۲۳] فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فذلك قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ يعني: تخسف بهم الأرض. ويقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ الرسل يشهدون على قومهم بتبليغ الرسالة، ويشهد النبي ﷺ على أمته بتبليغ الرسالة لمن قبل ولمن لم يقبل.

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا أبو منيع، قال: حدثنا أبو كامل، قال: حدثنا فضيل، عن يونس بن محمد بن فضالة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أتاهم في بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في بني ظفر، ومعه ابن مسعود ومعاذ وأناس من الصحابة، فأمر قارئاً فقرأ حتى إذا أتى على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ بكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت وجنتاه فقال: «يَا رَبِّ هَذَا عَلَّمِي بِمَنْ أَنَا بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ أَرَهُمْ؟».

ثم قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الكفار ﴿وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ يعني: يكونون تراباً يمشي عليهم أهل الجمع ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ وهو قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. قال الزجاج: قال بعضهم: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ مستأنف، لأن ما عملوا ظاهر عند الله تعالى لا يقدر على كتمانهم. وقال بعضهم: هو كلام بناء يعني: يودون أن الأرض سويت بهم، وأنهم لم يكتموا الله حديثاً لأنه أظهر كذبهم. قرأ حمزة والكسائي ﴿تَسَوَّى﴾ بنصب التاء وتخفيف السين وتشديد الواو يعني: تخسف بهم الأرض، وقرأ



عاصم وابن كثير وأبو عمرو ﴿تَسْوَى﴾ بضم التاء على فعل سالم يَسْوِي فاعله. يعني: فتسوى، أي يصيرون تراباً فتسوى بهم الأرض. وقرأ نافع وابن عامر: ﴿تَسْوَى﴾ بنصب التاء وتشديد السين والواو، لأن أصله تسوى فادغم إحدى التائين في السين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجُونَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ قال مقاتل: وذلك أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً، فدعا أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً، وسعداً رضي الله عنهم، فأكلوا وسقاهم خمرأ، فحضرت صلاة المغرب فأمهم علي فقرأ ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُ﴾ [سورة الكافرون: ١] على غير الوجه، فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ وكان ذلك قبل تحريم الخمر. ويقال ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ يعني: موضع الصلاة، وهو المسجد ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ويقال: حتى تصيروا بحال تعلمون ما تقولون، فحينئذٍ تقربوا المسجد لأنهم إذا لم يعلموا ما يقولون فلا يعرفون الحرمة.

ثم قال: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يقول: ولا تقربوا الصلاة جنباً ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ يعني: إلا أن يكون مسافراً فلا يجد الماء، فيتيمم ويصلي وإن كان جنباً. وقال الزجاج: وحقيقته ألا تصلوا إذا كنتم جنباً ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ إلا أن لا تقدرُوا على الماء. وقال القتيبي: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾، يعني: لا تقربوا المساجد وأنتم جنباً إلا مجتازين. وقال بعضهم: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ من النوم. وروى السدي عن حدثه، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ قال: «في السفر يتيمم ويصلي». ويقال: إلا أن تكون في المسجد عين، فيدخل ليغترف الماء.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ نزلت في عبد الرحمن بن عوف، أصابته جنابة وهو جريح، فرخص له بأن يتيمم، ثم صارت الآية في جميع الناس. وروي عن عبد الله بن عباس وجابر بن سمرة وغيرهما من الصحابة: أن رجلاً كان به جذري على عهد رسول الله ﷺ، فأصابته جنابة فغسلوه فمات من ذلك، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ فَهَلْأَ يَشْمُوهُ»<sup>(١)</sup>. وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ قال: «فإنما هو للمجذوم، والمجدور، والمقروح».

(١) حديث ابن عباس: أخرجه أبو داود (٣٣٧) وزاد فيه «ألم يكن شفاء العي السؤال» ومن طريق جابر (٣٣٦).

ثم قال: ﴿أو على سفر﴾ يعني: إذا كنتم مسافرين ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ والغائط في اللغة: اسم المكان المعلم من الأرض، وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. ثم قال: ﴿أو لامستم النساء﴾ قرأ حمزة والكسائي: ﴿أو لامستم﴾ وقرأ الباقون ﴿لامستم﴾ من الملامسة. قال ابن عباس: «يعني الجماع». وقال بعضهم: هو المس باليد ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾ يعني: إذا أصابكم الحدث أو الجنابة، ولم تجدوا ماء ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ يعني: تراباً نظيفاً. ويقال: الصعيد هو ما علا وجه الأرض ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ قال بعضهم: الوجه والكفين، وهو قول الأعمش والأوزاعي. وقال بعضهم: إلى المنكبين، وهو قول الزهري. وقال عامة أهل العلم: الوجه واليدين إلى المرفقين، وبذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ وعن عامة الصحابة رضوان الله عليهم اعتباراً بالوضوء.

ثم قال تعالى: ﴿إن الله كان عفواً﴾ يعني: ذو الفضل والعفو حين أجاز لكم التراب مكان الماء، ﴿غفوراً﴾ لتقصيركم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعَنَا لَئِن يَأْتِينِيهِمْ وَطَعْنَا فِي أذُنِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنفَعَنَا لَئِن كَانَتْ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمُ اللَّهُ لَكُنَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ إِنَّا لَمُهْذَبُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني: أعطوا حظاً من علم النوراة ﴿يشترون الضلالة﴾ يعني: يختارون الكفر على الإسلام. قال القتيبي: وهذا من الاختصار، ومعناه ﴿يشترون الضلالة﴾ بالهدى، يعني: يستبدلون هذا بهذا، كقوله: ﴿إِنَّ الْمُهْذَبَاتِ كَانَتْ مَثْرُوكًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٤] يعني: مسؤولاً عنه.

ثم قال: ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ يعني: تتركوا طريق الهدى، وهو طريق الإسلام ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ يعني: يعلم بعداوتهم إياكم، يعني: هو يعلم بالحقيقة وأنتم تعلمون الظاهر. ويقال: هذا وعيد لهم، فكانه يقول: هو أعلم بعدابهم كما قال في آية أخرى ﴿وَأَلَّ اللَّهُ عِلْمَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ﴾ [سورة الأنعام: ٥٨] يعني: عليم بعقوبتهم ومجازاتهم.

ثم قال: ﴿وكفى بالله ولياً﴾ يعني: ناصرأ لكم، ومعيناً لكم ﴿وكفى بالله نصيراً﴾ يعني: مانعاً لكم.

قوله تعالى ﴿من الذين هادوا﴾ يعني: مالوا عن الهدى. قال الزجاج: ﴿من الذين هادوا﴾ فيه قولان: فجاز أن يكون ﴿من﴾ صلة، والمعنى: الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب الذين هادوا، ويجوز أن يكون معناه: من الذين هادوا قوم ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يعني:

يخرفون نعته عن مواضعه، وهو نعت محمد ﷺ **﴿ويقولون سمعنا﴾** قولك **﴿وعصينا﴾** أمرك **﴿واسمع غير مسمع﴾** يعني: غير مسمع منك **﴿وراعنا لئلا بالسنتهم﴾** يعني: يلوون السنتهم بالسب **﴿وطعنا في الدين﴾** يعني: في دين الإسلام. وقال القتيبي: كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا حدثهم وأمرهم: يقولون سمعنا، ويقولون في أنفسهم: وعصينا أمرك، وإذا أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا: اسمع يا أبا القاسم. ويقولون في أنفسهم: لا سمعت. ويقولون: **﴿راعنا﴾** يوهمونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون انظرنا حتى نكلمك بما تريد، ويريدون به السب بالرغوة **﴿لئلا بالسنتهم﴾** أي قلباً للكلام بها **﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾** مكان سمعنا وعصينا **﴿واسمع﴾** مكان اسمع لا سمعت **﴿وانظرنا﴾** مكان قولهم راعنا **﴿لكن خيراً لهم وأقوم﴾** يعني: وأصوب من التحريف والطعن.

ثم قال تعالى: **﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾** يعني: خذلهم الله وطردهم، مجازاة لهم بكفرهم **﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾** يعني: لا يؤمنون إلا بالقليل، لأنهم لا يؤمنون بالقرآن، ولا يؤمنون بجميع ما عندهم، ولا بسائر الكتب، وإنما يصدقون ببعض ما عندهم. ويقال: لا يؤمنون إلا القليل منهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب. ويقال: إنهم لا يؤمنون وهم بمنزلة رجل يقول: فلان قليل الخير، يعني: إنه لا خير فيه.

**﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَا مَثَلُوا بِمَآ زَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَىٰ آدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾**

ثم خوفهم فقال: **﴿يا أيها الذين آتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا﴾** يعني: صدقوا بالقرآن **﴿مصدقاً لما معكم﴾** يعني: موافقاً للتوراة في التوحيد وبعض الشرائع **﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على آدبارها﴾** وطمسها: أن يردها على بصائر الهدى، ويقال: طمسها أن يحول الوجوه إلى الأقفية. ويقال: يخسف الأنف والعين فيجعلها طمساً، ويقال: من قبل أن يسود الوجوه. قال بعضهم: يعني به في الآخرة. ويقال: هذا تهديد لهم في الدنيا. وذكر أن عبد الله بن سلام قدم من الشام، فلم يأت أهله حتى أتى رسول الله ﷺ، وقال: ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي. - ويقال: **﴿من قبل أن نطمس وجوهاً﴾** يعني: وجه القلب وهو كتابة عن القسوة<sup>(١)</sup>. - وقال مقاتل: يعني من قبل أن تحول القبله كقوله **﴿ولكُل وجهه هو مؤلياً﴾** [سورة البقرة: ١٤٨] ثم قال: **﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾** يعني:

(١) ما بين معقوفتين زيادة في «ب».

نسخهم كما مسخنا أصحاب السبت القردة. ثم قال ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ يعني: كائناً، وهذا وعيد من الله تعالى لهم ليعتبروا ويرجعوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: دون الشرك ﴿لمن يشاء﴾ يعني: لمن مات موحداً. نزلت الآية في شأن الوحشي قاتل حمزة، وذلك أن الناس لما التقوا يوم أحد وقد جعل الوحشي حراً إن قتل حمزة، فقتله، لم يوف له، فلما قدم مكة ندم على صنيعه الذي صنع هو وأصحابه معه، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ كتاباً: إنا قد ندمنا على صنيعنا، وإنه ليس يمنعنا من الدخول في الإسلام معك إلا أنا سمعناك تقول إذ كنت عندنا بمكة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨] إلى قوله ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الفرقان: ٦٩] وقد دعونا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس، وزيننا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزل ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة مريم: ٦٠] الآية. فبعث رسول الله ﷺ بهذه الآية إلى الوحشي وأصحابه، فلما قرؤوا كتبوا إليه أن هذا شرط شديد، نخاف ألا نعمل عملاً صالحاً فلا نكون من أهل هذه الآية. فنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فبعث إليهم فقرؤوها، فبعثوا إليه: إن في هذه الآية شرطاً أيضاً نخاف ألا نكون من أهل مشيئته، فنزل قوله ﴿قُلْ يَكْفِي أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الزمر: ٥٣] الآية فبعثنا إليهم، فلما قرؤوها وجدوها أوسع مما كان قبلها، فدخل هو وأصحابه في الإسلام. وروي عن ابن عمر أنه قال: «كنا إذا مات الرجل منا على كبيرة، شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأمسكنا عن الشهادة». وهذه الآية رد على من يقول: إن من مات على كبيرة يخلد في النار، لأن الله تعالى قد ذكر في آية أخرى ﴿إِنَّ الْمَسْئَلَةَ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤] يعني: ما دون الكبائر، فلم يبق لهذه المشيئة موضع سوى الكبائر، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ يعني: اختلق على الله كذباً عظيماً. ويقال: فقد أذنب ذنباً عظيماً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكُّونَ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ (١٩) أَنْظَرُ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكُّونَ مِنْ يَشَاءُ﴾ يقول: يبرثون أنفسهم من الذنوب، وذلك أن رؤساء اليهود كانوا يقولون: هل على أولادنا من ذنب، فما نحن إلا كهيتهم؟ فهذا الذي زكوا به أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَزُكِّي مِنْ يَشَاءُ﴾ يعني: يصلح ويبرىء من يشاء من الذنوب. ويقال: يكرم من يشاء بالإسلام ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ قال الكلبي ومقاتل: الفتيل الذي يكون في شق النواة وهو الأبيض، ويقال: هو ما قتلته بين أصبعيك من الوسخ، إذا مسحت إحداهما بالأخرى، يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم بذلك المقدار.

ثم قال تعالى: ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ يعني: يخلقون على الله الكذب، ﴿وكفى به إثمًا مبيناً﴾ يعني: ذنباً مبيناً. روى مقاتل عن الضحاك قال: الفتيل، والتفجير، والقطمير كلها في النواة.

﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَمْ نَبَيِّبْ بَيْنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَانَدَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِزْهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَيَتَّبِعُهُم مِّنَ ءَمَنِ يَوْمَ وَمِنَهُمْ مَّن سَدَّ عُنُقَهُمْ وَالْكَفَىٰ بِعَجْمِهِمْ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿الَمْ تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني: أعطوا حظاً من علم التوراة ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ الجبت: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف. وقال الفثبي: كل معبود من حجر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت. ويقال: الجبت السحر والسحرة، والطاغوت الكهنة. وقيل: الجبت في هذه السورة رجلان من اليهود، وإيمانهم بهما تصديقهم إياهما وطاعتهم إياهما.

ثم قال تعالى: ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ يعني: لمشركي مكة ﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ وذلك أن رؤساء اليهود قدموا مكة بعد قتال أحد، ونقضوا العهد، وبايعوا المشركين وقالوا: أنتم أهدى سبيلاً من المسلمين.

حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديلمي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: جاء كعب بن الأشرف وفي رواية أخرى: عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب إلى مكة فأتيا قريشاً، فقالت لهما قريش: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عن ديننا القديم ودين محمد الحديث، ونحن نصل الرحم، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، ومحمد ﷺ صنبور قطع أرحامنا واتبعة سراق الحجيج بنو غفار، فنحن أهدى أم هو؟ قال: بل أنتم أهدى سبيلاً منهم. فأنزل الله تعالى ﴿الَمْ تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى قوله ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ يعني أهدى ديناً منهم، أي: من المهاجرين والأنصار.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ يعني: خذلهم وطردهم الله من رحمته، ويقال: عذبهم بالجزية ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ يعني: مانعاً.

قوله تعالى: ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ يقول: لو كان لهم، يعني لليهود حظ من الملك ﴿فإذا لا يؤتون الناس نقيراً﴾ يعني: لا يعطون أحداً من بخلهم وحسدكم نقيراً، والنقير: النقطة

التي على ظهر النواة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني: أبحسدون الناس. ويقال: بل يحسدون الناس يعني به محمداً ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والرسالة وكثرة تزوجه النساء، ويقولون: لو كان نبياً لشغلته النبوة عن كثرة النساء، فيحسدونه بذلك.

قال الله تعالى ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة والعلم والفهم ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان يوسف عليه السلام ملكاً على مصر، وكان سليمان بن داود عليهما السلام ملكاً، وكانت له ثلاثمائة امرأة حرة سوى السرية، هكذا قال مقاتل وقال الكلبي: كانت له سبعمائة امرأة سوى ثلاثمائة سرية، وكان لداود عليه السلام مائة امرأة، فلم يكن تمنعهم النبوة عن ذلك. ويقال: الفائدة في كثرة تزوجه أنه كانت له قوة أربعين نبياً، وكل من كان أقوى فهو أكثر نكاحاً. ويقال: إنه أراد بالنكاح كثرة العشيرة، لأن لكل امرأة قبيلتين: قبيلة من قبل الأب، وقبيلة من قبل الأم، فكلما تزوج امرأة صرف وجوه القبيلتين إلى نفسه، فيكونون عوناً له على أعدائه. ويقال: إن كل من كان أتقى كانت شهوته أشد، لأن الذي لا يكون تقياً إنما يتفرج بالنظر والمس، ألا ترى إلى ما روي في الخبر «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ». فإذا كان في النظر وفي المس نوع من قضاء الشهوة، فلا ينظر التقى ولا يمس، فتكون الشهوة مجتمعة في نفسه، فيكون أكثر جماعاً. وقال أبو بكر الوراق: كل شهوة تُقسي القلب إلا الجماع، فإنه يصفي القلب، ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يفعلون ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني: من اليهود يحسدون من آمن بالكتاب الذي أنزل على إبراهيم وآمن بالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ يعني: أعرض عنه مكذباً، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: ﴿فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني: من آل إبراهيم ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني: بالكتاب الذي جاء به ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ يعني: لم يؤمن به. وقال الضحاك: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني: اليهود يحسدون قريشاً لأن النبوة كانت فيهم ﴿فَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ يعني: إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط. ﴿الْكِتَابَ﴾ يعني: التنزيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: السنة ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ يعني: قريشاً وبني هاشم ﴿مَلَكًا عَظِيمًا﴾ يعني: الخلافة لا تصلح إلا بقريش ﴿فَمَنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني: بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أي: كفر به. ثم قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾ يعني: وقوداً لمن كفر به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْجِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْجِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

ثم بين مصير من كذب به، وموضع من آمن به، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ يعني: ندخلهم ناراً في الآخرة. ويقال:



صَلِيٍّ إِذَا دَخَلَ النَّارَ لِأَجْلِ شَيْءٍ، وَأَصْلَاهُ إِذَا أَدْخَلَهُ لِلْإِحْتِرَاقِ، وَالْإِصْطِلَاءُ بِالنَّارِ: الْإِسْتِدْفَاءُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ يَقُولُ: كَلِمًا احْتَرَقَتْ جُلُودُهُمْ ﴿بِدَلْتَانِهِمَا﴾ يَعْنِي: جَدَدْنَا لَهُمْ ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لِأَنَّهُمْ إِذَا احْتَرَقُوا خَبِتَ عَنْهُمْ النَّارُ سَاعَةً، فَبَدَلُوا خَلْقًا جَدِيدًا، ثُمَّ عَادَتْ تَحْرِقُهُمْ، فَهَذَا دَابُّهُمْ فِيهَا. وَقَالَ مِقَاتٌ: تَجَدَّدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ. وَقَالَ الْحَسَنُ: بَلَّغَنِي أَنَّهُ يَنْضِجُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: سَبْعِينَ جِلْدًا فِي كُلِّ يَوْمٍ. وَقَدْ طَعَنَتِ الزَّنَادِقَةُ فِي هَذَا وَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي يَبْدُلُ الْجِلْدَ لَمْ يَذَنْبِ، فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ وَالْعَذَابَ؟ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ ذَلِكَ الْجِلْدَ هُوَ الْجِلْدُ الْأَوَّلُ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَحْرَقَ أُعِيدَ إِلَى الْحَالِ الْأَوَّلِ، كَالنَّفْسِ إِذَا صَارَتْ تَرَابًا وَصَارَتْ لَا شَيْءَ ثُمَّ أَحْيَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَكَذَلِكَ هَاهُنَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ، كَمَا قَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى ﴿يَوْمَ نُبَدِّلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يَعْنِي: يَزَادُ فِي سَعْتِهَا، وَتَسْوَى جِبَالَهَا وَأَوْدِيَتَهَا».

وقوله تعالى: ﴿لِيذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ يَعْنِي: لِكَيْ يَجِدُوا مَسَّ الْعَذَابِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ فِي نَقْمَتِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِي أَمْرِهِ، حَكَمَ عَلَيْهِمُ بِالنَّارِ، ثُمَّ بَيَّنَّ مَصِيرَ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَعْنِي: آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِالْقُرْآنِ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يَعْنِي: الطَّاعَاتِ الَّتِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿سَنَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يَعْنِي: مُقِيمِينَ فِيهَا ﴿أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ فِي الْخُلُقِ وَالْخَلْقِ ﴿وَنَدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي: ظِلَالِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، وَظِلَالِ قُصُورِهَا. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ يَعْنِي: دَائِمًا. وَقَالَ مِقَاتٌ: ﴿ظِلًّا﴾ يَعْنِي: أَكْتافِ الْقُصُورِ ﴿ظَلِيلًا﴾ يَعْنِي: لَا خَلَلَ فِيهَا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْهَايُكُمْ عَنِ الْبَعْثِ بِكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وَذَلِكَ أَنْ مَفْتاحَ الْكَعْبَةِ كَانَ فِي يَدِ بَنِي شَيْبَةَ، وَكَانَتِ السَّقَايَةُ فِي يَدِ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ دَعَا عِثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ وَقَالَ لَهُ: «هَاتِ الْمَفْتاحَ». فَخَشِيَ عِثْمَانُ أَنْ يُعْطِيَهُ إِلَىٰ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ، فَجَاءَ بِالْمَفْتاحِ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: خُذْهُ بِأَمَانَةِ اللَّهِ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ، فَوَإِذَا فِيهِ تَمَثَّلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصُورٌ عَلَى الْحَائِطِ وَفِي يَدِهِ قِدَاحٌ، وَعِنْدَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْكَبِشُ مَصُورَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَاتِلِ اللَّهَ الْكُفَّارَ مَا لِإِبْرَاهِيمَ وَالْقِدَاحِ» فَأَمَرَ بِالصُّورِ فَمَحِيَتْ، فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ خَرَجَ، فَطَلَبَ مِنْهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِأَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ الْمَفْتاحَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وَدَفَعَ الْمَفْتاحَ إِلَىٰ عِثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ صَارَتِ الْآيَةُ عَامَةً

(١) عزاه السيوطي ٥٧/٢ إلى ابن مردويه وابن جرير وابن المنذر.



لجميع الناس برد الأمانات إلى أهلها. ويقال: نزلت في شأن اليهود، حيث كتموا نعت محمد ﷺ، وكانت أمانة عندهم فتمنعوها. ويقال: هذا أمر لجميع المسلمين بأداء الفرائض وجميع الطاعات، لأنها أمانة عندهم كقوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَخَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يعني: بين القوم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ يقول: بالحق، وقال الضحاك: ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يعني: بين الخصوم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ يعني: بالبينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا بِعِظْمِكُمْ بِهِ﴾ يعني: يأمركم بالعدل والنصيحة، والاستقامة، وأداء الأمانة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ بمقالة العباس ﴿بَصِيرًا﴾ برد المفتاح إلى أهله. قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة ﴿نِعْمًا﴾ بنصب النون وكسر العين والاختلاف فيه كالاختلاف الذي في سورة البقرة، وذلك قوله: ﴿إِنْ تَبَدَّوْا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ يعني: في الفرائض ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يعني: في السنن. ويقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فيما فرض، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما بين. ويقال ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بقول لا إله إلا الله، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بقول محمد رسول الله. ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. قال الكلبي ومقاتل: يعني، أمراء السرايا. وقال الضحاك: يعني، الفقهاء والعلماء في الدين. ويقال: الخلفاء والأمراء، يجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية.

ثم قال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام والشرائع ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يعني: إلى أمر الله فيما يأمر بالوحي، وإلى أمر الرسول فيما يخبر عن الوحي، ثم بعد النبي ﷺ لما انقطع الوحي يرد إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسوله ﷺ. ويقال: معناه إذا أشكل عليكم شيء، فقول: الله ورسوله أعلم، وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل». وقال الخليل بن أحمد البصري: «الناس أربعة: رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فهذا أحق فاجتنبوه. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فهذا جاهل فعلموه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فهذا نائم فأيقظوه. ورجل يدري ويدري أنه يدري، فهذا عالم فاتبعوه».

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: إن كنتم تصدقون بالله وبالبعث بعد الموت ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يعني: الرد إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة الرسول ﷺ خير من الاختلاف ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ يعني: وأحسن عاقبة. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «حق على الإمام أن يحكم بالعدل، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك وجب على

المسلمين أن يطيعوه، فإن الله تعالى أمرنا بأداء الأمانة والعدل، ثم أمرنا بطاعتهم». وقال مجاهد: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ العلماء والفقهاء، وهكذا روي عن جابر .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ وذلك أن منافقاً يقال له بشر، كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد ﷺ وكانت تلك الخصومة في حكم الإسلام على المنافقين، وفي حكم اليهود على اليهود. فقال اليهودي: نأتي محمداً ﷺ يحكم بيننا وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف حتى يحكم بيننا. فكانا في ذلك إذ سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولهما، فقال: ما شأنكما؟ فأخبراه بالقصة. فقال عمر: «أنا أحكم بينكما». فأجلسهما، ثم دخل البيت وخرج بالسيف، وقتل المنافق، فنزلت الآية ﴿الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني: سائر الكتب المنزلة ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ وهو كعب بن الأشرف ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ يعني: أمروا بتكذيبه. وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، لأنهم آمنوا بلسانهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، وركنوا إلى قول اليهود ومالوا إلى خلاف النبي ﷺ، فذلك قوله: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ يعني: إلى كهنة اليهود وسحرتهم.

ثم قال: ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم﴾ عن الهدى وعن الحق ﴿ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق ثم قال: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ يعني: إلى ما أمر الله في كتابه، وإلى ما أمر الرسول ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ يعني: يعرضون عنك إعراضاً. ويقال: صد يصد، يكون لازماً ويكون متعدياً، وإنما يتبين ذلك بالمصدر. ويقال: صد يصد صدأً إذا صرف غيره. كقوله تعالى ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة النمل: ٢٤] وصد يصد صدوداً، إذا عرض بنفسه كقوله تعالى ﴿فَيُنْهِمُ مَنْ آمَنُ بِهِ وَيَوْمَهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [سورة النساء: ٥٥] وكقوله ﴿رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء: ٦٦].

قوله تعالى: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾ يقول: فكيف يصنعون إذا أصابتهم عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ يعني: بما عملت أيديهم ﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله﴾ قال في رواية الكلبي:

نزلت في شأن ثعلبة بن حاطب، كانت بينه وبين الزبير بن العوام خصومة، فقاضى رسول الله ﷺ للزبير، فخرجا من عنده، فمرا على المقداد بن الأسود، فقال المقداد لمن كان القضاء يا ثعلبة؟ فقال ثعلبة: قضى لابن عمته الزبير، ولوى شذقه على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ أي يليه شذقه، فلما نزلت هذه الآية أقبل إلى رسول الله ﷺ يعتذر إليه ويحلف. وهو قوله: ﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً﴾ يعني: ما أردنا إلا الإحسان في المقالة ﴿وتوفيقاً﴾ يقول: صواباً. وقال الضحاک ومقاتل: نزلت في شأن الذين بنوا مسجد الضرار، فلما أظهر الله تعالى نفاقهم وأمر بهدم المسجد، حلفوا للرسول ﷺ دفعاً عن أنفسهم: ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله تعالى وموافقة الكتاب.

قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من الضمير. وقال الزجاج: معناه قد علم الله أنهم منافقون، والفائدة لنا أن اعلما أنهم منافقون. قال: ومعنى قوله: ﴿وتوفيقاً﴾ أي طلباً لما وافق الحق.

ثم قال تعالى: ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تعاقبهم ﴿وعظيهم﴾ بلسانك ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ يعني: خوِّفهم وهددهم إن فعلتم الثانية عاقبتكم. وقال مقاتل: تقدم إليهم تقديماً وثيقاً، ثم نسخ بقوله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة التوبة: ٧٣).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ و﴿من﴾ صلة، فكانه قال: وما أرسلنا رسولاً ﴿إلا ليُطاع بإذن الله﴾ لكي يطاع بأمر الله. ثم قال ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ بصنيعهم ﴿جاؤوك﴾ بالتوبة ﴿فاستغفروا الله﴾ لذنوبهم ﴿واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ متجاوزاً.

قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ كقول القائل: لا والله لا يؤمنون ﴿حتى يحكموك﴾ يعني: حتى يقروا ويرضوا بحكمك يا محمد ﴿فيما شجر بينهم﴾ يعني: فيما اختلفوا فيه. ويقال: تشاجرا أي اختلفا. ويقال: فيما التبس عليهم.

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديلمي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، عن سفیان، عن عمرو، عن رجل من ولد أم سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: كان بين الزبير بن العوام وبين رجل خصومة، فقاضى النبي ﷺ للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته.

فأنزل الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾<sup>(١)</sup> ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم﴾ يعني: في قلوبهم ﴿حرجاً﴾ أي شكاً ﴿مما قضيت﴾ أنه الحق ﴿ويسلموا تسليماً﴾ يعني: ويخضعوا لأمرك في القضاء خضوعاً. قال الزجاج: ﴿تسليماً﴾ مصدر مؤكد، فإذا قلت ضربه ضرباً، فكانت قلت: لا شك فيه، كذلك ﴿ويسلموا تسليماً﴾ أي ويسلمون لحكمك تسليماً لا يدخلون على أنفسهم شكاً.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَوَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَرَكًا لَكُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَوَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسهم﴾ يعني: لو فرضنا عليهم القتل ﴿أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ والقليل منهم: عمار بن ياسر، وابن مسعود، وثابت بن قيس، قالوا: لو أن الله تعالى أمرنا أن نقتل أنفسنا أو نخرج من ديارنا لفعلنا، فقال النبي ﷺ: «الإيمان أثبت في قلوب الرجال من الجبال الزواسي» قرأ ابن عامر: ﴿إلا قليلاً منهم﴾ بالالف وهكذا في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون ﴿إلا قليل منهم﴾ بالضم. فمن قرأ بالضم فعناه: ما فعلوه، ويفعله قليل منهم على معنى الاستئناف. ومن قرأ بالنصب على معنى: أنه خلاف الأول للاستثناء. كقوله تعالى ﴿إِلَّا السُّفُهَاءُ﴾ [النساء: ٩٨].

ثم قال تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ يعني: ما يؤمرون به ﴿لكان خيراً لهم﴾ في الآخرة في الثواب ﴿وأشد تئيباً﴾ يعني: تحقيقاً في الدنيا.

قوله تعالى ﴿وإذا لآتيناهم﴾ يقول: حينئذ لأعطيناهم ﴿من لذناب﴾ يعني: من عندنا ﴿أجراً عظيماً﴾ في الآخرة يعني: الجنة ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ يعني: ديناً قيماً يرضاه لهم.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالرَّسُولِينَ وَالشَّاهِدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِإِلَٰهِمْ عِلْمًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ قال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب له، وكان قليل الصبر عنه، حتى تغير لونه ونحل جسمه، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿مَا غَيَّرَ لَوْنُكَ؟﴾ فقال: ما بي من مرض، ولكنني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة حتى أفاك، وأذكر الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك. فنزل ﴿ومن يطع

(١) حديث عبد الله بن الزبير: أخرجه البخاري (٢٣٥٩) (٢٣٦٠) (٢٣٦١) ومسلم (٢٣٥٧) والترمذي

(١٣٦٣) والنسائي ٢٤٥/٨ وأحمد ٥/٤.

الله والرسول ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ في الجنة. وقال في رواية الضحاك: وذلك أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله، وإن صرنا إلى الجنة فإنك تفضلنا بدرجات النبوة فلا تترك، فنزل ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ الآية.

قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا جهضم، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، أن رجلاً من الأنصار أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي، فلولا أنني أتيت فأراك لا ريب أنني سوف أموت. قال: ويكى الأنصاري. فقال: «مَا أَبْكَأكَ؟» قال: ذكرت أنك تموت وتموت وترفع مع النبيين، ونكون نحن وإن دخلنا الجنة دونك، فلم يجبه بشيء، فأنزل الله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ ﴿من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾ يعني: من المسلمين.

ثم قال: ﴿وحسن أولك رفيقاً﴾ في الجنة، يعني: رفقاء كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَحْمِيحُكُمْ يُفْلِحًا﴾ [الحج: ٥] أي أطفالاً، وكقوله ﴿كُلٌّ صَيِّمَةٌ عَلَيْهِمْ هُرُّ الْمَدْرُ﴾ [المنافقون: ٤] يعني: الأعداء ﴿ذلك الفضل من الله﴾ يعني: المن والعتية من الله ﴿وكفى بالله عليمًا﴾ بالثواب في الآخرة.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَيْمًا﴾ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَدِّلُ فَإِنْ أصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ يعني: عدتكم من السلاح ﴿فانفروا ثبات﴾ يعني غضباً سرايا ﴿أو انفروا جميعاً﴾ مع النبي ﷺ بأجمعكم. قال الزجاج: الثبات الجماعة المتفرقة، فتأويله: انفروا جماعاتٍ متفرقة، أو انفروا مجتمعاً بعضكم إلى بعض.

قوله تعالى: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ فاللام الأولى زيادة للتأكيد، واللام الثانية للقسم. يعني: وإن منكم من يتناقل ويتخلف عن الجهاد، يعني: المنافقين، فهذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: إن فيكم منافقين يتناقلون ويتخلفون عن الجهاد ﴿فإن أصابكم﴾ يا معشر المسلمين ﴿مصيبة﴾ يعني: نكبة وشدة وهزيمة من العدو ﴿قال﴾ ذلك المنافق الذي فيكم وتخلف عن الجهاد: ﴿قد أنعم الله علي﴾ بالجلوس ﴿إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ يعني: حاضراً في تلك الغزوة.

قوله تعالى: ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ يعني: الفتح والغنيمة ﴿ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ يعني: معرفة ووداً في الدين ﴿يا ليتني كنت معهم﴾ في تلك الغزوة ﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾ فأصيب غنائم كثيرة. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فإن أصابكم مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً، كان لم يكن بينكم وبينه مودة في الدين

ولا ولاية. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص: ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء لأن المودة مؤنثة، وقرأ الباقون بالياء لأن تأنيثه ليس بحقيقي.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُمِيتْهُ أَوْ يُقَاتِلْ أَوْ يُغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٦) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَبِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَايًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَتِنَا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦)

ثم أمر المنافقين بأن يقاتلوا لوجه الله تعالى، فقال عز وجل: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ يعني: فليقاتل الذين معكم في طاعة الله ﴿الذين يشرون الحياة الدنيا﴾ يعني: يختارون الدنيا على الآخرة. ويقال: هذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: فليقاتل في سبيل الله الكفار الذين يشرون الحياة الدنيا ﴿بالآخرة﴾.

ثم قال: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله﴾ يعني: في طاعة الله ﴿فيقتل﴾ يقول: فيشهد، ﴿أو يغلب﴾ يعني: يقتل العدو ويهزمهم ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ يعني: ثواباً عظيماً في الجنة، فجعل ثوابهما واحداً، يعني: إذ غلب أو غلب يستوجب الثواب في الوجهين جميعاً، وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله﴾ قال: ومن قاتل في سبيل الله فواق ناقة، غفرت له ذنوبه ووجبت له الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ أي: ثواباً عظيماً في الجنة.

ثم حث المؤمنين على القتال فقال تعالى: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾ يعني: وعن المستضعفين ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ ويقال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين. وقال الضحاك: وذلك أن كفار قريش أسروا سبعة نفر من المسلمين وكانوا يعذبونهم، فأمر الله بقتال الكفار ليستنقذوا الأسرى من أيديهم ﴿الذين يقولون﴾ يعني: المستضعفين الذين بمكة، يدعون الله تعالى ويقولون: ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ يعني: مكة ﴿الظالم أهلها﴾ بالشرك ﴿واجعل لنا من لَدُنْكَ وَايًّا﴾ يعني: من عندك وولياً حافظاً يحفظنا ﴿واجعل لنا من لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يعني: مانعاً يمنعنا منهم. قال الكلبي: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، جعل الله لهم النبي ﷺ وولياً وهو عتاب بن أسيد نصيراً، وكان عتاب بن أسيد ينصف الضعيف من الشديد، فنصرهم الله به وأعانهم، وكانوا أعز من بمكة من الظلمة قبل ذلك، أي صار المسلمون الضعفاء أعزاء كما كان الكفار قبل ذلك.



ثم مدح الله المؤمنين بقتالهم لوجه الله تعالى، فقال: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله تعالى وإعزاز الدين. وذم المشركين المنافقين، وبين أن قتالهم للشيطان، فقال: ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ يعني: في طاعة الشيطان.

ثم حرض المؤمنين على القتال فقال: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ يعني: جند الشيطان وهم المشركون ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ يعني: مكر الشيطان كان واهياً. ويقال: أراد به يوم بدر حيث قال لهم الشيطان يعني: للكفار: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فلما تراءت الفتتان نكص على عقبه. ويقال: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ يعني: مكروهاً ضعيفاً لا يدم، وهذا كما يقال: للحق دولة وللباطل جولة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَىٰ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ الْأَنْفَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَبَيِّنًا ﴿٧٧﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿الم تر إلى الذين قيل لهم﴾ يعني: ألم تخبر عنهم، ويقال: معناه ألا ترى إلى هؤلاء، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ حين كانوا بمكة استأذنوا في قتل كفار مكة سراً، لما كانوا يلقون منهم من الأذى، فقال لهم النبي ﷺ: «مهلاً» ﴿كفوا أيديكم﴾ عن قتالهم ﴿واقموا الصلاة﴾ «فإني لم أؤمر بقتالهم». فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمره الله تعالى بالقتال، فكره بعضهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>: ﴿الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ عن القتل ﴿واقموا الصلاة﴾ أي أتموها ﴿وآتوا الزكاة﴾ يعني: أقرؤا بها وأعطوها إذا وجبت عليكم ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ يعني: فرض عليهم القتال بالمدينة ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس﴾ يعني: يخشون عذاب الكفار ﴿كخشية الله﴾ يقول: كخشيتهم من عذاب الله ﴿أو أشد خشية﴾ يعني: بل أشد خشية، ويقال: معناه وأشد خشية، يعني: أكثر خوفاً ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾ يقول: لم فرضت علينا القتال ﴿لولا أخرتنا﴾ أي: يقولون هلاً أجلتنا ﴿إلى أجل قريب﴾ وهو الموت، فبين الله تعالى لهم أن الدنيا فانية فقال: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ يقول: منفعة الدنيا قليلة لأنها لا تدوم. وقال النبي ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

ثم قال تعالى: ﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾ ثواب الآخرة أفضل لمن اتقى الشرك والمعاصي ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ وقد ذكرناه. قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير: ﴿ولا تظلمون﴾ بالياء على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر، يعني: المتقين.

(١) عزاه السيوطي ٥٩٤/٢ إلى الشافعي وابن جرير - وصححه الحاكم والبيهقي في سننه.



﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَذِهِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَيْثُ بَيَّنَّا ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني: في أي موضع يأتيكم الموت ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ يعني: في القصور الطوال المشيدة المبنية إلى السماء، حتى لا يخلص إليه أحد من بني آدم. وقال القتيبي: «البروج»: الحصون، و «المشيدة»: المطولة، وذلك أنهم لما تناقلوا عن الخروج إلى الجهاد مخافة الموت، فأخبرهم الله تعالى أنهم لا يموتون قبل الأجل، إذا جاء أجلهم لا ينجون من الموت، وإن كانوا في موضع حصين. وهذا قوله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ثم أخبر عن المنافقين فقال: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يعني: الفتح والغنيمة والخصب ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصيبهم سيئة﴾ يعني: نكبة وهزيمة ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يعني: من شؤمك، يعني: أصابتنا بسبيك، أنت الذي حملتنا على هذا. ﴿قل كل من عند الله﴾ يقول: الرخاء والشدة من الله، ويقال: القدر خيره وشره من الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿فمألهؤلاء القوم﴾ يعني: ما للمنافقين ﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ يعني: لا يفهمون قولاً: إن الشدة والرخاء من الله تعالى، لا يسمعون ولا يفقهون ما أتاهم ربهم في القرآن.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة﴾ يعني: النعمة، وهو الفتح والغنيمة ﴿فمن الله﴾ أي: بفضلله ﴿وما أصابك من سيئة﴾ يعني: البلاء والشدة من العدو أو الشدة في العيش ﴿فمن نفسك﴾ يعني: فبذنبك، وأنا قضيتك عليك. ويقال: ﴿ما أصابك من حسنة﴾ يوم بدر فمن الله، ﴿وما أصابك من سيئة﴾ يوم أحد فمن نفسك، يعني: بذنب أصحابك، يعني بتركهم المركز. ويقال: ﴿ما أصابك من حسنة﴾ يعني: الدلائل والعلامات لنبوتك فمن الله، ﴿وما أصابك من سيئة﴾ يعني: انقطاع الوحي فمن نفسك، يعني: بترك الاستثناء، حيث انقطع عنك جبريل عليه السلام أياماً بترك استنائك به. ويقال: ﴿ما أصابك من حسنة﴾ يعني: تكثير الأمة فمن الله ﴿وما أصابك من سيئة﴾ يعني: من أذى الكفار فبتعجيلك كقوله تعالى: ﴿لَمَّا بَلَغَ مَقَامَ صَمِصَمٍ لَقَى نَجْمًا كَرِيمًا﴾ [التكوير: ١٠].

مُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء: ۳﴾ ويقال: فيه تقديم وتأخير ومعناه ﴿قَالَ هَذِهِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ۷۸] ويقولون: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ۷۸].

ثم قال تعالى: ﴿وَأرسلناك للناس رسولا﴾ يعني: ليس عليك سوى تبليغ الرسالة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على مقالتهم وفعلهم.

ثم قال تعالى: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ يعني: من يطع الرسول فيما أمره فقد أطاع الله، لأن النبي ﷺ كان يدعوهم بأمر الله تعالى، وفي طاعته طاعة الله تعالى، ويقال: إن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ أَحْبَبَنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(۱)</sup> فقال المنافقون: إن هذا الرجل يريد أن نتخذه حناناً، فأنزل الله تعالى تصديقا لقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ۳۱] وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ومن تولي﴾ يعني: أعرض عن طاعة الله وطاعة رسوله ﴿فما أرسلناك عليهم حظيلاً﴾ أي: رقيقاً، وكان ذلك قبل الأمر بالقتال.

ثم أخبر عن أمر المنافقين فقال: ﴿ويقولون طاعة﴾ يعني: يقولون بحضرتك: قولك طاعة، وأمرك معروف، فمزمنا بما شئت فنحن لأمرك نتبع ﴿فإذا برزوا﴾ يقول: خرجوا ﴿من عندك بيت﴾ يقول: ألعث ويقال: غيرت ﴿طائفة منهم غير الذي تقول﴾ وقال الزجاج: يقال لكل أمر قضي بليل قد بيت، قرأ أبو عمرو وحمزة ﴿بيت طائفة﴾ بالإدغام لقرب مخرج التاء من الطاء، وقرأ الباقون بالإظهار لأنهما كلمتان.

ثم قال تعالى: ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ يعني: يحفظ عليهم ما يغيرون. وقال الزجاج: ﴿والله يكتب﴾ له وجهان، يجوز: أن يكون ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون: يحفظ ما جاؤوا به.

ثم قال تعالى: ﴿فأعرض عنهم﴾ يعني: اتركهم ﴿وتوكل على الله وكفى بالله كيبلاً﴾ يعني: شهيداً. ويقال: ﴿وتوكل على الله﴾ يعني: ثق بالله ﴿وكفى بالله كيبلاً﴾ يعني: ثقة لك. ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّوْءُ بِجَهَدِ الْكُفَّارِ وَالْمُتَّقِينَ﴾ [النوبة: ۷۳، والتحريم: ۹].

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ ﴿۸۷﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿۸۸﴾ فَتَقَبَّلْ

(۱) حديث أبي هريرة في الصحيحين: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، أخرجه البخاري (۲۹۵۷) ومسلم (۱۸۳۵) (۳۲/۲) وأحمد (۲۴۴/۲) والبيهقي (۲۴۷۷) والبيهقي (۱۵۵/۸).

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَسْ أَلَدِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿١٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يعني: أفلا يتفكرون في مواعظ القرآن ليعتبروا بها، ويقال: أفلا يتفكرون في معاني القرآن فيعلمون أنه من عند الله تعالى؟ لأنه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ يعني: تناقضاً كثيراً، ويقال: أباطيل وكذباً كثيراً لأن الاختلاف في قول الناس، وقول الله تعالى لا اختلاف فيه، فلماذا قال أهل النظر: إن الإجماع حجة، لأن الإجماع من الله تعالى، ولو لم يكن من الله تعالى لوقع فيه الاختلاف. ولهذا قالوا: إن القياس إذا انتقض سقط الاحتجاج به، لأنه لو كان حكم الله تعالى لم يرد عليه نقض.

قوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن﴾ يعني: المنافقين إذا جاءهم خبر من أمر السرية بالفتح والغلبة على العدو، سكتوا وقصروا عما جاءهم من الخبر ﴿أو الخوف﴾ يعني: وإن جاءهم خبر من السرية ببلاء وشدة نزلت بالمؤمنين ﴿أذاعوا به﴾ يعني: أفشوه ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ قال الكلبي: لو سكتوا عن إفشائه حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يفشيه ﴿وأولو الأمر﴾ منهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ يقول: يتبعونه منهم فيكون هؤلاء الذين يسمعون ويفشونه ويعلمونه ﴿إلا قليلاً منهم﴾.

قال الله تعالى: ﴿ولو لا فضل الله عليكم ورحمته﴾ يعني: لولا من الله عليكم ونعمته ﴿لانتبتم الشيطان﴾ فيه تقديم وتأخير. وقال مقاتل: أذاعوا به يعني: أفشوه ﴿إلا قليلاً﴾ منهم لا يفشون الخبر. وقال الزجاج: ﴿أذاعوا به﴾ يعني: أظهروه. ومعنى ﴿يستنبطونه منهم﴾ يعني: يستخرجونه، وأصله من النبط، وهو أول الماء الذي يخرج من البئر إذا حفرت، ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوا من قبل الرسول ومن قبل أولي الأمر منهم، لعلمه هؤلاء الذين أذاعوا به من ضعف المؤمنين وعلموا من النبي ﷺ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك. وقال عكرمة: لعلمه الذين يخوضون فيه ويسألون عنه. وقال أبو العالية: يعني الذين يتجسسونه منهم. وقال الضحاك: ولو ردوا أمرهم في الحلال والحرام إلى الرسول في التصديق به والقبول منه، ﴿وإلى أولي الأمر منهم﴾ يعني: حملة الفقه والحكمة، ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ يعني: يتفحصون عن العلم. ﴿ولو لا فضل الله عليكم﴾ بالنبي ﷺ ﴿ورحمته﴾ بالقرآن ﴿لانتبتم الشيطان إلا قليلاً﴾ وهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. وفي هذه الآية دليل على جواز الاستنباط من الخبر والكتاب، لأن الله تعالى قد أجاز الاستنباط من قبل الرسول وأهل العلم.

قوله تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ يعني: في طاعة الله ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ قال مقاتل: يعني ليس عليك ذنب غيرك. وقال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل

وحده، لأنه قد ضمن له النصرة. وقال أبو بكر رضي الله عنه في أهل الردة: «لو خالفني يميني لجاهدت بشمالي». ويقال: واعد رسول الله ﷺ أبا سفيان بأن يخرج إلى بدر الصغرى، فكروه المسلمون الخروج، فأمره الله تعالى بأن يخرج وإن كان وحده. فقال: ﴿وَحُرْضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال، يعني: على الجهاد بقتال أعداء الله تعالى ﴿عسى الله أن يكف﴾ يعني: يمنع ﴿بأس الذين كفروا﴾ يعني: قتال الذين كفروا. والبأس هو القتال، كما قال في آية أخرى ﴿وَيَوْمَ أَتَيْنَا﴾ [البقرة: ١٧٧].

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ يعني: عذاباً ويقال: قوة ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ يعني: أشد عقوبة في الآخرة من عقوبة الكفار في الدنيا.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾

قوله تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ قال الضحاك: يعني من سن سنة حسنة في الإسلام، فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ يعني: من سن سنة قبيحة محدثة في الإسلام فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وقال الكلبي: ﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ يعني: يصلح بين اثنين يكن له أجر منها ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ يعني: بالنميمة والغيبة، ﴿يكن له كفل منها﴾ يعني: إثم منها. وقال مجاهد: إنما هي شفاعة في الناس بعضهم لبعض، يعني: يشفع لأخيه المسلم في دفع المظلمة عنه. وروى سفيان عن عمرو بن دينار أن النبي ﷺ قال: ﴿اشْفَعُوا إِلَيَّ تُؤْخَرُوا فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي الْأَمْرَ فَأَمْتَعُهُ نَحْيَ مَا تَشْفَعُوا فَتُؤْخَرُوا﴾<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: «الشفاعة تجري أجرها لصاحبها ما جرت منفعتها». والكفل في اللغة: النصيب. كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِيكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

ثم قال تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ والمقبط المقتر. يقال: أقات على الشيء، يعني اقتدر. ويقال: المقبض الشاهد على الشيء، الحافظ له، ويقال: ﴿مقبلاً﴾ يعني: بيده الرزق وعليه قوت كل دابة، كقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَوْقَاتًا﴾ [نصلت: ١٠].

﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ فَسَبِّحُوا بِحَسَنَاتِ مَا كُنْتُمْ تَحْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا حبيبتم بتحية﴾ يعني: إذا سلم عليكم ﴿فاحسبوا بأحسن منها﴾ يعني: ردوا جوابها بأحسن منها ﴿أو ردوها﴾ يعني: مثلها. فأمر الله تعالى المسلمين ببرد السلام، بأن

(١) حديث أبي موسى أخرجه النسائي ٧٨/٥ وأخرجه أيضاً من حديث معاوية: ٧٨/٥.

يردوا بأحسن منها، وهو أن يقولوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أو يرد مثله، فيقول: وعليكم السلام. وقال قتادة: ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ للمسلمين، ﴿أو ردوها﴾ لأهل الذمة، فيقول لهم: وعليكم، وروي عن رسول الله ﷺ: أن رجلاً دخل عليه، وقال: السلام عليكم، فقال له: «وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ فَلَمْكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ» ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فقال: «لَكَ عَشْرُونَ حَسَنَةً». ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فقال: «لَكَ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»<sup>(1)</sup>. وروي عنه: «أنه نهى أن يقص الرجل من سلامه أو من رده» وهو أن يقول: السلام عليك، ولكن ليقول: السلام عليكم. ويقال: إنما ذلك للمؤمنين، لأن المؤمن لا يكون وحده ولكن يكون معه الملائكة. وفي هذه الآية دليل أن السلام سنة، والرد واجب لأن الله تعالى أمر بالرد، والأمر من الله تعالى واجب. ويقال: ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ يعني: إذا أهدي إليكم بهدية، فكافئوا بأفضل منها أو مثلها، وهذا التأويل ذكر عن أبي حنيفة رحمه الله ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ يعني: مجازياً.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ نزلت في شأن الذين شكوا في البعث، فأقسم الله تعالى بنفسه ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ وهذه لام القسم، وكل لام بعدها نون مشددة فهي لام القسم. وقال بعضهم: ﴿إلى﴾ صلة في الكلام، معناه: ليجمعنكم يوم القيامة. ويقال: ليجمعنكم في الموت، وفي قبوركم إلى يوم القيامة، ثم يجمعنكم ﴿لا ريب فيه﴾ يعني: لا شك فيه، وهو البعث. يعني: لا شك فيه عند المؤمنين، ويقال: لا ينبغي أن يشك فيه.

ثم قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ يعني: من أوفى من الله قولاً وعهداً. قرأ حمزة والكسائي: (ومن أزدق) بالزاي. وقرأ الباقون: ﴿أصدق﴾ وأصله الصاد، إلا أنه لقرب مخرجيهما يجعل مكانه الزاي.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتُوفِينَ فَقَتَنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ زُورِيَةً حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ زُورِيَةً وَلَا تَصِيْرًا ﴿١١٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَبِيْعًا وَمِنْتُمْ مَبِيْعُهُمْ يَبْتَغُونَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَبِيْعًا وَمِنْتُمْ مَبِيْعُهُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ

(1) عزاه السيوطي إلى أحمد والدارمي وأبي داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي، عن عمران بن حصين.

أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ امْتَارْتُمُوهُمْ فَلَا تُقَاتِلُوا لَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ بَشِيرٌ ذَلِيلٌ ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ مَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْرِزُوا لَكُمْ فَاعْتَرَاكُمْ لِيَأْكُلُوا مِمَّا فِي بُحُونِهِمْ مِنْهُ لَقَدِ اتَّخَذُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لِحْمًا مَلَكًا ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ نزلت في تسعة نفر ارتدوا عن الإسلام، فخرجوا من المدينة وانطلقوا إلى مكة ثم أنهم خرجوا تجاراً إلى الشام فقال بعض المسلمين: نخرج إلى هؤلاء ونقتلهم ونأخذ أموالهم. وقال بعضهم: هم مسلمون، فلا يجوز أخذ أموالهم. ويقال: كان قوم من المنافقين بمكة، خرجوا إلى الشام، فاختلف المسلمون في أمرهم، فبين الله تعالى للمسلمين نفاقهم، فقال تعالى: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ يعني: صرتم في أمر المنافقين فئتين، يعني: فريقين تختصمون في أمرهم ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ يعني: أذلهم، ويقال: أهلكهم. ويقال: ﴿أركسهم﴾ يعني: ردهم إلى كفرهم. ويقال: ركست الشيء وأركسته إذا رددته إلى الحال الأول.

ثم قال تعالى: ﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله﴾ يعني: ترشدون إلى الهدى من أضل الله تعالى: ﴿ومن يضل الله﴾ عن الهدى ﴿فلن تجد له سبيلاً﴾ يعني: ديناً. ويقال: مخرجاً. ثم قال تعالى: ﴿وإذا لو تكفروا﴾ يعني: لو ترجعون عن هجرتكم ﴿كما كفروا﴾ يعني: كما رجعوا ﴿فتكونون سواء﴾ يعني: فتكونون أنتم وهم على الكفر سواء. ومن هذا يقال في المثل: «إن من أحرقت يوماً كدسه يتمنى حرق أكداش الناس». فكذلك الكفار كانوا يتمنون أن يكون الناس كلهم كفاراً، حتى يحترقوا معهم.

قال الله تعالى: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ في الدين والنصرة ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ يعني: حتى يتوبوا ويرجعوا إلى دار الهجرة بالمدينة ﴿فإن تولوا﴾ يعني: أبوا الهجرة ﴿فخذوهم﴾ يعني: فأسروهم ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ يعني: أين وجدتموهم من الأرض ﴿ولا تتخذوا منهم ولئاً ولا نصيراً﴾ في العون.

ثم استثنى الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد فقال: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ وهم خزاعة، وبنو مدلج، وبنو خزيمة، وهلال بن عويمر الأسلمي وأصحابه، صالحهم رسول الله ﷺ على أن كل من أتاهم من المسلمين فهو آمن، ومن جاء منهم إلى النبي ﷺ فهو آمن. وفي هذه الآية إثبات المواعدة بين أهل الحرب وأهل الإسلام، إذا كانت في المواعدة مصلحة للمسلمين.

ثم قال تعالى: ﴿أو جاؤكم حصرت صدورهم﴾ يعني: ضاقت قلوبهم ﴿إن يقاتلوكم﴾



من قبل العهد **﴿أو يقاتلوا قومهم﴾** معكم من قبل القرابة. ثم قال: **﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾** ذكر مثته على المؤمنين: أنه يدفع عنهم البلاء ومنعهم عن قتالهم.

ثم قال تعالى **﴿فإن اعتزلوكم﴾** في القتال **﴿فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم﴾** يعني: الصلح، معناه: أنهم لو ثبتوا على صلحهم فلا تقاتلوكم، فذلك قوله: **﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾** يعني: حجة وسلطاناً في قتالهم.

ثم قال تعالى: **﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾** وهم أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا إلى النبي ﷺ يقولون: آمنا بك. وإذا رجعوا إلى قومهم قالوا: آمنا بالعمقر والخنفساء. يقول: إنهم لم يريدوا بذلك تصديق النبي ﷺ، وإنما أرادوا به الاستهزاء. وقال مجاهد: هم ناس من أهل مكة، كانوا يأتون النبي ﷺ ويسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون بالأوثان، ويريدون أن يأمنوا ها هنا وما هنا. فذلك قوله تعالى: **﴿كلما ردوا إلى الفتنه اركسوا فيها﴾** يقول: كلما دُعوا إلى الشرك عادوا إليه ودخلوا فيه **﴿فإن لم يعتزلوكم﴾** في القتال **﴿ويلقوا إليكم السلم﴾** يعني: لم يلقوا إليكم الصلح **﴿ويكفوا أيديهم﴾** عن قتالكم، يعني: إن لم يكفوا أيديهم **﴿فخذوهم﴾** يعني: أسروهم **﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم﴾** يعني: حيث أدركتموهم ووجدتموهم **﴿وأولئكم﴾** يعني: أهل هذه الصفة **﴿جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾** يعني: حجة مبينة في القتال.

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنَّ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّبْرَأَةٌ فَمِنْ ذَلِكَ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِصَامًا شَهْرَتَيْنِ مُتَتَابِعَتَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ﴾** يقول: وما جاز لمؤمن أن يقتل مؤمناً متعمداً إلا خطأ، بغير قصد منه. ويقال: معناه: ولا خطأ، يعني: ما جاز له يقتل عمداً ولا خطأ. ثم قال: **﴿ومن قتل مؤمناً خطأ﴾** نزلت الآية في شأن عياش بن أبي ربيعة حين قتل الحارث بن زيد، وذلك أن عياشاً هاجر إلى المدينة مؤمناً، فجاهه أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام، وهما أخواه لأمه، ومعهما الحارث بن زيد فقالوا له: إن أمك تناشدك بحقها ورحمها أن ترجع إليها وأنك أحب الأولاد إليها، وقد حلفت ألا يظلمها بيت ولا تأكل طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى ترجع إليها، فارجع إليها وكن على دينك. فخرج معهم، فلما خرج من المدينة أوثقوه بحبل وضربوه، وحملوه إلى مكة، وألقوه في الشمس، وحلفت أمه بأن



لا يحلّه أحد ما لم يكفر بالله، فتركوه على حاله حتى أعطاهم الذي أرادوه، فحلّوه من الوثاق فقال له الحارث بن زيد: إن كان الذي كنت عليه هدى فقد تركته، وإن كان ضلالة، فقد كنت في ضلالة، فحلف عياش بأن يقتل الحارث بن زيد إذا لقيه خالياً. ثم إن عياشاً خرج إلى المدينة إلى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم أسلم الحارث بن زيد بعد ذلك، فلقية عياش في بعض سكك المدينة ولم يعلم بإسلامه فقتله، ثم علم بإسلامه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بالأمر الذي كان منه، فنزلت هذه الآية فيه<sup>(١)</sup>، وصارت الآية عامة لجميع الناس. وهو قوله: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة﴾ يعني: فعليه عتق رقبة مؤمنة، ولو أعتق رقبة كافرة لم يجز بالإجماع ﴿ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعني: وعليه دية مسلمة إلى أهل القتل، والدية: مائة من الإبل ﴿إلا أن يصدقوا﴾ وأصله: أن يتصدقوا، فأدغم التاء في الصاد، وأقيم التشديد مقامه. ومعناه: إلا أن يعفو عنه أولياء القتل، ولا يأخذوا منه شيئاً.

ثم قال تعالى: ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن﴾ يعني: إن كان القتل من أهل الحرب وقد أسلم في دار الحرب، فقتله رجل في دار الحرب، فعلى القاتل الكفارة: عتق رقبة مؤمنة، ولا دية عليه وهذا بالإجماع. وقد نزلت الآية في شأن أسامة بن زيد، قتل رجلاً يقال له مرداس وكان مسلماً، فنزلت هذه الآية. وروي عن عطاء بن السائب عن أبي عياض أنه قال: «كان الرجل يأتي ويسلم، ثم يأتي قومه وهم مشركون فيقيم فيهم فيغزوهم الجيش من جيوش رسول الله ﷺ فيقتل الرجل، فنزلت هذه الآية ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن﴾ فتحرير رقبة مؤمنة﴾ وليس عليه دية.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني: إن كان المقتول من أهل الذمة ﴿فدية مسلمة﴾ يعني: فعليه دية مسلمة ﴿إلى أهله﴾ و﴿و﴾ عليه أيضاً ﴿تحرير رقبة مؤمنة﴾ وروي عن عبد الله بن عباس: «أن مستأمنين دخلا على رسول الله ﷺ، فكساهما وحملهما، فلما خرجا من عنده لقيهما عمرو بن أمية الضمري فقتلها، ولم يعلم أنهما مستأمنان، ففداهما رسول الله ﷺ بدية حزينين مسلمين»، فنزلت هذه الآية ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ ولهذا قال علماؤنا: إن دية الذمي والمسلم سواء. وهكذا روي عن أبي بكر، وعمر، وعثمان: «أن دية الذمي والمسلم سواء، مائة من الإبل».

ثم قال تعالى: ﴿فمن لم يجد﴾ يعني: قاتل الخطأ، إذا لم يجد رقبة مؤمنة ﴿فصيام شهرين﴾ يعني: فعليه صيام شهرين ﴿متتابعين توبة من الله﴾ يعني: تلك الكفارة توبة للقاتل من الله تعالى، ويقال سبب للتجاوز من الله تعالى: ﴿وكان الله عليماً﴾ بالقاتل ﴿حكيماً﴾ يعني: حكم بالكفارة على من قتل خطأً.

(١) عزاه السيوطي ٦١٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن السدي.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَتُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ روي عن سالم بن أبي الجعد قال: كنت عند عبد الله بن عباس بعدما كتب بصره، فجاءه رجل فناداه: ما تقول فيمن قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: ﴿جزاؤه جهنم خالداً فيها﴾. «وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً» فقال: رأيت إن ناب وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأنى له الهدى، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يَأْتِي قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ مُتَعَمِدًا وَيَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُقْتُولُ عِنْدَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي؟» فوالذي نفسي بيده في هذا نزلت هذه الآية، فما نسخها آية بعد نبيكم، وما نزل بعده من برهان<sup>(١)</sup>. وروي عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما قالوا: «لا توبة له». وقال غيرهما: «له التوبة» لأن الله تعالى ذكر الشرك والقتل والزنى ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ إلى قوله ﴿فَأُوْتِيَكَ بِذِلَّةٍ إِنَّهُ سَيَتَابُهُمْ حَسْبَتْكَ﴾ [الفرقان: ٧٠] ويقال: معنى: ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾، يعني: داخلاً فيها، لأنه لم يذكر فيها الأبد، كما أن الرجل يقول: خلدت فلاناً في السجن يعني: أدخلته. ويقال معناه: ﴿فجزاؤه جهنم﴾ أي إن جزاءه. وروي أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا وَعَدَ اللَّهُ لِعَبْدِهِ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجَزُهُ، وَإِنْ أَوْعَدَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فَلَهُ النِّسْفَةُ إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ». ويقال: معناه ﴿من يقتل مؤمناً متعمداً﴾ يعني: مستخلاً لقتله ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ لأنه كفر باستحلاله. ويقال: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ متعمداً لأجل إيمانه، كما روي في الأثر: «أَنْ بَغِضَ الْأَنْصَارُ كُفْرًا، إِنْ كَانَ بَغِضَهُمْ لِأَجْلِ نَصْرَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَذَلِكَ هَا هُنَا إِذَا قَتَلَهُ لِأَجْلِ إِيمَانِهِ صَارَ كَافِرًا». ويقال هو منسوخ بقوله تعالى ﴿وَيَتَّبِعُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ويقال: معناه فجزاؤه جهنم بقتله خالداً فيها بارتداده، لأن الآية نزلت في شأن رجل قتل مؤمناً متعمداً ثم ارتد عن الإسلام، وهو مقيس بن ضبابة الكناني، وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فبعث معه رسول الله ﷺ رجلاً من بني فهر إلى بني النجار، وأمره بأن يقرنهم السلام ويأمرهم بأن يطلبوا قاتله، فإن وجدوه قتلوه، وإن لم يجدوه حلفوا خمسين يميناً وغرموا الدية، فلما أتاهم مقيس بن ضبابة ورسول الله ﷺ معه بلغهم الرسالة، فقالوا: سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله. وقالوا: ما نعرف قاتله، فحلفوا وغرموا الدية. فلما رجع مقيس بن ضبابة قال في نفسه: إني بعت دم أخي بمائة من الإبل. ودخلت فيه حمية الجاهلية، وقال: أقتل هذا الفهري مكان أخي، وتكون الدية فضلاً لي. فقتله وتوجه إلى مكة وقال في ذلك شعراً.

(١) عزاء السيوطي ٦٢٣/٢ إلى أحمد وسعيد بن منصور والنسائي وابن ماجه وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر. وقال: أخرجه الترمذي وحسنه من طريق عمرو بن دينار، عن ابن عباس.

قتلت به فہراً وحملت عقلہ سراً بنی الشجار ارباب قارع  
فادرکت ثاری واضطجعت ثوسداً وکنت إلی الاوثان اول راجع  
فنزلت هذه الآية في شأنه: إن جزاءه جهنم خالداً فيها، وكل من يعمل مثل عمله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبْنَا لَمْ يُكُنْ لَكُمْ الْيَقِينُ إِلَيْكُمْ أَلَسَلْتُمْ  
لَسْتُمْ مُؤْمِنًا تَبَتُّوْنَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَاذٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن  
قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّبْنَا وَإِنِ اللَّهُ كَانَتْ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيبًا ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله﴾ يقول: إذا خرجتم وضربتم في  
الجهاد ﴿فتبينوا﴾ نزلت الآية في شأن أسامة بن زيد، لقي رجلاً يقال له مرداس، فقال له  
مرداس: قال: السلام عليكم وقال: إني مؤمن وقال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة ولم يصدق به بأنه  
مسلم، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله؟»  
فقال أسامة: إنه قال بلسانه دون قلبه فقال ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه» فقال أسامة: استغفر لي  
فقال له: «فكيف استغفر لك بلا إله إلا الله». ثلاث مرات، ثم استغفر له الرابعة، وأمره بأن يعتق  
رقبة<sup>(۱)</sup>. وروى شهر بن حوشب عن جندب بن سفيان، عن رجل من بجيله قال: كنت عند  
رسول الله ﷺ إذ جاءه بشير من السرية فأخبره بالفتح وقال: يا رسول الله ﷺ، بينما نحن نطلب  
القوم وقد هزمهم الله، فقصدت رجلاً بالسيف، فلما أحس أن السيف واقع به فقال: إني مسلم  
فقتلته، فقال له رسول الله ﷺ: «أقتلت مسلماً» فقال: يا رسول الله ﷺ؛ إنه قال متعوذاً فقال ﷺ:  
«أفلا شققت عن قلبه» فقال يا رسول الله ﷺ: استغفر لي فقال: «لا أستغفر لك». فمات الرجل  
فدفنوه، ثم أصبح على وجه الأرض ثم دفنوه، فأصبح على وجه الأرض ثلاث مرات، فلما رأى  
ذلك قومه استحبوا منه وحزنوا، فحملوه وألقوه في شعب من تلك الشعاب فنزلت هذه الآية ﴿يا  
أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ يعني: قفوا وانظروا من تقتلون. قرأ حمزة  
والكسائي ﴿فتبينوا﴾ بالثاء، وقرأ الباقون ﴿فتبينوا﴾ بالباء، فمن قرأ بالثاء فهو من التثبت وهو  
التأني، يعني: قفوا ولا تعجلوا في الأمر حتى يتبين لكم الكافر من المسلم. ومن قرأ بالباء فهو  
من التبين، ومعناها قريب.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم وابن كثير  
والكسائي: ﴿السلام﴾ بالالف. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة ﴿السلام﴾ بغير الف. وأما من قرأ  
﴿السلام﴾ فلان مرداساً قال لهم: السلام عليكم. وأما من قرأ ﴿السلام﴾ فهو الدخول في

(۱) حديث أسامة بن زيد: أخرجه البخاري (۴۲۶۹) و(۶۸۷۲) ومسلم (۱۵۹) (۹۶) وأبو داود (۲۶۴۳)

الانقياد والمتابعة، يعني: إن انقاد لكم وتابعكم فلا تقولوا له: ﴿لست مؤمناً﴾، وأسلم واستسلم بمعنى واحد، أي: دخل في الانقياد. كما تقول: أشتى الرجل إذا دخل في الشئ، وأربع إذا دخل في الربيع. ثم قال: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ وذلك أن الرجل كانت معه غنيمة حين قتلوه، وأخذوا ما معه من الغنيمة، فعبرهم الله تعالى بطمعهم في المال. ثم قال: ﴿فعد الله مغانم كثيرة﴾ يعني: عند الله ثواب كثير في الآخرة لمن اتقى، ويقال: غنائم كثيرة في الدنيا، فاطلبوا من حيث أذن لكم وأبيح لكم.

ثم قال تعالى: ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ يعني: هكذا كنتم من قبل الهجرة بمنزلة مرداس، تأمنون في قومكم بالتوحيد من أصحاب رسول الله ﷺ وتعصم دماؤكم وأموالكم، ولا تخيفون أحداً، وكنتم تأمنون بمثله قبل هجرتكم ﴿فمن الله عليكم﴾ بالهجرة ويقال: هكذا كنتم يعني: كنتم تكتمون إيمانكم من قبل، ويقال: أي كنتم كفاراً، فمن الله عليكم بالإسلام. ثم قال: ﴿فتبينوا﴾ يعني: ففوا وانظروا في أمركم لكيلا تقتلوا مؤمناً، فصارت الآية عامة لجميع السرايا إذا دخلوا دار الحرب، ينبغي أن يتبينوا لكي لا يقتلوا مؤمناً. ثم قال: ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ يعني: عالماً بكم وبأعمالكم.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ يعني: القاعدون عن الجهاد، لا يكون حالهم مثل حال الذين يجاهدون في الثواب والأجر ﴿غير أولي الضرر﴾ يعني: القاعدون الذين لا عذر لهم، ومن كان له عذر فهو خارج من هذا. قال ابن عباس: «يعني ابن أم مكتوم ومحمد بن جحش. ويقال: عبد الله بن جحش. فقالا: إنا أعميان فهل لنا من رخصة؟ فنزلت ﴿غير أولي الضرر﴾».

حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي، قال: حدثنا إبراهيم بن داود، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾ ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملئها علي، فقال: يا رسول الله لو أنني أستطيع الجهاد لجاهدت. وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ وفخذة على فخذتي فثقلت علي

حتى خفت أن يرضُ فخذني، ثم سُري عنه، فأنزل الله تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ يعني: إلا أن يكون أولي الضرر.

قرأ نافع والكسائي وابن عامر: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بنصب الراء، وقرأ حمزة وعاصم وابن كثير وأبو عمرو ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالضم. وقرأ بعضهم ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ بالكسر. فمن قرأ بالضم جعله نعتاً لـ ﴿القاعدون﴾، يعني: لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر. ومن قرأ بالنصب فهو على معنى الاستثناء، ويقال: هو نصب على الحال. ومن قرأ بالكسر فلحرف الكسر ﴿المؤمنين﴾.

ثم قال تعالى: ﴿فَضَلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ يعني: بغير عذر ﴿درجة﴾ يعني: فضيلة في الآخرة ﴿وَكَلَّأَ﴾ يعني: المجاهدين والقاعدين والمعذورين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ يعني: وعد الله لهم الثواب وهو الجنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَفَضَلَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ يعني: بغير عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ثم بيّن الأجر فقال: ﴿درجات منه﴾ يعني: فضائل من الله تعالى في الجنة يعني: سبعين درجة. روى هشام بن حسان، عن جبلة بن عطية، عن ابن محيريز قال: «ما بين الدرجتين حضر الفرس أو الجواد سبعين عاماً». ثم قال: ﴿ومغفرة﴾ يعني: مغفرة لذنوبهم ﴿ورحمة﴾ يعني: نعمة في الجنة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لمن جاهد ﴿رحيماً﴾ إذ سوى بين من له عذر بالفضل مع غيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ وَلَا أَلْسُنُفَيْنِ يَمَسُ الْأِجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يُسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ يعني: ملك الموت يقبض أرواحهم ﴿ظالِمِي أنفسهم﴾ يعني: الذين أسلموا بمكة، وتخلفوا عن الهجرة، وخرجوا مع المشركين إلى بدر، فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا وكفروا، فقتل بعضهم، فأخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ يعني: الملائكة تقول لهم: في أي شيء كنتم؟ ويقال: أين كنتم عن الهجرة؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقولون: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نقدر أن نظهر الإيمان ﴿قَالُوا﴾ يعني: قالت لهم الملائكة عليهم السلام ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ يعني: المدينة مطمئنة رحبة ﴿فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يعني: إليها. فقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي منزلهم ومصيرهم إلى النار ﴿وساءت مصيراً﴾ يعني: بش المصير صاروا إليها.

حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدثنا الطحاوي<sup>(١)</sup> قال حدثنا إبراهيم بن مرزوق، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، عن حيوة بن شريح، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: «كان ناس من المسلمين مع المشركين، يكثر سواد المشركين يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

ثم استثنى أهل العذر فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ يعني: المقهورين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ فليس بأراهم جهنم، وهم الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ يعني: لا يجدون سعة الخروج عنهم إلى المدينة، ولا يعرفون طريقاً إلى المدينة ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ أي يتجاوز عنهم، و﴿عَسَى﴾ من الله تعالى واجب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا﴾ عنهم ﴿عَفْوًا﴾ لهم فلا يعاقبهم، فقال عبد الله بن عباس: «أنا ممن استثنى الله يومئذ، كنت غلاماً صغيراً وكان ذلك قبل نسخ الهجرة، ثم نسخت الهجرة بعد فتح مكة».

حدثنا أبو الفضل بن أبي حفص، قال: حدثنا الطحاوي، قال: حدثنا أبو أمية قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده<sup>(٢)</sup>، قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة، خطب الناس، فقال في خطبته: «وَلَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ» وروى طارم عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال يوم الفتح: «إِنَّهُ لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ، وَإِذَا اسْتَفْرَزْتُمْ فَانْفِرُوا»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: في طاعة الله إلى المدينة ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا﴾ يقول: ملجأ متحولاً من الكفر إلى الإيمان ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق. وقال القتيبي: المرغام والمهاجر واحد. ويقال: راغمت وهاجرت، لأنه إذا أسلم خرج مرغاماً لأهله، أي مغايظاً لهم، والمهاجر المنقطع. وقيل للذهاب إلى النبي ﷺ مهاجر مرغام، لأنه إذا خرج هجر قومه. وروي عن معمر عن قتادة قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. فقال رجل من المسلمين وهو مريض: والله مالي من أني أجد الدليل في الطريق

(١) ساقط من النسخة «ب».

(٢) في نسخة «ب» عن ابن عباس. وأخرجه البخاري (٣٠٨٠) و(٣٩٠٠) و(٤٣١٢) ومسلم (١٨٦٤) من حديث عائشة.

(٣) حديث ابن عباس: أخرجه البخاري (١٨٣٤) و(٢٧٨٢) ومسلم (١٣٥٣) والترمذي (١٥٩٠) وأحمد (١/٢٢٦ و٣١٥).

وإني لموسر فاحملوني، فحملوه، فأدرکه الموت فی الطریق، فقال أصحاب النبی ﷺ: لو بلغ إلینا لثم أجره وقد دفن بالتنعیم، وجاء بنوه إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بالقصة، فنزلت هذه الآیة: ﴿ومن یدرک الموت ثم یدرکه الموت﴾ یعنی مات فی الطریق ﴿فقد وقع أجره علی الله﴾ یعنی: ثوابه علی الله الجنة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما كان منه فی الشریک ﴿رحیماً﴾ حین قبل توبته، وكان اسمه جُنْدُبُ بنِ ضَمْرَةَ<sup>(۱)</sup>.

﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿۱۱۱﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ یعنی: إذا خرجتم إلى السفر ﴿فليس عليكم جناح﴾ ويقول: لا إثم ولا حرج عليكم ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ یعنی: يقتلكم. والفتنة في أصل اللغة: الاختبار، ثم سمي القتل فتنة، لأن فيه معنى الاختبار كما قال ﴿عَلَىٰ حَوْثٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَوَلَدَيْهِمْ أَنْ يَنْبِتَهُمْ﴾ [يونس: ۸۳] یعنی: يقتلهم. فالله تعالى قد أباح قصر الصلاة عند الخوف، ثم صار ذلك عاماً لجميع المسافرين أن يقصروا من الصلاة، خافوا أو لم يخافوا. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿صَدَقَهُ تَصَدَّقَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقْبَلُوا صَدَقَتَهُ﴾<sup>(۲)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ یعنی: ظاهر العداوة، ومعناه: كونوا بالحدز منهم.

﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرَّارِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَرُبُّهُمْ فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا جُدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا جُدْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُبِينًا﴾ ﴿۱۱۲﴾ فَإِذَا قَمِيتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ جُؤَيْبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ ﴿۱۱۳﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ یعنی: بالمؤمنين، ومعناه: إذا كنت

(۱) في نسخة ب. وكان اسمه ضمرة بن جندب، ويقال: جندب بن ضمرة.

(۲) أخرجه مسلم (۶۸۶) والترمذي (۳۰۳۴) وأبو داود (۱۱۹۹) (۱۲۰۰) وأحمد ۲۵/۱ وابن خزيمة (۹۴۵) والبيهقي ۱۳۴/۳.



بحضرة العدو وحضرت الصلاة ﴿فلتقم طائفة منهم﴾ يعني: جماعة منهم ﴿معك﴾ في الصلاة ﴿ولياخذوا أسلحتهم﴾ يعني: الذين يصلون معك، ويقال: ﴿ولياخذوا أسلحتهم﴾ الذين هم بإزاء العدو ﴿فإذا سجدا﴾ يعني: إذ صلوا الذين خلف الإمام ركعة واحدة ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ يعني: ينصرفون إلى موضع العدو، ويقفون هناك ﴿ولنات طائفة أخرى لم يصلوا﴾ يعني: الذين كانوا بإزاء العدو ﴿فليصلوا معك﴾ ركعة أخرى، ولم يذكر في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة، ولكن روي في الخبر عن عبد الله بن عمر وغيره: «أن النبي ﷺ حين صلى صلاة الخوف، صلى بالطائفة الأولى ركعة، وبالطائفة الأخرى ركعة» كما ذكر في الآية، ثم جاءت الطائفة الأولى، وذهبت هذه الطائفة إلى موضع العدو، حتى قضت الطائفة الأولى الركعة الأخرى وسلموا، ثم جاءت الطائفة الأخرى، وقضوا الركعة الأولى وسلموا، حتى تم لكل طائفة ركعتان. وهذا اختيار أصحابنا في صلاة الخوف.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَذِّبُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: تمنى الذين كفروا ﴿لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ يعني: أمتعة الحرب ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ يعني: يحملون عليكم حملة واحدة، وإنما حذروهم لكي يكونوا بالحذر منهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان في غزوة أنمار، فهزمهم وسبى ذريتهم، فلما رجعوا أصابهم المطر، فنزلوا وادياً تحت الأشجار، فوضع النبي ﷺ سلاحه وذهب إلى الجانب الآخر من الوادي وحده، فجاء السيل، فحال بينه وبين أصحابه. وكان بعض المشركين على ذلك الجبل، فرآه حين حال السيل بينه وبين أصحابه، فجاءه واحد منهم يقال له: حويرث بن الحارث وقال: أنا أقتله، فأناه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: «الله تعالى يمتنعني منك» فسل سيفه وأراد أن يضربه، فدفع النبي ﷺ الكافر في صدره دفعة، فسقط السيف من يده. فوثب رسول الله ﷺ وأخذ سيفه وقال: «مَنْ يُخَالِصْكَ مِنِّي؟» فقال: لا أحد. فقال له: «إِنْ أَسْلَمْتَ أَرُدُّ عَلَيْكَ سَيْفَكَ» فقال: لا أسلم. ولكن أعاهد الله تعالى ألا أكون عليك ولا لك أبداً، فرد عليه سيفه فقال الرجل: يا محمد أنت خير مني، لأنك قدرت على قتلي فلم تقتلني، فرجع الكافر إلى أصحابه، فأخبرهم بالقصة فأمن بعضهم ثم انقطع السيل. وجاء النبي عليه السلام إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة، وقرأ عليهم هذه الآية ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ يعني: أصابتكم الجراحات ﴿أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخَذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو، يعني: كونوا بالحذر منهم. وقال الضحاك: ﴿وَخَذُوا حِذْرَكُمْ﴾ يعني: تقلدوا سيوفكم، فإنما ذلك هيئة الغزاة. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا مُهِينًا﴾ يهانون فيه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ قال بعضهم: فإذا فرغتم من الصلاة ﴿فاذكروا الله﴾ بالقلب واللسان على أي حال كنتم ﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ ويقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾

قال بعضهم: إذا فرغتم من الصلاة، أي صلاة الخوف، **﴿فاذكروا الله﴾** بالقلب واللسان أي حال كنتم **﴿قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾** يقول: فصلوا لله صلاة الصحيح قياماً، أو المريض قاعداً، أو على جنوبكم إذا كان المرض أشد من ذلك كما قال في آية أخرى **﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا﴾**. ويقال: **﴿فإذا قضيت الصلاة﴾** أي فرغتم من صلاة الخوف **﴿فاذكروا الله﴾** أي فصلوا صلاة الصحيح قائماً، أو المريض قاعداً، أو على جنوبكم. إن كان المرض أشد من ذلك.

ثم قال تعالى: **﴿فإذا اطمانتكم﴾** يقول: أمنتم ورجعتم إلى منازلكم **﴿فأنقيموا الصلاة﴾** يعني: فأنموا الصلاة أربعاً. وهذا كقوله **﴿يمشون مطمئين﴾** أي مقيمين.

ثم قال تعالى: **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** يعني: فرضاً مفروضاً معلوماً، للمسافر ركعتان، وللمقيم أربع. وقال مقاتل: **﴿كتاباً موقوتاً﴾** يعني فريضة معلومة كقوله **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾** [البقرة: ١٧٨ وغيرها] يعني: فرض عليكم. وقال الزجاج: **﴿كتاباً موقوتاً﴾** أي مفروضاً موقوتاً فرضه.

**﴿وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِهِ الْقَوِيَّةِ إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَكُمْ كَمَا تَأْتُمُونَ وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**

قوله تعالى **﴿ولا تهنوا﴾** يقول: لا تضعفوا **﴿في ابتغاء القوم﴾**، يعني: في طلب المشركين أبي سفيان وأصحابه بعد يوم أحد، وذلك أن المسلمين لما أصابتهم الجراحات يوم أحد، فكانوا يضعفون عن الخروج إلى الجهاد، فأمرهم الله تعالى بأن يظهروا من أنفسهم الجد والقوة، وهذا الخطاب لهم، ولجميع الغزاة إلى يوم القيامة.

ثم قال: **﴿إن تكونوا تالمون﴾** قال عكرمة: الألم الوجع، وكذلك قال الضحاك والسدي يعني: إن أصابكم الوجع والجراحات في الحرب **﴿فإنهم يالمون كما تالمون﴾** يعني: يصيبهم الوجع مثل ما يصيبكم، ولكم زيادة ليست للمشركين، وذلك قوله تعالى: **﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾** يعني: الثواب في الآخرة **﴿وكان الله عليماً﴾** بما كان **﴿حكيماً﴾** بما يكون.

**﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ حَصِيبًا﴾** **﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّكَ إِتَىٰ اللَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا﴾** **﴿وَلَا تَجِدُ عَنِ الْأَئِمَّةِ بَحْتًا وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنْ اللَّهِ لَنْ يَصْحَبَهُمْ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَيَّمَا﴾** **﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَكِيمًا﴾** **﴿هَاتَتْهُ هَوَآءٌ حَدَّيْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْيَوْمِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَصِيلاً﴾**

ثم قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ يعني: أنزلنا عليك جبريل عليه السلام، ليقرأ عليك القرآن بالعدل والأمر والنهي ﴿لنتحكم بين الناس بما أَرَادَ اللهُ﴾ يعني: بما أعلمك الله وأنهماك بما أوحى إليك ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ يعني: ولا تكن للسارقين معيماً.

وروى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر، عن جده قال: عن قتادة بن النعمان، قال: كان بنو أبيرق ثلاثة: بشر، وبشير، ومبشّر. فكان بشر يكنى أبا طعمة، وكان شاعراً، وكان منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ ثم يقول: قاله فلان. وكان لعُمَي رفاعه بن زيد عليّة فيها طعام وسلاح، فطرقه بشير من الليل، فأخذ ما فيها من الطعام والسلاح. فلما أصبح عمي دعاني وقال لي: إنه أُغِير علينا الليلة فقلت: من فعله؟ فقال: بشير وأخواه. فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أن بشيراً قد سرق من عمي الطعام والسلاح. فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، وأما السلاح فليردوه علينا. فجاء قومه وكانوا أهل لسان وبيان فقالوا: إن رفاعه وابن أخيه عمدوا إلى أهل بيت منا يتهمونهم بالسرقة، فوقع قولهم عند النبي ﷺ موقعاً، فبين الله خيانتهم فنزل: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ وهو طعمة. وقال الضحّاك: سرق طعمة بن أبيرق اليهودي درعاً للزبير بن العوام، فاختصما إلى النبي ﷺ فقال للزبير: «ألا بُدُّ لك من أن تأتي عليّ ذلك بخبئةٍ قيّمةٍ وشهادةٍ صحيحةٍ». فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول الزبير: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾. وقال مقاتل: سرق طعمة المنافق ابن أبيرق درعاً من يهودي، فلما جازوا إلى بيته بالأثر، رمى الدرع في دار رجل من الأنصار وأنكر، فجاء قومه ليبرئوه من السرقة فنزلت هذه الآية. وقال الكلبي: سرق طعمة بن أبيرق درعاً من جاز له يقال له قتادة بن النعمان، فوضعه عند رجل من اليهود يقال له زيد بن الشخير، وأنكر السرقة فجاء قومه يخاصمون عنه، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿واستغفر الله﴾ يعني: استغفر عند جدالك عن طعمة حين جادلت ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يقول: ولا تخاصم عن الذين يضرون أنفسهم بالسرقة ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً﴾ يعني: خائناً بالسرقة فاجراً برميته على غيره.

ثم قال تعالى: ﴿يستخفون من الناس﴾ قال الضحّاك: لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته، وجعل الدرع تحت التراب فنزل ﴿يستخفون من الناس﴾ بالتراب ﴿ولا يستخفون من الله﴾ يقول: لا يخفى مكان الدرع على الله ﴿وهو معهم﴾ عالم بهم وبخياتهم. ويقال: ﴿يستخفون﴾ يعني: يستترون من الناس وهم قوم طعمة، ﴿ولا يستخفون﴾ من الله يقول: ولا يقدر أن يستتروا من الله تعالى ﴿وهو معهم﴾ يعني: عالماً بهم وبخياتهم ﴿إذ يبيتون﴾ يقول: إذ يؤلفون ويفترون ﴿ما لا يرضى﴾ الله ﴿من القول﴾ يقول: ما لا يرضوا لأنفسهم من القول وهم سرقوا،

ويقال: ما لا يرضى الله تعالى ولا يحبه. ثم قال: ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ يعني: عالماً بهم وبخياتهم.

ثم أقبل على قوم طعمة فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يقول: أنتم يا هؤلاء ﴿جادلتم﴾ أي خاصمتم ﴿عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ يقول: فمن يخاصم الله عنهم ﴿يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ يعني: كفيلاً، ويقال خصيماً.

وقال الضحاك: أراد النبي ﷺ أن يقيم الحد على طعمة بن أبيرق، وكان طعمة مطاعاً في اليهود، فجات اليهود شاكين في السلاح، وهربوا بطعمة وجادلوا عنه، فنزل ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يعني اليهود الآية.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٣﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْتِبْهَا بِرَبِّهَا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٤﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَفُتَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٥﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ قال الضحاك: نزلت الآية في شأن وحشي قاتل حمزة، أشرك بالله وقتل حمزة رضي الله عنه، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لنادم، فهل لي من توبة؟ فنزل ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ ﴿ثم يستغفر الله﴾ الآية. وقال الكلبي: نزلت في شأن طعمة ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ بسرقة الدرع أو يظلم نفسه برمي غيره وجحوده، ثم يستغفر الله يعني: يتوب إلى الله ﴿يجد الله غفوراً﴾ متجاوزاً ﴿رحيماً﴾ لمن اتقى الشرك. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنت إذا سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ فنعني الله به ما شاء، وإذا سمعته من غيره حلفته. وحدثني أبو بكر الصديق، وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يُذنب ذنباً ثم يتوضأ ويُصلي ركعتين، ويستغفر الله تعالى إلا غفر الله له»<sup>(١)</sup>. وتلا هذه الآية ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ الآية صدق أبو بكر رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿ومن يكسب إثماً﴾ يعني: الشرك بالله تعالى ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ أي يضر بنفسه ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾.

ثم قال: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ يعني: عمل بالمعصية ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ قال

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٦) وقال: حديث حسن والدرامي: ٣٨٢/١ وأحمد: ٢/١.

مقاتل : وهو طعمة حين رمى بالدرع في دار الأنصاري واتهمه به ، وهو قوله ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ . وقال الضحاك : يعني به المنافقين حيث قالوا في عائشة رضي الله عنها قولاً عظيماً ، فقال : ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ بالمعاصي ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ يعني : عائشة وصفوان ثم قال الله تعالى : ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ يقول : فقد قال كذباً ﴿وإثماً مبيناً﴾ يعني ذنباً ظاهراً .  
قوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ يعني : لولا فضل الله عليك بالنبوة ، ورحمته بالوحي ﴿لهمت طائفة منهم﴾ يعني : جماعة ﴿أن يضلوك﴾ يعني : يخطئوك في الحكم ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ يعني : وما يرجع ويبال ذلك إلا على أنفسهم ﴿وما يضررونك من شيء﴾ وإنما يضررون بأنفسهم . قال الضحاك : نزلت في وفد ثقيف ، قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا : جنتك لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعثرنا ، فلم يجبههم رسول الله ﷺ ، فنزلت ﴿لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ وقال الكلبي : يعني قوم طعمة .  
ثم قال تعالى : ﴿وأنزل عليك الكتاب﴾ يعني : القرآن ﴿والحكمة﴾ يعني : القضاء والمواعظ ﴿وعلمك﴾ بالوحي ﴿ما لم تكن تعلم﴾ قبل الوحي ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ بالنبوة .

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مَرْغَبًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٦) ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٦٥)  
ثم قال تعالى : ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ وهو ما يتناجون فيما بينهم ، ويقال : في كثير من أحاديثهم ، وهم وفد ثقيف أو قوم طعمة ﴿إلا من أمر بصدقة﴾ يقول : إلا نجوى من أمر بصدقة ﴿أو معروف﴾ يعني : القرض ، كقوله ﴿قَلْبًا كُلًّا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦] ويقال : المعروف يعني القول بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ يعني : يذهب بالصلاح فيما بين اثنين ليصلح بينهما ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يعني : الذي ذكرنا ﴿ابتغاء مرضاة الله﴾ يعني : طلباً لمرضاة الله تعالى . ﴿فسوف نؤتيه﴾ يعني : في الآخرة ﴿أجرأ عظيماً﴾ قرأ حمزة وأبو عمرو ﴿يؤتيه﴾ بالياء ، يعني : يؤتيه الله تعالى . وقرأ الباقون ﴿نؤتيه﴾ بالنون ، يعني : نحن نعطيهِ في الآخرة ﴿أجرأ عظيماً﴾ أي : ثواباً عظيماً .

قوله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ يعني : يخالفه في التوحيد ﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ يعني : من بعد ما تبين له التوحيد ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ يعني : يتبع ديناً غير دين المؤمنين ، ويقال : يتبع طريقاً أو مذهباً غير طريق المؤمنين . وفي الآية دليل : أن الإجماع حجة ، لأن من خالف الإجماع فقد خالف سبيل المؤمنين . وقال الضحاك : قدم نفر من قريش المدينة وأسلموا ، ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين ، فنزلت هذه الآية ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له

**الهدى** ﴿يعني: دين الإسلام﴾ **ويستع غير سبيل المؤمنين** ﴿نوله ما تولى﴾ يعني: نكله إلى الأصنام يوم القيامة، وهم لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً، ولا ينجونهم من عذاب الله تعالى. وقال مقاتل: ﴿نوله ما تولى﴾ أي تركه وما اختار لنفسه. وقال الكلبي: نوله في الآخرة ما تولى في الدنيا وهذا كما قال بعض الحكماء: من أراد أن يعلم كيف يعامل معه في الآخرة، فلينظر كيف يعامل هو مع الله في الدنيا. وقال الكلبي: «نزلت الآية في شأن طعنة، لما ظهر حاله وسرقته هرب إلى مكة وارتد، فنقب بمكة حائطاً لرجل، فسقط حجر فبقي في النقب حتى وجدوه على حاله، فأخرجوه من مكة، فخرج إلى الشام، فسرق بعض أموال القافلة فرجموه وقتلوه، فنزل قوله: ﴿نوله ما تولى﴾.

﴿ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ قرأ حمزة وعاصم وأبو عمرو ﴿نوله رند لمة﴾ بجزم الهاء، وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ صَلَّى صَلْوَةً بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ: إِلَّا إِنْتُمْ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّئَاتِكُمْ مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَصْلَنَّهُمْ وَلَا أُصْنِنَهُمْ وَلَا أُمِرْتُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ مَا دَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا تَمُرْتُمْ فَلْيُعِيرَتِ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يِعِدُّهُمْ وَيُعِينُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ قال الضحاك: وذلك أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا، إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً مذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه ولياً، ولم أواقع المعاصي جرأة على الله تعالى، ولا مكابرة له، وإني لنادم وتائب مستغفر، فما حالي عند الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ **﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** ويقال: نزل في شأن وحشي، وقد ذكرناه من قبل. **﴿ومن يشرك بالله﴾** يعني: من يعبد غير الله تعالى **﴿فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾** يعني: فقد ضل عن الهدى **﴿ضلالاً بعيداً﴾** عن الحق.

ثم إن الله تعالى ذم الكفار وبين جهلهم فقال: **﴿إن يدعون من دونه إلا إناناً﴾** يقول: ما يعبدون من دون الله إلا أصناماً أمواتاً، وهذا قول ابن عباس.

وعن الحسن أنه قال: **﴿إلا إناناً﴾** الشيء الميت الذي ليس فيه روح. وقال السدي: سموها إناناً: اللات والعزى ومناة. ثم قال: **﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾** وذلك أن الشيطان كان يدخل في الصنم ريكلمهم، وهم يعبدون الصنم وفيه الشيطان. ويقال: إبليس زين لهم



عبادة الأصنام، فإذا عبدوا بإذنه فكأنهم عبدوا الشيطان. ثم قال: ﴿مريداً﴾ أي: مارداً مثل قدير وقادر، والمارد: العاتي. ويقال: كل فاسد مفسد يكون مريداً، يعني: يكون ﴿مريداً﴾ أي يكون فاسداً بنفسه ويفسد غيره.

ثم قال عز وجل: ﴿لعنه الله﴾ يعني: طرده الله من رحمته وهو إبليس، حيث لم يسجد لآدم. فلما لعنه ﴿وقال لاتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ يعني: حظاً معلوماً، قال مقاتل: يعني من كل ألف واحد في الجنة، وسائرهم في النار، فهذا نصيب مفروض.

ثم قال عز وجل: ﴿ولأضلنهم﴾ يعني: عن الهدى والحق ﴿ولأمنينهم﴾ يعني: لأخبرينهم بالباطل، أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ﴿ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ وهي البهيمة، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشقون آذان الأنعام ويسمون بها بهيمة، وذكر قصتهم في سورة المائدة. ثم قال: ﴿ولأمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال عكرمة: هو الخصاء، وهكذا قال الضحاك ومجاهد. وأنس بن مالك. وروي عن سعيد بن جبيرة قال: «هو دين الله»، وهكذا قال الضحاك ومجاهد. وقيل لمجاهد: إن عكرمة يقول: هو الخصاء فقال: ما له لعنه الله وهو يعلم أنه غير الخصاء. فبلغ ذلك عكرمة، فقال: هو فطرة الله. وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الأنعام ليركبوها فحرموها على أنفسهم، وخلق الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس فجعلوها آلهة يعبدونها، فقد غيروا خلق الله تعالى. ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً﴾ يعني: يعبد الشيطان ويطيعه ﴿من دون الله﴾ تعالى يعني: ترك أمر الله تعالى وطاقته ﴿فقد خسر خسراً مبيناً﴾ يعني: ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ بيتاً عن الحق.

ثم قال تعالى: ﴿يعدهم﴾ يعني الشيطان، يخوفهم بالفقر حتى لا يصلوا رحماً ولا ينفقوا في خير ﴿ويمنينهم﴾ يعني: يخبرهم بالباطل أنه لا ثواب لهم في ذلك العمل ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ يعني: باطلاً.

قوله تعالى: ﴿أولئك ماواههم جهنم﴾ يعني: الذين يطعمون الشيطان مصيرهم إلى جهنم ﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ يعني: مفراً ومهرباً. قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَنِبُهُمْ وَنَجِّنَهُم بِرَحْمَتِنَا مِنَ الْغَمِّ وَالْأَسْرِ﴾  
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَنِبُهُمْ وَنَجِّنَهُم بِرَحْمَتِنَا مِنَ الْغَمِّ وَالْأَسْرِ﴾  
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَنِبُهُمْ وَنَجِّنَهُم بِرَحْمَتِنَا مِنَ الْغَمِّ وَالْأَسْرِ﴾  
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْتَنِبُهُمْ وَنَجِّنَهُم بِرَحْمَتِنَا مِنَ الْغَمِّ وَالْأَسْرِ﴾

قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني: صدقوا بالله تعالى والرسول



والقرآن، وأدوا الفرائض، وانتهوا عن المحارم **﴿سندخلهم جنات﴾** وهي البساتين **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** وهي أربعة أنهار: نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل مصفى. **﴿خالدين فيها أبداً﴾** يعني: مطمئنين فيها، لا يتغير بهم الحال. فهذا وعد من الله تعالى. ثم قال: **﴿وعد الله حقاً﴾** يعني: صدقاً وكائناً، أنجز لهم ما وعد لهم من أمر الجنة **﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾** يعني: قولاً ووعداً.

قوله تعالى: **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾** وذلك أن أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى. وقال المؤمنون: إنا أسلمنا لا تضرنا الذنوب فنزل: **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾** يقول: ليس لكم يا معشر المسلمين ما تمنيتم، ولا أهل الكتاب ما تمنوا **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** يعني: من يعمل معصية دون الشرك يعاقب به. وقال الزجاج: معناه ليس ثواب الله بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب وهو قوله: **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** أي إنما يدخل الجنة من آمن وعمل صالحاً، ليس كما تمنيتم **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** أي لا ينفعه تمنيه.

ويقال: لما نزلت هذه الآية **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** شق ذلك على المسلمين. وقال أبو بكر: كيف الفلاح بعد هذه الآية يا رسول الله؟ فقال ﷺ: **﴿ألسنت تفرض؟ ألسنت تحزن؟ ألسنت نصيبك للأواء؟ أي الشدة فذلِكَ كُلُّهُ جَزَاؤُهُ﴾** (١).

حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا العباس، قال: حدثنا الحسن بن صباح، قال: حدثنا عبد الوهاب الخفاف، عن زياد، عن علي بن زيد، عن مجاهد قال: مرَّ ابن عمر على ابن الزبير وهو مصلوب، فنظر إليه فقال: «يغفر الله لك ثلاثاً، والله ما علمتك إلا كنت صواماً قواماً وضالاً للرحم، أما والله إنني لأرجو مع مساويء ما أصبت أن لا يعذبك الله بعد هذا أبداً، ثم التفت فقال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: قال رسول الله ﷺ: **﴿مَنْ يُعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا﴾** (٢) وروى محمد بن قيس، عن أبي هريرة قال: لما نزلت **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** شق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: **﴿قَارِبُوا وَسَدُّوا فُكُلَ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ كَفَّارَةً حَتَّى الشُّوْكَهُ تُشَاكُهُ وَالثُّكْبَةُ تُنْكِبُهُ﴾** (٣) أي الشدة. وقال الضحاك: السوء الكفر. وقال مجاهد: قالت قريش: لن نبعث ولن نعذب، فنزل: **﴿ليس بأمانيكم﴾** يعني: أماني كفار قريش ولا أماني أهل الكتاب **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** يعني: يعاقب عليه.

ثم قال تعالى: **﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾** يعني: الكافر لا يجد لنفسه

(١) عزاه السيوطي: ٦٩٦/٢ إلى ابن جرير عن عائشة عن أبي بكر.

(٢) عزاه السيوطي ٦٩٦/٢ إلى الترمذي الحكيم وابن المنذر والحاكم واليزار.

(٣) حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (٢٥٧٤) وأحمد: ٢٤٧/٦.

﴿من دون الله﴾ أي من عذاب الله ﴿ولياً﴾ يمنعهُ ﴿ولا نصيراً﴾ ينفعه ويمنعه من العذاب .

ثم قال عز وجل : ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ يعني : يؤدي الفرائض وينتهي عن المحارم ﴿من ذكر أو أنثى﴾ أي : من رجل أو امرأة ﴿وهو مؤمن﴾ يعني : مصدق بالشواهد والعقاب ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ لا شك فيها ﴿ولا يظلمون﴾ أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم ﴿تقيراً﴾ وهي النقرة التي تكون على ظهر النواة . قرأ أبو عمرو وابن كثير ﴿يدخلون﴾ بضم الباء ونصب الخاء ، على معنى فعل ما لم يسم فاعله . وقرأ الباقون ﴿يدخلون﴾ بنصب الباء وضم الخاء ، يعني : أنهم يدخلون الجنة بأعمالهم .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَفِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

ثم فضل دين الإسلام على سائر الأديان فقال تعالى : ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه﴾ يعني : أخلص ﴿وجهه﴾ أي : دينه ﴿وهو محسن﴾ في عمله ، وقيل : هو موحد ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ يعني : مستقيماً ، ويقال : مانئاً إلى دين الإسلام .

ثم قال تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ وذلك أن إبراهيم عليه السلام كان يوسع على الضعفاء الطعام ، فاحتاج في بعض الأوقات إلى الطعام ، فبعث غلامه مع الجمال إلى خليل له بمصر ليقرضه شيئاً من الطعام فيرد عليه إذا أدرك إنزاله ، فلما انتهوا إليه فقال : إني أخاف أن أحتاج قبل إدراك الإنزال ، فلم يدفع إليهم شيئاً فرجعوا ، فاستحيا الغلمان أن يدخلوا في قرية إبراهيم والناس ينظرون إليهم وليس معهم شيء ، فجعلوا الرُّمْلَ في الجواليق وحملوا على الجمال ، وجاؤوا إلى منزل إبراهيم عليه السلام وألقوا الأحمال وتفرقوا ، وجاء واحد منهم وأخبر إبراهيم بالقصة فاغتم لذلك ودخل البيت ونام ، فخرجت جواربه ونظرن إلى الأحمال فإذا الجواليق دقيق ، فرفعن منها وجعلن يخيزن خبزاً ، حتى إذا استيقظ إبراهيم عليه السلام وخرج وقال : من أين هذا الدقيق؟ فقلن : من عند خليلك المصري . فقال إبراهيم : ليس هذا من عند خليلي المصري ولكن من عند خليل السماء . فاتخذته الله خليلاً بذلك .

ويقال : لما دخلت عليه الملائكة عليهم السلام في شبه آدميين ، وجاءهم بعجل سمين فلم يأكلوا منه ، وقالوا : إنا لا نأكل شيئاً بغير ثمن . فقال لهم : أعطوني ثمنه وكلوه . فقالوا : وما ثمنه؟ قال : أن تقولوا في أوله بسم الله وفي آخره الحمد لله . فقالوا فيما بينهم : حق على الله أن يتخذ خليلاً ، فاتخذ الله خليلاً .

ويقال : إنه أضاف رؤساء الكفار ، وأهدى لهم هدايا وأحسن إليهم فقالوا له : ما حاجتك؟ فقال : حاجتي أن تسجدوا لله سجدة ، فسجدوا . فدعا الله تعالى وقال : اللهم إني قد فعلت ما

أمكنتي، فافعل أنت ما أنت أهل لذلك. فوفقه الله تعالى للإسلام، فاتخذ الله خليلاً لذلك. وروى حابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً لإطعامه اللذام وإفشاءه السلام وصلاته بالليل وإناس نيام»<sup>(١)</sup>.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلهم عبيده وفي ماكه، وحكمه نافذ فيهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ يعني: أحاط علمه بها.

﴿وَسَيَسْأَلُونَكَ فِي الْمَسَاءِ قُلُوبَ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَسَوَّىٰ الْمَسَاءِ الَّذِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ عَنْ آلِهَاتِهُنَّ وَالشَّجَنَاتِ وَمِنَ الْوَالِدِينَ وَالنِّسَاءِ يَقُولُوا عَلَيْكُمْ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ يعني: يسألونك عن ميراث النساء، نزلت في أم كجة التي ذكرنا في أول السورة ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يعني: يبين لكم ما لهن من الميراث ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ يعني: في كتاب الله تعالى يفتيكم بذلك ﴿في يتامى النساء﴾ يعني: في ميراث يتامى النساء ﴿اللاتي لا تؤتونهن﴾ لا تعطونهن ﴿ما كتب لهن﴾ يعني: ما فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون﴾ يعني: وتزهدون ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن.

وروى معمر عن إبراهيم قال: كان الرجل يكون عنده اليتيمة الدميمة ولها مال، فيكره أن يتزوجها من أجل دمامتها، ويكره أن يزوجه من غيره من أجل مالها، قال إبراهيم: وكان عمر رضي الله عنه بأمر الرجل إذا كانت عنده اليتيمة ولها مال، أن يتزوجها.

وروى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كانت يتيمة في حجر رجل، فأراد أن يتزوجها ولم يكمل صداق نساتها، فأمروا بإكمال الصداق». وقال مجاهد: «كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئاً، ويقولون: لا يغزون، ففرض الله تعالى لهم الميراث وأمر لليتيم بالقسط».

ثم قال تعالى: ﴿والمستضعفين﴾ يقول: يسألونك عن ميراث المستضعفين ﴿من الولدان﴾ ويقال: يفتيكم في المستضعفين من الولدان ﴿وأن تقوموا﴾ يعني: يفتيكم أن تقوموا ﴿لليتامى بالقسط﴾ أي: بالعدل ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً﴾ يجازيكم. وفي هذه الآية دليل على أن ما سوى الأب والجد إذا زوج اليتيمة جاز، وفيها دليل: أنه إذا زوج من نفسه جاز، إذا كانت غير ذي رحم محرم منه.

﴿وَإِنْ أَرَأَيْتُ إِذْ خَافَتْ مِنْ بَيْتِهَا شُوْرًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ

(١) عزاء السيوطي: ٧٠٦/٢ إلى البيهقي في الشعب.

خَيْرٌ وَأُخْبِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت﴾ يعني: علمت ﴿من بعلها﴾ يعني: من زوجها ﴿نشوزاً﴾ يعني: عصياناً في العشرة ﴿أو إعراضاً﴾ عنها وترك محادثتها. نزلت في ابنة محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن الزبير تزوجها وهي شابة فلما أدبرت وعلاها الكبير تزوج عليها امرأة شابة وأثرها عليها، وجفا بنت محمد بن مسلمة، فأنت رسول الله ﷺ فشكت إليه فنزلت: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ يعني: ترك مجامعتها ﴿أو إعراضاً﴾ يعني: يعرض بوجهه عنها، ويقفل مجالستها ومحادثتها ﴿فلا جناح عليهما﴾ يعني: لا إثم على الزوج والمرأة ﴿أن يصلحا بينهما صلحاً﴾ قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي ﴿أن يصلحا﴾ بضم الياء، وهو من الصلح. وقرأ الباقون ﴿أن يصلحا﴾ بالالف وتشديد الصاد، لأن أصله: يتصلحا فأدغمت التاء في الصاد، وأقيم التشديد مكانه.

ثم قال تعالى: ﴿والصلح خير﴾ يعني: الصلح خير من الفرقة. ويقال: الصلح خير من النشوز، ويقال: الصلح خير من الخصومة والخلاف. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ قال: قول الرجل لامرأته: أنت كبيرة، وإنني أريد أن أستبدل بك شابة، فقري على ولدك ولا أقسم لك من نفسي شيئاً، ورضيت بذلك، فذلك الصلح بينهما. قال: وهذا قول أبي السنابل بن بعكك حين جرى بينهما هذا الصلح، ثم صارت الآية عامة في جواز الصلح الذي يجري فيما بين الناس، لقوله تعالى: ﴿والصلح خير﴾. ثم قال تعالى: ﴿واحضرت الأنفس الشح﴾ حملها على أن تدع نصيبها، ويقال: شحت المرأة بنصيبها من زوجها، أن تدعه للأخرى، وشح الرجل بنصيبه من الأخرى. وقال مقاتل: طمعها وحرصها يجرها إلى أن ترضى.

ثم قال تعالى: ﴿وإن تحسنوا﴾ يقول: تحسنوا إليهن ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ في الإحسان والجور.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْإِنْسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصِلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٣٥﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّن سَعَتِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ يقول: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب أي بين الشابة والكبيرة ﴿ولو حرصتم﴾ يعني: ولو جهدتم، ولكن اعدلوا في القسمة والنفقة ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ بالنفقة والقسمة إلى الشابة ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ بغير قسمة كالمسجونة لا أيم ولا ذات بعل.

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَاتِلٌ». وفي رواية أخرى «وَأَخَذَ شِقِّيهِ سَاقِطٌ». وروي أبو أيوب عن أبي قلابة قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ فِي الْقِسْمَةِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تُلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ». يعني: الحب والجماع.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْلَحُوا﴾ يعني: تصلحوا بينهما بالسوية ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور والميل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ حيث رخص لكم في الصلح.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَنْ يَتَفَرَّقَا﴾ يعني: الزوج والمرأة ﴿بِغْنِي اللَّهِ كَلًّا مِنْ سَعْتِهِ﴾ يعني: من رزقه. وقال مجاهد: يعني الطلاق. وروي عن جعفر بن محمد: أن رجلاً شكاً إليه الفجر، فأمره بالنكاح. فذهب الرجل وتزوج ثم جاء إليه فشكا إليه الفجر، فأمره بالطلاق، فسل عن ذلك فقال: أمرته بالنكاح وقلت: لعله من أهل هذه الآية ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢] فلما لم يكن من أهل تلك الآية. قلت: فلعله من أهل هذه الآية (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته) وروي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿تَنْذِرُهَا كَأَنَّهُا مَسْجُونَةٌ﴾ ثم قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ يعني واسع الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ حكم فرقتهما وتسويتهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ذَكِيًّا قَدِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الْبِرِّ فَسَعَدَ اللَّهُ ثَوَابَ الْبِرِّ فِي الْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿١٣٤﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ يعني: أمرنا ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل التوراة والإنجيل ﴿وإبراهيم﴾ يعني: أمرناكم يا أمة محمد في كتابكم ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أوصاكم به في كتابكم من التوحيد، ثم من بعد التوحيد بالشرائع ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا﴾ يقول: تجحدوا بما أوصاكم، وبوحدانية الله تعالى ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: هو غني عن عبادتكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن إيمان الخلق وطاعتهم ﴿حَمِيدًا﴾ محموداً في أفعاله.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: كلهم عبيده وإماؤه، ويقال: هذا موصول بالأول، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ في أفعاله، لأن له ما في السموات وما في الأرض، وهو رازقهم والمدير في أمورهم. ثم قال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يعني: حفيظاً ورباً. ثم ذكر التهديد لمن رجع عن طاعته فقال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: يهلككم

إذا عصيتموه ﴿وَيَأْتِ بِآخِرِينَ﴾ يعني: يخلق خلقاً غيركم من هو أطوع لله منكم، وهذا كما قال في آية أخرى ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتَكُمُ﴾ [محمد: 38].  
ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ أي يذهبكم ويأت بغيركم. ويقال: في الآية تخويف وتنبه لجميع من كانت له ولاية أو إمارة أو رئاسة فلا يعدل في رعيته، أو كان عالماً فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس، أن يذهب ويأتي بغيره.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني: من كان يطلب الدنيا بعمله الذي يعمل، ولا يريد به وجه الله تعالى، فليعمل على وجه التقديم لآخرته كما قال: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يعني الرزق في الدنيا، والثواب في الآخرة، وهو الجنة. ويقال: في الآية مضمهر فكانه يقول: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ نؤته منها، ﴿وَمَنْ يَرِدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ نؤته منها ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. وقال الزجاج: كان المشركون مقرين بأن الله تعالى خالقهم، وأنه يعطيهم خير الدنيا، فأخبر الله تعالى أن خير الدنيا والآخرة إليه. - وروي عن عيسى بن مريم أنه قال للحواريين: أنتم لا تريدون الدنيا ولا الآخرة، لأن الدنيا والآخرة لله تعالى، فاعبدوه، وإما لأجل الدنيا وإما لأجل الآخرة<sup>(1)</sup>. - وروي في بعض الأخبار: أن في جهنم وادياً تتعوز منه جهنم، أعد للقراء المرثين.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ يعني عالماً بنية كل واحد. وروى سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَعَمَلُ الْمُتَأَفِّقِ خَيْرٌ مِنْ نِيَّتِهِ وَكُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ نِيَّتِهِ».

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوفًا فَوَجَّهْنَا بِالنُّصُطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعَدَّوْا وَإِن تَوَلَّوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٢٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِإِلَهِ رَبُّوهُمْ وَالْكَتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهُدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ يعني: كونوا قوامين بالعدل، وأقيموا الشهادة لله بالعدل، ومعناه: قولوا الحق ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ وإذا كانت عندكم شهادة، فأدوا الشهادة ولو كانت الشهادة على أنفسكم ﴿أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

(1) ما بين معقوفتين ساقط من «أ».

ثم قال: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ يعني: أدوا الشهادة لا تكتموها، سواء كان لغني أو لفقير، ولا تسيلوا إلى الغني لأجل غناه، ولا تكتموا الشهادة على الفقير لأجل فقره. ويقال: شهدوا على الوالدين غنيين كانا أو فقيرين ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ يعني: بالغني والفقير. ويقال: أولى بالوالدين وأرحم بهما إن كانا غنيين أو فقيرين. ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ يعني: لا تشهدوا بهواكم، ولكن شهدوا على ما أشهدتم عليه.

ثم قال تعالى: ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ يعني: الله تعالى أولى بهما، أن تعدلوا على وجه التقديم والتأخير. ويقال: فلا تتبعوا الهوى أن لا تعدلوا. وقال مقاتل: يعني فلا تتبعوا الهوى للقرابة، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق إلى الهوى.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ يعني: تحرفوا الشهادة وتلدجوا بها ألسنتكم، فلا تقيموا على الوجه لتبطل به الشهادة ﴿أَوْ تَعْرَضُوا﴾ عنها فلا تشهدوا بها عند الحاكم. قرأ حمزة وابن عامر: ﴿وَأَنْ تَلُوا﴾ بواو واحدة من الولاية، يعني: أقيموا الشهادة إذا وليتم. وقرأ الباقون: ﴿تَلُوا﴾ بواوين من التحريف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿خَبِيرًا﴾ يعني عالماً. فهذا تهديد للشهود لكيلا يقصروا في أداء الشهادة ولا يكتموا الشهادة. وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِمْ شَهَادَتَهُ عَلَىٰ مَنْ كَانَتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْحَدُ لِحَقِّ هُوَ عَلَيْهِ وَلِيُوَدِّهِ، وَلَا يُلْحِثُهُ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْخُصُومَةِ». وقال النبي ﷺ: «أَكْرَمُوا الشُّهُودَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبِّي بِهِمُ الْحَقَّ».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال الضحاك: يعني اخبار أهل الكتابيين الذين آمنوا بموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ. وقال الكلبي: نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد وأسد ابني كعب، وثعلبة بن قيس وغيرهم، قالوا: يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وبعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسول. فقال لهم النبي ﷺ: «بَلْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَبِكِتَابِهِ الْقُرْآنِ، وَبِكُلِّ كِتَابٍ كَانَ مِنْ قَبْلُ»<sup>(١)</sup>. فنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ ويقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مخاطب به جميع المؤمنين، ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ يعني: اثبتوا على الإيمان. ويقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: يوم الميثاق ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ويقال: نزلت في شأن أهل الكتاب لأنه علم أن فيهم من يؤمن، فلقرَّبهم من الإيمان سماهم مؤمنين كما قال: ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّقْرَّبُونَ﴾ [الدخان: ٢٤] وكانوا لم يفرقوا بعد. ويقال: إنهم كانوا يقولون نحن مؤمنون فقال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: بزعمهم كما قال ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] يعني: بزعمه. قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي

(١) عزاء السيوطي ٧١٦/٢ إلى الثعلبي.



﴿وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ﴾ ينصب النون والزاي ﴿وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ﴾ بنصب الألف. وقرأ الباقون (نزل) بضم النون وكسر الزاي، و﴿أَنْزَلَ﴾ بضم الألف على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعني: من يجحد بوحداية الله تعالى وملائكته أنهم عبيده، وبرسله أنهم أنبيأؤه وعبيده، وبالبعث بعد الموت ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن الهدى ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ وقال مقاتل: يعني آمنوا بالتوراة وبموسى عليه السلام، ثم كفروا من بعد موسى، ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعيسى عليه السلام والإنجيل، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ من بعده ﴿ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ وبالقرآن. ويقال: إن الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعيسى، ثم آمنوا بمحمد ﷺ من قبل أن يبعث، ثم كفروا به بعدما بعث، ﴿ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا﴾ يعني: لبثوا على كفرهم. وقال في رواية الكلبي: آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعده، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كُفْرًا يعني: بمحمد ﷺ. وقال في رواية الضحاك: نزلت في شأن أبي عامر الراهب، وهو الذي بنى مسجد الضرار، آمن بالنبي ﷺ ثم كفر، ثم آمن، ثم مات على كفره. وقال الزجاج: يجوز أن يكون محارباً آمن ثم كفر، ثم آمن ثم كفر، ويجوز أن يكون منافقاً أظهر الإيمان وأبطن الكفر، ثم آمن ثم كفر، ثم ازداد كُفْرًا بإقامته على النفاق. فإن قيل: إن الله تعالى لا يغفر كُفْرًا مرة واحدة فأبش الفائدة في قوله: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾؟ قيل له: لأن الكافر إذا أسلم فقد غفر له ما قد سلف من ذنبه، فإذا كفر بعد إيمانه لم يغفر الله له الكفر الأول، فهو مطالب بجميع ما فعل في كفره الأول، فذلك قوله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا ماتوا على كفرهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ يعني: لا يوفتهم طريقاً.

﴿بَشِيرٍ الْمُتَّقِينَ﴾ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٤﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنَعْتُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٥﴾

ثم قال تعالى: ﴿بَشِرِ الْمُتَّقِينَ﴾ وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فقال المؤمنون: هذا هنيئاً لك، فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿[الأحزاب: ٤٧]﴾ فقال المنافقون: فما لنا؟ فنزل قوله تعالى ﴿بَشِرِ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني: في الآخرة.

ثم نعت المنافقين فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: اليهود ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ في العون والنصرة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم عيبرهم بذلك فقال ﴿أَيْنَعْتُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يعني: يطلبون عندهم المنعة والظفر على محمد ﷺ وعلى أصحابه. العزة في اللغة: المنعة والغلبة كما يقال: «من عزُّ بزز»، أي من غلب سلب. ويقال: عز الشيء إذا اشتد وجوده.

ثم ذكر أنه لا نصرة لهم من الكفار، وإنما النصرة من الله تعالى، فقال: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

﴿جَمِيعاً﴾ يعني: الظفر والنصر كله من الله تعالى، وهذا كما قال في آية أخرى ﴿وَلِلَّهِ أَلْمِزَةُ وَرَسُولُهُ. وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴿١١٠﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ وذلك أن المشركين بمكة كانوا يستهزئون بالقرآن، فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم، وهو قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْكُفْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] فامتنع المسلمون عن القعود معهم، فلما قدموا المدينة كانوا يجلسون مع اليهود والمنافقين، وكان اليهود يستهزئون بالقرآن، فنزل: ﴿فقد نزل عليكم في الكتاب﴾ يعني: في سورة الأنعام ﴿أن إذا سمعتم آيات الله يكفروا بها﴾ يعني: يجحد بها ﴿ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم﴾ يعني: فلا تجلسوا معهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ يعني: حتى يأخذوا في كلام آخر.

ثم قال: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ يعني: لو جلستم معهم كنتم معهم في الوزر. وفي هذه الآية دليل: أن من جلس في مجلس المعصية ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عملوا بها، فإن لم يقدر بأن ينكر عليهم ينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية. وروى جويبر عن الضحاک أنه قال: «دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة». «قرأ عاصم ﴿وقد نزل عليكم﴾ بنصب النون والزاي، وقرأ الباقون بضم النون وكسر الزاي على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

ثم قال تعالى: ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ يعني: إذا ماتوا على كفرهم ونفاقهم، فبدأ بالمنافقين لأنهم أشد من الكفار، وجعل ما أراهم جميعاً النار. وقال في رواية الكلبي: قوله تعالى ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ نسخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِن جَسَادِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٦٩] وقال عامة المفسرين: إنها محكمة وليست بمنسوخة.

﴿الَّذِينَ يَدْرُسُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْوَعْدِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴿١١١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ إِرْهَادُونَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١١٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ هَؤُلَاءِ وَلَا لِآلِ هَؤُلَاءِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ لَّهُمْ سَبِيلاً ﴿١١٣﴾﴾

ثم أخبر عن المنافقين فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ﴾ يعني: ينتظرون بكم الدوائر، وهو تغير الحال عليكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: النصر والغلبة على العدو ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ يعني: الظفر والغلبة على المؤمنين ﴿قَالُوا﴾ للكفار ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ألم نخبركم بعبادة المسلمين ونطلعكم على سرهم، ونخبركم عن حالهم؟ ويقال: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ألم نغلب عليكم بالموالاة؟ والاستحواذ: هو الاستيلاء على الشيء، كقوله ﴿أَسْتَحِذُ عَلَيْهِمُ الْكُفْرَانُ﴾ [المجادلة: 19] ثم قال: ﴿وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: نجادل المؤمنين عنكم ونجنبهم عنكم.

قال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: بين المؤمنين والمنافقين والكافرين ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بأنهم يسلطون علينا. ويقال: دولة دائمة، يعني: لا تدوم دولتهم. وروي عن علي رضي الله عنه، أنه سئل عن قوله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يسلطون علينا ويغلبونا، فقال: «لا يسلط الكافر على المؤمن في الآخرة في يوم القيامة».

ثم بين حال المنافقين في الدنيا وخداعهم، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ إِخَادِعُونَ اللَّهِ﴾ يعني: يظنون أنهم يخادعون الله ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ يعني: يجازيهم جزاء خداعهم، وهو أنهم يمشون مع المؤمنين على الصراط يوم القيامة، ثم يسلبهم النور، فيبقون في ظلمة. ثم قال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ يعني المنافقين ﴿قَامُوا كَسَالَى﴾ يعني: متثاقلين ﴿بِرَأْوُونَ النَّاسَ﴾ يعني: لا يرونها حقاً، ويصلون مراعاة للناس وسُمعة ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً وتقبل منهم، ولكن لم يريدوا به وجه الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يعني: مترددين. ويقال: متفحّصين بين ذلك ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني: ليسوا مع المؤمنين في التصديق، ولا مع اليهود في الظاهر ﴿وَمَنْ يَضِللِ اللَّهُ﴾ يعني: من يخذله الله عن الهدى ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ يعني: مخرجاً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُوا أَن يَحْمِلُوا بُعْدَ عَنِّيكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾

ثم قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا قال مقاتل: الذين آمنوا بزعمهم وهم المنافقون ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في الظاهر وأسروا النفاق. ويقال: يعني المؤمنين المخلصين، كانت بينهم وبين اليهود صداقة، وكانوا يأتونهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ثم قال: ﴿أُرِيدُونَ أَن تَحْمِلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ يعني: حجة بيّنة في الآخرة.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنَّ تُجِدَّ لُهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا  
وَأَصْلَحُوا وَاتَّعَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا إِلَيْهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا  
عَظِيمًا ﴿١١٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١١٧﴾

ثم بين ماوى المنافقين في الآخرة فقال: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾  
المنافق، في اللغة: اشتقاقه من نافقاء البربوع، ويقال: للبربوع جحران أحدهما نافقاء، والآخر  
قاصعاء، فيظهر نفسه في أحدهما، ويخرج من الآخر، ولهذا يسمى المنافق منافقاً لأنه يظهر من  
نفسه أنه مسلم، ويخرج عن الإسلام إلى الكفر. قرأ أهل الكوفة وحمزة والكسائي وعاصم  
﴿الدرك﴾ بجزم الراء، وقرأ الباقر بالنصب وهما لغتان: الدرك والدرك، وجمعهما أدراك،  
وهي المنازل بعضها أسفل من بعض، فأعد للمنافقين الدرك الأسفل من النار وهي الهاوية. ثم  
قال: ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ يعني: مانعاً يمنعهم من العذاب.

ثم قال عز وجل: ﴿إلا الذين تابوا﴾ من النفاق ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم ﴿واعتصموا بالله﴾  
يعني: تمسكوا بدين الله تعالى وتوحيده ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ يعني: بتوحيدهم لله  
بالإخلاص، فإن فعلوا ذلك ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ يعني: المصدقين على دينهم، لهم ما  
للمسلمين، وعليهم ما عليهم.

ثم قال: ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين﴾ يعني: يعطي الله المؤمنين ﴿أجرًا عظيماً﴾ يعني:  
ثواباً عظيماً في الآخرة. وفي هذه الآية دليل أن المنافقين هم أشد خلق الله تعالى، لأنه أوعدهم  
الدرك الأسفل من النار. ثم استثنى لهم أربعة أشياء: التوبة، والإخلاص، والإصلاح،  
والاعتصام. ثم قال بعد هذا كله: ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ ولم يقل هم المؤمنون. ثم قال:  
﴿وسوف يؤت الله المؤمنين﴾ ولم يقل: سوف يؤتيهم الله، بغضاً لهم وإعراضاً عنهم.  
والمنافقون هم: الزنادقة والقرامطة الذين هم بين المؤمنين، يظهرون من أنفسهم الإسلام وإذا  
اجتمعوا فيما بينهم يسخرون بالإسلام وأهله، فهم من أهل هذه الآية، وماواهم الهاوية.

قوله تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ يعني: ما يصنع الله بعذابكم ﴿إن شكرتم﴾ يعني: إن  
آمنتم بالله تعالى ووحدتموه، ويقال: معناه ما حاجة الله إلى تعذيبكم لو كنتم موحدين شاكرين له  
﴿وآمنتم﴾ به وصدقتم رسله. ثم قال: ﴿وكان الله شاكراً﴾ يعني: ﴿شاكراً﴾ للقليل من  
أعمالكم، ﴿عليماً﴾ بأعمالكم وثوابكم. ويقال: ﴿شاكراً﴾ يقبل اليسير ويعطي الجزيل،  
﴿عليماً﴾ بما في صدوركم. ويقال: ﴿عليماً﴾ بمن شكر وآمن فلا يعذب شاكراً ولا مؤمناً.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ ﴿١١٨﴾

﴿يُذَوُّوا خَيْرًا أَوْ يَخْفَوْا أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوَى اللَّهِ كَانَتْ عَفْوَاً قَدِيرًا﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني: لا يحب أن يذكر بالقول القبيح أحد من الناس ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فيقتص من القول بمثل ما ظلم، فلا حرج عليه. نزلت الآية في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، شتمه رجل فسكت أبو بكر مراراً، ثم ردّ عليه، ويقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فيدعو الله تعالى على ظالمه. وقال الفراء: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: ولا من ظلم. وقال السدي: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فانتصر بمثل ما ظلم، فليس عليه جناح. وقال الضحاك: ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ أي لا يحب لكم أن تنزلوا برجل، فإذا ارتحلتم عنه تدمون طعامه، إلا رجلاً أردتم النزول عليه عند حاجتكم فمتعكم. وقال مجاهد: هو في الضيافة إذا دخل الرجل المسافر إلى القوم، يريد أن ينزل عليهم فلم يضيّفوه، فقد رخص له أن يذكر كلاماً عنهم ويقول فيهم. ويقال: يعني يسبه بمثل ما سبه، ما لم يكن كلاماً فيه حد أو كلمة لا تصلح، ولو لم يقل لكان أفضل. وقرأ بعضهم: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالفتح متصل بقوله: ﴿مَا يَنْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: إلا من أشرك بالله، وهو شاذ من القراءة ثم قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحاً﴾ يعني: دعاء المظلوم، ﴿عَلِيماً﴾ يعقوبة الظالم.

ثم أخبر عن التجاوز أنه خير من الانتصار، فقال عز وجل: ﴿إِنْ تَبَدَّوْا خَيْراً﴾ يعني: إن تظهروا حسنة ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ يعني: الحسنة ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ يعني: بتجاوز عن ظالمه ولا يجهر بالسوء عنه، فهذا أفضل لأن الله تعالى قادر على عبادته فيعفو عنهم، وهو قوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يعني: أن الله قادر على العقوبة لكم، فيعفو عنكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت الآية في أهل الكتاب، يؤمنون بموسى وعيسى عليهما السلام ويكفرون بغيرهما، وهو قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَفْرُقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ يعني: يريدون أن يتخذوا ديناً لم يأمر به الله ورسوله به. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ بموسى وعزير والتوراة ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن وبعبسى والإنجيل ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ يعني بين اليهودية والإسلام.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ حين كفروا ببعض الرسل ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ يهانون فيه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ يعني أقروا بوحدانية الله تعالى وصدقوا بجميع

الرسول ﴿ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ في الإيمان والتصديق، يعني: لم يكفروا ولم يجحدوا بأحد من الأنبياء والرسول عليهم السلام، ويصدقون بجميع الكتب ﴿أولئك﴾ يعني: أهل هذه الصفة ﴿سوف نؤتيهم أجورهم﴾ يعني: سنعطيهم ثوابهم في الجنة ﴿وكان الله غفوراً﴾ لذنوبهم ﴿رحيماً﴾ لما كان منهم في الشرك. قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿بؤتبيهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نؤتبيهم﴾ بالنون.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْآيَاتُ فَعَقَّبُوا عَنِ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٦﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ فِيمَا نَقُضِيهِمْ مَّيْتَقِنُهُمْ وَكَفَرِهِمْ تَبَايَعَتْهُمُ الْآيَاتُ الْكُبْرَىٰ بِعَيْرِ حَقِّ وَقُولِهِمْ لِوَلِيِّنَا غَلْفًا بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٨﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَقُولِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّمَّا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٦٠﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ يعني: جملة واحدة كما جاء به موسى عليه السلام. ويقال: إن كعب بن الأشرف وفتحاص بن عازوراء وأصحابهما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً تحمله الملائكة إلينا فتقرؤه. قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فقد سألو موسى أكبر من ذلك﴾ يعني: إن هؤلاء من أصل أولئك القوم الذين ﴿فقالوا﴾ لموسى عليه السلام ﴿أرنا الله جهرة﴾ يعني: عياناً، وهم القوم الذين ساروا مع موسى عليه السلام إلى طور سيناء ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ يعني: أحرقتهم النار ﴿بظلمهم﴾ يعني: بقولهم وسؤالهم ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ يعني: ومع ذلك قد عبدوا العجل، وهم قوم موسى عليه السلام في حال غيبته ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني: جاءهم موسى عليه السلام بالآيات والعلامات ﴿فنعفونا عن ذلك﴾ كله ولم نستأصلهم ﴿وآتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ يعني: حجة بينة، وهي اليد والعصا ﴿ورفعنا فوقهم﴾ يقول: رفعنا فوقهم الطور ﴿الطور بميثاقهم﴾ يعني: بإقرارهم بما في التوراة حتى أبوا أن يقبلوا الشرائع ﴿وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً﴾ يعني: باب أريحة منحنية أصلابهم ﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾ يقول: لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت. قرأ نافع في رواية ورش ﴿لا تعدوا﴾ بالتشديد، لأن أصله: لا تعتدوا، فأدغم التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه. وقرأ الباقون ﴿لا تعدوا﴾ بالتخفيف من عدا يعدو عدواناً.



ثم قال تعالى: **﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾** يعني: إقراراً وثيقاً شديداً في التوراة، يعني: تركوا هذه الأشياء كلها ونقضوا الميثاق.

ثم قال عز وجل: **﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّيثَاقَهُمْ﴾** ولم يذكر في هذه الآية جوابهم، والجواب فيه مضمرة فكأنه قال: وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً فنقضوا الميثاق، فبنقضهم الميثاق لعنهم الله تعالى وخذلهم كقوله **﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾** [النساء: ۱۵۵] ثم قال: **﴿وَكُفْرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾** يعني: بكفرهم بآيات الله لعنهم الله وخذلهم. **﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾** يعني: بغير جرم **﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾** يعني: ذات أغلفة فلا نفقه حديثك. وقرأ بعضهم: **﴿غُلْفٌ﴾** بضم اللام وهو جمع الغلاف يعني: أن قلوبنا أوعية لكل علم ولا نفقه حديثك.

قال الله تعالى: **﴿بَلْ طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** يعني: ختم الله على قلوبهم **﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾** يعني: لا يؤمنون إلا القليل منهم، ويقال: لا يؤمنون إلا بالقليل، لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال مقاتل: يعني ما أقل ما يؤمنون، يقول: بأنهم لا يؤمنون البتة.

ثم قال تعالى: **﴿وَيَكْفُرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا﴾** وذلك أن مريم كانت متعبدة ناسكة، اصطفاها الله تعالى بولد بغير أب، فغيرها اليهود واتهموها وقذفوها بيوسف بن مائان، وكان يوسف خادم بيت المقدس ويقال: كان ابن عمها، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم وبين بهتانهم فقال: **﴿وَيَكْفُرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا﴾** يعني: لعنهم الله وخذلهم بذلك **﴿وَقَوْلِهِمْ﴾** يعني: وبقولهم **﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾** هذا قول الله لا قول اليهود، وقول اليهود: **﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾** ثم قال الله تعالى **﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾** يعني: الذي هو رسول الله تعالى. وذلك أن اليهود لما اجتمعوا على قتله، هرب منهم ودخل في بيت، فأمر ملك اليهود رجلاً يدخل البيت يقال له يهوذا، ويقال: ططيانوس، فجاء جبريل عليه السلام ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فلما دخل الرجل إلى البيت لم يجده، فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه، فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصابوه. ثم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فاختلفوا فيما بينهم، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم فقال: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾** يعني: ألقى شبه عيسى على غيره فقتلوه.

ثم قال تعالى: **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾** من قتله **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾** يعني: لم يكن عندهم علم يقين أنه قتل أو لم يقتل **﴿إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ﴾** يعني: قالوا قولاً بالظن **﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾** يعني: لم يستيقنوا بقتله، ويقال: **﴿مَا قَتَلُوهُ﴾** يعني: يقيناً أنهم لم يقتلوه **﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾** وقال مقاتل: بل رفعه الله إلى السماء في شهر رمضان ليلة القدر. وقال الضحاك: رفعه الله إلى السماء في يوم عاشوراء بين الصلاتين، يعني: بين المغرب والعشاء. ثم قال: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾** يعني منيعاً حين منع عيسى من القتل **﴿حَكِيمًا﴾** حين حكم رفعه إلى السماء.



﴿وَإِن مِّنْ أَهْلٍ لِّلْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٤﴾  
 ﴿فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَجَلَتْ لَهُمْ ذُرِّيَّتُهم مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ۝١٥٥  
 ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنده وَأَتَتْهُمُ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْأَيْدِي وَالرِّبَا بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ﴾ ۝١٥٦

قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ يقول: وما من أهل الكتاب ﴿إلا ليؤمنن به﴾ يعني: بعيسى عليه السلام ﴿قبل موته﴾ وذلك أن اليهودي إذا حضرته الوفاة وعابن أمر الآخرة، ضربته الملائكة وقالت له: يا عدو الله، أنك عزيز فكذبته، ويقال للنصراني: يا عدو الله أنك عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام، فزعمت أنه ابن الله، فيؤمن عند ذلك ويقر أنه عبد الله ورسوله، ولا ينفعه إيمانه في ذلك الوقت، ويكون إيمانهم عليهم شهيداً يوم القيامة. وروي عن مجاهد أنه قال: «ما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته، فقيل له: وإن غرق أو احترق أو أكله السبع يؤمن بعيسى عليه السلام؟ فقال: نعم. وروي أن الحجاج بن يوسف سأل شهر بن حوشب عن هذه الآية فقال: إني لأوتى بالأسير من اليهود والنصارى، فأمر بضرب عنقه، وأنظر إليه في ذلك الوقت فلا أرى منه الإيمان، فقال له شهر بن حوشب: إنه حين عابن أمر الآخرة يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله، فيؤمن به ولا ينفعه. فقال له الحجاج: من أين أخذت هذا؟ قال: أخذته من محمد بن الحنفية. فقال له الحجاج: أخذت من عين صافية. وروي عن سعيد بن جببر أنه قال: ﴿قبل موته﴾ يعني: قبل موت عيسى عليه السلام هكذا قال الحسن.

قال الفقيه: حدثنا عمر بن محمد، قال: حدثنا أبو بكر الواسطي، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن رجل، عن الحسن في قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. وروي عن ابن عباس أنه قال: «يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة نبياً إماماً مهدياً، ثم يموت وتصلي عليه هذه الأمة». وقال الضحاك: «يهبط عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض بعد خروج الدجال، فيكون هبوطه على صخرة بيت المقدس، ثم يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويهدم البيع والكنائس، ولا يبقى على وجه الأرض يهودي ولا نصراني إلا آمن بالسيح ودخل في الإسلام».

ثم قال تعالى: ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ يعني: يكون عليهم عيسى عليه السلام شهيداً، بأنه قد بلغهم الرسالة.

قوله تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ يعني: بشركهم حرمنا عليهم أشياء كانت حلالاً لهم، وهو كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم أحلت لهم ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ يعني: بصرفهم كثيراً من الناس عن دين الله على وجه التقديم

﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا﴾ يعني: حرم عليهم الحلال بكفرهم، وبصرف الناس عن دين الله تعالى، وبأخذهم الربا ﴿وقد نهوا عنه﴾ يعني: عن أخذ الربا في التوراة ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ وهو أخذ الرشوة في الحكم ﴿وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ يعني: هيأنا لهم عذاباً وجيماً دائماً.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُسِيَبِينَ الصَّالِحِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْكَافِرَاتِ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَتْلِكَ سَتُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ يعني: المبالغون في العلم، الذين أدركوا علم الحقيقة، وهم مؤمنو أهل الكتاب. وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا: هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل وأنت تحلها، ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ يصدقون بما أنزل إليك أنه الحق، ويقال: إن مؤمني أهل الكتاب يعلمون أن الذي أنزل إليك من القرآن هو الحق، وأنت نبي مبعوث وهو مكتوب عندهم.

ثم قال: ﴿والمؤمنون﴾ يعني: أصحاب النبي ﷺ ﴿يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ يعني: يصدقون بالقرآن وبالكتب التي أنزلت قبل القرآن.

ثم وصفهم فقال: ﴿والمقيمین الصلاة﴾ قال بعض الجهال: هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الإمام، كان ينبغي أن يكتب: والمقيمون، فأوهم وكتب: والمقيمین. واحتج بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ثلاثة أحرف في المصحف غلط من الكاتب: قوله: ﴿والمقيمین الصلاة﴾ وقوله ﴿والصابغون والنصارى﴾ وقوله ﴿إن هذان لساحران﴾ وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها، ولكن هذا بعيد عند أهل العلم والخبر، لم يثبت عن عثمان ولا عن عائشة، لأن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا حماة الدين والقدوة في الشرائع والأحكام، فلا يظن بهم أنهم تركوا في كتاب الله تصحيحاً يصلحه غيرهم، وهم أخذوه عن رسول الله ﷺ. والمعنى في قوله ﴿والمقيمین الصلاة﴾ قال بعضهم: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمین الصلاة، يعني بالنبيين المقيمین الصلاة. وقال بعضهم: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون﴾ ومن المقيمین الصلاة ﴿يؤمنون بما أنزل إليك﴾.

ثم قال تعالى: ﴿والمؤتون الزكاة﴾ يعني: الذين يعطون الزكاة المفروضة ﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعني: المقرون بوحداية الله تعالى، وبالبعث بعد الموت. ثم قال: ﴿أولئك﴾ يعني: أهل هذه الصفة ﴿ستؤتيهم أجراً عظيماً﴾ يعني: يعطيهم الله في الآخرة ثواباً عظيماً هو الجنة. قرأ حمزة ﴿سيؤتيهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالنون.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَدْوٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِكُلِّ إِزْهِيمَةٍ وَاسْتَمِعِلْ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَيَعِيسَى وَإِيُوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدِينَ دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١١٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٨﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: أرسلنا إليك جبريل ﴿كما أوحينا إلى نوح﴾ يعني: كما أرسلنا إلى نوح عليه السلام، ويقال: ﴿أوحينا إليك﴾ بأن تثبت على التوحيد وتأمّر الناس بالتوحيد، ﴿كما أوحينا إلى نوح﴾ بأن يثبت على التوحيد، ويدعو الناس إلى التوحيد ﴿والنبيين من بعده﴾ يعني: أوحينا إليهم بذلك ﴿وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ وهما ابنا إبراهيم عليهما السلام ﴿ويعقوب﴾ وهو ابن إسحاق ﴿والأسباط﴾ وهم أولاد يعقوب عليه السلام، كانوا اثني عشر سبطاً، أوحينا إلى أنبيائهم بأن يثبتوا على التوحيد، ويدعوا الناس إلى ذلك ﴿ور﴾ أوحينا إلى ﴿عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ قرأ حمزة: ﴿زبوراً﴾ بضم الزاي، وقرأ الباقون بالنصب في جميع القرآن، ومعناها واحد، وهو عبارة عن الكتاب.

ثم قال عز وجل: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل﴾ يعني: قد سميناهم لك من قبل، يعني بمكة ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ يعني: لم نسّمهم لك، وقد أرسلناك كما أرسلنا هؤلاء. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان الأنبياء عليهم السلام ألفي ألف ومائتي ألف. وقال مقاتل: كان الأنبياء ألف ألف، وأربعمائة ألف، وأربعة وعشرين ألفاً. وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿بُعِثْتُ عَلَى أُمَّرِ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد القاضي، قال: حدثنا إبراهيم بن حُشيش البصري، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله كم كانت الأنبياء عليهم السلام، وكم كان المرسلون؟ فقال ﷺ: ﴿كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِائَةَ أَلْفٍ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ، وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ ثَلَاثِمِائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ قال بعضهم: معناه أنه قد أوحى إليه، وإنما سماه كلاماً على وجه المجاز كما قال في آية أخرى ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الروم: ٢٥] يعني: يستدلون بذلك، والعرب تقول: قال الحائض كذا وكذا. وقال عامة المفسرين وأهل العلم: إن هذا كلام حقيقة لا مجازاً، لأنه قد أكده بالمصدر حيث قال: ﴿وكلم الله موسى

تكليماً والمجاز لا يؤكد لأنه لا يقال: قال الحائض قولاً، فلما أكده بالمصدر نفى عنه المجاز، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠) وقد أكده بالتكرار ونفى عنه المجاز. وقال في موضع آخر ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] يعني: الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين، فأراهم في المنام أو من وراء حجاب بكلمة مثل ما كلم موسى، أو يرسل رسولاً وهو رسالة جبريل عليه السلام إلى المرسلين.

ثم قال عز وجل: ﴿رَسُولًا مَبْشُرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يعني: أرسلنا رسلاً مبشرين بالجنة ومنذرين بالنار ﴿لئلا يكون﴾ يقول: ﴿لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ يعني: بعد إرسال الرسل، كي لا يقولوا يوم القيامة إنك لم ترسل إلينا رسولاً. ولو أن الله تعالى لم يرسل رسولاً كان ذلك عدلاً منه إذ أعطى كل واحد من خلقه من العقل ما يعرفه، ولكن أرسل تفضلاً منه، ولكي يكون زيادة في الحجة عليهم. ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾. بالنقمة لمن يجحده ﴿حَكِيمًا﴾ حكم إرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن رؤساء مكة أتوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سألنا اليهود عن صفتك ونعتك، فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم، فأتينا بمن يشهد لك بأنك نبي مبعوث ويظهر نبوتك فنزل: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعني: إن لم يشهد لك أحد منهم، فالله تعالى أعظم شهادة من خلقه، هو يشهد لك بأنك نبي ويظهر نبوتك. قال القتيبي: هذا من الاختصار، لأنه لما نزل ﴿إِنَّمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ [سورة النساء: ١٦٣] قال المشركون: لا نشهد لك بهذا فمن يشهد لك؟ فنزلت هذه الآية حكاية قولهم. فقال تعالى ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ لأن كلمة ﴿لَكِنِ﴾ إنما تجيء بعد نفي شيء، فوجب ذلك الشيء بها.

ثم قال تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعَلْمِهِ﴾ يعني: بأمره. ويقال: أنزل القرآن الذي فيه علمه. ثم قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً على شهادتك بالذي شهدت أنه حق ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ فلا أحد أفضل من الله تعالى، بأنه أنزل القرآن عليك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلًّا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: صرفوا الناس عن دين الله ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق ﴿ضلالاً بعيداً﴾ يعني: بعيداً عن الحق.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ يعني: جحدوا وأشركوا ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرَ لَهُمْ﴾ يعني: ما داموا على شركهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ يعني: لا يوفقهم لطريق الإسلام ﴿إِلَّا﴾

**طريق جهنم** ﴿ یعنی: بترکھم و یخذلھم فی طریق الکفر عقوبۃ لکفرھم ولجھودھم، وهو طریق جھنم. ویقال: إلا العمل الذی یجرھم إلی جھنم. وقال الضحاک: لا یھدیھم طریقاً یوم القیامۃ، یعنی: لا یُرفع لھم إلا طریق جھنم. وذلك أن اليهود أهل الإیمان یرفع لھم فی الموقف طریق تأخذ بھم إلی الجنة، ویرفع لأهل الکفر طریق ینتھي بھم إلی النار.

ثم قال: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ یعنی: دائمین فیھا ﴿وكان ذلك علی الله سبیراً﴾ یعنی: خلودھم وعذابھم فی النار ھین علی الله تعالیٰ.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا فَلَنُنَّ أَنْتَهُوَ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ إِنَّ يَكُونُ لَكُمْ وَلَدٌ لِّمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس: «يعني يا أهل مكة» ﴿قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ أي بشهادة أن لا إله إلا الله، ويقال: ببيان الحق. ويقال: بالحق، يعني: بالفرض والحجة. وقوله: ﴿قد جاءكم﴾ على وجه المجاز، لأن رسول الله ﷺ قد كان فيهم، ولكن معناه: أنه قد ظهر فيكم رسول الله ﷺ كما قال في آية أخرى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ (سورة التوبة: 128) أي ظهر فيكم ثم قال: ﴿فآمنوا خيراً لكم﴾ يعني: صدقوا بوحداية الله تعالى، والقرآن الذي جاءكم به محمد ﷺ خير لكم من عبادة الأوثان، لأن عبادة الأوثان لا تغنيكم شيئاً.

ثم قال تعالى: ﴿وإن تكفروا﴾ يعني: إن تجحدوا بالله وبمحمد ﷺ، فإن الله غني عنكم ﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾ كلهم عبيده وإماؤه ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقهم ﴿حكيماً﴾ في أمره.

ثم قال عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ قال الضحاک: يعني: لا تكذبوا في دينكم. وقال بعض أهل اللغة: الغلو مجاوزة القدر في الظلم. ويقال: الغلو أن تتجاوز لما حد ذلك. وقال القتيبي: لا تفرطوا في دينكم، فإن دين الله بين المقصر والغالي. وغلا في القول إذا تجاوز المقدر. وقال ابن عباس: «وذلك أن اليعقوبية وهم صنف من النصارى قالوا: عيسى هو الله. وقالت النسطورية: هو ابن الله. وقالت المرقوسية: هو ثالث ثلاثة، فنزل ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾. قال مقاتل: الغلو في الدين أن يقول على الله غير الحق. ويقال: لا تعمقوا في دينكم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يعني: لا تصفوا بالله بما لا يليق بصفاته، فإن الله تعالى واحد لا شريك له، ولا ولد له.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ نَاقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ وهو قوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل: ٤٠] ثم قال: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي: «يعني أمر منه» فأناها جبريل، فنفخ في جيب درعها فدخلت تلك النفخة بطنها، فحملت بعيسى، ثم وصل إلى عيسى ابن مريم فتحرك في بطنها وأمه أمة الله تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ يعني: صدقوا بوحداية الله تعالى وبما جاءكم به الرسل من الله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ يعني: لا تقولوا إن الله ثالث ثلاثة ثم قال: ﴿انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ﴾ يقول: توبوا إلى الله تعالى من مقاتلكم، فالتوبة خير لكم من الإصرار على الكفر.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ثم نزه نفسه عما قال الكفار فقال: ﴿سُبْحَانَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾. ثم قال: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿وَكُفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ يعني: كفيلاً ويقال: شاهداً ولا شاهد أفضل من الله تعالى.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَجِّدْهُمْ إِلَىٰ جَمِيعًا ﴿١٧٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيَّدْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ يعني: لن يتعظم ولن يأنف ولن يتكبر. ويقال: لن يحتشم ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾. وذلك أن وفد نجران أتوا رسول الله ﷺ وناظروه في أمر عيسى عليه السلام، فقال لهم النبي ﷺ: «كان عبد الله ورسوله»، فقالوا: لا تقل هكذا فإن عيسى يأنف عن هذا القول، فنزل تكذيباً لقولهم ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ يعني: كان عيسى مفرقاً بالعبودية. ثم قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني: حملة العرش لم يأنفوا عن الإفراز بالعبودية. وقال مقاتل: الملائكة المقربون أقرب إليه، فلم يأنفوا عن عبادته، فكيف يأنف عيسى عليه السلام عن عبادته وهو عبد من عباده؟

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ﴾ يعني: يتعظم ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ والاستنكاف: هو الاستنكاف، يقال: استنكف واستكبر يعني: استكبر عن طاعته ﴿فَيَسْجِدْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ يأمر بهم إلى النار.

ثم قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ يعني: يوفر لهم ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني: من رزقه في الجنة.



ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله تعالى ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ وجيعاً دائماً ﴿ولا يجدون لهم من دون الله﴾ يعني: من عذاب الله ﴿ولياً﴾ يعنيهم ﴿ولا نصيراً﴾ يعني: مانعاً يمنعهم من عذاب الله تعالى.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ﴾ ﴿فسيّدخلهم﴾ في رحمته ﴿منه﴾ وفضل ﴿ويهديهم﴾ إليه ﴿ويستقيموا﴾ ﴿١٧٧﴾

ثم قال عز وجل: ﴿يا أيها الناس﴾ يعني: يا أهل مكة ﴿قد جاءكم برهان من ربكم﴾ يعني: بياناً من ربكم وحجة من ربكم، وهو محمد ﷺ والقرآن ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ يعني: بياناً من العمى وبيان الحلال من الحرام، وهو القرآن.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ يعني: صدقوا بوحداية الله تعالى ﴿واعتصموا به﴾ يعني: تمسكوا بدينه ﴿فسيّدخلهم﴾ في رحمة منه ﴿يعني الجنة﴾ وفضل ﴿يعني: الشواب﴾ ويهديهم إليه ﴿يعني: يرشدهم إلى دينه، ويفقههم لذلك. وفي الآية تقديم وتأخير، فكانه يقول: يهديهم في الدنيا﴾ صراطاً مستقيماً ﴿يعني: ديناً لا عوج فيه، ويشبههم على ذلك، ويدخلهم في الآخرة في رحمة منه وفضل، وهو الجنة والكرامة.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إن امرؤاً هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان بما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿يستفتونك﴾ يعني: يسألونك عن حكم الميراث ﴿قل الله يفتيكم في الكلاله﴾ روي عن قتادة أنه قال: «الكلالة من لا ولد له ولا والد»، وكذلك قال ابن عباس وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «إني قد رأيت رأياً فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان»: الكلالة ما عدا الوالد والولد<sup>(١)</sup>. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ثلاث لئن يكون رسول الله ﷺ يبينهن لنا كان أحب إلي من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، وأبواب الربا»<sup>(٢)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن الكلالة فقال: «ألم تر الآية التي أنزلت في النساء﴾ ﴿قل الله يفتيكم في الكلاله﴾ إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ يعني: هذا تفسير الكلالة.

(١) عزاه السيوطي ٧٥٦/٢ إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور والدارمي، وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٢) حديث عمر: أخرجه البخاري (٥٥٨١) و(٥٥٨٨) ومسلم (٣٠٣٢) و(٣٣) والترمذي (١٨٧٤) والنسائي

٢٩٥/٨٠ وأبو داود (٣٦٦٥).



وهذه الآية نزلت في شأن جابر بن عبد الله، سأل رسول الله ﷺ فقال: إن لي أختاً فما لي من ميراثها؟ فنزلت هذه الآية، فبين ميراث جابر أولاً ثم ميراث أخته، فصارت الآية عامة لجميع الناس<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ يعني: إن مات رجل ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ وله أخت فلها نصف ما ترك من المال ﴿وَهُوَ بَرْتَهَا﴾ يعني: إذا ماتت الأخت والأخ حي ورثها ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ وقد ذكرت الآية حكم الأخ والأخت إذا لم يكن لهما ولد، ولم يبين أنه لو كان لأحدهما ولد فمات أحدهما فما حكمه؟ ولكن بين على لسان رسوله ﷺ أن الأخ إذا مات وترك ابنة وأختاً أن للابنة النصف، وما بقي فللأخت. وإن كانت الأخت هي التي ماتت وترك ابنة وأختاً، فللابنة النصف وما بقي فللأخ. وفي هذا إجماع وفي الأول اختلاف. قال ابن عباس رضي الله عنه: «لا ترث الأخت مع الابنة شيئاً»، وخالفه جميع الصحابة رضي الله عنهم وقالوا كلهم: الأخت مع البنات عسبة.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ مِمَّا تَرَكَ﴾ يعني: إذا كان للثلاث أختان أو أكثر فلهما الثلثان إذا كانتا اثنتين، وإن كنَّ أكثر من ذلك فلهنَّ الثلثان أيضاً بالإجماع. ثم قال: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ يعني: إخوة وأخوات ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ يعني: لكل أخ سهمان ولكل أخت سهم، هذا إذا كانت الإخوة والأخوات من الأب والأم، أو من الأب خاصة، فأما إذا كانوا من قبل الأم، فهم شركاء في الثلث، ليس لهم أكثر من ذلك كما ذكر في أول السورة، وهذا بالإجماع.

ثم قال تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا﴾ يعني: يبين الله لكم قسمة الموارث لكي لا تضلوا ولا تخطئوا في قسمتها. وقد يحذف لا فيراد به إثباته كقوله ﴿وَأَلْفَنُ فِي الْأَرْضِ رَوْسُكَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (سورة لقمان: ١٠) يعني: أن لا تميد بكم، وقد يثبت ويراد به حذفه كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْتَ بَدَّ﴾ (سورة الأعراف: ١٢) يعني: أن تسجد وكقوله ﴿فَلَا أَمْسِرُ﴾ (سورة القيامة: ١) يعني: أقسم ثم قال: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من قسمة الموارث وغيره، يعني: اتبعوا ما أنزل الله تعالى وبين لكم في كتابه والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً.

(١) عزاه السيوطي والبيهقي ٧٥٤/٢ إلى مسلم وابن جرير والبيهقي. وكذلك إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور والبيهقي.

## سورة المائدة

مدنية وهي مائة وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الفقيه الزاهد أبو الليث السمرقندي حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن جبير بن نفير قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت: «هل تقرأ سورة المائدة؟» فقلت: نعم. قالت: «فإنها من آخر ما أنزل الله تعالى على نبيه، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه»<sup>(١)</sup>. وقال الشعبي: لم ينسخ من هذه السورة غير قوله ﴿وَلَا أَشْهَرُ الْحَرَامِ وَلَا الْمُدَى وَلَا الْفَلْتِيدَ﴾ [سورة المائدة: ٢] الآية. وقال بعضهم: نسخ منها قوله ﴿أَوْ الْخُرَانَ مِنْ عَيْرِكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٦].

﴿يَأْتِيهَا الذِّبَرُ مَا آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ فهذا نداء مدح، والنداء في القرآن على سبع مراتب: نداء المدح، مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ﴿يا أيها الرسل﴾. ونداء الذم، مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين كفروا﴾ ﴿يَأْتِيهَا الذِّبَرُ هَادُوا﴾ [سورة الجمعة: ٦]. ونداء التنبيه، مثل قوله: ﴿يا أيها الناس﴾. ونداء الإضافة، مثل قوله: ﴿يا عبادي﴾ ونداء النسبة، مثل قوله: ﴿يا بني آدم﴾ ﴿يا بني إسرائيل﴾. ونداء الاسم، مثل قوله: ﴿يا إبراهيم﴾ ﴿يا داود﴾. ونداء التعبير، مثل قوله: ﴿يا أهل الكتاب﴾ فهاهنا نداء المدح: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وهو من جوامع الكلم، لأنه قال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني صدقوا، ولم يقل بأي شيء صدقوا، معناه: الذين صدقوا بوحداية الله تعالى، وصدقوا بمحمد ﷺ وبالقرآن، وصدقوا بجميع الرسل، وبالبعث، والحساب، والجنة، والنار. وقال عبد الله بن مسعود: «كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه وإن أدب الله القرآن، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعاها سمعك فإنه خير مأمور به أو شر منهي عنه»، ويقال: جميع ما في القرآن ﴿يا أيها الذين

(١) عزاء السيوطي ٣/٣ إلى أحمد وأبي عبيد في فضائله، والنحاس، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي.

آمنوا ﴿ نزل بالمدينة، وكل ما يقال في القرآن ﴿يا أيها الناس﴾ نزل أكثره بمكة، وقد قيل: نزل بالمدينة أيضاً. ويقال: كل ما في القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ذكر في الإنجيل: يا أيها المساكين.

ثم قال: ﴿أوفوا بالعقود﴾ يعني: أتموا الفرائض التي ذكر الله تعالى في القرآن، وعقد على عباده ما أحل لهم وحرّم عليهم أن يوفوا بها. وقال مقاتل: ﴿أوفوا بالعقود﴾ يعني: بالعهود التي بينكم وبين المشركين. ويقال: جميع العقود التي بينه وبين الناس، والتي بينه وبين الله تعالى، وهذا من جوامع الكلم، لأنه اجتمع فيه ثلاثة أنواع من العقود، أحدها: العقود التي عقدها الله تعالى على عباده من الأوامر والنواهي. والنوع الثاني: العقود التي يعقدها الإنسان بينه وبين الله تعالى من النذور والأيمان، وغير ذلك. والنوع الثالث: العقود التي بينه وبين الناس، مثل البيوع والإيجارات وغير ذلك، فوجب الوفاء بهذه العقود كلها.

ثم قال تعالى: ﴿أحلت لكم﴾ يعني: رخصت لكم ﴿بهيمة الأنعام﴾ والأنعام: تشتمل على الإبل والبقر والغنم والوحش، دليله على قوله تعالى ﴿وَمِمَّا أَلْتَمَسْتُمْ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [سورة الأنعام: ١٤٢] ثم قال تعالى: ﴿ثمانية أزواج﴾ وأما البهيمة فهي كل حي لا يميز، وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت من أن تميز.

ثم قال: ﴿إلا ما ينلني عليكم﴾ يعني: رخصت لكم الأنعام كلها إلا ما حرم عليكم في هذه السورة، وهي: الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك. وذلك أنهم كانوا يحرمون السائبة والبحيرة، فأخبر الله تعالى أنهما حلالان ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يعني: إلا ما بين لكم في هذه السورة.

ثم قال: ﴿غير مجلّي الصيد وأنتم حرم﴾ يعني: أحلت لكم هذه الأشياء من غير أن تستحلوا الصيد وأنتم محرمون. ثم قال: ﴿إن الله يخكم ما يريد﴾ يعني: يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لأنه أعرف بصلاح خلقه وما يصلحهم وما لا يصلحهم، وليس لأحد أن يدخل في حكمه. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتْرُكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٢٦] وقال ﴿لَا يَسْتَلِ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعَتِ اللَّهِ وَلَا الثَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْفَلْسَةَ وَلَا آيَاتِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَمَآوَوْا عَلَى الْإِيْرِ وَالنَّقَوِّىِ وَالْمَدَدِ وَالْمَدَدِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ الشعائر: ما جعله الله تعالى علامات

الطاعات، واحداها شعيرة، ومعناه: لا تستحلوا شيئاً من ترك المناسك كلها مما أمر الله تعالى من أمر الحج، وهو: السعي بين الصفا والمروة، والخروج إلى عرفات، ورمي الجمار، والطواف، واستلام الحجر وغير ذلك. وذلك أن الأنصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة، وكان أهل مكة لا يخرجون إلى عرفات، وكان أهل اليمن يرجعون من عرفات، فأمر الله تعالى في هذه السورة بأن لا يتركوا شيئاً من أمور المناسك.

ثم قال: **﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾** يعني لا تستحلوا القتل في الشهر الحرام **﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾** يقول: لا تتعرضوا له ولا تستحلوه. وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا خرجوا إلى مكة، وكانوا إذا قلدوا الهدى أمنوا بذلك، ومن يكن له هدي جعل في عنق راحلته قلادة، ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة من شعر أو وبر فيأمن بذلك، فإذا رجع من مكة جعل شيئاً من لحاء شجر مكة في عنق راحلته، فيأمن بذلك ليعرف أنه كان حاجباً، فأمرهم الله تعالى بأن لا يستحلوا ذلك، يعني: من فعل ذلك لا يتعرض له.

ثم قال: **﴿وَلَا آمِينَ﴾** يقول: ولا تستحلوا قاصدين **﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾** نزلت في «شُرَيْحِ بْنِ شُبَيْعَةَ بْنِ شُرَيْبِ بْنِ الْيَمَانِيِّ» دخل على النبي ﷺ وكلمه، فلما خرج من عنده مَرُّ بِسَرَحٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَسَاقَهَا، وانتهى إلى اليمامة، ثم خرج من هناك نحو مكة ومعه تجارة عظيمة، فهم أصحاب رسول الله ﷺ بأن يخرجوا إليه ويغيروا على أمواله، فنزل **﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾** **﴿يَسْتَفُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ﴾** يعني: الربح في المال **﴿وَرِضْوَاناً﴾** يعني: يطلبون بحجهم رضوان ربهم، فلا يرضى عنهم حتى يؤمنوا. ثم نسخ بقوله: **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** [سورة التوبة: ٥] ولم ينسخ قوله **﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾** ولكنها محكمة، فوجب إتمام أمور المناسك، ولهذا قال أصحابنا: إن الرجل إذا دخل في الحج ثم أفسده، فعليه أن يأتي بجميع أفعال الحج، ولا يجوز أن يترك شيئاً منها، ثم عليه القضاء في السنة الثانية. ونسخ قوله **﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾** فيجوز القتال في الشهر الحرام بقوله **﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾** [سورة التوبة: ٣٦] وقوله تعالى **﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾** فهو محكم أيضاً، ولم ينسخ، فكل من قلد الهدى وتوجه إلى مكة ونوى الإحرام، صار محرماً، ولا يجوز له أن يحل بدليل هذه الآية. فهذه الأحكام معطوفة بعضها على بعض، بعضها منسوخة وبعضها محكمة، فإن قيل: قد قال: **﴿يَسْتَفُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾** فأخبر أنهم يطلبون رضوان ربهم، ولم يذكر أن طلبهم كان باطلاً؟ قيل له: لأنه لم يذكر في لفظ الآية أمر الكفار، وإنما بين النهي عن التعرض للذين يقصدون البيت، فإن كان الذي قصد كافراً فقد بين في آية أخرى أنه لم يقبل منه، وإن لم يذكر ها هنا وهو قوله: **﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾** [سورة المائدة: ٥].

وقال تعالى: **﴿وَأِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾** يعني: إذا حللتكم من إحرامكم فاصطادوا إن شئتم، فهذه رخصة بلفظ الأمر كقوله **﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** [سورة الجمعة: ١٠]

وَقَوْلِهِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] الآية. وقال الضحاك ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ يعني: إذا خرجتم من إحرامكم أو خرجتم من حرم الله تعالى وأمنه، فاصطادوا.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ﴾ يقول: ولا يحملنكم عداوة كفار مكة ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: عام الحديبية ﴿أَنْ تَفْجُرُوا﴾ على حجاج اليمامة من المشركين فنتحللوا منهم. وفي الآية دليل: أن المكافأة لا تجوز من غير جنس الذي فعل به، وتكون تلك المكافأة اعتداء، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ﴾ يعني: بغض قوم وعداوتهم ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ يعني: أن تجاوزوا الحد في المكافأة. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ﴿شَنَاٰنَ﴾ بجزم النون. وقرأ الباقون ﴿شَنَاٰنَ﴾ بالنصب. وقال القتيبي: لا يقال في المصادر فعلان، وإنما يقال ذلك في الصفات مثل عطشان وسكران، وفي المصادر يقال: فعلان مثل طيران ولهفان وشنان. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾ بكسر الألف على معنى الابتداء. وقرأ الباقون ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ بالنصب على معنى البناء.

ثم قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ يعني: تحاثروا على أمر الله تعالى واعملوا به. وروي عن ابن عباس: «البر ما أمر الله تعالى به، والتقوى ما نهى الله عنه» يقول: تحاثروا على أمر الله واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله تعالى عنه، وامتنعوا عنه. وهذا موافق لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدُّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلُهُ». وقد قيل: الدُّالُّ على الشر كصانعه.

ثم قال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ قال القتيبي: العدوان على وجهين: عدوان في السبيل كقوله ﴿فَلَا تُدْرِكُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣] وكقوله ﴿فَلَا تُدْرِكُونَ عَلَىٰ﴾ [سورة النقص: ٢٨] والثاني عدوان في الظلم كقوله ﴿فَلَا تَنْتَجِبُوا بِالْإِثْمِ﴾ [سورة المجادلة: ٩] وكقوله ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: ٢] يعني به: حجاج أهل اليمامة، وصارت الآية عامة في جميع الناس. ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني: واحشوا الله وأطيعوه فيما أمركم به ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يعني: إذا عاقب.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْحَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيلِيَّةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِحُوا بِالْأَرْزَاقِ ذَلِكَ مِمَّا نَسَى الْيَوْمَ يَسَّى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِبٍ لِإِسْمِي فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ يعني: حرم عليكم أكل الميتة، والميتة: كل ما مات حتف أنفه بغير ذكاة فهو حرام، إلا الجراد والسماك، فقد أباحهما على لسان رسول الله حيث

قال ﷺ: «أَجَلْتُ لَنَا مَيْتَتَانِ وَذِمَّانِ: السَّمَكُ وَالْجَزَادُ وَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» ثم قال ﴿وَالدَّمُ﴾ يعني: حرم عليكم أكل الدم وشربه، وهو الدم المسفوح كما قال في آية أخرى ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ۱۴۵] وأما الدم الذي بقي بعد الإنهار فهو مباح، مثل الطحال والكبد والصفرة التي بقيت في اللحم. ثم قال: ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ يعني: أكل لحم الخنزير، فذكر اللحم والمراد به: اللحم والشحم وغير ذلك، وهذا حرام بإجماع المسلمين.

ثم قال: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِعَنِيرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني: حرم عليكم أكل ما ذبح لغير الله، وأصل الإهلال: رفع الصوت، ومنه استهلال الصبي، وإهلال الحج، وإنما سمي الذبح إهلالاً لأنهم كانوا يرفعون الصوت عند الذبح بذكر آلهتهم، فحرم الله تعالى ذلك.

ثم قال: ﴿وَالْمُنْخَبِقَةَ﴾ وهي الشاة التي تخنق فتموت، وكان بعض أهل الجاهلية يستحلون ذلك ويأكلونها.

ثم قال: ﴿وَالْمَوْقُودَةَ﴾ يعني: حرم عليكم أكل الموقودة: وهي التي تضرب بالخشب فتموت، وأصله في اللغة: هو الإشراف على الهلاك، فإذا ضرب بالخشب حتى يشرف على الموت ثم يتركه، يقال: موقودة، ويقال: فلان وقيد، وفذته العبادة أي: ضعف وأشرف على الهلاك.

ثم قال: ﴿وَالْمُتْرَدِيَةَ﴾ وهي الشاة التي تخر من الجبل، أو تتردى في بئر فتموت.

ثم قال: ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾ وهي الشاة التي تنطح صاحبها فيقتلها.

ثم قال: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ وهي فريسة السبع، فحرم الله تعالى أكل هذه الأشياء كلها على المؤمنين، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّبْتُمْ﴾ يعني: إلا ما أدركتم ذكاته فذكيتموه قبل أن يموت، فلا بأس بأكله.

قال القتيبي: أصل الذكاة من التوقد، يقال: ذكيت النار، إذا ألقيت عليها شيئاً من الحطب، وإنما سميت الذكاة ذكية لأنها صارت بحال يتنفع بها. وقال الزجاج: أصل الذكاة تمام الشيء. وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذُكِّبْتُمْ﴾ يعني: ما أدركتم ذبحه على التمام.

ثم قال: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ قال القتيبي: النصب هو حجر أو صنم منصوب، كانوا يذبحون عنده وجمعه أنصاب، ويقال: كانوا يذبحون لأعيادهم باسم آلهتهم.

ثم قال: ﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ والأزلام القداح، واحدها زلم على ميزان قلم وأقلام، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يجتمعون عشرة أنفس ويشترون جزوراً، ويجعلون لحمه على تسعة أجزاء، ويعطى كل واحد منهم سهماً من سهامه، ويجمعون السهام عند واحد منهم أو شيء من الأحجار، ثم يخرج هذا الرجل واحداً من السهام، فكل من خرج سهمه يأخذ جزءاً من ذلك اللحم، فإذا خرج تسعة من السهام لا يبقى شيء من اللحم، ولا يكون للذي بقي اسمه آخر شيء من اللحم، وكان ثمن الجزور كله عليه.

وكان نوع آخر: أنهم كانوا يجعلون عشرة من القداح، وكان لكل واحد منها سهم، ولم يكن لثلاثة منها نصيب من اللحم، وهو السفيح والمنيح والوعيد، وكان للسبعة لكل سهم نصيب وهو: القذ، والثوام، والرقيب، والمعلّى، والجلس، والثاقس، والمُسْبِل. ويقال: كان إذا أراد واحد منهم السفر أخرج سهمين من القداح، في أحدهما مكتوب: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، فيخرج أحدهما، فإن خرج باسمه أمرني ربي وجب عليه الخروج، ولم يسعه التخلف، وإن خرج الآخر لا يسعه الخروج، فنهى الله تعالى عن ذلك كله وقال: ﴿ذَلِكُمْ فَسُقْ﴾ يعني: هذه الأفعال معصية وضلالة واستحلالها كفر.

ثم قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَتَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ يعني: كفار العرب أن تعودوا كفاراً، حين حج النبي ﷺ حجة الوداع وليس معهم مشرك. وقال الضحاك: نزلت هذه الآية حين فتح مكة، وذلك أن رسول الله ﷺ فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع، ويقال: سنة ثمان. ودخلها ونادى منادي رسول الله ﷺ: «ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن». فانقادت قريش لأمر الله تعالى، ورفعوا أيديهم وأسلموا. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ يقول: فلا تخشوا صولة المشركين فأننا معكم وناصركم ﴿وَإِخْشَوْنِي﴾ في ترك أمري.

ثم قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: أتممت لكم شرائع دينكم، وذلك أن النبي ﷺ حيث كان بمكة لم يكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلما قدم المدينة أنزل الله الحلال والحرام، فنزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ يعني دينكم: حلالكم وحرامكم. وروى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار أن ابن عباس، أنه قرأ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ فقال له يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال ابن عباس: «فإنها نزلت في يوم عيدين: في يوم الجمعة، وكان يوم عرفة».

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا ابن صاعد، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق أن اليهود قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. فقال عمر رضي الله عنه: «إني لأعلم حيث أنزلت، وفي أي يوم أنزلت، أنزلت بيوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة»<sup>(١)</sup>. فإن قيل: في ظاهر هذه الآية دليل أن الذين يزيد وينقص حيث قال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾. قيل له: ليس فيها دليل، لأنه أخبر أنه أكمل في ذلك اليوم، وليس فيها دليل أنه لم يكمل قبل ذلك. ألا ترى أنه قال في

(١) عزاه السيوطي ١٧/٣ إلى الحميدي والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن حبان وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.



سياق الآیة ﴿ورضیت لکم الإسلام دیناً﴾ لیس فیہ دلیل أنه لم یرض قبل ذلك، ولكن معناه: أنه قد أظهر وقرر، كما جاء في الخبر: «أن رجلاً أعتق ستة أعبد له في مرضه، فأعتق رسول الله ﷺ اثنين منهم» يعني: أظهر عتقهما، وقرر ولم يرد به الابتداء. وقال مجاهد: معناه اليوم أنتمت لکم ظهور دینکم وغلبة دینکم ونصرته. وقال قتادة: معناه أخلص لکم دینکم.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَتَمَّمْتُ غَلَبَتِكُمْ بِغَمَّتِي﴾ يعني: منتي، فلم يحج معكم مشرك ﴿وَرَضِيْتُ﴾ يعني اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ وروي في الخبر: «أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآیة إحدى وثمانين ليلة، ثم مضى لسيبته صلوات الله عليه». وقال الزجاج: ﴿اليوم﴾ صار نصباً للظرف، ومعناه: في اليوم أكملت لکم دینکم. - وقال معاذ بن جبل: «النعمة لا تكون إلا بعد دخول الجنة، فصار كأنه قال: رضيت لکم الجنة، لأنه لا تكون النعمة تاماً إلا حتى يضع قدميه فيها» (۱) ..

ثم رجع إلى أول الآیة فقال تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ وذلك أنه لما بين المحرمات علم أن بعض الناس اضطروا إلى أكله، فأباح لهم أكله عند الضرورة فقال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ يعني: أجهد إلى شيء مما حرم الله تعالى عليه ﴿في مخمصة﴾ يعني: في مجاعة، وأصل الخمص: ضمور البطن ودقته، فإذا جاع فقد خمص بطنه. ثم قال: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ يعني: غير متعمد المعصية لأكله فوق الشيع، وأصل الجنف: الميل. وقال الزجاج: يعني غير متجاوز للحد، وغير آكل لها على وجه التلذذ، فلا إثم عليه في أكله. وقال أهل المدينة: المضطر يأكل حتى يشبع. وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله: إنه يأكل مقدار ما يأمن به الموت، وكذلك قال الشافعي رحمه الله. ﴿فَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني: ﴿غفور﴾ فيما أكل، ﴿رحيم﴾ حين رخص له في أكله عند الاضطرار. قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ بكسر النون لاجتماع الساكنين، وقرأ الباقون بالضم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُغَلِّبُونَهَا بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا بِمَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا أَنَّمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَالْقَوْلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿۱﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمَمْسُوتَاتُ مِنَ الْكُوفَاتِ وَالْمَمْسُوتَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَوِّجِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿۲﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ نزلت الآیة في شأن عدتي بن حاتم الطائي قال:

(۱) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «۱».

قلت: يا رسول الله ﷺ إنا قوم نصيّد بهذه الكلاب والبزاة فما يحل لنا منها؟ فقال ﷺ: «ما عَلِمْتُمْ مِنْ كَلْبٍ أَوْ بَازِيٍّ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ وَذَكَرْتُمْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَكُلْ مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ». فقلت: وإن قتله؟ قال: «إِنْ قَتَلَهُ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئاً فَكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ. وَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ شَيْئاً فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ». قلت: فإذا خالط كلابنا كلابَ أخرى حين ترسلها؟ قال: «لَا تَأْكُلْ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ كَلْبَكَ هُوَ الَّذِي أَمْسَكَ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>. ونزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ مِنْ لَحْمِ الضَّيْعِ﴾ يعني: ماذا رخص لكم من الصيد. ويقال: لما نزل قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قالوا: إن الله تعالى حرم هذه الأشياء، فأبى شيء لنا حلال يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَجَلُ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني رخص لكم الحلالات من الذبائح ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ﴾ يعني: وأحل لكم صيد ما علمتم ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ يعني: من الطير والكلاب الكواصب. ويقال: الجوارح الجارحات.

ثم قال: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بكسر اللام، وقرأ بعضهم بالنصب، فمن قرأ بالكسر يعني به: أصحاب الكلاب المعلمين للكلاب، ومن قرأ بالنصب أراد به: الكلاب، يعني الكلاب المعلمة. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يعني معلمين. ثم قال: ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾ يعني: تؤدّبونهن في طلب الصيد ﴿بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ يقول: كما أدبكم الله تعالى. وروي عن مجاهد أنه سئل عن الصقر والبازي والفهد، قال: «هذه كلها جوارح ولا بأس بصيده إذا كان معلماً».

ثم قال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: حبسن لكم ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إذا أرسلتم الكلاب على الصيد. وفي هذه الآية دليل أن الكلب إذا كان أكل من الصيد، لا يؤكل لأنه أمسك نفسه، وفيها دليل: أنه لا يجوز الأكل إلا بالتسمية لأنه قد أباح على شرط التسمية، وعلى شرط أن يمسك لصاحبه. وفيها دليل أيضاً: أن الكلب إذا كان غير معلّم لا يجوز أكل صيده، وفيها دليل أيضاً: أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل، لأن الكلب إذا علّم تكون له فضيلة على سائر الكلاب، وأن الإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس وهذا كما روي عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: «لكل شيء قيمة وقيمة المرأة ما يُحْسِنُهُ».

ثم خوفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني: اخشوا الله ولا تاكلوا الميتة، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يعني: سريع المجازاة.

وقوله تعالى: ﴿النَّيِّمَ أَجَلُ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: المذبوحات من الحلال، يعني: اليوم أظهر وبين حله، ثم قال: ﴿وَوَطْعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: ذبائح أهل الكتاب ﴿جِلَّ لَكُمْ﴾ يعني حلال لكم أكله ﴿وَوَطْعَامَكُمْ جِلَّ لَكُمْ﴾ يعني: ذبائحكم وطعامكم رخص لكم أكله. وقال

(١) حديث عدي بن حاتم: أخرجه البخاري (٥٤٧٥) (٥٤٨٣) - (٥٤٨٤) (٥٤٨٧) ومسلم (١٩٢٩) (٦) (٧) والترمذي: (١٤٦٩) (١٥٦٠) (١٧٩٦) وأبو داود (٢٨٤٩) (٢٨٥٠) والنسائي ١٨٠/٧ - ١٨٢. والبيهقي ٣٧٧ - ٣٦٦/٩ - ٣٧٧.

الزجاج: تأويله أحل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والفرائض إنما تعتقد على أهل الشريعة.  
ثم قال: **«وَالْمُخْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ»** يعني: أحل لكم تزوج العفاف من المؤمنات **«وَالْمُخْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»** يعني: العفاف من أهل الكتاب **«مِنْ قَبْلِكُمْ»** يعني: أعطوا الكتاب من قبل كتابكم، وهو التوراة والإنجيل. واختلفوا في نكاح الصابئة، وقد ذكرناه في سورة البقرة.

ثم قال: **«إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ»** يعني: أعطيتموهن مهورهن **«مُخْصِنِينَ غَيْرِ سَافِحِينَ»** يقول: كونوا متعففين عن الزنى غير معلنين بالزنا **«وَلَا مُتَجَدِّي أَخْدَانٍ»** يقول: لا تتخذوا جذناً فتزونا بها سراً، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يعيرون من يزني في العلانية ولا يعيرون من يزني سراً، فحرم الله زنى السر والعلانية، فلما نزلت هذه الآية قلن نساء أهل الكتاب: لولا أن الله تعالى قد رضي بديننا لم يبيع للمسلمين نكاحنا، فنزل **«وَمَنْ يَتَّخِزْ بِالْإِيمَانِ فَعَدُوًّا لِمَنْ حَبِطَ عَمَلُهُ»** أي: بطل ثواب عمله، ويقال: لما نزل قوله **«حَرَمَ حَبِطَ حَبِطَةً»** ثم رخص من حال الاضطرار، فقال بعضهم: لا نأخذ الرخصة في الاضطرار فنزل **«وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»** ويقال: هذا ابتداء خطاب، وهو لجميع المسلمين فقال: **«وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ»** قال ابن عباس: «يعني: من يكفر بالتوحيد بشهادة أن لا إله إلا الله فقد حبط عمله». وقال مجاهد: معناه، ومن يكفر بالإيمان بالله **«فقد حبط عمله»** يعني: بطل ثواب عمله. **«وَهُوَ فِي الْأَجْرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»** يعني من المغبونين في العقوبة، ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله: إن الرجل إذا صلى ثم ارتد ثم أسلم في وقت تلك الصلاة، وجب عليه إعادة تلك الصلاة، ولو كان حج حجة الإسلام فعليه أن يعيد الحج لأنه قد بطل حجه وما فعل قد بطل قبل ارتداده.

**«يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَالِمَكُمْ وَمِيقَاتِهِ الَّتِي وَلَقَدْ يَسِّرُ لَكُمْ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَيْنَا اللَّهَ إِذْ كُنَّا اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦٢﴾»**

قوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»** يعني: إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة وأنتم محدثون، ويقال: إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة وأنتم محدثون **«فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»** يعني: مع المرافق **«وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»** يعني: مع الكعبين. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة وعاصم، وفي رواية أبي بكر

﴿وَأرجلكم﴾ بكسر اللام وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب، فإنه جعله مفعولاً نصباً لوقوع الفعل عليه وهو الغسل، يعني: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين. ومن قرأ بالكسر جعله كسراً لدخول حرف الخفض عليه وهو الباء، فكانه قال: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، يعني: إذا كان عليه خفان، وقد ثبت ذلك بالسنة. ويقال: صار كسراً بالمجاورة كما قال في آية أخرى ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢] قرأ بعضهم بالكسر بالمجاورة، فهذه الأربعة التي ذكرت في الآية من فرائض الوضوء، وما سوى ذلك آداب وسنن. فإن قيل: الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعاً أو بإحدهما؟ قيل له: هذا على وجهين: إن كان لكل قراءة معنى غير المعنى الآخر، فالله تعالى قال بهما جميعاً، وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين، وإن كانت القراءتان معناه واحد، فالله تعالى قال بإحدهما، ولكنه رخص بأن يقرأ بالقراءتين جميعاً.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كنتم جنياً فاطهروا﴾ قال القتيبي: قد يوصف الجمع بصفة الواحد كقوله ﴿وإن كنتم جنياً﴾ وكقوله: ﴿وَاللَّيكُةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] قوله: ﴿فاطهروا﴾ معناه: فطهروا، إلا أن التاء أدغمت في الطاء لأنهما من مكان واحد، فإذا أدغمت فيها سُكُنَ أول الكلمة وزيدت ألف الوصل للابتداء.

ثم قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ يعني: من الصعيد وقد ذكرناه. ثم قال: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ يقول: لا يكلفكم في دينكم من ضيق ﴿ولكن يريد ليظهدكم﴾ يعني: يطهركم من الأحداث والجنابة ﴿وليتيم نعمته عليكم﴾ بما أنعم عليكم من الرخص ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: لكي تشكروا الله لما رخص لكم ولم يضيق عليكم. قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ يقول: احفظوا منه الله عليكم بإقراركم بوحديانية الله تعالى ﴿وميثاقه الذي اتفقكم به﴾ يعني: يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] هكذا قال في رواية الكلبي ومقاتل والضحاك. وقال بعضهم: هو ميثاق الجبلية والإدراك، فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق، وشهدت له خلقته وجبلته، فصار ذلك كالإقرار منه، ثم قال ﴿إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ يوم الميثاق، قلتم سمعنا قولك يا ربنا، وأطعنا أمرك. ثم قال: ﴿وانفقوا الله﴾ في نقض العهد والميثاق ﴿إن الله عليمٌ بذات الصدور﴾، يعني: عالم بسر انكم.

﴿يَأْتِيهَا الْذُرِّيَّتُ مَأْمُونًا كَرُومًا قَوْمِيَّتُ لِهٖ شَهَادَةٌ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُكُمْ سِتْنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعِدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الذُّرِّيَّتُ مَأْمُونًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالذُّرِّيَّتُ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾** يعني: كونوا قوالين بالحق. ثم قال: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا﴾** وذلك أن الله تعالى لما فتح عليهم مكة، أمر الله المسلمين أن لا يكافئوهم بما سلف، وأن يعدلوا في القول والحكم والنصفة. وذلك قوله **﴿اعْدِلُوا﴾** يعني: قولوا بالحق والعدل **﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلشَّقْوَىٰ﴾** يعني: فإنه أقرب للطاعة. ثم قال: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** يقول: واحشوا الله فيما أمركم به **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** من الطاعة وغيرها.

ثم بين ثواب من عمل بطاعته فقال: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** يعني: الطاعات **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾** لذنوبهم **﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** يعني ثواب عظيم في الجنة. ويقال: إن أهل مكة قالوا بعدما أسلموا: ما لنا في الآخرة وقد أخرجناك وأصحابك من مكة فنزل **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** بالله وبمحمد ﷺ **﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** بعد الإسلام **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾** لما فعلوا في حال الشرك **﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** في الآخرة.

ثم قال: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** يعني: جحدوا وكذبوا بمحمد ﷺ والقرآن، وماتوا على ذلك **﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** يعني مقيمين فيها أبداً.

**﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْرَأُوا يَمَعَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْرَأُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وصالح بني قريظة والنضير، وهما قبيلتان بقرب المدينة من اليهود، وأخذ منهم الميثاق بأن لا يكون بينهم القتال، ويتعاونون فيما بينهم على الديات، فدخل مستأمنان على رسول الله ﷺ فخرجا من عنده فقتلهما «عمرو بن أمية الضمري»، ولم يعلم بأنهما مستأمنان، فوداهما رسول الله ﷺ بدية حُرَيْنِ مسلمين، فخرج رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم إلى بني النضير ليستعين بهم في ديتهما، فقالوا: مرحباً حتى نستأذن إخواننا من بني قريظة. وقال في رواية الكلبي: خرج إلى بني قريظة فقالوا: حتى نستأذن إخواننا من بني النضير، وفي رواية مقاتل: خرج إلى بني النضير فقالوا حتى نستأذن إخواننا من بني قريظة، وأدخلوهم داراً وأجلسوهم في صفة، وجعلوا يجمعون السلاح، وهموا بقتل رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا ينتظرون كعب بن الأشرف وكان غائباً، فنزل جبريل عليه السلام وأخبر النبي ﷺ بالقصة فقام النبي ﷺ وخرج، فلما أبطأ الرجوع قام أبو بكر فخرج، ثم خرج عمر، ثم خرج علي رضي الله عنهم فنزلت هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَدْرَأُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** **﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾** يقول: أرادوا وتمنوا أن يمدوا أيديهم إليكم بالقتل **﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾** بالمنع عنكم.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا علي بن أحمد، قال: حدثنا نصير بن يحيى، قال: حدثنا أبو سليمان، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني النضير ليستعين بهم في دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، فهم بنو النضير بقتل النبي ﷺ، فبلغ النبي ﷺ فسار إليهم فحاصرهم، وأمر بقطع النخيل وحاصرهم حتى قالوا: أتؤمننا على دماننا وذراريننا وعلى ما حملت الإبل إلا الحلقة يعني: السلاح؟ قال: «نعم» ففتحوا الحصون، وأجلهم إلى الشام. فهذا الخبر موافق رواية مقاتل: أنه خرج إلى بني النضير.

وقال الضحاك: كان سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة إلى البقيع إلى قبور الشهداء وحده، فأناه رجل من اليهود شديد محارب، فقال: إن كنت نبياً كما تزعم فأعطني سيفك هذا، فإن الأنبياء لا يخلون، فأعطاه سيفه فشهّر اليهودي السيف وهزه ليضربه به. فلم يجترئ. وللرب الذي قذفه الله تعالى في قلبه، ثم ردّ عليه السيف فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله ويشقوا بالنصرة لهم. ففي الآية إضمار، فكأنه قال: فاتقوا الله وتوكلوا على الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢٧﴾﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا لِيَلَا يَتَّبِعَهُمْ فَنَعُفْ عَنْهُمْ وَأَصْحَعُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: في التوراة، من الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه، وأن يعملوا بما في التوراة، ثم قال: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قال مقاتل: يعني: شهداء على قومهم، بعث الله تعالى من كل سبط منهم رجلاً، ليأخذ كل رجل منهم على سبطه الميثاق، ويكونوا شهداء على قومهم. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ قال: من كل سبط من بني إسرائيل رجلاً، أرسلهم موسى عليه السلام إلى الجبارين، فوجدوهم يدخل في كُم أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عقود عنهم إلا خمسة منهم في خشية، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع حبة منه خمسة أنفس أو أربعة، فرجع النقباء كلهم ينهون سبطهم عن القتال إلا يوشع بن نون، وكالوب بن يوقنا، أمرا قومهما بالقتال. وقال القتيبي: النقيب



الكفيل عن القوم، والثقابة والنكابة: شبيه بالعرافة. ويقال: نقيباً يعني: أميناً. وقال ابن عباس: «نقيباً يعني ملكاً»، حين بعثهم موسى إلى بيت المقدس جعل عليهم اثني عشر ملكاً، على كل سبط منهم ملك **﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾** تعالى للنقباء: **﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾** ويقال: **﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾** لبني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق في التوراة: **﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾** أي: معينكم وحافظكم وناصركم **﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾** يعني: ما دعتم أقمتم الصلاة **﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتُم بِرُسُلِي﴾** يعني: صلغتم برسلي **﴿وَعَزَّزْتُ مَوَاهِبَهُمْ﴾** يعني: أعنتموهم. وقال القتيبي: أي عظمتموهم، والتعزير: التعظيم. وقال السدي: يعني نصرتموهم بالسيف. وقال الأخفش: يعني وقَّرتموهم وقوَّيتموهم. وقال الضحاك: شرفتموهم بالنبوة كما شرفهم الله تعالى. ويقال: **﴿آمَنْتُمْ برسلي﴾** أي أمرتم قومكم، حتى يؤمنوا برسلي **﴿وعزرتموهم﴾** أي: نصرتموهم **﴿وأقرضتم الله قرصاً حسناً﴾** أي: تأمرون قومكم بذلك.

ثم بين جزاءهم وثوابهم إن فعلوا ذلك فقال تعالى: **﴿لَا كُفْرَانَ﴾** أي: لأمحور **﴿عَنْكُمْ سِنْيَاتِكُمْ﴾** يعني: ذنوبكم **﴿وَلَا ذُخْلَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** ثم قال: **﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾** العهد والميثاق **﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** يعني: أخطأ قصد الطريق.

ثم قال عز وجل: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾** يعني: لما أخذ الله عليهم الميثاق نقضوا الميثاق، فبنقضهم ميثاقهم **﴿لَعَنَاهُمْ﴾** يعني: لعنهم الله وطردهم من رحمته. ويقال: **﴿لعناهم﴾** يعني: عذبناهم بالمسخ. ويقال: بالجزية. ثم قال: **﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾** يعني: يابسة، ويقال: خالية عن حلاوة الإيمان. قرأ حمزة والكسائي **﴿قاسية﴾** بغير ألف، وقرأ الباقون **﴿قاسية﴾** ومعناها واحد ويقال: قست فهي قاسية وقسية.

ثم قال: **﴿يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ﴾** والكلم جمع كلمة، يعني: يغيرون صفة محمد ﷺ **﴿عن مواضعه﴾** يعني: في كتابهم أي من بعدما وافق القرآن يعني: عن صفة رسول الله ﷺ في كتابهم، ويقال: استحلوا ما حرم الله تعالى عليهم ولم يعملوا به، فكان ذلك تغيير الكلم عن مواضعه. ثم قال: **﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾** يعني: تركوا نصيباً **﴿بِمَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** يعني: مما أمروا به في كتابهم **﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾** يعني: لا يزال تظهر لك منهم الخيانة ونقض العهد.

وقال القتيبي عن أبي عبيدة: إن العرب تضع لفظ الفاعل في موضع المصدر، كقولهم: للخوان مائدة، وإنما يعيد بهم ما في الخوان، فيجوز أن يكون صفة للخائن، كما يقال رجل طاغية وراوية للحديث. ثم قال: **﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾** يعني: مؤمنهم لم ينقضوا العهد **﴿فَأَغْفُ عَنْهُمْ﴾** يعني: اتركهم فلا تعاقبهم **﴿وَأَصْفَحْ﴾** عنهم يعني: أعرض عنهم **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُخْسِرِينَ﴾** الذين يعفون عن الناس، وهذا قيل الأمر يقال أهل الكتائب.

**﴿وَمِمَّنْ أَلْفَيْتُمْ قَالَُوا إِنَّا نَصَرْتُمْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَلَا تُغْنِي**



بَيْنَهُمُ الْمَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْيَوْمِ وَسَوْفَ يُنِيشُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ وذلك أن الله تعالى لما ذكر حال اليهود ونقضهم الميثاق، فقال على أثر ذلك: إن النصارى لم يكونوا أحسن معاملة من اليهود، ثم بين معاملتهم فقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ في الإنجيل، بأن يتبعوا قول محمد ﷺ ﴿فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا نصيباً مما أمروا به في الإنجيل من اتباع قول محمد ﷺ، ويقال: نقضوا العهد كما نقض اليهود، ويقال: إنما سموا أنفسهم النصارى لأنهم نزلوا قرية يقال لها «ناصر»، نزل فيها عيسى عليه السلام فنزلوا هناك وتوافقوا بينهم، ويقال: إنما سموا النصارى لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَمْسَكَ إِلَى اللَّهِ فَالَكِ الْعَوَارِيزُ نَحْنُ أَمْسَاكُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢، والصف: ١٤].

ثم قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ﴾ يعني: ألقينا، الإغراء في أصل اللغة: الإلصاق، يقال: أغريت الرجل إغراء إذا ألصقت به. ويقال: إن ﴿العداوة﴾ ألقاها بينهم إنسان يقال له «بولس»، كان بينه وبين النصارى قتال، وكان يهودياً، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فأراد أن يحتال بحيلة يلقي بينهم القتال ليقتل بعضهم بعضاً، فجاء إلى النصارى وجعل نفسه أعور وقال لهم: أنعموني؟ فقالوا: أنت الذي قتلنا ما فعلت ما فعلت، فقال: قد فعلت ذلك كله وأنا نائب، لأنني رأيت عيسى ابن مريم في المنام نزل من السماء، فلطم وجهي لطمه وفقاً عيني. فقال: لي أي شيء تريد من قومي؟ فقبلت يده فثبت على يده، وإنما جنتكم لأكون بين أظهركم، وأعلمكم شرائع دينكم، كما علمني عيسى عليه السلام في المنام. فاتخذوا له غرفة، فصعد تلك الغرفة وفتح كوة إلى الناس في الحائط، وكان يتعبد في الغرفة، وربما كانوا يجتمعون إليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة، وربما يأمرهم حتى يجتمعوا فيناديهم من تلك الكوة، ويقول لهم قولاً كان في الظاهر منكراً وينكرون عليه، فكان يفسر ذلك القول بتفسير يعجبهم ذلك، فانقادوا كلهم له وكانوا يقبلون قوله بما يأمرهم به. فقال يوماً من الأيام: اجتمعوا فإنه قد حضرني علم، فاجتمعوا، فقال لهم: أليس قد خلق الله تعالى هذه الأشياء في الدنيا كلها لسفحة بني آدم؟ قالوا: نعم، فقال لم تحرمون على أنفسكم هذه الأشياء؟ يعني: الخمر والخنزير، وقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً؟ فأخذوا بقوله واستحلوا الخمر والخنزير، فلما مضى على ذلك أيام دعاهم وقال: حضرني علم، فاجتمعوا وقال لهم: من أي ناحية تطلع الشمس؟ فقالوا: من قبل المشرق. فقال: ومن أي ناحية يطلع القمر والنجوم؟ فقالوا: من قبل المشرق. فقال: ومن يرسلهم من قبل المشرق؟ قالوا: الله تعالى: فقال: فاعلموا أن الله من قبل المشرق فإن صليتم له فصلوا إليه، فحول صلاتهم إلى المشرق، فلما مضت على ذلك أيام دعا طائفة منهم وأمرهم بأن يدخلوا عليه في الغرفة. وقال لهم: إنني أريد أن أجعل نفسي الليلة قرباناً لأجل عيسى، وقد

حضرني علم وأنا أريد أن أخبركم في السر لتحفظوا عني وتدعوا الناس إلى ذلك. ويقال أيضاً: إنه أصبح يوماً وفتح عينه الأخرى ثم دعاهم وقال لهم: جاءني عيسى عليه السلام الليلة، وقال: قد رضيت عنك، فمسح يده على عيني فبرئت، فالآن أريد أن أجعل نفسي قرباناً. ثم قال لهم: هل يستطيع أحد أن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص إلا الله تبارك وتعالى؟ فقالوا: لا. فقال: إن عيسى عليه السلام قد فعل هذه الأشياء، فاعلموا بأنه هو الله، فخرجوا من عنده. ثم دعا طائفة أخرى فأخبرهم بذلك أيضاً، وقال: إنه كان ابنه، ثم دعا بالطائفة الثالثة وأخبرهم بأنه ثالث ثلاثة، وأخبرهم بأنه يريد أن يجعل نفسه الليلة قرباناً، فلما كان في بعض الليل خرج من بين ظهرانيهم، فأصبحوا وجعلوا كل فريق منهم يقول: قد علمني كذا وكذا. وقال الفريق الآخر: أنت كاذب بل علمني كذا وكذا، فوقع بينهم القتال فاقتتلوا، وقتلوا خلقاً كثيراً وبقيت العداوة بينهم **﴿إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** وهم ثلاث فرق: فرقة منهم النسطورية قالوا: المسيح ابن الله. وصنف منهم يقال: لهم الماريعقوية قالوا: إن الله هو المسيح. وصنف منهم يقال لهم: الملكانية، قالوا: إن الله ثالث ثلاثة: المسيح، وأمه، والله. فأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. ويقال: ألقى بينهم العداوة بالجدال والخصومات في الدين. وقال معاوية بن قرة: إياكم وهذه الخصومات في الدين، فإنها تحبط الأعمال. ثم قال: **﴿وَسَوْفَ يَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** يعني: ينبئهم في الآخرة الذي هو على الحق.

**﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾**  
يَهْدِي بِإِذْنِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ بِضِرَافِ نُورٍ مَسْجُلٍ أَلْسِنَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ وَمَنْ يَعْزِبْ عَنْهُ مِنَ النُّورِ فَسَوْفَ يَأْتِيهِ الْعَذَابُ بِسَبْإٍ إِنَّهُ يَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٦﴾

ثم قال عز وجل: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾** يعني: محمد ﷺ **﴿بَيِّنٌ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾** يعني: تكتُمون ما بين في التوراة، وذلك أنهم كتموا آية الرجم وتحريم الخمر وأكل الربا ونعت محمد ﷺ **﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾** يعني: يتجاوز عن كثير ولا يخبركم به. وذكر أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى النبي ﷺ، فسأله فقال: ما هذا الذي عفوت عنا؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يبين، وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه أنه لم يترك شيئاً، ألا وقد بينه كله، فلما لم يبين له رسول الله ﷺ قام من عنده وذهب، وقال لأصحابه: أرى أنه صادق فيما يقول، لأنه كان وجد في كتابه أنه لا يبين له ما سأله.

ثم قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾** يعني: ضياء من الضلالة، وهو محمد ﷺ والقرآن، والنور هو الذي يبين الأشياء ويرى الأبصار حقيقتها، فيسمى القرآن نوراً لأنه يقع في

القلوب مثل النور، لأنه إذا وقع في قلبه يصير به. ثم قال: ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: القرآن يبين لكم الحق من الباطل.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ يعني: بالقرآن ﴿مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ يعني: مَنْ طلب الحق ورغب فيه ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ يعني: دين الله الإسلام، والسبيل: جماعة السبيل، وهو الطريق، يعني به: طريق الهدى، والسلام: اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، يعني: هو دين الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ يعني: يخرج من قلوبهم حلاوة الكفر، ويدخل فيها حلاوة الإيمان، ويوفقههم لذلك ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: يوفقههم إلى دين الإسلام.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ثم قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول: من يقدر أن يمنع من عذاب الله شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يعني: لو أراد الله أن يهلك عيسى وأمه وجميع الخلق، لا يقدر عيسى على رد ذلك، فكيف يكون إلهاً وهو لا يقدر على دفع الهلاك عن نفسه؟

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعني: خزانة السموات والأرض، وجميع الخلق عبيده وإماؤه، وحكمه نافذ فيهم. ثم قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لأن نصارى أهل نجران كانوا يقولون: لو كان عيسى عليه السلام بشراً كان له أب، فأخبرهم الله تعالى أنه قادر على أن يخلق خلقاً بغير أب ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من خلق عيسى وغيره.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قَوْلَ فَلَمَّ يَعَذِّبِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على قدر قوتهم أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شيء قدير ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ يعني: نحن من الله تعالى بمنزلة الأبناء من الآباء في المنزلة والمحبة والكرامة، والوالد إذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت آخر. ويقال: معناه نحن أبناء أنبياء الله وأحبابه.

قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ يعني: يحرقكم، لأنهم كانوا مقرين بأنه يحرقهم أربعين يوماً أياماً معدودة، قل لهم: فهل رأيتم والداً يحرق ولده أو يحرق مجتبه؟ ففي الآية دليل أن الله تعالى إذا أحب عبده يغفر ذنوبه، ولا يعذبه بذنوبه، لأنه احتج عليهم فقال: ﴿فلم يعذبكم﴾ إن كنتم أحبباء الله تعالى؟ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] ففيها دليل على أنه لا يعذب التوابين بذنوبهم، ولا المجاهدين الذين يجاهدون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف: 4] ثم قال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَ خَلْقٍ﴾ يعني: أنتم لستم بأبناء الله ولا أحبائه، ولكن أنتم خلق كسائر خلق الله تعالى.

ثم قال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: يتجاوز عن من يشاء فيهديه لدينه ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ فيهبته ويتركه على الكفر ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿وَاللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يعني: إليه المرجع، فيجزئهم بأعمالهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: يا أهل التوراة والإنجيل، وإنما أضافهم إلى الكتاب والله أعلم على وجه التعبير، يعني: أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم؟ كقوله: يا عاقل لم لا تفعل كذا وكذا؟ وإنما تذكر العقل على معنى التعبير، أي أنك لا تعمل عمل العقلاء.

ثم قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿بَيِّنٌ لَّكُمْ﴾ الدين والأحكام والشرائع ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُولِ﴾ يعني: بعد انقطاع من الرسل والوحي. وقال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير ومعناه: قد جاءكم رسولنا ﴿على فطرة من الرسل﴾ بيبين لكم، وإنما سمي ﴿فطرة﴾ لأن الدين يفتر ويندرس عند انقطاع الرسل، يعني: بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال قتادة: كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة. وقال الكلبي: خمسمائة وأربعون سنة. وقال الضحاک ومقاتل: كان بينهما ستمائة سنة. وقال وهب: كان بينهما ستمائة وعشرون سنة.

ثم قال: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يعني: لكي لا تقولوا: ما جاءنا من رسول بعد ما درس الدين لبيشرنا وينذرنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿بَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرٌ﴾ من النار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المغفرة والعذاب وبعث الرسل

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمِ أَذْكَرُوا يَصَمُّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ آسَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ يُقَوِّمِ أَذْكَرُوا الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا رَدُّوا عَلَيْهَا وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَذْكَرُوا

عَلَيْهِمُ الْيَأْسَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْعُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا قَاذِبًا أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَتَنَّا إِيَّاهُمَا فَعِدْوَتَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذَّأ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نعمةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ يعني: احفظوا منه الله عليكم ونعمته ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ قال في رواية الكلبي: يعني، السبعين سوى موسى وهارون عليهما السلام، وهم الذين اختارهم موسى فانطلقوا معه إلى الجبل. ويقال: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ يعني: في بني إسرائيل، فكان فيهم أربعة آلاف نبي عليهم السلام.

ثم قال: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ يعني: بعد العبودية لفرعون. قال ابن عباس: «إن الرجل إذا لم يدخل عليه أحد في بيته إلا بإذنه فهو ملك». وروى ابن أبي نجيب عن مجاهد أنه قال: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ أي جعل لكم أزواجاً وخداماً وبيوتاً وبنين. ويقال: من استغنى عن غيره فهو ملك. وهذا كما قال النبي ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه، مُعافى في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» أي بجمعها. ثم قال تعالى: ﴿وآتاكم ما لم نؤت أحداً من العالمين﴾ يعني: أعطاكم ما لم يعط أحداً من الخلق، وهو: المن والسوى والغمام وغير ذلك.

ثم قال عز وجل: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ يعني: المطهرة، والمقدسة في اللغة: هو المكان الذي يتطهر فيه، وفأويله: البيت الذي يتطهر فيه الإنسان من الذنوب. ثم قال: ﴿التي كتب الله لكم﴾ يعني: التي أمركم الله تعالى أن تدخلوها. ويقال: التي وعد لإبراهيم أن يكون ذلك له ولذريته. وذلك أن الله تعالى وعد لإبراهيم أن يكون له مقدار ما يمد بصره، فصار ذلك ميراثاً منه حين عُرج إبراهيم، فقال له جبريل: انظر يا إبراهيم، فنظر فقال: «يعطي الله تعالى لك ولذريتك مقدار مد بصرك من الملك. وهو أرض فلسطين وأردن وما حولها. فقال موسى لقومه: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ يعني: التي جعل لأبيكم إبراهيم عليه السلام ولكم ميراث منه

وقال الفتبي: أصل الكتاب، ما كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ، ثم يتفرع منه المعاني. ويقال: كتب بمعنى قضى، كما قال: ﴿قل لن يُعيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ [التوبة: ٥١] ويقال: كتب أي فرض كما قال: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ ويقال: كتب أي جعل، كما قال: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ ويقال: كتب أي أمر. كما قال: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ يعني: أمر الله لكم بدخولها. قال: ويقال كتب هاهنا بمعنى جعل. ثم قال تعالى: ﴿ولا ترتدوا على آباركم﴾ يعني: لا ترجعوا عما أمرتم به من الدخول

﴿فَتَقَلَّبُوا﴾ أي: فتصيروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ بفوات الدرجات ووجوب الدرجات، أي: مغبونين في العقوبة، فبعث موسى عليه السلام اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً يأتيهم بخبر الجبارين، فلما أتوهم لقيهم بعض أصحاب تلك المدينة، فجاؤوا وأخذوا أصحاب موسى عليه السلام، فجعل كل رجلين من أصحاب موسى عليه السلام في كتم رجل من الجبارين، حتى جاؤوا بهم إلى الملك. ويقال: لقيهم رجل واحد اسمه «عوج»، فاحتلمهم في ثوبه وأتى بهم حتى ألقاهم بين يدي الملك؛ فنظر إليهم وقال: هؤلاء يريدون أن يأخذوا مدينتنا؟ فأراد قتلهم، فقالت امرأته: أيش تصنع بقتل هؤلاء الضعفاء؟ ويكفيهم ما رأوا من أمر القوم وأمر هذه البلدة. فأنجم عليهم ودعهم حتى يرجعوا ويذهبوا إلى موسى وقومه بالخبر. فأرسلهم الملك، وأعطاهم عنقوداً من العنب، فحملوه على عمودين، فرجعوا إلى موسى عليه السلام وقالوا فيما بينهم: لا تخبروا قوم موسى بهذا الخبر، فإنهم يجبنون عن القتال، والله تعالى قد وعد لموسى بأن يفتح عليهم هذه البلدة، ولا تخبروا أحداً سوى موسى. فلما رجعوا، أخبروا بخبرهم القوم إلا اثنين منهم وهما: يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا.

فلما أمر موسى قومه بدخول البلدة ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال مقاتل: يعني طول كل رجل منهم ستة أذرع ونصف. وقال الكلبي: طول كل رجل منهم ثمانون ذراعاً. وقال الزجاج: الجبار من الآدميين العاتي، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد. ثم قال: ﴿وإِنَّا لَنَنذِرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ يعني: من تلك البلدة، وهي الأرض المقدسة، واسمها إيلياء. ويقال: مدينة أخرى يقال لها أريحا ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ يعني: يوشع بن نون وكالوب ابن يوقنا ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله تعالى ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإسلام، ويقال: من الذين يخافون الجبارين ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ فلم يخافا وصدقا في مقاتلتهما ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ وهي: أريحا أو إيلياء ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: أن القوم إذا رأوا كثرتم انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم، فتكونوا غالبيين ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتْوَكُلُوا﴾ يعني فتقوا بأنه ناصركم ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: مصدقين بوعد الله تعالى.

فقال لهم موسى: ادخلوا عليهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ أتصدق الانثنين وتكذب العشرة؟ ﴿إِنَّا لَنَنذِرُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ يعني: قل لربك أن يتصرك عليهم كما نصرك على فرعون. وقال أبو عبيدة: يعني اذهب فقاتل، ولبقاتل معك ربك، ولتيم أمرك كما أتم قبل ذلك، فهو عينك فإنا لا نستطيع قتال الجبارين. ويقال: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ يعني: أنت وسيدك هارون، لأن هارون كان أكبر منه بستين أو ثلاث سنين ﴿فَقَاتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ فغضب موسى عليه السلام من قولهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هارون. وقال الزجاج: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ يحتمل معنيين. أي: لا أملك إلا نفسي وأخي لا يملك: إلا نفسه ويحتمل: لا أملك إلا نفسي وأخي، لأن أخاه كان مطيعاً له، فهو يملك طاعته. ثم



قال: **﴿فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** يعني: اقص بيننا وبين القوم العصيين.  
 قَالَ اللهُ تَعَالَى: **﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾** يعني: الأرض المقدسة، دخولها محرم عليهم  
**﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** ثم قال: **﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** ضلالاً يعني: يتحирون فيها ولا يعرفون وجه  
 الخروج منها ضلالاً في التيه. ويقال: **﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾** وتم الكلام. ثم قال: **﴿أَرْبَعِينَ**  
**سنة يتيهون في الأرض﴾** فغم عليهم السبيل، فحبسهم بالنهار وسيرهم بالليل، يسهرون ليلتهم  
 ويصبحون حيث أمسوا. وكان التيه بين فلسطين وأيلة ست فراسخ في اثني عشر فرسخاً، فمكثوا  
 فيها أربعين سنة لم يقدرُوا على الخروج منها. قال بعضهم: لم يكن موسى وهارون عليهما  
 السلام في التيه، لأن الأنبياء عليهم السلام لا يعذبون. وقال بعضهم: كانا فيه وسهل الله تعالى  
 عليهما كما سهل على إبراهيم عليه السلام النار، وجعلها برداً وسلاماً. ويقال: إن موسى  
 وهارون قد مانا في التيه، وهلكت تلك العصاة ولم يبقَ منهم إلا يوشع بن نون وكالوب،  
 فخرج يوشع بذرياتهم إلى تلك المدينة، وفتحوها عند غروب الشمس. وذكر في الخبر: أن  
 يوشع دعا بأن ترد الشمس، فردت ثلاث ساعات حتى فتحوا البلدة، فاختلطت النجوم عن  
 مجاريها من ذلك اليوم، فخفي على المنجمين، فلما بقوا في التيه ندم موسى عليه السلام على  
 دعائه، فأوحى الله تعالى إليه **﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** يعني: لا تحزن على قوم سميتهم  
 فاسقين. وقال بعضهم: هذا الخطاب لمحمد ﷺ: لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا. ويقال:  
**﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾** صار نصباً بمعنى: يتيهون لأن في التفسير: إن دخلوها لم يكن محرم عليهم  
 أبداً. فكانوا يتيهون أربعين سنة.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ  
 الْآخَرَ قَالَ أَأَفْضَلُ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا  
 بِبَاسِلٍ بِيَدَيْكَ لِأَتُكَلِّمَ إِلَهِي أَخَافُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِلَهِي أُرِيدُ أَنْ نَبُوَآ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ  
 فَتَكُونُ مِنَّا أَصْحَابَ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ  
 مِنَ اللَّغْوِيِّينَ ﴿٤٠﴾ قَبَعَتْ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ  
 يُورِيكَ أَصْحَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ اللَّغْوِيِّينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: **﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾** يعني: اقرأ على قومك **﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾** يعني: خبر ابني  
 آدم عليه السلام بالصدق **﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾** وذلك أن حواء عليها السلام ولدت غلاماً وجارية في  
 بطن واحد، قابيل وأخته إقليما، ثم ولدت في بطن آخر هابيل وأخته ليوذا، فلما كبروا، أمر الله  
 تعالى آدم بأن يزوج كل واحد منهما أخت صاحبه، وكانت أخت قابيل أحسن، فأبى قابيل  
 وقال: بل زوّج كل واحد منا أخته، فقال آدم: إن الله تعالى أمرني بذلك. فقال له قابيل: إن الله



تعالى لم يأمرك بهذا، ولكنك تميل إلى هابيل. فأمرهما بأن يقرّبا قرباناً، فأيكما تقبل قربانه كان أحقّ بها، فعمد قابيل وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ووضع عند الجبل، وعمد هابيل وكان صاحب المواشي إلى خير غنمه فوضعها عند الجبل، وكان قابيل يضمّر في قلبه: أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل أن لا يسلم إليه أخته، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وتركت قربان قابيل فذلك قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ يعني: وضعوا قرباناً. ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ يعني: هابيل ﴿وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ يعني: قابيل فـ ﴿قَالَ﴾ قابيل لهابيل ﴿لَأَفْتُنْكَ قَالَ﴾ ولم؟ قال: لأن الله تعالى قد قبل قربانك ورد عليّ قرباني. فقال له هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولم يكن الذنب مني، وإنما لم يتقبل منك لخيانتك وسوء نيتك. وقال بعض الحكماء: العاقل من يخاف على حسناته، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ والخاسر من يأمن من عذاب الله، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿لَنْ نَسْطُغَ إِلَيْكَ يَدًا﴾ يعني: إن هابيل قال لقابيل: لئن مددت إليّ يدك ﴿لَتَفْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَفْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ يعني: إني أريد أن ترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ يعني: بقتلك إياي، وبإثمك الذي عملته قبل قتلي وهي الخيانة في القربان وغيره. ويقال: إني أريد أن ترجع بإثمي، يعني: أن لا أبسط يدي إليك لترجع أنت بإثمي وإثمك، ولا يكون عليّ من الإثم شيء. ويقال: معناه إني أريد أن تؤخذ بإثمي وإثمك. ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يعني: لكي لا تكون من أصحاب النار ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ يعني: تابعت له نفسه هواها على قتل أخيه ويقال: انقادت له طاعة نفسه. وقال قتادة: زينت له نفسه بقتل أخيه ﴿فَقَتَلَهُ﴾ قال بعضهم: إنه كان لا يدري كيف يقتله، حتى جاء إبليس فتمثل عنده برجلين، فأخذ أحدهما حجراً ولم يزل يضرب الآخر حتى قتله، فتعلم ذلك منه. وقال بعضهم: بل كان يعرف ذلك بطبعه، لأن الإنسان وإن لم ير القتل، فإنه يعلم بطبعه أن النفس فانية، ويمكن إتلافها. فأخذ حجراً وقتله بأرض الهند، فلما رجع إلى آدم عليه السلام قال له: ما فعلت بهابيل؟ فقال له قابيل: أجعلتني رقيقاً على هابيل؟ فذهب حيث شاء، فبات آدم تلك الليلة محزوناً، فلما أصبح قابيل رجع إلى الموضوع الذي فيه هابيل، فرأى غراباً، وقال بعضهم: كان يحمله على عاتقه أياماً لا يدري ما يصنع به، حتى رأى غراباً ميتاً، فجاء غراب آخر فبحث التراب برجله ودفن الغراب الميت في التراب، فذلك قوله تعالى ﴿فَقَتَلَهُ فَأُصْبِحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني: فصار من المغبونين في العقوبة.

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وقابيل ينظر إليه. وقال القتيبي: هذا من

الاختصار، ومعناه: بعث غراباً يبحث التراب على غراب الميت ليؤاربه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سِوَاةَ أَخِيهِ﴾ يعني: كيف يغطي عورة أخيه ﴿قَالَ﴾ قاييل عند ذلك: ﴿يَا وَيْلَنَا أَعْجَزَتْ﴾ يعني: أضعفت حيلتي ﴿أَنْ أَكُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سِوَاةَ أَخِي﴾ يعني: فأعطي عورة أخي ﴿فَأَضْحَجَ مِنَ النَّادِيَيْنِ﴾ على حملته حيث لم يدفنه حين قتله. قال ابن عباس: «ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه». ويقال: إن آدم وحواه أتيا قبره وبكيا أياماً عليه، ثم إن قاييل كان على ذروة جبل، فنطحه ثور، فوقع على السفح وقد تفرقت عروقه وأعضاؤه. ويقال: دعا عليه آدم فانخسفت به الأرض. وقال مقاتل: كان قبل ذلك، السباع والطيور تستأنس بآدم، فلما قتل قاييل أخاه هربوا، فحلقت الطيور بالهواء، والوحوش بالبرية، والسباع بالغياض. وتزوج شيث عليه السلام بإقليما. وروى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقْتُلْ نَفْسَ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ ذِمَّهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: هذه القصة كانت في بني إسرائيل، وهما أخوان قتل أحدهما الآخر، ولكن هذا خلاف قول المفسرين.

﴿وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا أَلْبَيِّنَاتٍ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ يعني: من أجل جناية ابن آدم حين قتل أخاه ﴿كَتَبْنَا﴾ يعني: فرضنا ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وغلظنا وشددنا في التوراة ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: قتل نفساً بغير أن يقتل نفساً ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: بغير فساد في الأرض، وهو الشرك بالله ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يعني: إذا قتل نفساً بغير جرم واستحل قتله، فكأنه قتل الناس جميعاً، يعني: إذا قتل نفساً فجزاؤه جهنم خالداً فيها.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ يعني: نجاها من غرق أو حرق أو يعفو عن القتل ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يعني: له من الأجر كأنما أحيا الناس جميعاً، لأن في حياة نفس واحدة يكون منفعة لجميع الناس، لأنه يدعو لجميع الخلق.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالبيان في الأمر والنهي ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ﴾ البيان ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ يعني: لمشركون تاركون لأمر الله تعالى.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

(١) حديث ابن مسعود: أخرجه البخاري (٣٣٣٥) و(٦٨١٧) و(٧٣٢١) ومسلم (١٦٧٧) و(٢٧).

يُصَلِّبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَعُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ  
فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ  
فَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ عَفْوَؤُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن للتأكيد، وما صلة، ﴿يُحَارِبُونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني: يخالفون الله ورسوله، ويتركون أمر الله وأمر رسوله مجاهرة وعباناً  
﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ بالقتل وأخذ المال ﴿أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ قال مقاتل: نزلت هذه  
الآية في سبعة نفر من بني عرينة، قدموا المدينة فاجتووها. فقال النبي ﷺ: ﴿لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِيْلِنَا  
وَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْبَانِيهَا وَأَبْوَالِهَا﴾ ففعلوا، فصحوا، ثم مالوا على الرعاة فقتلوه، وساروا بالإبل  
وارتدوا عن الإسلام، فأرسل النبي ﷺ في آثارهم علياً، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل  
أعينهم وتركهم بالحرّة حتى ماتوا. وهذا قبل أن تنزل آية الحدود<sup>(١)</sup>. وروى أسباط عن السدي  
قال: نزلت في سودان عرينة، فأراد النبي ﷺ أن يمثل بهم فنهاه الله تعالى عن ذلك، وأمره أن  
يقيم فيهم الحد الذي أنزل عليه. وقال سعيد بن جبير: إنه مثل بهم ثم نزل بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا  
جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ الآية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «وَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا  
بردة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين فهو آمن،  
ومن أتى المسلمين منهم فهو آمن، فمر أناس من بني كنانة يريدون الإسلام، فمروا بأصحاب  
أبي بردة ولم يكن أبو بردة حاضراً يومئذ، فخرج أصحابه إليهم فقتلوه، وأخذوا أموالهم فنزلت  
هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. ثم صارت الآية عامة في جميع  
الناس».

واختلف العلماء في حكمهم وهم قطاع الطريق، وهم ثلاثة أصناف: صنف يأخذ المال  
ولا يقتل، وصنف يأخذ المال ويقتل، وصنف يقتل ولا يأخذ المال. قال بعضهم: إذا وجد  
صنف من هذه الأصناف، فللإمام أن يقيم عليه أي عقوبات شاء، لأن الله تعالى قال: ﴿أَن يُقْتَلُوا  
أَوْ يَصَلَّبُوا﴾ فقد خُير في عقوبتهم، وهو قول الحسن وعطاء. وقال بعضهم: لكل صنف عقوبة  
على حدة، والاختيار عند أصحابنا رحمهم الله: أنه إن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله  
من خلاف، وإن قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن قتل وأخذ المال قطع وقتل عند أبي حنيفة.  
وعند أبي يوسف ومحمد رحمهما الله: يقتل ولا يقطع. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: إن  
قُتِلَ قُتِلَ، وإن قُتِلَ وَأَخِذَ الْمَالُ قُطِعَ ثُمَّ صَلِبَ. وروي عن ابن عباس نحو هذا. ويكون ﴿أَوْ﴾

(١) عزاه السيوطي: ٦٦/٣ إلى عبد الرزاق والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وابن  
حرير وابن المنذر.

بمعنى الوار، فكانه قال: إن يقتلوا ويصلبوا ﴿أَزْ تَقَطَّعْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَابٍ﴾ وقال بعضهم: يقتل ثم يصلب على وجه النكال والعبرة، وقال بعضهم: يصلب حياً ثم يطعن في لپته، ويخضض حتى يموت.

قوله تعالى: ﴿أَزْ يَنْفُؤَا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: يطرد حتى لا يجد قراراً في موضع، ويقال: ﴿ينفوا من الأرض﴾ يعني: يحبس فينفي من سعة الدنيا إلى ضيقها، فصار كأنه نفي عن الأرض. واحتج هذا القائل بقول بعض أهل السجن في ذلك:

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا      فَلَسْنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ فِيهَا وَلَا الْأَحْيَاءِ  
إِذَا جَاءَنَا السُّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ      عَجِبْنَا وَقَلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

ويقال: ينفي إلى دار الحرب. ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ يعني: ذلك القتل والقطع لهم عذاب وعقوبة في الدنيا، ولا يكون ذلك كفارة لذنوبهم إن لم يتوبوا ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أشد مما كان في الدنيا، وهو عذاب النار.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: رجعوا عن صنعهم قبل أن يؤخذوا ويردوا المال، فلا يعاقبون في الدنيا ولا في الآخرة، ويغفر الله ذنوبهم وهو قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ حين قبل توبتهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لِمَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْتَلُ مِنْهُمْ وَكَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ يعني: احذروا المعاصي لكي تنجوا من عذاب الله تعالى. ﴿وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني: اطلبوا القربة والفضيلة بالأعمال الصالحة ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ يعني: في طاعته. ويقال: جاهدوا العدو ﴿لِمَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لكي تنجوا من العقوبة وتنالوا الثواب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: إن الكافر إذا عاين العذاب ثم تكون له الدنيا جميعاً ومثلها معها فيقدر على أن يفتدي بها من العذاب لافتدى بها، يقول الله تعالى: لو كان ذلك لهم ففعلوه ﴿مَا تُقْتَلُ مِنْهُمْ﴾ ذلك الفداء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: وجيع.

ثم قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ وذلك أنهم يريدون أن يخرجوا من الأبواب، فتستقبلهم الملائكة، فيضربونهم بمقامع من حديد ويردونهم إليها

﴿ولهم عذاب مقِيم﴾ يعني: دائم أبداً. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن قوماً يخرجون من النار بعدما يدخلونها، قيل له: سبحان الله، أليس الله تعالى يقول: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾؟ فقال جابر: افرؤوا إن شئتم أول الآية ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني هذا: للكفار خاصة دون العاصين من المؤمنين.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَلَّافَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بدأ بالرجل لأن السرقة في الرجال أكثر، وقال في الزنى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [سورة النور: ٢] بدأ بالنساء، لأن الزنى في النساء أكثر، وهن المفتنات للرجال ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: ﴿فاقطعوا أيماهما﴾ وغيره قرأ «أيديهما»، واتفقوا أن المراد به: اليمين من الكر سوع الزند. نزلت الآية في «طغمة بن أبيرق»، ثم صارت الآية عامة في جميع السراق.

وقال بعضهم: إذا سرق قليلاً أو كثيراً يجب القطع، واحتج لظاهر الآية. روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْخَيْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ»<sup>(١)</sup>. وروي عن ابن الزبير: «أنه قطع في نعل ثمنه درهم، وقال: لو سرق خيطاً لقطعته»، وقال بعضهم: «لا يقطع في أقل من ثلاثة دراهم، أو ربع دينار فصاعداً». والاختيار عند علمائنا رحمهم الله: أن اليد لا تقطع في أقل من عشرة دراهم، وبه جاءت الآثار عن النبي ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم. قرأ بعضهم: ﴿السارق والسارقة﴾ بالنصب، وكذلك قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ بالنصب، وإنما جعله نصباً لوقوع الفعل عليه، وهو شاذ من القراءة، والقراءة المعروفة بالرفع.

وروي عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: رفعه بالابتداء، لأن القصد ليس إلى واحد من السراق والزناة بعينه، إنما هو كفولك: من سرق فاقطعوا يده، ومن زنى فاجلدوه، ثم قال: ﴿جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ يعني: عقوبة لهما بما سرقا، ﴿تَكَالُفًا﴾ يعني: عقوبة، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ جزاء. صار نصباً لأنه مفعول له يعني: بجزاء فعلهما، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ حكم على السارق بقطع اليد. ثم قال عز وجل: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ يعني: من بعد سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يتجاوز عنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنبه، ﴿رَجِيمٌ﴾ به بعد التوبة، يعني: إذا تاب ورد المال لا تقطع يده.

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٦٧٩٩) ومسلم (١٦٨٧) وأحمد (٢٥٣/٢) والنسائي (٦٥/٨) والبيهقي:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَكْتُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِمُحَرِّقُونَ الْكَبِيرَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ. يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَحَدُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاغْدُؤُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْتَفِمْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يحكم فيها ما يشاء، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إذا أصر على ذنوبه، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إذا تاب ورجع، ومعناه: أن السارق إذا تاب، ورد المال لا يقطع ويتجاوز عنه، وإن لم يتب قطعت يده. ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ﴾ إذا لم يتب، ويتجاوز إذا تاب، فافعلوا أنتم مثل ذلك، لأن الله تعالى مع قدرته يتجاوز عن عباده، وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المغفرة والعذاب.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ نزلت في شأن أبي لبابة بن عبد المنذر، وذلك أن النبي ﷺ لما حاصر بني قريظة فأشار إليهم أبو لبابة، وكان حليفاً لهم: إنكم إن نزلتم من حصونكم قتلكم فلا تنزلوا، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي يبادرون ويقعون في الكفر، ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يعني: يقولون ذلك بالستهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ في السر. وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، كانت علانيتهم تصديقا، وسرائرهم تكذيباً.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ يعني: قوالون للكذب، وقال القسبي: ﴿سَمَاعُونَ﴾ أي: قابلون للكذب، لأن الرجل يسمع الحق والباطل، ولكن يقال: لا تسمع من فلان أي: لا تقبل، ومعنى آخر: إنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك، لأنهم إنما جالسوه لكي يقولوا: سمعنا منه كذا وكذا، وإنما صار ﴿سَمَاعُونَ﴾ رفعاً لأن معناه: هم ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يعني: أهل خيبر. وذلك أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا فكرهوا رجمهما، فكتبوا إلى يهود بني قريظة أن يذهبوا بهما إلى رسول الله ﷺ: فإن حكم بالجلد رضوا عنه بحكمه، وإن حكم بالرجم لم يقبلوا منه. وروى نافع عن ابن عمر: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وذكروا له أن رجلاً وامرأة زنيا. فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟﴾ فقالوا: يحمان ويجلدان، يعني: تُسَوَّدُ وجوههما. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم



إن فيها آية الرجم، فأتوا بالتوراة. فأتوا بها فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، وقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق عبد الله بن سلام، يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. قال ابن عمر: فرأيت الرجل يحنو على المرأة يقيها من الحجارة<sup>(١)</sup>.

وروى الشعبي عن جابر بن عبد الله أنه قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن يسألوا محمداً ﷺ عن ذلك، فإن أمركم بالجلد فخذوه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه، فسألوه، فدعا بابين صوريا وكان عالمهم، وكان أعور، فقال له رسول الله ﷺ: «أنشذك الله كيف تجدون حد الزاني في كتابكم؟». فقال ابن صوريا: فأما إذا ناشدني بالله، فإننا نجد في التوراة أن النظر زنية، والاعتناق زنية؛ والقبلة زنية، فإن شهد أربعة بأنهم رأوه كالميل في المكحلة فقد وجب الرجم. فقال النبي ﷺ: «هُوَ ذَاكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاء رجال من اليهود، وقد تشاوروا في صاحب لهم زنى بعدما أحسن، قالوا: فانطلقوا فلنسأل هذا النبي ﷺ، فإن أفتانا بفتوى فيها تخفيف، فاحتججنا عند الله تعالى بها، وإن أفتانا بما فرض علينا في التوراة من الرجم تركنا ذلك. فقد تركنا ذلك في التوراة وهي أحق أن تطاع، فقالوا: يا أبا القاسم إنه زنى صاحب لنا قد أحسن، فما ترى عليه من العقوبة؟. فقام رسول الله ﷺ، وقمنا معه، حتى أتى بيت مدارس اليهود، فوجدهم يتدارسون التوراة فقال لهم «يا معشر اليهود، أنشدكم الله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام ما تجدون في التوراة من العقوبة على من زنى وقد أحسن؟». فقالوا: إنا نجد أن يجلد ويحتم، وسكت حبرهم وهو في جانب البيت؛ فأقبل النبي ﷺ ينشده، فقال له حبرهم: إذا ناشدتنا فإننا نجد عليه الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «كأن أول ما ترخصتم به أمر الله تعالى؟»، فقال: إنه قد زنى رجل قد أحسن، وهو ذو قرابة لملك من ملوكنا فسجنه، وأخر عنه الحد، وزنى رجل آخر، فأراد الملك رجمه، فجاء قومه وقالوا: ترجمه حتى ترجم فلاناً، فاصطلحوا بينهم على عقوبة دون الرجم، فقال النبي ﷺ: «فإنوا أفضي بينكم بما في التوراة»<sup>(٣)</sup>، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ «لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ». قال الزجاج: يعني: من بعد ما وضعه الله تعالى مواضعه، وأحل حلاله وحرم حرامه.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يعني: إن أمركم بالجلد فاقبلوه واعملوا به، ﴿وَإِنْ لَمْ

(١) حديث ابن عمر: أخرجه مالك ٨١٩/٢ والبخاري (٣٦٣٥) و(٦٨٤١) ومسلم (١٦٩٩) (٢٧).

(٢) عزاه السيوطي: ٧٨/٣ إلى الحميدي وأبي داود وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) عزاه السيوطي: ٧٨/٣ إلى ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي، وأحمد وابن أبي حاتم.



تُؤْتُوهُ فَأَخْذَرُوا﴾ يقولون: إن لم يوافقكم على ما تطلبون، ويأمركم بالرجم فلا تقبلوا منه.  
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ يعني: كفره وشركه، ويقال: فضيحته، ويقال:  
اختباره، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يقول: لن تقدر أن تسعه من عذاب الله شيئاً.  
ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرْ قُلُوبُهُمْ﴾ من الكفر، ولم يرد أن يدخل حلاوة  
الإيمان في قلوبهم، وخذلهم مجازاة لكفرهم، ثم قال: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ يعني: القتل،  
والسبي، والجزية، وهو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾  
أعظم مما كان في الدنيا.

﴿سَتَجِدُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ  
عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

ثم قال تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: قوالون للكذب ﴿أَكْثَلُونَ لِلسَّخْتِ﴾ قرأ أبو عمرو  
وابن كثير والكسائي ﴿لِلْسَخْتِ﴾ بضم الحاء، وقرأ الباقون ﴿لِلْسَخْتِ﴾ بجزم الحاء، وهما لغتان  
السُّخْتُ والسَّخْتُ، وهو الاستئصال. يقال: أسخته وسخَّته، إذا استأصله، وكانوا يأكلون  
الرُّشَا، وكان عاقبته الاستئصال، فسماه به كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَ كُلَّمَا  
إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ (النساء: 1١٠) أي: يأكلون ما عاقبتهم ناراً. وقال النبي ﷺ: «كُلُّ  
لَحْمٍ نَبَتْ بِالسَّخْتِ فَالْتَارُ أَوْلَى بِهِ»، قالوا يا رسول الله وما السخت؟ قال: «الرُّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ».  
وقال عليه السلام: «لَعَنَ اللَّهُ الرُّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ». وروى عن وهب بن منبه، أنه قيل له: الرُّشْوَةُ  
حرام في كل شيء؟. فقال: «لا، إنما يكره من الرُّشْوَةِ أَنْ تُرَشَّوْا لِتُعْطِيَ مَا لَيْسَ لَكَ، أَوْ تُدْفَعَ  
حَقّاً قَدْ لَزِمَكَ. فَأَمَّا أَنْ تُرَشَّوْا لِتُدْفَعَ عَنْ دِينِكَ وَدَمِكَ وَمَالِكَ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ». قال الفقيه أبو  
الليث: وبهذا القول نأخذ، لا بأس بأن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرُّشْوَةِ، وهذا كما روي  
عن عبد الله بن مسعود، أنه كان بالحبيشة فرشى بدينارين، وقال: «إنما الإثم على الفايض دون  
الدافع».

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾، يعني: أهل الكتاب إذا  
خاصموا إليك فأنت بالخيار: إن شئت فاحكم بينهم، وإن شئت فأعرض عنهم، ولا تحكم  
بينهم.

ثم قال: ﴿وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ يعني: إن لم تحكم بينهم فإنهم لا  
يضرُّونك شيئاً ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يعني: بالعدل، وهو الرجم، ولها وجه  
آخر: أن الصلح كان بينهم أن تكون جراحات بني قريظة نصفاً من جراحات بني النضير، وفي  
القتل كذلك، فأمر الله تعالى بأن يحكم بينهم بالعدل، وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ  
فاحكم بينهم بالقسط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ يعني: العادلين في الحكم. وروى عن عكرمة أنه

قال: ﴿فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ نسختها آية أخرى: ﴿وَأَيُّكُمْ يَنْتَهُمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] وقال مجاهد: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله: ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ نسختها ﴿وَأَيُّكُمْ يَنْتَهُمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] وقوله: ﴿ولا تحلوا شعائر الله﴾ نسختها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال الزهري: مضت السنة أن يرد أهل الكتاب في حقوقهم وموارثهم إلى أهل دينهم، إلا أن يأتوا راغبين حكم الله تعالى، فيحكم بينهم بكتاب الله تعالى، وهذا القول يوافق قول أبي حنيفة رضي الله عنه: أن لا يحكم بينهم ما لم يتراضوا بحكمنا.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣] إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْرَوْا بِتَابِعِي تَمَنَّا لِقِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [١٤]

ثم قال عز وجل: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾ يعني: كيف يرضون بحكمك، ويقال: كيف يقرّون بحكمك، ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني: آية الرجم، وحكم الجراحات فلم يقرّوا بها، ولم يعملوا بها. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يعني: يعرضون عن العمل به من بعد ما بين الله في كتابهم ثم قال: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: ليسوا بمصدقين بما عندهم، وهم يقولون: نحن نؤمن بالتوراة وهم كاذبون.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَنُورٌ﴾ يعني: بيان الشرائع والأحكام. يعني: حكم الرجم والجراحات، ﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ يعني: يقضي بها النبيون الذين صدقوا بالتوراة من لدن موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، وبينهما ألف نبي، ويقال: أربعة آلاف نبي. ويقال: أكثر من ذلك عليهم السلام، كانوا يحكمون بما في التوراة. ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني: كانوا يحكمون لهم وعليهم. ويقال: يحكم بها الأنبياء من لدن موسى إلى محمد عليهما الصلاة والسلام؛ ولهذا قضى رسول الله ﷺ بالرجم بحكم التوراة.

ثم قال تعالى: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ قال بعضهم: ﴿الربانيون﴾ العلماء، ﴿والأحبار﴾ القراء، ويقال: ﴿الربانيون﴾ الذين في العمل أكثر، وفي العلم أقل، ﴿والأحبار﴾: الذين في العلم أكثر وفي العمل أقل، مثل الفقهاء والعباد. ويقال: كالفقهاء والعلماء، وقال القسبي: كلاهما واحد وهما العلماء، ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني: علّموا واستودعوا من كتاب الله التوراة، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ بما في كتاب الله الرجم، وسائر الأحكام.

ثم قال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ يعني: يهود أهل المدينة، لا تخشوا يهود خبير، وأخبروهم بآية الرجم، ﴿وَإِخْشَوُنَّ﴾ في كتابه، ﴿وَلَا تَشْفَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً﴾ يعني: عرضاً يسيراً.

ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: إذا لم يقرؤا، ولم يبينوا، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس: «من يجحد شيئاً من حدود الله فقد كفر، ومن أقر ولم يحكم بها فهو فاسق». روى وكيع عن سفيان قال: قيل لحذيفة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، نزلت في بني إسرائيل: فقال حذيفة: «نعم الأخوة لكم، وبنو إسرائيل كانت لكم كل حلوة، ولهم مرة. لتسلكن طريقهم قدر الشرك». يعني: هذه الآية عامة فمن جحد حكم الله فهو من الكافرين.

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَانَ بِاللِّسَانِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مِمَّنْ تَصَدَّقَ بِهِ. فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَتْنَا عَلَى آثَرِهِمْ يَئِسَى آتِي مَرِيحٍ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمَائِنَتَهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٠﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾﴾

ثم بين الحكم الذي في التوراة فقال عز وجل: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ يعني: فرضنا على بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ إذا كان القتل عمداً، ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ إذا كان عمداً، ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ إذا كان عمداً، ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ إذا كان عمداً، ﴿وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ إذا كان عمداً. وروى عكرمة عن ابن عباس: «أن بني النضير كان لهم شرف على بني قريظة، وكانت جراحاتهم على النصف، فحملهم على الحق، وجعل دم القرظي والنضيري سواء». فقال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف: «لا نرضى بحكمك، لأنك تريد أن تصغرنا بعداوتك». فنزل ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ثم صارت الآية عامة في جميع الناس في وجوب القصاص في النفس، وفي الجراحات.

قرأ عاصم وحزمة ونافع ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ والحروف الست كلها بالنصب. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر كلها بالنصب، غير الجروح فإنهم يقرؤونها بالنصب على معنى الابتداء. وقرأ الكسائي كلها بالنصب إلا النفس.

ثم قال: ﴿مِمَّنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعني: عفا عن مظلمته في الدنيا، وترك القصاص، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ قال القتيبي: فهو كفارة للجراح وأجر للمجروح. وقال مجاهد: كفارة للجراح، وأجر للعافي. وقال بعضهم: هو كفارة للعافي، أي يكفر الله تعالى عنه بعهوه ما سلف من ذنوبه. ويقال: ﴿كفارة له﴾ أي للجراح، يعني: إذا ترك الولي حقه، يسقط القصاص عن الجراح.

وروى محرز، عن أبي هريرة، عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصِيبَ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَتَرَكَهُ اللهُ تَعَالَى، كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ»<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: «ينادي مناد يوم القيامة: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا من قد عفا».

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: يظلمون أنفسهم. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. فالذي عرض نفسه للعقوبة، فقد وضع الشيء في غير موضعه.

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني: اتبعنا على أثر الرسل عيسى ابن مريم عليهم السلام، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: موافقاً لما قبله، ﴿بِئْسَ التَّوْرَةُ﴾ يقال: إن عيسى مصدق التوراة.

ثم قال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَتُورًا﴾ يعني: بيان الأحكام، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، يعني: الإنجيل موافقاً للتوراة في التوحيد، وفي بعض الشرائع، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون الشرك، والفواحش.

ثم قال: ﴿وَلِيُخَكِّمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾ قرأ حمزة ﴿وليحكم﴾ بكسر اللام ونصب الميم، وقرأ الباقون بالجزم، فمن قرأ بالكسر، فمعناه: وآتيناه الإنجيل، لكي يحكم أهل الإنجيل ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ﴾ ومن قرأ بالجزم فهو على الأمر، والمراد به: الخير عن أمر سبق لهم، يعني: أمرهم الله تعالى أن يحكموا بما في الإنجيل.

ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يعني: في الإنجيل وكان حكمهم العفو، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يعني: العاصين.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلْنَا بَيْنَكُمُ بَزْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلْنَاكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَمِعُوا أَلْحَبْرَةَ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّخِذْهُمْ أَنْ يَتَّبِعُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا بَرِيدٌ مِنَ اللهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضُ دُورِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَتَافِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَأَمَّكُمُ الْبُهْلِيُّ بَعَثُوا وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِفُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: أنزلنا إليك يا محمد الكتاب

(١) عزاء السيوطي ٩٢/٣ إلى ابن مردويه.

﴿بالحق﴾، يعني: ببيان الحق. ويقال: بالعرض والحجة، ولم ينزله بغير شيء، ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: موافقاً للتوراة والإنجيل والزيور في التوحيد وفي بعض الشرائع. ثم قال: ﴿وَمُهَيِّمَتاً عَلَيْهِ﴾ يقول: شاهداً على سائر الكتب، بأن الكتب الأولى من الله تعالى ويقال: ﴿مهيماً عليه﴾ يعني: قاضياً عليه، ويقال: ناسخاً لسائر الكتب. وروي عن ابن عباس أنه قال: «مؤتمناً على ما قبله». وقال القتبي: أميناً عليه. ويقال: ﴿ومهيماً عليه﴾، في معنى مؤتمن، إلا أن الهاء أبدلت من الهمزة كما يقال: هَرَقْتُ الماءَ، وأزَقْتُهُ، وإياك، وهياك.

ثم قال: ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: فاحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعني: لا تعمل بأهوائهم ومرادهم، ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: لا ترك الحكم بما بين الله تعالى في القرآن من بيان الحق الأحكام. ثم قال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ يقول: جعلنا لكل نبي شريعة، والإيمان واحد، ولم يختلف الرسل في الإيمان، وإنما اختلفوا في الشرائع. قال القتبي: الشريعة والشريعة واحد، يعني: السنة والمنهاج الطريق الواضح. وقال الزجاج: الشريعة الدين، والمنهاج الطريق، وقد قيل: هما شيء واحد، وهو الطريق، ويقال: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ معناه: فرضت على كل أمة ما علمت أن صلاحهم فيه.

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: لجعلكم على شريعة واحدة، ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يعني: ليختبركم، ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ يعني: أمركم من السنن والشرائع المختلفة، ليتبين من يطيع الله فيما أمره ونهاه، ومن يعصيه.

ثم قال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يعني: بادروا بالطاعات، والأعمال الصالحة، وإلى الصف المقدم، والتكبير الأولى.

ثم قال: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين والسنن يوم القيامة، فهذا وعيد وتهديد يعني: لاستبقوا الخيرات، ولا تتبعوا البدعة، ولا تخالفوا الكتاب. ثم قال: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وذلك أن يهود بني النضير قالوا فيما بينهم: اذهبوا بنا إلى محمد ﷺ لعلنا نفتنه عن دينه. وإنما هو بشر. فأتوه، فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أننا أحبار اليهود وأشرفهم وسادتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولن يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، فنؤمن بك، فأبى النبي ﷺ ذلك. فنزلت هذه الآية ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: اقتص بينهم بما في القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الحكم، ﴿وَاحْلُزْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ يعني: يصرفوك، ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

وقال في رواية الضحاك: تزوج مجوسي ابنته، فجاءت إلى النبي ﷺ وطلبت نفقتها، فأمر

الله تعالى رسوله أن يفرق بينهما بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. وقال في رواية الكلبي: طلبوا منه بأن يحكم بينهم في الدماء على ما كانوا عليه في الجاهلية فنزل ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾. قال القتيبي: أصل الفتنة الاختبار، ثم يستعمل في أشياء، نستعمل في التعذيب كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُرْتَدِينَ﴾ (البروج: ١٠)، وكقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ﴾ (الذاريات: ١٣) وتكون الفتنة الشرك، كقوله: ﴿وَيَنبَلُغُهُمْ حَقَّ لَّا تَكُونُ يَنْتَهَىٰ﴾ (البقرة: ١٩٣) وتكون الفتنة العبرة، كقوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوِّمِ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ٨٥) وتكون الفتنة الصد عن سبيل الله، كقوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

ثم قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: أبوا أن يرضوا بحكمك، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَغْضٍ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني: يعذبهم في الدنيا. قال الكلبي: يعني: بالجلاء إلى الشام، والإخراج من دورهم. وقال الضحاك: يعني: يريد الله أن يأمر بهم إلى النار بذنوبهم.

ثم قال: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني: رؤساء اليهود، ﴿لَفَاسِقُونَ﴾ يعني: لكافرون، والفاسق هو الذي يخرج عن الطاعة.

ثم قال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يعني: يطلبون منك شيئاً لم ينزله الله إليك في حكم الزنى والقصاص كما يفعل أهل الجاهلية. قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام ﴿يَبْغُونَ﴾ على معنى المخاطبة، وقرأ الباقرن بالياء على معنى المغايبه.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ يقول: ومن أعدل من الله قضاءً، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعني: يصدقون بالقرآن.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَاِنَّهُمْ إِنَّا لَبَشِيرٌ لِّمَنْ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ قرأ الذين في قلوبهم مرضٌ يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فمس الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ جِهَدَ آيَاتِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ في العون والنصرة، وذلك أنه لما كانت وقعة أحد، خاف أناس من المسلمين أن يظهر عليهم الكفار، فأراد من كانت بينه وبين النصارى واليهود صحبة أن يتولاهم ويعاقدوهم. فنهاهم الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: معيناً وناصرين، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني: بعضهم



على دين بعض، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ يعني: من اتخذ منهم أولياء، ﴿فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ يعني: على دينهم ومعهم في النار.

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: لا يرشدهم إلى الحجة. ويقال لا يرشدهم ما لم يجتهدوا، أو يقصدوا الإسلام.

ثم بين حال المنافقين. فقال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: شرك ونفاق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يقول: يبادرون في معاونتهم ومعاهدتهم وولايتهم، ﴿يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ تَصِينَا ذَاتِرَةٌ﴾ يعني: ظهور المشركين. ويقال: شدة وجدوبة فاحتجنا إليهم. ويقال: نخشى الدائرة على المسلمين، فلا نقطع عنهم.

قال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: نصر محمد ﷺ الذي أسوا منه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: من قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. ويقال: الفتح أي: فتح مكة ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: الخصب. وقال القتبي: الفتح أن يفتح المغلق، لأن النصر يفتح الله بها أمراً مغلقاً، كقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٤١] وكقوله ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يعني: إظهار نفاقهم، ﴿فَيَضْحَكُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من النفاق، ﴿فَادْبِيبِينَ﴾ لأن المنافقين لما رأوا من أمر بني قريظة والنضير ندعوا على ما قالوا.

ثم قال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: في ذلك الوقت الذي يظهر نفاقهم، ﴿هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يقول: إذا حلفوا بالله فهو جهد اليمين ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ على دينكم. قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿يقول الذين آمنوا﴾ بغير واو، ومعناه: إن الله تعالى لما بين حال المنافقين، بين على أثره حال المؤمنين. فقال: ﴿يقول الذين آمنوا﴾ يعني: قال الذين آمنوا بعضهم لبعض. وقرأ أهل الكوفة حمزة وعاصم والكسائي: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ بالواو وضم اللام ومعناه: عسى الله أن يأتي بالفتح، ويندم المنافقون، ويقول الذين آمنوا عند ذلك ﴿هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ وقرأ أبو عمرو ﴿ويقول﴾ بالواو ونصب اللام، عطفاً على قوله: ﴿عسى الله أن يأتي بالفتح﴾ وعسى أن يقول الذين آمنوا.

ثم قال: ﴿حَبِطَتْ﴾ يعني: بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني: المنافقين الذين كانوا يحلفون أنهم مع المؤمنين وعلى دينهم، ولم يكونوا معهم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ فلا ثواب لهم في الآخرة ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ يعني: صاروا خاسرين في الدنيا وفي الآخرة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قرأ نافع وابن عامر بالدايين،



وقرأ الباقر بالمدال الواحدة مع التشديد. فأما من قرأ ﴿يرتد﴾، فهو الأصل في اللغة، وروي عن أبي عبيدة أنه قال: رأيت في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، بالذالين. وأما من قرأ ﴿يرتد﴾ لأنه أدمم الدال الأولى في الثانية، فأسكن الأولى، ثم حرك الثانية إلى النصب لالتقاء الساكتين.

قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في شأن أهل الردة الذين ارتدوا على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن العرب ارتدوا وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فأما أن نعطي من أموالنا بعد رسول الله ﷺ فلا». ثم خرج مسيلمة الكذاب فغلب على اليمامة، وامتنعوا، فشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحاب النبي ﷺ في قتالهم، فقال أصحاب النبي ﷺ: كيف نقاتل قوماً، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وقد قال النبي ﷺ: «أبْرَثَ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَجَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الزكاة من حقها. ثم قال: «والله لو منعوني عقلاً مما كانوا يؤدونني إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم عليه»<sup>(١)</sup>. فانفتحت الصحابة على قول أبي بكر، وجمعوا العسكر، وجاءهم من قبل اليمن سبعة آلاف رجل، واجتمع ثلاثة آلاف من أفتى الناس، فخرجوا وأميرهم خالد بن الوليد، وقاتلهم، وخرج مسيلمة الكذاب مع أهل اليمامة، واجتمع الأعراب معه، وكان بينهم قتال شديد، فقتل يومئذ من المسلمين مائة وأربعون رجلاً ومنهم: ثابت بن قيس بن شماس، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهما، فكاد المسلمون أن يهزموا كلهم حتى نصرهم الله، وأظهرهم على أعدائه، وقتل مسيلمة الكذاب وأصحابه، وتاب أهل الردة، فذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني: يحبون الله ﴿أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: رحيمة لينة على المؤمنين ﴿أَعَزَّةً﴾ يقول: شديدة غليظة ﴿على الكافرين﴾ يعني: أهل اليمن.

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»<sup>(٢)</sup>. وروي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ يعني: «بجنود من جنود الله، مدداً وعوناً للخليفة أبي بكر، يحبهم الله كحب الولد لولده، ويحبونه كحب الولد لوالده، ﴿أذلة على المؤمنين﴾ كالعبد لسيدته، و﴿أعزة على

(١) حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) والبخاري (٣٣). وهو من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (١٣٩٩) و(٦٩٢٤) ومسلم (٢١) و(٣٤) و(٣٣) وأبو داود (٢٦٤٠) والنسائي ٦/٧٠٦ وأحمد ٢/٣١٤، ٥٢٨ والترمذي (٢٦٠٧). وهو من حديث أنس عند البخاري (٣٩٢) (٣٩٣) وأحمد: ١٩٩/٣ والترمذي (٢٦٠٨) وأبو داود ٢٦٤.

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٤٣٨٨) ومسلم (٥٢) (٩١) وأحمد: ٢/٢٥٢.

الكافرين ﴿كالسبع على فريسته. ويقال: ﴿نُوف يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هو أبو بكر وأصحابه، وقال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه. وقال الضحاك: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتدت العرب جاهدتهم حتى ردهم إلى الإسلام، وهذا من كرامة أبي بكر، حيث اتفقت الصحابة على رأيه. وذلك أنه لما قبض النبي ﷺ، هم المنافقون أن يظهروا كفرهم، وتحير أصحاب النبي ﷺ عند ذلك، حتى جاء عمر وصعد المنبر فقال: «من قال إن محمداً قد مات فإنا أفعل به كذا وكذا، بل هو حي حتى يخرج إليكم. وقد وعدنا الله تعالى أن يظهره على الدين كله. فجاه أبو بكر، فقال له: «انزل يا عمر»، فصعد أبو بكر، فقال: «من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حي لا يموت، ومن أراد أن يرجع عن دينه فليس بيننا وبينه إلا السيف». وفي رواية: «من كان يعبد رب محمد، فإنه حي لا يموت والسيف الذي أظهر الله به دينه بعث على عواقبنا، ومن شاء أن يبرز فليبرزه وقال ابن مسعود: كنا مثل العالبي، قال أبو بكر: إن كل واحد منا كالأسد، فلما سمع المنافقون ذلك كتموا نفاقهم وقرأ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] وقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144] فقال عمر: «كأنني لم أكن سمعت هذه الآية». ثم اختلاف آخر: كان في دفنه، فقال أبو بكر: «يدفن حيث مات» فانفقوا على قوله. ثم اختلاف آخر: كان في سقيفة بني ساعدة في أمر الخلافة، فانفقوا على قوله، ثم اختلاف أهل الردة، وكلهم اتفقوا على قوله. فذلك قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ يعني: في طاعة الله عز وجل: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ يعني: لا يخافون ملامة الناس بما يعملون من الطاعات ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ﴾ يعني: ذلك توفيق الله ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: يوفق به من يشاء. ويقال: ذلك دين الله الإسلام يهدي به من يشاء ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني: ﴿واسع﴾ الفضل، ﴿عليم﴾ بمن يصلح للهدى.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ (30) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللهِ هُوَ الْقِتَالُ ﴿31﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي ﷺ: إن اليهود أظهروا لنا العداوة، وحلفوا أن لا يخالطونا في شيء، ومنازلنا فيهم بعيدة من المسجد، ولا نجد مسجداً دون هذا المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ يقول: حافظكم وناصركم الله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فقالوا: يا رسول الله رضينا بالله ورسوله، وبالمؤمنين. وقال الضحاك: إن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، أتاه بنو أسد بن خزيمه، وهم سبعمائة رجالهم ونساؤهم. فلما قدموا المدينة. فقالوا: يا رسول الله اغتربنا وانقطعنا عن فباذلنا وعشائرتنا فمن ينصرنا؟ فنزل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن بلالاً لما

أذن، وخرج رسول الله ﷺ، والناس في المسجد يصلون بين قائم وراكم وساجد، فإذا هو بمسكين يسأل الناس، فدعاه رسول الله ﷺ وقال: «هَلْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ شَيْئاً؟» قال: نعم. قال: «مَاذَا؟» قال: خاتم فضة. قال: «وَمَنْ أَعْطَاكَ؟» قال: ذلك المصلي. قال: «فِي أَيِّ حَالٍ أَعْطَاكَ؟» قال: أعطاني وهو راكع. فنظر، فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقرأ رسول الله ﷺ على «عبد الله بن سلام» **«الَّذِينَ يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وَهُمْ رَاكِعُونَ»** (١) يعني: يتصدقون في حال ركوعهم حيث أشار علي بن خاتمه إلى المسكين حتى نزع من أصبعه، وهو في ركوعه. ويقال: يراد به جميع المسلمين: أنهم يصلون ويؤدون الزكاة.

ثم قال: **«وَمَنْ يَتَوَلَّوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** يعني: يجعل الله ناصره ويجالس النبي ﷺ وأصحابه **«فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ»** يعني: جند الله **«هُمْ الْغَالِبُونَ»**. قال محمد بن إسحاق: نزلت هذه الآية في «عبادة بن الصامت»، حين تبرأ من ولاية اليهود يعني: يهود بني فينقاع، وتولى الله ورسوله، فأخبر الله تعالى أن العاقبة لمن يتولى الله ورسوله، **«وَالَّذِينَ آمَنُوا»** فإن الله ينصر أوليائه، ويبطل كيد الكافرين، فذلك قوله تعالى: **«فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمَ الْغَالِبُونَ»** يعني: هم القاهرون الظاهرون على أعدائه والعاقبة لهم:

**﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعاً وَلِعِباً مِّنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ قَبْلَكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلِيَاءُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعاً وَلِعِباً ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾**

وقوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعاً وَلِعِباً»** يعني: الذين آمنوا بلسانهم، ولم يؤمنوا بقلوبهم. ويقال: أراد به المخلصين، نهاهم الله تعالى عن ولاية الكفار. وروى محمد بن إسحاق بإسناده، عن عبد الله بن عباس قال: «كان رفاة بن زيد بن ثابت وسويد بن الحارث قد أظهرها الإسلام وناقفا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى **«لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ»** الإسلام **«هُزُوعاً وَلِعِباً»** يعني: سخرية وباطلاً **«مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ قَبْلَكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلِيَاءُ»** يعني: مشركي العرب **«أَوْلِيَاءُ»** قرأ أبو عمرو والكسائي **«وَالْكَافِرُ»** بالخفض، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالخفض فمعناه: من الذين أتوا الكتاب من قبلكم، ومن الكفار أوليائه. ومن قرأ بالنصب، فهو معطوف على قوله: **«لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرَ أَوْلِيَاءُ»**.

ثم قال: **«وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ»** يعني: إن كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار أوليائه.

(١) عزاه السيوطي ١٠٥/٣ إلى ابن مردويه.

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** يعني: إذا أذن المؤذن للصلاة، وإنما أضاف النداء إلى جميع المسلمين، لأن المؤذن يؤذن لهم ويناديهم، فأضاف إليهم فقال: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** **﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾** يعني: الكفار، إذا سمعوا الأذان استهزؤوا به. وإذا رأوه ركعاً وسجداً ضحكوا واستهزؤوا بذلك. **﴿ذَلِكَ﴾** الاستهزاء **﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾** يعني: لا يعلمون ثوابه. وقال الضحاك: سأل النبي ﷺ جبريل عليه السلام، وقال: «من أتخذ مؤذناً؟» قال: «يا محمد عليك بالعبد الأسود، فإنه مشهور في الملائكة، وهو جهير الصوت، وأحب المؤذنين إلى الله تعالى». فدعا رسول الله ﷺ بلالاً، وعلمه الأذان، وأمره أن يصعد سطح المسجد ويؤذن. فلما أذن سخر منه أهل النفاق وأهل الشرك، وكذلك يوم فتح مكة، أمره رسول الله ﷺ أن يؤذن على ظهر الكعبة، فسخر منه كفار الأعراب وجهالهم، فنزل: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾** يعني: المنافقين، واليهود، ومشركي العرب.

وروي أسباط عن السدي قال: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله قال: حرق الله الكذاب. فدخلت خادمته ليلة من الليالي بنار وهم نيام، فسقطت شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله، واستجيب دعاؤه في نفسه، وروي عن ابن عباس هذه الحكاية نحو هذا، إلا أنه ذكر اليهودي.

**﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾** (٥٩) قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَيْبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْمُخَازِرَ وَعَبْدَ الظُّلْمِ أَوْلِيكَ شَرٌّ مِّمَّا كَانَا وَأَسْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَظْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)

قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾** يقول: هل تطعنون فينا وتعيبننا، **﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** أي سوى أنا قد آمنا بالله وآمنا بـ **﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾** يعني: من القرآن، **﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾** يعني: قبل القرآن، يعني: التوراة والإنجيل، **﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾** يعني: لم تؤمنوا لفسقكم وعصيانكم. وقال الزجاج: معناه **﴿هل تنقمون منا﴾** هل تكرهون منا إلا إيماننا، وبفسقكم إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على الحق، لأنكم فسقتم، ولم تبتئوا على دينكم لمحبتكم الرئاسة، ومحبتكم المال.

قوله تعالى **﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ﴾** قال مقاتل: وذلك أن اليهود قالوا للمؤمنين: ما نعلم أحداً من أهل هذه الأديان أقل حظاً في الدنيا ولا في الآخرة منكم، فنزل قوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ﴾** يعني: أخبركم بشر من ذلك **﴿مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾** يعني: ثواباً عند الله، فقالت اليهود: من هم؟ قال: **﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَيْبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْمُخَازِرَ﴾** فقال المسلمون

لليهود: يا إخوة القردة والخنازير. فنكسوا رؤوسهم وخجلوا. **﴿ومثوبة﴾** صار نصباً للتمييز يعني: التصير.

ثم قال: **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** قرأ حمزة **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** بنصب العين والدال وضم الباء، وكسر التاء، من الطاغوت، يعني: جماعة العبيد جعلهم عبيداً. وقال أبو عبيدة: لم يصح في اللغة. وإنما يقال: أعبد، ولا يقال: عبُد. وقرأ الباقون: **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** يعني: وجعل منهم من عبد الطاغوت، ومعناه: خذلهم حتى عبدوا الشيطان، وروي عن ابن عباس أنه قرأ **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** بضم العين، ونصب الباء بالتشديد، يعني: جمع عابد. يقال: عابد وعُبد، مثل راعع ورُكع، وساجد، وسُجد. وقرأ ابن مسعود (وعبدوا الطاغوت) يعني: يعبدون الطاغوت، وقرأ بعضهم **﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾** بضم العين والباء، ونصب الدال، وهو جماعة العبيد. ويقال: عبيد وعُبد، على ميزان: رغيف ورُغف، وسرير وسُرر.

ثم قال: **﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾** يعني: شر منزلة عند الله **﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** يعني: أخطأ عن قصد الطريق وهو الهدى.

ثم قال: **﴿وَإِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾** وهم المنافقون من أهل الكتاب، قالوا: صدقنا ووجدنا نعتك. وأرادوا بذلك أن يمدحهم المسلمون، وهذا كقوله **﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾** [آل عمران: ١٨٨] فأخبر الله تعالى عن حالهم فقال: **﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾** يعني: هم كافرون في الأحوال كلها، ولا ينفعهم ذلك القول: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾** يعني: عليهم بمجازاتهم، وهذا تهديد لهم.

**﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [١١٧]

**﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَابُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [١١٧]

ثم قال: **﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِيمَانِ﴾** يعني: يبادرون في المعصية **﴿وَالْعَدْوَانِ﴾** يعني: الظلم، وهو الشرك، **﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾** يعني: الرشوة في الأحكام، **﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** يعني: ليس ما كانوا يتزودون من دنياهم لآخرتهم.

ثم قال: **﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾** يعني: هلاً ينهاهم **﴿الربانيون﴾** يعني: علماؤهم وعبادهم. وإنما شكى الله من علماء السوء الذين لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ويجالسونه، ويؤاكلونهم، وكل عالم لم يأمر بالمعروف، ويجالس أهل الظلم والمعصية، فإنه يدخل في هذه الآية، فقال: **﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** حين لم ينهوهم عن **﴿قولهم الإثم﴾**، **﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾**، ورضوا بفعلهم

**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِئِمَّوْا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاؤُا مَبْسُوتَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾**

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ مُلْقِينَا وَكَفَرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاءُ اللَّهِ وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَدَى اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك أن الله تعالى قد بسط عليهم الرزق، فلما عصوه وجحدوا نعمته، قتر عليهم الرزق، فقالوا عند ذلك: ﴿يد الله مغلولة﴾ أي: محبوسة عن البسط، فأمسك عنا الرزق.

قال الله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: أمسكت أيديهم عن الخير، ويقال: هذا وعيد لهم، غلت أيديهم في نار جهنم. ويقال: جُعلوا بخلاء، فلا يعطون الناس شيئاً مما أعطاهم الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾ يعني: عذّبوا وطردوا من رحمة الله لقولهم ذلك.

ثم قال: ﴿بَلْ يَذَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يقال: أمره ونهيه، ويقال: نعمتان، نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، ويقال: نعمتان: في السماء المطر وفي الأرض النبات، يعني: رزقه واسع باسط على خلقه ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يقول: يرزق لمن يشاء مقدار ما يشاء، فله خزانة السموات والأرض. وهذا كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ، وَأَجْرَكُمْ، وَجَنَّتُمْ، وَإِنْسَكُمْ، سَأَلَ كُلُّ رَجُلٍ مَا بَلَغَتْ أَمْنِيَّتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ، لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ خَزَائِنِ مُلْكِي مِقْدَارَ مَا يُغْتَرَفُ مِنَ الْبَحْرِ بِرَأْسِ إِبْرَةٍ».

ثم قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: من اليهود، ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا﴾ يعني: تمادياً بالمعصية ﴿وَكُفْرًا﴾ وجحوداً بالقرآن يعني: كل ما نزل عليك شيء من القرآن كفروا به، فيزيد جحودهم في طغيانهم، وإنما نسب ذلك إلى ما أنزله، لأن ذلك سبب لطغيانهم وجحودهم. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] يعني: أن ذلك سبب لخسرانهم.

ثم قال: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني: جعلهم الله مختلفين في دينهم، متباغضين كما قال في آية أخرى: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جِيْمًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَى﴾ [الحشر: ١٤].

ثم قال: ﴿كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاءُ اللَّهِ﴾ يقول: كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد ﷺ وأصحابه فرقه الله تعالى، وأطفأ نار مكرهم، أي: سكنه الله تعالى، ووهن أمرهم، وهذا على وجه الكناية كما قال: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي، كانت عليهم﴾. ثم قال: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ يعني: يعملون فيها بالمعاصي، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله تعالى، ﴿والله لا يحبُّ المُفْسِدِينَ﴾ يعني: لا يرضى بعمل الذين يعملون بالمعاصي، والله لا يحب أهل الفساد، ولا عملهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَكَرَّمْنَاهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ



﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَأَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿آمَنُوا﴾ يعني: صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقُوا﴾ الشرك والمعاصي، ﴿لَكُنْفُرْنَا عَنْهُمْ سِتًّا بَيْنَهُمْ﴾ يعني: لعفونا عنهم ذنوبهم، ﴿وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَاتِ النَّعِيمِ﴾ في الآخرة.

ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَأَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ يعني: أقروا بما فيهما، وبيّنوا ما كتبوا فيها، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني: بما أنزل إليهم من ربهم، في كتابهم، ويقال: القرآن. ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، يعني: يرزقهم الله تعالى المطر من فوقهم، في الوقت الذي ينفعهم ذلك، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني: ينبت النبات من الأرض، وقال الزجاج: هذا على وجه التوسعة. يقال: فلان في خير من فوقه إلى قدمه، يعني: لو أنهم فعلوا ما أمروا لأعطاهم الله الخير من فوقهم ومن تحت أرجلهم، يعني: صاروا في الخير في الدنيا والآخرة. وروى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَمَنَ بِمُحَمَّدٍ فَلَهُ أَجْرَانِ».

ثم قال: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يعني عصابة وجماعة عادلة، وهم مؤمنو أهل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وهم الذين لم يصدقوا ولم يؤمنوا.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وذلك أن اليهود لعنهم الله قالوا للنبي ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام، فجعلوا يستهزئون به ويقولون: إنك تريد أن نتخذك حُتَّاناً ربّاً كما اتخذت النصارى عيسى، فلما رأى ذلك سكت عنهم، فأمره الله أن يدعوهم إلى الإسلام ولا يمنعه عن ذلك تكذيبهم إياه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ يعني: إن لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يعني: كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالته، لأنه أمره بتبليغ جميع الرسالة، فإذا ترك البعض صار بمنزلة التارك للكل. كما أن من جحد آية من كتاب الله تعالى، صار جاحداً للجميع، ويقال: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يعني: فما بلغت السبيل الذي تكون رسولاً. وروى سمرة بن جندب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَدْ قَصُرْتُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ رَبِّي فَأَخْبِرُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَاتِ رَبِّي كَمَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُبْلَغَ» فقام الناس فقالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونسحت لأمك، وفضيت الذي عليك. وروى مسروق عن عائشة قالت:



«من حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ، فَقَدْ كَذَبَ» ثم قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (١) الآية .

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني: اليهود ويقال: كيد الكفار. وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ يحرسه أصحابه بالليل، حتى نزلت هذه الآية فخرج إليهم وقال: «لَا تُحْرُسُونِي فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ النَّاسِ» (٢).

ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: لا يرشدهم إلى دينه، ويقال: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «لَا أَبَالِي مَنْ حَدَّثَنِي مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ نَصَرَنِي» قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر. ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون: بلفظ الواحد لأن الواحد يعني عن الجماعة.

﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُ ثَوْبِهِمْ وَلَا يَذُكَّرُونَ﴾

ثم علمه كيف يبلغ الرسالة فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الدين ولا ثواب لأعمالكم ﴿حَتَّىٰ تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ يعني: تعملوا بما في التوراة، والإنجيل ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: حتى تقروا بما أنزل على نبيكم محمد ﷺ من القرآن، تعملون به.

ثم قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ الْقُرْآنِ﴾ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يعني: تمادياً بالمعصية، وكفراً بالقرآن. يعني: إنما عليك تبليغ الرسالة والموعظة، فإن لم ينفعهم ذلك فليس عليك شيء. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: لا تحزن عليهم إن كذبوك.

وروى محمد بن إسحاق بإسناده عن ابن عباس أنه قال: «جاء رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الضيف، وقالوا: يا محمد: ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى ولكنكم أخذتكم، وجحدتكم ما فيها مما أخذ علينا من الميثاق، وكنتنتم منها ما أمرتكم أن تبنوه للناس فبرئت من أخذناكم». فقالوا: فإننا قد آمننا بما في أيدينا، وإنا على الهدى والحق، فلا تؤمن بك، فنزل ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّامِتِينَ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِطَوْبِ أُولَٰئِكَ﴾

(١) حديث عائشة: أخرجه البخاري (٤٦١٢) ومسلم (١٧٧) (٢٨٧).

(٢) وفي نسخة «ب» بلفظ: «لا تعصموني»، فإن الله قد حرسني من الناس». وعزاه السيوطي ١١٩/٣ إلى عبد بن حميد، وابن جرير وابن مردويه.

صَلِيحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٦٧﴾ وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ مِنْتَنَةً فَمَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِعْرٍ بِمَا يَصْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ قال في رواية الكلبي: هم قوم آمنوا بعباسي عليه السلام، ولم يؤمنوا بغيره، ولم يرجعوا. ويقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالسننهم وهم المنافقون. ويقال: في الآية تقديم يعني: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ من آمن من اليهود والنصارى ﴿وَالصَّابِتُونَ وَالنَّصَارَى﴾ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، فلهم أجرهم عند ربهم. وقال: في هذه السورة ﴿وَالصَّابِتُونَ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَالصَّابِتِينَ﴾ لأنه معطوف على خبر إن، وكل اسم كان معطوفاً على خبر إن، كان فيه طريقان: إن شاء رفع، وإن شاء نصب، كقوله: إن زيدا قادم وعمرو، إن شاء نصب الثاني، وإن شاء رفعه، كقوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] وقد قرأ: ﴿ورسوله﴾ ولكنه شاذ، وكذلك ها هنا جاز أن يقول: (والصابتين) ﴿وَالصَّابِتُونَ﴾، إلا أن في هذه السورة كتب بالرفع.

ثم قال: ﴿لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني: لمن آمن من هؤلاء الذين سبق ذكرهم فلهم ثواب عند ربهم الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: عهدهم في التوراة، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: بما لا يوافق هواهم، ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ مثل عيسى ومن سبق قبله، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ مثل يحيى وزكريا، وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالله تعالى أمر النبي بتبليغ الرسالة، وأمره بأن لا يحزن عليهم إن لم يؤمنوا، لأنهم أهل السوء الذين فعلوا هذه الأفعال.

ثم قال: ﴿وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ مِنْتَنَةً﴾ يعني: ظنوا أنهم لا يفتنون بتكذيبهم الرسل، وقتلهم الأنبياء، ويقال: ظنوا أن لا يعاقبوا، ولا يصيبهم البلاء والشدة والقحط. ويقال: ظنوا أن قتل الأنبياء لا يكون كفراً. ويقال: ظنوا أن لا تفسد قلوبهم بالتكذيب وقتل الأنبياء. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو: ﴿أَنَّ لَنَكُونَ مِنْتَنَةً﴾ بضم النون. وقرأ الباقر بالنصب. فمن قرأ بالنصب، بمعنى أن. ومن قرأ بالضم بمعنى: حسبوا أنه لا تكون فتنة، معناه: حسبوا أن فعلهم غير فائن لهم.

ثم قال تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ يعني: عموا عن الحق، وصموا عن الهدى، فلم يسمعوه. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: تجاوز عنهم، ورفع عنهم البلاء، فلم يتوبوا ﴿ثُمَّ عَمُوا

وَصُمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ ويقال: معناه تاب الله على كثير منهم، ﴿وَعَمُوا وَصَمُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ ويقال: ثم تاب الله عليهم، يعني: بعث محمداً ﷺ ليدعوهم إلى التوراة ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ بتكذيب محمد ﷺ، ويقال: ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ حين عبدوا العجل، ثم تاب الله عليهم بعدما قتلوا سبعين ألفاً وهذا على جهة المثل. يعني: لم يعملوا بما سمعوا، ولم يعتبروا بما أبصروا، فصاروا كالأعمى والأصم.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ نَبِئِرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل يعني: عليهم بمجازاتهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرَابِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِكٌ تُلَدَّتْهُ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَجِدْ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وذلك أن نصارى أهل نجران يزعمون أنهم مؤمنون بعبسى، فأخبر الله تعالى أنهم كافرون بعبسى، وأنهم كاذبون في مقاتلتهم على المسيح، وأخبر أن المسيح دعاهم إلى توحيد الله تعالى، وأنهم كاذبون على المسيح. وهو قوله ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وحدوا الله وأطيعوه، ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ يعني: خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم. ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ يعني: إنه من يموت على شركه، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ أن يدخلها، ﴿وَمَاوَاهُ النَّارُ﴾ يعني: مصيره إلى النار، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني: ليس للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب.

ثم أخبر أن الفريق الآخر من النصارى هم كفار أيضاً، فقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ فيه مضمحل معناه: ثالث ثلاثة آلهة، ويقال: ثالث من ثلاثة آلهة، يعني: أباً وأماً وروحاً قدساً، يعني: الله ومريم وعيسى. قال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ يعني: هم كاذبون في مقاتلتهم، ثم أوعدهم الوعيد إن لم يتوبوا فقال: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: إن لم يتوبوا، ولم يرجعوا عن مقاتلتهم، ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ فهذا لام القسم، فكانه أقسم بأنه ليصيبهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: إن أقاموا على كفرهم.

ثم دعاهم إلى التوبة فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ من النصرانية، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ عن مقاتلتهم الشرك، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للذنوب إن فعلوا ﴿رَجِيمٌ﴾ بقبول التوبة، ويقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ لفظه لفظ الاستفهام والمراد به: الأمر، فكانه قال: توبوا إلى الله،

وكذلك كل ما يشبه هذا في القرآن، مثل قوله: (أتصبرون) يعني: اصبروا.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا هَذِهِ أَلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

ثم بين الله تعالى أن المسيح عبده ورسوله، وبين الحجة في ذلك، فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ يعني: هو رسول كسائر الرسل، ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وهو من جملة الرسل، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ تشبه النبيين، وذلك حين صدقت جبريل حين قال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مریم: ١٩] والصديق في اللغة: هو المبالغ في التصديق. وقال في آية أخرى: ﴿وَصَدَقْتَ يَكْفُرْنَ بِهَا﴾ [التحریم: ١٢] ثم قال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ يعني: المسيح وأمه كانا يأكلان ويشربان. ومن أكل وشرب، تكون حياته بالحيلة، والرب لا يأكل ولا يشرب. ويقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كناية عن قضاء الحاجة، لأن الذي يأكل الطعام فله قضاء الحاجة. ومن كان هكذا لا يصلح أن يكون رباً.

ثم قال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ يعني: العلامات في عيسى ومريم أنهما لو كانا إلهين ما أكلا الطعام، ﴿فَإِنَّمَا أَنْظُرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ يقول: من أين يكذبون بإنكارهم بأني واحد. وقال القتبي: ﴿أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ يعني: أني بصرفون عن الحق ويعدلون عنه. يقال: أفك الرجل عن كذا، إذا عدل عنه.

ثم أخبر الله تعالى عن جهلهم، وقلة عقلهم، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: عيسى وأمه، ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾ يقول: ما لا يقدر لكم، ﴿ضَرًّا﴾ في الدنيا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ في الآخرة، وتركتم عبادة الله، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعقوبتكم. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ يقول: لا تجاوزوا الحد والغلو: وهو الإفراط والاعتداء. ويقال: لا تتعمقوا.

ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ وهم الرؤساء من أهل الكتاب، يعني: لا تتبعوا شهواتهم، لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان، ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم رؤساء النصارى ضلوا عن الهدى، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس، ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ يعني: اخطؤوا قصد الطريق. وقال مقاتل: نزلت شأن في برصيصة العابد، حين جاءه الشيطان فقال له: قد فضلك الله على أهل زمانك لكي تحل لهم الحرام، وتحرم عليهم الحلال، وتسب لهم السنة،

ففعل فاتبعه الناس بذلك، ثم ندم على فعله، فعمد إلى سلسلة فجعلها في ترقوته، فعلق نفسه فجاءه ملك فقال له: أنت تتوب، وكيف لك بمن تابعتك؟ فذلك قوله: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذْنَاهُمْ أَزْلِيَّةً وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: اليهود، ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ وذلك أن الله تعالى مسخهم قرده، حيث اصطادوا السمك يوم السبت، ﴿وعيسى ابن مريم﴾ يعني: على لسان عيسى ابن مريم، حيث دعا عليهم فمسخهم الله تعالى خنازير. ويقال: ﴿لعن الذين كفروا﴾ أي: أبعدها عن رحمة الله، ﴿على لسان داود، وعيسى ابن مريم﴾. وقال الزجاج: يحتمل معنيين: أحدهما: أنهم مسخوا بلعنتهما، فجعلوا قرده وخنازير. وجائز أن يكون داود وعيسى لعنا من كفر بمحمد ﷺ، يعني: لعن الكفار الذين على عهد رسول الله ﷺ.

ثم قال: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يعني: الذين أصابهم من اللعنة ﴿بما عصوا﴾ أي بعضياتهم واعتدائهم ﴿وكانوا يعتدون﴾ في دينهم.

ثم قال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني: لم يمتنعوا عن قبيح من الأفعال، ورضوا به ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ حين لم ينهوا عن المنكر.

ثم قال: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ قال مقاتل: يعني: اليهود ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مشركي العرب. وقال الكلبي: ﴿ترى كثيراً﴾ من المنافقين ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يعني: اليهود، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: لبئس الفعل الذي يستوجبون به السخط من الله تعالى، وتجب لهم العقوبة والعذاب ﴿وفي العذاب لهم خالدون﴾ يعني: دائمون.

ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ﴾ محمداً ﷺ ﴿وما أنزل إليه﴾ يعني: القرآن ﴿ما أخذواهم أزلياً﴾ أي: لو كان إيمان المنافقين حقيقة ما اتخذوا اليهود أولياء في العون والنصرة ﴿ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾ يعني: ناقضين للعهد.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ

مَوْدَّةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا  
 يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ  
 يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ  
 يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٩﴾ فَأُنزِلَتْ إِلَيْهِمْ آيَاتِنَا فَأَخَذُوا بِعُرْسِكُمْ إِحْمَالًا فَمَكَدَتْكُمْ  
 فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٩١﴾

ثم قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ وهم يهود بني قريظة، وبني  
 النضير، ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: مشركي أهل مكة، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ  
 قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ قال بعضهم: إنما أراد به النصارى الذين كانوا في ذلك الوقت، لأنهم كانوا  
 أقل مظاهرة على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام. وقال أكثر المفسرين: إن المراد به النصارى  
 الذين أسلموا، وفي سياق الآية دليل عليه، وهو قوله: ﴿فَأُنزِلَتْ إِلَيْهِمْ آيَاتِنَا فَأَخَذُوا بِعُرْسِكُمْ إِحْمَالًا﴾ [المائدة: ٨٥]  
 وروى أسباط عن السدي، قال: بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً من الحبشة،  
 سبعة قسيسين، وخمسة رهبان ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه وقرأ عليهم ما أنزل الله عليه،  
 بكوا وأمنوا به ورجعوا إلى النجاشي. فهاجر النجاشي إلى رسول الله ﷺ معهم، فمات في  
 الطريق، فصلى عليه رسول الله ﷺ والمسلمون واستغفروا له.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، أنه سئل عن هذه الآية فقال: «هم الوفد الذين قدموا  
 مع جعفر الطيار من أرض الحبشة». وعن الزهري، أنه سئل عن هذه الآية فقال: «ما زلنا نسمع  
 أنها نزلت في النجاشي وأصحابه».

ثم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا﴾ يعني: المتعبدين، وأصحاب الصوامع،  
 ويقال: ﴿قسيسين﴾ علماؤهم ورهبانهم. ويقال: ﴿قسيسين﴾ يعني: صديقين ﴿ورهبانًا﴾ يعني:  
 خائفين من الله تعالى، وقال بعض أهل اللغة: القس والقسيس، رؤساء النصارى، والقسُ بفتح  
 القاف النخبة.

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني: لا يتعظّمون على الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.  
 ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ يعني: تسيل من الدمع، ﴿مِمَّا  
 عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ يقول: مما عرفوا محمداً ﷺ نعتة وصفته، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا﴾ بالقرآن بأنه من  
 الله، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ يعني: المهاجرين والأنصار. وروى عكرمة عن ابن عباس قال:  
 ﴿مع الشاهدين﴾ هم أمة محمد ﷺ، يشهدون له بالبلاغ، ويشهدون للرسول أنهم قد بلغوا  
 الرسالة.

ثم قال: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم، قال لهم كفار قومهم:



تركتهم ملة عيسى عليه السلام ويقال: إن كفار مكة عاتبهم على إيمانهم، وقالوا: لم تركتم دينكم القديم، وأخذتم الدين الحديث؟ فقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ معناه: وما لنا لا نصدق بالله أن محمداً ﷺ رسوله، والقرآن من عنده، ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: وبما جاءنا من الحق، ﴿وَنُطْمِئِنُّ﴾ يقول: نرجو، ﴿أَنْ يَدْخُلَنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: مع المؤمنين الموحدون في الجنة. فمدحهم الله تعالى، وحكى عن مقالتهم، وأخبر عن ثوابهم في الآخرة. فقال: ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ من التوحيد، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: ثواب الموحدون المطيعين.

وقد احتج بعض الناس بهذه الآية، أن الإيمان هو مجرد القول، لأنه قال: ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ ولكن لا حجة لهم فيها، لأن قولهم كان مع التصديق، وهو قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ والقول بغير التصديق لا يكون إيماناً.

ثم بين عقوبة من ثبت على كفره، ولم يؤمن، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: من مات على ذلك، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ والجحيم: هو النار الشديدة الوقود. يقال: جحم فلان النار، إذا شدد وقودها. ويقال: لعين الأسد جحمة، لشدة توقدها.

﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٨٧﴾ وَكَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَّالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك أنهم سمعوا من النبي ﷺ وصف القيامة يوماً، وخوف النار والحساب، اجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، فتوافقوا بأن يخصصوا أنفسهم وبنهرهوا، فنهاهم الله عن ذلك. ونزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى آخرها.

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حميد، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن مُدْرِكِ بْنِ قُرْعَةَ، عن سعيد بن المسيب، قال: جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله غلبني حديث النفس، ولا أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك، قال ﷺ: ﴿وَمَا تُحَدِّثُكَ نَفْسُكَ يَا عُثْمَانُ؟﴾ قال: تحدثني أن أحتصي. فقال: ﴿مَهْلًا يَا عُثْمَانُ، فَإِنْ إِخْصَاءَ أُمَّتِي الصَّيَامِ﴾ قال: يا رسول الله، إن نفسي تحدثني أن أترهب في رؤوس الجبال. فقال: ﴿مَهْلًا يَا عُثْمَانُ فَإِنْ تَرَهَّبَ أُمَّتِي الْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ لِانْتِظَارِ الصَّلَوَاتِ﴾. قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أسبح في الأرض؟ قال: ﴿مَهْلًا يَا عُثْمَانُ، فَإِنْ سِيَاخَةَ أُمَّتِي الْغُرُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَجَّ وَالْمُمْرَةَ﴾. قال: فإن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله؟ قال: ﴿مَهْلًا يَا عُثْمَانُ فَإِنْ صَدَقْتَكْ يَوْمًا بِيَوْمٍ،



وَتَكْفُفْ نَفْسَكَ وَعِيَالِكَ، وَتَرْحَمِ الْمَسَاكِينَ وَالْيَتِيمَ، أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ». فقال: يا رسول الله، فإن نفسي تحدثني أن أطلق حذلة. فقال: «مَهْلًا يَا عُمَانُ، فَإِنَّ الْهَجْرَةَ فِي أُمَّتِي، مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي، أَوْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَمَاتِي، أَوْ مَاتَ وَلَهُ امْرَأَةٌ، أَوْ امْرَأَتَانِ، أَوْ ثَلَاثٌ، أَوْ أَرْبَعٌ» قال يا رسول الله فإن نهيته أن أطلقها، فإن نفسي تحدثني بأن لا أغشاها. قال: «مَهْلًا فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا غَشِيَ أَهْلَهُ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ وَقَعْتِهِ تِلْكَ وَلَدًا، كَانَ لَهُ وَصِيْفًا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَقَعْتِهِ تِلْكَ وَلَدًا فَمَاتَ قَبْلَهُ كَانَ فَرَطًا وَشَفِيْعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَإِنْ عَبَدَ مَاتَ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فقال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أكل اللحم. قال: «مَهْلًا يَا عُمَانُ، فَإِنِّي أَحِبُّ اللَّحْمَ، وَأَكُلُهُ إِذَا وَجَدْتُهُ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِأَطْعَمَنِيهِ». قال: يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب. قال: «مَهْلًا يَا عُمَانُ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ أَمْرَنِي بِالطَّيِّبِ غَبًا غَبًا». وقال: «لَا تَنْزُكُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لَا تَتْرُكُهُ يَا عُمَانُ، وَلَا تَرْغَبْ عَنْ سُنَّتِي، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ سُنَّتِي ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ، صَرَفَتْ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ عَنِ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ونزلت هذه الآية ﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

﴿وَلَا تَغْتَدُوا﴾ يقول: لا تحرموا حلاله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْمُغْتَدِينَ﴾. ويقال: إن مُحْرَمٌ ما أحل الله كمُجَلٌّ ما حرم الله.

ثم قال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ من الطعام والشراب، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تحرموا ما أحل الله لكم، ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ بِهٖ مَؤْمِنُونَ﴾ يعني: لا تحرموا ما أحل الله لكم إن كنتم مصدقين به، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه. ثم أمرهم الله تعالى بأن يكفروا بأيمانهم، لأنه لما حرّموا الحلال على أنفسهم، كان ذلك يميناً منهم. ولهذا قال أصحابنا: إذا قال الرجل لشيء حلال: هذا الشيء عليّ حرام، يكون ذلك يميناً، فأمرهم الله تعالى بأن يأكلوا، ويحشوا في أيمانهم، وفي الآية دليل: أن الرجل إذا حلف على شيء والحنث خير له، ينبغي أن يحنث ويكفر بيمينه. وفيها دليل: أن الكفارة بعد الحنث، لأنه أمرهم بالحنث بقوله: ﴿فَكُلُوا﴾ ثم أمرهم بالكفارة بقوله: ﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ﴾.

﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَيِّدُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفِّرُوهُنَّ بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسَكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعْتُمْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

أمرهم بالكفارة وهو قوله تعالى: ﴿لَا يُوَاحِدُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾. قال ابن عباس: «اللغو أن يحلف الرجل على شيء بالله، وهو يرى أنه صادق، وهو فيه كاذب». وهكذا روي

عن أبي هريرة أنه كان يقول: «لغو اليمين: أن يحلف الرجل على شيء يظن أنه الذي حلف عليه هو صادق، فإذا هو غير ذلك.» وقال الحسن: «هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك، وليس هو كذلك.» وقال سعيد بن جبيرة: «الرجل يحلف باليمين التي لا ينبغي أن يحلف بها، يحرم شيئاً هو حلال، فلا يؤاخذ الله بتركه، لكن يؤاخذ الله إن فعل.» وقال زيد بن أسلم: «هو قول الرجل: أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا، أو أخرجني الله من مالي وولدي»، وقالت عائشة: «اللغو: هو قول الرجل لا والله، وبلى والله، على شيء لم يعقده قلبه.»

ثم قال: **﴿وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾** قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في رواية حفص **﴿عَقَّدْتُمْ﴾** بالتشديد، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية أبي بكر: **﴿عَقَّدْتُمْ﴾** بالتخفيف، وقرأ ابن عامر: **﴿بِمَا عَاقَدْتُمْ﴾** فمن قرأ: **﴿عَاقَدْتُمْ﴾** فهو من المعاقدة، والمعاقدة تجري بين الاثنين، وهو أن يحلف الرجل لصاحبه بشيء ومن قرأ بالتشديد فهو للتأكيد. ومن قرأ بالتخفيف لأن اليمين تكون مرة واحدة. والتشديد يجري في التكرار والإعادة.

وروى عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله قال: سئل وهب بن منبه عن قوله: **﴿لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾** قال: «الأيمان ثلاثة: لغو، وعقد، وصبر. فأما اللغو: فلا والله، وبلى والله، لا يعقد عليه القلب، وأما العقد: فهو أن يحلف الرجل لا يفعله فيفعله، فعليه الكفارة، وأما الصبر: بأن يحلف على مال ليقتطعه بيمينه، فلا كفارة له.» وروى حصين بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري قال: «الأيمان ثلاثة: يمين تكفر، ويمين لا تكفر، ويمين لا يؤاخذ الله بها صاحبها.» ذكر على نحو ما ذكر محمد في كتاب الإيمان.

ثم بين كفارة اليمين فقال تعالى: **﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾** روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «الغداء والعشاء.» وسئل شريح عن الكفارة فقال: «الخبز والزيت الطيب والخل» فقال السائل: «أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم؟ قال: «ذلك أرفع طعام أهلك وطعام الناس.» وروي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنهما قالا: «لكل مسكين نصف صاع من حنطة» يعني: إذا أراد أن يدفع إليهم، وإن أراد أن يطعمهم، فالغداء والعشاء.

ثم قال تعالى: **﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾** قال مجاهد: «أدناه ثوب وأعلاه ما شئت» وقال إبراهيم النخعي: «لكل مسكين ثوب» وقال الحسن: «ثوبان أبيضان.»

ثم قال: **﴿أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ﴾** يعني: يعتق رقبة، ولم يشترطها هنا المؤمنة، فيجوز الكفارة بالكافرة والمؤمنة، فالرجل بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة، **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾** الطعام ولا الكسوة ولا الرقبة فعليه **﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾** وذلك قوله تعالى: **﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾**.

وروى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح قال: سئل طاوس عن صيام الكفارة، قال:

«يفرق». قال له مجاهد: كان عبد الله يقرأ: «متتابعات»، قال طاوس: فهن أيضاً متتابعات. وروى مالك عن حميد، عن مجاهد قال: «كان أبي يقرأ: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» في كفارة اليمين.

ثم قال: **«ذلك»** يعني: الذي ذكرنا **«كفارة إيمانكم»** عن الطعام والكسوة والعق والصوم. **«إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا إِيمَانَكُمْ»** يعني: ليعلم الرجل ما حلف عليه، فليكفر يمينه إذا حنث، **«كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ»** يعني: أمره ونهيه، **«لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»** أي: لكي تشكروا رب هذه النعمة، إذ جعل لكم مخرجاً من إيمانكم بالكفارة، والكفارة في اللغة: التغطية، يعني: يغطي إثمه.

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٦)** **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٩٧)** **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ النَّبِيُّ﴾ (٩٨)** **﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِمَّا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ جُبُّ الْخَبِيرِينَ﴾ (٩٩)**

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾** نزلت هذه الآية في شأن سعد بن أبي وقاص، لأنهم كانوا يشربونها، وكانت حلالاً لهم. فجرى بين سعد وبين رجل من الأنصار افتخار في الأنساب، فافتلا، فشح رأس سعد، فدعا عمر بن الخطاب، فقال: «اللهم أرنا رأيك في الخمر، فإنها متلفة للمال، مذهبة للعقول»، فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة **﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾** [البقرة: ٢١٩] فقال عمر: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً» فنزلت هذه الآية: **﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾** يعني: حرام، وهو من تزيين الشيطان، **﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾** يعني: شربها، ولم يقل: فاجتنبوها، لأنه انصرف إلى المعنى، ومعناه: اجتنبوا ما ذكرناه ونهاكم عن ذلك، كقوله: **﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾** [الأنعام: ١٤١] ولم يقل: من ثمرها.

ثم قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** يعني: عن طاعة الله، **﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾** لأنهم مبعوا عن الصلاة إذا كانوا سكارى، ولأنه إذا سكر لا يعقل الطاعة وأداء الصلاة.

ثم قال: **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** يعني: انتهوا عن شربها، فقال عمر: «قد انتهينا يا رب». وعن عطاء بن يسار: أن رجلاً قال لكعب الأحبار: أحرمت الخمر في التوراة؟ قال: نعم هذه الآية **﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾** مكتوبة في التوراة: إنا أنزلنا الحق لنذهب به الباطل، ونبطل به

اللعب والدفف والمزامیر والخمر مرة لشاربها، أقسم الله تعالى بعزته وجلاله، أن من انتهكها في الدنيا، أعطشته يوم القيامة، ومن تركها بعدما حرمتها لأسقینها إياه في حظيرة القدس، قبل: وما حظيرة القدس؟ قال: الله هو القدس، وحظيرته الجنة.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يعني: في تحريم الخمر، ﴿وَاحذَرُوا﴾ عن شربها، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يقول: أعرضتم عن طاعة الله وطاعة الرسول ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فهذا تهديد لمن شرب الخمر بعد التحريم، فلما نزلت هذه الآية قال: حبي بن أخطب: فما حال من مات منهم وهم يشربونها، فعتبروا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ فسأل رسول الله ﷺ أصحابه عن ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ يعني: شربوا قبل تحريمها.

ويقال: إن بعض الصحابة كانوا في سفر فشربوا منها بعد التحريم، ولم يعرفوا تحريمها، فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فنزل: ﴿وَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ يعني: شربوا قبل تحريمها، ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا الشَّرْكَ، وَآمَنُوا﴾ يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، والقرآن ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ المعاصي ﴿وَآمَنُوا﴾ يعني: صدقوا بتحريمها ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ شربها ﴿وَاحْسِنُوا﴾ العمل وتركوا شربها بعد تحريمها ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالهم ويقال: معناه ليس عليهم جناح فيما طعموا قبل تحريمها إذا اجتنبوا شربها بعد تحريمها.

وروى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ معاوية بن أبي سفيان، وقالوا: هي حلال لنا وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فكتب معاوية في ذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: «أن ابعتهم إلي، قبل أن يفسدوا من قبلك». فلما قدموا على عمر، جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما ترون؟ فقالوا: «إنهم قد افتروا على الله كذباً، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به الله، فاضرب أعناقهم»، وعلي كرم الله وجهه ساكت فقال: «يا أبا الحسن ما ترى في هؤلاء؟» قال: «أرى أن تستبيهم، فإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم»، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة وأرسلهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَبْتَاطِلُونَ﴾ الله يَتَّبِعُ مِنَّا الصِّدْقَ تَنَالُهُ أَيُّدِكُمْ وَرِمَاحِكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ وَالنَّبِيَّ فَمَنِ اتَّخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ قَلْبَهُ عَدَاةً آلِهِ ﴿٤١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدْقَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ وَنَكَمَ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغًا أَلْكَابَةِ أَوْ كَثْرَةً طَعْمًا مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ سِيَّامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنَّا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَنَسْتَوْفِيهِ اللَّهُ مِنهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ يعني: ليختبرتكم الله. والاختبار من الله: هو إظهار ما علم منهم بشيء من الصيد. يعني: ببعض الصيد. فتبعضه يحتمل أن يكون معناه: ما داموا في الإحرام فيكون ذلك بعض الصيد، ويحتمل أن يكون على معنى التحضيض يحمل ذلك على وجه تبيين جنس من الأجناس كما قال: ﴿فَأَجْتَبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: 30] ويحتمل بعض الصيد، يعني: صيد البر دون صيد البحر، ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ يعني: تأخذونه بأيديكم بغير سلاح، مثل البيض والفراخ، ﴿وَرِمَاحِكُمْ﴾ يعني: تأخذونه بسلاحكم، وهو الكبار من الصيد، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: ليميز الله الذي يخاف من الذي لا يخاف.

ويبين فضل الخائفين. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ يعني: من أخذ الصيد بعد النهي ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: وجيع، يعني: الكفارة والتعزير في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب إن مات بغير توبة.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ يعني: وأنتم محرمون ويقال: وأنتم محرمون أو في الحرم. ثم بين الكفارة فقال: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ يعني: عليه الغداء مثل ما قتل. قرأ أهل الكوفة عاصم وحزمة والكسائي: ﴿فجزأة مثل﴾ بتنوين الهمزة وبضم اللام. وقرأ الباقون: بالضم بغير تنوين وبكسر اللام. فأما من قرأ: بالتنوين، فمعناه: فعلية جزاء، ثم صار المثل نعتاً للجزاء. وأما من قرأ: بغير تنوين فعلى معنى الإضافة إلى الجزاء يعني: عليه جزاء مثل ما قتل من النعم، يشتري بقيمته من النعم ويذبحه. يعني: إذا كان المقتول يوجد بقيمته النعم.

ثم قال: ﴿يُحْكَمْ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني: رجلان مسلمان عدلان ينظران إلى قيمة المقتول، ثم يشتري بقيمته ﴿هَدِيًّا بِالْكَفَّةِ﴾ يعني: يبلغ بالهدي مكة ويذبحه هناك، ويتصدق بلحمه على الفقراء. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامَ مَسَاكِينَ﴾ يعني: إن شاء يشتري بقيمته طعاماً ويتصدق به، على كل مسكين نصف صاع من حنطة ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ يعني: يصوم مكان كل نصف صاع من حنطة يوماً. قال ابن عباس: «إنما يَقَوْمُ لَكِي يعرف مقدار الصيام من الطعام» فهو بالخيار بين هذه الأشياء الثلاثة: إن شاء أطعم، وإن شاء أهدى، وإن شاء صام. قرأ نافع وابن عامر: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامَ مَسَاكِينَ﴾ بغير تنوين على معنى الإضافة. وقرأ الباقون ﴿كفارة﴾ بالتنوين، ورفع الطعام نعتاً لها.

ثم قال: ﴿لِيَذُوقَ وَيَاْلَ أَمْرِهِ﴾ يعني: عقوبة ذنبه، لكي يتمتع عن قتل الصيد. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ يعني: عما مضى قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد التحريم ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ يعني: يعاقبه الله تعالى، ومع ذلك يجب عليه الكفارة. وقال بعضهم: لا يجب عليه الكفارة إذا قتل مرة أخرى.

وروي عكرمة عن ابن عباس: أنه سئل عن المحرم يصيب الصيد فيحكم عليه، ثم يصيبه أيضاً قال: «لا يحكم عليه وتلا هذه الآية ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فذلك إلى الله، إن شاء عفا وإن شاء عاقبه». وعن شريح: أن رجلاً أتاه فسأله أن يحكم عليه فقال له شريح: هل أصيبت صيداً قبله؟ قال: لا. قال: لو كنت أصيبت قبل ذلك لم أحكم عليك. وقال بعضهم: سواء قتل قبل ذلك أو لم يقتل فهو سواء، لأنه قاتل في المرة الثانية كما هو قاتل في المرة الأولى.

وروي عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم رضي الله عنهم: «أنهم حكموا ولم يسألوه أنك أصيبت قبل ذلك أم لا». وروي ابن جريح عن عطاء أنه سئل عن قوله: ﴿عفا الله عما سلف﴾ قال: يعني: ما كان في الجاهلية، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام فينتقم الله منه، ومع ذلك عليه الكفارة، وروي سعيد بن جبيرة مثله. وقد قال بعض الناس: إنه إذا قتل خطأ فلا تجب عليه الكفارة. وهذا القول ذكر عن طاوس اليماني. وقال غيره: تجب عليه الكفارة. وروي ابن جريح عن عطاء قال: سألته عن قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعْدًا﴾ فلو قتله خطأ أيغرم؟ قال: نعم، يعظم بذلك حرمان الله. ومضت به السنن. وعن الحسن قال: يحكم عليه في الخطأ والعمد. وعن إبراهيم الشخعي وعن مجاهد مثله. وبهذا القول نأخذ: أن العمد والخطأ سواء، والمرة الأولى والثانية سواء.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ من أهل المعصية ومن أخذ الصيد بعد التحريم. ويقال: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ مستحلاً أو مستخفاً بأمر الله تعالى ﴿فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ يعني: يعذبه الله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ يعذب من عصاه.

﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَمِمَّا عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا  
وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ يعني: في الإحرام وغير الإحرام ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ﴾ يعني: للمقيمين والمسافرين، وهي السمكة المألحة. ويقال: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما نضب الماء عنه فأخذ بغير صيد ميتاً. ويقال: كل ما سقاه الماء فأنبت من الأرض، فهو طعام البحر.

قال الفقيه: حدثنا أبو الفضل بن أبي جعفر. قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي. قال: حدثنا محمد بن خزيمة قال: حدثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: «كنت أميراً في البحرين، فسألني أهل البحرين عما يقذف البحر من السمك، فقلت: كلوه. فلما رجعت إلى المدينة سألت عن ذلك عمر بن الخطاب فقال: ما أمرتهم به؟ فقلت: أمرتهم بأكله فقال: لو أمرتهم بغير ذلك لضربتك بالدرة. ثم قرأ عمر: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ﴾ فصيده ما صيد وطعامه ما رمي به.



ثم قال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُفِنَ حُرْمًا﴾ يعني: ما دتم محرمين فلا تأخذوا الصيد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تأخذوه في إحرامكم ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجزئكم بأعمالكم.

﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدَى وَالْقَلْبَدُ ذَلِكَ لِيَتَلَمَّوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يعني: الحرم أمناً للناس. كان الرجل إذا أصاب ذنباً أو قتل قتيلاً ثم لجأ إلى الحرم أمناً بذلك. ويقال: ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يعني: قواماً لمعايشهم. قرأ ابن عامر: ﴿قِيَمًا﴾ على وجه المصدر وقرأ الباقون: ﴿قِيَمًا﴾ على وجه الاسم والمصدر. وإنما سميت الكعبة كعبة لارتفاعها، ولهذا سمي الكعبان كعباً، ويقال للجارية: إذا نهدت ثديها: قد كعبت ثديها وهي كاعب كما قال: ﴿وَكَايِبَ آرَابًا﴾ [النبا: ٣٣].

ثم قال: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدُ﴾ يعني: جعل الشهر الحرام والهدي والقلائد أمناً للناس وقواماً لمعايشهم، لأنهم كانوا إذا توجهوا إلى مكة، وقلدوا الهدي، أمنوا. ويقال: ﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يعني: معالم للناس. وقال مقاتل وابن حيان: يعني: علماً لقبلتهم يصلون إليها. وقال سعيد بن جبير: صلاحاً لدينهم. وحرم عليهم الغارة في الشهر الحرام. وأخذ الهدي والقلائد في الشهر الحرام. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي جعل الله من الأمن ﴿لِيَتَلَمَّوْا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: لتعلموا أن الله يعلم صلاح ما في السموات وما في الأرض. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من صلاح الخلق ويقال: هو مردود إلى ما أنبأ الله تعالى على لسان نبيه في هذه السورة من أخبار المنافقين، وإظهار أسرارهم، فقال: ذلك الذي ذكر الله تعالى لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم من السر والعلانية.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿١٩﴾

ثم قال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يعني: إذا عاقب فعقوبته شديدة لمن عصاه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أطاعه. قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ يعني: أن الرسول ليس عليه طلب سرائرهم، وإنما عليه بتبليغ الرسالة، والله تعالى هو الذي يعلم سرائرهم.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْبُ وَالنَّهْيُ وَلَوْ أَنصَبْتَ كَثْرَةَ الْحَيْثِ فَأَتَقُوا اللَّهَ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَسِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾ ﴿٢٠﴾





ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ يعني: عن هذه الأشياء ﴿مِنْ قِبَلِكُمْ﴾ حيث سألوها المائدة من عيسى عليه السلام، وغيرهم سألوها أنبيائهم أشياء ﴿ثُمَّ اصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ يعني: صاروا بها كافرين.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيْعَرٍ﴾ يعني: ما جعل الله حراماً من بحيرة، كقولهم: إن الله أمركم بتحريمها. ونزلت في مشركي العرب، فكانت الناقة إذا ولدت البطن الخامس، فإن كان الولد الخامس ذكراً ذبحوه للآلهة، وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن مات أكله الرجال والنساء. وإن كان الولد الخامس أنثى شقوا أذنها وهي البحيرة، ثم لا يُجَزَّ لها وبر ولا يذكر عليه اسم الله، وألبانها للرجال دون النساء. فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ وأما السائبة: فهي الأنثى من الأنعام كلها. إذا قدم الرجل من سفره، أو برأ من مرضه، أو بنى بناءً، سبب شيئاً من الأنعام للآلهة، ويخرجها من ملكه، ويسلمها إلى سدنة البيت لآلهتهم، ولا يركبونها، وكان صوفها وأولادها للرجال دون النساء. ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ وأما الوصيلة: فهي من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن. فإن كان الولد السابع جدياً ذبحوه لآلهتهم، وكان لحمه للرجال فقط دون النساء. وإن كانت عناقاً، كانوا يستعملونها ولكن بمنزلة سائر الغنم. وإن كان جدياً وعناقاً، قالوا: إن الأخت قد وصلت ذكراً بأخيها، فحرمتا جميعاً، وكانت المنفعة للرجال دون النساء. وإن ماتا يشترك الرجال والنساء. ﴿وَلَا حَامٍ﴾ وأما الحام: فهو الفحل من الإبل إذا ركب ولده، قالوا: قد حمى ظهره فيهمل، ولا يحمل، ولا يركب، ولا يمنع من المياه، ولا المراعي، فإذا مات أكله الرجال والنساء. يقولون: هذه الأشياء كلها من أحكام الله تعالى، فنزل قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ يعني: ما حرّم الله هذه الأشياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾. وروى عبد الرزاق عن معمر بن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أول من سبب السوايب، وأول من غيّر عهد إبراهيم عليه السلام». قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن لُحَيّ أخو بني كعب لقد رأيتُه يجزّ قصبه في النار يؤذني ريحُه أهل النار، وإني لأعرف من بحر البحائر». قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: «رجلٌ من بني مُذَلِجٍ كانت له نائتان، فجذع أذنيهما، وحرّم البانهُما، ثم شرب البانهُما بعد ذلك. فلقد رأيتُه في النار وهما تعضانه بأفواههما، وتخبّطانه بأخفافيهما»<sup>(١)</sup>.

(١) هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٣٥٢١) و(٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) (٥٦) وأحمد ٣٦٦/٢ والبيهقي: ٩/١٠. أما رواية زيد بن أسلم فقال السيوطي ٣/٢١٣: أخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير.

ثم قال تعالى: **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾** يعني: ليس لهم عقل يعقلون به أن الله هو المُحَلَّل والمُحَرَّم، وليس لغيره أن يحل ويحرم.

**﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِنَّا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلًا كَانُوا هُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾** **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فُتِنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

ثم أخبر عن جهلهم فقال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾** من تحليل ما حرمتم على أنفسكم، وما بين لكم رسوله. ويقال: تعالوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله **﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾** من الدين والسنة.

قال الله تعالى: **﴿أَوَّلُوا كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾** يعني: أنهم يتبعون آباءهم وإن كان آباؤهم جهالاً، فنهاهم الله تعالى عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة.

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾** معناه: الزموا أنفسكم كما تقول: عليك زيدا، معناه: الزم زيدا. معناه: الزموا أمر أنفسكم لا يؤاخذكم الله بذنوب غيركم. **﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾** وأصله في اللغة: لا يضرركم. فأدغم أحد الرءوين في الأخرى، وضم الثانية لالتقاء الساكنين. وهذا جواب الشرط، وموضعه الجزم.

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليكم بخويصة أنفسكم». وروى عمر بن جابر اللخمي عن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية فقال: لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ انْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَا عَنِ الْمُنْكَرِ. فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَشَحًّا مُطَاعاً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّ مِنْ نَفْسِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الْمُتَمَسِّكِ يَوْمِيذٍ بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلاً». قالوا: يا رسول الله كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلاً مِنْهُمْ قَالَ: «لَا بَلْ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلاً مِنْكُمْ»<sup>(١)</sup>. وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال: «يا أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية على غير تأويلها. إنه كان رجال طعموا طعمة الإسلام، وذاقوا حلاوته، وكانت لهم قرابة من المشركين، فأرادوا أن يذيقوهم حلاوة الإيمان، وأن يدخلوهم في الإسلام. فنزل **﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾**. والذي نفس أبي بكر بيده لتأمر بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليعمركم الله بعذاب من عنده».

(١) عزاه السيوطي: ٢١٥/٣ إلى الترمذي وصححه وابن ماجه وابن جرير، والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني، وابن مردويه، والحاكم وصححه والبيهقي.

وروي عن أبي العالية أنه قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود، فوقع بين رجلين ما يكون بين الناس، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال بعضهم: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف؟ فقال بعضهم: عليك نفسك إن الله تعالى يقول: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ يقول: لا يضرركم ضلالة من ضلَّ ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال ابن مسعود: «مه لم يجرى تأويل هذه الآية بعد، فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء فعند ذلك جاء تأويلها».

وقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ يقول: لا يضرركم ضلالة من ضلَّ ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إذا ثبتتم على الحق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

وقال في رواية الكلبي نزلت: في المنذر بن عمرو، بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل هجر ليدعوهم إلى الإسلام، فأبوا الإسلام، فوضع عليهم الجزية فقال: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ من أهل هجر، وأقر بالجزية ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: آمتم بالله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أَحْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهَا مِنْ بَعْدِ الْمَسْأَلَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْرِي بِهِنَّ شَيْئاً لَّوْ كَانَ نَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِيمِينَ ﴿١١٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَيْهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَفَاخْرَانِ يَؤُمَانِ مَقَامَهُمَا مَعَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾ ذَلِكَ أَدَّىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَحْفَظُوا أَنْ تَرَدَّ إِلَيْنَا بَعْدَ آيَتِنَاهُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ «شهادة»: رفع بالابتداء وخبره «اثنان» ومعناه: شهادتكم فيما بينكم حين الوصية اثنان مسلمان عدلان ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ وأراد أن يشهد على وصيته، وكان مقيماً ولم يكن مسافراً، فليشهد على وصيته اثنان مسلمين ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أَحْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: إذا كنتم في السفر ولم تقدرُوا على مسلمين، فأشهدوا رجلين من غيركم يعني: من غير أهل دينكم. وروى مغيرة عن إبراهيم قال: إذا كان الرجل في سفر فلم يجد مسلمين ليشهدهما على وصيته، فليشهد غير أهل دينه، فإن اتهمها حبسا من بعد الصلاة ويغلظ عليهما في اليمين. وإن شهد رجلان من الورثة بأنهما خانا وكذبا، صدقا بما قالا، وأخذ من الآخرين يعني: من الشاهدين ما ادعي عليهما.

وروي عن مجاهد أنه قال: «إذا مات المؤمن في السفر ولا يحضره إلا كافران، أشهدهما على ذلك». فإن رضي ورثته مما قديما عليه من تركته فذلك، ويحلف الشاهدان أنهما لصادقان، فإن ظهر أنهما خانا، حلف اثنان من الورثة، وأبطلا أيمان الشاهدين.

وروي عن شريح أنه قال: لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني إلا في السفر، ولا تجوز في السفر إلا على الوصية، وهكذا قال إبراهيم النخعي، وبه قال ابن أبي ليلى، واحتجوا بظاهر هذه الآية. وقال علماؤنا: لا يجوز شهادة الذمي على المسلم في الوصية ولا في غيرها.

وروي عن عكرمة أنه قال: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: من غير عشيرتكم. وكذلك قال الحسن: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ يعني: من غير قبيلتكم، كلهم من أهل الصلاة. قال: ألا ترى إلى قوله: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ وقال زيد بن أسلم: كان ذلك في رجل توفي وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك كان في أول الإسلام، والأرض أرض الحرب، والناس كلهم كفار إلا رسول الله ﷺ وأصحابه بالمدينة.

وروي أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: هي منسوخة وقال الضحاك: نسخت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] ورفع اليمين عن الشهود، وأبطل شهادة أهل الذمة إلا بعضهم على بعض. ويقال: لتزول هذه الآية قصة. وذلك أن ثلاثة نفر خرجوا إلى السفر: تميم الذاري، وعدي بن زيد، وبديل بن ورقاء مولى العاص بن وائل السهمي وأبي عمرو بن العاص، فحضر بديل بن ورقاء وفاء وكان مسلماً، وأوصى إلى تميم الذاري وإلى عدي بن زيد وكانا نصرانيين، وأمرهما أن يسلماً أمتعه إلى أهله، وكتب أسماء الأمتعة، وأدرجه في ثيابه. فلما قدما المدينة وسلما المتاع إلى أهله، فوجد أهله الكتاب وفيه أسماء الأمتعة، وفيه جام فضة لم يسلماً إليهم. فخاصمهما المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن العاص إلى رسول الله ﷺ. فنزلت الآية: ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ بموت بديل بن ورقاء ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ يعني: صلاة العصر أي وكان النبي ﷺ يقضي بين الناس بعد صلاة العصر. فحلف الشاهدين، فحلفا أنهما لم يكتما شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: سافرتما في الأرض، فأصابتكم في السفر مصيبة الموت يعني: موت بديل بن ورقاء، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ يعني: تقيمونهما ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ يعني: صلاة العصر عند منبر النبي ﷺ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ يعني: ظننتما بالشاهدين ريبة أو شككتما في أمرهما ﴿لَا نَشْفِي بِهِ ثَمَنًا﴾ يعني: باليمين ثمناً يعني: أن الشاهدين يحلفان بالله أنهما لم يشتريا بأيمانهما ثمناً قليلاً من عرض الدنيا.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يعني: ذا قرابة مئاً في الرحم، لأن الميت كان بينه وبينهما قرابة ﴿وَلَا تَكُنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ إن سئلنا عن ذلك. فإن كتماها يعني: الشهادة: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَلْمِينِ﴾ يعني: الفاجرين.





حول ذلك اليوم، ومن شدة المسألة، وهي في بعض مواطن يوم القيامة قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما لم يكن.

وروي أسباط عن السدي قال: نزلوا منزلاً ذهب فيه العقول فلما سئلوا، قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم، ويقال: هذا عند زفرة جهنم فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل عند ذلك إلا قال: نفسي نفسي، فعند ذلك قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾. ويقال: كان ذلك عند أول البعث، ثم يشهدون بعد ذلك بتبليغ الرسالة.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَحْنُ مِنَ الطَّيِّبِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِنَا فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِنَا وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِنَا وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِنَا وَإِذْ كَفَفْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾، بالنبوة وهذا يكون في الآخرة ﴿وعلى والدتك﴾ يعني: النعمة التي أنعم الله عليه في الدنيا قال: ﴿إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ يعني: اعتنك بجبريل و﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ يعني: بعد ثلاثين سنة حين أوحى الله إليه، قال الكلبي: فمكت في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله ويقال: أوحى إليه وهو ابن ثلاثين سنة، ومكت في الرسالة ثلاث سنين، ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: الخط بالقلم ﴿والحكمة﴾ يعني: الفقه والفهم ﴿والتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِنَا فَتَنْفَخُ فِيهَا﴾ وقال في موضع آخر: ﴿فَأَنْفَخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] بلفظ التكدير، لأنه انصرف إلى الطير. وقال ها هنا ﴿فَتَنْفَخُ فِيهَا﴾ بلفظ التأنيت، لأنه انصرف إلى الهيئة المتخذة. ويقال ﴿فيها﴾: يعني في الطين ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِنَا﴾. قرأ نافع: ﴿طائراً﴾ بالالف. وقرأ الباقون: ﴿طيراً﴾.

﴿وتبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِنَا وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِنَا﴾ يعني: تحيي الموتى بإذني، يعني: أحببته بدعائك. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: التقى عيسى ابن مريم عليه السلام وإبليس على عقبة من عقبات بيت المقدس، فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلم الناس في المهد صبيّاً، وأنت تحيي الموتى، وتبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ؟ فقال عيسى عليه السلام: بل العظمة لله بإذنه أحييت الموتى، وهو الذي أنطقني. فقال إبليس: أنت إله الأرض. فقال عيسى عليه السلام: بل إله الأرض والسماء واحد. فكان في ذلك حتى جاء جبريل وضربه بجناحه وألقاه في ليج البحار.



ثم قال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ إذ هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالعلامات والعجائب ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: سحر ظاهر. قرأ حمزة والكسائي: ﴿ساحر﴾ بالألف. وقرأ الباقون: ﴿سحر﴾ فمن قرأ بالألف يعني: هذا رجل ساحر. ومن قرأ بغير ألف يعني: هذا الفعل سحر. والاختلاف في أربع مواضع: هاهنا، وفي سورة يونس، وفي سورة هود، وفي سورة الصف. قرأ حمزة والكسائي في هذا كله: بالألف. وقرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر في هذا كله: بغير ألف. وقرأ عاصم وابن كثير: بغير ألف إلا في سورة يونس.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ مَايسُوا بِ وَرَسُولِي قَالُوا مَا مَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١١١)</sup> إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا زُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ يعني: ألهمتهم وألقيت في قلوبهم. ويقال: أوحيت إلى عيسى ليلبغ الحواريين: ﴿أَنْ آمَنُوا بِي﴾ يعني: صدقوا بتوحيدي ﴿وَبِرَسُولِي﴾ فلما أبلغهم الرسالة ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ يقول: صدقنا بهما ﴿وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مقرون. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾. وقال له أيضاً: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ يعني: ألهمتهم. وقال مقاتل: يقوم عيسى خطيباً يوم القيامة بهذه الآيات، ويقوم إبليس خطيباً لأهل النار بقوله: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ لِقَى﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرأ الكسائي: بالناء ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وينصب الباء. وقرأ الباقون: بالياء ويضم الباء. فمن قرأ: بالناء ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ معناه: هل يستطيع أن يدعو ربك؟ ومن قرأ: بالياء معناه: هل يجيبك ربك؟ ﴿أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ وذلك أن عيسى كان إذا خرج، أتبعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر، بعضهم كانوا أصحابه، وبعضهم كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لمرض بهم أو علة، أو كانوا زمني، أو عمياناً. وبعضهم كانوا ينظرون ويستهنئون، وبعضهم نظارة. فخرج إلى موضع، فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة، فجاجعوا. فقالوا للحواريين: قولوا لعيسى حتى يدعو الله بأن ينزل علينا مائدة من السماء. فجاجع شمعون، فأخبره أن الناس يطلبون بأن يدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء ﴿فَقَالَ﴾ عيسى لشمعون: قل لهم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ويقال: هذا القول قاله للحواريين: قل لهم ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فلا تسألوا

لأنفسكم البلاء. فأخبر شمعون بذلك القوم فـ **«قَالُوا»** لشمعون قل له: **«تريد أن نأكل منها»** يعني المائدة **«رَتَطْمِئِن قُلُوبُنَا»** حتى تسكن قلوبنا إلى ما دعوتنا إليه **«وَنُعَلِّمُ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا»** بأنك نبي **«وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ»** لمن غاب عنا، ولمن بعدنا، فقام عيسى وصلى ركعتين.

**«قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»** (١١٦) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٧)

ثم قال: **«قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا»** وكان يوم الأحد، فصار ذلك اليوم عيداً لهم. ويقال: **«عيداً لنا»** يعني: حجة علينا **«وَآخِرِنَا»** يعني: حجة لمن بعدنا **«وآية منك»** يعني: نزولها علامة منك لتبوتني **«وارزقنا»** يعني: وأعطنا المائدة **«وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»** من غيرك.

فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: **«إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ»** ما سألتكم من المائدة **«فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ»** يعني: بعد نزول المائدة **«مِنْكُمْ»** ويكفر بعيسى عليه السلام بعد أكله من المائدة **«فَأِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ»** يعني: أحداً من الخلق. وقال بعضهم: هذه كلمة تهديد ولم ينزل عليهم المائدة.

- وروى في بعض التفاسير أنهم قالوا لعيسى: رضينا بما في هذه الآية، فقال عيسى عليه السلام لشمعون وكان أكبر الحواريين: هل معك شيء من الزاد؟ قال: نعم، فجاءه بخمسة أرغفة، وسمكتين صغيرتين، فقطعهما قطعاً صغيراً ثم قال: اجلسوا رفقاء، ففعدوا عشرة عشرة، فألقى عيسى عليه السلام بين يدي كل رفقة قدر ما يحمله بإصبعيه، فجعل الطعام يزيد حتى جاوز ركبهم فشبِعُوا. وفضل خمسة، ثم عاد من الغد ففعل مثل ما فعل بالأمس<sup>(١)</sup> ..

- وروى: أن الرغيف والسمكتين نزلت من السماء وهم ينظرون إليها. وقيل: كانت مائدة من در، أو بلور، وقيل: عليها الفواكه إلا الخبز واللحم، وكان الجميع خمسة آلاف<sup>(٢)</sup>، وقال عامة المفسرين: إن المائدة قد أنزلت عليهم. وروى عن سلمان الفارسي: أن عيسى عليه السلام قام وليس جبة من شعر، وقام ووضع يمينه على يساره، وطأ رأسه خاشعاً لله تعالى، ويكي حتى سالت الدموع على لحيته وصدره، وهو يدعو ويتضرع، فنزلت مائدة من السماء فوقها مندبل والناس ينظرون إليها، وعيسى عليه السلام ينظر ويكي ويقول: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة، حتى استقرت المائدة بين يدي عيسى والناس حوله. قال عيسى عليه

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «أ». (٢) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «ب».

السلام: بسم الله، وكشف المنديل للناس، فإذا فيه سمكة مشوية لا شوك فيها. والوذك يسيل منها، والخل عند رأسها، والملح عند ذنبها، وعليها أربعة أرغفة وعليها ألوان البقول إلا الكراث. فقال: كلوا من رزق ربكم، فأكل منها ألف رجل. ويقال: خمسة آلاف رجل، ورجعت المائدة كما كانت. وقال بعضهم: نزلت يوماً واحداً ولم تنزل أكثر من ذلك. وقال بعضهم: ثلاثة أيام، وقال بعضهم: سبعة أيام. وقال بعضهم: أكثر من ذلك. فلما رجعوا عن ذلك الموضوع شكوا فيه وكفروا، فمسخهم الله خنازير.

وروي عن ابن عمر أنه قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون».

وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «نزلت المائدة وفيها خبز وسمكة». وعن عطية العوفي قال: «كانت سمكة فيها طعم كل شيء».

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُهُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ روى أسباط عن السدي قال: لما رفع عيسى، وقالت النصراني ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، سأله الحق جلّ وعلی عن قولهم. وقال الضحاك: يدعى بعيسى يوم القيامة، ويدعى بالنصراني، فيقفهم، ويسأله ليفضحهم على رؤوس الناس. وقال الزجاج: هو سؤال التوبيخ للذين ادعوا عليه، لأنهم مجمعون أنه صادق وأنه لا يكذبهم الصادق عنده، وذلك أؤكد في الحجة عليهم وأبلغ في التوبيخ. والتوبيخ: ضرب من العقوبة. ويقال: إن الله تعالى لدا قال لعيسى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أخذته الرعدة من هيبه الله تعالى ومن هيبه ذلك القول، حتى سمع صوتاً عظيماً في نفسه ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ فزّره الرب عن ذلك، أن يكون أمرهم بذلك. فقال: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ يقول: ما ينبغي وما يجوز لي أن أقول ما ليس لي بحق. يعني: ليس بعدل أن يعبدوا غيرك ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾ يعني: إن قلت لهم ذلك القول ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ فإنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ يعني: ما كان مني في الدنيا ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ يعني: ولا أطلع على غيبك وما كان منك. وقال أهل اللغة: نفس الشيء: جملة الشيء وحقيقته وذاته، فمعناه: تعلم ما في

ضميري، ولا أعلم ما في حقيقتك وغيبك. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون. وقيل: ﴿تعلم ما في نفسي﴾ التي نسبت إلي، وأمرني بالتسليم إليك. ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ التي سلمت إليك، فأنت مالكلها بجميع ما كان وما يكون منها، و﴿أنت علام الغيوب﴾ قبل كونها وكون فعلها. قرأ حمزة: ﴿الغيوب﴾ بكسر الغين والباقون: بضم الغين ومعناها واحد. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر: ﴿إني منزلها﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهما لغتان نَزَلَ وَأَنْزَلَ بمعنى واحد.

ثم قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ يعني: في الدنيا بالتوحيد ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وخذوا الله وأطيعوه ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ يعني: خالقي وخالقكم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ يعني: على بني إسرائيل، أي: بلغتهم الرسالة. ويقال: ﴿شهِدًا﴾ يعني: حفيظاً بما أمرتهم ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ يعني: ما دمت مقيماً في الدنيا بين أظهرهم. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يعني: رفعتني إلى السماء ﴿كُنْتُ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الحفيظ والشاهد عليهم. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من مقالتي ومقاتلتهم. وما أدري ما أحدثوا بعدي ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قرأ ابن مسعود: ﴿فإنك أنت الغفور الرحيم﴾ وقرأ غيره: ﴿العزير الحكيم﴾ فإن قيل: كيف سأل المغفرة للكفار؟ قيل له: لأن عيسى علم أن بعضهم قد تاب ورجع عن ذلك. فقال: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ﴾ يعني: الذين ماتوا على الكفر، فإنهم عبادك وأنت القادر عليهم ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني: الذين أسلموا ورجعوا عن ذلك. وقال بعضهم: احتمال أنه لم يكن في كتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] فلهذا المعنى دعا لهم، ولكن التأويل الأول أحسن. ويقال: ﴿إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني: لكذبهم الذي قالوا به عليّ خاصة، لا لشركهم. وهذا التأويل ليس بسديد، والأول أحسن. وروي عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية ذات ليلة، فرددها حتى أصبح: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فإنهم عبادك - وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ﴾ ﴿فإنك أنت العزيز الحكيم﴾. ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿فإنهم عبادك﴾ (١).

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حَسْرَةٌ مِنْ تَحَاتُّبِهِمُ الْفَاهِشُ خَلِيلِينَ فِيهَا آيَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٦﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ قرأ نافع: ﴿هذا يوم﴾ بالنصب. وقرأ الباقون: بالرفع. فمن قرأ بالنصب فعلى الظرف. أي: قال الله تعالى هذا لعيسى في يوم

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة «أ».

ينفع الصادقين صدقهم . ومن قرأ: بالرفع فعلى معنى خير هذا يعني: هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم . ويقال: ينفع النبيين صدقهم بتبليغ الرسالة . ويقال: ينفع المؤمنين إيمانهم ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يعني: ثوابهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم﴾ بالطاعة ﴿ورضوا عنه﴾ بالثواب ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ يعني: المؤمنين فازوا بالجنة .

قوله تعالى: ﴿الله ملك السموات والأرض﴾ يعني: خزائن السموات والأرض ﴿وما فيهن﴾ من الخلق كلهم عبده وإماؤه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ يعني: من خلق عيسى من غير بشر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد .

## سورة الأنعام

مكية إلا ثلاث آيات مدنية وهي مائة وخمسة وستون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال مقاتل: سورة الأنعام كلها مكية غير قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: سورة الأنعام كلها مكية غير ست آيات ﴿قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى آخر الآيات الثلاث وقوله: ﴿وما قدروا الله حق﴾ . . . وقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ وقيل: نزلت جملة واحدة، وشيها سبعون ألف ملك. قال شهر بن حوشب: نزلت الأنعام جملة واحدة، وهي مكية غير آيتين: ﴿قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم﴾ وقال: بعضهم: كلها مكية. وقال كعب الأحبار: مفتاح التوراة قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ وخانمتها، خاتمة سورة هود: ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْأَشْكُونَ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة هود: ١٢٣].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمَعَّرُونَ﴾ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ بِرَحْمَتِ رَبِّكُمْ وَجَهَرِكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٣)

قوله تعالى: ﴿الحمد لله﴾ حمد الرب نفسه، ودلّ بصنعه على توحيده، ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ يعني: خلق السموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وخلق الأرض وما فيها ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يعني: خلق الليل والنهار. ويقال: الكفر والإسلام. وقال الضحاك: هذه الآية نزلت في شأن المجوس، قالوا: الله خالق النور، والشيطان خالق الظلمة، فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم، ورداً عليهم، فقال: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يعني: أن الله واحد لا شريك له، وهو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي خلق الظلمات والنور ﴿ثم الذين كفروا﴾ يعني: المشركين مكة ﴿بربهم يعدلون﴾ يعني: يعبدون الأصنام.

ثم قال: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: آدم، وأنتم من ذريته ونسله ﴿ثم قضىٰ أجلاً﴾ يعني: أجل ابن آدم منذ يوم ولد إلى يوم يموت. ﴿وأجلٌ مُّسَمًّىٰ عنده﴾ يعني: البرزخ

(١) في النسخة ٥١٥.

منذ يموت إلى يوم البعث، فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، فهذا قول مقاتل والحسن. وقال عكرمة: ﴿أَجَلًا﴾ يعني: أجل الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني: أجل الآخرة، وهكذا قال سعيد بن جبير: ويقال ﴿أَجَلًا﴾ يعني: أجل واحد ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُمْتَرُونَ﴾ يعني: تشكون في البعث بعد الموت وفي الأجل المسمى.

ثم قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يعني: هو المتفرد بالتدبير في السموات ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] يعني: وهو خالق السموات والأرض. ويقال: هو الذي يوحد ويقر بوحدانيته أهل السموات والأرض. ويقال: عالم بما في السموات وبما في الأرض. ﴿وَيَعْلَمُ سِرُّكُمْ﴾ يعني: يعلم سر أعمالكم ﴿وَجَهْرُكُمْ﴾ يعني علانيتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ من الخير والشر فيجازيكم بذلك.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤١﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَابًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٣﴾

ثم أخبر عن أمر المشركين فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ولم يتفكروا فيها ليعتبروا في توحيد الله تعالى. وذلك أن مشركي مكة سألو رسول الله ﷺ أن يريهم علامة، وقالوا: إنا نريد أن تدعو لينشق القمر نصفين لنؤمن بك وبريك، ونصدقك. فدعا رسول الله ﷺ، فانشق القمر نصفين، وذهب أحد النصفين إلى جانب حراء، والآخر إلى جانب آخر وهم ينظرون إليه. وقال ابن مسعود: «أنا رأيت حراء بين فلقتي القمر»، فأعرضوا عنه فلم يؤمنوا. وقالوا: هذا سحر مبين. فنزلت ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشَقُّ الْقَرْنِ \* وَإِنَّ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ [القمر: ١، ٢] ونزلت هذه الآية: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: انشقاق القمر ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني: بالقرآن حين جاءهم به محمد ﷺ، واستهزؤوا بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني: سيعلمون جزاء تكذيبهم واستهزائهم بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى، ويقال: يأتيهم أخبار ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب حين رأوها معاينة. فهذا وعيد لهم، أنه يصل إليهم العذاب إما في الدنيا، وإما في الآخرة.

ثم وعظهم ليخافوا ويرجعوا فقال: ﴿الَّذِينَ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ يعني: من قبل كفار مكة ﴿مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: مكثهم وأعطيتهم من المال والولد ﴿مَا لَمْ يُمْكِنُوا



نَكُمُ﴾ یا اهل مکہ ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ یعنی: آرسلا المطر متتابعاً كلما احتاجوا إليه. ﴿وَجَعَلْنَا الْإِنهَارَ نَجْوًى مِّنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ یعنی: عذبناهم ﴿بذُنُوبِهِمْ﴾ وبتكذيبهم رسليهم ﴿وَاتَّشَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ یعنی: وجعلنا من بعد هلاكهم ﴿قُرْآنًا آخِرِينَ﴾ قال الزجاج: القرن أهل كل مدة فيها نبي أو فيها طبقة من أهل العلم. كما قال النبي ﷺ: «خَيْرُ الْقُرُونِ أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا أَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾  
 ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرَسُولٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَجَاءَ بِالْحَقِّ بِآيَاتٍ سَخِرُوا مِنْهُمَا مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾ ذلك أن النظر بين الحارث وعبد الله بن أمية وغيرهما قالوا لرسول الله ﷺ: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء. قال تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ يقول: مكتوباً في صحيفة ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ يقول: عاينوه وأخذوه بأيديهم ما يصدقونه ﴿لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يقول الذين كفروا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ولا يؤمنون به.

ثم قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ من السماء فيكون معه نذيراً. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ يعني: من السماء ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ يعني: لهلكوا إذا عاينوا الملك ولم يؤمنوا ولم يصدقوا لنزل العذاب بهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يعني: لا ينتظر بهم حتى يعذبوا. ويقال: لو نزل الملك لنزل بإهلاكهم. ويقال: لو أنزلنا ملكاً لا يستطيعون النظر إليه فيموتون.

ثم قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ يعني: لو أنزلنا ملكاً بالنبوة ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ يعني: لأنزلناه على شبه رجل، على صورة آدمي. ألا ترى أنهم حين جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام جاؤوا على صورة الضيفان. وعلى داود عليه السلام مثل الخصمين؟ وكان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ على صورة دحية الكلبي.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَلْبِئْسَ مَا يَلْبَسُونَ﴾ يعني: لو نزل الملك على أشباه الأدميين لا يزول عنهم الاشتباه والتلبس، وروى بعضهم عن ابن عامر أنه قرأ: ﴿ما يلبسون﴾ بنصب الباء يعني: جعلنا عليه من الثياب ما يلبسونه على أنفسهم، ظنوا أنه آدمي. والقراءة المعروفة: بالكسر. يقال: لبس يلبس إذا لبس الثوب، ولبس يلبس: إذا خلط الأمر. وقال الفتيبي: ﴿وللبئسنا﴾ يعني: أضللناهم بما ضلوا به من قبل أن يبعث الملك.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرَسُولٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد، كما استهزأ بك قومك في أمر

العذاب **﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾** يقول: وجب ونزل بالذين **﴿سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** بالرسل. ويقال: **﴿فحاق﴾** أي: فرجع. وقال أهل اللغة: الخيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعلته نفسه. كقوله تعالى: **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: ٤٣] وقال الضحاك: كان النبي ﷺ جالساً في المسجد الحرام مع المستضعفين من المؤمنين: بلال بن رباح، وصهيب بن سنان، وعمار بن ياسر، وغيرهم من المسلمين، فمر بهم أبو جهل بن هشام في ملاء من قريش وقال: يزعم محمد أن هؤلاء ملوك أهل الجنة، فأنزل الله تعالى على رسوله هذه الآية ليثبت بها فؤاده، ويصبره على أذاهم فقال: **﴿ولقد استهزى برسلى من قبلك﴾** يعني: إن سخر أهل مكة من أصحابك فقد فعل ذلك الجهلة برسلم، فجعل الله تعالى دائرة السوء على أهل ذلك الاستهزاء.

**﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾** [١١] قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [١٧]

ثم أمر المشركين بأن يعتبروا بمن قبلهم، وينظروا إلى آثارهم في الأرض فقال تعالى: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** أي: قل لأهل مكة سافروا في الأرض **﴿ثُمَّ انظُرُوا﴾** يعني: اعتبروا **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾** يعني: آخر أمر **﴿الْمُكْذِبِينَ﴾** بالرسل والكتب. وقال الحسن: **﴿سيروا في الأرض﴾** يعني: اقرؤوا القرآن فانظروا كيف كان عاقبة المتقدمين في العذاب. فقال أهل مكة للنبي ﷺ: إن فعلت هذا الفعل لطلب المال، فأتارك هذا الفعل، فإننا نجمع لك مالا تصير به أغنى أهل مكة. فنزل: **﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** فإن أجابوك وإلا ف**﴿قُلْ لِلَّهِ﴾** يعني: ما في السموات وما في الأرض كلها لله تعالى، يعطي منها من يشاء من عباده.

ثم قال: **﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾** فلا يعذبكم في الدنيا. وروى عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **﴿إِنَّ اللَّهَ مائة رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا وَاجِدَةً فَفَسَمَهَا بَيْنَ الْخَلْقِ فِيهَا يَتَرَاخَمُونَ، وَبِهَا تَغَطُّفُ الْوُحُوشِ عَلَى أَوْلَادِهَا، وَادَّخَرَ لِنَفْسِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** (١). ويقال: **﴿كتب على نفسه الرحمة﴾** حيث أمهلهم ولم يهلكهم ليرجعوا ويتوبوا.

ثم قال: **﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** يعني: ليجمعنكم يوم القيامة. وهذا كما يقال: جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أي: ضمنت بينهم في الجمع **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** يعني: في البعث أنه كائن.

ثم نعتهم فقال: **﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** وقال بعضهم: هذا ابتداء وخبره **﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾**. وقال بعضهم: هذا بدل من قوله: **﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾**.

(١) أخرجه مسلم من حديث سلمان (٢٧٥٣) (٢١) وأحمد: ٤٣٩/٥.

﴿وَلَمْ يَأْتِ الْبِلَّيَّ وَالنَّهَارَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا فَاطِرَ  
الْمَشْرُوكِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُدْعَى وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدَّ وَلَا تُكُونَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ  
فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

ثم عظم نفسه فقال: ﴿وَلَمْ يَأْتِ الْبِلَّيَّ وَالنَّهَارَ﴾ يعني: ما استقر ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من الدواب  
والطير في البحر والبر، فمنها ما يستقر بالليل وينتشر بالنهار، ومنها ما يستقر بالنهار وينتشر  
الليل.

ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني: ﴿السَّمِيعُ﴾ لمقاتلتهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعقوبتهم.  
ثم قال: ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا فَاطِرَ الْبِلَّيَّ وَالنَّهَارِ﴾ يعني: ربًّا وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: إن  
آباءك كانوا على مذهبنا وديننا، وإنما تركت أنت مذهبهم ودينهم للحاجة، فارجع إلى مذهب  
آبائك حتى نعينك بالمال. فنزل ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ رِبًّا فَاطِرَ الْبِلَّيَّ وَالنَّهَارِ﴾ يعني: أعبد ربًّا ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خالق السموات والأرض، ويقال: مبتدئهما. ومنه قول النبي ﷺ: ﴿كُلُّ مَوْلُودٍ  
يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ﴾ (١) وإنما أبواه على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ عليهم العهد في  
أصلاب آبائهم. وإنما صار ﴿فَاطِرُ﴾ كسرًا لأنه من صفة الله تعالى يعني: أغير الله فاطر  
السموات والأرض. وقال الزجاج: يجوز الضم على معنى: هو فاطر السموات والأرض،  
ويجوز النصب على معنى: اذكروا فاطر السموات، إلا أن الاختيار الكسر.

ثم قال: ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ يعني: يرزق الخلق ولا يُرزقُ ويقال: هو يرزق ولا  
يعان على رزق الخلق. وقرأ بعضهم: ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ بنصب الياء يعني: يرزق ولا  
يأكل.

ثم قال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من أهل مكة يعني: أول من أسلم من  
أهل مكة واستقام على التوحيد ﴿وَلَا تُكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني: قال لي ربي: لا تكونن من  
المشركين بقولهم: ارجع إلى دين آباءك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ يعني: إني أعلم إن عصيت ربي فرجعت  
إلى دين آبائي، وعبدت غيره. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: عذاباً شديداً في يوم القيامة.

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ سوء العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ﴾ يعني: غفر له وعصمه. قرأ ابن كثير  
ونافع وأبو عامر وعاصم في رواية حفص ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ بضم الياء ونصب الراء على معنى

(١) حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (١٣٥٨) (١٣٥٩) و(١٣٨٥) و(٤٧٧٥) ومسلم (٢٦٥٨) وأحمد ٢ /  
٣٩٣ والترمذي (٢١٣٨).

فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿من يَصْرِف﴾ بنصب الياء ومعناه: من يصرف الله عنه. ولأنه سبق ذكره قوله: ﴿ربي﴾ فانصرف إليه.

ثم قال: ﴿وَذَلِكَ الْفُوزُ الْمُبِينُ﴾ يعني: صرف العذاب: هو النجاة الوافرة. وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَدُّوْا وَقَارِبُوْا وَأَبْشِرُوْا وَعَلِمُوْا أَنَّهُ لَا يَنْجُوْا أَحَدٌ بِعَمَلِهِ» قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ» يعني: أن الخلق كلهم ينجون برحمة الله تعالى.

﴿وَإِنْ يَمَسُّنَكَ اللهُ يَضُرُّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّنَكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهْلُكُمْ لِتَنبِذُوْنَ أَمْ مَعَ اللهُ إِلَهَةٌ آخَرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللهُ وَحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

ثم خوفه ليمسك بدينه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّنَكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ يعني: إن يصيبك الله بشدة أو بلاء. ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: لا يقدر أحد من الآلهة التي يدعونها ولا غيرها كشف الضر إلا الله ﴿وَإِنْ يَمَسُّنَكَ بِخَيْرٍ﴾ يقول: وإن يصيبك بسعة أو صحة الجسم فإنه لا يقدر أحد على دفع ذلك. ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الغنى والفقير والعافية.

ثم قال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ يقول: الغالب والعالي عليهم. ويقال: القادر والمالك عليهم ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في أمره ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأفعال الخلق.

ثم قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: يا محمد أما وجد الله رسولا غيرك، وما نرى أحداً من أهل الكتاب يصدقك بما تقول فأرنا من يشهد لك أنك رسوله. فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾: لأهل مكة ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ يعني: حجة وبرهاناً ويقال: من أكبر شهادة؟ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلْ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بآني رسول الله، والشهيد في اللغة: هو المبين، وإنما سمي الشاهد شاهداً لأنه يبين دعوى المدعي، بأمر الله نبيه عليه السلام بأن يحتج عليهم بالله الواحد القهار الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وخلقهم أطواراً.

ثم قال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ يعني: لاخوفكم بالقرآن يا أهل مكة ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: ومن بلغه القرآن سواكم، فأنا نذير وبشير من بلغه القرآن من الجن والإنس. قال قتادة: قال النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آتَاةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى»، فمن بلغه فكانما عين النبي ﷺ وكلمه. وقال كعب بن محمد القرظي: «من بلغه القرآن فكانما رأى رسول الله ﷺ ثم قرأ:

﴿لَا نَذْرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وقال مجاهد: ﴿لَا نَذْرَكُمْ بِهِ﴾ يعني: أصحاب محمد ﷺ: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: من العجم وغيرهم.

ثم قال: ﴿إِن كُنَّمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ من الأصنام. فإن قالوا: نعم ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بما شهدتم ولكن ﴿قُلْ﴾ أشهد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام والأوثان.

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ كِتَابَ يَعْرِوْتَهُمْ كَمَا يَعْرِوْتُ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنُ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ كِتَابَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِوْتَهُمْ﴾ يعني: محمداً عليه السلام بنعته وصفته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ وقال عبد الله بن سلام: أنا أعرف بالنبي ﷺ مني ولا بني، لأنني أشهد أنه رسول الله ﷺ، ولا أشهد لابني، لأنني لا أدري ما أحدث النساء بعدي.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: كعب بن الأشرف ومن تابعه ممن طلبوا الرئاسة وآثروا الدنيا على الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: ممن اختلق على الله كذباً باتخاذ الآلهة وقولهم الشرك ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يعني: بالقرآن أنه ليس من عند الله ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أنه لا يأمن الكافرون من عذابه. قال في اللغة: ﴿إِنَّهُ﴾: مرة تكون للإشارة مثل قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوَُّ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨] ومرة تكون للعماد مثل قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿وَإِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنُ شُرَكَائِكُمْ﴾ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ يعني: أين آلهتكم التي تزعمون. يعني: تعبدون من دون الله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ وأصل الفتنة في اللغة: هو الاختبار. ويقال: فتنت الذهب في النار إذا أدخلته فيها لتعلم جودته. وإنما سمي جوابهم فتنة، لأنهم حين سئلوا، اختبروا بما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب من ذلك الاختبار فتنة إلا هذا القول. ويقال: ثم لم تكن معذرتهم وجوابهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. قال مجاهد: إن المشركين لما رأوا يوم القيامة أن الله لا يغفر ذنوبهم يقول بعضهم لبعض: يا ويلكم جنتم بما لا يغفر الله لكم. هلموا الآن فلنكذب على أنفسنا، ونحلف على ذلك، فحلفوا، فحيث ختم على أفواههم، فتشهد أيديهم وأرجلهم عليهم.

قرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم في رواية حفص: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ﴾ بالثاء لأن الفتنة مؤنث و﴿فَتَنَّهُمْ﴾ بضم الثاء، لأنه اسم تكن والخبر ﴿إِلَّا إِنْ قَالُوا﴾. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ﴾ بالياء، لأن الفتنة مؤنثة إلا أن تأنيثه ليس بحقيقي، ولأن الفتنة بمعنى: الإفتان فانصرف إلى المعنى ﴿فَتَنَّهُمْ﴾ بالنصب، فجعلناه خبر تكن، والاسم ما بعده. وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالثاء والنصب. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا﴾ بنصب الباء. ومعناه: يا ربنا. وقرأ الباقون: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا﴾ بكسر الباء على معنى النعت.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً أَيُّهَاً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ يعني: كيف صار وبال تكذيبهم على أنفسهم. ويقال: يقول الله تعالى للملائكة: ﴿انظروا كيف كذبوا على أنفسهم﴾ يعني: انظروا إليهم كيف يكذبون على أنفسهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ يعني: ذهب عنهم. ويقال: اشتغل عنهم الآلهة بأنفسها ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله من الكذب في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: إلى حديثك وقراءتك. ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ يعني: يستمعون ولا ينفعم ذلك. ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ يعني: غطاء مجازاة لكفرهم. ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ يعني: صمماً وتقللاً لا يفقهون حديثك. وقال قتادة: يسمعونهم بأذانهم ولا يفهمون منه شيئاً، كمثل البهيمة التي تسمع القول ولا تدري ما هو.

ثم قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً أَيُّهَاً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ يعني: انشقاق القمر وغيره ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ يعني: يخاصمونك بالباطل، وينكرون أن القرآن من الله تعالى ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وذلك أن النضر بن الحارث كان يخبر أهل مكة بسير المتقدمين وبأخبارهم فقالوا له: ما ترى فيما يقول محمد ﷺ قال: لا أفهم مما يقول شيئاً، ولا أدري أنه من أساطير الأولين الذي أخبركم به، مثل حديث رستم واسفنديار. وقال القتيبي: ﴿أساطير الأولين﴾ واحداً أسطورة واسطورة، ومعناها: الأباطيل والترهات والبسباس، وهي شيء لا نظام له وليس بشيء. وفي هذا دلالة نبوة محمد ﷺ لأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بالسر، فيظهر الله أسرارهم للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني: أهل مكة ينهون الناس عن محمد ﷺ أن يتبعوه، ويتباعدون عنه ويقال: نزل في شأن أبي طالب، كان يقول للنبي ﷺ: «إن قريشاً لن

يصلوا إليك حتى أوسد في التراب، فامض يا ابن أخي فما عليك غضاضة» يعني: ذلاً، وكان لا يُسلم لأجل المقالة ﴿وهم ينهون عنه﴾ يعني: أن أبا طالب ينهي قريشاً عن إيذانه، وينأى عنه، أي يتباعد عن دينه، وهذا قول الكلبي والضحاك ومقاتل. والقول الأول أيضاً قول الكلبي.

ثم قال: ﴿وَأِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني: وما يهلكون إلا أنفسهم ﴿وَمَا يَشْفَعُونَ﴾ بذلك.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُوْنَ عَلَى النَّارِ قَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٢٧﴾﴾  
بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُوْنَ عَلَى النَّارِ﴾ قال الكلبي: يعني: حسبوا على النار. وقال مقاتل يعني: عرضوا على النار. وقال الضحاك: يعني: جمعوا على أبوابها. ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وروي في الخبر: «أن الناس كلهم وقفوا على متن جهنم» وجهنم كأنها متن إهالة، ثم ينادي مناد خذي أصحابك، ودعي أصحابي».

ثم قال: ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يعني: إلى الدنيا ولم يذكر في الآية الجواب، لأن في الكلام ما دل عليه، فكأنه يقول: ولو ترى يا محمد كفار قريش حين وقفوا على النار، لعجبت من ذلك فقالوا: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا﴾. ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ أي: مصدقين. قرأ حمزة وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ وكنون ﴿ونكون﴾ كلاهما بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ وكنون ﴿ونكون﴾ كلاهما بالضم على معنى الخبر. ومن قرأ بالنصب فلأنه جواب التمني. وجواب التمني إذا كان بالواو أو بالفاء يكون بالنصب. كقولك: ليتك تصير إلينا ونكرمك. وقرأ بعضهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ بالضم وكنون ﴿ونكون﴾ بالنصب في رواية هشام بن عمار عن ابن عامر. وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿فَلَا نُكَذِّبُ﴾ بالفاء.

يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ نَدَّبَا لَهُمْ﴾ يعني: ظهر لهم ﴿مَا كَانُوا يُخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾ بالسهم. لأن الجوارح تشهد عليهم بالشرك، فحينئذ يتمنون الرجعة.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوْا إِلَى الدُّنْيَا لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾ يعني: رجعوا إلى كفرهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ﴾ في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ لأنهم قد علموا في الدنيا وعابته، وقد عابن إبليس وشاهد، ومع ذلك قد كفر وكذلك هاهنا لو رجعوا لكفروا كما كفروا من قبل، لأنك ترى في الدنيا إنساناً أصابه مرض أو حبس في السجن، أخلص بالتوبة لله تعالى أن لا يرجع إلى الفسق، فإذا برأ من مرضه أو أطلق من الحبس رجع إلى الحال الأول.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ ﴿٢٩﴾﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُوْنَ عَلَى رَبِّهِمْ قَالُ



أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا  
بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَدَّتْ قَالُوا أَلَمْ نَحْسُرْنَا عَلَىٰ مَا قُرْطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ  
ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعني: ما هي إلا آجالنا تنقضي في الدنيا،  
فيموت الآباء، ويحيى الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت. فيبين الله تعالى حالهم يومئذ  
فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا﴾ يعني: عرضوا وسبقوا وحسبوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يعني: عند ربهم  
وعند عذاب ربهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾ يعني: أليس هذا العذاب والبعث ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾  
أفروا في وقت لا ينفعهم الإقرار ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ يعني: يقول لهم الخزنة ﴿فَذُوقُوا  
العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به وتجدون.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ يعني: غبن الذين جحدوا بالله، وبالبعث  
حين اختاروا العقوبة على الثواب ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يعني: فجأة، ومعناه: أنهم  
جحدوا وثبتوا على جحودهم حتى إذا جاءتهم القيامة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا﴾ يعني: يا ندامتنا  
وخزينا، والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه، جعلته نداء كقوله:  
﴿يَا حَسْرَتَا﴾ و ﴿بِئْسَ لَنَا﴾ [الكهف: ٤٩] ويا ندامتنا ﴿عَلَىٰ مَا قُرْطْنَا﴾ يعني: ضيعنا وتركنا العمل  
﴿فِيهَا﴾ يعني: في الدنيا من عمل الآخرة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ يعني: آثامهم ﴿عَلَىٰ  
ظُهُورِهِمْ﴾ يعني: إنهم يحملون آثامهم.

وروى أسباب عن السدي قال: ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا آتاه ملك قبيح الوجه،  
أسود اللون، منتن الريح، عليه ثياب دنسة، فإذا رآه قال: ما أقبح وجهك فيقول: كذلك كان  
عملك قبيحاً. فيقول: ما أنتن ريحك، فيقول: كذلك كان عملك منتناً. فيقول: من أنت؟  
فيقول: أنا عملك، فيكون معه في قبره. فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في  
الدنيا باللذات والشهوات، فأنت اليوم تحملني، فيركب على ظهره حتى يدخله النار. قال:  
وذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ وذلك على سبيل المجاز يعني: يحملون  
وبال ذلك على ظهورهم وعقوبته. ويقال: أوقرت ظهورهم من الآثام. أي: نقلت وحملت،  
وأصل الوزر في اللغة: هو الثقل. ثم قال تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ يعني: بس ما يزرونه،  
يعني: يحملونه.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُمْ﴾ يعني: لعب كلعب الصبيان بينون بنيانهم،  
ثم يهدمونه، ويلعبون ويلهون به ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون.

ثم قال: ﴿وَلِلذَّارِ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُشْفُونَ﴾ الشرك والفواحش ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أن الآخرة أفضل من الدنيا. قرأ ابن عامر: ﴿وَلِلذَّارِ الْآخِرَةِ﴾ بلام واحدة بالتخفيف، ويكسر الآخرة على معنى الإضافة. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى المتغاية.

﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾  
 ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنزَلْنَاهُمْ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتِنَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ روى سفيان عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ: «ما تنهك، ولكن نتهم الذي جنت به»، فنزلت هذه الآية. وروى أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو حزين فقال: ما يحزنك؟ قال: «كذبتني هؤلاء». فقال: «إنهم لا يكذبونك، بل يعلمون أنك صادق» فنزلت هذه الآية: ﴿قَدْ نَعَلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إياك في العلانية ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ﴾ في السر، ويعلمون أنك صادق. وكانوا يسمونه أميناً قبل أن يوحى إليه، فلما أوحى إليه، كذبه، فقال: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ وهم يعلمون أنك صادق، والجحد يكون ممن علم الشيء ثم جحده كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] قرأ نافع والكسائي: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ﴾ بالتخفيف. وقرأ الباقر بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: أنهم لا يجدونك كاذباً. ومن قرأ بالتشديد فمعناه: أنهم لا ينسبونك إلى الكذب، ولا يكذبونك في السر. وقرأ نافع: ﴿يحزنك﴾ برفع الياء، وكسر الزاي. وقرأ الباقر ﴿ليحزنك﴾ بالنصب ومعناها واحد.

ثم عزاه ليصبر على أذاهم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني: أن قومهم كذبه كما كذبك فريش ﴿فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا﴾ يعني: صبروا على تكذيبهم وأذاهم ﴿حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرًا﴾ يعني: عذابنا لهلاكهم ﴿وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: لا مغير لوعده الله. فهذا وعد من الله تعالى للنبي ﷺ بالنصرة، كما نصر النبيين من قبله.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَا الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: من خير المرسلين، كيف أنجيت المرسلين، وكيف أهلك قومهم. فلما وعد الله تعالى النصر للنبي ﷺ تعجل أصحابه لذلك، فأرادوا أن يعجل بهلاك الكفار فنزل: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ خاطب النبي ﷺ وأراد

به فومه فقال: إن عظم عليك إعراضهم عن الإيمان، ولا تصبر على تكذيبهم إياك ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنِي نَقْعًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: إن قدرت أن تطلب سبباً في الأرض والنافقاء إحدى جحر التبروع ﴿أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: مصعداً إلى السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ﴾ فافعل ذلك على وجه الإضمار. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿مَنْ كَانَتْ بَطْنٌ أَنْ لَنْ يَصْرُهُ اللَّهُ فِي الْأُخْرَى وَالْآخِرَى قَلِيمُدَّةً سَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] الآية.

وروى محمد بن المنكدر: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «إن الله أمر السماء أن تطيعك، وأمر الأرض أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت أن ينزل عذاباً عليهم» قال: «يا جبريل أوحز عن أمي لعل الله يتوب عليهم».

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ يعني: لهداهم إلى الإيمان. ويقال: ولو شاء الله لاضطرهم إلى الهدى كما قال في آية أخرى ﴿إِنْ شَاءَ نَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنَاهُمْ﴾ [الشعراء: ٤] ومعناه: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قهراً وجبراً، ولكن ما فعل وكلفهم وتركهم باختيارهم.

ثم قال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني: بأنه لو شاء لهداهم. وقال الضحاك: يعني القدر خيره وشره من الله تعالى، فلا تجعل معرفة ذلك بعد البيان. وقيل: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بأنه يؤمن بك البعض وإن لم يؤمن بك البعض، وإنما يؤمن بك الذي وفقه الله تعالى للهدى، وهو أهل لذلك.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: يطيعك ويصدقك الذين يسمعون منك كلام الهدى والموعظ. قال الزجاج يعني: يسمع سماع قابل. فالذي لا يقبل كأنه أصم، كما قال القائل: أصم عما سواه سميع. ويقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بأنه يؤمن بك بعضهم، ولن يؤمن بك البعض. وإنما يؤمن بك الذي وفقه الله للهدى وهو أهل لذلك. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: يعقلون الموعظة.

ثم قال: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: كفار مكة سماهم الله موتى، لأنه لا منفعة لهم في حياتهم ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: يحييهم بعد الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: الكفار في الآخرة فينبئهم بأفعالهم، فهذا تهديد لهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ يعني: أن الكفار قالوا: هلا نزل عليه ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعني: علامة لنبوته ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ كما سألك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

بأن الله قادر على أن ينزلها. ويقال: قادر على أن ينزلها، ويقال: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما في نزول الآية، لأنه لو نزلت الآية عليهم فلم يؤمنوا بها لاستوجبوا العذاب.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَتَيْنَاكُمْ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّكَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢٨)

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ فذكر الجناحين للتأكيد، لأنه يقال: طار في الأمر إذا أسرع فيه، فإذا ذكر الجناحين صار تأكيداً له. وقرأ بعضهم ﴿وَلَا طَائِرٌ﴾ بالضم لأن معناه: وما دابة في الأرض ولا طائر، لأن ﴿مِنْ﴾ زيادة، فيكون الطائر عطفاً ورفعاً، وهي قراءة شاذة.

ثم قال: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَتَيْنَاكُمْ﴾ أي في الخلق والموت والبعث تعرف بأسمانهم ﴿مَا قَرَأْنَا﴾ يقول: ما تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مما يحتاج إليه في القرآن ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني: الدواب والطيور ﴿يُحْشَرُونَ﴾ ثم يصيرون تراباً.

وروى جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: «يُحْشَرُ اللهُ تعالى الخلق كلهم يوم القيامة، والبهائم والدواب والطيور وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجناء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً» (١). وعن أبي ذر قال: «انتطحت شانان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر هل تدري فيما انتطختنا؟ قلت: لا قال: «لَكِنَّ اللهُ تَعَالَى يَدْرِي فَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» (٢). وقال بعضهم: هذا على وجه المثل، لأنه لا يجري عليهم القلم، فلا يجوز أن يؤاخذوا به. وقال بعضهم: هذا على سبيل الحقيقة، لأنه يجري عليهم القلم في الأحكام، ولكن فيما بينهم يؤاخذون به.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورًا وَبَنَيْنَا لَهُمْ صُورًا مِثْلَ مَا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ (٢٩) ﴿قُلْ آرَاءَ بَيْتِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٠) ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٣١)

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿صُورًا﴾ عن الخير، فلا يسمعون الهدى ﴿وَبَنَيْنَا لَهُمْ صُورًا﴾ يعني: خرس لا يتكلمون بالخير ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يعني: في الضلالت ﴿مَنْ يَشَاءُ اللهُ يُضِلُّهُ﴾ يعني: يخذله فيموت على الكفر ﴿وَمَنْ يَشَاءُ اللهُ يُعْزِلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني: يستنقذه من الكفر فيوقه للإسلام.

(١) عزاء السيوطي ٢٦٧/٣ إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

(٢) عزاء السيوطي ٢٦٨/٣ إلى ابن جرير.

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الكاف زيادة في بيان الخطاب ﴿إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَرَأَيْتُمْ السَّاعَةَ﴾ يعني: القيامة، ثم رجع إلى عذاب الدنيا فقال: ﴿أَعْيِزَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ أي ليدفع عنكم العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن مع الله آلهة أخرى.

قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قال أهل اللغة: بل للاستدراك والإيجاب بعد النفي، وإنما تستعمل في موضعين: أحدهما: لتدارك الغلط، والثاني: لترك شيء وأخذ شيء آخر. فها هنا بين أنهم لا يدعون غير الله تعالى، وإنما يدعون الله عنهم ليكشف عنهم العذاب.

ثم قال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ وإنما قرن بالاستثناء وبالمشيئة، لأن كشف العذاب فضل الله تعالى، وفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

ثم قال: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا نَشَرْتُمْ﴾ يعني: تتركون دعاء الآلهة عند نزول الشدة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ثم ذكر حال الأمم الماضية لكي يعتبروا، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم على وجه الإصرار ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني: بالخوف والشدة ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ يعني: الزمانة والفقر وسوء الحال والجوع. وقال الزجاج: البأساء: الجوع، والضراء: النقص في الأموال والأنفس ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يعني: لكي يرجعوا إليه ويؤمنوا به. ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ يقول: فهلا إذا جاءهم عذاباً ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي يرجعوا إلى الله ويؤمنوا به حتى يرفع عنهم العذاب يعني: أنهم لو آمنوا لدفع عنهم العذاب، ولكن أصروا على ذلك، فذاك قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: جفت وبيست قلوبهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتهم الأصنام.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُثْلَبُونَ ﴿٤٨﴾ فَطُغِيَ ذَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾﴾

ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: الأمم الخالية حين لم يعتبروا بالشدة ولم يرجعوا: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم والخصب، ويقال: إن الله تعالى يبتلي العوامم بالشدة، فإذا أنعم عليهم يكون استدراجاً. وأما الخواص فيبتليهم بالنعمة والرخاء، فيعرفون ويعذون ذلك بلاء. كما روي في الخبر: «إن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران: إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل: ذنّب عجلت عقوبته» فهؤلاء الذين أرسل عليهم، ابتلاهم الله تعالى بالشدة، فلم يعتبروا فيها ولم يرجعوا، ثم فتح عليهم أبواب كل خير عقوبة لهم لكي يعتبروا.

قال الفقيه: حَدَّثَنَا الخليل بن أحمد قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن أحمد قال: حَدَّثَنَا أبو عبيد قال: حَدَّثَنَا محمد بن حميد عن شهاب بن خراش، عن حرمله، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الله يُغْطِي عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةٍ مِنْهُ يَجِبُ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِزْجَارٌ»<sup>(١)</sup>. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية. وقال الحسن: والله ما أحد من الناس بسط الله له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مُكِّر له فيها إلا كان قد نقص عمله وعجز رأيه. وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه قد خبر له فيها إلا كان قد نقص عمله وعجز رأيه. قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما وعظوا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: أرسلنا عليهم كل خير. ويقال: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الرزق قرأ ابن عامر: ﴿فَتَحْنَا﴾ بالتشديد على المبالغة، والباقون بالتخفيف ﴿حَتَّى إِذَا فَرَّخُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من أنواع الخير فأعجبهم ما هم فيه ﴿أَخَذْنَاهُمْ بِغَنَّةٍ﴾ يعني: أصبناهم بالعذاب فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ يعني: آيسين من كل خير. وقال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة. وقال الفراء: المبلس: المنقطع بالحجة. وقال الزجاج: المبلس: الشديد الحسرة والآيس الحزين. وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فلما فتحنا عليهم أبواب كل شيء، ونسوا ما ذكروا به أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون.

ثم قال عز وجل: ﴿فَقَطَّعَ ذَابِرَ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: قطع أصلهم فلم يبق منهم أحد ﴿وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك أعدائه واستئصالهم، ويقال: الحمد لله الذي ينتقم من أعدائه، ولا ينتقم منه أحد. ويقال: هذا تعليم ليحمدوه سبحانه على إهلاك الظالمين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ لَئِنَّهُ غَيَّرَ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصِرْتُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابَ اللهُ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْمَكُ إِلَّا القَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرُونَ وَمُنذِرُونَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: قل لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلم تسمعوا شيئاً ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ فلم تبصروا شيئاً ﴿وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلم تعقلوا شيئاً ﴿مَنْ لَئِنَّهُ غَيَّرَ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ بِهِ﴾ يعني: هل أحد غير الله يخلقها لكم.

ثم قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصِرْتُ الْآيَاتِ﴾ أي: كيف تبين لهم العلامات فيما ذكر من تخويفهم ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعني: يُعرضون ولا يعتبرون. قرأ نافع: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: بمد الألف

(١) عزاه السيوطي: ٢٧٠/٣ إلى أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ، وابن مردويه والبيهقي في الشعب.



بغير همز. وقرأ الكسائي بغير مد ولا همز. وقرأ الباقر: بالهمز، فهي كلها لغات العرب.

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ يعني: فجأة أو علانية ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: لا يهلك إلا القوم الكافرون.

ثم قال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يعني: ليس لهم أن يقترحوا من أنفسهم، وإنما أرسلهم بتبليغ الرسالة مبشرين بالجنة لمن أطاعه، ومنذرين بالنار لمن عصاه. ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ يعني: صدق بالرسول ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يعني: سلك طريقهم، وأصلح العمل. ويقال: أخلص العمل بعد الإيمان ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني: لا خوف عليهم ﴿من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون﴾ عند الصراط.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا نَسَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعني: يصيبهم العذاب بكفرهم، ولا يعذب أحداً بغير ذنب.

﴿قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِنَّكَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا إِنَّ رَبَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْرُرُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوزِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَقْرُرَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ثم قال: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ يعني: مفاتيح الرزق ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ يعني: متى ينزل العذاب بكم. هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨] ﴿لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيَّ آيَةً مِنْ رَبِّي﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من السماء، إنما أنا بشر مثلكم ﴿إِنْ آتَيْتُ﴾ يعني: ما أتيت ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ من القرآن. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ يعني: الكافر والمؤمن ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثال القرآن ومواعظه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ يعني: خوف القرآن ﴿الَّذِينَ يَخْفَوْنَ﴾ يعني: الذين يعلمون ﴿أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة. وإنما خص بالإنذار الذين يعلمون وإن كان مندرجاً لجميع الخلق، لأن الحجة عليهم وجبت لاعترافهم بالمعاندة، وهم أهل الكتاب كانوا يقرون بالبعث. ويقال: هم المسمومون يعلمون أنهم يبعثون يوم القيامة ويؤمنون به.

﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: يعلمون أنه ليس لهم من دون الله، يعني: من عذاب الله ﴿وَلِيٍّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني: أنذرهم لكي يتقوا المعاصي. ويقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يتقوا ويشتوا على الإسلام، فإنهم إن لم يشتوا ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾



قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت هذه الآية في وفي ستة من أصحاب النبي ﷺ منهم: عبد الله بن مسعود، قالت قريش: تدني هؤلاء السفلة هم الذين يلونك؟ فوقع في قلبه أن يطردهم فنزل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾. وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال: كان رجال يستبقون إلى مجلس النبي ﷺ فيهم بلال وصهيب، فيجيء أشرف من قومه وسادتهم فيجلسون ناحية، فقالوا له: إنا سادات قومك وأشرفهم فلو أدنيتنا لأسلمنا؟ فهم أن يفعل فنزل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية. ويقال: إن أبا جهل وأصحابه احتالوا ليطرد النبي ﷺ أصحابه عن نفسه، فقالوا: إن محمداً يتبعه الموالي والأرادل، فلو طردهم لاتبعناه. فاستعانوا بعمر، فأخبر عمر بذلك رسول الله ﷺ فهم النبي عليه السلام بأن يفعل ذلك، فنزل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعني: يعبدون ربهم ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ يعني: يصلون لله في أول النهار وآخره ﴿يُزِيدُونَ﴾ يعني: يريدون بصلواتهم ﴿وَجِهَ اللَّهُ تَعَالَى مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: ما عليك من عملهم من شيء ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الإثم، ويقال: معناه، فما عليك إن لم يسلموا، فليس عليك من أوزارهم شيء. ويقال: يعني به، الضعفة من المسلمين، فلا تطردهم لأنه ليس عليك من حسابهم من شيء، أي: ليس عليك من أوزارهم شيء لكن أوزاقهم على الله.

ثم قال: ﴿فَنُطْرِدْهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: لو طردتهم من مجلسك فتكون من ﴿الظالمين﴾ أي من الضارين بنفسك. قرأ ابن عامر: ﴿بالغدوة﴾ وقرأ الباقون: ﴿بالغداة﴾ وهما لغتان.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ كَمَا سَلَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الرَّحْمَةَ أَنَّهُمْ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٍ بِمِثْلِهِمْ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

ثم قال ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ يقول: هكذا ابتلينا ﴿بِبَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ﴾ يعني: الشريف بالوضع، والعربي بالمولى، والغني بالفقير ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ فلم يكن الاختبار لأجل أن يقولوا ذلك، ولكن الاختبار كان سبباً لقولهم، وهذا قوله تعالى: ﴿فَالْتَفَتْنَا آلَ فِرْعَوْنَ لِيَتَكَبَّرُوا لَهُمْ عُدُوًّا وَحَرًّا﴾ [النقص: ٨] فلم يأخذوه لأجل ذلك، ولكن كان أخذهم سبباً لذلك، فكانهم أخذوه لأجل ذلك، وكذلك هاهنا كان الاختبار لا لأجل أن يقولوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، لأنهم كانوا يقولون: لو كان خيراً ما سبقونا إليه. ومعناه: ليظهر الذين يقولون: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا.

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ يعني: بالموحدين منكم من غيرهم. قال

الكليبي: فلما نزلت هذه الآية جاء عمر فاعتذر، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: عمر رضي الله عنه ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: قبلتُ توبتكم. ويقال: قبل الله عذرکم. ويقال: المعنى، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: الضعفة من المسلمين، فابتدئ بالسلام، ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ يعني: أوجب الرحمة وقبول التوبة ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ يعني: من ركب معصية وهو جاهل بركوبها، وإن كان يعلم أنها معصية ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهَا﴾ بعد السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: متجاوز للذنوب، ﴿رَحِيمٌ﴾ حين قبل التوبة، ويقال: معناه: من عمل منكم سوءاً ثم تاب يغفر له، فكيف لمن كان قصده الخير، فهو أولى بالرحمة.

وروى سفيان عن مجمع، عن ماهان الحنفي قال: جاء قوم إلى النبي ﷺ قد أصابوا ذنوباً عظيماً، فأعرض عنهم، فنزل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قرأ عاصم وابن عامر ﴿أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ﴾: بنصب الألف. فإنه غفور بالنصب على معنى البناء. و﴿فَإِنَّهُ﴾ بالكسر على معنى الابتداء. وقرأ الباقون: كلاهما بالكسر على معنى الابتداء.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَبِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ﴾ قال القنبي: يعني: نأتي بها متفرقة، شيئاً بعد شيء، ولا نزلها جملة واحدة متصلة. وقيل: ﴿نقص الآيات﴾ يعني: نبين الآيات يعني: القرآن ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: طريق المشركين لماذا لا يؤمنون، لأنهم إذا رأوا الضعفاء يسلمون قبلهم امتنعوا. ويقال: ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ يعني: تعرفهم. قرأ ابن كثير وأبو عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿ولتستبين﴾ بالثاء و﴿سبيل﴾ بالضم، لأن السبيل مؤنث كقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿يوسف: ١٠٨﴾ ومعناه: ليظهر لكم طريق المشركين. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وليتستبين﴾ بالياء و﴿سبيل المجرمين﴾ بالضم لأن السبيل هو الطريق، والطريق يذكر ويؤنث. وقرأ نافع: ﴿ولتستبين﴾ بالثاء و﴿سبيل﴾ بالنصب يعني: لتعرف يا محمد طريق المشركين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، ويقال معناه: قل إنني نهيت عن طرد الضعفاء عن مجلسي، كما نهيت عن عبادة الأصنام. ثم قال: ﴿قُلْ لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ يعني: لا أذهب مذهبتكم. ويقال: لا أتبع هواكم، يعني: لا أرجع إلى دينكم في بغض النفرات ومجانبتهم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ يعني: إن فعلت ذلك

فقد ضللت إذا ﴿﴾ قرأ بعضهم: ﴿ضَلَّيْتُ﴾ بالكسر وهو شاذ يعني: ضللت سبيل الهدى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ يعني: لم أكن على الحق.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا بِيَهُ يُفْصِحُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

ثم قال: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ يعني: على أمر بين. ويقال: على دين من ربي. ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ يعني: بالقرآن. ويقال: بالعداب. وذلك أن النضر بن الحارث قال: إن كان ما نقوله حقاً فأتنا بعداب الله، فنزل: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ﴾ يعني: العذاب ﴿إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني: ما انقضاء في ذلك إلا الله في نزول العذاب ﴿يُفْصِحُ الْحَقُّ﴾ بنزول العذاب. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: ﴿يُقْصِ الْحَقُّ﴾ بالضاد يعني: يبين الحق. ويقال: يأمر بالحق، وقرأ الباقون: ﴿يُقْصِ الْحَقُّ﴾ من القصص، ولكن لا يكتب بالياء، لأن الياء سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين، ويقوم الكسر مقام الياء كقوله تعالى: ﴿سَدَّعَ أَرْبَابَهُ﴾ [العلق: ١٨] فحذفت الواو. وتفسيره: يقضي قضاء الحق، قال ابن عباس رضي الله عنه: «يعني: يقضي بالحق».

ثم قال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾ يعني: الحاكمين وقيل: القاضين. ثم قال: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ﴾ يعني: العذاب ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعني: بعقوبة الظالمين، أي: هو أعلم متى ينزل بهم العذاب.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَعَلَّمَ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ يعني: خزانة الأرض والرزق ونزول العذاب. ويقال: عنده الوصلة إلى علم الغيب ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني: يعلم ما يهلك في بر أو بحر. ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى، وما في البحر من الدواب وقوت ما فيها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّزْقِهِ﴾ يعني: من الشجر ﴿لَا يَعْلَمُهَا﴾ يعلم وقت سقوطها، وموضع مسقطها. وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «ليس أحد من خلق الله أكثر من الملائكة، وليس من شجرة تخرج إلا وملك موكل بها». ويقال: إن الإنسان كالشجرة، وأعضائه كالأغصان، والحركات منه كالأوراق، فهو يعلم حركة بني آدم.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا حَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ يعني: تحت الصخرة التي هي أسفل الأرضين السابعة. ويقال: الحبة التي تحت الأرض التي يخرج منها النبات.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ﴾ يعني: الماء ﴿وَلَا يَابِسٌ﴾ يعني: الحجر، ويقال: ﴿وَلَا

**رطب**: يعني العمران والأمصار والقرى **«ولا يابس»** يعني: الخراب والبادية **«إلا في كتاب مبين»** يعني في اللوح المحفوظ. ويقال: **«ولا رطب ولا يابس»** يعني: لا قليل ولا كثير **«إلا في كتاب مبين»** يعني: في اللوح المحفوظ. ويقال: القرآن قد بين فيه كل شيء، بعضه مفسر، وبعضه يعرف بالاستدلال والاستنباط. وقرأ بعضهم: **«ولا حبة»** **«ولا رطب ولا يابس»** كل ذلك بالضم على معنى الابتداء وهي قراءة شاذة، والقراءة المعروفة بالكسر لأجل: **«من»**.

**«وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾**

قوله تعالى: **«وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ»** يعني: يقبض أرواحكم في منامكم **«وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ»** يعني: ما كسبتم من خير أو شر بالنهار **«ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ»** يعني: يحييكم من النوم في النهار ويرد إليكم أرواحكم **«لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى»** يعني: ليم أجلكم وتأكلون رزقكم إلى آخر العمر. قال بعضهم: إذا نام الإنسان تخرج منه روحه كما روي في الخبر **«الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت بينها ائتلفت وما تناكرت بينها اختلفت»** يعني: الأرواح إذا تعارفت وقعت الألفة بين الأبدان، وإذا لم تتعارف الأرواح تناكرت الأبدان. وقال بعضهم: إن الروح إذا خرجت في المنام من البدن تبقى فيه الحياة، فلهذا تكون فيه الحركة والنفس. وإذا انقضى عمره، خرجت روحه وانقطعت حياته، وصار ميتاً لا يتحرك ولا يتنفس. فإن قيل: لو خرجت روحه، فكيف لا يتوجع لخروجها إذا نام؟ قيل: لأنه يخرج بطيبة نفسه ويعلم أنها تعود، وأما إذا انقطع عمره خرج بالكراهة، فيتوجع به. وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح، ولكن يخرج منه الذهن، وهو الذي يسمى بالفارسية روان. وقال بعضهم: إنما هو ثقل يدخل في نفسه، وهو سبب لراحة البدن وغذائه كقوله: **«وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا»** [النبا: ٤٩] أي: راحة الأبدان، أخذ من السبوت. ويقال: هذا أمر لا يعرف حقيقته أحد إلا الله، وهذا أصح الأقاويل.

قوله تعالى: **«ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ»** يعني: مصيركم في الآخرة **«ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»** من خير أو شر، فيجازيكم بذلك.

**«وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّاكُم رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يَغْرَبُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۗ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾**

قوله تعالى: **«وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ»** يعني: القادر والغالب عليهم **«وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً»** والحفظة جمع الحافظ، مثل الكتبة والكتاب. يعني به: الملائكة الموكلين ببني آدم: ملكين بالليل، وملكين بالنهار، ويكتب أحدهما الخير، والآخر الشر. فإذا مشى يكون أحدهما بين يديه، والآخر خلفه. فإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله. كقوله تعالى:

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَائِدًا مَّا يَلْتَمِسُ مِنْ قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ن: ١٧-١٨] ويقال: لكل إنسان خمسة من الملائكة: اثنان بالليل، واثنان بالنهار، والخامس لا يفارقه بالليل ولا بالنهار.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ يعني: حضر أحدكم الوفاة عند انقضاء أجله ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا﴾ يعني: ملك الموت وأعوانه. قرأ حمزة ﴿توفاه﴾ بلفظ التذكير بالإمالة. وقرأ الباقون: ﴿توفته﴾ بلفظ التأنيث. لأن فعل الجماعة إذا تقدم على الاسم جاز أن يذكر ويؤنث. ﴿وهم لا يفزعون﴾ يعني: لا يؤخرون طرفة عين، ويقال: معه سبعون من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب، فإذا قبض نفساً مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب، ويصعدون بها إلى السماء. وإذا قبض نفساً كافرة دفعها إلى ملائكة العذاب، فيبشرونها بالعذاب، ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم ترد إلى سبعين، وروح المؤمن إلى عليين ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني: يرد أمورهم إلى الله تعالى ﴿إِلَّا لَئِنِ الْخَسْفُ﴾ ﴿الْأَلَا﴾: كلمة التنبيه ومعناه: اعلموا أن الحكم لله يحكم في خلقه ما يشاء، ويقضي بينهم يوم القيامة ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يعني: إذا حاسب فحسابه سريع. ويقال: وهو أحكم الحاكمين، وأعدل القاضين.

﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُمْ نَضْرَعًا وَحَقِيقَةً لَّئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيَلْبِسَكُمْ بُسًا بَعْضٌ أُنظِرُ كَيْفَ تُصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ يعني: من أهوالهما وشدائدهما، والظلمات: كناية عن الأهوال والشدائد ﴿تَدْعُوهُمْ نَضْرَعًا وَحَقِيقَةً﴾ وقال الكلبي: سرأً وعلانية. وقال مقاتل: يعني: في خفض وسكون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿خَفِيفَةً﴾ بكسر الخاء، والباقون بالضم، وهما لغتان وكلاهما واحد ﴿لَئِنِ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ يعني: من غم هذه الأهوال والشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يعني: من الموحدين. ﴿قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا﴾ يعني: من أهوال البر والبحر ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ يعني: ينجيكم من كل كرب. يعني: من كل غم وشدة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ يعني: ترجعون إلى الشرك. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿لَئِنِ أَنْجَيْنَا﴾ بالالف يعني: أنجانا الله تعالى. وقرأ الباقون ﴿لَإِنِ أَنْجَيْنَا﴾ على المخاطبة. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناها واحد. ويقال: أنجى يُنجي ونجى يُنجي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الحصب

بالحجارة كما فُعل بقوم لوط، والغرق كما أرسل على قوم نوح. يعني: إن استكبرتم، وأصرتم، وكذبتم رسلي مثل ما فعل قوم نوح، أو فعلتم مثل ما فعل قوم لوط.

ثم قال: ﴿أَزِ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: يخسف بكم كما خسف بقارون ومن معه، يعني: إن استكبرتم واغتررتُم بالدنيا كما فعل بقارون ومن معه.

ثم قال: ﴿أَزِ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا﴾ أي: يخلطكم يعني: الأهوال المختلفة، كما لبس بني

إسرائيل إن تركتم أمر رسولي، واتبعتم هواكم كما فعل بنو إسرائيل ﴿وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ

بَعْضٍ﴾ يعني يقتل بعضكم بعضاً بالسيف كما فعل بالأمم الخالية، إن فعلتم مثل ما فعلوا. فلما

نزلت هذه الآية قال النبي: ﷺ ﴿يَا جَبْرِيلُ مَا بَقَاءُ أُمَّتِي عَلَى ذَلِكَ؟﴾ قال له جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ

مِثْلَكَ فَادْعُ رَبَّكَ وَسأَلَهُ لَأَمْتِكَ﴾ فقام النبي ﷺ فتوضأ، وأسبغ الوضوء، وصلى فأحسن الصلاة،

ثم دعا فنزل جبريل. فقال: ﴿يَا جَبْرِيلُ مَا بَقَاءُ أُمَّتِي إِذَا كَانَ فِيهِمْ أَهْوَاءُ مُخْتَلِفَةً وَيَذِيقُ بَعْضُهُمْ

بَأْسَ بَعْضٍ؟﴾<sup>(١)</sup> فنزل جبريل بهذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا نَزَّلْنَا بِقَوْلِهِمْ لَأَمْتِكَ﴾

﴿العنكبوت: ٢٠١﴾ الآية وقال النبي ﷺ: ﴿افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ

أُمَّتِي اثْنَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي نَارٍ إِلَّا وَاحِدَةً. قالوا: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟ قال:

﴿أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، وَأَصْحَابِي. وفي خبر آخر. «السُّوَادُ الْأَعْظَمُ»<sup>(٢)</sup>. وروى

عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ فلما نزلت

﴿أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هاتان أهون» ويقال: ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾

يعني: سلطاناً جائراً، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ من سفهانكم يعلون عليكم ﴿أَوْ يَلْبِسْكُمْ شَيْعًا،

ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يعني: تقع العصبية أو الفتنة بين المحلثين أو القرئتين.

ثم قال: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ يعني: نبين الآيات من البلاء والعذاب في القرآن

﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعني: يعقلون ما هم عليه.

﴿وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾

ثم قال: ﴿وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ﴾ يعني: بالقرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن ﴿قُلْ لَسْتُ

عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ يعني: بحفيظ ومسلط. وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ﴾ المستقر:

هو غاية ينتهي إليها. يقال: لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه، وما كان منه

(١) في تفسير القرطبي: ج/ ١١ - ١٢ فنزل جبريل وقال: «يا محمد، إن الله سمع مقالتك وأجارهم من

خصلتين وهو: العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم». وفي الدر المنثور للسيوطي: ٢٨٩/٣.

(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) وابن ماجه (٣٩٩١) والترمذي (٢٦٤٠) وأحمد: ٣٣٢/٢

والحاكم ١/١٢٨.



في الآخرة ﴿نُفُوسٌ﴾ وبدو لكم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك في الدنيا وفي الآخرة، ويقال: معناه: سوف أؤمر بقتالكم إذا جاء وقته ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في ذلك الوقت.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرًا لِمَلَّهْمُ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَاهُمْ أَلْحِيوَةً الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَدِيدُ كُلَّ عَدْلٍ لَأَيُخَذَ بِنَبْئِهِ الَّذِينَ أُبْلِغُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَّاتٍ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يعني: يستهزئون بالقرآن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يعني: قم من عندهم، واترك مجالستهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ يعني: حتى يكون خوضهم واستهزاؤهم في غير القرآن ﴿وَإِنَّمَا يُنْسِيكَ﴾ يقول: إن أنساك ﴿الشيطان﴾ وصية الله تعالى، فجلست معهم فقم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: قم إذا ذكرت، ودع ﴿القوم الظالمين﴾. يعني: المشركين. قرأ ابن عامر: ﴿وَإِنَّمَا يُنْسِيكَ الشيطان﴾ بنصب النون، وتشديد السين. وقرأ الباقون: بالتخفيف والجزم. وهما لغتان: نسيته وأنسيته.

ثم قال: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يعني: الشرك والاستهزاء ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ يعني: من آثامهم ﴿مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرًا﴾ يعني: ذكروهم بالقرآن إذا فعلوا ذلك ﴿لِمَلَّهْمُ يَتَّقُونَ﴾ يعني: لكي يتقوا الاستهزاء. قال الكلبي: وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله: لئن كنا كلما استهزؤوا بالقرآن، قمنا من عندهم، لا نستطيع أن نجلس في المسجد الحرام، فنزل ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ قال الضحاك: يعني: كفار قريش نصبوا أصنامهم في المسجد الحرام، وقرطوها بالأقراط، وعلقوا بيض النعام في أعناقها. فنزل ﴿وذري الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ وقال الكلبي: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه لله تعالى، وكل قوم اتخذوا دينهم يعني: عيدهم لهواً ولعباً إلا هذه الأمة، فإنهم اتخذوا عيدهم صلاة لله، وحضناً بالصدقة، وهي الجمعة والفطر والأضحى. وقال مقاتل: اتخذوا دينهم الإسلام لعباً يعني: باطلاً ولهواً عنه.

ثم قال: ﴿وَعَرَّهْتُمْ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ﴾ يعني: عظَّ وَخَوْفٌ بالقرآن ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ﴾ يعني: لكي لا تهلك نفس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: بما عملت. ويقال: ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ﴾ يعني: أن تسلم نفس بذنوبها إلى النار وهذا قول الضحاك. وقال الأخفش: أن ترهن نفس بما عملت.



ويقال: تحبس. وقال القتيبي: أن تسلم إلى الهلكة. ويقال: تخذل ولا تنصر.

ثم قال: **﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾** يعني: إذا وقع في العذاب، لم يكن لها مانع يمنعها من العذاب **﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾** يشفع لها **﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ بِهَا﴾** يقول: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها، أو يفتدي بما في الأرض جميعاً **﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾** يعني: لا يقبل منها **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾** يعني: أهلكوا. ويقال: أبسلوا بذنوبهم إلى النار **﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾** يعني: ماء حار قد انتهى حره **﴿وَعَذَابُ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾** في الدنيا.

**﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلَّ لِسَانًا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُدَىٰ وَأَمْرًا يُنْسِلِمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾** قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة عذبوا نقرأ من المسلمين، وراودوهم على الكفر. قال الله تعالى للمسلمين: قولوا لهم **﴿أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** يعني: الأوثان **﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾** في الآخرة **﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾** في الدنيا **﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾** يعني: نعود ونرجع إلى الشرك **﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ﴾** إلى الإسلام **﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾** فإن مثلنا إن اتبعناكم كمثل الذي **﴿استهوته الشياطين﴾** يعني: كمثل رجل كان مع قوم، فضل الطريق، فحيره الشيطان **﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ﴾** يعني: إلى الطريق أن **﴿اتَّبَعْنَا﴾** فإننا على الطريق، فأبى أن ياتيه. فذلك مثلنا إن تركنا دين محمد عليه السلام. وقال مجاهد: هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يقول: الكافر حيران يدعو المسلم إلى الهدى فلا يجيب الكافر. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: «نزلت الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر، كان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام، فأبى أن ياتيهما وهو يدعوهما إلى الشرك، فضرب الله تعالى له المثل بالذي استهوته الشياطين» يعني: أضلته.

**﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُدَىٰ﴾** يعني: دين الله هو الإسلام **﴿وَأَمْرًا يُنْسِلِمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** يعني: لنخلص بالعبادة والتوحيد لله تعالى. قرأ حمزة **﴿استهواه﴾** بلفظ التذكير بالإمالة. وقرأ الباقون **﴿استهوته﴾** بلفظ التأنيث، لأن فعل الجماعة مقدم، فيجوز أن يذكر ويؤنث كقوله: **﴿وَقَفَّنتَهُ رُسُلَنَا﴾** [الأنعام: ٦١].

**﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾** وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأُصُورُ عَنِ الْعَالَمِينَ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْمَكِيدُ الْحَكِيمُ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: **﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾** يعني: وأمرنا بالهدى والعمل: يعني: أقيموا الصلاة

﴿وَاتَّقُوهُ﴾ يعني: وخدوه. ويقال: أطيعوه ويقال: هذا عطف على قوله: ﴿وله أصحاب يدعونه إلى الهدى﴾ وإلى إقامة الصلاة. ويقال: معناه، أمرنا بالإسلام، وإقامة الصلاة.

ثم خوفهم فقال: ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ فيجازيكم بأعمالكم. ثم دل على نفسه بصنعه ليؤخده فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: للحق وللعبارة ﴿ويَوْمَ يَقُولُ﴾ اليوم صار نصباً، لأن معناه: واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً. ويقال: معناه واذكروا يوم يقول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ يعني: يوم البعث يقول: انتشروا في الأرض فانتشروا كلهم من القبور كقوله: ﴿يخرجون من الأجداث﴾ يعني: من القبور ﴿كَانَتْ جَزْأً مَّفْزُورًا﴾ [الفر: ٧]. ثم قال: ﴿تَوَلَّوْهُ الْحَقُّ﴾ قرأ ابن عامر ﴿فيكون﴾ بالنصب على معنى الجزاء في كل القرآن، إلا في موضعين: هاهنا، وفي آل عمران. وقرأ الباقون: بالرفع على معنى الخبر و﴿قوله﴾: رفع الابتداء وخبره: الحق، يعني: قوله الصدق أنه كان.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ اليوم صار نصباً لنزع الخافض. ومعناه: وله الملك في يوم ينفخ في الصور وهذا كقوله عز وجل: ﴿لَمِنَ الْأَمْثَلِ يَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وكقوله: ﴿مَنَّاكَ يَوْمَ الْزَبْتِ﴾ [الفاتحة: ٤] ويقال: هذا مبين لقوله الأول، ومعناه: يوم يقول ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه: يوم يُنْفَخُ الأرواح في الصور. يعني: في الأجسام. وهذا خلاف أقاويل جميع المفسرين، لأنهم كلهم قالوا: هو نفخ إسرائيل في الصور. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ أَنْعَمَهُ» وفي خبر آخر «وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ أَنْعَمَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفَخُ فِيهِ» (١).

ثم قال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن العباد، ﴿والشهادة﴾: ما علم العباد به، ويقال: السر والعلانية. ويقال ﴿عالم﴾ بما يكون وبما قد كان. ويقال: ﴿عالم﴾ بأمر الآخرة وبأمر الدنيا ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ يعني: ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بأفعال الخلق وبأمر البعث.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه مَا زَرَّكَ أَنْتَ تَتَّخِذُ أَسْمَاءَ الْهَيْلَةِ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه آزر﴾ وكان اسم أبيه نازح بن ناخور بلغة قومه، وبلغة غيرهم كان آزر. وقال السدي: كان اسم أبيه آزر، وهكذا قال الكلبي. وقال بعضهم: لم يكن آزر اسم أبيه، ولكن كان اسم أكبر أصنامهم. فقال أبوه لإبراهيم: ربي آزر، فقال إبراهيم على وجه التعجب: آزر. ﴿اتَّخِذْ أَسْمَاءَ الْهَيْلَةِ﴾ وقال مجاهد: آزر ليس اسم أبيه، وإنما هو اسم

(١) حديث أبي سعيد أخرجه الترمذي (٢٤٣١) و(٣٢٤٣) وهو حديث حسن. وأحمد ٧/٣، ٧٣.

صنم. وقال الضحاك عن ابن عباس: «إن في هذه الآية تقديمًا فكأنه قال: أنتخذ آزر أصناماً آلهة يعني: أنتخذ الصنم إلهاً». ويقال: آزر بلغتهم المخطيء الضال. ومعناه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ يا آزر المخطيء الضال أنتخذ أصناماً آلهة. وقرأ الحسن ويعقوب الحضرمي: ﴿آزر﴾ بالضم، ويكون معناه: وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا آزر. والقراءة المعروفة بالنصب، لأنه على ميزان أفعال فلا ينصرف فصار نصباً، في موضع الخفض، ولأنه اسم أعجمي فلا ينصرف. ثم قال: ﴿إِنِّي آزَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: في خطأ وجهل بين بعبادتكم الأصنام.

ثم قال ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ والملكوت والمعنى واحد، إلا أن الملكوت أبلغ في الوصف مثل: زَهَبُوتٌ وَزَحْمُوتٌ كما يقال في المثل: الزَهَبُوتُ خير من الزَحْمُوتُ يعني: أن تُرهب خير من أن تُرحم. يعني: أن إبراهيم لما برىء من دين أبيه آزر أراه الله ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: عجائب السموات والأرض ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ يعني: لكي يكون من الموقنين. والواو زيادة كقولهِ: ﴿وَلَنَحْوِلَ حَكْمَكُمُ﴾ [المنكيات: ١٢] يعني: لكي نحمل، وكذلك هاهنا ﴿ليكون من الموقنين﴾ يعني: حتى يثبت على اليقين. قال بعضهم: صارت فرجة في السماء حتى رأى إلى سبع سماوات، وصارت فرجة في الأرض حتى رأى إلى تحت الصخرة. ويقال: حين عرج به إلى السماء، فنظر إلى عجائب السموات. وروي عن عطاء أنه قال: لما رفع إبراهيم في ملكوت السموات، أشرف على عبد يزني فدعا عليه، فهلك. ثم أشرف على آخر يزني فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر فأراد أن يدعو عليه، فقال له ربه عز وجل: على رسلك يا إبراهيم، فإنك مستجاب لك، أَكْفَفُ دعوتك عن عبادي، فإن عبيدي عندي على ثلاث خلال: إما أن يتوب فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه، أي أنا قادر عليه.

وروي عن سلمان الفارسي أنه قال: «لما رأى إبراهيم ملكوت السموات، رأى عبداً على فاحشة، فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخر على فاحشة فدعا عليه فهلك، فقال الله تعالى: أنزلوا عبيدي كي لا يهلك عبادي. ويقال: إنه كان يقول: أنا أرحم الخلق، فلما رأى المعصية فدعا عليهم، قال الله تعالى: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط لعلمهم يرجعون».

ويقال إن نمرود بن كنعان قالت له كهنته: يولد في هذه السنة غلام ينازعك في ملكك، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة. ويقال: رأى في المنام أن كيشاً دخل عليه، فنطح سريره بقرنيه، فسأل المعبرين فأخبروه، أنه يولد غلام ينازعك في ملكك، فأمر بذبح كل غلام يولد. فحملت أم إبراهيم بإبراهيم، ولم يتبين حملها، ولم يعرف أحد أنها حامل، حتى أخذها الطلق، فخرجت إلى جبل من الجبال، ودخلت في غار، فولدت إبراهيم عليه السلام. وخرجت

ووضعت صخرة على باب الغار، فجاءه جبريل عليه السلام ووضع إبهامه في فمه، وكان يمصه ويخرج منه اللبن، وكان يجعل سبأته في فمه فيمصها ويخرج منها العسل، حتى كبر وأدرك في أيام قليلة. ويقال: إن أمه كانت تختلف إليه وترضعه، حتى أرضعته سنتين، وتحمل إليه الطعام حتى أدرك في المدة التي يدرك فيها الصبيان، فخرج من الغار، فنظر إلى السماء وإلى الأرض وإلى الجبال، فنتفكر في نفسه ثم قال: إن لهذه الأشياء خالقاً خلقها، والذي خلق هذه الأشياء هو الذي خلقني، فذلك قوله ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ فكان في ذلك التفكير إذا نظر إلى نجم مضيء وهو المشتري، فرأه أضوا الكواكب. وقد علم أن الله تعالى أعلى الأشياء ولا يشبهه شيء من خلقه، ورأى الكواكب أعلى الأشياء أحسنها فقال: ﴿هذا ربي﴾ وقال ذلك بغير فكره، فكان ذلك منه زلة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِرَ إِلَيَّ بِرَيْءٍ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِي وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ وقال: هذا بغير فكره، فكان ذلك منه زلة. ويقال: إنما قال ذلك على طريق الاستفهام أهذا ربي؟ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ يعني: غاب الكوكب ﴿قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ يعني: لا أحب ربنا بتغير عن حاله ويزول ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ يعني: طالعا. ويقال: كان ذلك في وقت السحر، وكان ذلك في آخر الشهر. فرأى كوكبا يعني: الزهرة حين طلعت، وكان من أضوا الكواكب. فلما ارتفع وطلع الفجر، نقص ضوءه ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ يعني: لا أحب ربنا بتغير.

﴿فلما رأى القمر﴾ ورأى ضوءه أكثر من ضوء الكوكب ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الاستفهام ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ يعني: نقص ضوءه حين أسفر الصبح ﴿قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ يعني: لئن لم يحفظ ربي قلبي، لقد كنت اتخذت إلهاً ما لم يكن إلهاً ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً﴾ يعني: طالعة قد ملأت كل شيء، ضوءاً ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ يعني: أعظم وأكمل ضوءاً وأكثر نوراً ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ يعني: غربت. علم أنه ليس بإله. فجاءته أمه فقال لها: من ربي؟ قالت: أنا. قال: ومن ربك؟ قالت: أبوك. قال: ومن رب أبي؟ قالت: نمرود بن كنعان. قال: ومن ربه؟ قالت له: اسكت. فقال لها: كيف هو؟ هل يأكل ويشرب وينام؟ قالت: نعم. قال: هذا لا يصلح أن يكون رباً وإلهاً. فرجعت الأم إلى أب إبراهيم فأخبرته بالقصة، فخرج إليه فسأله مثل ذلك، ثم قال له في آخره: تعال حتى نعبد الذي خلقني

وخلقك وخلق نمرود. فغضب أبوه، فرجع عنه، ثم دخلت عليه رافة الوالد لولده، فرجع إليه وقال له: ادخل المِضر لتكون معنا. فدخل فرأى القوم يعبدون الأصنام، فدعوه إلى عبادة الأصنام فـ **﴿قَالَ﴾** لهم حيثئذ: **﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾** فقيل له من تعبد أنت يا إبراهيم؟ فقال أعبد الله الذي خلقتني وخلق السموات والأرض. فذلك قوله تعالى: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾** يعني: أخلصت ديني وعملي **﴿لِلذِّبِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ﴾** يعني: خلق السموات **﴿وَالْأَرْضِ حَنِيفًا﴾** يقول: إنني وجهت وجهي له مخلصاً مستقيماً **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** على دينكم. ويقال: إن قوله **﴿هَذَا رَبِّي﴾** قال ذلك لقومه على جهة الاستهزاء بهم. كما قال: **﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا﴾** [الأنبياء: 63] ويقال: أراد بهذا أن يستدرجهم فيظهر قبح قولهم وفعلهم، وخطأ مذهبهم وجهلهم، لأنهم كانوا يعبدون النجوم والشمس والقمر. فلما رأى الكوكب قال لهم: **﴿هَذَا رَبِّي﴾**. وأظهر لهم أنه يعبد ما يعبدون، فلما غاب الكوكب قال لهم: **﴿لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ﴾** فأخبرهم بأن الآفل لا يصلح أن يكون إلهاً. ثم قال في الشمس والقمر هكذا، كما روي عن عيسى عليه السلام أنه بعث رسولاً إلى ملك أرض الروم، فلما انتهى إليهم، جعل يسجد ويصلي عند الصنم ويربهم أنه يعبد الصنم، وهو يريد عبادة الله تعالى. ثم إن الملك ظهر له عدو، فقالوا لهذا الرسول: أشر علينا بشيء في هذا الأمر. فقال لهم: نشفع إلى هذا الذي تعبدونه، فجعلوا يسجدون له ويتشفعون إليه، فلا يسمعون منه جواباً. فقالوا: إنه لا ينفعنا شيئاً. قال لهم: لم نعبد من لا يدفع عنا ضرراً؟ ارجعوا حتى نعبد من يتفنعنا. فقالوا له: لمن نعبد؟ قال: لرب السماء. فجعل يدعو ويدعون حتى فرج الله عنهم، فأمن به بعضهم. وكذلك هاهنا أراد إبراهيم أن يريهم قبح ما يعبدون من دون الله، لعلهم يرجعون، فلما لم يرجعوا قال **﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾** قرأ حمزة والكسائي **﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾** بكسر الراء والألف، وهي لغة لبعض العرب، والنصب أفصح.

**﴿وَسَاجِدٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** (٨٧) **﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٨٨) **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** (٨٩) **﴿وَنِلَّكَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا إِذْ رَمَيْتَ عَلَنَ قَوْمِيءَ عَلَنَ قَوْمِيءَ رَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنْ رَبَّنَاكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾** (٩٠)

قوله تعالى: **﴿وَسَاجِدٌ قَوْمُهُ﴾** معناه: وحاجه قومه في الله ويقال: وحاجه قومه في دين الله، يعني: خاسموه فـ **﴿قَالَ﴾** لهم إبراهيم **﴿أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ﴾** يعني: أنا خصموني في دين الله **﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾** لدينه. قرأ نافع وابن عامر **﴿أَتُحِبُّونِي﴾** بتشديد الجيم وتخفيف النون. وقرأ الباقون

بشديد النون. لأن أصله: أتجاجونني بنونين، فأدغم أحدهما في الآخر. فقال: ﴿أتجاجونني﴾ يعني: أتجادلونني في دين الله ﴿وقد هداني﴾ يعني: بين لي الطريق. وكانت خصومتهم أنهم حين سمعوه عاب آلهتهم فقالوا له: أما تخاف أن نُخيلك آلهتنا فتهلك؟ فقال لهم، قوله تعالى: ﴿ولا أخاف ما تشركون﴾ إني لا أخاف ما لا يسمع ولا يبصر. وقال الكلبي ومقاتل: لما خوّفوه بذلك قال لهم: إنما تخافون أنتم إذ سويتم بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير، أما تخافون من الكبير إذ سويتموه بالصغير؟ فذلك قوله تعالى: ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إلا أن يشاء ربّي شيئاً﴾ فأخاف منهم. ويقال: ﴿إلا أن يشاء ربّي شيئاً﴾ يعني: أن الله تعالى لا يشاء أن أخافهم.

ثم قال: ﴿وسع ربّي كلّ شيء علماً﴾ يعني: ملاً علم ربّي كل شيء علماً، يعني: يعلم السر والعلانية. ﴿أفلا تتذكرون﴾ يعني: أفلا تتعظون فتؤمنون به؟

قوله تعالى: ﴿وكيف أخاف ما أشركنكم﴾ يعني: من الأصنام ﴿ولا تخافون أنّكم أشركنكم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ يقول: كتاباً وهدى وحجة لكم فيه ﴿فأنيّ الفريقين أحقّ بالأمن﴾ من العذاب، الموحد أم المشرك؟ ﴿إن كُنتم تعلمون﴾ ذلك، أنا أعبدُ إلهاً واحداً وأنتم تعبدون آلهة شتى.

ثم قال: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال بعضهم: هذا قول الله تعالى لما حكى قول إبراهيم للنبي ﷺ قال له على أثر ذلك ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ يعني: لم يخالطوا تصديقهم بالشرك ولم يعبدوا غيره. ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾ من الضلالة. وقال بعضهم: هذا كله قول إبراهيم لقومه. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿من ابتلي فصبّر، وأعطى فشكر، وظلم فاستغفر وظلم فغفر﴾. قيل له: ما لهم يا رسول الله؟ قال: ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾.

قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا الماسرجسي. قال: حدّثنا أبو كرب. قال: حدّثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود. قال: ﴿لما نزلت هذه الآية ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ألا ترون إلى قول لقمان لابنه ﴿إنيّ أتركُك أظلمُ عظيم﴾﴾ [لقمان: ١٣] يعني: إن الظلم هنا أراد به الشرك.

ثم قال تعالى: ﴿وتلك حجبتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ يعني: أعطيناها إبراهيم على قومه، يعني: وفتناه للحجة فخاصم بها قومه ﴿ترفع درجات من نشاء﴾ يعني: ترفع فضائل من نشاء في الدنيا بالحجة، وفي الآخرة بالدرجات ﴿إنّ ربك حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه من يصلح للنبوة. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي ﴿درجات﴾ بالتنوين وقرأ الباقون ﴿درجات﴾ على معنى الإضافة.



﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ وَيْحَ وَيْحَ وَإِبْرَاهِيمَ كُلًّا مِّن الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَاسْتَجَبْنَا لِوَيْسُوعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٩﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِرِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمُ آفَتُهُ قُل لَّا آتَاكُم عَلَيْهِمْ آجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يعني: لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قال الضحاك: ولدت سارة إسحاق ولها تسعة وتسعون سنة. ولإبراهيم مائة وعشرون سنة، ثم ولد لإسحاق يعقوب ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ يعني: إسحاق ويعقوب هديناهما بالنبوة والإسلام ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعني: هديناه للنبوة والإسلام من قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ قال الكلبي: يعني من ذرية نوح. وقال الضحاك: يعني من ذرية إبراهيم ﴿دَاوُدَ﴾ النبي عليه السلام ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾ وهو ابن داود ﴿وَأَيُّوبَ﴾ وهو من ولد عيصو بن إسحاق عليهما السلام ﴿وَيُوسُفَ﴾ وهو ابن يعقوب عليهما السلام ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني: نوفيهم أفضل الثواب ﴿وَزَكَرْنَا﴾ يعني: من ذرية إبراهيم زكريا عليهما السلام ﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عليهم السلام قال الضحاك: كان إيلياس من ولد إسماعيل. وذكر عن القتبي: أنه كان من سبط يوشع بن نون ﴿كُلُّ مِّن الصَّالِحِينَ﴾ يعني: من المرسلين.

ثم قال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ وهو من صلب إبراهيم عليهما السلام ﴿وَالْيَسَعَ﴾ وكان اليسع تلميذ إيلياس وكان سليفته من بعده قرأ حمزة والكسائي بلامين ﴿وَالْيَسَعَ﴾ مشدداً وسكون الباء. وقرأ الباقون ﴿وَالْيَسَعَ﴾ بالتخفيف بلام واحدة. فمن قرأ بالتشديد: فالاسم منه يسع، ثم أدخلت الألف واللام للتعريف، فصار اليسع. ومن قرأ بالتخفيف: فالاسم منه يسع، ثم أدخلت الألف واللام للتعريف فصار اليسع، وكذا هذا الاختلاف في سورة ﴿ص﴾.

ثم قال: ﴿وَيُوشَعَ﴾ عليه السلام وهو ابن متى ﴿وَلُوطًا﴾ عليه السلام ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالرسالة والنبوة في زمانهم.

ثم ذكر آباءهم فقال: ﴿وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ يعني: واصطفيناها بالنبوة يعني: آدم ونوحاً وإدريس وهوداً وصالحاً عليهم السلام ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو دين الإسلام ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ يعني: دين الإسلام ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني:



يكرم بدينه من يشاء من عباده ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ يعني: هؤلاء النبيين ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا يعني: إنما فضلهم الله بالطاعة.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ يعني: العلم والفهم والفقه ﴿وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: الأنبياء ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ يعني: ألزمتنا بها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

قال سعيد بن جبیر: هم الأنصار، ويقال ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ يعني: بآياتنا ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ يعني: بالإيمان بها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ يعني: الأنبياء الذين سبق ذكرهم، ويقال: الملائكة. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أمة محمد عليه السلام ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ يعني: النبيين الذين قض الله تعالى عنهم.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾: الأنبياء عليهم السلام ﴿فَبَهَدَاهُمْ﴾ يعني: بستهم وبتوحيدهم ﴿اقتدهم﴾ على دينهم واستقم واعمل به. وفي هذه الآية دليل أن شرائع المتقدمين واجبة علينا ما لم يظهر نسخها إذا ثبت ذلك في الكتاب، أو ظهر على لسان الرسول ﷺ لأن الله تعالى أمرنا بأن نفتدي بهداهم، واسم الهدى يقع على التوحيد والشرايع، مثل: ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لِيُنْفِقُوا﴾ [البقرة: 177] والكتاب يستعمل على الشرائع وغيرها. قرأ حمزة والكسائي: ﴿فَبَهَدَاهُمْ اِقْتَدَهُم﴾ بالهاء عند الوقف وبغير الهاء عند الوصل، لأنّ الهاء دخلت فيه عند الوقف لتبيين الكسرة في الدال، وعند الرصل تبيين، فلا يحتاج إلى إدخالها. وقرأ ابن عامر بغير الهاء في الوقف والوصل جميعاً وقرأ الباقون: بالهاء في الوصل والوقف جميعاً لأنها هاء الوقف. مثل قوله: ﴿كِتَابِيَّةٌ﴾ و﴿حَسَابِيَّةٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني: قل للمشركين لا أسألكم على الإيمان والقرآن جعلاً ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني: ما هو، وهو القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني: موعظة للعالمين: الإنس والجن.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُمُ رَاقِطِينَ يُدْوَنَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَن تَكُونَ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يعني: ما عظموا الله حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته. نزلت في مالك بن الضيف، خاصمه عمر في النبي ﷺ أنه مكتوب في التوراة، فغضب وقال: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ وكان رئيس اليهود، فعزلته اليهود عن الرئاسة بهذه الكلمة. قال مقاتل: نزلت هذه الآية بالمدينة، وسائر السور بمكة، ويقال: إن هذه السورة كلها مكية. وكان مالك بن الضيف خرج مع نفر إلى مكة معاندين ليسألوا النبي ﷺ عن أشياء، وقد

كان اشتغل بالتنعم، وترك العبادة وسمن، فأتى رسول الله ﷺ ذات يوم بمكة، فقال له رسول الله ﷺ: «أَتَشُدُّكَ اللهُ أَنْجِدَ فِي التُّورَةِ أَنْ اللهُ يُبَغِّضُ الْحَبْرَ السَّمِينِ؟» قال: نَعَمْ قال: «فَأَتَتْ الْحَبْرَ السَّمِينُ فَقَدْ سَبَّحَتْ مِنْ مَأْكَلَتِكَ» فضحك القوم، فحجل مالك بن الضيف وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فبلغ ذلك اليهود فأنكروا عليه، فقال: إنه قد أغضبني، فقالوا له: كلما غضبت قلت بغير حق وتركت دينك؟ فأخذوا الرياسة منه وجعلوها إلى كعب بن الأشرف<sup>(١)</sup> فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ حيث جحدوا تنزيله ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: على رسول من كتاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ وهو التوراة ﴿نُورًا﴾ يعني: ضياء ﴿وَهُدًى﴾ يعني: بياناً ﴿لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة ﴿جَعَلُونَهُ قُرْآنِينَ﴾ يقول: تكتبونه في الصحف ﴿نُبِّدُونَهَا﴾ يقول: تظهرونها في الصحف ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يعني: تكتُمون ما فيه صفة محمد ﷺ ونعته، وآية الرجم، وتحريم الخمر. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ يعني: علمتم أنتم وآباؤكم في التوراة ما لم تعلموا. ويقال: ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم، فإن أجابوك وإلا ف ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله على موسى ﴿ثُمَّ ذَرَاهُمْ﴾ إن لم يصدقوك ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ يعني: في باطلهم ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعني: يلهون ويهزؤون ويفترون. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يَجْعَلُونَهُ قُرْآنِينَ﴾ يعني: يلهون ويهزؤون ويفترون. قرأ المغايبه. وقرأ الباقون: بالهاء على معنى المخاطبة، لأن ابتداء الكلام على المخاطبة.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن أنزلناه على محمد ﷺ ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: لمن عمل به، لأن فيه مغفرة للذنوب. وقال الضحاك ﴿مُبَارَكٌ﴾ يعني: القرآن لا يتلى على ذي عاهة إلا يرى، ولا يتلى في بيت إلا خرج منه الشيطان. ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: هو مصدق الذي بين يديه من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالياء يعني: الكتاب، يعني: أنزلناه للإنذار والبركة. وقرأ الباقون: بالهاء يعني: لتنذر به يا محمد ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ يعني: أهل مكة، وهي أصل القرى. وإنما سميت أم القرى: لأن الأرض كلها دُجِيت من تحت الكعبة. ويقال: لأنها مثلت قبلة للناس جميعاً، أي: يؤمنونها. ويقال: سميت أم القرى لأنها أعظم القرى شأنًا ومنزلة. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعني: قرى الأرض كلها.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني: بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ومن هو في

(١) عزاه السيوطي: ٣/٣١٤ إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

علم الله أنه سيؤمن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بوضوئها وركوعها وسجودها ومواقيتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَلَائِكَةُ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ آلِهَتِهِمْ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾  
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكَبْتُمْ مَا كَفَرْنَاكُمْ دَرَاةً ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ نزلت في مسيلمة الكذاب، زعم أن الله تعالى أوحى إليه، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: عبد الله بن أبي سرح، كان كاتب الوحي، فكان النبي ﷺ إذا أملى عليه ﴿سَمِعًا عَلِيمًا﴾ يكتب عليمًا حكيمًا، وإذا أملى عليه عليمًا حكيمًا، كتب هو سميعًا بصيرًا وشك وقال: إن كان محمد ﷺ يوحى إليه فقد أوحى إلي، وإن كان ينزل إليه فقد أنزل إلي مثل ما أنزل إليه، فلحق بالمشركين وكفر. وقال الضحاك: هو مسيلمة الكذاب، كان يقول: بعث محمد ﷺ إلى جسيم الأمور، وبعثت إلى محقرات الأمور. ويقال هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَنُفَسِّئَنَّ مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿الأنعام: ٣١﴾.

ثم قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: ولو تعلم إذ الكافرون ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي: في نزعات الموت وسكراته. فحذف الجواب، لأن في الكلام دليلًا عليه، ومعناه: لو رأيتهم لرأيتهم في عذاب شديد.

ثم قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب. ويقولون: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ يعني: أرواحكم الخبيثة.

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر. قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حسين. قال: حدثنا محمد بن سلمة. قال: حدثنا أبو أيوب عن القاسم بن الفضل الحراني عن قتادة، عن أسامة بن زهير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتَضَرَ أَنَّهُ الْمَلَائِكَةُ بِخَيْرِةٍ فِيهَا مِسْكَ، وَمِنْ ضَبَائِرِ الرِّيحَانِ، وَتَسَلُّ رُوحَهُ كَمَا تَسَلُّ الشُّمْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ، وَيَقَالُ لَهَا: يَا ابْنَتُ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْخُرْجِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً وَمَرْضِيًّا عَنْكَ إِلَى رُوحِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحَهُ وَضَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْمِسْكِ وَالرِّيحَانِ، وَطُوِيَتْ عَلَيْهِ الْحَرِيرَةُ، وَبُعِثَ بِهَا إِلَى الْعَلِيِّينَ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ أَنَّهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَسْخٍ فِيهِ جَمْرَةٌ، فَتُنْتَزَعُ رُوحَهُ انْتِزَاعًا شَدِيدًا وَيَقَالُ لَهَا: ابْنَتُ النَّفْسِ الْخَبِيثَةِ الْخُرْجِي سَاجِدَةٌ وَمَسْخُوطَةٌ عَلَيْكَ إِلَى هَوَانِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحَهُ وَضَعَتْ عَلَى تِلْكَ الْجَمْرَةِ وَإِنَّ لَهَا تَشِيحًا وَيَطْوَى عَلَيْهَا الْمَسْخُ، وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى سَجِينٍ.»

ثم قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَجْزِيكُمْ﴾ يعني: إذا بعثوا يوم القيامة يقال لهم: اليوم تجزون ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ يعني: الهوان ويقال: الشديد ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في الدنيا ﴿غَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن معه شريكاً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني: عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن، ولم تقروا به.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ يعني: في الآخرة ﴿فِرَادَى﴾ لا ولد لكم ولا مال. الفرادى: جمع فرد، يعني: ليس معكم من دنياكم شيء. ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: في الدنيا حين ولدتم ﴿وَتَرْكُنتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ يعني: أعطيناكم من المال والولد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا. ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ يعني: ألهتكم ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني: قلتم لي شركاء، ولكم شفعا عند الله تعالى.

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب وقرأ الباقون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالضم. فمن قرأ بالضم، جعل البين اسماً، يعني: تقطع واصلتكم ومودتكم. ومن قرأ بالنصب فمعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم، فيصير نصباً بالظرف كما تقول: أصبحت بينكم، أي فيما بينكم. ﴿وَوَضَّلْ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يعني: اشتغل عنكم ما كنتم تعبدون وترغمون أنها شفعاؤكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْمَتَى مِنَ النَّوَى وَمُخْرِجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ الْغَيْبِ وَتُؤَفِّكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ يعني: يشق الحبة اليابسة، فيخرج منها ورقاً أخضر. ويقال: ﴿فالق الحب﴾ مثل البر والشعير والذرة والحبوب كلها، ﴿والنوى﴾: كل ثمرة فيها نوى مثل الخوخ والشمش والقبيراء والإجاص ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، وقد ذكرنا تأويله ﴿ذَلِكَ اللَّهُ﴾ ربكم يعني: هذا الذي يفعل بكم هو الله تعالى وهو الذي يفعل هذه الأشياء ﴿فَأَلَى تُوَفَّقُونَ﴾ يعني: كيف تكفرون، ومن أين تكذبون؟ فذكر عيب ألهتهم.

ثم دلّ على وحدانيته بصنعه قال: ﴿فالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ يعني: خالق الإصباح، الإصباح والصبح واحد ويقال: الإصباح مصدر أصبح يُضْبِحُ إصباحاً، والصبح اسم ويقال: ﴿فالق الإصباح﴾ يعني: خالق النهار. ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ قرأ أهل الكوفة حمزة والكسائي وعاصم ﴿وجعل الليل﴾ على معنى الخبر، وقرأ الباقون ﴿جاعل الليل﴾ على معنى الإضافة ﴿سكناً﴾ يعني: يسكن فيه الخلق.

ثم قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ يعني: وجعل الشمس والقمر ﴿حسباناً﴾ يعني: منازلهما بالحساب، لا يجاوزانه إذا انتهيا إلى أقصى منازلهما رجعا، وهذا قول الكلبي. وقال

مقاتل **﴿حساباً﴾** يعني: يُعرف بهما عدد السنين والحساب. وقال القتيبي: **﴿حساباً﴾** أي حساباً، يقال: خذ كل شيء بحسابه أي: بحسابه. وقال الكلبي: ويقال للشيء المعلق: حساباً. **﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** يقال: هذا فعل **﴿العزیز﴾** في ملكه، **﴿العلیم﴾** بخلقه، لا فعل لأصنامكم فيه.

**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَمْلِكُونَ﴾** (٩٧) **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾** (٩٨)

ثم قال: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾** يعني: لتعرفوا بها الطريق. **﴿في ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾** يعني: لتَهْتَدُوا بالكواكب في الليالي وتعرفوا بها قبلكم. **﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ﴾** يعني: بينا العلامات لوحداية الله تعالى. **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** وإنما أضاف إلى أهل العلم، لأنهم هم الذين ينتفعون به، فكانه بين لهم. ويقال: **﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** يعني: يصدقون أنه من الله تعالى.

ثم قال: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾** يعني: خلقكم **﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** وهو آدم. **﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾** يعني: **﴿مُسْتَقَرٌّ﴾** في الرحم، **﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾** في الصلب. ويقال: **﴿مُسْتَقَرٌّ﴾** في الصلب، **﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾** في الرحم. ويقال: **﴿مُسْتَقَرٌّ﴾** في الدنيا **﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾** في القبر. قرأ ابن كثير وأبو عمرو **﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾** بكسر الفاف، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه: فلکم مستقر ولكم مستودع، يعني: موضع قرار وموضع إبداع. ومن قرأ بالكسر، فعلى معنى الفاعل يقال: قرأ الشيء، واستقر بمعنى واحد يعني: كنتم مستقرين **﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾** يعني: بينا العلامات لمن له عقل وذهن.

**﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُمْتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (٩٩)

قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾** يعني: المطر **﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾** بالمطر **﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾** يعني: معاشاً للخلق من الثمار والحبوب وغير ذلك. **﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾** خَضِرٌ واخْضَرَ بمعنى واحد، الأخضر يعني: النبات الأخضر، وهو أول ما يخرج.

ثم قال: **﴿نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُمْتَرَاكِبًا﴾** يعني: السنبلة قد ركب بعضها بعضاً. **﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾** يعني: أخرجنا بالماء من النخل من طلوعها، يعني: من عذوقها وثمرها. **﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾** يعني: عُدُوقاً متدلّية متدانية قريبة، ينالها القائم والقاعد، يعني: من عذوقها عذوق قريبة.

﴿وَجَنَاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ﴾ يعني: يخرج بالماء، ﴿جَنَاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ﴾ قرأ الأعمش ﴿وَجَنَاتٍ﴾ بالضم عطفها على قوله: ﴿قِنَوَانٍ دَانِيَةٍ﴾، وقرأ العامة بالكسر ومعناه: وأخرجنا جنات من أغناب. ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ يعني: أخرجنا منه شجر الزيتون. ﴿وَالزَّمَانُ مُنْشَابُهُا﴾ يعني: ورقها في المنظر يشبه بعضها بعضاً، ويقال: ثمرتها مشبهة في المنظر. ﴿وَعَزِيرٌ مُنْشَابُهُ﴾ في الطعم يعني: بعضها حلو وبعضها حامض.

قوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿انظروا إلى ثمره﴾، بضم التاء والميم، وقرأ الباقون بالنصب، وكذلك ما بعده. فمن قرأ بالنصب فهو اسم الشجرة، وإنما أراد به الجنس، ومن قرأ بالضم، فهو جمع الثمار. ﴿إِذَا انْمَرَّ وَنَبَعَهُ﴾ يعني: ونضجه، يعني: انظروا إلى نضجه واعتبروا به، واعلموا أن له خالفاً فهو قادر على أن يحييكم بعد الموت، كما أخرج من الأرض اليابسة النبات الأخضر، ومن الشجرة الثمار. ﴿إِنْ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ يعني: في اختلاف ألوانه لعلامات ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: يصدقون ويرغبون في الحق.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمُودُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَاصِرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ يعني: وضعوا لله شركاء. وقال مقاتل: وذلك أن بني جبهة قالوا: إن صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن بنات الرحمن، وذلك قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾. وقال الكلبي: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾، نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس لعنه الله ولعنهم أخوان. قالوا: إن الله تعالى خالق الناس والدواب، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَبْأً﴾ [الصافات: ١٥٨] قال الزجاج: معناه أطاعوا الجن فيما سئلت لهم من شركهم، فجعلوهم شركاء الله، وهذا قريب مما قاله الكلبي.

ثم قال: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني: جعلوا لله الذي خلقهم شركاء، ويقال: ﴿وخلقهم﴾ يعني خلق الجن، ويقال: وخلقهم يعني: الذين تكلموا به ﴿وخرقوا له بنيين وبنات﴾ يعني: وصفوا له البنين والبنات. ﴿بغير علم﴾ يعني: بلا علم تعلمونه، ويقال بلا حجة وبيان. وروى عبد الله بن موسى عن جويرية قال: سمعت رجلاً سأل الحسن عن قوله: ﴿وخرقوا له﴾ قال: كلمة عربية كانت العرب تقولها، كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول بعض القوم: خرقتها والله. - وقوله: ﴿وخرقوا له بنيين وبنات﴾ يعني: أن اليهود لعنهم الله قالوا: عزيز ابن الله والنصاري



لعنهم الله قالوا: المسيح ابن الله، وكفار قريش جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(١)</sup>..

ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يعني: تنزيهاً له. ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يعني: هو أعلى وأجل مما يصف الكفار بأن له ولداً. قرأ نافع ﴿وَحَزَقُوا﴾ بالتشديد على معنى المبالغة.

قوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: خالق السموات والأرض، يعني: مبدعهما، وهو أن يبتدىء شيئاً ولم يكن شيئاً. يعني: أنه ابتدعهما ولم يكونا ﴿أَنِّي بَكُونٌ لَّدَٰئِكَ﴾ قال القتيبي: ﴿أَنِّي﴾ على وجهين: يكون بمعنى كيف كقوله ﴿فَأَنزَلْنَا حَزَقَكُمْ أَنِّي شَيْئٌ لَّدَٰئِكَ﴾ [البقرة: ١٦٣] وكقوله: ﴿أَنِّي يُتِيهِ هٰذِهِ اللَّهُ بِعَدِّ مَوَازِينَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ويكون بمعنى من أين كقوله: ﴿فَتَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤَفِّكُونَ﴾ [التوبة: ٣٨] وكقوله: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهٗ وَلَدٌ﴾ أي من أين يكون له الولد ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ يعني: زوجة. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني: الملائكة والجن وعيسى وغيرهم وهم خلقه وعبيده. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مما خلق.

ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يعني: الذي فعل هذا هو ربكم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: لا خالق غيره. ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ يعني: وخذوه وأطيعوه. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يعني: كفيل بأرزاقهم، ويقال: ﴿وَكِيلٌ﴾ يعني: حفيظ.

ثم عظم نفسه فقال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قال مقاتل: يعني لا يراه الخلق في الدنيا. وروى الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: «لقد أفتعرت قلبي مما قلت وجلدي أين أنت من ثلاثة من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن النبي ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ومن حدثك أنه قد علم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تُدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [سورة لقمان: ٣٤] ومن حدثك أنه كتتم شيئاً من الوحي فقد كذب. ثم قرأت ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْقَىٰهَا مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثم قال: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يعني: لا يخفى عليه شيء ولا يفوته. قال الزجاج: في هذه الآية دليل أن الخلق لا يدركون الأبصار، أي لا يعرفون كيف حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه، فاعلم أنهم لا يحيطون بعلمه فكيف به؟

ثم قال: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ يعني: ﴿اللطيف﴾ في فعله، ﴿الخبير﴾ بخلفه وبأعمالهم. وقال أبو العالية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني: في الدنيا، وتدركه أبصار المؤمنين في الآخرة.

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة (١).



﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾  
 ﴿١١٠﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِيَعْلَمُوا دَرَسَتْ وَلِيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن الذي فيه البيان ﴿نَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ يقول: من صدق بالقرآن وأمن به فتوابعه لنفسه، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ يعني: من لم يصدق بالقرآن ولم يؤمن بمحمد ﷺ فعليه جزاء العذاب ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ يعني: بمسلط وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ يعني: نبين لهم الآيات في القرآن في كل وجه. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دَارَسَتْ﴾ يعني: ذاكرت أهل الكتاب. وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ﴾ بغير ألف يعني: قرأت الكتب. ويقال: تعلمت من جبر ويسار، وكانا غلامين بمكة عبرانيين، فقال أهل مكة: إنما يتعلم منهما. وقرأ ابن عامر ﴿دَرَسَتْ﴾ بنصب الراء والسين وسكون التاء يعني: هذا شيء قديم قد خلقت وقرأ بعضهم ﴿دَرَسَتْ﴾ أي قرئت. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ ﴿لِيَقُولُوا﴾ بغير واو ﴿دَرَسْتُ﴾ بغير تاء يعني: لكي يقولوا دَرَسْتُ النبي. وكان نزول هذه الآيات سبباً لقولهم هذا، فأضاف قولهم إلى الآيات. ثم قال تعالى: ﴿وَلِيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أصحاب محمد ﷺ.

﴿أَتَيْعٌ مَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١١﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَيْعٌ مَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ يعني: اعمل بما أنزل إليك من ربك، من أمره ونهيه، وذلك حين دعى إلى ملة آبائه. ثم قال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني: لا خالق غيره، اتركهم على ضلالتهم.

ثم قال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ يقول: ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين. ويقال: ﴿ولو شاء الله﴾ لأنزل عليهم آية يؤمنون بها ويقال: ﴿لو شاء﴾ لاستأصلهم فقطعهم بسبب شركهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ يعني: أن لم يوحدوا ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يعني: بمسلط.

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وذلك أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يذكرون الأصنام بسوء ويذكرون عبيدهم، فقال المشركون: لتنتهين عن شتم آلهتنا، أو لنسبن ربكم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن شتم آلهتهم عندهم، لأنهم جهلة. ﴿فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا﴾

يعني: اعتداء ﴿يَغْيِرُ عِلْمٌ﴾ منهم يعني: بلا علم ويقال: ﴿عَدُوًّا﴾ فلجماً، صار نصيباً بالمصدر، وفي الآية دليل أن الإنسان إذا أراد أن يأمر بالمعروف فيقع المأمور به في أمر هو شر مما هو فيه من الضرب أو الشتم أو القتل، فإنه ينبغي أن لا يأمر ويتركه على ما هو فيه.

ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا﴾ يقول: هكذا زيننا ﴿لكل أمة﴾ يعني: لكل أهل دين عملهم يعني: ضلالتهم في الدنيا عقوبة ومجازاة لهم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مُرْجِعُهُمْ﴾ أي: في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يعني: فيجازيهم بذلك.

﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وكان أهل الجاهلية يحلفون بأبائهم وبالأنصام وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى وإذا كانت اليمين بالله يسمونه جهد اليمين، ولما نزل قوله: ﴿إِن تَلَّوْا نَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الشعراء: ٤] قالوا: أنزلها فوالله لنؤمنن بك. وقال المسلمون: أنزلها لكي يؤمنوا فنزل: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يقول: حلفوا بالله ﴿لَنُنَزِّلَنَّ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إن شاء أنزلها، وإن شاء لم ينزلها.

ثم قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا﴾ يقول: وما يدريكم أنها ﴿إِذَا جَاءَتْ﴾ يعني: الآية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال مقاتل: ﴿وما يشعركم﴾ يا أهل مكة أنها إذا جاءتكم لا تؤمنون. وقال الكلبي يعني: ﴿وما يشعركم﴾. أيها المؤمنون أنها إذا جاءت لا يؤمنون. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ﴿إنها﴾ بالكسر على معنى الابتداء، وإنما يتم الكلام عند قوله ﴿وما يشعركم﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾. ويشهد لهذا قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾. وقرأ الباقون ﴿أنها﴾ بالنصب على معنى البناء، وتشهد لها قراءة أبيي وما يشعركم لعلها إذا جاءت. وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿لا تؤمنون﴾ بالثاء على معنى المخاطبة، وهذه القراءة توافق لقول مقاتل.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدْرُؤُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بِعَمَهُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْمَلَأِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَكَنَّزِرٌ عَسِيرٌ﴾ ﴿١٢٦﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ يعني: نترك قلوبهم وأبصارهم معلقة كما هي، ولا نوقفهم، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قبل نزول الآيات، ويقال: عند انشقاق القمر لما لم يعتبروا به ولم يؤمنوا، فعاقبهم الله تعالى، وحتم على قلوبهم، فثبتوا على كفرهم.

﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ يقول: وندعهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يعني: في ضلال ﴿يَغْمَهُونَ﴾ يعني: يترددون ويتحيرون فيه. ويقال: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰ مَرَّةٍ﴾ يعني: كما لم يؤمن به أوائلهم من الأمم الخالية لما سألو الآية من أنبيائهم عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلِكٌ﴾ فيكون معه نذيراً قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ كما سألو حتى يشهدوا بأنك رسول الله ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْثَى﴾ بأنك رسول الله ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾ قرأ نافع وابن عامر ﴿قَبْلًا﴾ بكسر القاف ونصب الباء. وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالضم فمعناه: جماعة القبيل، والقبيل: الكفيل. ويقال: ﴿قَبْلًا﴾ أي أصنافاً من الآدميين ومن الملائكة ومن الوحش. ومن قرأ ﴿قَبْلًا﴾ بالكسر معناه: وحشرنا عليهم كل شيء معاينة فعابوه. ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ وهذا إعلام للنبي ﷺ بأنهم لا يؤمنون كما أعلم نوحاً ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يعني: إلا من هو أهل لذلك، فوفقه الله تعالى. ويقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ يقول: قد شاء الله أن لا يؤمنوا حيث خذلهم ولم يوفقهم. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ عن ذلك ويقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ الْحَقَّ﴾ أنه من الله تعالى. ويقال: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ ما في العلامة من وجوب هلاكهم بعد العلامة إن لم يؤمنوا.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عَرُودًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا مَسَّوَهُمْ فَذَرَهُمْ وَمَا يَذَرُونَهُمْ ۗ ﴿١١٦﴾ وَلَيَصْحَقَنَّ إِلَيْهِمْ أَقْبِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِفُوهُنَّ وَمَا هُمْ بِمُعْتَرِفُونَ ۗ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يعني: أعداء، ومعنى ذلك: كما جعلنا لك ولأمتك أعداء مثل أبي جهل وأصحابه، كذلك جعلنا لكل نبي عدواً ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ قال مقاتل: وذلك أن إبليس وكل شياطين الإنس وشياطين الجن يضلونهم، فإذا التقى شيطان الجن مع شيطان الإنس قال أحدهما للآخر: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا فأضللت أنت صاحبي بكذا وكذا، فذلك قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: يكلم بعضهم بعضاً بالإضلال. وقال عكرمة: للجن شياطين مثل شياطين الإنس. وروي عن الزبير بن العوام: أنَّ جنياً شكاً إليه ما لقي من الشيطان، فعلمه دعاء ليخلص منه فدعا به، ووجه آخر: شياطين الإنس والجن يعني: الشياطين من الإنس والشياطين من الجن، لأن كل عات متعرد فهو شيطان.

وروي عن أبي ذر الغفاري أنه قال دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد فأمرني أن أصلي ركعتين فصليت، ثم جلست عنده قال: ﴿يَا أَبَا ذُرٍّ تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَشَيَاطِينِ

الجن»<sup>(١)</sup> فقلت يا رسول الله أو من الإنس شياطين؟ فقال النبي ﷺ «أَوْ مَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ ﴿شِيَاطِينَ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾». وكذلك مثل هذين القولين في قوله تعالى ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ  
النَّاسِ \* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦٥].

ثم قال ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يعني: يوسوس بعضهم بعضاً. ﴿زُخْرُفِ الْقَوْلِ  
غُرُوراً﴾ يعني: ما زين منه وحسن وموه، يعني: يزين القول باطلاً، يغرهم بذلك. وأصل  
الزخرف: الذهب، وسمى الزينة زخرفاً لأن أصل الزينة من الذهب، يعني: أنه يزين لبعض  
الأعمال، كما يزين بعض الأقوال.

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني: لو شاء ربك لمنعهم من الوسوسة، ولكن الله  
يمنتحن بما يعلم أنه أبلغ في الحكمة وأجزل في الثواب ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ يعني: خل عنهم  
وما يكذبون من القول والغرور.

ثم قال: ﴿وَلِنُضْضَىٰ إِلَيْهِ﴾ يقول: ولتميل إلى ذلك الزخرف والغرور. ﴿أَفْتَدَىٰ﴾ أي قلوب  
﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ إلى هذه الزينة والغرور ﴿وَلِيَبْزُضُوهُ﴾ يقول: لكي يقبلوا من الشياطين  
الزينة والغرور ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ يعني: ليكسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي،  
وليعملوا ما هم عاملون. وقرأ بعضهم ﴿وليبرضوه وليقتروا﴾ بجزم اللام على معنى الأمر،  
والمراد به: التهديد، كقوله ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصفت: ٤٠] والقراءة المعروفة بكسر اللام،  
ومعناه: اتركهم ليعلموا ما هم عاملون.

﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَتَّبَعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ مَاتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٦﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا  
وَعَدْلًا لَا مَبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٧﴾ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن  
سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَشَاءُونَ إِمَّا الظَّنَّ وَإِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن  
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَتَّبَعِي حَكْمًا﴾ يعني: أعبد غير الله؟ ويقال: أطلب القضاء من غير  
الله؟ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ يعني: مبيناً فيه أمره ونهيه بلغة تعرفونها. ويقال:  
متفرقاً سورة سورة، وآية آية. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿يُغْلِبُونَ أَنَّهُ  
مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: القرآن منزل من الله بالعدل. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص  
﴿منزل﴾ بتشديد الزاي، وقرأ الباقون بالتخفيف.

(١) عزاه السيوطي: ٣/٣٤٢ إلى أحمد وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ يعني: الشاكين في أنه الحق، وأنه من الله، خاطبه بذلك وأراد به غيره من المؤمنين لكي لا يشكوا فيه.

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَةً زَبْحًا﴾ يقول: وجب قول ربك بأنه ينصر محمداً ﷺ وأن عاقبة الأمر له ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ يعني: ﴿صِدْقًا﴾ فيما وعد له من النصره ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما حكم به ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول: لا مغير لوعده كقوله ﴿لَتَنْصُرُنَّ الْمَلَائِكَةَ﴾ [غافر: ٥١] ويقال: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يعني: لا ينقض بعضه بعضاً، ولا يشبه كلام البشر. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَةً زَبْحًا﴾ قال: «هُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (١) ﴿وَهُوَ الشَّيْبَعُ الْعَلِيمُ﴾ «السميع» بما سألوا «العليم» بهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أهل أرض مكة فيما يدعونه إلى ملة آبائهم. ويقال: ﴿وَأَنْ تَطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الكفار لأن أكثر من في الأرض كانوا كفاراً. ﴿يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: يصرفونك عن دين الله الإسلام ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني: القوم يتبعون أكابرههم بالظن، ويتبعونهم فيما لا يعلمون أنهم على الحق فإن قيل: كيف يعذبون وهم ظانون على غير يقين؟ قيل لهم: لأنهم اقتصروا على الظن والجهل، لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يتفكروا في طلب الحق. ويقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني في أكل الميتة واستحلالها ﴿وَأَنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يعني: ما هم إلا كاذبون باستحلالهم الميتة وأكلهم، لأنهم كانوا يقولون: ما قيل لله فهو أولى بالحل وبأكله مما نذبهه بأيدينا.

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني: عن دينه وعن شرائع الإسلام. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ لدينه. قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي ﴿وَوَدَّعْتُمْ كَلِمَةً زَبْحًا﴾ بلفظ الوجدان، وقرأ الباقون ﴿كلمات﴾ بلفظ الجماعة.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَلْغِيثُونَ بِأَهْوَاءِهِمْ يَغْفِرُ عَلَيْهِمْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: مصدقين. فقد بين الله تعالى أنه لا يجوز أكل الميتة، وإنما يحل أكل ما ذبح وذكر اسم الله عليه.

ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يعني: مما ذبح وذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: بين لكم تحريمه في سورة المائدة وغيره من ﴿مَا حَرَّمَ

(١) عزاه السيوطي: ٣/٣٤٥ إلى ابن مردويه وابن النجار.

**عَلَيْكُمْ** يعني: الميتة وغيرها **«إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ»** يقول: ما اجتهدتم إلى أكل الميتة عند الجوع. قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو **«فصل لكم»** بضم الفاء **«ما حرم عليكم»** بضم الحاء على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر **«وقد فصل»** بالنصب **«وما حرم»** بالضم. وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص كلاهما بالنصب، يعني: بين الله لكم ما حرم عليكم.

ثم قال: **«وَأَنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ»** يقول: يدعون إلى أكل الميتة بغير علم **«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَبِهِينَ»** من الحلال إلى الحرام.

**«وَوَدَّوْا ظَاهِرَ الْإِنْتِمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْتِمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْعَرُونَ»** **«وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكُمْ لِيَجْزِلَكُمْ** **وَلِيَنْ أَلْمَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ»**

قوله تعالى: **«وَوَدَّوْا ظَاهِرَ الْإِنْتِمِ وَبَاطِنَهُ»** يعني: زنى السر والعلانية، لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمون الزنى في العلانية ولا يرون به بأساً في السر، فأخبر الله تعالى أن الزنى حرام في السر والعلانية. ويقال: **«ظاهر الإنتم»** هو الزنى **«وباطنه»**: القُبلة واللمس والنظر. وقال الضحاك **«ظاهر الإنتم»** الزنى، **«وباطنه»** نكاح الأمهات والأخوات. وقال قتادة: **«ظاهر الإنتم وباطنه»** يعني: قلبه وكثيره. ويقال: ظاهره ارتكاب المعاصي، وباطنه ترك الفرائض. ويقال: باطنه الرياء في الأعمال. ويقال: الكفر، ويقال: جميع المعاصي. **«إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْتِمَ»** يقول: يعملون الفواحش ويتكلمون بها **«سَيَجْزُونَ بِمَا يَفْعَرُونَ»** يقول: سيعاقبون بما كانوا يكسبون من الإنتم. قرأ أهل الكوفة وعاصم وحمزة والكسائي: وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بضم الباء، يعني: يضلون الناس. وقرأ الباقون **«ليضلون»** بنصب الباء يعني: يضلون بأنفسهم.

قوله تعالى: **«وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»** يعني: ما لم يذك ولم يذبح، أو ذبح بغير اسم الله **«وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ»** يعني: أكله معصية واستحلاله كفر. **«وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ»** يعني: يوسوسون إلى أوليائهم من المشركين **«لِيَجْزِلُوا كُفْرَكُمْ»** يقول: ليخاصموكم في أكل الميتة، وهو قولهم: ما قتله الله فهو أولى أن يؤكل. - ويقال: الوحي على ثلاثة أوجه: الإشارة والإلهام والوسوسة<sup>(١)</sup> - وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قيل له: إن المختار يقول: يوحى إلي فقال: صدق **«وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَانِهِمْ»**.

قال الفقيه: حدثنا أبو الفضل بن أبي جعفر قال: حدثنا أبو جعفر الطحاوي بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قال المشركون للمسلمين: ما قتل ربكم ومات فلا تأكلوه، وما

(١) مابين معقوفتين ساقط من النسخة «ه».



قتلتهم أنتم وذبحتم فتناكلونه فأوحى الله إلى النبي ﷺ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾... إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني: في أكل الميتة واستحلالها ﴿إِنَّكُمْ لَمَشْرِكُونَ﴾ مثلهم. ففي الآية دليل أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار مشركاً.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَتْهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِنَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧٢﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ﴾ يعني: من كان ضالاً كافراً فهديناه إلى الإسلام والتوحيد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي فِي النَّاسِ﴾ يعني: أكرمناه بالمغفرة. ويقال: جعلنا له إيماناً يهتدي به إلى سبيل الخيرات والنجاة، ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يعني: مع المؤمنين. ويقال: أعطيناه نوراً يوم القيامة يمشي به على الصراط مع المؤمنين. ولا يكون حاله ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يعني: كمن قدر عليه الكفر ونزل في الكفر مخذولاً ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ يعني: ليس براجع منها. قال الكلبي: نزلت في عمار بن ياسر يعني: ليس حاله كحال الكفار. وقال مقاتل: يعني به النبي ﷺ ليس مثل أبي جهل بن هشام الذي بقي في الكفر. ويقال: يعني جميع المؤمنين ليس حالهم كحال الكفار. قرأ نافع ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف، ومعناها واحد.

ثم قال: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ يعني: هكذا يعاقب من اختار الكفر على الإيمان، فيختم على قلبه مجازاة لكفره.

ثم قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ يعني: جعلنا مجرميها أكابرها، وجابرتها كما جعلنا في أهل مكة. وهذا معطوف على ما قبله، أي: مثل ذلك جعلنا في كل قرية، كما زين للكافرين ﴿لِيُنْذِرُوا فِيهَا﴾ يعني: ليتكبروا فيها ويكذبوا رسلم ﴿وَمَا يَنْفَكُونَ﴾ يعني: وما يصنعون ذلك ﴿إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: إلا على أنفسهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك على أنفسهم.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مَا آتَى رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبِذُ الَّذِينَ اجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَدَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ يعني: الأكابر الذين سبق ذكرهم. ويقال: كفار مكة إذا



جاءتهم علامة مثل انشقاق القمر وغيره ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ لك يعني: لن نصدقك ولن نؤمن بالآيات ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ﴾ أي مثل ما أعطي ﴿رُسُلَ اللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ من الآيات والعلامات. ويقال: لن نصدقك حتى يوحى إلينا كما أوحى إلى الرسل، وذلك أن الوليد بن المغيرة وأبا مسعود الثقفي قالا: لو أراد الله تعالى أن ينزل الوحي لأنزل علينا. قال بعضهم: أرادوا به محمداً ﷺ، وقال بعضهم: أرادوا به جميع الرسل فقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَقْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ومن يصلح للنبوّة ومن لا يصلح، فخصّ بها محمداً ﷺ ﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ أُجْرَمُوا﴾ يعني: أشركوا ﴿صَغَارَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: مدلّة وهواناً عند الله، أي من عند الله العذاب بالمستهزئين ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ يعني: يكذبون بالرسل. قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ بلفظ الوجدان، وقرأ الباقون ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بلفظ الجماعة.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ يعني: من يرد الله أن يوفقه للإسلام ويهديه لدينه ﴿يُشْرِكْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يقول: يوسّع قلبه ويلينّه لقبول الإسلام، ويدخل فيه نور الإسلام وحلاوته. وقال القتيبي: ﴿يُشْرِكْ صَدْرَهُ﴾ يعني: يفتحه.

قال الفقيه: قال: حدّثنا الخليل بن أحمد حدّثنا الديلمي قال: حدّثنا أبو عبيد الله، عن سفيان، عن خالد بن أبي كريمة، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرِكْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قالوا: يا رسول الله. وكيف ذلك؟ قال: «إذا دخل النور في القلب انشرك وانفسخ» قالوا: وهل لذلك من علامة يعرف به؟ قال: «نعم النجافي عن دار الضرور والإنابة إلى دار الخلود والاستغداد للموت قبل نزول الموت»<sup>(١)</sup>.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي عن الإسلام ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ يعني: غير موسع ﴿حَرَجًا﴾ يعني: شاكاً. وقال ابن عباس: «كالشجرة الملتفة بعضها في بعض، لا يجد النور منفذاً ومجازاً». قرأ ابن كثير ﴿ضَيِّقًا﴾ بتخفيف الياء وجزمها. وقرأ الباقون بالتشديد ومعناها واحد. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ﴿حَرَجًا﴾ بكسر الراء، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فهو المصدر، ومن قرأ بالكسر فهو النعت.

ثم قال تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: مثله كمثل الذي تكلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيع، فكذلك قلب الكافر لا يستطيع قبول الإسلام. قرأ ابن كثير ﴿يُصْعَدُ﴾ بجزم الصاد بغير تشديد من صَعَدَ يُصْعَدُ. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿يُصَاعِدُ﴾ بالالف مع تشديد الصاد، لأن أصله: يتصاعد، فأدغم التاء في الصاد. وقرأ الباقون: ﴿يُصْعَدُ﴾ بتشديد الصاد والعين بغير ألف، لأن أصله: يتصعد، فأدغم التاء في الصاد.

(١) عزاء السيوطي: ٣٥٥/٣ إلى ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب.

ثم قال تعالى: ﴿كَذَّبِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجْسَ﴾ يعني: العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأن لا يرزقهم حلالة الإيمان على الذين لا يرغبون في الإيمان. ويقال: الرجس في اللغة، هو اللعنة والعذاب.

﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرِ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَوَلَّفْنَا آجُلًا الْآلِيَةَ أَجَلْتُمْ لَنَا قَالِ أَلَنَارُ مَثْوَاتِكُمْ خَلَّيْنِ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: هذا التوحيد دين ربك مستقيماً، يعني: قائماً برضاه ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ يعني: بينا الآيات في أمر القلوب والهدى والضلالة ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعني: يتعظون ويفكرون في توحيد الله. ويقال: معناه لا عذر لأحد في التخلف عن الإيمان، لأن الله تعالى قد بين طريق الهدى، وقد بين العلامات في ذلك لمن كان له عقل وتميز.

ثم ذكر ما أعد الله للمؤمنين في الآخرة فقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهي الجنة وهي دار السلام من الأمراض والآفات والخوف والهزم وغير ذلك. ويقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ فالله السلام، والجنة داره، يعني: دار رب العزة التي أعد لأوليائه وهي الجنة ﴿وَهُمْ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: الله حافظهم وناصرهم في الدنيا. ويقال: ﴿وَهُمْ وَلِيُّهُمْ﴾ في الآخرة بالثواب أي: يجزيهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يقول: واذكر يوم يجمعهم الله ﴿جَمِيعًا﴾ يعني: الجن والإنس. قرأ عاصم في رواية حفص ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء يعني: أن الله يحشرهم، وقرأ الباقون ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون. ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ يقول لهم: يا معشر الجن ﴿قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يعني: قد أضللتكم كثيراً من الإنس ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين أضلّوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يعني: انتفع بعضنا ببعض، فكان استمتاع الإنس بالجن في الدنيا، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا سافر واحد منهم فأدركه المساء بأرض قفرٍ وخاف بالليل فقال: أعوذ بسيد أهل هذا الوادي من سفهاء قومه، فأمن ولبث في جوارهم حتى يصبح. وكان استمتاع الجن بالإنس أن قالوا: لقد سودنا الإنس والجن فيزيدون شرفاً في قومهم يعني: فيما بين الجن والإنس.

﴿وَوَلَّفْنَا آجُلًا الْآلِيَةَ أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ يعني: الموت الذي جعلته آجلاً في هذه الدنيا، وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يعني: خدع بعضنا بعضاً عن دينك يعني:

أن الجن قد خدعونا وأضلونا ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ يعني: ما كتبت علينا من الشقاوة ﴿قَالَ النَّارُ مُتَوَاكِمٌ﴾ يعني: منزلكم وهم الجن والإنس ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في النار ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قال الكلبي: مشيئة الله من كل شيء، ويقال: إلا ما شاء الله البرزخ والقيامة، يعني: قد شاء لهم الخلود فيها. ويقال ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من إخراج من يخرج منها من أهل التوحيد ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ يعني: نسلط بعض كفار الجن على كفار الإنس. ويقال: نولي بعض الظالمين على بعض فيهلكه أو يذله. وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع عن ظلمه، لأنه لو لم يمتنع لسلط الله عليه ظالماً آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم، ومن ظلم في رعيته، أو التاجر يظلم الناس في تجارته، أو السارق وغيرهم. وقال فضيل بن عياض: «إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر فيه متعجباً». وقال ابن عباس: «إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون»، ثم تلا قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾.

وعن مالك بن دينار قال: «قرأت فيما أنزل الله في بعض الكتب المنزلة أن الله تعالى يقول: إني أنا الله مالك الملوك، فدوب الملوك بيدي، ونواصيها بيدي، فمن ألعاني جاراتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بحسب الملوك، ولكن تروا إلي أجمعهم عليكم رحمة».

ثم قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني: يسلط بعضهم على بعض بأعمالهم الحبيثة.

﴿يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَكُمُ رُسُلٌ يَتَّبِعُونَ عَاقِبَتَكُمْ إِنِّي رُسُلُهُمْ يَلْقَاءُ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ كَلْبَةُ الَّذِينَ وَشَّهَدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَكْفَرِينَ ﴿١٣٢﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

ثم قال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ يقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ قال مقاتل: بعث الله تعالى رسلاً من الجن إلى الجن، ومن الإنس إلى الإنس. ويقال: رسل الجن التسعة الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم منذرين، قالوا: يا قومنا آجيبوا داعي الله. ويقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: من الإنس خاصة. وقال ابن عباس: «كانت الرسل تبعث إلى الإنس، وأن محمداً ﷺ بعث إلى الجن والإنس».

ثم قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ عَاقِبَتَكُمْ﴾ يقول: يقرؤون ويعرضون عليكم ﴿آيَاتِي﴾ يعني: القرآن ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ يعني: يخوفونكم ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ يعني: يقولون بلى أقرزنا أنهم قد بلغوا وكفرتنا بهم، يعني كما قالت الرسل وذلك بعدما شهد عليهم سماعهم وإبصارهم يقول الله تعالى: ﴿وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: ما في الدنيا من زهرتها وزينتها

﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾ في الدنيا. يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَكَّمُونَ حَتَّىٰ يَأْتِيَٰ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٨] على وجه التقديم والتأخير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ يعني: ذلك السؤال والشهادة ويقال ﴿ذلك﴾ يعني: إرسال الرسل إلى الجن والإنس ليعلم ﴿أن لم يكن ربك مهلك القرى﴾ يعني: معذب أهل القرى ﴿بظلم﴾ أي بغير ذنب في الدنيا ﴿وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ﴾ عن الرسل. ويقال: غافلون عن العذاب، لأنه قد بين لهم وأخذ عليهم الحجة.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُّكَرَّمٍ ﴿١٣٠﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣١﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ لِي إِعَابِلَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٢﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ يعني: ولكل واحد من المؤمنين فضائل في الجنة، بعضهم أرفع درجة من بعض، وللكافرين درجات بعضهم أشد عذاباً من بعض. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: لمن ينسى الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، ويجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن عامر ﴿عما تعملون﴾ على معنى المخاطبة، وقرأ الباقون: ﴿يعملون﴾ بالياء على معنى المغابية.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يعني: ﴿الغني﴾ عن عبادة خلقه، ﴿ذو الرحمة﴾ بتأخير العذاب عنهم، ويقال: ﴿ذو الرحمة﴾ يعني: ذو التجاوز عمن تاب ورجع إليه بالتوبة ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ﴾ يعني: يهلككم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً غيركم من بعد هلاككم ﴿مَا يَشَاءُ﴾ إن يشأ مثلكم، وإن يشأ أطوع منكم. ﴿كَمَا أَنشَأَكُمْ﴾ يقول: كما خلقكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ قرناً من بعد قرن، ولكنه لا يهلككم رحمة منه، لكي تراجعوا وتتوبوا إليه.

ثم قال: ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ يعني: الوعيد الذي أوعد في الآخرة من العذاب لآتٍ، يقول: لكائن لا خلف فيه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يعني: بسابقين الله تعالى بأعمالكم الخبيثة التي يجازيكم بها. هذا قول مقاتل. وقال الكلبي: ﴿بمعجزين﴾ أي: بفاتنين أن يدرككم. ويقال في اللغة: أعجزني الشيء أي: فاتني وسبقني.

ثم قال: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾ أي: على موضعكم. يقال: مكان ومكانة، مثل منزل ومنزلة، ومعناه: اعملوا على ما أنتم عليه اليوم. ويقال: ﴿اعملوا﴾ أي: اجتهدوا ما استطعتم ويقال: اعملوا في منازلكم من الخير والشر فإنكم تجزون بها لا محالة. ﴿إِنِّي غَافِلٌ﴾

بما أوحى الله إلي، ويقال: اعملوا بمكاني وأنا عامل بمكانكم. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ فهذا وعيد من الله تعالى. يقول: نبين لكم من تكون له عاقبة الأمور في الدنيا، ومن تكون له الجنة في الآخرة. ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ مخاطباً لرسول الله ﷺ أي: في الآخرة، ولا يأمن المشركون. قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿اعملوا على مكاناتكم﴾ في جميع القرآن بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون ﴿مكاناتكم﴾. وقرأ حمزة والكسائي ﴿من يكون﴾ بالياء لأنه انصرف إلى المعنى وهو الثواب، والباقون قرؤوا بالياء لأن لفظ العاقبة لفظ مؤنث.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ بِصِلُ إِلَيْهِمْ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ زُفَّتْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَسْفٌ أُولَئِهِمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُدْخِلَهُمُ اللَّهُ فِي عَذَابِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كانوا يسمون الله جزءاً من الحرث، ولأوثانهم جزءاً، فما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله تعالى أخذوه، وما ذهبت به الريح من الجزء الذي سموه الله إلى جزء الأصنام تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا. وقال السدي: ما خرج من نصيب الأصنام أنفقوه عليها، وما خرج من نصيب الله تصدقوا به، فإذا هلك الذي لشركانهم وكثر الذي لله قالوا: ليس لأهلنا بد من النفقة، فأخذوا الذي لله، وأنفقوه على الأصنام. وإذا هلك الذي لله وكثر الذي للأصنام قالوا: لو شاء الله لأزكى ماله فلا يرذون عليه شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ﴾ يعني: مما خلق من الحرث والأنعام ﴿نصيباً﴾ يعني: جعلوا لله نصيباً، ولشركانهم نصيباً، فاقصر على المذكور لأن في الكلام دليلاً على المسكوت عنه. ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ يقول: بقولهم، ولم يأمرهم الله بذلك ﴿وهذا لشركائنا﴾ يعني: للأصنام. ﴿فما كان لشركائهم﴾ يعني: لأصنامهم ﴿فلا يصل إلى الله﴾ يقول: فلا يضعون شيئاً في نصيب الله تعالى ﴿وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾ يقول: يوضع في نصيبهم ﴿سواء ما يحكمون﴾ يعني: لو كان معه شريك كما يقولون ما عدلوا في القسمة. ويقال: ﴿سواء ما يحكمون﴾ حيث وصفوا الله شريكاً. قرأ الكسائي (بزعمهم) بضم الزاي، وقرأ الباقون بالنصب، وهما لغتان ومعناها واحد.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُفَّتْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ يعني: زين لهم شركائهم وهم الشياطين قتل أولادهم، لأنهم يقتلون أولادهم مخافة الفقر والحسنة، ويدفنون بناتهم أحياء، فزين لهم الشيطان ذلك، كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام. ويقال:

كان الواحد منهم ينذر أنه إذا ولد له كذا وكذا ولدأ يذبح واحداً منهم، كما فعل عبد المطلب، فزين لهم الشيطان قتل أولادهم، فذلك قوله ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ قرأ ابن عامر ومن تابعه من أهل الشام ﴿وكذلك زين﴾ بضم الزاي ﴿قتل﴾ بضم اللام ﴿أولادهم﴾ بفتح الدال ﴿شركائهم﴾ بالخفض. وإنما قرئ ﴿زين﴾ بالضم على فعل ما لم يسم فاعله ومعناه: قتل شركائهم على معنى التقديم ومعناه: قتل شركائهم، وهم أولادهم لأن أولادهم شركائهم في أموالهم، فصار شركائهم نعتاً للأولاد، وصار الأولاد نصباً على وجه التفسير. وقرأ الباقون بالنصب لأنه فعل ماضٍ و﴿قتل﴾ بالنصب لأنه مفعول ﴿أولاد﴾ بالجر لأنه مضاف إليه. ﴿شركائهم﴾ بالضم لأنه جعل الشركاء على وجه الفاعل.

ثم قال تعالى: ﴿لِيُذَوِّهُمْ﴾ يعني: ليهلكوهم بذلك ﴿وَلِيُنَبِّئُوا﴾ يعني: ليخلطوا وليشبهوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ يعني: دين إبراهيم وإسماعيل.

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ يعني: لو شاء الله لمنعهم من ذلك منع اضطرار وقهر، ولاهلكهم ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ يعني: دعهم وما يكذبون بأن الله تعالى أمرهم بذلك، ومعناه: أن الله تعالى مع قدرته عليهم، قد تركهم إلى وقت ﴿فذرهم﴾، فاتركهم أنت أيضاً إلى الوقت الذي تؤمر بقتالهم. ويقال: معناه، دعهم فإن لهم موعداً بين يدي الله، فيحاسبهم ويجازيهم بها.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ جِبْرُتٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِمْ سِبْغِينَهَا يَمَّا كَانُوا يَفْهَمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾  
﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ إِلَيْنَا مِنْهُنَّ وَمِنْهَا لَعَنَةٌ وَإِنْ يَكُنْ مَبْنِيَّةً فَهِنَّ فِيهِ شُرَكَاءُ سِبْغِينَهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ جِبْرُتٌ﴾ وهي: البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث وهو: نوع من الزرع حرموها على النساء. ﴿جِبْرُتٌ﴾ يعني: حرام، والحجر يكون عبارة عن العقل كقوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفرج: ٥] أي: لذي لب وعقل، ويكون عبارة عن الحرام كقوله: ﴿جِبْرُتٌ حُجْرًا﴾ [الفرقان: ٢٢] يعني: حراماً محرماً، وكقوله ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ جِبْرُتٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨] يعني: حراماً ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِغْمِهِمْ﴾ من الرجال دون النساء، وهو مالك بن عوف كان يفتيهم بالحل والحرمة، وكان يقول: هذا يجوز وهذا لا يجوز، لأشياء كانوا حرموها برأيهم.

ثم قال ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وهي: الحام من الإبل، كانوا يتركونها ولا يركبونها ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ يعني: عند الذبح، ويقال: عند الركوب وهي البحيرة



﴿أَفْتِرَاءَ عَلَيْهِ﴾ يعني: اختلاقاً وكذباً على الله بأنه أمرهم بذلك ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ أي سيعاقبهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: بما كانوا يكذبون على الله بأنه أمر بهم ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾ قال الكلبي يعني: البحيرة والوصيلة حلال لذكورنا يعنون: ما دامت في الأحياء، وليس للنساء فيه شركة ولا نصيب. فذلك قوله: ﴿وَمَحْرَمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ يعني: من هذه الأنعام ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ يعني: الرجال والنساء في أكلها. وقال الضحاك: كانت الناقة إذا ولدت فصيلاً ذكراً حرماً لحم الفصيل ولبن الناقة الفصيل ولبن الناقة<sup>(١)</sup>. ذكر في أول الكلام ﴿خالصة﴾ لفظ التأنيث، لأنه انصرف إلى المعنى، ومعناه: حمله ما في بطون هذه الأنعام.

ثم قال ﴿ومحرم على أزواجنا﴾ ذكر بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى قوله: ﴿ما في بطون﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿وإن تكن﴾ بالتاء على معنى التأنيث ﴿ميتة﴾ بالنصب يعني: وإن تكن الجماعة ميتة، صارت الميتة خير كان. وقرأ ابن عامر ﴿وإن يكن ميتة﴾ بالضم يعني: وإن كانت ميتة جعلها اسم كان رفعاً. وقرأ ابن كثير ﴿وإن يكن﴾ بالياء ﴿ميتة﴾ بالضم يعني وإن: يكن ما فيه ميتة بلفظ التذكير، وجعل الميتة اسم كان. وقرأ الباقون ﴿وإن يكن ميتة﴾ جعلوا الميتة خير كان بلفظ التذكير.

ثم قال: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ﴾ صار نصيباً لنزع الخافض يعني: سيعاقبهم بكذبهم ﴿إنه حكيم﴾ حيث حكم عليهم بالعذاب ﴿عليهم﴾ بهم. وفي الآية دليل أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول من خالفه وإن لم يأخذ به حتى يعلم فساد قوله، ويعلم كيف يرد عليه، لأن الله تعالى أعلم النبي ﷺ وأصحابه قول من خالفهم في زمانهم، ليعرفوا فساد قولهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أُفْرَاءً عَلَىٰ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ يعنون: دفنوا بناتهم أحياء وقتلوهن ﴿سفهاً﴾ صار نصيباً لنزع الخافض يعني: جهلاً منهم ﴿بغير علم﴾ يعني: بغير حجة لهم في قتلهن وهم: ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية. وروى عن رسول الله ﷺ أن رجلاً من أصحابه كان لا يزال مغتماً بين يديه، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿مَا لَكَ تَكُونُ مَحْزُوناً؟﴾ فقال: يا رسول الله إني قد أذنبت في الجاهلية ذنباً، فأخاف أن لا يغفر لي وإني أسلمت، فقال له: ﴿أَحْبِزْنِي عَنْ ذَنْبِكَ﴾ فقال: يا رسول الله: إني كنت من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت، فنتشفت إلي

(١) تقدم: أنهم كانوا يحرمون لحم الفصيل ولبن الناقة على النساء دون الرجال. أما إذا وضعت الناقة فصيلاً ميتاً فيشترك الرجال والنساء في لحمه، ولبن الناقة.



امراتي بأن أتركها، فتركها حتى كبرت وأدرت وصارت من أجمل النساء، فخطبوها، فدخلت عليّ الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي، فابعثها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت عليّ الموائيق بأن لا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر، فنظرت إلى البئر فظننت الجارية أنني أريد أن ألقبها في البئر، فالتزمت بي وجعلت تبكي وتقول: يا أبت أي شيء تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت عليّ الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبي لا تضع أمانة أمني، فجعلت مرة أنظر في البئر، ومرة أنظر إليها، وأرحمها حتى غلبني الشيطان، فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر يا أبت قتلتي. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها، فرجعت، فبكى رسول الله ﷺ وأصحابه وقال **لَوْ أُمِرْتُ أَنْ أَعَابِبَ أَخَذْتُ بِمَا فَعَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَعَاقَبْتُكَ بِمَا فَعَلْتَ**.

ثم قال تعالى: **﴿وَحَرِّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾** يعني: ما أعطاهم الله **﴿أَفْتِرَاءً﴾** يعني: كذباً **﴿على الله﴾** بأنه قد حرم ذلك عليهم **﴿قَدْ أَضَلُّوا﴾** أي: عن الهدى **﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾** يعني: وما هم بمهتدين ويقال: **﴿وما كانوا مهتدين﴾** من قبل فخذلهم الله تعالى بذلك. قرأ ابن كثير وابن عامر **﴿فَقُلُوا﴾** بالشديد لتكثير الفعل، والباقون بالتخفيف.

**﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ السَّرْفِينَ﴾** **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَلْعَبُوا خُطُوبَ السَّبْطَيْنِ إِنَّهُنَّ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أُنثَىٰ وَمِنَ الْأُنثَىٰ أَنْثَىٰ وَمِنْ الْأُنثَىٰ أَنْثَىٰ قُلْ وَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أيرَ الْأُنثَىٰينَ أَمَا اشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَىٰينَ تَبْخُونِ يَعْبُرُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** **﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَىٰ وَمِنَ الْبَعَرِ أَنْثَىٰ قُلْ وَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أيرَ الْأُنثَىٰينَ أَمَا اشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَىٰينَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِنْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَدَّكُمُ اللَّهُ بِهِدًّا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُعْزِلُ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**

قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾** يعني: خلق البساتين، والكروم وما يعرش، وهو الذي يسط مثل القرع ونحو ذلك **﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾** يعني: كل شجرة قائمة على أصولها **﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾** يعني: خلق النخل والزروع **﴿مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُمُ﴾** يعني: طعمه، منه الحامض والحلو والمر **﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا﴾** يعني: في المنظر **﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾** يعني: في الطعم **﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾** وإنما ذكر ثمره بلفظ التذكير، لأنه انصرف إلى المعنى، يعني: ثمره الذي ذكرناه **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** يعني: أعطوا زكاته يوم كيله ودفعه. قرأ أبو

عمرو وعاصم وابن عامر **﴿حَصَادِهِ﴾** بنصب الحاء والباقون بالكسر ومعناها واحد. وروى الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: **﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: «العُشْرُ أو نصف العشر»<sup>(١)</sup>. وروى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: **﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: عند الزرع، أي: يعطي القبضة وهو بأطراف الأصابع، ويعطي عند الصرام القبض، ويدعهم يتتبعون آثار الصرام. وعن الربيع بن أنس **﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: «التقاط السنبُل». وقال الحسن: «نسختها آية الزكاة». وقال إبراهيم: «نسختها العشر ونصف العشر» وقال الضحاك: «نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن» وهكذا قال عكرمة. وقال سفيان: سألت السدي عن قوله تعالى: **﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** قال: «هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر، قلت عنمن؟ قال عن العلماء». قال الفقيه الذي قال إنه صار منسوخاً يعني: أداؤه يوم الحصاد بغير تقدير صار منسوخاً، ولكن أصل الوجوب لم يصر منسوخاً، وبين النبي ﷺ التقدير وهو: العشر ونصف العشر.

ثم قال تعالى: **﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما: «عمد ثابت بن قيس إلى خمسمائة نخلة فصرمها وقسمها في يوم واحد، فأسى ولم يكن لأهله شيء فنزل **﴿ولا تسرفوا﴾** ولا تصدقوا بالكل، ولا تمنعوا لعيالكم شيئاً. وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال: جدُّ معاذ بن جبل نخله، فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منه شيء، فنزل: **﴿ولا تسرفوا﴾** ويقال: **﴿ولا تسرفوا﴾** يعني: ولا تنفقوا في المعصية. قال مجاهد: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله تعالى ما يكون إسرافاً، ولو أنفقت درهماً في طاعة الشيطان كان إسرافاً. وروى عن معاوية بن أبي سفيان أنه سئل عن قوله: **﴿ولا تسرفوا﴾** قال: الإسراف ما قصرت عن حق الله. ويقال: **﴿ولا تسرفوا﴾** يقول: لا تشركوا الآلهة في الحرث والأنعام. وقد ذكر قوله: **﴿كلوا من ثمره﴾** بلفظ التذكير لأنه انصرف إلى المعنى، يعني: من ثمر ما ذكرنا<sup>(٢)</sup>..

ثم قال: **﴿إنه لا يحب المسرفين﴾** يعني: المشركين الذين يشركون الآلهة في الحرث والأنعام.

ثم قال تعالى: **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾** يعني: أنشأ لكم، وخلق لكم من الأنعام حمولة وفرشاً أي: مما يحملها عليه مثل الإبل والبقر، **﴿وفرشاً﴾** مثل الغنم وصغار الإبل. ويقال: الفرش ما لا يطبق الحمل، وهي ما دون الحفاق التي لا تصلح للركوب. **﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾** أي: من الحرث والأنعام حلالاً طيباً **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾** يعني: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** أي: ظاهر العداوة، غير ناصح لكم.

(١) في جميع الروايات: «العشر ونصف العشر».

(٢) هذه الزيادة في النسخة «ب».

ثم قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني: ثمانية أفراد، يقال لكل فرد معه آخر زوج، أي يقول: خلقت لكم ثمانية أصناف، ويقال: كلوا مما رزقكم الله ثمانية أزواج. نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه حيث قالوا: ﴿مَا فِي بَطْنِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ ففي هذه الآية دليل إثبات المناظرة في العلم، لأن الله تعالى أمر النبي ﷺ بأن يناظرهم ويبين فساد قولهم. وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليل: أن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به، ويروى: إذا ورد عليه النقص، لأن الله تعالى أمرهم أن يثبتوا بالمقايسة الصحيحة، وأمرهم بطرد علتهم، وأمرهم بأن يبينوا وجه الحرمة إن كان سبب الحرمة الأثوثة أو الذكورة أو اشتمال الرحم. فإن كان سبب الحرمة الأثوثة، ينبغي أن تكون كل أنثى حراماً لوجود العلة. وإن كان سبب الحرمة الذكورة، ينبغي أن يكون كل ذكر حراماً لوجود العلة، وإن كان محراماً لاشتمال الرحم، وقد حرم الأولاد كلها، ووجبت حرمتها جميعاً لوجود العلة فيها، فبين انتقاض علتهم وفساد قولهم، وذلك قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يعني: ثمانية أصناف ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: الذكر والأنثى: ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: الذكر والأنثى ﴿قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْإِثْنَيْنِ﴾ يعني: قل لهم من أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرين حَرَمٌ أَمِ مِنَ الْإِثْنَيْنِ؟ ﴿أَنَا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَزْحَامَ الْإِثْنَيْنِ﴾ يعني: أم من قبل اشتمال الرحم، لا يشتمل إلا على الذكر والأنثى.

﴿تَبْتُونِي بِعِلْمٍ﴾ يعني: أخبروني بسبب التحريم ﴿إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الله حرم ما تقولون ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْإِثْنَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَزْحَامَ الْإِثْنَيْنِ﴾ يعني: أين جاء هذا التحريم.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني: إذا لم تقدروا على إثبات تحريم ذلك بالعقل، فهل لكم كتاب يشهد على تحريم هذا؟ فذلك قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿إِذْ وَضَّاعُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ يعني: أمركم بذلك التحريم، فسكت مالك بن عوف وتحير، فقال له النبي ﷺ: ﴿مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ﴾ فقال: بل تكلم أنت فأسمع، قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بغير حجة وبيان ﴿لِيُنْزِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني: ليصرف الناس عن حكم الله تعالى بالجهل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: لا يرشدهم إلى الحجة، ويقال: لا يوفقههم إلى الهدى مجازةً لكفرهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بنصب العين، وقرأ الباقون بالجزم، ومعناها واحد.

﴿قُلْ لَا أَعْبُدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مَحْرَمًا عَلَى طَاعِهِ يَطَعُهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيسَةً أَوْ دَمًا مَسْفُورًا أَوْ لَحْمَ خَيْرٍ قَائِلًا رَجَسًا أَوْ فِسْقًا أَجَلًا لِعَبْرٍ أَنَّهُ يَدُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفَرٍ وَرَبُّ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طَهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَائِجَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُهُورِ ذَلِكَ جَرَسَتْهُمُ

يَتَّبِعُونَ وَإِنَّا لَمَصِدُونَ ﴿١١٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّيَ كَمِ ذُو رِمَمٍ وَمِيسَمٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ  
الْقَوَّيرِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٧﴾

ثم بين لهم ما حرم عليهم فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ يعني: لا أجد فيما أنزل علي من القرآن شيئاً محرماً ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾. يعني: على آكل يأكله ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ مِيتَةً﴾. قرأ ابن عامر: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ مِيتَةً﴾ بالثاء على لفظ التأنيث، لأن الميتة مؤنث وقرأ ﴿مِيتَةً﴾ بالنصب، بالضم لأنه اسم كان. وقرأ حمزة وابن كثير ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ بالثاء بلفظ التأنيث ﴿مِيتَةً﴾ بالنصب، فجعل الميتة خبراً لكان، والاسم فيه مضمرة. وقرأ الباقون: ﴿إِلَّا أَن يَكُونَ﴾ بلفظ التذكير ﴿الميتة﴾ بالنصب، وإنما جعلوه مذكراً لأنه انصرف إلى المعنى ومعناه: إلا أن يكون المأكول ميتة ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ يعني: سائلاً جارياً ﴿أَوْ لَحْمٍ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ أي: حرام ﴿أَوْ فَسَقًا﴾ يعني: معصية ﴿أَهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني: لغير اسم الله قد ذبح وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير. ومعناه: إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير أو فسقاً أهل لغير الله به، فإنه رجس يعني: جميع ما ذكر في الآية هو رجس. ويقال: الرجس هو نعت للحم الخنزير خاصة.

وروي عمر بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه، وأحلّ حلاله، وحرم حرامه فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الآية يعني: ما لم يبين تحريمه فهو مباح بظاهر هذه الآية. وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن أنه قال: «والله لولا حديث سلمة بن المحبق ما لبسنا خفافكم هذه، ولا نعالكم، ولا فراءكم، حتى نعلم ما هي». قال أبو بكر: فذكرت ذلك للزهري، فقال: صدق الحسن ولك عندي أوسع من هذا: حدثني عبيد الله بن عبد الله عن عبد الله بن عباس أنه قرأ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ محرماً الآية. قال: «إنما حرم من الميتة أكلها وما يؤكل منها، وهو اللحم، أما الجلد والعظم والشعر والصفوف فحلال». قال: وقد احتج بعض الناس بهذه الآية، على أن ما سوى هذه الأشياء التي ذكر في الآية مباح. ولكن نحن نقول: قد حرم أشياء سوى ما ذكر في الآية، وقد بين على لسان رسول الله ﷺ من ذلك: «كل ذي ناب من السباع»، «وكل ذي مخلب من الطير». وقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقد ذكرنا تأويل الآية. ثم قال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا﴾ يعني: أن هذه الأشياء التي ذكرنا في الآية كانت حراماً في الأصل، وقد حرم الله أشياء كانت حلالاً في الأصل على اليهود بمعصيتهم. ﴿كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾ يعني: الإبل والنعامة والبط والأوز. وكل شيء له خف وقال القتيبي: ﴿كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾

يعني: كل ذي مخلب من الطيور، وكل ذي حافر من الدواب، وسمي ظفراً على الاستعارة. وقال الكلبي: «كل ذي ظفر» يعني: ليس بمنشق ولا مجتر فهو حرام عليهم ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ يعني: شحوم البطون.

ثم استثنى فقال: «إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا» وقال الضحاك: إلا ما كان على اللحوم من الشحوم. وقال الكلبي: يعني: ما تعلق بالظهر من الشحم من الكلبيين. ويقال: حرم عليهم الثروب وأحل ما سواها. وواحد الثروب: ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش ﴿أَوْ الْخَوَابِإِ﴾ وهو المباعر واحدها حويّة ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ مثل الإلية. وروى جوير عن الضحاك قال: ما التزق بالعظم. ويقال: هو المخ ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَيْبِهِمْ﴾ يعني: ذلك التحريم عاقبناهم بشركهم وظلمهم ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ أن هذه الأشياء كانت حلالاً في الأصل، وحرمانها على اليهود بمعصيتهم، لأن اليهود كانوا يقولون: إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ﴾ يعني: فيما تقول من التحريم والتحليل ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ يعني: رحمته وسعت كل شيء لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ﴿وَلَا يُزِدُ بِأَسْءَهُ﴾ يعني: عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْءَأُ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّن عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَن تَتَّبِعُوا إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٧﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُكْمُ الْبَاطِنُ فَلَئِمَّا شَاءَ لَهَدَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ يعني: ولا أشرك آباؤنا ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ ولكن شاء لنا ذلك وأمرنا به ويقال: كان مذهبهم مذهب الجبرية. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: الأمم الخالية كذبوا رسلهم كما كذب قومك. وإنما كذبهم الله لأنهم قالوا ذلك على وجه السخرية لا على وجه التحقيق كما قال المنافقون: نشهد أنك لرسول الله، فكذبهم الله في مقاتلتهم، لأنهم قالوا على وجه السخرية. ثم قال: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْءَأُ﴾ يعني: الأمم الخالية أتاهم عذابنا، فهذا تهديد لهم ليعتبروا. ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿هَلْ عِندَكُمْ مِّن عِلْمٍ﴾ يعني: بياناً من الله ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ يعني: فتبينوه لنا بتحريم هذه الأشياء التي كانوا يحرمونها. ثم بين الله أنهم قالوا ذلك بغير حجة وبيان فقال الله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني:

ما تقولون إلا بالظن من غير يقين وعلم **﴿وإن أنتم إلا تخرون﴾** يعني: قل لهم ما أنتم إلا تكذبون على الله.

قوله تعالى: **﴿قل قلبه الحجة البالغة﴾** يعني: الحجة البالغة الوثيقة، وهو محمد ﷺ والقرآن. فبين لهم فيه ما أحل لهم وما حرم عليهم **﴿فلو شاء لهدأكم أجمعين﴾** يعني: لو شاء لوقفكم لدينه، وأكرمكم بالهدى لو كنتم أهلاً للإسلام، ولكن لم يوقفهم لأنهم لم يجاهدوا في الله حتى جهاده.

ثم قال: **﴿قل هل من شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾** عليكم **﴿فإن شهدوا﴾** على تحريمه **﴿فلا تشهد معهم﴾** فأخبر الله أنهم لو شهدوا، كانت شهادتهم باطلة، ولا يجوز قبول شهادتهم، لأنهم يقولون بأهوائهم.

ثم قال: **﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾** يعني: بمحمد ﷺ وبالقرآن **﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** يعني: البعث **﴿وهم يزعمون﴾** يعني يشركون بالله تعالى.

**﴿قُلْ مَكَالُوا أُنزِلَ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ. شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مِمَّنْ نَزَّلْنَا لَهُم مَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾**

**﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْحَقِّ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْيَتِيمَانَ الْفَقِيطَ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ. لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾** وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾

ثم قال تعالى: **﴿قل تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم﴾** يعني: قل لمالك بن عوف وأصحابه الذين يحرمون الأشياء على أنفسهم **﴿تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم﴾** يعني: آيين آيين لكم ما حرم الله عليكم وما أمركم به **﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾** يقال: معناه تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم، فقد تم الكلام.

**﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾** **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** يقول: نهاكم عن عقوق الوالدين، وأمركم بهرهما، ويقال: معناه **﴿تعالوا أنزل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً﴾** ويقال: معناه حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً. **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** يعني: أمركم بالإحسان إلى الوالدين **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾** يعني: من خشية الفقر **﴿نحن نزلناهم وإبناهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾** يعني: زنى السر والعلانية **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾** يعني: إلا بالقصاص أو بالرجم أو بترك الإسلام، فإن القتل بهذه الأشياء حتى



﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ﴾ يقول: أمركم به في القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أمر الله بما حرمه في هذه الآيات. وروي عن عبد الله بن مقسم عن ابن عباس قال: «هذه الآيات المحكمات: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ إلى ثلاث آيات»، وقال الربيع بن خثيم لرجل: هل لك في صحيفة عليها خاتم محمد ﷺ؟ ثم قرأ هذه الآيات ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم﴾ ويقال: هذه الآيات من أم الكتاب، ومن إمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ولا يجوز أن يرد عليها النسخ.

ثم قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ يقول: لا تأكلوا مال اليتيم ولا تباشروه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يعني: إلا بالقيام عليه لإصلاح ماله ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني: احفظوا ماله حتى يبلغ رشده. قال مقاتل: يعني ثماني عشرة سنة. وقال الكلبي: الأشد ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة. ويقال: حتى يبلغ مبلغ الرجل. ويقال: بلوغ الأشد ما بين ثماني عشرة إلى أربعين سنة. ثم قال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ يعني: أنمو الكيل والميزان عند البيع والشراء ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يعني: بالعدل ﴿لَا تَكْلَفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: إلا جهدها في العدل، يعني: إذا اجتهد الإنسان في الكيل والوزن، فلو وقعت فيه زيادة قليلة أو نقصان، فإنه لا يؤاخذ به إذا اجتهد جهده.

قوله تعالى: ﴿وَأِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ يعني: اصدقوا وقلوا الحق ﴿وَلَوْ كَانُ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يعني وإن كان الحق على ذي قرابة، فقلوا الحق، ولا تمنعوا الحق ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ يقول: أنمو العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينكم وبين الناس. ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ﴾ يقول: أمركم به في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يعني: تتعظون فتمتنعون عما حرم الله عليكم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالتشديد. لأن أصله تذكرون. فأدغم إحدى التاءين في الذال.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿وَأَنْ هَذَا﴾ الألف على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالنصب على معنى البناء. وقرأ ابن عامر ﴿وَأَنْ هَذَا﴾ بجزم النون. لأن ﴿أَنْ﴾ إذا خففت منعت عملها. ومعنى الآية: هذا الإسلام ديني الذي ارتضيته طريقاً مستقيماً ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني: لا تتبعوا دين اليهودية والنصرانية. ويقال: ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾. يعني: طريق السنة والجماعة ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يعني: الأهواء المختلفة. وروي عن عبد الله بن مسعود: «أن النبي ﷺ خطب بالارض خطأ مستقيماً، ثم خط بجنبه خطوطاً، ثم قال: «هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، يعني: الطريق الذي بجنبه الخط، يعني به: الأهواء المختلفة.

ثم قال: ﴿فَتَفَرَّقْ بِكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يعني: فيضلكم عن دينه ﴿ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني تجتنبون الأهواء المختلفة.



﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مِيزَانًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٧﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٨﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا آتِينَاتُ الْكِتَابِ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَذَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سََجَرَى الَّذِينَ يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سَوْءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، ويقال: الألواح التي كتبت له حين انطلق إلى الجبل. ويقال: معناه ثم أتت عليكم ما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾. ويقال: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو، يعني: وآتينا موسى الكتاب ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ قال القتيبي: أي تماماً على المحسنين. كما يقول ثلث مالي لمن غزا، أي للغزاة. والمحسنون: هم الأنبياء والمؤمنون. و﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام، كما نقول في الكلام: أنتم الله عليه النعمة، بمعنى: أنتم له، قال: ومعنى الآية - والله أعلم - وآتينا موسى الكتاب تماماً على ما أحسن من العلم والحكمة، أي مع ما كان له من العلم والحكمة، وكتب المتقدمين، أعطيناه زيادة على ذلك. ويكون ﴿الَّذِي﴾ بمعنى: ما. قال: ومعنى آخر: آتينا موسى الكتاب تكميلاً من المحسنين، يعني: الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ من ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: بياناً لكل شيء. قال: ويجوز معنى آخر: وآتينا موسى الكتاب إتماماً من الإحسان على من أحسن، تفصيلاً لكل شيء. ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ يعني: ونعمة ورحمة من العذاب ﴿لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: لكي يصدقوا بالبعث.

ثم قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مِيزَانًا﴾ يعني: القرآن فيه بركة لمن آمن به، وفيه مغفرة للذنوب. ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني: اقتدوا به. ويقال: عملوا بما فيه من الأمر والهيي. ﴿وَاتَّقُوا﴾ يعني: وأجتنبوا ولا تتخذوا إماماً غير القرآن ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني: لكي تُرحموا ولا تُعذبوا. ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني: أنزلنا هذا القرآن لكي لا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني: اليهود والنصارى. ويقال: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ يعني لكراهة أن تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وذلك أن كفار مكة قالوا: فأنزل الله اليهود كيف كذبوا أنبياءهم، والله لو جاءنا نذير أو كتاب لكانا أهدى منهم، فأنزل الله تعالى القرآن حجة عليهم.

ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ يعني: عن قراءتهم الكتاب لغافلين عما فيه. ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ يعني: لكي لا تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا آتِينَاتُ الْكِتَابِ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ يعني: أصوب

ديناً منهم ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: حجة من ربكم وهو محمد ﷺ والقرآن. وإنما قال: ﴿جاءكم﴾ ولم يقل: جاءتكم، لأنه انصرف إلى المعنى يعني: البيان، ولأن الفعل مقدم. ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ بمعنى: ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب. ويقال: قد جاءكم ما فيه من البيان وقطع الشبهات عنكم.

ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: لا أحد أظلم وأشد في كفره ممن كذب بآيات الله تعالى ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ يعني: أعرض عن الإيمان بها. ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ﴾ يعني: يعرضون ﴿عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ يعني: شدة العذاب بما كانوا يعرضون عن الآيات.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتَانَهَا لَمْ تَكُنْ مَأْمَنَةً مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ معناه، أتمت عليهم الحجة فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يعني: يأتي أمر ربك بما وعد لهم من العقوبة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ بِمَا وَعَدَ لَهُمْ﴾ كقوله: ﴿فَأَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] ويقال: أو يأتي عقوبة ربك وعذابه. وقد ذكر المضاف إليه ويراد به المضاف. كقوله تعالى: ﴿وَسَتَلِي الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يعني: أهل القرية. وكقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْغَيْبِلَ﴾ [البقرة: ٩٣] يعني: حب العجل. كذلك هاهنا يأتي أمر ربك يعني: عقوبة ربك وعذاب ربك. ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني: طلوع الشمس من مغربها ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ حين طلعت الشمس من مغربها ﴿لَمْ تَكُنْ مَأْمَنَةً مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أن الكافر إذا آمن في ذلك الوقت لا يقبل إيمانه، لأنها قد ارتفعت الحجة حين عاينوها، وإنما الإيمان بالغيب.

ثم قال: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ يعني: المسلم الذي يعمل في إيمانه خيراً، فمن كان لم يقبل عمله قبل ذلك، فإنه لا يقبل منه بعد ذلك. ومن كان قبل منه قبل ذلك فإنه يقبل منه بعد ذلك أيضاً. أو كانت النفس مؤمنة ولم تكن كسبت خيراً قبل ذلك الوقت، لا ينفعها الخير بعد. قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد بإسناده عن زر بن حبيش، عن صفوان بن عسال المرادي قال: بينما رسول الله ﷺ في سفر إذ جاء أعرابي فسأله عن أشياء حتى ذكر التوبة فقال النبي ﷺ: «لِلتَّوْبَةِ بَابٌ فِي الْمَغْرِبِ مَسِيرَةٌ سَبْعِينَ عَامًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ».

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا السراج. قال: حدثنا زياد بن أيوب عن

يزيد بن هارون، عن سفیان بن الحسين، عن الحكم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: كنت رديف رسول الله ﷺ وهو على حمار وعليه بردعة أو قطيفة، فنظر إلى الشمس حين غابت فقال: «يا أبا ذر هل تدري أين تغيب هذيه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حِمَّةٍ فتَنطَلِقُ حَتَّى تُحْرَ لِرَبِّهَا سَاجِدَةً تَحْتَ العَرَضِ، فَإِذَا دَنَا حُرُوجُهَا أُذُنَ لَهَا فَخَرَجَتْ. فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُطَلِعَهَا مِنْ مَغْرِبِهَا حَبَسَهَا. فَتَقُولُ: يَا رَبِّ إِنْ مَسِيرِي بَعِيدٌ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى اطَّلَعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَا بَنِي بَنِي أَنْبِيَاءِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾»<sup>(١)</sup> وروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لا يقبل الله من كافر عملاً ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيراً يومئذ. فإنه لو أسلم بعد ذلك قُبِلَ ذلك منه»، ومتى كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قبلت منه. وروى عن عمران بن حصين أنه قال: «إنما لم وقت وقت الظلوع حتى تكون صبيحته فيهلك كثير من الناس». فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت وهلك لم يقبل منه، ومن تاب بعد ذلك قبلت منه.

ثم قال تعالى: ﴿قُلِ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ يعني: انتظروا العذاب فإننا منتظرون بكم حتى ننظر أينما أسعد حالاً. قرأ حمزة والكسائي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ بالياء بلفظ التذكير، والباقون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بلفظ التانيث، لأن الفعل مقدم، فيجوز أن يذكر ويؤنث.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَيَتَّبِعُوا وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا أُنزِلَتْ إِلَيْكَ الْقُرْآنُ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ الَّتِي كَانُوا يُعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿فارقوا دينهم﴾ بالالف يعني: تركوا دينهم الإسلام ودخلوا في اليهودية والنصرانية. وقرأ الباقر ﴿فارقوا دينهم﴾ يعني: آمنوا ببعض الرسل ولم يؤمنوا ببعض ﴿وَكَانُوا شَيْعًا﴾ يعني: صاروا فرقاً مختلفة. وروى عن أسباط عن السدي أنه قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا﴾ هؤلاء اليهود والنصارى، تركوا دينهم وصاروا فرقاً ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: لم تؤمر بقتالهم، ثم نسخ وأمر بقتالهم في سورة براءة.

وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا﴾: «إِنَّهُمْ الْخَوَارِجُ»<sup>(٢)</sup>. وفي هذه الآية حث للمؤمنين على أن كلمة المؤمنين ينبغي أن تكون واحدة، وأن لا ينفرقوا في الدين، ولا يتدعوا البدع ما استطاعوا.

ثم قال: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ يقول: إنما عليك تبليغ الرسالة وليس عليك القتال.

(١) أخرجه مسلم (١٥٩) والبخاري (٣١٩٩) والترمذي (٢١٨٦) وأحمد (٣٢٢٧) وأحمد: ١٧٧/٥.

(٢) عزاه السيوطي: ٤٠٢/٣ إلى عبد بن حميد وابن مردويه بلفظ «هم الحرورية».

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني: الحكم إلى الله ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي في الدنيا، ويقال: ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم، إنما أمرهم إلى الله تعالى بما كانوا يفعلون.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يعني: من جاء بالإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله، فله بكل عمل عمله في الدنيا من الخير عشرة أمثاله من الثواب. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يعني: بالشرك ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا﴾ وهو الخلود في النار، لأن الشرك أعظم الذنوب، والنار أعظم العقوبة فيكون مثله، فذلك قوله: ﴿جَزَاءُ وَفَأَقَا﴾ [النبا: ٢٦] يعني: جزاء وافق العمل. ويقرأ فله ﴿عشر﴾ بالتنوين ﴿أمثالها﴾ بضم اللام، فتكون الأمثال صفة للعشر، وهي قراءة شاذة قرأها الحسن البصري ويعقوب الحضرمي والقراءة المعروفة: ﴿عشر أمثالها﴾ على معنى الإضافة، وتكلموا في السئل، قال بعضهم: إذا عمل العبد عملاً يعطى في الآخرة ثواب عشرة. ويقال: وإنه يكتب للواحدة عشرة. وروى أبو أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنْ صَاحِبَ الْبَيْمِينَ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّمَالِ. وَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ حَسَنَةً كُتِبَ لَهُ عَشْرَةٌ أَمْثَالِهَا. وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً فَازَادَ صَاحِبَ الشَّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا قَالَ لَهُ صَاحِبُ الْبَيْمِينَ: أَمْسِكْهَا، فِيمَسِكُ بِسْتِ سَاعَاتٍ أَوْ سَبْعِ سَاعَاتٍ. فَإِنْ اسْتَغْفَرَ لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ»<sup>(١)</sup>. ويقال: إن الله تعالى قد وعد للواحدة عشراً فهو أعرف بكيفيته. فإن قيل: ذكر هاهنا للواحدة عشرة وذكر في آية أخرى سبعائة، وفي آية أخرى أضعافاً مضاعفة، قيل له: قد تكلم أهل العلم في ذلك، قال بعضهم: يكون للعوام عشرة، والخواص سبعائة وأكثر إلى ما لا يحصى. وقال بعضهم: العشرة اشترط لسائر الحسنات، والسبعائة للنفقة في سبيل الله، فالخاص والعام فيه سواء.

وقد جاء في الأثر ما يؤكد القولين فقد روى عطية عن ابن عمر قال: «نزلت هذه الآية في الأعراب ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال رجل: ما للمهاجرين يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هو أفضل من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا دَرًّا وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُعْذِبْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٤٠] وإذا قال الله لشيء عظيماً فهو عظيم.

وروى همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا يُكْتُبُ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ. وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَفْعَلُهَا يُكْتُبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يُلْقَى اللَّهُ بِهَا ذَنْبًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) عزاه السيوطي: ٤٠٦/٣ إلى مردويه والطبراني والبيهقي.

(٢) عزاه السيوطي: ٤٠/٣ إلى ابن مردويه.

وروي خریم بن فانك قال: قال رسول الله ﷺ: «الْأَعْمَالُ سِتَّةٌ فُجُوجَاتَانِ، وَمِثْلُ بِمِثْلِ، وَحَسَنَةٌ بِحَسَنَةٍ، وَحَسَنَةٌ بِعُشْرَةٍ، وَحَسَنَةٌ بِسَبْعِمِائَةٍ. فَأَمَّا الْمُوجِبَاتَانِ فَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ دَخَلَ النَّارَ. وَأَمَّا مِثْلُ بِمِثْلِ فَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ حَتَّى تَشْتَبِهَ بِهَا نَفْسُهُ وَيَعْلَمَهَا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ كَيْبَ لَهُ حَسَنَةٌ. وَأَمَّا حَسَنَةٌ بِعُشْرَةٍ فَمَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا. وَأَمَّا حَسَنَةٌ بِسَبْعِمِائَةٍ فَالْتَّفُقَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. ثم قال تعالى:

﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً ولا يزدون على سيئاتهم.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ ابْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١١٦)</sup> قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي﴾ وذلك أن أهل مكة قالوا له: من أين لك هذه الفضيلة وأنت بشر مثلنا؟ فإن فعلت لتطلب المال فاترك هذا القول حتى نعطيك من المال ما شئت. فنزل ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي﴾ إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ يعني: وفقني الله وهداني إلى دين الإسلام، وهو دين لا عوج فيه ﴿دِينًا قِيَمًا﴾. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ بنصب القاف وكسر الياء مشددة. وقرأ الباقون ﴿قِيَمًا﴾ بكسر القاف ونصب الياء ويكون على معنى المصدر. ومن قرأ بالنصب يكون على معنى النعت ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ يعني: ديناً عادلاً مستقيماً ﴿مِثْلَهُ ابْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يعني: مستقيماً مخلصاً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ على دينهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ وأصل النسك: ما يتقرب به، يعني: قل إن صَلَاتِي المفروضة وقرباني وديني ﴿وَمَحْيَايَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَمَاتِي﴾ بعد الحياة. ويقال: ﴿ونسكي﴾ يعني: أضحتي وحجتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ في الكتاب ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من أهل مكة. ويقال: أول المسلمين يوم الميثاق. ويقال: ﴿صَلَاتِي﴾ يعني: صلاة العيد ﴿ونسكي﴾ يعني: الأضحية.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعائشة رضي الله عنه: «قومي إلى أضحتك وأذبحي وقولي: إن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». ويقال: أنا أول المخلصين بالثبات على الإسلام.

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهِي رَبِّيَ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكَ رِزْقٌ مَرَّجَمُكَ فَيَبْتَسِكُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup> وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَخْرَجَ

(١) عزاء السيوطي: ٤٠٧/٣ إلى أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب.

الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَوْرٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ ابْنِي رَبَّنَا﴾ يقول: أعبد واطلب رباً غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من خلقه في السموات والأرض، لأنهم كانوا يقولون له: نحن كفلاء لك بما يصيبك ومن تابعتك. فنزل ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يعني: إلا لها أو عليها إن كان خيراً فلها، وإن كان شراً فعليها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يعني: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي مصيركم في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين، ويبين لكم الحق من الباطل بالمعايينة.

ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يعني: سكان الأرض من بعد إهلاك الأمم الخالية، لأن النبي ﷺ خاتم النبيين، وأمنه قد خلفوا جميع الأمم. ويقال: ﴿خَلَائِفَ﴾ يعني: يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي فضل بعضكم على بعض في المال والرزق ﴿لِيُبْلِغُكُمْ فِيْمَا آتَاكُمْ﴾ يعني: ليبتلي المومنين بالخير ويطلب منه الشكر، ويبتلي المغيبر بالفاقة ويطلب منه الصبر. ويقال: ﴿لِيبلوكم﴾ يعني: بعضكم ببعض كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠] لتصبروا.

ثم خوفه فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ كأنه جاء لأن ما هو آت فهو قريب، كما قال: ﴿وَمَا أَسْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [القدر: ٥٠] ﴿زَيْنَهُ لَغُفُورٌ﴾ يعني: لمن أطاعه في فاقة أو غنى. ويقال: ﴿سريع العقاب﴾ لمن لم يشكر نعمته وكان مصراً على ذلك.

و ﴿إِنَّهُ لَغُفُورٌ﴾ لمن رجع وتاب ﴿رحيم﴾ بعد التوبة. ويقال: ﴿سريع العقاب﴾ لمن لم يحفظ نفسه فيما أعطاه من فضل الله، وترك حق الله في ذلك ﴿وإنه لغفور﴾ لمن تاب ﴿رحيم﴾ بعد التوبة. قال الفقيه قال: حدثنا أبو الحسين بن حمدان بإسناده إلى أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَشِيعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَهُمْ رَجُلٌ بِالنَّسْبِ وَالنَّحْبِ وَالتَّهْلِيلِ»<sup>(١)</sup> قال. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْعَامِ صَلَّى عَلَيَّ وَاسْتَفْتَرَ لَهُ وَأَوْتِكَ السَّبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بِعَدَدِ كُلِّ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ يَوْمَآ وَلَيْلَةً»<sup>(٢)</sup> وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) عزاء السيوطي: ٢٤٤/٣ إلى أبي الشيخ.

(٢) عزاء السيوطي: ٢٤٥/٣ إلى أبي الشيخ وابن مردويه.

## سورة الأعراف

مكية وهي مانتان وست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْتَصَّ ۝۱﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِشَيْءٍ بِهِ. وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

﴿۱﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿۲﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَصَّ﴾ قال ابن عباس يعني: أنا الله أعلم وأفضل معناه: أعلم بأمر الخلق، وأفضل الأحكام والأمور والمقادير، فليس لي شريك في تدبير الخلق. ويقال: معناه أنا الله المصور، ويقال: أنا الله الناصر، ويقال: أنا الله الصادق.

وروي معمر عن قتادة قال: إنه اسم من أسماء القرآن، ويقال هو قسم ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: أن هذا الكتاب أنزل إليك يا محمد ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ أي: فلا يقعن في قلبك شك منه، يعني: من القرآن أنه من الله تعالى. والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره. كقوله: ﴿وَإِن كُنْتَ فِي شكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ۹۴]. ويقال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ يعني: فلا يضيقرن صدرك بتكذيبهم، كقوله تعالى: ﴿لَنْ نَكْفُرَ بِنِعْمَتِكَ إِلَّا يَكْفُرُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ۳۰] والحرَج في اللغة: هو الضيق.

ثم قال: ﴿لِنُنذِرَ بِهِ﴾ على معنى التقديم يعني: كتاب أنزلناه إليك لتنذر به، يعني: لتخوف بالقرآن أهل مكة ﴿وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: عظة للمؤمنين الذين اتبعوك.

ثم قال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: صدقوا، وأعملوا بما أنزل على نبيكم محمد ﷺ من القرآن، ويقراه عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: ولا تتخذوا من دون الله أرباباً، ولا تعبدوا غيره.

ثم أخير عنهم فقال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿مَا﴾: صلة في الكلام ومعناه: قليلاً تتعظون، يعني: أنهم لا يتعظون به شيئاً. قرأ ابن عامر ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ على لفظ المغايبه بالياء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء على معنى المخاطبة بتشديد الذال والكاف، لأن أصله: تتذكرون، فادغم إحدى التائين في الذال. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال، وإسقاط التشديد للتخفيف.

﴿وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْتَهَا فَمَآ هَا بَآسًا بَیْتًا أَوْ هُمْ قَابِلُونَ ﴿۱﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ



بَأْسًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾  
 فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا كُنَّا عَنْهُمْ ﴿٧﴾

ثم خوفهم فقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ معناه: وكم من أهل قرية وعظماهم فلم يتعظوا، فأهلكناهم ﴿فَجَاءَهَا بَأْسًا﴾ يعني: جاءها عذابنا بعد التكذيب ﴿بَيَاتًا﴾ يعني: ليلاً. سمي الليل بياتاً لأنه يبات فيه كما سمي البيت بياتاً لأنه يبات فيه ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ يعني: عند القيلولة. فإن لم تتعظوا أنتم، ياتيكم العذاب ليلاً أو نهاراً كما أتاهم.

ثم أخبر عن حال من أتاهم العذاب فقال: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ يعني: لم يكن قولهم حين جاءهم العذاب، ولم تكن لهم حيلة إلا أنهم تضرعوا وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ظلمنا أنفسنا بترك طاعة ربنا من التوحيد، يعني: أن قولهم بعدما جاءهم العذاب والهلاك لم يفعهم، فاعتبروا بهم فإنكم إذا جاءكم العذاب لا يفعكم التضرع.

ثم أخبرهم حالهم يوم القيامة فقال: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: الأمم، هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم، وماذا أجبتهم المرسلين؟ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن تبليغ الرسالة وماذا أجبتهم الرسل. وهذا كقوله تعالى: ﴿لَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]

ثم قال تعالى: ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بَعْلَمٌ﴾ يعني: فلنخبرتهم بما عملوا في الدنيا ببيان وعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عما بلغت الرسل وعما رد عليهم قومهم. ومعناه: وما كنا نسألهم لنعلم، ولكن سألتهم حجة عليهم.

﴿وَالْوِزْنَ بِوَمِيزٍ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَا كَاثِرُوا بِآيَاتِنَا يُظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ بِوَمِيزٍ الْحَقِّ﴾ يعني: وزن الأعمال يومئذٍ بالعدل ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ يعني: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الناجون. وتكلموا في وزن الأعمال، قال بعضهم: توزن الصحائف التي كتبها الحفظة في الدنيا. وقال بعضهم: يجعل للأعمال صورة، وتوضع في الميزان، وقال بعضهم: هذا على وجه المثل، وهو كناية عن التعديل، وهو قول المعتزلة. وقال بعضهم: قد ذكر الله تعالى الوزن، فنؤمن به ولا نعرف كيفيته. وروى بلال الحبشي، عن حذيفة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنْ جَبُرِلَ صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: زِنْ بَيْنَهُمْ فَرْدٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَرْهَمُ يَوْمئِذٍ، وَلَا فِضَّةٌ، وَلَا دِينَارٌ، فَيَرُدُّ الظَّالِمَ عَلَى الْمَظْلُومِ مَا وَجَدَ لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ. فَإِنْ لَمْ تَوْجِدْ لَهُ حَسَنَةً أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ فَيَرُدُّ عَلَى الظَّالِمِ فَيَرْجِعُ الظَّالِمَ وَعَلَيْهِ سَيِّئَاتُ مِثْلِ الْجَبَلِ»<sup>(١)</sup>.

(١) عزاه السيوطي ٤١٨/٣ إلى ابن أبي الدنيا وابن جرير



للملائكة: اسجدوا لآدم، وهي سجدة التحية لا سجدة الطاعة. فالعبادة لله تعالى، والتحية لآدم ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ يعني: لم يسجد مع الملائكة لآدم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ الْإِنْسَانَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ يعني: أن تسجد ولا زيادة. ومعناه: ما منعك عن السجود إذ أمرتك بالسجود لآدم ﴿قَالَ﴾ إبليس: إنما لم أسجد لأتني ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ يعني: هذا الذي منعتني عن السجود. فاشتغل اللعين بالقياس، والقياس في موضع النص باطل. لأنه لما أقر بأنه هو الذي خلقه، فقد أقر بأن أمره عليه واجب، وعليه أن ياتمر بأمره. ومع ذلك لو كان القياس جائزاً لكان قياسه فاسداً، لأن الطين أفضل من النار، لأن عامة شمار والفواكه والحبوب تخرج من الطين، ولأن العمارة من الطين، والنار للخراب.

ثم قال له ربه عز وجل: ﴿فَاهْبِطْ بِهَا﴾ قال مقاتل: يعني: اهبط من الجنة ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة. وقال الكلبي: ﴿فاهبط منها﴾ يعني: اخرج من الأرض والحق بجزائر البحور، فلا تدخل الأرض إلا كهيئة السارق وعليه الخمار يروغ فيها، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ يعني: ما ينبغي لك أن تتكبر في هذه الأرض على بني آدم ﴿فَأَخْرَجُ إِنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ يعني: من المهانين المذللين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يعني: أجلني إلى يوم البعث، اليوم الذي يخرج الناس من قبورهم. قال ابن عباس: «أراد الخبيث ألا يذوق الموت، فأبى الله تعالى أن يعطيه ذلك». ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ يعني: إلى النفخة الأولى، فحينئذ تذوق الموت وتصيبه المرارة بعدد الأولين والآخرين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي﴾ قال الكلبي: يعني: فكما أضللتني. وقال مقاتل: يعني أما إذا أضللتني. وقال بعضهم: ﴿فِيمَا أُغْوِيَنِّي﴾ يعني: فيما دعوتني إلى شيء غويت به. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني: لأقعدن لهم على طريقك المستقيم، وهو دين الإسلام، فأصد الناس عن ذلك. ﴿ثُمَّ لَأَنْبِئَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ روى أسباط عن السدي قال: ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الدنيا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا ﴿وَمَنْ خَلْفَهُمْ﴾ الآخرة أشككهم فيها ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال: الحق أشككهم فيه ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ قال: الباطل أخفقه عليهم وأرغبتهم فيه.

وقال في رواية الكلبي: ﴿ثُمَّ لَأَنْبِئَهُمْ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة، فأزین لهم التكذيب بالبعث، بأنه لا جنة ولا نار، ﴿وَمَنْ خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا فأزینها في أعينهم وأرغبتهم فيها، فلا يعطون حقاً ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: من قبل دينهم، فإن كانوا على الضلالة زينت لهم، وإن كانوا على الهدى شبهته عليهم حتى يشكوا فيه ويقال: ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ من قبل اللذات والشهوات، ويقال: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ باليهودية والنصرانية ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ بالأهواء المختلفة. ويقال: معناه لآتيهم بالإضلال من جميع جهاتهم ويقال: ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ فيما أمروا به ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ فيما نهوا عنه. ويقال: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ أي: فيما يعملون، لأنه يقال

عملت يدك ﴿وَلَا تَجِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ يعني ذرية آدم عليه السلام لا يكونون شاكرين لنعمتك، ويقال: ﴿شَاكِرِينَ﴾ يعني: مؤمنين وقال في آية أخرى: ﴿وَوَيْلٌ لِّمَنِ عِبَادِي أَشْكُرُ﴾ [سبأ: ١٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠] ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْخُورًا﴾ قال الكلبي ومقاتل: يعني أخرج من الجنة ﴿مَذْخُومًا﴾ أي: معيباً، ﴿مَدْحُورًا﴾ يعني: مطروداً. وقال الزجاج: ﴿مَذْخُومًا﴾ يعني: مذموماً. يقال: ذامت الرجل وذمته إذا عبته. ﴿مَدْحُورًا﴾ يعني: مبعداً من رحمة الله تعالى ﴿لَمَنْ نَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ يعني: مَنْ أطاعك فيما دعوته إليه. واللام زيادة للتأكيد ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: ممن أطاعك منهم من الجن والإنس، ويكون هذا اللفظ بمعنى القسم والتأكيد: وأنه يفعل ذلك لا محالة.

﴿وَهَكَادُمْ اسْكُرْ أَنْتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ فُكُلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾  
 ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيْكُمْ أَنْ تَأْكُمَا مِنْهَا فَذَلَّلَهُمَا يَتَذَوَّبُ فَلَمَّا طَافَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطِيفَا بَيْنَ يَدَيْهَا بِخَصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ زَوْجِ الْجَنَّةِ وَتَادَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَّا يَنْهَكُمَا عَنْ يَتْلِكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقَلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ يُبِينُ ﴿٢١﴾ فَلَا رَيْبَ لَنَا أَنَّكُمْ أَنْتُمْ وَإِنْ لَرَّ تَغْفِرَ لَنَا وَرَحْمَتَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرَقٌ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ فِيهَا عَجْوَةٌ فِيهَا تَمْرٌ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُرْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ﴾ يعني: وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴿فُكُلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ يعني: من حيث أحببتهما موسعاً عليكما ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني: ولا تأكلا من هذه الشجرة ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: فتصيرا من الضارين بأنفسكما. قوله تعالى: ﴿فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ يعني: زين لهما الشيطان ﴿لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا﴾ يعني: أراد إبليس بالوسوسة ليظهر ما ستر من عوراتهما، والسوأة: كناية عن العورة. وذلك أن إبليس لما رأى محسوده في الجنة، ورأى نفسه طريداً لم يصبر، واحتال لإخراجهما فأتاهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾ يعني: أنكما لو أكلتما تصيران كالمملكين لا تموتان أبداً أو تكونان كالملائكة، وتعلمان الخير والشر. ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ يعني: إن لم تكونا مَلَكَتَيْنِ، فتكونا من الخالدين لا تموتان أبداً. وقرأ بعضهم ﴿مَلَكَتَيْنِ﴾ بالخفض كما قال: في آية أخرى ﴿وَمُلْكِي لَا يَبْلُغُ﴾ [طه: ١٢٠] وهي قراءة يحيى بن أبي كثير.

قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ يعني: حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُنَّا لِمِنِ النَّاصِحِينَ﴾ بأنها شجرة الخلد، من أكل منها لم يموت. وكان آدم لم يعلم أن أحداً يحلف بالله كاذباً ﴿فَذَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ﴾

يعني: غرهما بباطل ويقال: زُيِّنَ لهما. وأصله في اللغة: من التقريب، يعني: قريهما إلى الشجرة **﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾** يقول: فلما أكلَا من الشجرة ووصل إلى بطونهما، تهافت لباسهما عنهما **﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾** يقول: ظهرت لهما عوراتهما، وإنما سميت العورة سواة، لأن كشف العورة قبيح.

قال الفقيه: حدثنا أبو جعفر. قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم قد ذكر بإسناده عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَدَمَ كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا، كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ كَثِيرٌ شَعْرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ فِي الْحُطَيْبَةِ، بَدَتْ لَهُ سَوْآتُهُ وَكَانَ لَا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَنْطَلَقَ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ، فَتَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَدَمُ أَنْفِرْ مِنِّي؟ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَسْتَجِي». وفيه دليل أن ستر العورة كان واجباً من قَت آدم عليه السلام لأنه لما كشف عنهما، سترتا عوراتهما بالأوراق، فذلك قوله تعالى: **﴿وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ﴾** يعني: أقبلتا وعمدا على أبدانهما ورقة ورقة ومنه يقال: خصف فعله وهو إطباق طاق على طاق. وأصل الخصف: الضم والجمع، يعني: أقبلتا وعمدا يلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين، والخصف: إنما هو إلصاق الشيء بالشيء، ولهذا يقال له: خصاف<sup>(١)</sup>.. وقرأ بعضهم **﴿وَطَفِقَا﴾** بالنصب وهما لغتان طَفِقَ يَطْفُقُ وَطَفِقَ يَطْفِقُ **﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾** يعني: قال ربهما: **﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾** يعني: عن أكل تلك الشجرة **﴿وَأَقْبَلْ لَكُمَا﴾** يعني: ألم أقبل لكما **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾** يعني: إبليس لكما عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى: **﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾** بأكلنا الشجرة، فاغفر لنا وتجاوز عن معصيتنا **﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾** يعني: إن لم تتجاوز عن ذنوبنا **﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** بالعقوبة، فهذه لام القسم، كأنهما قالا: والله لنكونن من الخاسرين إن لم تغفر لنا وترحمنا. وقد ذكر الله تعالى قبول توبتهما في سورة البقرة، وهو قوله تعالى: **﴿فَأَبَّ عَلَيْهِ﴾** [البقرة: ٣٧] يعني: قبل توبته. وفي الآية دليل أن الله تعالى يعذب عباده إذا أصرُوا على الذنوب، ويتجاوز عنهم إذا تابوا، لأن إبليس لم يتب، وسأل النظرة، فجعل مأواه جهنم. وتاب آدم ورجع عن ذنبه، فقبل توبته. قوله: **﴿قَالَ اقْبِطُوا﴾** يعني: آدم وحواء عليهما السلام وإبليس لعنه الله **﴿بِنُفْسِكُمْ يُبْغِضُ عَدُوًّا﴾** يعني: إبليس عدو لآدم وحواء.

ثم قال: **﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾** يعني: منزل وموضع القرار **﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾** يعني: ومعاش إلى وقت الموت.

قوله تعالى: **﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾** يعني: في الأرض تعيشون **﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَبِئْسَ نُحُورُجُونَ﴾** يعني: من الأرض من قبوركم يوم القيامة. قرأ حمزة والكسائي وابن عامر

(١) سائط في النسخة ٥١٤.

﴿يَخْرُجُونَ﴾ بنصب الياء وضم الراء، وقرأ الباقون ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء ونصب الراء على معنى فعل ما لم يسم فاعله.

﴿بَيْنَ مَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّقُ سَوَاءَ بَدَنِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ بَيْنَ مَادَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءً إِنَّهُ يَبْرُنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَاهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِذَا قَعَلُوا فَجَسَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً نَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَشَاءُونَ ﴿١١٨﴾ قُلْ أَسْرَرْتُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَنبِئُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأْتُمْ تَعْدُونَ ﴿١١٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً مِنَ دُونِ اللَّهِ وَخَسِرُوا أَنَّهُمْ هُمِتُّودُونَ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ يقول: خلقنا لكم الثياب ﴿يُؤَارِي سَوَاءَ بَدَنِكُمْ﴾ يعني: يستر عورتكم، ويقال: معناه، أنزلنا عليكم المطر ينبت لكم القطن والكثبان لِبَاسًا لَكُمْ.

ثم قال: ﴿وَرِيشًا﴾ قرأ الحسن البصري: ورياشاً بالالف. وقرأ غيره ﴿وَرِيشًا﴾ بغير ألف وقال القتيبي: الريش والرياش ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به. ويقال: الرياش: المال والمعاش. قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي أسامة، عن عوف بن أبي جميلة عن معبد الجهني في قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ قال: هو ما تلبسون ﴿وَرِيشًا﴾ قال: المعاش ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ هو الحياء ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يعني: لباس التقوى وهو الحياء خير من الثياب، لأن الفاجر وإن كان حسن الثياب فإنه بادي العورة، ألا ترى إلى قول الشاعر حيث يقول:

حشى كائني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط القوم عريانا

وقال القتيبي: ﴿لباس التقوى﴾ أي: ما ظهر عليه من السكينة والعمل الصالح كما قال: ﴿لِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ الإيمان ويقال: العفة. وتغير حالهم. قرأ نافع والكسائي وابن عامر ﴿لِبَاسَ﴾ بالنصب يعني: أنزل لباس التقوى، وقرأ الباقون بالضم على معنى الابتداء. ويقال: فيه مضمر يعني: وهو ﴿لباس التقوى﴾ ومعناه: ستر العروة أي: لباس المتقين. وقرأ عبد الله بن مسعود ﴿لباس التقوى﴾ خير. وقال مجاهد: كان أناس من العرب يطوفون حول البيت عراة فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاءَ بَدَنِكُمْ وَرِيشًا﴾ يعني: من المال. ويقال: معنى قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يعني: اللباس خير من تركه، لأنهم كانوا يطوفون عراة.



قوله: ﴿ذَلِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: من نعم الله على الناس، ويقال: من عجائب الله ودلائله. ﴿تَعْلَمُهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يعني: يتعظون من قوله تعالى.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَمُ الشَّيْطَانُ﴾ يقول: لا يضلّتكم الشيطان عن طاعتي فيمنعكم من الجنة ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ حين تركا طاعتي وعصيا أمري ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ آبَهُمَا﴾ يعني: لا يفتنّكم الشيطان عن دينكم في أمور الثياب فينزعهما عنكم، فتبدوا عوراتكم كما فعل بأبويكم، نزع عنهما لباسهما وأظهر عورتها. وقال بعض الحكماء: إن المعصية شؤم تضر بصاحبها فتجعله عرباناً كما فعلت بآدم عليه السلام.

ثم قال: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ - يعني: كونوا بالحدز منه، فإنه ﴿يراكم هو﴾ أي إبليس وجنوده من الشياطين<sup>(١)</sup> - لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم. وذكر أن إبليس لما لعن قال: يا رب إنك باعث إلى بني آدم رسلاً وكتباً، فما رسلني؟ قال: الكهنة. قال: فما كتابي؟ قال: الوشم. قال: فما قراءتي قال: الشعر، قال: فما مسجدي؟ قال: السوق، قال: فما مؤذني؟ قال: المزامير، قال: فما بيتي؟ قال: الحمام، قال: فما مصائدي؟ قال: النساء. قال: فما طعامي؟ قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: قرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني: لا يصدقون بالآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً﴾ يعني: إن المشركين حرموا على أنفسهم أشياء قد أحلها الله لهم، وكانوا يظفون بالبيت عراة، قالوا: لا نطوف في ثياب قد أذنبتنا فيها، وكان رجالهم يظفون بالبيت بالنهار ونساءهم يظفون بالليل، وإذا طافت المرأة بالنهار اتخذت إزاراً من سير، وكانت تبدو عورتها إذا مشت وكانت تقول:

اليوم يبذو بعضه أو كلّه

فما بدّا منه فلا أحلّه

وإذا قيل لهم: لم فعلتم هكذا؟ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ يعني: بتحريم

هذه الأشياء، وبالطواف عراة.

قال الله لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ يعني: بالمعاصي ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أنكذبون على الله وتقولون بغير علم وتكذبون على الله؟

ثم بين لهم ما أمرهم الله تعالى فيه. فقال عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ يعني:

بالعدل والصاب، وكلمة التوحيد وهي: شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يعني:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ وقل: ﴿أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ جُنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يعني: حولوا وجوهكم إلى

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة ٤١.



الكعبة عند كل صلاة. وقال الكلبي: يعني إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد فصلوا فيه، ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وإذا لم يكن في مسجد فليات أي مسجد شاء. وقال مقاتل: يعني ولأولئك وجهكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول: وحده واعبُدوه بالإخلاص. ويقال: إن أهل الجاهلية كانوا يشركون في تليبتهم، ويقولون: لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأمرهم أن يدعوه في التلبية مخلصين له الدين.

ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي ليس كما تشركون. فاحتج عليهم بالبعث متصلاً بقوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ يعني: ليس بعثكم على الله تعالى بأشد من ابتدائكم. وقال الحسن: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم، كذلك يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة. ويقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ يوم الميثاق من التصديق والتكذيب ﴿تَعُودُونَ﴾ إلى ذلك. حيث قال: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي». ويقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ فخلقكم من تراب تعودون تراباً بعد الموت. وقال ابن عباس: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ «مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً، كذلك تموتون عليه وتبعثون عليه».

ثم قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم المؤمنون، فعلم الله تعالى منهم الطاعة، وأكرمهم بالمعرفة ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ يعني: وجب عليهم الضلالة، فخذلهم ولم يكرمهم بالتوحيد حيث علم منهم المعصية والكفر.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: اتخذوهم أولياء وأطاعوهم بالمعصية ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ يعني: يظنون أنهم على الهدى. قال الزجاج: فيه دليل أن من لا يعلم أنه كافر وهو كافر يكون كافراً، لأن بعضهم قال: لا يكون كافراً وهو لا يعلم، وذلك القول باطل لأن الله تعالى قال: ﴿ذَلِكَ ظُلْمٌ أَلَيْسَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿يَبْنَیْ بَنِيَّ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٢١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يعني: البسوا ثيابكم واستروا عوراتكم عند كل صلاة. قال السدي: كان هؤلاء الذين يطوفون بالبيت عمرة يحرمون الودك. فقال الله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في التحريم. ويقال: الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله، أو يأكل مما يحل له أكله فوق الشبع ومقدار الحاجة. وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم، قد جمع الله تعالى

الطب كله في هذه الآية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: لا تحرموا ما أحل الله لكم، فإن محرّم ما أحل الله، كمثل ما حرم الله. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ - وهو أنه لما نزل قوله: ﴿خذوا زينتكم﴾ لبسوا الثياب وطافوا بالبيت مع الثياب فعيرهم المشركون، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ أي ليس الثياب ﴿التي أخرج لعباده﴾<sup>(١)</sup> - يعني: خلقها لهم. ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ يعني: الحلال وهو اللحم والشحم والدمس ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال مقاتل: في الآية تقديم، ومعناه: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق في الحياة الدنيا ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قرأ نافع: ﴿خالصة﴾، بضم الهاء، وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب، جعلنا نصباً للحال، أي في حال الحياة الدنيا ﴿خالصة﴾ أي ثابتة. ومن قرأ بالضم فهو خير بعد خبر يعني: هي ثابتة لهم خالصة معناه: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، يشترك فيها المؤمن والكافر، وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة. وقال القتبي: هذا من الاختصار ومعناه: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وفي الآخرة خالصة.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْضُلُ الْآيَاتِ﴾ يعني: هكذا نبين العلامات، ويقال: نبين الآيات من أمره ونهيه وما يكون في الدنيا والآخرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: يفقهون أمر الله تعالى.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

ثم أخبرهم ما حرم الله عليهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ يعني: المعاصي. ويقال ﴿الإثم﴾ يعني: الخمر كما قال القائل:  
شربت الإثم حتى ضلّ عقلي  
كذاك الإثم يذمّ بالمعقول

﴿وَالْبَغْيَ﴾ يعني: حرم الاستطالة وظلم الناس ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ يقول: وحرم أن تشركوا بالله ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يقول: ما لم ينزل به كتاباً فيه عذرکم وحجة لكم ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: وحرم عليكم أن تقولوا على الله ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حرم عليكم.

ثم خوفهم فقال عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني: لكل أهل دين مهلة للعذاب ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ بعد الأجل ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ساعة قبل الأجل.

(١) ما بين معقوفتين ساقط في النسخة ٥١٠.

﴿بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ آتَقَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آئِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

ثم قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وأصله: إن ما ومعناه: متى ما يأتيكم ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ يعني: من جنسكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يعني: يقرؤون ويعرضون عليكم كتابي ﴿فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ﴾ يعني: اتقى الشرك وأطاع الرسول وأصلح العمل، ويقال: ﴿فَمَنْ آتَقَى﴾ عما نهى الله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يعني: عمل بما أمر الله به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوات الثواب. ويقال: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من الدنيا، ويقال: معناه إما يأتيكم رسل منكم فأيقنتم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيما يستقبلكم.

فذكر الله ثواب من اتقى وأصلح، ثم بين عقوبة من لم يتق ولم يصلح فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ يعني: تعظموا عن الإيمان، فلم يؤمنوا بالرسول وتكبروا عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: دائمون.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قال الكلبي: فمن أكثر. وقال بعضهم: هذا التفسير خطأ، لأنه لا يصح أن يقال هذا أكثر من هذا، ولكن معناه: ومن أشد في كفره. ويقال: فلا أحد أظلم، ويقال: أي ظلم أشنع وأقبح ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: من اختلق على الله كذباً أي: شركاً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يعني: جحد بمحمد وبالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: حظهم من العذاب. ويقال ﴿نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ﴾ حظهم مما وعد الله لهم في الكتاب: الإهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة. وقال ابن عباس: هو ما ذكر في موضع آخر ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾. ويقال: ﴿نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: ما قضى وقدر عليهم في اللوح المحفوظ من السعادة والشقاوة. ويقال: ﴿نَصِيبُهُمْ﴾ أي: رزقهم وأجلهم في الدنيا ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يعني: أمهلهم حتى يأتيهم ملك الموت وأعوانه عند قبض أرواحهم. ﴿قَالُوا آئِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الملائكة يقولون لهم ذلك عند قبض أرواحهم ويقال: تقول ذلك خزنة جهنم قبل دخولها ﴿أَبِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي تعبدون من الآلهة يمنعونكم من النار ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ يعني: اشتغلوا عنا بأنفسهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ في الدنيا، وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْنَهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا فَآتَيْنَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَانَهُمْ لِأَخْرِضْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

ثم قال: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: قالت لهم خزنة النار: ادخلوا النار مع أمم قد مضت من قبلكم على مذهبكم ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾ يعني: النار ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ يعني: لعنت الأمة التي دخلت قبلها النار. قال مقاتل: يعني لعنوا أهل ملتهم، فيلعن المشركون المشركين وyleعن النصارى وyleعن اليهود. وقال الكلبي: تدعو على الأمم الذين دخلوا النار قبلهم في النار، يبدأ بالأمم الأولى فالأولى، ويبدأ أولاً بقبائل وولده. ويقال: يبدأ بالأكابر فالأكابر مثل فرعون كما قال في آية أخرى ﴿ثُمَّ تَتَرَعَّبُكَ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْتُهُمْ أَشَدُّ عَلَى الْآخِثِينَ عَيْنًا﴾ [مریم: ٦٩].

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ يعني: اجتمعوا في النار، وأصله: تداركوا يعني: اجتمع القادة والأنباع في النار. وقرأ بعضهم: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾ يعني: دخلوا في إدراكها، كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وهي قراءة شاذة. ﴿قَالَتْ أَخْرِضْنَهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ﴾ يعني: قالت أواخر الأمم لأولهم. ويقال: قالت الأنباع للقادة والرؤساء ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصَلُّونَا﴾ عن الهدى ﴿قَاتِبَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ يعني: أعطهم زيادة من العذاب ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: على القادة زيادة من العذاب، ولكن لا تعلمون ما عليهم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿وَلَكِنْ لَا يَغْلَمُونَ﴾ بالياء يعني: لا يعلم فريق منهم عذاب فريق آخر ﴿وَقَالَتْ أَوْلَانَهُمْ لِأَخْرِضْنَهُمْ﴾ يعني: أولاهم دخولاً لآخرهم دخولاً. ويقال: القادة للأنباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ يعني: في شيء كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم سواء في الكفر، ضللتكم كما ضللتنا.

قال الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ويقال: تقول الخزنة: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾. ويقال: هذا قول بعضهم لبعض ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ يعني بكفركم في الدنيا وبترككم الإيمان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أَعْرَابٌ وَلَا يُدْعَوْنَ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سِنِّ اللَّيْلِ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَرَزَقْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِن بَيْتٍ مِّنْ بَيْتٍ مِنَ الْآيَاتِ

وَقَالُوا لَلْحَسَدُ بَيْنَ أَلْدِي هَدَدَنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ  
وَيُودُوا أَنْ يُلَاقَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾  
يعني: عن قبولها. ويقال: عن النظر فيها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ يعني: لأعمال الكافرين  
أي: ليس لهم عمل صالح تفتح له أبواب السماء، ويقال: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء إذا  
ماتوا. وقال بعضهم: ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ يعني: أبواب الجنة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَبْلُغَ  
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيْطِ﴾ يعني: لا يدخلون الجنة أبداً، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة.  
وروي عن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل. فقال: «زوج الناقة». وقال الضحاك: الجمل الذي  
له أربع قوائم. وقال بعض الناس: الجمل هو أشر بالفارسية، وقال الحسن: هو ولد الناقة.  
وروي عن ابن عباس أنه قرأ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْجَمَلُ﴾ بضم الجيم وتشديد الميم وهو جبل السفينة.  
وسئل عكرمة عن قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْجَمَلُ﴾ قيل: وما الجمل؟ قال: الجبل الذي يصعد  
به النخل. قال سعيد بن جبیر: هو جبل السفينة الغليظ. قرأ أبو عمرو ﴿لَا تَفْتَحْ﴾ بالناء بلفظ  
التأنيث بالتخفيف حمزة والكسائي ﴿لَا يَفْتَحْ﴾ بالياء بلفظ التذكير بالتخفيف. وقرأ الباقون: ﴿لَا  
تَفْتَحْ لَهُمْ﴾ بالتشديد. فمن قرأ بلفظ التأنيث فلأنها من جماعة الباب. ومن قرأ بالتذكير، فلأن  
الفعل مقدم. ومن قرأ بالتشديد أراد به تكثر الفتح. ومن قرأ بالتخفيف فلفتح مرة واحدة. وقرأ  
بعضهم في ﴿سَمِّ الْخَيْطِ﴾ بضم السين وهي قراءة شاذة وهما لغتان قال أبو عبيدة: كل ثقب فهو  
سم.

ثم قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: هكذا نعاقب المشركين. ثم ذكر ما  
أوعدهم في النار فقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ يعني: فراشاً من النار ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ  
عَوَاشٍ﴾ يعني: تغشاهم النار من فوق رؤوسهم ومعناه: أن من تحتهم ناراً ومن فوقهم ناراً،  
كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] ويقال: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ  
مِهَادٌ﴾ يعني: حظهم من جهنم كالمهاد، فأخبر عن ضيق مكانهم في النار ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الظَّالِمِينَ﴾ يعني: هكذا نعاقب الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذلك أن الله تعالى لما أخبر عن حال  
الذين كذبوا بآياته واستكبروا عن قبولها، أخبر عن حال الذين آمنوا بآياته. فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: صدقوا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: الأعمال الصالحة ﴿لَا نَكُلِّفُ  
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: لا نكلف نفساً بعد الإيمان من الأعمال إلا بقدر طاقتها ﴿أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: دائمين.

ثم قال عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ قال بعضهم: يعني: في الدنيا أخرج

الله تعالى الغل والحسد من قلوبهم، وألف بين قلوبهم كما قال: ﴿وَلَنصِكُنَّ اللَّهُ أَلْفَ بِبَيْنِهِمْ﴾ (الأنفال: ٦٣) ويقال: هذا في الجنة يخرج الغل والحسد من قلوبهم. قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ ونحوهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تابعهم على سنتهم ومنهاجهم إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمران بن طلحة بن عبيد الله: «أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنِّ عِلْمٍ لِّإِخْوَانِهِمْ عَلَىٰ سُرُورٍ مُُّنْقَلَبِينَ﴾ (الحجر: ٤٧) فأنكر عليه بعضهم. فقال علي: إن لم تكن نحن فمن هم؟ يعني: إن الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ لم يكن في قلوبهم من الغل حتى ينزع عنهم ﴿تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ يعني: من تحت غرفهم وأشجارهم الأنهار ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ يعني: أكرمنا بهذه الكرامة. ويقال: ﴿الحمد لله﴾ الذي وفقنا للأمر الذي أوجب لنا هذا الثواب وهو الإسلام. ويقال: هدانا لهاتين العينين، وذلك أن أهل الجنة لما انتهوا إلى باب الجنة، فإذا هم بشجرة تنبع من ساقها عينان، فيعمدون إلى إحداهما، فيشربون منها، فيخرج الله تعالى ما كان في أجوافهم من غل وقدر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَسَنُفِئَهُمْ رَبُّهُمْ سَرِيحًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١) ثم يعمدون إلى الأخرى فيغتسلون فيها، فيطيب الله تعالى أجسادهم من كل درن، وجرت عليهم نضرة ولا تشعث رؤوسهم، ولا تغبر وجوههم، ولا تشحب أجسادهم أبداً، ثم تلتاقهم خزنة الجنة فينادون في التقديم أي: قبل أن يدخلوها ﴿إِنَّ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقالوا بعد ما اغتسلوا من العينين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ يعني: وفقنا حتى اغتسلنا من هاتين العينين. ويقال: لما دخلوا الجنة ونظروا إلى كراماتها قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾ يعني: لهذا الثواب ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ يعني: ما كنا نعرف لولا أن وفقنا الله تعالى. وذلك أنهم علموا أن الله تعالى له عليهم الفضل والمن فيما أعطاهم. قرأ ابن عامر ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بغير واو على الاستئناف. وقرأ الباقون بالواو على معنى العطف.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ فصدقناهم ﴿وَوَدُّوْا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ﴾ التي وعدتم. - وقال بعضهم: قبل أن يدخلوها قال لهم خزنة الجنة: تلكم الجنة التي وعدتم<sup>(٢)</sup>. - ويقال بعد ما دخلوها يقال لهم: إن تلكم الجنة يعني: هذه الجنة التي ﴿أَوْرِثْتُمُوهَا﴾ يعني: أنزلتموها بإيمانكم واقتسموها ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا. وهذا كما روي في الخبر أنه يقال لهم يوم القيامة: «جوزوا الصراط بغفوي، واذخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم».

(١) عزاه السيوطي: ٤٥٧/٣ إلى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ما بين معقوفين ساقط في النسخة «ه».



﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا فَذُنُوبُنَا أَمْ نَعْمَ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَاوُا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يُظْمَعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ يعني: ما وعدنا في الدنيا من الثواب وجدناه صدقاً ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا﴾ يعني: صدقاً ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ فاعترفوا على أنفسهم في وقت لا ينفعهم الاعتراف. قرأ الكسائي ﴿قَالُوا: نَعَمْ﴾ بكسر العين في جميع القرآن. وقرأ الباقون بالنصب. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: نَعَمْ بالنصب، فقال له عمر: «التعم المال، وقل: نَعَمْ» يعني: بالكسر وروي الكسائي عن شيخ من ولد الزبير قال: ما كانت أشياخ قريش إلا يقولون: نَعَمْ فماتت يعني: اللغة ﴿قَالُوا مُؤْمِنُونَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وذلك أنه ينادي منادٍ بين الجنة والنار تسمعه الخلائق كلهم: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ يعني: عذاب الله على الكافرين ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: يصرفون الناس عن دين الله الإسلام، وهم الرؤساء منهم ممنوعوا أتباعهم عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يقول: يريدون بملء الإسلام غيراً وزيفاً ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ يعني: كانوا جاحدين بالبعث. قرأ ابن عامر وحمره والكسائي ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ بتشديد النون ونصب الهاء. وقرأ الباقون ﴿أَنْ لَعْنَةُ﴾ بتخفيف أن وضم الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ﴾ يعني: بين أهل الجنة وأهل النار سور ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾. وروي مجاهد عن ابن عباس قال: «الأعراف سور كعرف الديك». وقال القسبي: الأعراف سور بين الجنة والنار، وسمي بذلك لارتفاعه، وكل مرتفع عند العرب أعراف. وقال السدي: إنما سمي الأعراف لأن أصحابه يعرفون الناس. روي عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «هُمْ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي مَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ، فَمَنْعَهُمْ مِنَ النَّارِ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْعَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ مَعْصِيَةَ آبَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>. وعن حذيفة بن اليمان أنه قال: «هم قوم استوت حسناتهم وسيناتهم، فلم يكن لهم زيادة حسنات يدخلون بها الجنة ولا سينات فاضلة يدخلون بها النار». وروي عن ابن عباس مثل هذا. وروي عنه أيضاً أنه قال: «هم أولاد الزنى». وروي عن أبي مجلز أنه قال: «هم الملائكة». فبلغ ذلك مجاهداً فقال: كذب أبو مجلز يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ فبقال أبو مجلز: لأن الملائكة ليسوا بإنات ولكنهم عباد

(١) عزاه السيوطي: ٤٦٥/٣ إلى ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة.



الرحمن. قال الله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا آلَمَلَكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ لِئِنَّا﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿يَعْرِفُونَ كَلَامَ بَيْمَاتِهِمْ﴾ يعني: أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة إذا مروا بهم ببياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم، والسيماء: هي العلامة ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ فإذا مرت بهم زمرة من أهل الجنة قالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: إن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿وهم يطعمون﴾ أن يدخلوها. ويقال: إن أهل النار لم يدخلوها إبدأ وهم يطعمون. وقال الحسن: والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدهم بها. ويقال: ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: أهل الجنة لم يدخلوها حتى يسلم عليهم أهل الأعراف، فانصرفوا وهم يطعمون بدخولها. ويقال: أهل النار لم يدخلوها إبدأ وهم يطعمون، وطمعهم أن أفيضوا علينا من الماء.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ بَلَقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَادَّأ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِيَالًا يَرْفُونَهُمْ بَيْمَاتُهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨﴾ أَهْتَلَا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ بَلَقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ قال: من سرعة ما انصرفوا كأنهم صرفوا، ﴿بَلَقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يعني: أنهم إذا نظروا قِبَلِ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: مع الكافرين في النار.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ بَلَقَاءَ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ رِيَالًا﴾ يعني: في النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِبَيْمَاتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني: ما أغنى عنكم ما كنتم تستكبرون عن الإيمان. وقرأ بعضهم ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ يعني: تجمعون المال الكثير، وهي قراءة شاذة.

قوله تعالى: ﴿أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: أن أهل الأعراف يقولون: يا وليد يا أبا جهل: أهؤلاء؟ يعني: صهيياً وبلالاً والضعفة من المسلمين الذين كنتم تحلفون لا ينالهم الله برحمة، يعني: أنهم لا يدخلون الجنة؟

ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. وعن أبي مجلز أنه قال: ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ من الملائكة، ﴿ونادوا أصحاب الجنة﴾ قبل أن يدخلوها ﴿سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون دخولها، يعني: أهل الجنة وإذا نظروا إلى أصحاب النار حين مروا بهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِيَالًا﴾ من المشركين ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِبَيْمَاتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ يعني: لأهل

الجنة. قال مقاتل: فأقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف داخلون النار معهم، فقالت الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته؟ ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة. ويقال: إن أهل النار يقولون لأصحاب الأعراف: ما أغنى عنكم جمعكم وعملكم، وأنتم والله تكونون معنا في النار ولا تدخلون الجنة! فتقول الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم يعني: لأصحاب الأعراف لا ينالهم الله برحمته. ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَسَهُمُ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ ﴿٥٧﴾﴾ وَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بِرُوحِنَا وَرَحِمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتُ تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَرُّوا مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَنَا رَبُّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني: اسقونا من الماء أو شيئاً من الفواكه وثمار الجنة، فإن فينا من معارفكم. فأعلم الله تعالى أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب، فأجابهم أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني: الماء والثمار. وروي في الخبر: «أن أبا جهل بن هشام بعث إلى النبي ﷺ يستهزئ به: أطلعمني من عنب جنتك أو شيئاً من الفواكه، فقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: «قُلْ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ».

ثم وصفهم فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ يعني: اتخذوا الإسلام باطلاً ودخلوا في غير دين الإسلام. ويقال: اتخذوا عيدهم لهواً وفرحاً. ﴿وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: غرهم ما أصابهم من زينة الدنيا ﴿فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ﴾ يعني: نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يعني: كما تركوا العمل ليومهم هذا. ويقال: كما تركوا الإيمان ليومهم هذا، يعني: أنكروا البعث ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعني: ويجحدون بآياتنا بأنها ليست من الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني: أكرمناهم بالقرآن ﴿فَضَلَّانَا﴾ يعني: بينا فيه الآيات، والحلال والحرام ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يعني: بعلم منا ﴿هُدًى﴾ يعني: بياناً من الضلالة، ويقال: جعلناه هادياً. ﴿وَرَحْمَةً﴾ يعني: نعمة ونجاة من العذاب ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: لمن آمن وصدق به. يعني: أكرمناهم بهذا الكتاب فلم يؤمنوا ولم يصدقوا. وإنما أضاف إلى المؤمنين لأنهم هم الذين يهتدون به ويستوجبون به الرحمة.



مجهول، والكيفية غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، فأخرجه». وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا. وقد تأوله بعضهم وقال ﴿ثم﴾ بمعنى الوار، فيكون على معنى الجمع والعطف، لا بمعنى الترتيب والتراخي. ومعنى قوله: ﴿استوى﴾ يعني: استولى، كما يقال: فلان استوى على بلد كذا يعني: استولى عليه، فكذلك هذا معناه: خالق السموات والأرض، ومالك العرش. ويقال: ثم صعد أمره إلى العرش، وهذا معنى قول ابن عباس قال: «صعد على العرش يعني: أمره يعني: قال له: كن فكان»، ويقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾ يعني: كان فوق العرش قبل أن يخلق السموات والأرض، ويكون ﴿على﴾ بمعنى العلو والارتفاع، ويقال: ﴿استوى﴾ بمعنى استعلى. وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح، فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق ما شاء، ثم خلق العرش، ثم خلق حملة العرش، ثم خلق السموات والأرض. وإنما خلق العرش لا لحاجة نفسه، ولكن لأجل عباده ليعلموا أين يتوجهون في دعائهم، لكي لا يتحيروا في دعائهم، كما خلق الكعبة علماء لعبادتهم، ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة، فكذلك خلق العرش علماء لدعائهم ليعلموا إلى أين يتوجهوا بدعائهم.

ثم قال تعالى: ﴿يُنْشِئُ اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يعني: إن الليل يأتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلاً عليه. وقد بين في آية أخرى ﴿يُكْوِضُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِضُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥] فكذلك هاهنا معناه: يغشي النهار الليل ويغشي الليل النهار، يعني: إذا جاء النهار يذهب بظلمة الليل، وإذا جاء الليل يذهب بنور النهار. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ بتشديد الشين ونصب الغين. وقرأ الباقون: بجزم الغين مع تخفيف الشين، وهما لغتان غَشَى وَيُغْشِي وَأَغْشَى وَيُغْشِي.

ثم قال: ﴿يَطْلُبُهُ حِينًا﴾ يعني: سريعاً في طلبه أبداً ما دامت الدنيا باقية. ثم قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مَسْحَرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ يعني: جاريات مذلمات لبني آدم بأمره.

قرأ ابن عامر ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ﴾ كلها بالضم على معنى الابتداء، وقرأ الباقون بالنصب على معنى العطف أي: ﴿خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مَسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ﴿أَلَا﴾ كلمة التنبيه، يعني: اعلموا أن الخلق لله تعالى، وهو الذي خلق الدنيا والأشياء كلها، وأمره نافذ في خلقه. قال سفيان بن عيينة: الخلق هو الخلائق، والأمر هو القرآن، وهو كلام الله تعالى وليس بمخلوق، ولا هو مبين منه، وتصديقه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥] ويقال: الأمر هو القضاء.

ثم قال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس: «يعني: تعالى الله عما يقول

الظالمون» ويقال: ﴿تبارك الله﴾ يعني: تفاعل من البركة بمعنى: ذو البركة يعني: البركة كلها من الله تعالى، والبركة فيما يذكر عليه اسم الله رب العالمين، يعني: سيد الخلق أجمعين.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَسِيدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِقَالَا سُفْنَةٌ يَلِكْرُ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتُومَ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

فلما وصف وبالع في ذلك وأعجزهم، فأمرهم أن يدعوه، فقال عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال الكلبي: يعني: في خفض وسكون. ويقال: ﴿خفية﴾ يعني: اعتقدوا عبادته في أنفسكم لأن الدعاء معناه العبادة. ويقال: علانية وسراً. ويقال: هذا أمر بالدعاء في الأحوال كلها، يعني: ادعوا الذي خلق هذه الأشياء في الأحوال كلها.

ثم قال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَدِّينَ﴾ يعني: أن تدعوا بما لا يحل، أو تدعوا على أحد باللعن والخزي، أو تدعوا عليه بالشر.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسِيدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِسْلَامِهَا﴾ وذلك أن الله تعالى إذا بعث نبياً فأطاعوه صلحت الأرض وصلاح أهلها، وفي المعصية فساد الأرض وفساد أهلها، ويقال: ﴿لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني: لا تجوروا في الأرض فتخربوها، لأن الأرض قامت بالعدل. ويقال: لا تخربوا المساجد فنتركوا الجماعة. ﴿وادْعُوهُ﴾ يعني: اعبدوه ﴿خروفاً وطمعاً﴾ يعني: ﴿خروفاً﴾ من عذابه ﴿وطمعاً﴾ في رحمته. ويقال: ادعوه في حال الخوف والضيق، ويقال: خوفاً عن قطيعته ورجاء في لقائه.

ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل قريبة. قال بعضهم: لأن البعيد والقريب يصلحان للواحد وللجمع المذكر والمؤنث. كما قال: ﴿لَمَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] وقال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظُّلُمَاتِ يَبْصِيرُ﴾ [مرد: ٨٣] وقال بعضهم: تفسير الرحمة هاهنا المطر، فذكر بلفظ التذكير، وقال بعضهم: لأن الرحمة بمعنى الغفران والعفو، فانصرف إلى المعنى. ومعناه: المحسنون قريب من الجنة، وهم المؤمنون.

ثم قال عز وجل: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ يعني: قدام المطر. قرأ حمزة والكسائي ﴿الريح﴾ بلفظ الوجدان، وقرأ الباقون ﴿الرياح﴾ بلفظ الجماعة، واختار أبو عبيدة: أن كل ما ذكر في القرآن من ذكر الرحمة فهو رياح، وكل ما ذكر فيه ذكر العذاب فهو ریح، واحتج بما روي عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَالَ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا».

وقرأ ابن عامر: ﴿نُشْرَأُ﴾ بضم النون وجزم الشين، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ﴿نُشْرَأُ﴾ بضميتين. وقرأ حمزة والكسائي ﴿نُشْرَأُ﴾ بنصب النون وجزم الشين. وقرأ عاصم ﴿بُشْرَأُ﴾ بالياء، ويكون من البشارة كما قال في آية أخرى ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ مُمَيَّنَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].  
ومن قرأ ﴿نُشْرَأُ﴾ بالنون والنصب، يكون معناه ﴿يرسل الرياح﴾ تُنْشِرُ السحاب نُشْرَأُ،  
ومن قرأ ﴿نُشْرَأُ﴾ بضميتين يكون جمع نشور، يقال: ربح نشور، تنشر نُشْرَأُ السحاب، ورياح  
نُشْر. ومن قرأ بضمه واحدة، لأنه لما اجتمعت الضمتان حذفت إحداهما للتخفيف.

ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا بِقَالَا﴾ والسحاب: جمع السحابة، يعني: الريح  
حملت سحابة ثقالاً من الماء ﴿سَفْنَاءُ لَيْلٍ مُّبَيَّتٍ﴾ يعني: السحاب تمر بأمر الله تعالى إلى أرض  
ليس فيها نبات ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ يعني: بالمكان. ويقال: بالسحاب ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ  
الشَّمْرَاتِ﴾ يعني: نخرج بالماء من الأرض من ألوان الثمرات.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ يعني: هكذا نحيا الموتى بالمطر كما أحييت الأرض  
الميتة بالمطر. وذكر في الخبر: «أنه إذا كان قبل النفخة الأخيرة أمطرت السماء أربعين ليلة مثل  
مَني الرجال، فتشرب الأرض، فتنبت الأجساد بذلك الماء، ثم ينفخ في الصور، فإذا هم قيام  
ينظرون. وفي هذه الآية إثبات القياس وهو رد المختلف فيه إلى المتفق عليه، لأنهم كانوا متفقين  
أن الله تعالى هو الذي ينزل المطر ويخرج النبات من الأرض، فاحتج عليهم لإحيائهم بعد  
الموت بإحياء الأرض بعد موتها.

ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يعني: لكي تتعظوا وتعتبروا في البعث أنه كائن.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾  
﴿وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا كَٰذِبًا نُصِرْتُ

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾  
يعني: المكان العذب الزكي اللين من الأرض يخرج نباته إذا أمطرت فينتفع به، كذلك المؤمن  
يسمع الموعظة فتدخل في قلبه فينتفع بها، وينفعه القرآن كما ينفع المطر البلد الطيب ﴿وَالَّذِي  
خَبَتْ لَا يُخْرِجُ إِلَّا تَكْدًا﴾ يعني: الأرض السبخة لا يخرج نباتها إلا من كد وعناء، فكذلك  
الكافر لا يسمع الموعظة، ولا يتكلم بالإيمان، ولا يعمل بالطاعة إلا كرهاً لغير وجه الله.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ يعني: هكذا نبين الآيات والعلامات  
والأمثال لمن آمن وشكر رب هذه النعم ووخده.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ  
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَكَلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ مِنِّي



صَلَّاتٌ وَلِكُنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١١﴾ أٰبَلَيْكُمۡ رَسَلَتۡ رَبِّيۡ وَأَنصَحۡ لَكُمۡ وَأَعَلَمۡ مِنۡ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمۡ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ نَجۡلٍ مِّنكُمۡ يُنذِرُكُمۡ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَعۡجَبْتَهُۥ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ فِي الْفُلۡكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمۡ كَانُوا قَوْمًا عٰمِيۡنَ ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يعني: بعثنا نوحاً إلى قومه بالرسالة فاتاهم، ويقال: وجعلنا نوحاً رسولاً إلى قومه. ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وخدوا الله وأطيعوه، ﴿مَّا لَكُمْ مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ يعني: ليس لكم رب سواه.

قرأ الكسائي ﴿إِلَٰهٍ غَيْرِهِ﴾ بكسر الراء. وقرأ الباقون ﴿غَيْرُهُ﴾ بضم الراء. فمن قرأ بكسر الراء فلاجل ﴿مِّن﴾ وجعله كله كلمة واحدة والغير تابعاً له. ومن قرأ بالضم فمعناه: ما لكم إله غيره، ودخلت ﴿مِّن﴾ مؤكدة.

ثم قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمۡ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو الغرق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَلَأُ مِّن قَوْمِهِ﴾ وهم الرؤساء والأجلة والأشراف، سموا بذلك لأنهم ملئوا بما يحتاج إليه منهم، ويقال: لأنهم ملؤوا الناظر هيبة إذا اجتمعوا في موضع، قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يعني: في خطأ بئس. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي الآية بيان أدب للخلق في حسن الجواب والمخاطبة. لأنه ردّ جهلهم بأحسن الجواب، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] يعني: السداد من القول.

ثم قال عز وجل: ﴿أٰبَلَيْكُمۡ رَسَلَاتِ رَبِّيۡ وَأَنصَحۡ لَكُمۡ﴾ يعني: أمنعكم من الفساد وأدعوكم إلى التوحيد وأحذركم من العذاب. وقال أهل اللغة: أنصح لكم، وأنصحكم لغتان بمعنى واحد، كما يقال: شكرت لك وشكرتك.

ثم قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: أعلم أنكم إن لم تتوبوا يأتيكم العذاب وأنتم لا تعلمون ذلك، وذلك أن سائر الأنبياء عليهم السلام خوفوا أممهم بعذاب الأمم السالفة، كما قال شعيب لقومه: ﴿بِئْسَ بَلَدٌ يَّبۡتَغُونَ فِيهِ مَوٰءِدَئَ الْعِزَّةِ لِمَا كَفَرُوا۟ بِهِۦ وَمَا يَحۡسِبُونَ لَأُنزِلَنَّ مِنَ السَّمَآءِ مَطَرًا مِّنۡ سِجِّينٍ﴾ [هود: ٨٩] وأما قوم نوح فلم يكن بلغهم هلاك أمة قبلهم، فقال لهم نوح: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من العذاب الذي ينزل بكم. فقال الكبراء للضعفاء: لا تتبعوه، فإن هذا بشر مثلكم، فأجابهم نوح فقال: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمۡ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني: ينزل الكتاب والرسالة على رجل منكم تعرفون حليته ونسبه ﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾ بالنار ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الشرك. قال بعضهم: هذه الوارصلة وهو زيادة في الكلام. ومعناه ﴿لِيُنذِرَكُمۡ﴾ لكي تنفوا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني: لكي تطيعوه فترحموا وتتجوا من العذاب. قرأ أبو عمرو



﴿أَبْلَغَكُمْ﴾ بجزم الباء والتخفيف. وقرأ الباقون ﴿أَبْلَغَكُمْ﴾ بالشديد من المبالغة.

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني: نوحاً ﴿فَاتَجِنَّا وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾ يعني: الذين اتبعوه من المؤمنين في السفينة، والفلك: اسم للواحد والجماعة يعني: أنجينا المؤمنين من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن نزول العذاب. ويقال ﴿عمين﴾ عن الحق، جعلوا أمره باطلاً وقد بين الله تعالى قصته في سورة هود.

﴿وَإِنِ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يُعَوِّمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يُعَوِّمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَبْلَغَكُمْ رَسُولِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّبِعَ اللَّهَ وَنَحْدُرَ مَا كَانَ يَعبُدُ ءَابَاؤَنَا فإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أَنْجِدُونِي وَتِ أَسْمَاءُ سَيِّئُومًا أَشْرَ ءَابَاؤَكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجْبِسْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرِحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ يعني: أرسلنا إلى عاد نبيهم هوداً، عطفاً على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً. وهود لم يكن أخاهم في الدين ولكن كان من نسبهم. وقال السدي: كانت عاد قوماً من أهل اليمن فأناهم هود، فدعاهم إلى الإيمان والتوحيد وذكرهم ووعظهم، فكذبوه. ويقال: عاد اسم ملك ينسب القوم كلهم إليه. ويقال: اسم القرية ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وخذوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وقد ذكرناه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني: الشرك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ وقد ذكرناه ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ يعني: جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ بأنك رسول الله ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ يعني: جهالة ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليكم ﴿أَبْلَغَكُمْ رَسُولِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ يعني: كنت فيكم قبل اليوم أميناً فكيف تنهمني اليوم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: الرسالة والبيان ﴿على رجلٍ منكم﴾ تعرفون نسبة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ يعني: خليفة في الأرض بعد هلاك قوم نوح ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ يعني: فضيلة في الطول على

غيركم. والخلفاء والخلائف: جمع الخليفة.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو **﴿بَسْطَةً﴾** بالسین. وقرأ حمزة بإشمام الزاي، وقرأ الباقون بالصاد. قال ابن عباس: «كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعاً». وروى إبراهيم بن يوسف عن المسيب عن الكلبي قال: كان طول قوم عاد، أطولهم مائة وعشرين ذراعاً، وأقصرهم ثمانين ذراعاً. وقال مقاتل: كان طول كل رجل منهم اثني عشر ذراعاً فذلك قوله **﴿أَمْ يُخَلِّقُ نَفْسًا فِي الْيَلْدِ﴾** [الفجر: ٨] ويقال: كان بين نوح وبين آدم عشرة آباء كلهم على الإسلام. وكان إدريس جد أبي نوح، ولم يكن بين آدم ونوح نبي مرسل، وكان إدريس نبياً ولم يؤمر بدعوة الخلق، ويقال: أنزل عليه عشرون صحيفة، وقد آمن به كثير من الناس، وكان بين نوح وإبراهيم ألف سنة، ويقال: ألفان وأربعون سنة، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وكان بين موسى وعيسى ألف سنة. وبين عيسى ومحمد عليه السلام خمسمائة سنة. وكان هود بين نوح وإبراهيم، فلما دعا قومه فكذبوه، أنذرهم بالعذاب، فقال: إن الله تعالى يرسل عليكم الريح فيهلككم بها، فاستهزؤوا به وقالوا: أي ريح نقدر علينا؟ فأمر الله تعالى خازن الريح أن يخرج من الريح العقيم التي هي تحت الأرض مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم، كما قال في آية أخرى **﴿وَيَوْمَ نَدَّ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾** [الذاريات: ٤١] فجاءتهم وحملت الرجال والدواب كالأوراق في الهواء فأهلكتهم كلهم فلم يبق منهم أحد، كما قال **﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا سَكَبُومُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾** [الأحزاب: ٢٥] وذلك بعد ما أنذرهم وأخذ عليهم الحجة وذكرهم نعم الله تعالى في حقهم، قال لهم: **﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾** يعني: اشكروا نعمة الله. قال بعضهم: الآلاء اتصال النعمة، والنعماء دفع البلية. وقال بعضهم على ضد هذا، وقال أكثر المفسرين: الآلاء والنعماء بمعنى واحد **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾** يعني: أي: لكي تنجوا من عذابه.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾** يعني: قالوا له: يا هود أتأمرنا أن نعبد رباً واحداً **﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُنَا﴾** يعني: نترك عبادة آلهتنا التي كان يعبدها آبائنا؟ قال لهم هود عليه السلام: إن لم تفعلوا ما أمركم يأتيكم العذاب. قالوا: **﴿فَأَبْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا﴾** يعني: نخوفنا من العذاب **﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** في أنك رسول الله.

قوله تعالى: **﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ﴾** يعني: وجب عليكم عذاب وغضب من ربكم **﴿أَنْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سُمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾** يعني: تجعلون قول أنفسكم وقول آبائكم حجة من غير أن تثبت لكم من الله حجة وقد اتخذتم الأصنام بأيديكم، وسميتوها آلهة **﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾** يقول: ليس لكم عذر وحجة في عبادة الأصنام. **﴿فَانظُرُوا﴾** أي: الهلاك **﴿إِنِّي مَنَّكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾** يعني: الهلاك بكم، لأنهم أرادوا أن يهلكوه. قوله تعالى: **﴿فَأَلْجِئْنَاكَ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾** يعني: بنعمة منا عليهم **﴿وَقَطَعْنَا ذَاِبِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾** يعني: قطع أصلهم واستاصلهم **﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾** يعني: الذين أهللكهم الله

تعالى كلهم كانوا كافرين .

﴿وَالَّذِي نَسُوا أَنفُسَهُمْ صَٰلِحًا قَالِ يَتَقَوَّمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسُوهَا يَسُوهَا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَاكِرِ وِبَوَّاسِكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّبِعُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنَجِّوْنَ الْجِبَالَ يُونًا فَأَذْكُرُوا ءَالَآةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَسُوا أَنفُسَهُمْ صَٰلِحًا﴾ يعني: أرسلنا إلى ثمود نبيهم صالحاً، قال بعضهم: ﴿ثمود﴾ اسم القرية. وقال بعضهم: ﴿ثمود﴾ اسم القبيلة، وأصله في اللغة: الماء القليل. ويقال: بئر كانت بين الشام والحجاز. ويقال: هي عين يخرج منها ماء قليل في تلك الأرض، ويقال لها: أرض الحجر كما قال في آية أخرى ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠] وقال بعضهم: كان في تلك القرية تسعمائة أهل بيت. وقال بعضهم: ألف وخمسمائة، فدعاهم صالح إلى الله تعالى سنين كثيرة، فكذبوه وأرادوا قتله، فخرجوا إلى عيد لهم، فأتاهم صالح ودعاهم إلى الله تعالى. فقالوا له: إن كنت نبياً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشرين حتى نؤمن بك ونصدقك، فقام صالح وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فتحركت الصخرة فانصدعت عن ناقة عشرين ذات زغب، فلم يؤمنوا به، فولدت الناقة ولدأ. وقال بعضهم: خرج ولدها خلفها من الصخرة، فصارت الناقة بلية ومحنة عليهم، وكانت من أعظم الأشياء، فتأتي مراعيهم فتنفر منها دوابهم، وتأتي العين وتشرب جميع ما فيها من الماء. فجعل صالح الماء قسمة بينهم يوماً للناقة، ويوماً لأهل القرية، فإذا كان اليوم الذي تشرب الناقة لا يحضر أحد العين، وكانوا يحلبونها في ذلك اليوم مقدار ما يكفيهم. وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فاجتمعوا لقتل الناقة، فقال لهم صالح: لا تفعلوا، فإنكم إذا قتلتموها يأتيكم العذاب، فجاؤوا ووقفوا على طريق الناقة، فلما مرت بهم الناقة متوجهة إلى العين رماها واحد منهم يقال له: مصدع بن ذفر فأصاب السهم رجل الناقة، فلما رجعت الناقة من العين خرج قذار بن سالف وهو أشقى القوم كما قال الله تعالى ﴿إِذْ أَبْعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [النمل: ١٢] فضربها بالسيف ضربة فقتلها، ونسوا لحمها على أهل القرية.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: لما عقرت ثمود الناقة، ذهب فضيلها حتى صعد جبلاً وقال ثلاث مرات: أين أمي، أين أمي، أين أمي؟ فأخبر بذلك صالح، فقال: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام. فقالوا: وما العلامة في ذلك؟ فقال: أن تصبحوا في اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني: وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث: وجوهكم مسودة. ثم خرج

من بين أظهرهم مع من آمن منهم، فأصبحوا في اليوم الأول وجعل بعضهم يقول لبعض: قد اصفر وجهك، وفي اليوم الثاني يقول بعضهم لبعض: قد أحمر وجهك، وفي اليوم الثالث يقول بعضهم لبعض: قد أسود وجهك، فأيقنوا جميعاً الهلاك. فجاء جبريل عليه السلام وصاح بهم صيحة، فماتوا كلهم، ويقال: قد أنتهم النار فأحرقتهم، فذلك قوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وحدوا الله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ قد ذكرناه.

ثم قال: ﴿فَدُجِبَتْكُمْ بِنْتَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول: قد أنبتكم بعلامة نبوتي وهي الناقة، كما قال الله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ يعني: علامة لنبوتي لكي تعتبروا وتوحدوا الله ربكم ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ يقول: دعوها ترع في أرض الحجر ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ يقول: لا تعفروها ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو ما عذبوا به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ نَعْدِ آدَامَ﴾ يعني: من بعد هلاك عاد ﴿وَبِؤَاتِكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أنزلكم في أرض الحجر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ وذلك أنه كانت لهم قصور يسكنون فيها أيام الصيف، وقد اتخذوا بيوتاً في الجبل لأيام الشتاء، فذكرهم الله تعالى نعمته. فقال: واذكروا هذه النعم حيث وفقكم الله حين اتخذتم القصور في سهل الأرض، واتخذتم البيوت في الجبال. ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾ يعني: نعم الله عليكم ﴿وَلَا تَغْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يعني: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتَ لَمَوْتَ أُنْتِ﴾  
صَلِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّي. قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّيهِمْ وَقَالُوا يَصَلِحْ أَتَيْنَا بِمَا قَدَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٧٨﴾ فَنَوَّلَهُمْ وَعَالَ يَقْوَمُ لَقَدْ أَنلْنَاهُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحْتَبُونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ قرأ ابن عامر: ﴿وقال الملأ﴾ بالواو، وقرأ الباقون بغير واو يعني: قال الملأ الذين تكبروا عن الإيمان من قومه وهم القادة للذين استضعفوا ﴿إِلْمَنَ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بصلح ﴿أَنْتَ لَمَوْتَ أُنْتِ﴾ بصلحاً مرسلاً من ربهم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ يعني: بصلحاً بأنه مرسل من ربه إليكم ﴿قَالُوا﴾ يعني: المؤمنون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ يعني: بصلحاً به ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ يعني: برسالة صالح.

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّيهِمْ﴾ يعني: عصوا وتركوا أمر ربهم وأبوا عن طاعته في التوحيد، ويقال: فيه تقديم ومعناه: عتوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة. وروي عن ابن عباس أنه قال: «إنهم عقروا الناقة ليلة الأربعاء في عشية الثلاثاء، فأهلكهم الله في يوم السبت».

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا تَعْبُدُنَا﴾ يعني: بما تخوفنا به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: إن كنت رسول رب العالمين ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ يعني: الزلزلة ويقال: صيحة جبريل كما قال: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣] وقيل: الزلزلة ثم أخذتهم الصيحة بعد. ويقال: النار ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَابِئِينَ﴾ يعني: صاروا في مدينتهم ومنازلهم مبئين لا يتحرّكون، وأصله: من الجثوم. ويقال: أصابهم العذاب بكورة يوم الأحد.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه تقديم وتأخير يعني: حين كذبوه خرج من بين أظهرهم ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَضَحْتُ لَكُمْ﴾ يعني: دعوتكم إلى التوبة وحذرتكم بالعذاب ﴿وَلَكِنْ لَا تَجِبُونَ النَّاصِحِينَ﴾ يعني: لا تطيعون الداعين. ويقال: إنما قال ذلك بعد هلاكهم على وجه الحزن، أي: قد بلغتكم الرسالة. وروي عن ابن عباس أنه قال: «إن الله تعالى لم يهلك قوماً ما دام الرسول فيهم، فإذا خرج من بين ظهرانيهم أتاهم ما أوعد لهم». وقال في رواية الكلبي: «لما هلك قوم صالح، رجع صالح ومن معه من المؤمنين، فسكنوا ديارهم». وقال في رواية الضحاك: «خرج صالح إلى مكة، فكان هناك حتى قبضه الله تعالى».

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَاهُ ﴿٨٤﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْقَائِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَتْ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ يعني: وأرسلنا لوطاً إلى قومه، ويقال: معناه واذكروا لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني: اللواطه ﴿مَّا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ يعني: لم يعمل مثل عملكم ﴿مِّنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قبلكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ يعني: تجمعون الرجال من دون النساء، يعني: إن إتيان الرجال أشهى عندكم من إتيان النساء. وقرأ أبو عمرو ﴿إِيَّتِكُمْ﴾ بالمد بغير همز، وقرأ ابن كثير ونافع: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بهمزة واحدة بغير مد. وقرأ الباقون بهمزتين بغير مد، ومعنى ذلك كله واحد، وهو الاستفهام.

ثم قال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ يعني: معتدين من الحلال إلى الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ وإنما صار الجواب نفسياً لأنه خير كان، والاسم هو ما بعده ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ يعني: يتقذرون منا ويتزهدون عن فعلنا ﴿فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَاهُ﴾ يعني: ابنتيه زعوراء وريثا ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ وهي واعلة ﴿كَانَتْ مِنَ الْقَائِرِينَ﴾ يعني: من الباقين في الهلاك فيمن أهلكوا ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني: الحجارة ويقال: أمطر للعذاب ومطر للرحمة. ويقال: أمطر ومطر بمعنى واحد ﴿فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾

المُجْرِمِينَ﴾ یعنی: کیف کان عاقبہ أمرهم، وقد بین قصته فی سورة هود.

وقال مجاهد: «لو أن الذي يعمل عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة في السماء، وبكل قطرة في الأرض، ما زال نجساً إلى يوم القيامة» وقد اختلف الناس في خذه، قال بعضهم: هو كالزاني، فإن كان محصناً رجم، وإن كان غير محصن جلد. وروي عن الشعبي أنه قال: «يرجم في الأحوال كلها محصناً كان أو غير محصن». وروي عن علي بن أبي طالب: أنه أتى برجل قد عمل ذلك العمل، فأمر بأن يلقى من أشرف البناء منكوساً، ثم يتبع بالحجارة، لأن الله تعالى ذكر قتلهم بالحجارة. قال بعضهم: يعزُر ويحبس حتى يظهر توبته ولا يحد، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ مُّوعَدُونَ وَاصْبِرُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ يَوْمَ وَكُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ عِوَجًا وَأذْكَرًا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا نَّكَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِمْ وَطَآئِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني: أرسلنا إلى أهل مدين نبئهم شعيباً، ومدين: هو آل مدين، وكان مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، تزوج ريثاء ابنة لوط، فولدت آل مدين، فتوالدوا وكثروا، ثم صار هو اسماً للمدينة، فسميت المدينة مدين، وسمي أولئك القوم مدين. فكفروا بالله تعالى، ونقصوا الميزان والمكيال في البيع، وأظهروا الخيانة، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً. وقال الضحاك: كان شعيب أفضلهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأحسنهم وجهاً، ويقال: إنه بكى من خشية الله تعالى حتى ذهب بصره وصار أعمى، فدعا قومه إلى الله تعالى و ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وخذوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال بعضهم: مجيء شعيب عليه السلام إليهم آية، ولم يكن لشعيب علامة سوى مجيئه وإخباره بأن الله واحد. وقال بعضهم: كانت له علامة، لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا وقد جعل له علامة ليظهر تصديق مقالته، إلا أن الله تعالى لم يبين لنا علامته، وقد بين علامة بعض الأنبياء، ولم يبين علامة الجميع.

ثم قال: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ يعني: أنمو الكيل والميزان بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في البيع والشراء ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يعني: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي بعد ما بين الله تعالى طريق الحق



وأمركم بالطاعة ﴿ذِكْرُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: وفاء الكيل، وترك الفساد في الأرض خير لكم من النقصان والفساد في الأرض، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني: مصدقين بما حرم الله عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ يعني: لا ترصدوا بكل طريق توعدون أهل الإيمان بالقتل ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: تمنعون الناس عن دين الله وهو دين الإسلام ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ يعني: شعبياً ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يقول: تريدون بملة الإسلام زيغاً وغيراً. وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قال: بكل سبيل حتى تصدوا أهلها عنها ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال: وتلتمسون لها الزيغ. ويقال: معناه، لا تقعدوا على طريق الناس تخوفون الناس وتخوفون أهل الإيمان بشعيب.

ثم قال: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ يعني: كنتم قليلاً في العدد، فكثرت عدداًكم. ويقال: كنتم فقراء فأغناكم وكثرت أموالكم ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني: كيف صار آخر أمر المكذبين بالرسول، يعني: الذين قبلهم قوم نوح، وقوم عاد، وقوم هود، وقوم صالح. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ يعني: إن كان جماعة منكم صدقوا بي ﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ يعني: أي لم يصدقوا بي ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ يعني: حتى تنظروا أن عاقبة المؤمنين تكون أفضل أم عاقبة الكافرين. فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ يعني: حتى يقضي الله بين المؤمنين وبين الكافرين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يعني: أعدل العادلين.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي بَلَدٍ مَّا يَلْتَمِسُ أَهْلُهَا أَوْلَاءَ كَرِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مَبَدَّ أُمَّةٍ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَتَحَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا لَّنُكْفِرَنَّ إِذَا لَحِثْتُمْ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَفْتَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرُونَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَصَحَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ مَأْمَنَ عَلَى قَوْمِ كَفِرُونَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ يعني: الأشراف والرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي بَلَدٍ مَّا يَلْتَمِسُ﴾ يعني: لندخلن في ديننا الذي نحن عليه. ويقال: هذا الخطاب لقومه الذين آمنوا، لترجعن إلى ديننا كما كنتم ﴿قَالَ﴾ لهم شعيب ﴿أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يعني: أتجبروننا على ذلك؟ قالوا: نعم، قال لهم



شعيب: ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عَدْنَا فِي مُلْتِكُمْ﴾ يقول: قد اختلفنا على الله كذباً، إن دخلنا في دينكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ ويقال: معناه كنا كاذبين مثلكم لو دخلنا في دينكم بعد إذ نجانا الله منها. ويقول: أكرمنا الله تعالى بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر، وأنقذنا من ملتكم. ويقال: ﴿بَعْدَ إِذْ﴾ أكرمنا الله بالإسلام ولم يجعلنا من أهل الكفر. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبِّنَا﴾ يعني: ما ينبغي لنا، وما يجوز لنا أن ندخل في ملتكم إلا أن يشاء الله يعني: لا يشاء الله الكفر مثل قولك: لا أكلمك حتى يبيض القار، وحتى يشيب الغراب، وهذا طريق المعتزلة.

ثم قال: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يعني: علم ما يكون منا ومن الخلق ﴿عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يعني: فوضنا أمرنا إلى الله لقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ يقول: اقض بيننا وبين قومنا بالعدل. وروى قتادة عن ابن عباس قال: «ما كنت أدري ما معنى قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لعلي بن أبي طالب: تعال أفاتحك، يعني: أحاكمك». وقيل: أحاصمك. وقال القتيبي: الفتح أن تفتح شيئاً مغلقاً بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهُمَا﴾ ﴿الزمر: ٧٣﴾ وسمي القضاء فتحاً، لأن القضاء فصل الأمور وفتح لما أشكل منها ﴿وَأَنْتَ خَيْرَ الْفَاتِحِينَ﴾ يعني: خير الفاصلين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنَّ اتَّبِعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني: لئن أطعتم شعيباً في دينه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ يعني: جاهلين. فلما وعظهم شعيب ولم يتعظوا، أخبرهم أن العذاب نازل بهم. فلم يصدقوه. فخرج شعيب ومن آمن معه من بين أظهرهم، فأصابهم يعني: أهل القرية حر شديد، فخرجوا من القرية، ودخلوا غيضة كانت عند قريتهم وهي الأيكة كما قال في آية أخرى ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ قَيْكَاةَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿الشعراء: ١٧٦﴾ فأرسل الله تعالى ناراً فأحرقت الأشجار ومن فيها من الناس. ويقال: أصابتهم الزلزلة، فأتتهم نار فأحرقتهم، فذلك قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ يعني: الزلزلة والحر الشديد، فهلكوا واحترقوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾ يعني: صاروا ميتين.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْتُوا فِيهَا﴾ - يقال: معناه، من كان رأيهم بعد إهلاكنا إياهم ظن أنه لم يكن هناك أحد، يعني: لم يعيشوا فيها قط<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْتُوا﴾ يعني: كان لم يتنعموا ﴿فِيهَا﴾. ويقال: كان لم يعمروا.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني: المغبونين في العقوبة، يعني: إنهم كانوا يقولون لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون. فصار الذين كذبوا هم الخاسرون، لا الذين آمنوا به.

(١) ما بين معقوفتين ساقط في النسخة «ب».

قوله تعالى: ﴿فتولى عنهم﴾ يعني: أعرض عنهم يعني: حين خرج من بين أظهرهم  
 ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالاتي﴾ في نزول العذاب ﴿ونصحت لكم﴾ وقد ذكرناه  
 ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ يعني: أحزن بعد النصيحة على قوم إن عذبوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٩٤) ثُمَّ  
 بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا  
 يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن  
 كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ يَقْمُونَ  
 ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا  
 يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها﴾ ففي الآية مضمرة ومعناه: وما  
 أرسلنا في قرية من نبي فكذبوه إلا أخذنا أهلها ﴿بالبأساء والضراء﴾ يعني: عاقبنا أهلها بالخوف  
 والبلاء والقحط والفقر. ويقال: البأساء ما يصيبهم من الشدة في أموالهم، والضراء: ما يصيبهم  
 في أنفسهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾، فأدغمت التاء في الضاد، وأقيم التشديد مقامه. ومعناه: لكي  
 يدعوا ربهم ويؤمنوا بالرسول، ويعرفوا ضعف معبودهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ يعني: حولنا مكان الشدة الرخاء، ومكان  
 الجدوية الخصب، ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ - كثروا واستغنوا وكثرة أموالهم، فلم يشكروا الله تعالى.  
 ويقال: ﴿حتى عفوا﴾ أي حتى سزوا به<sup>(١)</sup>. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ يعني: مثل  
 ما أصاب آباءنا مرة يكون الرخاء، ومرة يكون الشدة، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ يعني: فجأة ﴿وَهُمْ لَا  
 يَشْعُرُونَ﴾ يعني: أنهم العذاب من حيث لم يعلموا به. ويقال: إن الشدة للعام تكون تنبيهاً  
 وزجرًا. والنعمة تكون استدراجاً وأما النعمة للخاص فهي تنبيه، لأنه بعد ذلك عقوبة. كما روي  
 أن الله تعالى قال لموسى ﴿إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت  
 الغنى مقبلاً إليك فقل ذنب عجلت عقوبته﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ يعني: وخذوا الله تعالى واتقوا الشرك  
 ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ يعني: أنزلنا عليهم من السماء المطر والرزق  
 والنبات من الأرض ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ يعني: عاقبناهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾  
 من الشرك. ففي الآية دليل أن الكفاية والسعة في الرزق من السعادة إذا كان المرء شاكراً، وتكون

(١) ما بين معرفتين ساقط من النسخة «أ».

عقوبة له إذا لم يكن شاكراً. لأنه قال في آية أخرى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا يُعْرَبُونَ﴾ [الزخرف: ۲۳] يعني: الغنى يكون وبالاً لمن لم يشكر الله، وعقوبة له.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ يعني: أن ينزل عليهم عذابنا ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ فتحت الواو لأنها واو العطف، أدخلت عليها ألف الاستفهام. وكذلك ﴿أَفَأَمِنَ﴾ لأنها فاء العطف أدخل عليها ألف الاستفهام. قرأ نافع وابن كثير ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بجزم الواو لأن أصله أو وأمن، وأو حرف من حروف الشك، فأدغم في حرف النسق ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَىٰ﴾ يعني: يأتهم عذابنا نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ يعني: لاهون عنه.

ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ يعني: عذاب الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ يعني: عذاب الله ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يعني: المغبونين بالعقوبة.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطَّعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتَقِينَ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ يعني: أو لم يبين. قال القتيبي: أصل الهدى الإرشاد، كقوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ يعني: يرشدني. ثم يصير الإرشاد على معانٍ منها: إرشاد تبيان، مثل قوله ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ يعني: أو لم يبين لهم. ومنها: إرشاد بمعنى بالدعاء كقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ۷] يعني: نبياً يدعوهم وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ۷۳] يعني: يدعوون الخلق. وقرأ بعضهم: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ بِالنُّونِ﴾ يعني: أو لم يبين لهم الطريق. ومن قرأ بالياء معناه: أو لم يبين الله ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ يعني: ينزلون الأرض من بعد هلاك أهلها. ويقال أولم نبين لأهل مكة هلاك الأمم الخالية، كيف أهلكتناهم ولم يقدر مبعودهم على نصرتهم؟ ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني: أهلكتناهم بذنوبهم كما أهلكتنا من كان قبلهم عند التكذيب.

ثم قال: ﴿وَنَطَّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: نختم على قلوبهم بأعمالهم الخبيثة عقوبة لهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الحق ولا يقبلون الموعظة.

قال عز وجل: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ يعني: تلك القرى التي أهلكتنا أهلها، نخبرك في القرآن من حديثها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالعلامات الواضحة، والبراهين القاطعة، التي لو اعتبروا بها لاهتدوا. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أهل مكة لم يصدقوا بما كذب به الأمم الخالية. وقال مجاهد: فما كانوا ليؤمنوا

بعد العذاب بما كذبوا من قبل، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] وقال السدي: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا﴾ يوم الميثاق يعني: فما كانوا ليؤمنوا في دار الدنيا بما كذبوا من قبل يوم الميثاق وأقروا به، وهو قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم قال في الدنيا: وما وجدناهم على ذلك الإقرار. ويقال: ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيء الرسل ﴿بما كذبوا من قبل﴾ مجيء الرسل، معناه: أن مجيء الرسل لم ينفعهم. ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ يعني: هكذا يختم الله تعالى ﴿على قلوب الكافرين﴾ مجازاة لكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ ﴿من﴾ زيادة للصلة يعني: ما وجدنا لأكثرهم من وفاء فيما أمروا به، يعني: الذين كذبوا وعذبوا من الأمم الخالية. ويقال: ﴿ما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ لأنهم أقروا يوم الميثاق، ثم نقضوا العهد حيث كفروا، ويقال: ﴿ما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ أي: من قبول العهد الذي عاهدوا على لسان الرسل. ثم قال: ﴿وان وجدنا أكثرهم لفاستقين﴾ يعني: وقد وجدنا أكثرهم لناقضين العهد، تاركين لما أمروا به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٧٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَبْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جُنَّكُمْ بِبَيْتِكُمْ فَاَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ إِحْسَنَ إِنَّا بِآيَةٍ قَاتٍ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٦﴾ قَالَ لَنْ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُلْقِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴿١٧٧﴾ وَيَدُوٌّ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ يعني: أرسلنا من بعد الرسل الذين ذكرهم في هذه السورة. ويقال: ثم بعثنا من بعد هلاكهم موسى، وهو موسى بن عمران ﴿بآياتنا﴾ يعني: اليد البيضاء والعصا ﴿إلى فرعون﴾ وهو ملك مصر واسمه: وأيد بن مصعب. وروي عن وهب بن منبه أنه قال: كان فرعون في وقت يوسف، فعاش إلى وقت موسى، فبعث الله تعالى إليه موسى ليأخذ عليه العهد والحجة. وأنكر عليه ذلك عامة المفسرين، وقالوا: هو كان غيره، وكان جباراً ظهر بمصر واستولى عليها، فأرسل الله تعالى إليه موسى، فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملته﴾ يعني: جنوده وأتباعه ﴿فظلموا بها﴾ يعني: جحدوا بالآيات ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني: كيف صار آخر أمر المشركين. وقال ابن عباس: «أول الآيات العصا، فضرب بها موسى باب فرعون، ففزع منها فرعون، فشاب رأسه فاستحيا فحضب رأسه بالسواد، فأول من حضب بالسواد فرعون». قال ابن عباس: «كان طول العصا عشرة أذرع على طول موسى، وكانت من آس الجنة يضرب بها الأرض فيخرج

النبات، فلما دخل عليه مع هارون ﴿وَقَالَ﴾ له ﴿مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك قال له فرعون: كذبت. قال له موسى: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَتُورِلَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ قرأ نافع ﴿حَقِيقٌ﴾ علي بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف على. فمن قرأ بالتخفيف فمعناه: واجب علي أن لا أقول، يعني: واجب بأن أترك القول على الله إلا الحق. ومن قرأ بالتشديد معناه: واجب علي ترك القول على الله إلا الحق. فلما كذبوه قال: إني لا أقول بغير برهان ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: جئتكم بعلامة لنبوتني ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولا تستعبدهم، لأن فرعون كان قد استعبد بني إسرائيل واتخذهم سخرة ف﴿قَالَ﴾ له فرعون: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ يعني: بعلامة لنبوتك ﴿فَأَبِئْ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ بأنك رسول الله ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ يعني: ألقى موسى عصاه من يده ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْعَبَانُ مُبِينٌ﴾ وهي أعظم الحيات، ويقال: الثعبان الحية الذكر الصفراء والشقراء ويقال: صارت حية من أعظم الحيات، رأسها مع شرف قصر فرعون، ففتحت فاهها نحو فرعون، وكان فرعون على سريره، فوثب فرعون من سريره وهرب منها، وهرب الناس، وصاحوا إلى موسى، ونادى فرعون: يا موسى خذها عني فأخذها، فإذا هي عصا بيده كما كانت، وجعل الناس يضحكون مما صنع موسى. ومعنى قوله: ﴿ثعبان مبين﴾ يعني: أنها حية تسعى لا لبس فيها. فقال له فرعون: هل معك غير هذا؟ قال: نعم ﴿وَتَرَىٰ يَدِي﴾ يعني: أخرج يده أخرجها من جيبه، كما قال في آية أخرى ﴿وَأَنْجَلْ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ مُوٍ﴾ ﴿النمل: ١٢﴾ يعني: من غير برص ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ﴾ يعني: لها شعاع غلب على نور الشمس. ومعنى قوله: ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ يعني: يتعجب ويتحير منها الناظرون. ويقال: إن البياض من غير برص، لأن الناس يكرهون النظر إلى الأبرص، فأخبر أن ذلك بياض ينظرون إليه، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فصارت كما كانت.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا أَرْضُهُ وَأَعْيَانُهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٨﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ لِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٩﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا يَمْحُوسَةٌ إِنَّمَا أَنْ تُلْفِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نُكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهْوَوْهُمْ وَجَاءَهُمْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٣﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: الأشراف والرؤساء. قال مقاتل: يعني، إن فرعون قال بهذه المقالة فصدقه قومه، كما قال في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لِمَلِكٍ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿الشعراء: ٣٤﴾ يعني: حاذق بالسحر.

ثم قال قومه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يعني: تصديقاً لقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ

**أَرْضِكُمْ** بسحره يعني: من أرض مصر. فقال لهم فرعون: **﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** يعني: ماذا تشيرون في أمره؟ ويقال: إن بعضهم قال لبعض: فماذا تأمرون؟ يعني: ماذا ترون فيه؟ **﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾** يعني: احبسهما ولا تقتلتهما. وأصله في اللغة: التأخير، يعني: أخر أمرهما حتى تجتمع السحرة فيغلبوهما، فإنك إن قتلتهما قبل أن يظهر حالهما يظن الناس بأنهما صادقان. فإذا تبين كذبهما عند الناس فاقتلتهما حينئذ، فذلك قوله: **﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَاشِرِينَ﴾** يعني: الشرط يحشرون الناس إليك: **﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾** أي: حاذق بالسحر. قرأ ابن كثير: **﴿أَرْجَهُوْا﴾** بالهمزة والواو بعد الهاء. وقرأ الكسائي: **﴿أَرْجِهِ﴾** بغير همز والياء بعد الهاء، وكذلك نافع في رواية ورش وهكذا قرأ حمزة إلا أنه يكسر الهاء ولا يتبع الياء. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر في إحدى الروايتين **﴿أَرْجِهْ﴾** بالهمزة والضممة بغير مد وقرأ عاصم بالهمز. وهذه لغات كلها مروية عن العرب. وقرأ حمزة والكسائي **﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾** على وجه المبالغة في السحر. وقرأ الباقون **﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾** وهكذا في يونس، وانفثوا في الشعراء.

قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾** يعني: قالوا لفرعون: أتعطينا جعلاً ومالاً **﴿إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾** لموسى **﴿قَالَ﴾** لهم فرعون **﴿نَعْتَمُ﴾** لكم الجعل **﴿وإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾** يعني: لكم المنزلة سوى العطية، يعني: أنكم تكونون أول من يدخل علي بالسلام. قرأ أبو عمرو **﴿إِن لَنَا لَأَجْرًا﴾** بمد الألف. وقرأ ابن كثير ونافع وحفص **﴿إِنَّ أَنَا﴾** بهمزة واحدة بغير ياء. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي **﴿إِنَّ لَنَا﴾** بهمزتين، فلما اجتمعت السحرة وواعدوا للخروج يوماً وأعلم الناس بخروجهم ليجتمعوا عند سحرتهم كما قال في آية أخرى: **﴿قَالَ مَوْضِعَكُمْ يَوْمَ الزَّيْتِ﴾** [طه: ٥٩] يعني: يوم عيد كان لهم ويقال: يوم النيروز. فلما اجتمعوا قالت السحرة، أي سحرة فرعون لموسى: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾** يعني: إما أن تطرح عصاك على الأرض وإما أن تكون نحن الملقين قبلك. **﴿قَالَ﴾** لهم موسى **﴿أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾** يعني: السحرة ألقوا الحبال والعصي **﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾** يعني: أخذوا أعينهم بالسحر **﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾** يعني: طلبوا رهبتهم حتى رهبهم الناس. قال الكلبي: كالت السحرة سبعين فألقوا سبعين عصا وسبعين حبالاً. وقال بعضهم: كانوا اثنين وسبعين حبالاً. وروى أسباط عن السدي قال: قال ابن عباس: «كانوا بضعاً وثلاثين ألفاً». وقال محمد بن إسحاق: كانوا ألف رجل وخمسمائة رجل، ومع كل واحد منهم عصا، وقد كانوا خاطوا الحبال وجعلوها مموجة بالرصاص وحشوها بالزيتق حتى إذا ألقوها تحركت كأنها حيات، لأن الزيتق لا يستقر في مكان واحد، فلما طلعت عليها الشمس صارت شبيهاً بالحيات، فنظر موسى فإذا الوادي قد امتلأ بالحيات، فدخل فيه الخوف، ونظر الناس إلى ذلك فخافوا من كثرة الحيات. فذلك قوله: **﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾** يعني: أفرعوهم وأخافوهم **﴿وَجَاوَزُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾**



يعني: بقول عظيم، ويقال: بسحر تام. ويقال: **﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾** يعني: بقول عظيم حتى قالوا **﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾** [الشعراء: ٤٤] ويقال: وجاؤوا بالكذب عظيم.

**﴿وَأَرْحَبْنَا إِيَّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْبَىٰ كُونَ﴾** [١١٧] **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [١١٨] **﴿فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صٰغِرِينَ﴾** [١١٩] **﴿وَأَلْقَى السَّحْرَ سٰجِدِينَ﴾** [١٢٠] **﴿قَالُوا أَنَا بَرَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [١٢١] **﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾** [١٢٢] **﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَدِّنَ لَكَ إِنَّ هٰذَا لَكَا مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوْنَا مِنْهَا ءَأَهْلًا فَسَوْفَ نَعْمُونَ﴾** [١٢٣] **﴿لَأَطْعِمَنَّ أَبْيَدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِن خِلْفٍ ثُمَّ لَأَسْبِغَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [١٢٤] **﴿قَالُوا إِنَّا إِلٰك رِبْنَا مُنْقَلِبُونَ﴾** [١٢٥] **﴿وَمَا نُنْعِمُ بِنَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمِنَّا بِآيَاتِكَ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَكَّلْنَا مُسْلِمِينَ﴾** [١٢٦] **﴿وَقَالَ التَّلَا مِنْ قَوٰمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَأٰلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَدِّرُ ءَأَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي. نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** [١٢٧]

قال الله تعالى: **﴿وَأَرْحَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاكَ﴾** يعني: اطرح عصاك إلى الأرض، فألقى عصاه من يده فصارت حية أعظم من جميع حياتهم **﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْبَىٰ كُونَ﴾** يعني: نلتقم وتأكل جميع ما جاؤوا به من الكذب والسحر. قرأ عاصم في رواية حفص **﴿تَلْقَفُ﴾** بجزم اللام وتشديد القاف، وقرأ الباقون بنصب اللام وتشديد القاف، ومعناها واحد.

وقصدت الحية إلى فرعون، فنادى موسى فأخذها، فإذا هي عصا على حالها، فنظر السحرة، فإذا حبالهم وعصيهم قد ذهب **﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾** يعني: استبان الحق فظهر أنه ليس بسحر **﴿وَيَبْطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** من السحر يعني: ذهب وهلك واضمحل **﴿فَغَلَبُوا هُنَالِكَ﴾** وغلب موسى السحرة عند ذلك **﴿وَانْقَلَبُوا صٰغِرِينَ﴾** يعني: رجعوا ذليلين. قالوا: لو كان هذا سحراً فأين صارت حبالنا وعصينا، ولو كانت سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، وهذا من الله تعالى وليس بسحر، فأمنوا بموسى.

قوله تعالى: **﴿وَأَلْقَى السَّحْرَ سٰجِدِينَ﴾** يعني: خروا لله تعالى ساجدين. قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا، كأنهم القوا. ويقال: وقفهم الله تعالى للسجدة **﴿قَالُوا أَنَا بَرَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** فقال لهم فرعون: إياي تعنون، فأراد أن يلبس على قومه فقالوا: **﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾** فندم فرعون على ما سألهم، لأن بعض الناس كانوا يظنون عند مقاتلتهم برب العالمين أنهم أرادوا به فرعون، فلما سألهم فرعون وقالوا: **﴿بَرَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾** ظهر عند جميع الناس أنهم لم يريدوا به فرعون، وإنما أرادوا به الإيمان بموسى وبرب العالمين.

**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ﴾** يعني: صدقتم بموسى **﴿قَبْلَ أَنْ أَدِّنَ لَكُمْ﴾** يعني: قبل أن أمركم بالإيمان بموسى. قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير: **﴿ءَأَمِنْتُ﴾** بالمد. وقرأ الباقون: بغير مد بهمزتين، ومعناها واحد ويكون استفهاماً، إلا عاصم في رواية حفص قرأ أمتمت بهمزة واحدة



بغير مد على وجه الخبر. ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: صنع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في المدينة ﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ يعني: إنكم أردتم أن تخرجوا الناس من مصر بسحركم.

ثم قال لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: تعلمون ماذا أفعل بكم ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ يعني: اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على شاطئ نهر مصر ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ يعني: لا نبالي من فعلك وعقوبتك فإن مرجعنا إلى الله تعالى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا﴾ يعني: وما تعيب علينا، وما تنكر منا ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ بالله، يعني: إلا إيماننا بالله. ويقال: وما نعمتك علينا ولم يكن منا ذنب ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ يعني: لما ظهر عندنا أنه حق.

ثم سألوا الله تعالى الصبر على ما يصيبهم لكي لا يرجعوا عن دينهم، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا﴾ يعني: أنزل علينا ﴿صبراً﴾ عند القطع والصلب، ومعناه: ارزقنا الصبر وثبت قلوبنا حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ على دين موسى. وروي عن عبيد الله بن عمير أنه قال: كانت السحرة أول النهار كفاراً سحرة، وآخر النهار شهداء برة. وقال بعض الحكماء: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة، فغفر لهم بإقرار واحد ويسجدة واحدة، فالذي أفر وسجد خمسين سنة فكيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أن السحرة قد آمنوا به، فلو تركهما يؤمن بهما جميع أهل مصر، فيفسدوا في الأرض يعني: موسى وقومه، ويغيروا عليك دينك في أرض مصر ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَتَّكَ﴾ وذلك أن فرعون جعل لقومه أصناماً يعبدونها، وكان يقول لهم: هؤلاء أربابكم الصغار، وأنا ربكم الأعلى، فذلك قوله: ﴿وَيَذَرُكَ وَالْهَتَّكَ﴾ يعني: يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها. وروي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ويذرك والهتك﴾ يعني: عبادتك وتعبدك. قال ابن عباس: «كان فرعون يُعبد ولا يُعبد. ويقال: معنى قوله: ﴿أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: يغلّبوا عليكم، ويقتلوا أبناءكم، ويستحيوا نساءكم كما فعلتم بهم، كما قال في آية أخرى ﴿إِنَّ أَمَّا أَنْ يَبَدَّلَ دِينَكَ أَنْ يَبَدَّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يَطْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [عافر: ٢٦] فقال فرعون: ﴿سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ لأنهم قد كانوا تركوا قتل الأبناء، فأمرهم بأن يرجعوا إلى فعل ذلك. قرأ ابن كثير ونافع: ﴿سَنُقْتَلُ﴾ بجزم القاف والتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة في القتل.

ثم قال: ﴿وَبِأَنَّا قَوْمَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ يعني: مسلطون فشكت بنو إسرائيل إلى موسى:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿۱۲۸﴾ قَالُوا أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَنَا وَبَدَى مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ  
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿۱۲۹﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ  
بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿۱۳۰﴾ فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذَا وَمِنْ قَبْلِهِمْ  
سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَلَرْتُمُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿۱۳۱﴾﴾

ثم قال: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ يعني: سلوا الله التوفيق ﴿وَاصْبِرُوا﴾ يعني: اصبروا على أذاهم حتى يأتبكم المخرج ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني: أرض مصر ينزلها من يشاء من عباده، ويقال: الجنة. قرأ عاصم في رواية حفص ﴿يُورِثُهَا﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف، وهما لغتان: ورثت وأورثت بمعنى واحد.

ثم قال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي للمتقين الذين يعملون في طاعة الله تعالى على نور من الله مخافة عقاب الله، ورجاء ثواب الله تعالى، يعني: آخر الأمر لهم. وروي في الخبر أن مسيلمة الكذاب كتب إلى النبي ﷺ كتاباً من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله أما بعد، فإن الأرض بيني وبينكم نصفان، إلا أن العرب قوم يظلمون الناس، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «مَنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْدَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَنَا﴾ يعني: إن قوم موسى قالوا لموسى: إنهم قد عذبونا قبل أن تأتينا بالرسالة ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ لأن قوم فرعون كانوا يكلفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقون، وكان آل فرعون لا يعرفون شيئاً من الأعمال، وكانت بنو إسرائيل حذافاً في الأشياء والأعمال، فكانوا يأمرونهم بالعمل ولا يعطونهم الأجر. ﴿فَقَالَ﴾ لهم موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: يجعلكم سكانها من بعد هلاكهم، يعني: أرض مصر من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يعني: يبتليكم بالنعمة كما ابتلاكم بالشدة، فيظهر عملكم في حال اليسر والشدة، لأنه قد وعد لهم بقوله تبارك تعالى: ﴿وَرَوْيِدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَيْمُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْمَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْمَهُمُ الْأُورِثِينَ﴾ [القصص: ٥]. ويقال: ﴿فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من بعده يعني: من بعد انطلاق موسى إلى الجبل، فعبدوا العجل.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ يعني: بالجوع والقحط ﴿وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يعني: يتعظون ويؤمنون فلم يؤمنوا ولم يتعظوا.  
قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ يعني: الخير والخصب والرخاء ﴿قَالُوا لَنَا هَذَا﴾

يعني: نحن أهل لهذه الحسنة وأحق بها ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْفَةٌ﴾ يعني: القحط والبلاء والسدة ﴿يُظَيِّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ وأصله يتظيرون فأدغمت التاء في الطاء. كقولهم: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ وأصله: يتذكرون يعني: يشاءمون بموسى ومن معه على دينه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَأْسُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: إن الذي أصابهم من عند الله ويفعلهم. ويقال: إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه من الله تعالى ولا يعلمون ما عليهم في الآخرة.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا عَنَّا لَكِ يَمْؤُومِيكَ ﴿١٢٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ مَائِبَ مَفْصَلَتي فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْؤُوسِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَا عَهْدَ عِنْدِكَ لَئِنْ كَفَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِكْرَامًا أَجَلٍ لَهُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٢٥﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي آيَةٍ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ مَشْرُوقَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَقُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ يقول: متى ما تأتانا، ويقال: كلما تأتانا. وروي عن الخليل أنه قال: ﴿مههما تأتانا﴾ هي متى الشريطة أدخلت معها ما الزائدة كقوله: متى ما تأتني أتك. وما زائدة فكانه قال: ما تأتانا به. فأبدلوا الهاء من الألف، وهكذا قال الزجاج.

وقوله: ﴿بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ يعني: من آية ﴿لِنَسْحَرَنَّ بِهَا﴾ يعني: لتأخذ أعيننا بها ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: بمصدقين بأنك مبعوث ورسول من الله. فغضب موسى عند ذلك فدعا عليهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو المطر الدائم من السبت إلى السبت، حتى خربت بنيانهم وانقطعت السبل وكادت أن تصير مصر بحراً واحداً، فحافوا الغرق، فاستغاثوا بموسى، فأرسلوا إليه وقالوا: اكشف عنا العذاب نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فكشف عنهم المطر، وأرسل الله عليهم الريح فنجفت الأرض، فخرج من النبات شيء لم يروا مثله بمصر قط. قالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا، ولكن لم نشعر به، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فنقضوا العهد وعصوا ربهم، فمكثوا شهيراً، فدعا عليهم موسى فأرسل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿والجراد﴾ مثل الليل، فكانوا لا يرون الأرض ولا السماء من كثرتها، فأكل كل شيء أنبتته الأرض. فاستغاثوا بموسى وقالوا: يا أيها الساحر يعني: يا أيها العالم سل لنا ربك ليكشف عنا العذاب، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل.

فدعا موسى ربه، فأرسل الله تعالى ريحاً فاحتملت الجراد وألقته في البحر، فلم يبق في أرض مصر جرادة واحدة. فقال لهم فرعون: انظروا هل بقي شيء؟ فنظروا فإذا هو قد بقي لهم بقية من كلئهم وزروعهم ما يكفيهم عامهم ذلك. قالوا: قد بقي لنا ما فيه بلغتنا هذه السنة. فقالوا: يا موسى، لا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فمكثوا شهراً ثم دعا عليهم، فأرسل الله تعالى عليهم **﴿الْقُمَّل﴾** قال قتادة: القمل أولاد الجراد التي لا تطير، وهكذا قال السدي. وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: القمل عند العرب الحمثان، وهو ضرب من القردان، فلم يبق من أرض مصر عود أخضر إلا أكلته. وأتاهم منه مثل السيل على وجه الأرض، فأكل كل شيء في أرض مصر من نبات أو ثمر، فصاحوا إلى موسى، وقالوا: ادع لنا ربك هذه المرة يكشف عنا العذاب ونحن نطيعك ونعطيك عهداً وموثقاً لنؤمنن بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فأرسل الله تعالى ريحاً حارة فأحرقتة فلم يبق منه شيء، وحمثته الريح، فألقته في البحر، فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل، فقالوا له: قد ذهبت الأنزال كلها، فأني شيء تفعل بعد هذا؟ فعلى أي شيء نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل؟ اذهب فما استطعت أن تضرب بنا فضرنا فإننا لو نؤمن بك ولنرسل معك بني إسرائيل. فمكثوا شهراً، فدعا الله تعالى عليهم موسى، فأرسل الله تعالى عليهم **﴿الضفادع﴾** فخرجوا من البحر مثل الليل الدامس، فغشوا أهل مصر، ودخلوا البيوت، ووقع على ثيابهم وفرشهم وسررهم، وكان الرجل منهم يستيقظ في الليل وقد امتلأ فراشه من الضفادع، فكان الرجل يكلم صاحبه يجعل فمه في أذنه ليسمع كلامه من كثرة نقيق الضفادع. فضايق الأمر عليهم، فصاحوا إلى موسى فقالوا: يا موسى، لئن رفعت عنا هذه الضفادع لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فأذهب الله تعالى عنهم الضفادع. فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل فقالوا: نعم، اخرج بهم ولا تخرج معهم مواشيهم وأموالهم. فقال لهم موسى: إن الله أمرني أن أخرج بهم ولا أخلف من أموالهم ومواشيهم شيئاً. فقالوا: والله لا نؤمن بك، ولا نرسل معك بني إسرائيل. فمكثوا شهراً، فدعا عليهم، فأرسل الله تعالى عليهم **﴿الدم﴾** فجرت أنهارهم دماً، فلم يكونوا يقدرون على الماء العذب ولا غيره، وبنو إسرائيل في الماء العذب، وكلما دخل رجل من آل فرعون يستقي من أنهار بني إسرائيل ماء، صار الماء دماً والماء من بين يديه ومن خلفه. فركب فرعون وأشراف أصحابه فأتوا أنهار بني إسرائيل، فإذا هي عذبة صافية. فجعل فرعون يدخل الرجل منهم، فإذا دخل واغترف صار الماء في يده دماً. فمكثوا كذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم، فمات كثير منهم في ذلك، فاستغاثوا بموسى، فقال فرعون: اقمم بإلهك يا موسى، لئن كشفت عنا الرجز، لنؤمنن بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فأذهب الله تعالى عنهم الدم، وعذب ماؤهم وصفاً. فعادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: **﴿فَازْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾** يعني: متتابعات، قال

الحسن وسعيد بن جبير وغيرهما: كانوا يعافون بين كل آيتين شهراً، فإذا جاءت الآية، قامت عليهم سبعاً من السبت إلى السبت. وروي عن مجاهد أنه قال: ﴿الطوفان﴾ المطر الكثير، وقوله: ﴿آيات مفصلات﴾ صار نصباً للحال.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبِرُوا﴾ يعني: تعظّموا عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: أقاموا على كفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ يعني: وجب عليهم العذاب وحل بهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يعني: سل لنا ربك ﴿بِمَا عَاهَدْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ يعني: بما أمرت ربك أن تدعو الله ويقال: بالعهد الذي سل ربك ﴿لَيْتَ كُنْهَاتُ عَنَا الرِّجْزُ﴾ يعني: رفعت عنا العذاب ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ يعني: لنصدقنك ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ يعني: العذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْفَوْءِ﴾ يعني: إلى وقت الغرق. ويقال: إلى وقت بقية آجالهم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ يعني: يتنقضون العهد الذي عاهدوا عليه مع موسى.

قال الله تعالى: ﴿فَانتقمنا منهم فأغرقتناهم في اليم﴾ يعني: في البحر بلسان العبرانية. وذلك أن الله تعالى أمر موسى بأن يخرج ببني إسرائيل من أرض مصر ليلاً، فاستعار نسوة بني إسرائيل من نساء آل فرعون حليهن وثيابهن، وقلن: إن لنا خروجاً، فخرج موسى ببني إسرائيل في أول الليل وهم ستمائة ألف من رجل وامرأة وصبي. فذكر ذلك لفرعون، فتهيباً للخروج إليهم، فلما كان وقت الصباح ركب فرعون ومعه ألف ألف ومائتا ألف رجل، فأدركهم حين طلعت الشمس، وانتهى موسى إلى البحر فضرب البحر، فانفلق له اثنا عشر طريقاً. وكانت بنو إسرائيل اثني عشر سبطاً، فعبر كل سبط في طريق، وأقبل فرعون ومن معه حتى انتهوا إلى حيث عبر موسى، فدخلوا في ذلك الطريق في طلبهم، فلما دخل آخرهم وهم أولهم أن يخرج، أمر الله تعالى البحر أن ينطبق عليهم فغرقهم. فذلك قوله: ﴿فَانتقمنا منهم فأغرقتناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ يعني: الآيات التسع وهي: اليد، والعصا، والسنون، ونقص من الشمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ﴿آيات مفصلات﴾ ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ يعني: مُّغْرَضِينَ، فلم يتفكروا ولم يعتبروا بها حتى رجع موسى ببني إسرائيل، فسكنوا أرض مصر فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضَعِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿وَمِغَارِبِهَا﴾ يعني: الأردن وفلسطين. ويقال: ﴿مِشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ يعني: الشام ﴿وَمِغَارِبِهَا﴾ ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني بالبركة، الماء والثمار الكثيرة.

وقال تعالى: ﴿وَوَثَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ يقول: وجبت نسوة ربك بالإحسان ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال مجاهد: هو ظهور قوم موسى على فرعون، وتمكين الله لهم في الأرض. وقال

مقاتل: يعني: بالكلمة التي ذكرها في سورة القصص ﴿وَرُيُدُّ أَنْ تُشْرَعَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَيْبُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْآرِثِينَ﴾ [القصص: ٥] وقال الكلبي: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ يعني: نعمة ربك ﴿الحسنى﴾. يعني: أنهم يجزون الحسنى الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ ولم يدخلوا في دين فرعون. ويقال: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ يعني: ما وعدهم الله من إهلاك عدوهم واستخلافهم.

ثم قال: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ يعني: أهلكتنا ما كان يصنع فرعون وقومه، وأبطلنا كيد ومكره. ﴿وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ﴾ يعني: أهلكتنا ما كانوا يبنون من البيوت والكروم. وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ﴿يَفْرُسُونَ﴾ بضم الراء. وقرأ الباقون بالكسر، ومعاهما واحد.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً مَنَافَةً لَكُمْ وَأَنْتُمْ مُجْرِمُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ فِي الْأَدْنَى وَالسُّبْحَىٰ إِنَّ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَشَاقِقِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لُقْمَانَ إِذْ أَخْبَرْتَهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَخْلَقْنَا ثُمَّ أَخْبَرْتَهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ظَالِمٌ قَلِيلٌ ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفون على أصنام لهم﴾ يقول: مروا على قوم ﴿يكفون على أصنام لهم﴾ يعني: يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها، وكل من يلازم شيئاً ويواظب عليه يقال: عكفه. ولهذا سمي الملازم للمسجد معتكفاً ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً﴾ قال الجهال من بني إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً﴾ نعبده ﴿كما لهم آلهة﴾ يعبدونها ﴿قال﴾ لهم موسى: ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ يعني: تكلمتم بغير علم وعقل، وجهلتم الأمر.

قوله تعالى: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ يعني: مهلكاً مفسداً ما هم فيه من عبادة الأصنام ﴿وباطل﴾ يعني: ضلال ﴿ما كانوا يفتنون﴾ والنيار: الهلاك. كقوله تعالى: ﴿ولا تزر أطلالين إلا تبارك﴾ [نوح: ٢٨] أي: هلاكاً.

ثم قال: ﴿قال﴾ تعالى لهم قل ﴿أعز الله أبيعكم إلهاً﴾ يعني: أسوأ الله أمركم أن تعبدوا وتتخذوا إلهاً ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ يعني: على عالمي زمانكم. يعني: أنه قد أحسن إليكم فلا تعرفون إحسانه، وتطلبون عبادة غيره، وهم الذين كانوا أجابوا السامري حيث دعاهم إلى عبادة العجل بعد انطلاق موسى إلى يثيبيل.

ثم ذكرهم النعم فقال عز وجل: ﴿وإذ أجبناكم﴾ يعني: اذكروا حيث أنجاكم الله ﴿من آل



فرعون ﴿وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ أَنْجَاكَ﴾ يعني: اذكروا حيث أنجاكم الله ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وقرأ الباقون ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ﴾ ومعناه مثل ذلك ﴿بِسُوءِ الْعَذَابِ﴾ يعني: يعذبونكم بأشد العذاب ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يعني: يستخدمون نساءكم ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الإنجاء نعمة من ربكم عظيمة. ويقال: في قتل الأبناء واستخدام النساء بلية من ربكم عظيمة. قرأ نافع ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بنصب الباء مع التخفيف. وقرأ الباقون بضم الباء وكسر التاء مع التشديد، على التثكير. وقرأ حمزة والكسائي ﴿بِعَجْفُونَ﴾ بكسر الكاف، وقرأ الباقون بالضم.

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَتٌ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِيُقِيمِينَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي لِإِنِّكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا لَمَّا أَفَادَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُتُّ لِنٰنِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسٰلَتِي وَبِكَلِمِي فَعٰذَا مَا مَآبِتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ قرأ أبو عمرو ﴿وَوَعَدْنَا﴾ بغير ألف، والباقيون بالألف، ومعناها واحد. ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ يعني: ثلاثين من ذي القعدة، وعشراً من ذي الحجة. ويقال: ثلاثين من ذي الحجة وعشراً من المحرم، والمناجاة في يوم عاشوراء. وكانت المواعدة ثلاثين يوماً، وأمر بأن يصوم ثلاثين يوماً، فلما صام ثلاثين يوماً، أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب ويقال: بورقة موز، فقالت له الملائكة: كنا نجد من فيك ريح المسك فأفسدته بالسواك، فأمر بأن يصوم عشراً آخر، فصارت الجملة أربعين يوماً، كما قال في آية أخرى ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] يعني: صارت في الجملة أربعين، ولكن مرة ثلاثين يوماً، ومرة عشرة. ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يعني: ميعاد ربه.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ يعني: قال له قبل انطلاقه إلى الجبل: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ يعني: كن خليفتي على قومي ﴿وَأَصْلِحْ﴾ يعني: مرهم بالصلاح. ويقال: وأصلح بينهم، ويقال: ارفق لهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني: ولا تتبع طريق العصاة، ولا ترضى به، وأتبع سبيل المطيعين. وقال بعض الحكماء: من ها هنا ترك قومه عبادة الله وعبدوا العجل، لأنه سلمهم إلى هارون ولم يسلمهم إلى ربه. ولهذا لم يستخلف النبي ﷺ بعده، وسلم أمر أمته إلى الله تعالى، فاخترت أمته أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وهو أبو بكر الصديق فأصلح بينهم.



قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ يعني: لميعادنا لتمام أربعين يوماً. ويقال: ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ يعني: للوقت الذي وقتنا له. ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فسمع موسى كلام الله تعالى بغير وحي، فاشتاق إلى رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ انظر ﴿انظر﴾ صار جزءاً لأنه جواب الأمر ﴿قَالَ﴾ له ربه: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ يعني: إنك لن تراني في الدنيا ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ يعني: انظر إلى أعظم جبل بمدين ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ يعني: سوف تقدر أن تراني إن استقر الجبل مكانه. معناه: كما أن الجبل لا يستقر لرؤيتي، فإنك لن تطيق رؤيتي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ قال الضحاك: ألقى عليه من نوره فاضطرب الجبل من هيئته، يعني: من رهبة الله تعالى. وقال القتيبي: ﴿تَجَلَّىٰ﴾ أي ظهر وأظهر من أمره ما شاء. يقال: جلوت المرأة والسيف، إذا أبرزته من الصدا وكشفت عنه. وجلوت العروس، إذا أبرزتها. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ يعني: جبل زبير ﴿جَمَلَهُ دَكَاةً﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿دَكَاةً﴾ بالمد والهمز يعني: جعله أرضاً دكاه. وقرأ الباقون ﴿دَكَاً﴾ بالتنوين يعني: دكّه دكاً. قال بعضهم: صار الجبل قطعاً، فصار على ثمان قطع. فوقع ثلاث بمكة وثلاث بالمدينة واثان بالشام. ويقال: صار ستة فرق. ويقال: صار أربع فرق. ويقال: صار كله رملاً عالجاً. وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ﴿جعله دكاً﴾ أي تراباً، وقال القتيبي: ﴿جعله دكاً﴾ أي الصقّه بالأرض. ويقال: ناقة دكاه، إذا لم يكن لها سنام. وروى عن وهب بن منبه قال: لما سأل موسى النظر إلى ربه، أمر الله الضباب والصواعق والظلمات والرعد والبرق فهبطن حتى أحطن بالجبل، وأمر الله تعالى ملائكة السموات فهبطوا، وارتعدت فرائص موسى وتغير لونه، فقال له جبريل: اصبر لما سألت ربك، فإنما رأيت قليلاً من كثير، فلما غشي الجبل النور، خمد كل شيء، وانقطعت أصوات الملائكة، وانهار الجبل من خشية الله تعالى، حتى صار دكاً.

قوله تعالى: ﴿وَوَحَّرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ قال مقاتل: يعني ميتاً. كقوله عز وجل: ﴿فَصَوَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [سورة الزمر: ٦٨] يعني: مات. ويقال: ﴿وَوَحَّرَ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ يعني: مغشياً عليه ﴿فَلَمَّا أَتَاهُ﴾ من غشيانه قال مقاتل: رد الله حياته إليه ﴿قَالَ سُبْحَانِكَ﴾ يعني: تنزيهاً لك ﴿ثُبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من قولني ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. روى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: قد كان قبله من المؤمنين، ولكن يقول: أنا أول من آمن به، بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة. وقال مقاتل: ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا تُرى في الدنيا. ويقال: معناه، ثبت إليك بأن لا أسالك بعد هذا سؤالاً محالاً، فاعترف أنه طلب شيئاً في غير حينه وأوانه ووقته. وقال الزجاج: قد قال موسى: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ يعني: أرني أمراً عظيماً لا يرى مثله في الدنيا مما لا نحتمل عليه نفسي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي: أمر به قال: وهذا خطأ، ولكن لما سمع كلامه قال: يا رب إنني سمعت كلامك، وأحب أن أراك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾ يعني: على بني

إسرائيل، يعني: إني اصطفتك بنبوتي. قرأ ابن كثير ونافع ﴿برسالتني﴾. وقرأ الباقون: ﴿برسالاتي﴾ بلفظ الجماعة ومعناها واحد، يعني: اختصاصك بالنبوة. ﴿وبكلامي﴾ يعني: بتكلمي معك من غير وحي ﴿فخذ ما آتيتك﴾ يعني: اعمل بما أعطيتك ﴿وكن من الشاكرين﴾ لما أعطيتك. وقال الفتي: قوله ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أراد به في زمانه، كقوله ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَأَمْرَ قَوْمِكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسِبَهَا سَازِرِكُ دَارِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْدًا لَرُشْدٍ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْدًا لَنَّى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ﴾ روي سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: «أعطى الله تعالى موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد، فيها تبيان لكل شيء، وموعظة، قال: التوراة مكتوبة. ويقال: طول الألواح عشرة أذرع فيها<sup>(١)</sup>». ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ من الجهل ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ يعني: بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام.

قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القاري قال: حدثنا أبو بكر بن أبي العوام. قال: حدثنا أبي قال: حدثنا يحيى بن سابق، عن خثيمة بن خليفة، عن ربيعة عن أبي جعفر، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَانَ فِيمَا أُعْطِيَ اللَّهُ مُوسَى فِي الْأَلْوَاجِ عَشْرَةُ أَبْوَابٍ: يَا مُوسَى لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، فَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأُفْضِحَنَّ وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ النَّارَ، وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ، أَوَّلَ الْمَنَافِعِ، وَأَنْبِئْ لَكَ فِي عَمْرِكَ، وَأَحْبَبِكَ حَيَاةَ طَيِّبَةٍ، وَأَقْبَلِكَ إِلَى خَيْرٍ مِنْهَا، وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمْنَا إِلَّا بِالْحَقِّ، فَتَضَيَّقَ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، وَالسَّمَاءُ بِأَقْطَارِهَا، زَنْبِيءٌ بِسُخْطِي فِي نَارِي، وَلَا تَخْلِفْ بِاسْمِي كَاذِبًا فَإِنِّي لَا أَطْهَرُ وَلَا أَزْكِي مَنْ لَمْ يُزْهِنِي، وَلَمْ يُعْظَمِ أَسْمَائِي، وَلَا تُحَسِدِ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ الْحَايِدَ عَدُوٌّ لِيُعْتَمِي، رَادٌّ لِقَضَائِي، سَاجِدٌ لِيُسْمِعُنِي الَّتِي أَقْسَمُ بَيْنَ عِبَادِي، وَلَا تُشْهِدْ بِمَا لَمْ يَنْعَمْ بِسَمْعِكَ وَيَحْفَظْ قَلْبُكَ، فَإِنِّي أَوْفُقُ أَهْلَ الشَّهَادَاتِ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا سُؤَالَ أَحِبِّاءٍ، وَلَا أَتَزُنُّ، وَلَا تُسْرِقُ، فَأُحِبُّ عَنْكَ وَجْهِي، وَأُحِلُّ عَنْكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. وَلَا تُدْكَ بِغَيْرِي، فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ مِنَ الْقُرْبَانِ إِلَّا مَا

(١) عزاه السيوطي: ٥٤٩/٣ إلى ابن أبي حاتم.

ذِكْرَ عَلَيْهِ اسْمِي، وَكَانَ خَالِصاً لِيُوجِبَنِي، وَتَفَرَّغَ لِي يَوْمَ السَّبْتِ وَجَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِكَ». فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ يَوْمَ السَّبْتِ لِمُوسَى عِيداً، وَاخْتَارَ لَنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَجَعَلَهَا لَنَا عِيداً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتُحَذِّثُنَا بِقَوْلِهِ﴾ يعني: اعمل بما أمرك الله بجد ومواظبة عليها ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخَذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ يعملوا بما فيها من الحلال والحرام. ويقال: مُزِمهم بالخير وانهمم عن الشر: يعني: اعملوا بالخير وامتنعوا عن الشر. ويقال: اعملوا بأحسن الوجوه وهو أنه لو يكافىء ظالمه منه جاز، ولو تجاوز عنه كان أحسن. وقال الكلبي: كان موسى أشد عبادةً من قومه، فأمر بما لم يؤمروا به، يعني: أمر بأن يعمل بالمواظبة، وأمر قومه بأن يأخذوا بأحسن العمل.

ثم قال: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال مقاتل: يعني: سنة أهل مصر أي: هلاكهم حين قذفهم البحر، فأراهم سنة الفاسقين في التقديم. ويقال: جهنم هي دار الكافرين. ويقال: إذا سافروا يريهم منازل عاد وثمود. وقال مجاهد: مصيرهم في الآخرة إلى النار.

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ يعني: أصرف قلوب الذين يتكبرون عن الإيمان حتى لا يؤمنوا. فأخذتهم بكفرهم ولا أوقفهم بتكذيبهم الأنبياء مجازاة لهم. ويقال: أمتنع قلوبهم من التفكير في أمر الدين، وفي خلق السموات والأرض، الذين يتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يعني: يظنون أنهم أفضل الخلق وليسوا كذلك ولهذا قال: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. وقيل: ﴿يتكبرون﴾ يعني: يتعظمون عن الإيمان لكي لا يتفكروا في السماء، ولا يعقلون فيها، ولا يذكرونها. ويقال: سأصرف عن النعماء التي أعطيتها المؤمنين يوم القيامة، أصرفهم عن تلك النعمة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ يمتنعوا منها كي ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ يعني: طريق الحق الإسلام ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يعني: لا يتخذوه ديناً ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ يعني: طريق الضلالة والكفر ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يعني: ديناً ويتبعونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال مقاتل: يعني: بآياتنا التسع، وقال الكلبي: يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ يعني: تاركين لها. قرأ حمزة والكسائي ﴿سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ بنصب الراء، والشين، وقرأ الباقون ﴿الرُّشْدِ﴾ بضم الراء وإسكان الشين، وهما لغتان ومعناها واحد.

ثم قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ يعني: كذبوا بالبعث بعد الموت ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني: بطلت حسناتهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ يعني: هل يثابون ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ يعني: في الدنيا.

﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا

(١) عزاه السيوطي: ٥٥١/٣ إلى ابن مردويه وأبي نعيم.

يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَغْدِهِ﴾ يعني: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿من حليهم عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ﴾، وذلك أن موسى عليه السلام لما وعد لقومه ثلاثين يوماً فتأخر عن ذلك، قال السامري لقوم موسى: إنكم أخذتم الحلي من آل فرعون، فعاقبكم الله تعالى بتلك الخيانة، ومنع الله تعالى يرد علينا موسى، فاجمعوا الحلي الذي أخذتم من آل فرعون حتى نحرقها، ففعل الله تعالى يرد علينا موسى. فجمعوا الحلي، وكان السامري صائغاً، فجعل الحلي في النار واتخذ منه عَجَلًا، وقد كان رأى جبريل على فرس الحياة، فكلما وضع الفرس حافره ظهر النبات في موضع حافره. فأخذ كفاً من أثر حافره من التراب، وألقى ذلك التراب في المحل، فصار عَجَلًا جَسَدًا فذلك قوله: ﴿من حليهم عَجَلًا جَسَدًا﴾ قال الزجاج: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجسد يعني: الجنة فقط. وروي عن ابن عباس: «صار عَجَلًا له لحم ودم، وله خوار» يعني: صوت ولم يسمع منه إلا صوت واحد. وقال بعضهم: جعله مشتبهاً يدخل فيه الريح، فيسمع منه صوت مثل صوت العجل. فقال لقومه: هذا إلهكم وإله موسى، فاعتز به الجهال من بني إسرائيل وعبدوه.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْتُمُهُمْ﴾ يعني: لا يقدر على أن يكلمهم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ يعني: لا يرشدهم طريقاً ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ يعني: كافرين بعبادتهم إياه. وقرأ حمزة والكسائي ﴿من حليهم﴾ بكسر الحاء. وقرأ الباقون ﴿من حليهم﴾ بضم الحاء. فمن قرأ بالكسر، فهو اسم لما يتحسَّن به من الذهب والفضة. ومن قرأ بالضم، فهو جمع الحلي، ويقال: كلاهما جمع الحلي، وأصله الضم إلا أن من كسره فلاتباع الكسرة بالكسرة.

قوله: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: ندموا على ما صنعوا. يقال: سقط في يده إذا ندم. وأصله: أن الإنسان إذا ندم جعل يده على رأسه.

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ يعني علموا أنهم ضلوا عن الهدى ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿لَئِن لَّمْ تَرْحَمْنَا﴾ بالتاء على معنى المخاطبة ﴿رَبُّنَا﴾ بالنصب يعني: يا ربنا. وقرأ الباقون ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ بالياء، معنى الخير ﴿رَبُّنَا﴾ بالضم. ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بعد التوبة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني: من المغبونين.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَيْدِيًا قَالَ مِن قَوْمِي خَلْفَتُونِي مِن بَدِيدٍ أَعْجَلْتُكُمْ رَبِّي قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

تَشِمْتَ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجِعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يعني: من الجبل ﴿غَضَبَانَ أَيَسَافًا﴾ يعني: حزناً. والأسف في اللغة: شدة الغضب. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] ويقال: أشد الحزن كقولهِ: ﴿يَتَأَسَفْنَ عَلَىٰ يَوْمِهِ﴾ [يوسف: ٨٤] ﴿قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ نَعْدِي﴾ يعني: بعبادة العجل، يعني: بش ما فعلتم في غيبيتي ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يعني: استعجلتم ميعاد ربكم. ويقال: أعصيتم أمر ربكم. ويقال: معناه ﴿أعجلتم﴾ بالفعل الذي استوجبتم به عقوبة ربكم ﴿وَأَلْسِي الْأَلْوِاحَ﴾ من يده. قال الكلبي: انكسرت الألواح وصعد عامة الكلام الذي كان فيها من كلام الله تعالى إلى السماء. وقال بعضهم: هذا الكلام في ظاهره غير شديد، لأن الكلام صفة، والصفة لا تفارق الموصوف، فلا يجوز أن يقال: الكلام يصعد ويذهب، ولكن تأويله: أن الألواح لما انكسرت، ذهب أثر المكتوب منها، وهذا إذا كان من غير الأحكام. وأما الأحكام أيضاً، فلا يجوز أن تذهب عنه، وإنما أراد بذلك حجة عليهم. وروي في الخبر: «أن الله تعالى أخبر موسى أن قومه عبدوا العجل. قال موسى: يا رب من اتخذ لهم العجل؟ قال: السامري. قال: من جعل فيه الروح؟ قال: أنا. قال: فأنت فتنت قومي؟ قال له ربه: تركتهم لمرادهم». وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمَعَانِيَةِ». لما أخبر الله موسى بأن قومه قد عبدوا العجل، لم يلق الألواح، فلما عين ألقى الألواح.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ يعني: أخذ بشعر رأسه ولحيته ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ يعني: قال له هارون: يا ابن أُمِّي لا تأخذ بلحيتي. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: يا «ابن أُمَّ» بنصب الميم، وقرأ الباقون بالكسر، وهكذا في سورة طه. فمن قرأ بالنصب جعله كاسم واحد، كأنه يقول: يا ابن أماء، كما يقال: يا ويلتاه ويا حسرتاه. ومن قرأ بالكسر، فهو على معنى الإضافة إلى نفسه. وكان موسى أخاه لأبيه وأمه، ولكن ذكر الأم ليرققه عليه.

قال: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَمُّوَنِي﴾ يعني: قهروني واستذلوني ﴿وَوَكَادُوا يُقْتُلُونِي﴾ يعني: هموا يقتلوني ﴿فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءَ﴾ يعني: لا تفرح علي أعدائي، يعني: الشياطين. ويقال: أصحاب العجل ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: لا تظننني رضييت بما فعلوا. قال موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ بما فعلت بأخي هارون ويقال: لإلقاء الألواح ﴿و﴾ اغفر ﴿لِإِخِي﴾ ما كان منه من التقصير في تركهم على عبادة العجل ﴿وَأَدْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ يعني: جنتك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يعني: أنت أرحم بنا منا بأنفسنا. وقال الحسن: يعني أنت أرحم بنا من الأبوين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَتُوا إِنَّ رُحْمَتَنَا لَبَّيْهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابُ وَفِي نُحُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾ يعني: الذين اتخذوا العجل إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يعني: يصيبهم عذاب من ربهم ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو ما أمروا بقتل أنفسهم. ويقال: هذا قول الله تعالى للنبي ﷺ يعني: يصيب أولادهم ذلة في الحياة الدنيا، وهي الجزية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ يعني: هكذا نعاقب المكذبين.

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني: الشرك بالله ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ يعني: رجعوا عن الشرك بالله وعن السيئة ﴿وَأَمَتُوا﴾ يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى ﴿إِنَّ رُحْمَتَنَا لَبَّيْهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: من بعد التوبة ﴿لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقال: من بعد السيئات، يعني: ﴿لَعَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعد التوبة.

ثم رجع إلى قصة موسى وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ يعني: لما سكن عن موسى الغضب. ﴿أَخَذَ الْأَلْوَابُ وَفِي نُحُسْحَتِهَا﴾ يعني: في بقيتها، فنسخت له الألواح، يعني: وأعيدت له في اللوحين مكان التي انكسرت. ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يعني: فيما بقي منها بياناً من الضلالة، ورحمة من العذاب. ﴿لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يعني: يخافون الله ويعلمون له بالغيب. ويقال: ﴿وَفِي نُحُسْحَتِهَا﴾ يعني: في كتابها هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين يخشون ربهم.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِّبِّيًّا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَهْلِكُكُمْ بِمَا فَعَلْتُ السُّفَهَاءَ إِنَّمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا قَافِرٌ لَّا وَارِعَةٌ وَأَنْتَ سَمِيرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا رِّبِّيًّا﴾ يعني: للميقات الذي وقتنا له ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ يعني: الزلزلة، تزلزل الجبل بهم فماتوا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ﴾ يعني: من قبل أن يصحبوني ﴿وَإِنِّي أَهْلِكُكُمْ بِمَا فَعَلْتُ السُّفَهَاءَ إِنَّمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ يعني: بقتل القبلي ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾ ﴿بِمَا فَعَلْتُ السُّفَهَاءَ إِنَّمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ قال الكلبي: ظن موسى أنه إنما أهلكهم باتخاذ بني إسرائيل العجل ألهاً. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «انطلق موسى وهارون ومعهما شبر وشبير وهما ابنا هارون، حتى انتهوا إلى جبل فيه سرير، فنام عليه هارون فقبض، فرجع موسى إلى



قومه فقالوا له: أنت قتلته حسداً على خلقه وليته. فقال: كيف أقتله ومعى ابنه، فاختاروا من شئتم، فاختاروا سبعين، فانتهبوا إليه. فقالوا له: من قتلك يا هارون: قال ما قتلني أحد ولكن توفاني الله تعالى. فأخذتهم الرجفة فماتوا كلهم، فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ وإياي. وروى عن ابن عباس أنه قال: «لما انطلق موسى إلى الجبل أمر بأن يختار سبعين رجلاً من قومه، فاختار من كل سبط ستة رجال، فبغلوا اثنين وسبعين، فقال موسى: إني أمرت بسبعين فليرجع اثنان ولهما أجر من حضر، فرجع يوشع بن نون وكالوب بن يوقنا. فذهب موسى مع السبعين إلى الجبل، فلما رجع إليهم موسى من المناجاة قالوا له: إنك قد لقيت ربك فأرنا الله جهرة حتى نراه كما رأيته، فجاءتهم نار فأحرقتهم فماتوا، فقال موسى حين أمانهم الله: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ هذا اليوم ﴿وإياي﴾ معهم، ﴿أنه لكانت بما فعل السفهاء منا﴾ يعني: أتوقعتني في ملامة بني إسرائيل وتبغيرهم بفعل هؤلاء السفهاء؟ ثم أحياهم الله تعالى.

وروى أسباط عن السدي قال: إن موسى انطلق بسبعين من بني إسرائيل يعتذرون إلى ربهم عن عبادة العجل، وذكر نحو حديث عبد الله بن عباس ثم قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ يعني: بليتك وعذابك. ويقال: عبادة العجل بليتك حيث جعلت الروح فيه ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ يعني: بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ من الفتنة ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ يعني: حافظنا وناصرنا ﴿فَأَغْوَيْنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ يعني: ولا تعذبنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ يعني: المتجاوزين عن الذنوب.

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: افض لنا وأعطنا في الدنيا العلم والعبادة والنصرة والرزق الحلال الحسن ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ يعني: أعطنا في الآخرة حسنة، وهي الجنة ﴿إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: بنا إليك وأقبلنا إليك، هكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة. وأصله في اللغة: الرجوع من الشيء إلى الشيء ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ من عبادي، يعني: هذا عذابي أخض به من أشاء من العباد من كان أهلاً لذلك ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ إن رحمتهم ويقال: إن الزلزلة والرجفة كانتا عذابي، وأنا أنزلتهما، وأنا أصيب بالعذاب من أشاء، وما سألت من الغفران فمن رحمتي، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من كان أهلاً لها. ويقال: لكل شيء حظ من رحمتي.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن قتادة والحسن قالا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني: وسعت في الدنيا البر والفاجر، هي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة. ويقال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تناول إبليس، وقال: أنا من تلك الأشياء، فأكذبه



الله تعالى وآيسه، فأنزل ﴿فَسَأَلْتُنَّهَا لِالَّذِينَ يَثْقُونَ﴾ يعني: فسألتها وسأوجها للذين يثقون الشرك ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقالت اليهود والنصارى: نحن آمننا بالآيات وهي التوراة والإنجيل، ونعطي الزكاة، فهذه الرحمة لنا، فأكذبهم الله تعالى فنزل ﴿الَّذِينَ يَثْقُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية ويقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ يعني: طمع كل قوم برحمتي، وأنا أوجبها للمؤمنين وهم أمة محمد ﷺ الذين يثقون الشرك، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعني: يصدقون بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿الَّذِينَ يَثْقُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (157)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَثْقُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ يعني: محمداً ﷺ الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب. قال الزجاج: ﴿الأمي﴾ الذي هو على خلقة أمه، لم يتعلم الكتابة، وهو على جبلته. ويقال: إنما سُمي محمداً أمياً لأنه كان من أم القرى، وهي مكة.

ثم قال: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ يعني: يجدون نعته وصفته ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني: شرائع الإسلام وبالتوحيد ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الشرك وما لا يعرف في الشريعة ولا السنة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني: يرخّص لهم الحلالات من اللحوم والشحوم وأشبهاهما ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ يعني: ويبين لهم الحرام: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والخمر ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يعني: ثقلهم من العهود. قرأ ابن عامر ﴿أَصَارَهُمْ﴾ على معنى الجماعة. وأصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصراً، لأن حفظ العهد يكون ثقيلاً. ويقال: يعني الأمور التي كانت عليهم في الشرائع. ويقال: هو ما عهد عليهم من تحريم الطيبات.

ثم قال: ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وهي كناية عن أمور شديدة، لأن في الشريعة الأولى، كان الواحد منهم إذا أصابه البول في ثوبه وجب قطعه، وكان عليهم ألا يعملوا في السبت، وغير ذلك من الأعمال الشديدة، فوضع عنهم ذلك.

ثم قال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني: صدقوه وأقروا بشيئته ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني: عظموه وشرفوه، ويقال: أعانوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ بالسيف ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ﴾ يعني: القرآن ﴿الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ﴾ يعني: أهل هذه الصفة ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون في الآخرة، وهم في الرحمة التي قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿الأعراف: 156﴾.

﴿قَدْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْتِي بِلِقَاءِ اللَّهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني: يا أهل مكة، ويقال: هو لجميع الناس ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ويقال: إنه أول نداء نادى به في مكة بهذه الآية، وكان من قبل يدعو واحداً واحداً، فلما نزلت هذه الآية، أظهر ونادى في الناس: ﴿يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً﴾ من ذلك الرب ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: لا خالق ولا رازق في السماء ولا في الأرض إلا هو ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يعني: يحيي الأموات للبعث، ويميت الأحياء في الدنيا، ويقال: ﴿يُحْيِي﴾ يعني: يخلق الخلق من النطفة، ويميتهم عند انقضاء آجالهم. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ الَّذِي يُؤْتِي بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ يعني: يصدق بالله ﴿وَكَلِمَاتِهِ﴾ يعني: القرآن قال: السدي ﴿وَكَلِمَاتُهُ﴾ يعني: صدق بأن عيسى صار مخلوقاً بكلمة الله ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ من الضلالة.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَمْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ آبَٰبَ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَزَلَّنا عَلَيْهِمُ الْعُرُوقَ وَالسَّلَوىٰ كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّبِّئُوا لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَرِيذُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ جَرًّا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: جماعة يدعون إلى الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يعني: وبالحق يعملون. وقال بعضهم: يعني به مؤمني أهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وهذا كما قال في آية أخرى: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٣) الآية. وقال بعضهم: هم قوم من وراء الصين، ما وراء رمل عالج من أمة موسى: وروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ ليلة أسري به إلى البيت المقدس ومعه جبريل، فرفعه إليهم وكلمهم وكلموه. فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون؟ قالوا: لا. قال: فإن هذا محمد النبي الأمي. قالوا: يا جبريل وقد بعثه الله تعالى؟ قال: نعم، فآمنا به وصدقوه، وقالوا: يا رسول الله إن موسى بن عمران أوصانا أن من أدرك ذلك النبي عليه السلام منكم فليقرأ عليه

السلام مني ومنكم، ورد رسول الله ﷺ على موسى وعليهم السلام، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ما لي أرى يَبُوتَكُمْ مُسْتَوِيَةً؟» قالوا: «لأننا قوم لا يبغي بعضنا على بعض». قال: «فما لي لا أرى عليها أبواباً؟» قالوا: «إننا لا يضر بعضنا بعضاً». قال: «فما لي لا أراكم تَضْحَكُونَ؟» قالوا: «ما ضحكنا قط، لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه أن جهنم عرضها ما بين الخافقين وقعرها الأرض السفلى، وتد أقسم الله تعالى ليملائنها من الجنة والناس أجمعين». قال: «فهل تَبْكُونَ على المَيتِ؟» قالوا: «لا يا رسول الله، كيف نبكي على الميت وكلنا ميت؟ وهو سبيل لا بد منه، والله أعطانا، والله أخذ منا». قال: «فهل تَمْرُضُونَ؟» قالوا: «يا رسول الله إنما يمرض أهل الذنوب والخطايا، فأما نحن فمعضومون بدعاء نبي الله موسى قال: «فكيف تَمُوتُونَ إِذَا لَمْ تَمْرُضُوا؟» قالوا: «إذا استوفى أحدنا رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحه فندفنه حيث يموت». قال: «فهل تَحْزَنُونَ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِكُمْ جَارِيَةٌ؟» قالوا: «لا يا رسول الله ولكننا نصوم لله تعالى شهراً شكرياً، فإذا ولد لأحدنا غلام نصوم لله شهرين شكرياً». قال: «فهل فيكم حَيَاتٌ وَعَقَابٌ؟» قالوا: «نعم». قال: «كَيْفَ تَضْمَعُونَ بِهِ؟» قالوا: «يا رسول الله نمشي عليهم ويمشينا علينا، ولا نؤذيهم ولا نؤذينا، هم أمانات منا ونحن آمنون منهم». قال: «فهل لَكُمْ مَاشِيَةٌ؟» قالوا: «نعم، نجز أصوافها فتتخذ منه الألفية والأكسية، ونأكل من لحومها الكفاف، وكل أهل القرية فيها شرع، أي سواء ليس أحد أحق به منا». قال: «فهل تَزِنُونَ أَوْ يوزن عَلَيْكُمْ؟» قالوا: «لا وزن ولا يوزن علينا ولا نكيل ولا يكال علينا، ولا نشترى ولا نبيع»، قال: «فبمن آتَيْنَ تَأْكُلُونَ؟» قالوا: «يا رسول الله: نخرج فنزرع، ويرسل الله تعالى السماء علينا فينبته، ثم نخرج إليه فنحصده، ونضعه في أماكن من القرية، فيأخذ أهل القرية الكفاف ويدعون ما سواه». قال: «فهل تُجَامِعُونَ النِّسَاءَ؟» قالوا: «نعم يا رسول الله، لنا بيوت مظلمة وثياب معلومة، فإذا أردنا أن نجتمع النساء لبسنا ثيابنا تلك ودخلنا تلك البيوت، لا يرى الرجل عورة امرأته ولا المرأة عورته». قال: «فهل فيكم زَنَى؟» قالوا: «لا يا رسول الله، فإن فعل ذلك أحد منا لظننا أن الله تعالى يبعث عليه ناراً فتحرقه أو تُخَسَفُ به الأرض، ولكن إذا كان للرجل منا ابنة طلبها رجل منه رجل فيزوجها إياها أراد به الأجر والعفة». قال: «فهل تَكْتَبِرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ؟» قالوا: «لا يا رسول الله، إنما يكتز الذهب والفضة من لا يثق بالله، ومن يرى أن الله تعالى لم يتكفل عنه برزقه، فأما نحن فلا نكتز الذهب والفضة. فأقرهم رسول الله ﷺ عشر سور من القرآن نزلت بمكة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة، فعلمهم رسول الله ﷺ القرآن وأمرهم بالصلاة والزكاة، ورجع من ليلته. وقال فتادة: قال رسول الله ﷺ: في قوله: «وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْدُلُونَ» قال: «قد أعطيتم مثلها» «وَمِن خَلْقنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْدُلُونَ» يعني: من هذه الأمة.

ثم قال تعالى: «وَقَطَعْنَا هَمَّهُمْ» يعني: بني إسرائيل فرقتهم «إِنَّتَنِي عَشْرَةَ أَسْبَاباً أُمَّةً» يعني: جماعة، والأسباط: جمع سبط، والسبط في بني إسرائيل: مثل القبيلة عند العرب

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ يعني: في التيه ﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ إلى قوله: ﴿رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ كل ذلك مذكور في سورة البقرة قرأ أبو عمرو ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ﴾ بالنون ﴿خَطَابًا لَّكُمْ﴾. وقرأ ابن عامر ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ﴾ بالفاء والضم ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ بالرفع ويلفظ الواحد. وقرأ نافع ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ﴾ بالفاء والضم ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بلفظ الجماعة، وقرأ الباقون ﴿تُغْفِرُ لَكُمْ﴾ بالنون ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بلفظ الجماعة.

﴿وَسْتَلَّهُم مِّنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ إِذِ اللَّيْلُ فِي اللَّيْلِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّنَا وَلَمْ لَهُمْ بَيِّنَاتٌ ﴿١١٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْأَسْوَءِ وَآخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا بَئِيسًا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا عَزَا عَنْ مَا تَوَوَّأْتَهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ واسمها أيلة، وذلك أن اليهود قالوا: نحن من أبناء إبراهيم ؑ فلا يعذبنا الله تعالى إلا بمقدار عبادة العجل، فقال الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني: أهل القرية التي كانت حاضرة البحر كيف عذبهم الله تعالى بذنوبهم. ثم أخبر عن ذنوبهم فقال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يعني: أنهم استحلوا الصيد في يوم السبت. وقال: يعتدون في يوم السبت. وأصل الاعتداء: هو الظلم. يقال: عدوت على فلان، إذا ظلمته واعتديت عليه.

ثم قال: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا﴾ يعني: يوم استراحتهم شوارع في الماء، وهو جمع الشارع ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ يعني: إذا لم يكن يوم السبت ويوم الراحة لا تأتاهم. وقال بعضهم: وإنما تم الكلام عند قوله: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ ثم ابتداء فقال: ﴿كَذَلِكَ بَلَّوْهُم﴾ يعني: هكذا نخبرهم. وقال بعضهم: إنما يتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: لا تأتاهم كما تأتاهم يوم السبت لأن في يوم السبت تأتاهم الحيتان شارعاً من أسفل الماء إلى أعلاه، وفي سائر الأيام يأتيهم القليل، ولا يأتيهم كما يأتيهم يوم السبت. ثم ابتداء الكلام فقال: ﴿بَلَّوْهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعني: نخبرهم بما كانوا يعصون الله تعالى.

ثم قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي عصابة وجماعة منهم، وهي الظلمة للأمة الواعظة ﴿لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ لأن الواعظة وعظومهم عن أخذ الحيتان وخوفهم، فرد عليهم الظلمة ﴿لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ قالوا: أي الواعظة ﴿مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّنَا﴾ قرأ عاصم في إحدى الروايتين ﴿مَعذِرَةٌ﴾ بالنصب يعني: نتعذر إلى ربكم

معذرة. وقرأ الياقون بالضم يعني: هي ﴿معذرة﴾ يعني: لا نافع الأمر بالمعروف حتى نكون معذورين عند الله تعالى ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني: ينتهون.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما وعظوا به ﴿أَنجَيْنَا﴾ أي من العذاب ﴿الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني: عذبنا الذين تركوا أمر الله ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ يعني: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعني: يعصون ويتركون أمر الله تعالى. وقال ابن عباس: «كان القوم ثلاثة فرق، فرقة: كانوا يصطادون، وفرقة: كانوا ينتهون، وفرقة: لم ينهوا ولم يستحلوا» وقالوا للواعدة: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾.

وروي أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: أتيت ابن عباس وهو يقرأ في المصحف ويكي، فدنوت منه حتى أخذت بلوحي المصحف وقلت: ما بيكيك؟ قال: تبكيني هذه الأوراق وهو يقرأ سورة الأعراف. وقال: هل تعرف أيلة؟ قلت: نعم. قال: إن الله تعالى أسكنها حياً من اليهود، وابتلاهم بحيتان حرمها عليهم يوم السبت وأحلها لهم في سائر الأيام، فإذا كان يوم السبت خرجت إليهم الحيتان، فإذا ذهب السبت غابت في البحر حتى يغوص لها الطالبون، وإن القوم اجتمعوا واختلفوا فيها. فقال فريق منهم: إنما حرمت عليكم يوم السبت أن تأكلوها فصيدها يوم السبت، وكلوها في سائر الأيام. وقال الآخرون: بل حرمت عليكم أن تصيدها أو تنفروها أو تؤذوها، وكانوا ثلاث فرق: فرقة على أيمانهم، وفرقة على شمائلهم، وفرقة على وسطهم. فجعلت الفرقة اليمنى تنهاهم في يوم السبت، وجعلت تقول: الله يحذركم بأس الله. وأما الفرقة اليسرى فأمسكت أيديهم، وكفت ألسنتهم. وأما الفرقة الوسطى فوثبت على السمك تأخذه، وجعلت الفرقة الأخرى التي كفت أيديها، وألسنتها، ولم تتكلم تقول: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ فقال: ﴿الذين ينهون﴾ ﴿معذرة إلى ربكم ولعلكم تتقون﴾ فدخل الذين أصابوا السمك إلى المدينة، وأبى الآخرون أن يدخلوا معهم، فغدا هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا المدينة، فجعلوا ينادون من فيها، فلم يجيبهم أحد، فقالوا: لعل الله قد خسف بهم، أو رموا من السماء بحجارة، فارتفعوا رجلاً ينظر، فجعلوا رجلاً على سلم فأشرف عليهم، فإذا هم قردة تعاوي ولها أذنان قد غير الله تعالى صورتهم بصنعهم، فصاح إلى القوم فإذا هم قد صاروا قردة، فكسروا الباب، ودخلوا منازلهم، فجعلوا لا يعرفون أنسابهم، فيقولون لهم: ألم ننهكم عن معصية الله تعالى ونوصيكم؟ فيشبهون برؤسهم بنى، ودموعهم نسيل على خدودهم، فأخبر الله تعالى أنه أنجى الذين ينهون عن السوء، وأخذ الذين ظلموا، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوا» وقال عكرمة: «بل أهلكهم الله، لأنه أنجى الذين ينهون عن السوء، وأهلك الفريقين الآخرين، فوهب له ابن عباس بردين بهذا الكلام».

وروي في رواية أخرى: أنهم كانوا يتخذون الحفائر والحياض بجانب البحر، ويسيلون الماء فيها يوم السبت من البحر حتى يدخل السمك فيها، ويأخذونه في يوم الأحد، فقالوا: إنا

نأخذة في يوم الأحد. فلما لم يعذبوا، استحلوا الأخذ في يوم السبت من البحر، وقالوا: إنما حرم الله على آبائنا ولم يحرم علينا. فنهاهم الصلحاء فلم يمتنعوا، فضربوا حائطاً بينهما، وصارت الواعظة في ناحية، والذين استحلوا في ناحية، والحائط بين الفريقين. فأصبحوا في يوم من الأيام ولم يفتح الباب الذي بينهما، فارتقى واحد منهم الحائط، فإذا القوم قد مسخوا قرده. وقال بعضهم: كان القوم أربعة أصناف: صنف يأخذون، وصنف يرضون، وصنف ينهون، وصنف يسكتون، وروى قتادة عن ابن عباس أنه قال: «هم ثلاث فرق فهلك الثاني، ونجا الثالث، والله أعلم ما فعل بالفرقة الثالثة». قرأ نافع **﴿بعذاب بينس﴾** بكسر الباء بلا همزة، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر **﴿بعذاب بينأس﴾** بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة. وقرأ الباقون: **﴿بعذاب بينس﴾** بنصب الباء وكسر الياء والهمزة وسكون الياء وهي اللغة المعروفة، والأولى لغة لبعض العرب.

ثم قال تعالى: **﴿قَلَّمْنَا عَنَّا عَمَّا نَهَوْنَا عَنْهُ﴾** يعني: تركوا ما وعظوا به **﴿قَلَّمْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾** يعني: صاغرين مبعدين عن رحمة الله.

**﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أَمْسًا مِنْهُمْ أَصْلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَيَبْغُونَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ بِبَيْتِنَا الْكِتَابِ أَنَّ لَا يُقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْقَارُورَةُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٢٠﴾﴾**

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾** يعني: أعلم ربك، وكل شيء في القرآن تأذن فهو إعلام. ومعناه قال: **﴿لِيُبْعَثَنَّ﴾** أي ليسلطن **﴿عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** يعني: على بني إسرائيل، والذين لا يؤمنون يعني: بمحمد ﷺ **﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾** يعني: يعذبهم بالجزية والقتل **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾** إذا عقاب من أصر على كفره **﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** لمن تاب من الشرك **﴿رَّحِيمٌ﴾** بعد ذلك.

ثم قال: **﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ﴾** يعني: وفرقناهم **﴿فِي الْأَرْضِ أَمْسًا﴾** يعني: فرقاً **﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾** يعني: المؤمنون وهم مؤمنو أهل الكتاب. ويقال: هم الذين وراء رمل عالج **﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾** وهم الكفار منهم **﴿وَيَبْغُونَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾** يعني: اختبرناهم بالخصب والجدوبة **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** من الكفر إلى الإيمان.

ثم قال: **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ﴾** يعني: بعد بني إسرائيل خلف السوء **﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾** يعني: التوراة **﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾** يقول: يستحلون أخذ الحرام من هذه



الدنيا، وهو الرشوة في الحكم **﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾** قال مجاهد: يعني: يأخذون ما يجدون حلالاً أو حراماً ويتمنون المغفرة **﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ بِأَخْذِهِ﴾** يعني: وإن يجدوا من الغد مثله يأخذوه. ويقال: معناه أنهم يصرون على الذنوب وأكل الحرام، فإذا أخذوا أول النهار يعودون إليه في آخر النهار ولا يتوبون عنه. ويقال: يطلبون بعلمهم الدنيا. ويقال: يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون: سيغفر لنا هذه المرة. **﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ بِأَخْذِهِ﴾** ويقولون مثل ذلك: أي سيغفر لنا لأننا لا نشرك بالله شيئاً. وقال سعيد بن جبیر: **﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾**. يقول: يعملون بالذنوب. ويقولون: سيغفر لنا ما عملنا بالليل كفرنا بالنهار، وما عملنا بالنهار كفرنا بالليل. **﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ بِأَخْذِهِ﴾** يعني: الذنوب.

قال الله تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ﴾** يعني: ألم يؤخذ عليهم ميثاقهم في التوراة **﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾** يعني: إلا الصدق **﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾** يعني: قرؤوا ما فيه **﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾** يعني: يتقون الشرك، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** أن الآخرة خير من الدنيا. ويقال: **﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾** ما يدرسون من الكتاب. ويقال: **﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾** أن الإصرار على الذنوب ليس من علامة المغفورين؟ قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص **﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** بالتاء على وجه المخاطبة، وقرأ الباقون بالياء على وجه المغايبه. قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَسْكُونُونَ بِالْكِتَابِ﴾** يعني: يعملون بالكتاب، يعني: بالتوراة ولا يغيرونها عن مواضعها **﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾** يعني: أتوا الصلاة المفروضة **﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾** يعني: عمل الموحدین وهم الذين **﴿يَسْكُونُونَ﴾** بالتخفيف. وقرأ الباقون **﴿يَسْكُونُونَ﴾** بالتشديد على معنى المبالغة.

**﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (١٧١)

قوله تعالى: **﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾** يقول: قلنا ورفعنا الجبل فوقهم **﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾** كهيئة الغمام **﴿وَظَنُّوا﴾** يعني: أيقنوا سقوطه عليهم **﴿أَنَّهُ﴾** يعني: الجبل **﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾** **﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾** يعني: قيل لهم: اعملوا بما أعطيناكم من التوراة **﴿بِقُوَّةٍ﴾** يعني: بجهد ومواظبة **﴿وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ﴾** يعني: اعملوا ما فيه **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** المعاصي، وذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة، فرجع الجبل فوقهم فقبلوها.

**﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** (١٧٢) **﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَنُكَلِّمُهُمْ﴾** (١٧٣) **﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْأَيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (١٧٤)



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ يعني: واذكر يا محمد ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ ويقال: معناه وقد أخذ ﴿رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ من ظهور بني آدم ﴿دُرَيْتَهُمْ﴾ قال بعضهم: يعني الذرية التي تخرج وقتاً بعد وقت إلى يوم القيامة ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ يعني: إن كل بالغ تشهد له خلقته بأن الله تعالى واحد قال الله تعالى: ﴿شَهِدْنَا﴾ يعني: قال الله تعالى شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي لكيلا تقولوا. ويقال: هذا كراهة أن يقولوا: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ وروي عن ابن عباس أنه قال: «إن الله تعالى مسح على ظهر آدم، فأخرج ذريته من صلبه كهيئة الذر، من هو مولود إلى يوم القيامة. فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قالوا بلى شهدنا بأنك ربنا» قال بعضهم: هذا التفسير لا يصح، وطعنوا فيه من وجوه. أحدها: أن الرواية لم تصح، لأنها رواية أبي صالح، وأبو صالح ليس ممن يعتمد على روايته، لأنه روي عن الشعبي: أنه كان يمر بأبي صالح ويفرك أذنه ويقول له: «إنك لم تحسن أن تقرأ القرآن، فكيف تفسره؟» قالوا: ولأن هذا غير محتمل في اللغة، لأنه قال: ﴿مَنْ ظَهَرَهُمْ﴾ ولم يقل من ظهر آدم. وقالوا: ولأنه لا يجوز من الحكيم أن يخاطب الذر، وإنما يجوز خطاب من هو عاقل، ومن كان مثل الذر فكيف يجوز خطابه؟ وقالوا: ولأنه لا يجوز أن تكون حجة الله بشيء لم يذكر، وإنما تكون الحجة بشيء يكون الإنسان ذاكراً له. قالوا: ولأن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا أُنزِلْنَا آتِنَايَ وَأَحْيَيْتَنَا آتِنَايَ﴾ [غافر: ۱۱] ولم يقل: أحيينا ثلاث مرات. ولكن الجواب أن يقال: إن الرواية صحيحة، لأن الآثار قد جاءت عن أصحاب رسول الله ﷺ ما لا يجوز دفعه. فمن ذلك ما حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الماسرجسي. قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وهو ابن علقمة عن كلثوم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: «مسح الله تعالى ظهر آدم، فأخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة». فأخذ ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

قال: حدثنا محمد بن داود. قال: حدثنا محمد بن أحمد بأستراباذ. قال: حدثنا أحمد بن زكريا. قال: حدثنا عبد السلام بن صالح، عن جعفر بن سليمان، عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري. قال: «حججنا مع عمر في أول خلافته فوقف على الحجر ثم قال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلك». فقال له علي: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فإنه يضر وينفع بإذن الله، ولو أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكزت علي ما قلت». قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ دُرَيْتَهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فلما أقرأوا بالعبودية على أنفسهم، كتب الله إقرارهم في رق، ثم دعا هذا الحجر فقال له: افتح قال: فآلقه ذلك الرق، فهو أمين الله في هذا المكان يشهد لمن استلمه ووافاه يوم القيامة، فقال له عمر: لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل».

وروى ربيع بن أنس عن ابن العالية، عن أبي بن كعب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ الآية. قال: «جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: «أست بربكم قالوا بلى» شهدنا بأنك ربنا. قال: فإني أرسل إليكم رسلي، وأنزل عليكم كتبي، فلا تكذبوا رسلي، وصدقوا بوعدتي، وأخذ عهدهم وميثاقهم، فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال آدم: رب لو سويت بين عبادك، فقال: إني أحببت أن أشكر، قال: والأنبياء يومئذ مثل الشُّجْج فأخذ عليهم ميثاق الرسالة أن يبلغوها، فهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية.

قال الفقيه: أخبرني الثقة بإسناده عن مالك بن أنس، عن زيد بن أبي أنيسة، أن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن زيد بن الخطاب، أخبره عن مسلم بن يسار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ». فقال رجل: يا رسول الله فميم العمل؟ فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ. وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ يَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ النَّارَ»<sup>(١)</sup>. وبهذا احتج الجبرية أنه ما يعمل عبد عملاً من خير أو شر إلا ما قدره الله تعالى يوم الميثاق.

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر، فقال لأصحاب اليمين: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقال للآخرين: هؤلاء في النار ولا أبالي».

وروى أسباط عن السدي في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية. قال: «لما أخرج الله تعالى آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء، مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية كهيئة الذر سوداً فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: «أست بربكم قالوا بلى» فأجاب طائفة طامعين، وطائفة كارهين. فقال هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾.

فلما روي فيه من الأخبار من طرق شتى لا يجوز ردّها، ويرجع الطعن إلى أصحاب رسول الله ﷺ. ويجب على الطاعن أن يطعن في فهم نفسه، لا في الصحابة. وهذا كقوله:

(١) أخرجه مالك ٨٩٩/٢ والترمذي (٣٠٧٥) وأبو داود (٤٠٧٣) وأحمد ٤٥/١ والبخاري (٧٧).

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ﴾ [الأحزاب: ١١] أما الجواب عن قولهم: إنه قال: ﴿من ظهورهم﴾ ولم يقل من ظهر آدم، فالمعنى فيه والله أعلم: أنه قد أخرج ذرية آدم الذين هم ولده من صلبه، ثم أخرج من ظهورهم ذريتهم، ثم أخرج من بعدهم حتى أخرج جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهر، فذكر الأخذ من ظهور ذريته، ولم يذكر ظهر آدم، لأن في الكلام دليلاً عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَذِلَّةً مَّالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ولم يذكر فرعون، لأن في الكلام دليلاً عليه.

وأما الجواب عن قولهم: إنه لا يجوز خطاب الذر، فمن هذا القول جوابان. أحدهما: أنه يجوز أن يكونوا كالذر في الصغر، ورزقهم الله تعالى من العقل ما يكونوا به من أهل الخطاب. ألا ترى أن نعمة سليمان بن داود عليهما السلام قد تكلمت بكلام العقلاء وفهم ذلك عنها سليمان، وسبح الطير والجبال مع داود، فكذلك هذا. وجواب آخر: أنهم كانوا كالذر في الازدحام والكثرة، لا في الخلقة والجنّة. ولكنهم في الخلقة والجنّة مثل خلقتهم اليوم، لأن الذر إذا كثرت وازدحمت لا يعرف عددها، فكذلك ذرية آدم كانوا في الكثرة والازدحام مثل الذر، لا في الخلقة والجنّة ولكنهم في الخلقة مثل خلقتهم اليوم.

والجواب عن قولهم: إنه لا تكون الحجة بشيء لم يذكر أن يقال: إن الله تعالى قد أرسل الرسل وأخبرهم بذلك الميثاق، وإذا أخبرهم الرسل بذلك صار حجة عليهم. فإن قيل: إن الرسل وإن أخبرهم، فإذا لم يذكر ذلك، فكيف يصير حجة عليهم؟ قيل له: وإن لم يذكروا صار قول الثقات حجة عليهم، ألا ترى أن رجلاً لو طلق امرأته وقد نسي، فشهد عليه شاهدان عدلان بأنه قد طلقها قبل غيبته عنها يجب أن يقبل قولهما؟ وكذلك لو صلى فشهد عنده عدلان أنه ترك ركعة من صلاته، وجب عليه أن يأخذ بقولهما وإن كان لا يذكر، فكذلك ههنا؟

والجواب عن قولهم: إنه لم يقل أحييتنا ثلاث مرات، لأن الإحياء المعروف مرتان، فذكر الإحياء الذي كان معروفاً عنده.

وقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا﴾ قال بعضهم: هذا حكاية قول الذرية، ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ وتم الكلام. ثم في الآية مضمّر ومعناه: أخذنا عليهم الميثاق لكي لا يقولوا يوم القيامة ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ ومن قرأ بالثناء فمعناه: أخذنا عليهم الميثاق لكيلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾. قال بعضهم: إنما تمّ الكلام عند قوله: ﴿بلى﴾ ثم إنه قال تعالى: ﴿شَهِدْنَا﴾ يعني: شهدنا عليكم وأخذنا عليكم الميثاق لكيلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ وتقضوا العهد ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ لم نعلم به ﴿أَنْتَهَلِكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يعني: آباؤنا المشركون. فإن قيل: هل كان إقرارهم إيماناً منهم؟ قيل له: أما المؤمنون فكان إقرارهم إيماناً، وأما الكافرون فلم يكن إقرارهم إيماناً، لأن إقرارهم كان تقيّة، ولم يكن حقيقة. قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو ﴿ذرياتهم﴾ بلفظ الجماعة، وقرأ

الباقون ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بلفظ الوجدان لأن الذرية قد أضافها إلى الجماعة فاستغنى عن لفظ الجمع. وقرأ أبو عمرو ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ بالياء وكذلك في قوله ﴿أَوْ يَقُولُوا﴾. وقرأ الباقون كلاهما بالتاء على معنى الخطاب.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْضُلُ الْآيَاتِ﴾ يعني: هكذا نبين الآيات في أمر الميثاق ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى إقرارهم وإلى التوبة، فالواو الأولى للعطف، وهو قوله ﴿وَكَذَلِكَ﴾ والواو الثانية زيادة للوصول وهو قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لكي يرجعوا.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾  
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُنَكِّتَهُ أَهْلَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَهُ هَوْنًا فَذَلِكُمْ كَيْدُ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾  
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مِنْ يَدِ اللَّهِ فَهُمْ الْمُهْتَدُونَ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: إن لم يرجعوا بذكر الميثاق، ولم يتوبوا، ولم يتعظوا، فأتل عليهم ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ﴾ يعني: خبر الذي أعطيناه ﴿آيَاتِنَا﴾ يعني: أكرمناه باسم الله الأعظم. ويقال: ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ يعني: الكتاب وهي علم التوراة وغيره ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ يعني: خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها. ويقال: تهاون بها ولم يعرف حقها، ولا حرمتها، وخرج منها ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ يقول: غره الشيطان ﴿فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ يعني: فصار من الضالين. قال بعضهم: هو بلعم بن باعوراء كان عابداً من عباد بني إسرائيل، وكان مستجاب الدعوة، فترع الله تعالى الإيمان عنه بدعاء موسى عليه السلام، وذلك أن موسى عليه السلام قاتل فرعوناً من الفراعنة، فجمع ذلك الفرعون الكهنة والسحرة، فقال لهم: أعيونوني على هؤلاء يعني: على قوم موسى فقالوا له: لن نستطيعهم، ولكن بجوارك رجل منهم، فلو بعثت إليه واستعنت به. فبعث الملك إلى بلعم فلم يجبه، فبعث الملك إلى امرأة بلعم بالهدايا وطلب منها بأن تأمره بأن يجيب الملك، فجاءته امرأته وقالت: نحن في جوار هذا الرجل فلا بد لك من إجابته. فأجابها إلى ذلك، وركب أتاناً له وخرج إليهم، فسار حتى إذا كان في بعض الطريق وقفت أتانته فضرهها، فلما ألح عليها كلمته الأتان وقالت: انظر إلى ما بين يديك، فنظر فإذا هو جبريل قال له جبريل: خرجت مخرجاً ما كان ينبغي لك أن تخرج، فإذا خرجت فقل حقاً قال: فلما قدم عليه أمر له بالذهب والفضة والخدم والفرش فقبل. فقال له: قد دعوتك لتدعولي على هذا العسكر دعوة. قال: غداً. فلما تلاقى القوم قال بلعم: إن بني إسرائيل أمة موسى ملعون من لعنهم، ومبارك من بارك عليهم. فقالوا له: ما زدتنا إلا خبالاً. قال بلعم: ما استطعت غير ما

رأيت، ولكنني أدلك على أمر إن فعلته فوقعوا به خذلوا ونصرت عليهم، تعمد إلى نساء خبيثات فتجعل عليهم بالحلي والعطر ثم ترسلهن في عسكرهم، فإن وقعوا بهن خذلوا. ففعل ذلك، فما تعرض لهن منهم إلا سفهاؤهم، فخذلوا. فأخبر بذلك موسى، فدعا عليه، فنزح الله منه الإيمان. وقال بعضهم: إنما هو أمية بن أبي الصلت قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر أن نبينا يبعث، وقد أطال زمانه، وكان يرى أن الوحي ينزل عليه لكثرة علمه، فلما سمع بخروج النبي ﷺ وقصته، كفر حسداً له. وكان النبي ﷺ إذا سمع شعره قال: «أمن لسانه وكفر قلبه» فذلك قوله: **«أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ»**.

ثم قال عز وجل: **«وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا»** يعني: بالآيات، ويقال: رفعناه في الآخرة بما علمناه من آياتنا **«وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ»** يعني: أمية بن أبي الصلت، أو بلعم بن باعوراء، مال إلى الدنيا ورضي بها **«وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ»** يعني: هوى نفسه ويقال: عمل يهوى المرأة وترك رضى الله. ويقال: أخذ مسافل الأمور وترك معاليها **«فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ»** يقول: مثل بلعم كمثل الكلب **«إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ»** يقول: إن طردته يلهث **«أَوْ تَنُرْكُهُ يَلْهَثْ»** يعني: وإن تركته فهو يلهث. قال القتيبي: كل شيء يلهث من إعياء أو عطش ما خلا الكلب، فإنه يلهث في حال الراحة والصحة والمرض، فضرب الله تعالى به مثلاً يعني: كما أن الكلب إن طردته أو تركته يلهث، فكذلك بلعم أو أمية بن أبي الصلت إن وعظته لم يتعظ، وإن تركته لم يعقل. وقال مجاهد: يعني الكفار إن قرئ عليهم الكتاب لم يقبلوا، وإن لم يقرأ عليهم لم يعملوا، فهم أهل مكة. **«ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا»** يعني: ذلك صفة الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ والقرآن **«فَأَفْضُصِ الْقُضُصَ»** يعني: اقرأ عليهم القرآن **«لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»** يعني: لكي يتعظوا بأمثال القرآن ويؤمنوا به.

قوله تعالى: **«سَاءَ مَثَلًا»** يعني: بس مثل **«الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا»** يعني: بس مثل من كان مثل الكلب، وإنما ضرب المثل بالكلب تقييحاً لمذهبهم. ويقال: **«بش مثل القوم الذين»** من كان صفتهم مثل بلعم، وهم أهل مكة **«كذبوا بآياتنا»** فلم يؤمنوا بها مثل بلعم **«وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ»** يعني: يضرون بأنفسهم.

ثم قال تعالى: **«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي»** يعني: من يهده الله لدينه فهو المهتدي من الضلالة **«وَمَنْ يَضِلَّ»** يعني: ومن يضل عن دينه ويخذله **«فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»** بالعقوبة.

**«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هُمْ أَضَلُّ»**

قوله تعالى: **«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا»** يعني: خلقنا لجهنم كثيراً **«مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ»** فإن قيل: قد قال في آية أخرى: **«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»** [الذاريات: ٥٦] فأخبر أنه

خلق الجن والإنس لعبادته، وههنا يقول: خلق بعضهم لجهنم. قيل له: قد خلقهم للأمرين جميعاً، منهم من يصلح لجهنم فخلق لها، ومنهم من يصلح للعبادة فخلق لها، ولأن من لا يصلح لشيء لا يخلقه لذلك الشيء. ويقال: معنى قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ يعني: للأمر والنهي. ويقال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ يعني: إلا لكي يمكنهم أن ﴿يعبدون﴾، وقد بينت لهم الطريق. ويقال: في هذه الآية تقديم وتأخير، معناه: ولقد ذرأنا جهنم لكثير من الجن والإنس.

ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يعني: لا يعقلون بها الحق كما قال في آية أخرى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ثم قال: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يعني: الهدى ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعني: الهدى.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ فشبهم بالأنعام لقلّة رغبتهم وتغافلهم عن الحق، يعني: إنهم كالأنعام في ذهنهم لا في صورهم، لأنه ليس للأنعام همٌ إلا الأكل والشرب، فهي تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد.

ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ يعني: الكفار أخطأ طريقاً من الأنعام، لأن الأنعام إذا عرفت أنها تركت الطريق رجعت إلى الطريق، والكفار لا يرجعون إلى الطريق. ولأن الأنعام تعرف ربها، والكفار لا يعرفون ربهم. ويقال: لما نزلت هذه الآية ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ تضرعت الأنعام إلى ربها، فقالت: يا ربنا شبهت الكفار بنا ونحن لا ننكر وحدانيتك. فأعذر الله تعالى الأنعام، فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأن الأنعام مطيعة لله تعالى، والكفار غير مطيعين لله تعالى.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ يعني: عن أمر الله تعالى وعمّا ينفعهم. قال الفقيه: حدثنا أبو جعفر. قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الله القاري. قال: حدثنا حازم بن يحيى الحلواني. قال: حدثنا الحسين بن الأسود. قال: حدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن سنان، عن أبي منيب الحمصي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ صِنْفًا خَيَاتٍ وَعَقَارِبَ وَخَشَاشَ الْأَرْضِ، وَصِنْفًا كَالرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَصِنْفًا عَلَيْهِمُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا كَالْبَهَائِمِ وَهُمْ الْكُفَّارُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ وَصِنْفًا آخَرَ أَجْسَادُهُمْ كَأَجْسَادِ بَنِي آدَمَ وَأَرْوَاحُهُمْ كَأَرْوَاحِ الشَّيَاطِينِ، وَصِنْفًا فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيَذَرُونَهَا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا

(١) عزاه السيوطي: ٦١٣/٣ إلى الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن



الرحمن، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الرحمن الرحيم الملك القدوس ونحوه. فدعا النبي ﷺ الرجل فقال: «ادْعُ اللَّهَ أَوْ ادْعِ الرَّحْمَنَ رَغْمًا لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ». ويقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الصفات العلى ﴿فادعوه بها﴾. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْسَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»<sup>(۱)</sup>. وقد ذكرنا تفسيرها ومن أسمائه: الأحد: وأصله الواحد بمعنى الواحد، وهو الذي ليس كمثله شيء، ومنها الصمد: وهو السيد الذي صمد إليه كل شيء، أي قصده. ومنها القيوم: وهو البالغ في القيام بكل ما خلق. ومنها الولي: يعني المتولي أمور المؤمنين. ومنها اللطيف: وهو الذي يُلطف بالخلق من حيث لا يعلمون، ولا يقدرُونَ ومنها الودود: المحب الشديد المحبة. ومنها الظاهر والباطن: الذي يعلم ما ظهر وما بطن. ومنها البديع: الذي ابتدع الخلق على غير مثال. ومنها القدوس: أي ذو البركة، ويقال: الطاهر ومنها الشهيد: الذي لا يغيب عنه شيء. ومنها الحنان: أي ذو الرحمة والعطف. ومنها العنان: الكثير المن على عباده. ومنها الفتاح: يعني الحاكم. ومنها الديان: يعني المجازي. ومنها الرقيب: يعني الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء. ومنها المتين: يعني الشديد القوة على أمره. ومنها الوكيل: الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق. ومنها السبوح: الذي تنزه عن كل سوء، ومنها السلام: يعني الذي سلم الخلق من ظلمه. ومنها المؤمن: الذي أمن الخلق من ظلمه. ومنها العزيز المنيع: الذي لا يغلبه شيء. ومنها المهيمن: يعني الشهيد. ومنها الجبار: الذي جبر الخلق على ما أراد. ومنها المتكبر: الذي تكبر عن ظلم العباد. ومنها الباري: يعني الخالق. وسائر الأسماء التي ثبتت عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة. وقال الزجاج: لا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يصف به نفسه، ولم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد ولا ينبغي له أن يقول: يا سخي، لأنه لم يسم به نفسه. وكذلك يقول: يا قوي ولا يقول: يا جلد.

ثم قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْبُدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ حمزة ﴿يَلْبُدُونَ﴾ بنصب الحاء والياء، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء ﴿يَلْبُدُونَ﴾ فمن قرأ بالنصب فمعناه: وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني: يُخَوِّرون ويمارون في أسمائه ويعدلون، فسموا اللات والعزى. ومن قرأ بالضم فمعناه: وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه. ويقال: إن الله تعالى قد احتج على الكفار بأربعة أشياء. بالخلق: وهو قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الفرقان: ۱۱] وقال: ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ

(۱) حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (۲۶۷۷) (۶) والترمذي (۳۵۰۶) وابن ماجه (۳۸۶۰) وأحمد: ۴۲۷/۲ والبيهقي (۱۲۵۶).



[الحج: ٧٣] والثاني: في الملك وهو قوله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَل لَّمْ يَأْتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كُلَّ لَمَةٍ﴾ [البقرة: ١١٦]. وقال في الأوثان ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ [الزمر: ٤٣] والثالث: في القوة وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿إِنَّ رَبَّ قَرِيبٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٦١] ﴿ذُو الْقُوَّةِ النَّتِيظِينَ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال في الأوثان: ﴿أَلَهُمْ أَرْبَابٌ يَعْشُونَ يَهْتَأُ﴾ [الأعراف: ١٩٥] فوصفهم بالعجز. والرابع: بالأسماء فقال ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وقال في الأوثان ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ويقال: إن الكفار أرادوا أن يسموا آلهتهم الله، فجرى على لسانهم اللات وقال أهل اللغة: إنما سمي اللات لأنه عنده كان رجل يلبث السويق، وأرادوا أن يسموا العزيز، فجرى على لسانهم العزى. وأرادوا أن يسموا منان فجرى على لسانهم مناة، وبقيت تلك الأسماء للأصنام، وأصل الإلحاد: هو الميل، ولهذا سمي اللحد لحداً لأنه في ناحية.

ثم قال: ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يعني: سيثابون ويعاقبون بما كانوا يعملون من الشرك والإلحاد في الأسماء.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٢) وَأَمَلْ لَهُمْ إِيَّاكَ كَيْدِي مَيْمِناً ﴿١٨٣﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنٍّ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ هَيَاةٌ حَدِيثٌ بِعَدُوٍّ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَسَلَا هَادِياً لَمْ يَدْرَهُمْ فِي طَلْعَتِهِمْ يَمْعُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: جماعة، وهم أمة محمد ﷺ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: يدعون إلى الحق ويأمرون بالحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ يعني: وبالحق يعملون. وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى هؤلاء الرهط بالخير الجسيم من بني إسرائيل إن آمنوا بك، وجعل لهم أجرين، ولنا أجراً واحداً، وقد صدقتك والرسل والكتب، فنزل: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ يعني: من أمة محمد ﷺ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ يعني: سنأخذهم بالعذاب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: من حيث لا يشعرون. وقال الكلبي: يعني نزيين لهم فتهلكهم من حيث لا يعلمون. يقول: سنأتيهم بالعذاب وهم المستهزون، فيقتل كل رجل منهم بغير قتلة صاحبه. وقال الفتيبي: الاستدراج أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً. ويقال:

استدرج فلان فلاناً يعني: يعرف ما عنده، وأصل هذا من الدرجة، لأن الراقي يرقى درجة درجة، فاستعير من هذا كقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المسرات: ١] يعني: الملائكة يتابعون بعضهم بعضاً كعريف الفرس. وكقوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] يعني: يمسكون عن العطفية. وقال السدي: ﴿سنستدرجهم﴾ يعني: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها، ثم نأخذهم من حيث لا يعلمون، فذلك الاستدراج.

ثم قال: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ يعني: وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يعني: عقوبتي شديدة. ويقال: إن صنعي محكم. ويقال: إن أخذني شديد.

ثم قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ يعني: أهل مكة فيما يأمرهم محمد ﷺ أن يعبدوا خالقهم، ورازقهم، وكاشف الضر عنهم، ولا يعبدوا من لا يقدر على شيء منه، أمثل هذا يكون مجنوناً؟ ويقال: معناه ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ في دلائل النبي ﷺ ومعجزاته ليستدلوا بأنه نبي، وقد تم الكلام.

ثم استأنف فقال: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ويقال: هذا على وجه البناء، ومعناه: أو لم يتفكروا ليعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ يعني: جنوناً. ويقال: إن النبي ﷺ صعد ذات ليلة الصفا، فدعا قريشاً إلى عبادة الله تعالى بأسمائهم فرداً فرداً، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون. فوعظهم الله تعالى فقال ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ يقول: أو لم يجالسوه ويكلموه هل به من جنون؟ ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: رسولاً نبياً. وهذا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ تُرْتَفَعُونَ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبا: ٤٦].

ثم وعظهم ليعتبروا في صنعه فيوحده فقال: ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: في خلق السموات والأرض ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: في السماء من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق الله في الأرض من الجبال والبحار وغير ذلك، فيعتبروا ويؤمنوا بأن الذي خلق الذين ترون، هو رب واحد لا شريك له ﴿وَأَنْ عَسَىٰ﴾ يعني: ينظرون في أن عسى ﴿أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ يعني: قد دنا هلاكهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: إن لم يؤمنوا بالقرآن فبأي حديث يؤمنون بعد القرآن. لأن هذا آخر كتاب نزل وليس بعده كتاب منزل.

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ يعني: من يخذله الله عن دين الإسلام فلا هادي له إلى الهدى ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعني: يتركهم في ضلالتهم يترددون. قرأ أبو عمرو ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء وضم الراء على معنى الخبر. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالنون وضم الراء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء وجزم الراء، جعلوه جواب الشرط، ومعناه: من يضل الله يذره.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ وَ  
الَسَّوَاتِ وَالْأَرْضِينَ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِنَعْتِهِ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ  
لَاكْتَفَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ يعني: عن قيام الساعة ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ يعني: متى  
حينها وقيامها. ويقال: هذا الكلام على الاختصار، ومعناه: أي أوان قيامها.

ثم قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ يعني: علم قيام الساعة عند ربي، وما لي بها من علم  
﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾ يعني: لا يكشفها حينها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعني: إلا الله تعالى. ويقال: لا يقدر  
أحد على إظهارها إلا هو. يعني: إلا الله. ويقال: لا يعلم أحد قيامها إلا هو ﴿ثَقُلَتْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: ثقل علم قيام الساعة على أهل السموات وأهل الأرض. ويقال:  
﴿ثَقُلَتْ﴾ يعني: خفي علمها، وإذا خفي الشيء ثقل علمه. ويقال: معناه ثقل حمل ذكرها  
لفظاعة شأنها وأمرها.

ثم قال: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِنَعْتِهِ﴾ يعني: فجأة. ثم قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قال  
مقاتل: كأنك استحفيت عنها السؤال حتى علمتها. وقال القتيبي: أي: كأنك حفي تطلب  
علمها. ومنه يقال: تحفى فلان بالقوم، إذا بالغ في البر. ويقال: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يعني:  
كأنك جاهل بها. ويقال: في الآية تقديم ومعناه: يسألونك عما كأنك عالم بها، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا  
عِنْدَ رَبِّي وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ:  
«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ عَشْرَةٌ يَقْرُبُ فِيهَا الْمَاجِلُ وَيَطْرَفُ فِيهَا  
الْفَاجِرُ وَيَعْجَزُ فِيهَا الْمُتَنَصِّفُ وَتَكُونُ الصَّلَاةُ مَنًّا وَالزُّكَاةُ مَغْرَمًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَاسْتِطَالَةُ الْفِرَّاءِ،  
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ أَمَارَةُ الصَّبِيَّانِ وَسُلْطَانُ النِّسَاءِ وَمَشْوَرَةُ الْإِمَاءِ».

ثم قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: علم قيامها عند الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ﴾ أنها كائنة، ولا يصدقون بها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ قال مقاتل: يعني لا أقدر لنفسي أن  
أسوق إليها خيراً، أو أدفع عنها ضرراً حين ينزل بي، فكيف أملك علم الساعة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾  
فيصيني ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ يعني: غيب النفع والضرر إذ جاء ﴿لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا  
مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ يعني: لاستكثرت من النفع وما أصابني الضرر. وقال الكلبي: إن أهل مكة قالوا  
له: ألا يخبرك ربك بالبيع الرخيص قبل أن يغلو فتشتره فتربح فيه؟ فنزل قل لهم: ﴿وَلَوْ كُنْتُ  
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أي من العمل الصالح ﴿مِنَ الْخَيْرِ﴾ للجذوبة والقط.

ويقال: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح. وقال الضحاك: قال ﴿لَا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾ يعني الغنى والفقر ﴿إلا ما شاء الله﴾ إن شاء أغنى عبده، وإن شاء أفقره ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ يعني: مواضع الكنوز لاستخرجتها ﴿وما مسني السوء﴾ يعني: الفقر ﴿إن أنا إلا نذير﴾ يعني: مخوف بالنار ﴿وبشير﴾ يعني: مبشر بالجنة ﴿للقوم يؤمنون﴾ يعني: يصدقون بالبعث.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَوْا وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا صَلَاحًا لَتَكُونُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَلَمْ يَشْرِكُوا مَا لَا خَلْقَ سِوَا وَهُمْ يَخْلُقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمُ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن نَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَا عَلِيكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: من نفس آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: خلق من نفس آدم من ضلع من أضلاعه اليسرى زوجته حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يعني: ليطمئن إليها وبيجامعها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ يعني: سكن إليها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ يعني: خفيف الماء ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ يعني: استمرت بالحمل. يقول: قامت بالحمل وقعدت ولا تدري أهي حبلی أم لا ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾ يعني: نقل الولد في بطنها ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا﴾ وذلك أن إبليس أناها فقال: يا حواء ما هذا الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: أخاف إنها بهيمة، وإني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله فولدت إنساناً صالحاً أتسميه باسمي؟ قالت: نعم. وما اسمك قال: عبد الحارث فكذب، فدعت حواء وآدم، فذلك قوله: ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا﴾ يعني: أعطيتنا ولدأ سوياً صحيح الجوارح ﴿لَتَكُونُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وهذا قول سعيد بن جبیر رواه عن ابن عباس. وروى معمر عن قتادة أنه قال: كان آدم لا يولد له ولد إلا مات، فجاءه الشيطان وقال: إن سرُّك أن يعيش ولذلك فسمه عبد الحارث ففعل، فأشركا في الاسم، ولم يشركا في العبادة. وروى عن السدي أنه قال: كان اسم إبليس هو الحارث يوم لعن، فأراد أن ينسب إليه، فأمرها فسمته عبد الحارث، فعاش بعد ذلك أياماً ثم مات، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ يعني: أعطاهما ﴿صٰلِحًا﴾ خلقاً آدمياً سوياً ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ بكسر الشين وجزم الراء وقرأ الباقون ﴿شُرَكَاءَ﴾ بالضم ونصب الراء. فمن قرأ بالكسر فهو على معنى التسمية، وهو اسم يقوم مقام المصدر. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ﴿جعل له شركاء﴾ يعني: الشريك في الاسم. وإنما ذكر الشركاء وأراد به الشريك، يعني: الشيطان. فإن قيل: من قرأ بالكسر كان من حق الكلام أن

يقول جعلاً لغيره شركاً، لأنهما لا ينكران أن الأصل لله تعالى. وإنما جعلاً لغيره شركاً يعني: نصيباً. قيل له: معناه ﴿جعلاً له شركاء﴾ يعني: ذا شريك. فذكر الشرك، والمراد به: ذا شرك كقوله تعالى: ﴿وَتَسْكُرِي الْكَرْبِيَّةَ﴾ [برسف: ١٢] يعني: أهل القرية فضرب الله تعالى بهذا مثلاً للكفار يعني: كما أن آدم وحواء أعطاهما الله تعالى ولداً سوياً، جعلاً له شركاً في الاسم، وكذلك الكفار خلقهم الله تعالى ورزقهم فأشركوا في عبادته.

ثم نزه نفسه عن الشرك فقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني: هو أعلى وأجل من أن يوصف بالشرك.

ثم رجع إلى قصة الكفار فقال الله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ يعني: أيشركون الآلهة مع الله تعالى، وهم كفار مكة، ما لا يخلق شيئاً وهي الآلهة ﴿وهم يخلقون﴾ يعني: ينحتونها ويصنعونها بأيديهم. ﴿ولا يستطيعون لهم نصراً﴾ يعني لا يستطيعون نصراً لمن يعبدونها ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ يعني: لا يستطيعون أن يمتنعوا مما نزل بهم من العذاب ﴿وإن تدعوهن إلى الهدى﴾ قال الكلبي يعني: الآلهة، إن يدع المشركون آلهتهم إلى أمر ﴿لا يتبعوكم﴾ يعني: لا يتبعهم آلهتهم ﴿سواء عليكن﴾ يا أهل مكة ﴿أدعوتموهن أم أنتم صامتون﴾ لا يعقلون شيئاً لأنه ليس فيها روح. وقال مقاتل: ﴿وإن تدعوهن إلى الهدى﴾ يعني: كفار مكة ﴿لا يتبعوكم﴾ يعني: النبي ﷺ سواء عليكم ادعوتموهن أم أنتم صامتون، فلا يؤمنون. قرأ نافع ﴿لا يتبعوكم﴾ بجزم التاء وقرأ الباقون بالنصب والتشديد وهما لغتان تبغته وأتبغته ومعناها واحد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَتَّالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٤٥﴾

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ يعني: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿عباداً أتتالكن﴾ يعني: مخلوقين مملوكين أشباهكم وليسوا بالآلهة ﴿فادعوهنم فليستجيبوا لكنم إن كنتم صادقين﴾ أنها آلهة.

ثم قال عز وجل: ﴿الهِمُّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ يعني: في حوائجكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يعني: يعطون بها، ويمنعون عنكم الضر ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا﴾ يعني: عبادتكم ﴿أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعني: دعاءكم، وقد احتجت المشبهة بهذه الآية: أن من لا تكون له يد ولا رجل لا يصلح أن يكون إلهاً، ولكن لا حجة لهم في ذلك، لأن الله تعالى بين ضعف معبودهم وعجزه، وبين أنهم اشتغلوا بشيء لا فائدة فيه ولا منفعة لهم في ذلك.

ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد يعني: لكفار مكة ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ يعني: آلهتكم ﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾ يعني: اعملوا بي ما شئتم ﴿فَلَا تَنْظُرُونَ﴾ يعني: لا تمهلون ولا تؤجلون لأنهم خوفوه بالهتيم. قرأ أبو عمرو ﴿ثُمَّ كِيدُونِي﴾ بالياء في حال الوصل وقرأ الباقون بغير الياء.

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلِيمُونَ فَصَرَّكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُدْحَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦٨﴾

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ يعني: حافظي وناصري الله الذي نزل الكتاب. يعني: القرآن. ويقال: إن الذي يمتعني منكم الله الذي أنزل جبريل بالكتاب ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ يعني: المؤمنين فيحفظهم ولا يكلهم إلى غيره.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: تعبدون من دون الله ﴿لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ يعني: لا يقدرعون منكم ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يعني: يمتعون ممن أذاها، لأن الكفار كانوا يلطخون العسل في فم الأصنام، وكان الذباب يجتمع عليه فلا تقدر دفع الذباب عن نفسها.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ قال الكلبي: يعني إن دعا المشركون آلهتهم لا يسمعون أي، لا يجيبونهم ﴿وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ شيئاً. قال مقاتل: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الهدى.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال ابن عباس: «يعني خذ ما أعطوك من الصدقة» يعني: ما فضل من الأكل والعيال، ثم نسخ بآية الزكاة وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ لَكُمْ مَادًّا يُبْعَثُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني: الفضل ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ يعني: ادعهم إلى التوحيد ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من جهل عليك مثل أبي جهل وأصحابه، كل ذلك قبل الأمر بالقتال. ويقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ يعني: اعف عن ظلمك، واعط من حرمك، وصل من قطعك.

قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الديلمي. قال: حدثنا أبو عبد الله وقال: حدثنا سفيان عن أبي بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ «اسأل عنها جبريل». فقال جبريل: «حتى أسأل العالم فيه، فذهب ثم أتاه، فقال: يا محمد إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك،



وتعفو عن من ظلمك<sup>(١)</sup>. وقال القتيبي في قول النبي: ﴿أَوْتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ﴾ فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر في هذه الآية، فكيف جمع له في هذا كل خلق عظيم، لأن في أخذ العفو صلاة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله، وصلته الأرحام، وغض البصر، وفي الإعراض عن الجاهلين الحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفیه، وعن منازعة اللجوج، وإنما سمي المعروف معروفاً لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئن إليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ قال مقاتل يعني: وإما يفتنك الشيطان فتنة في أمر أبي جهل ﴿فاستعذ بالله﴾ قال الكلبي: أي: وإما يصيبك ذنب من الشيطان وسوسة، فاستعذ بالله وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة، ومعناه: إن أنك من الشيطان أدنى وسوسة فاستعذ بالله ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني: ﴿سميع﴾ لدعائك ﴿عليم﴾ بوسوسة الشيطان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠١﴾  
وَيُخَوِّئُهُمْ بِمُدْوَنِهِمْ فِي اللَّغْوِ تُدَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بِنَايِرٍ قَالُوا لَوْلَا أَلْبَسْتِنَاهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: اتقوا الشرك والفواحش ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: ذنب من الشيطان ﴿تَذَكَّرُوا﴾ يعني: عرف المثقي منهم أنها معصية ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ يعني: منتهون عن المعصية. وقال الزجاج: يعني: عرف المثقي أنها معصية ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أوضح الله لهم من الحجة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ يعني: إذا هم على بصيرة. قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿طيف﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. وروي عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ﴾، والطفيف: الغضب، وعن مجاهد في قوله: ﴿طائف﴾ قال الغضب.

ثم ذكر حال الكفار فقال عز وجل: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ﴾ يعني: إخوان الشياطين يمدونهم أي: يدعونهم إلى المعصية. ويقال: يلجؤونهم إلى الشرك والضلالة. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عنها كما أقصر المسلمون عنها حين أبصروها. قرأ نافع ﴿يُمِدُّونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم، من أمَدَّ يُمِدُّ. وقرأ الباقون ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بالنصب من مَدَّ يُمِدُّ. قال بعضهم: هذا عطف على قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ وقال الزجاج: معناه التقديم. والمعنى: لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ﴾ يعني: الشياطين والغي: الجهل والوقوع في الهلكة.

(١) عزاء السيوطي ٦٢٨/٣ إلى ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. ومن طريق ابن مردويه عن جابر.



قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ﴾ وذلك حين أبطأ عليه جبريل حين سألوه شيئاً ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي: هلاً أناهم من تلقاء نفسه؟ وهذا كقوله: ﴿آتَتْ بِهَرْمَةَ إِذْ صَبَّرَ هَذَا﴾ [يونس: ١٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْتَبِعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ يعني: قل إذا أمرت بأمر فعلت ولا أبتدع ما لم أوامر ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن بيان من ربكم. وقال بعض أهل اللغة: البصائر في اللغة، طريق الأمر، واحداً بصيرة. ويقال: طريقة الدين، معناه: ظهور الشيء وبيانه ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ يعني: القرآن هدى من الضلالة ويقال: كرامة ورحمة من العذاب، ونعمة لمن آمن به ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: يصدقون.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾ ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي. وَيَسْبِخُونَكَ وَالَّذِينَ يَسْبُحُونَ ﴿٢٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة قبل نزول هذه الآية، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالسكوت. وروى عبد الوهاب، عن مجاهد، عن أبي العالية الرياحي قال: كان النبي عليه السلام إذا صلى فقرأ وقرأ الصحابة خلفه حتى نزل ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ فسكت القوم، وقرأ النبي ﷺ وروى قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ قال: في الصلاة. وروى مغيرة عن إبراهيم مثله، وسئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ هذا لكل قارئ؟ قال: لا، ولكن هذا في الصلاة المفروضة، وقال أبو هريرة مثله. وقال مجاهد: وجب الإنصات في موضعين: في الصلاة والإمام يقرأ، وفي الجمعة والإمام يخطب. وعن مجاهد قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم. وقال عطاء والحسن: إن هذا في الصلاة والخطبة. ويقال: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ يعني: اعملوا بما في كتاب الله ولا تجاوزوا عنه إلى غيره ثم قال ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يعني: لكي ترحموا ولا تعذبوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ يقول: اقرأ يا محمد إذا كنت إماماً بنفسك ﴿تَضَرُّعًا﴾ يعني: مستكيناً ﴿وَخِيفَةً﴾ يعني: خوفاً من عذابه، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعني: سراً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعني: العلانية حتى يسمع من خلفك. وقال الضحاك: معناه، اجهر بالقراءة في الغداة والمغرب والعشاء ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ يعني: لا تغفل عن القراءة في الظهر والعصر، فإنك تخفي القراءة فيهما وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال «أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا خَائِلًا» قيل: وما الذكر الخامل؟ قال: «الذُّكْرُ الْخَفِيُّ».

وقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ يعني: غدوة وعشية. وروى يحيى عن أيوب عن خالد بن

يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن من سمع عقبه بن عامر قال: «المُسْبِرُ بالقراءة كالمسْرُ بالصدقة، والمعلن بالقراءة كالمعلن بالصدقة».

ثم قال: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يعني: عن القراءة في الصلاة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وذلك أن كفار مكة ﴿قَالُوا وَمَا آرَأَيْتُمْ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] واستكبروا عن السجود فنزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ يعني: لا يتعظمون ولا يستكفون عن طاعته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يقول: ويذكرونه ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يعني: يصلون. وقال أهل اللغة: الأَصَالُ جمع أَصْل، والأَصْلُ جمع الأَصْبِل، والأَصَالُ جمع الجمع يعني: العشيّات والله أعلم بالصواب.

## الفهرس

## سورة فاتحة الكتاب

٣٩..... الآيات: ١ - ٧.....

## سورة البقرة

٤٦..... الآيات: ١ و ٢.....

٤٨..... الآية: ٣.....

٤٩..... الآيات: ٤ و ٥.....

٥٠..... الآية: ٦.....

٥١..... الآية: ٧.....

٥٢..... الآية: ٨.....

٥٢..... الآية: ٩.....

٥٣..... الآية: ١٠.....

٥٤..... الآية: ١١.....

٥٤..... الآية: ١٢.....

٥٤..... الآية: ١٣.....

٥٥..... الآية: ١٤.....

٥٦..... الآية: ١٥.....

٥٦..... الآية: ١٦.....

٥٧..... الآية: ١٧.....

٥٧..... الآية: ١٨.....

٥٨..... الآية: ١٩.....

٥٩..... الآية: ٢٠.....

٦٠..... الآية: ٢١.....

مدخل إلى التفسير..... ٣

١ - الحاجة إلى التفسير..... ٣

٢ - التفسير لغةً..... ٤

٣ - التفسير اصطلاحاً..... ٥

٤ - التأويل لغةً..... ٦

٥ - التأويل اصطلاحاً..... ٦

٦ - العلوم التي يحتاج إليها المفسر..... ٨

٧ - وجوه التفسير: ما يجوز تفسيره وما

لا يجوز تفسيره..... ٩

٨ - نوعا التفسير..... ١١

النوع الأول: التفسير المأثور أو النقلی

ومصادره..... ١١

٩ - النوع الثاني: التفسیر بالرأی..... ١٧

١٠ - التفسیر والإعراب..... ١٨

١١ - التفسیر والقراءات..... ٢١

١٢ - الاسرائیلیات..... ٢٤

١٣ - تفسیر السمرقندی..... ٢٦

- التعریف بالمصنّف وآثاره..... ٢٧

- مؤلفاته..... ٢٨

- وصف المخطوط..... ٢٩

مقدمة المصنّف..... ٣٥

تفسیر بسم الله الرحمن الرحيم..... ٢٦

٧٨.....	الآية : ٥٠	٦٠.....	الآية : ٢٢
٧٨.....	الآيات : ٥١ - ٥٣	٦١.....	الآية : ٢٣
٨٠.....	الآية : ٥٤	٦٢.....	الآية : ٢٤
٨٠.....	الآيتان : ٥٥ و ٥٦	٦٢.....	الآية : ٢٥
٨١.....	الآية : ٥٧	٦٣.....	الآية : ٢٦
٨٢.....	الآيات : ٥٨ - ٦٠	٦٤.....	الآية : ٢٧
٨٤.....	الآية : ٦١	٦٥.....	الآية : ٢٨
٨٥.....	الآية : ٦٢	٦٦.....	الآية : ٢٩
٨٦.....	الآيتان : ٦٣ و ٦٤	٦٧.....	الآية : ٣٠
٨٧.....	الآيتان : ٦٥ و ٦٦	٦٨.....	الآية : ٣١
٨٨.....	الآيات : ٦٧ - ٧١	٦٩.....	الآية : ٣٢
٩١.....	الآيتان : ٧٢ و ٧٣	٦٩.....	الآية : ٣٣
٩١.....	الآيتان : ٧٤ و ٧٥	٦٩.....	الآية : ٣٤
٩٣.....	الآيات : ٧٦ - ٧٨	٧٠.....	الآية : ٣٥
٩٤.....	الآية : ٧٩	٧١.....	الآية : ٣٦
٩٤.....	الآية : ٨٠	٧٢.....	الآية : ٣٧
٩٥.....	الآيتان : ٨١ و ٨٢	٧٣.....	الآية : ٣٨
٩٥.....	الآية : ٨٣	٧٣.....	الآية : ٣٩
٩٦.....	الآيات : ٨٤ - ٧٦	٧٣.....	الآيات : ٤٠ - ٤٣
٩٨.....	الآية : ٨٧	٧٥.....	الآية : ٤٤
٩٨.....	الآيات : ٨٨ - ٩٠	٧٦.....	الآية : ٤٥
١٠٠.....	الآية : ٩١	٧٦.....	الآية : ٤٦
١٠٠.....	الآية : ٩٢	٧٦.....	الآية : ٤٧
١٠٠.....	الآية : ٩٣	٧٧.....	الآية : ٤٨
١٠١.....	الآيات : ٩٤ - ٩٦	٧٧.....	الآية : ٤٩

١٢١.....	الآيات: ١٣١ و ١٣٢	١٠٢.....	الآيات: ٩٧ و ٩٨
١٢٢.....	الآية: ١٣٣	١٠٣.....	الآية: ٩٩
١٢٢.....	الآية: ١٣٤	١٠٣.....	الآيات: ١٠٠ و ١٠١
١٢٣.....	الآية: ١٣٥	١٠٣.....	الآية: ١٠٢
١٢٣.....	الآيات: ١٣٦ و ١٣٧	١٠٧.....	الآيات: ١٠٣ و ١٠٤
١٢٤.....	الآية: ١٣٨	١٠٨.....	الآية: ١٠٥
١٢٥.....	الآية: ١٣٩	١٠٨.....	الآية: ١٠٦
١٢٥.....	الآية: ١٤٠	١٠٩.....	الآية: ١٠٧
١٢٥.....	الآية: ١٤١	١١٠.....	الآية: ١٠٨
١٢٥.....	الآية: ١٤٢	١١٠.....	الآية: ١٠٩
١٢٦.....	الآية: ١٤٣	١١٠.....	الآية: ١١٠
١٢٧.....	الآيات: ١٤٤ و ١٤٥	١١١.....	الآيات: ١١١ و ١١٢
١٢٨.....	الآيات: ١٤٦ و ١٤٧	١١٢.....	الآية: ١١٣
١٢٨.....	الآية: ١٤٨	١١٢.....	الآية: ١١٤
١٢٩.....	الآيات: ١٤٩ و ١٥٠	١١٣.....	الآية: ١١٥
١٢٩.....	الآية: ١٥١	١١٤.....	الآيات: ١١٦ و ١١٧
١٣٠.....	الآية: ١٥٢	١١٥.....	الآية: ١١٨
١٣١.....	الآيات: ١٥٣ و ١٥٤	١١٥.....	الآيات: ١١٩ و ١٢٠
١٣١.....	الآيات: ١٥٥ - ١٥٧	١١٦.....	الآية: ١٢١
١٣٢.....	الآية: ١٥٨	١١٦.....	الآيات: ١٢٢ و ١٢٣
١٣٤.....	الآيات: ١٥٩ و ١٦٠	١١٧.....	الآية: ١٢٤
١٣٤.....	الآيات: ١٦١ و ١٦٢	١١٨.....	الآية: ١٢٥
١٣٥.....	الآية: ١٦٣	١١٩.....	الآية: ١٢٦
١٣٥.....	الآية: ١٦٤	١١٩.....	الآيات: ١٢٧ - ١٢٩
١٣٦.....	الآيات: ١٦٥ - ١٦٧	١٢١.....	الآية: ١٣٠

١٦٥.....	الآية: ٢١٢	١٣٨.....	الآيتان: ١٦٨ و ١٦٩
١٦٦.....	الآية: ٢١٣	١٣٨.....	الآية: ١٧٠
١٦٧.....	الآية: ٢١٤	١٣٩.....	الآية: ١٧١
١٦٧.....	الآية: ٢١٥	١٣٩.....	الآيتان: ١٧٢ و ١٧٣
١٦٨.....	الآيتان: ٢١٦ و ٢١٧	١٤١.....	الآيات: ١٧٤ - ١٧٦
١٦٩.....	الآية: ٢١٨	١٤٢.....	الآية: ١٧٧
١٧٠.....	الآيتان: ٢١٩ و ٢٢٠	١٤٤.....	الآيتان: ١٧٨ و ١٧٩
١٧٢.....	الآية: ٢٢١	١٤٥.....	الآيات: ١٨٠ - ١٨٢
١٧٢.....	الآيتان: ٢٢٢ و ٢٢٣	١٤٧.....	الآيات: ١٨٣ - ١٨٥
١٧٤.....	الآيات: ٢٢٤ - ٢٢٧	١٥٠.....	الآيتان: ١٨٦ و ١٨٧
١٧٥.....	الآيات: ٢٢٨ - ٢٣٠	١٥٢.....	الآية: ١٨٨
١٧٨.....	الآيتان: ٢٣١ و ٢٣٢	١٥٣.....	الآية: ١٨٩
١٧٩.....	الآية: ٢٣٣	١٥٣.....	الآية: ١٩٠
١٨٠.....	الآية: ٢٣٤	١٥٤.....	الآيات: ١٩١ - ١٩٤
١٨٠.....	الآية: ٢٣٥	١٥٥.....	الآية: ١٩٥
١٨١.....	الآيتان: ٢٣٦ و ٢٣٧	١٥٦.....	الآية: ١٩٦
١٨٢.....	الآيتان: ٢٣٨ و ٢٣٩	١٥٨.....	الآية: ١٩٧
١٨٤.....	الآيات: ٢٤٠ - ٢٤٢	١٥٩.....	الآيات: ١٩٨ - ٢٠٠
١٨٥.....	الآية: ٢٤٣	١٦١.....	الآيتان: ٢٠١ و ٢٠٢
١٨٥.....	الآية: ٢٤٤	١٦١.....	الآية: ٢٠٣
١٨٦.....	الآية: ٢٤٥	١٦٢.....	الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦
١٨٧.....	الآيات: ٢٤٦ - ٢٤٨	١٦٣.....	الآية: ٢٠٧
١٨٩.....	الآيات: ٢٤٩ - ٢٥٢	١٦٤.....	الآيتان: ٢٠٨ و ٢٠٩
١٩٢.....	الآية: ٢٥٣	١٦٤.....	الآية: ٢١٠
١٩٣.....	الآية: ٢٥٤	١٦٥.....	الآية: ٢١١

٢١٩ .....	الآيات: ٧ - ٩	١٩٣ .....	الآية: ٢٥٥
٢٢٠ .....	الآيتان: ١٠ و ١١	١٩٥ .....	الآية: ٢٥٦
٢٢١ .....	الآية: ١٢	١٩٥ .....	الآية: ٢٥٧
٢٢٢ .....	الآية: ١٣	١٩٦ .....	الآية: ٢٥٨
٢٢٣ .....	الآيات: ١٤ - ١٧	١٩٧ .....	الآية: ٢٥٩
٢٢٥ .....	الآية: ١٨	١٩٩ .....	الآية: ٢٦٠
٢٢٧ .....	الآية: ١٩	٢٠٠ .....	الآيتان: ٢٦٢ و ٢٦١
٢٢٧ .....	الآية: ٢٠	٢٠١ .....	الآية: ٢٦٣
٢٢٧ .....	الآيتان: ٢١ و ٢٢	٢٠١ .....	الآية: ٢٦٤
٢٢٨ .....	الآيتان: ٢٣ و ٢٤	٢٠٢ .....	الآية: ٢٦٥
٢٢٨ .....	الآية: ٢٥	٢٠٢ .....	الآية: ٢٦٦
٢٢٩ .....	الآيتان: ٢٦ و ٢٧	٢٠٣ .....	الآية: ٢٦٧
٢٣٠ .....	الآية: ٢٨	٢٠٣ .....	الآية: ٢٦٨
٢٣١ .....	الآيتان: ٢٩ و ٣٠	٢٠٣ .....	الآية: ٢٦٩
٢٣١ .....	الآيتان: ٣١ و ٣٢	٢٠٤ .....	الآيتان: ٢٧٠ و ٢٧١
٢٣٢ .....	الآية: ٣٣	٢٠٥ .....	الآيات: ٢٧٢ - ٢٧٤
٢٣٣ .....	الآيات: ٣٤ - ٣٧	٢٠٦ .....	الآيتان: ٢٧٥ و ٢٧٦
٢٣٥ .....	الآية: ٣٨	٢٠٨ .....	الآيات: ٢٧٧ و ٢٨١
٢٣٥ .....	الآيتان: ٣٩ و ٤٠	٢١٠ .....	الآيتان: ٢٨٢ و ٢٨٣
٢٣٦ .....	الآية: ٤١	٢١٢ .....	الآية: ٢٨٤
٢٣٧ .....	الآيتان: ٤٢ و ٤٣	٢١٣ .....	الآيتان: ٢٨٥ و ٢٨٦
٢٣٧ .....	الآيات: ٤٤ - ٤٦		سورة آل عمران
٢٣٨ .....	الآيتان: ٤٧ و ٤٨	٢١٧ .....	الآيتان: ١ و ٢
٢٣٩ .....	الآيات: ٤٩ - ٥١	٢١٧ .....	الآيات: ٣ - ٥
٢٤١ .....	الآيتان: ٥٢ و ٥٣	٢١٨ .....	الآية: ٦



۲۵۶.....	الآيتان: ۹۷ و ۹۶	۲۴۲.....	الآية: ۵۴
۲۵۸.....	الآيتان: ۹۸ و ۹۹	۲۴۳.....	الآيات: ۵۵ - ۵۷
۲۵۸.....	الآيتان: ۱۰۰ و ۱۰۱	۲۴۴.....	الآية: ۵۸
۲۵۹.....	الآيات: ۱۰۲ - ۱۰۵	۲۴۴.....	الآية: ۵۹
۲۶۱.....	الآيتان: ۱۰۶ و ۱۰۷	۲۴۵.....	الآيتان: ۶۰ و ۶۱
۲۶۲.....	الآيتان: ۱۰۸ و ۱۰۹	۲۴۵.....	الآيتان: ۶۲ و ۶۳
۲۶۳.....	الآيتان: ۱۱۰ و ۱۱۱	۲۴۵.....	الآية: ۶۴
۲۶۴.....	الآية: ۱۱۲	۲۴۶.....	الآيتان: ۶۵ و ۶۶
۲۶۴.....	الآيات ۱۱۳ - ۱۱۴	۲۴۷.....	الآية: ۶۷
۲۶۵.....	الآيات: ۱۱۶ و ۱۱۷	۲۴۷.....	الآية: ۶۸
۲۶۶.....	الآيتان: ۱۱۸ و ۱۱۹	۲۴۷.....	الآية: ۶۹
۲۶۷.....	الآية: ۱۲۰	۲۴۷.....	الآيتان: ۷۰ و ۷۱
۲۶۷.....	الآيتان: ۱۲۱ و ۱۲۲	۲۴۷.....	الآية: ۷۲
۲۶۸.....	الآيات: ۱۲۳ - ۱۲۵	۲۴۸.....	الآيتان: ۷۳ و ۷۴
۲۶۹.....	الآية: ۱۲۶	۲۴۹.....	الآيتان: ۷۵ و ۷۶
۲۶۹.....	الآية: ۱۲۷	۲۴۹.....	الآية: ۷۷
۲۷۰.....	الآية: ۱۲۸	۲۵۰.....	الآيتان: ۷۹ و ۸۰
۲۷۰.....	الآية: ۱۲۹	۲۵۱.....	الآية: ۸۱
۲۷۰.....	الآيتان: ۱۳۰ و ۱۳۱	۲۵۲.....	الآيتان: ۸۲ و ۸۳
۲۷۱.....	الآيتان: ۱۳۲ و ۱۳۳	۲۵۳.....	الآية: ۸۴
۲۷۲.....	الآية: ۱۳۴	۲۵۳.....	الآية: ۸۵
۲۷۳.....	الآيتان: ۱۳۵ و ۱۳۶	۲۵۳.....	الآيات: ۸۶ - ۹۰
۲۷۳.....	الآية: ۱۳۷	۲۵۵.....	الآية: ۹۱
۲۷۴.....	الآيات: ۱۳۸ - ۱۴۰	۲۵۵.....	الآية: ۹۲
۲۷۸.....	الآية: ۱۴۱	۲۵۶.....	الآيتان: ۹۴ و ۹۵

٢٩٦ .....	الآية: ١٨٦	٢٧٨ .....	الآيتان: ١٤٢ و ١٤٣
٢٩٧ .....	الآية: ١٨٧	٢٧٩ .....	الآية: ١٤٤
٢٩٧ .....	الآية: ١٨٨	٢٧٩ .....	الآيات: ١٤٥ - ١٤٨
٢٩٧ .....	الآية: ١٨٩	٢٨٠ .....	الآيتان: ١٤٩ و ١٥٠
٢٩٨ .....	الآيتان: ١٩٠ و ١٩١	٢٨١ .....	الآية: ١٥١
٢٩٩ .....	الآيات: ١٩٢ - ١٩٥	٢٨١ .....	الآيات: ١٥٢ - ١٥٤
٣٠١ .....	الآيتان: ١٩٦ و ١٩٧	٢٨٣ .....	الآية: ١٥٥
٣٠١ .....	الآية: ١٩٨	٢٨٤ .....	الآية: ١٥٦
٣٠١ .....	الآية: ١٩٩	٢٨٥ .....	الآيات: ١٥٧ - ١٥٩
٣٠٢ .....	الآية: ٢٠٠	٢٨٥ .....	الآية: ١٦٠
	سورة النساء	٢٨٦ .....	الآيات: ١٦١ - ١٦٣
٣٠٣ .....	الآية: ١	٢٨٧ .....	الآية: ١٦٤
٣٠٤ .....	الآية: ٢	٢٨٧ .....	الآية: ١٦٥
٣٠٥ .....	الآية: ٣	٢٨٨ .....	الآيات: ١٦٦ - ١٦٨
٣٠٦ .....	الآيتان: ٤ و ٥	٢٨٩ .....	الآيات: ١٦٩ - ١٧١
٣٠٧ .....	الآية: ٦	٢٩٠ .....	الآيات: ١٧٢ - ١٧٥
٣٠٨ .....	الآيات: ٧ - ٩	٢٩١ .....	الآية: ١٧٦
٣٠٩ .....	الآية: ١٠	٢٩٢ .....	الآية: ١٧٧
٣١٠ .....	الآية: ١١	٢٩٢ .....	الآية: ١٧٨
٣١٢ .....	الآيات: ١٢ - ١٤	٢٩٢ .....	الآية: ١٧٩
٣١٣ .....	الآيتان: ١٥ و ١٦	٢٩٣ .....	الآيتان: ١٨٠ و ١٨١
٣١٤ .....	الآيتان: ١٧ و ١٨	٢٩٥ .....	الآية: ١٨٢
٣١٥ .....	الآية: ١٩	٢٩٥ .....	الآية: ١٨٣
٣١٦ .....	الآيتان: ٢٠ و ٢١	٢٩٥ .....	الآية: ١٨٤
٣١٧ .....	الآيتان: ٢٢ و ٢٣	٢٩٦ .....	الآية: ١٨٥

۳۴۵.....	الآية: ۷۸	۳۱۸.....	الآية: ۲۴
۳۴۵.....	الآيات: ۷۹ - ۸۱	۳۲۰.....	الآية: ۲۵
۳۴۶.....	الآيتان: ۸۲ و ۸۳	۳۲۲.....	الآيات: ۲۶ - ۲۸
۳۴۷.....	الآية: ۸۴	۳۲۳.....	الآيات: ۲۹ - ۳۱
۳۴۸.....	الآية: ۸۵	۳۲۴.....	الآيتان: ۳۲ و ۳۳
۳۴۸.....	الآية: ۸۶	۳۲۵.....	الآية: ۳۴
۳۴۹.....	الآية: ۸۷	۳۲۶.....	الآية: ۳۵
۳۴۹.....	الآيتان: ۸۸ و ۸۹	۳۲۷.....	الآية: ۳۶
۳۵۰.....	الآيتان: ۹۰ و ۹۱	۳۲۸.....	الآيتان: ۳۷ و ۳۸
۳۵۱.....	الآية: ۹۲	۳۲۹.....	الآيات: ۳۹ - ۴۲
۳۵۳.....	الآية: ۹۳	۳۳۱.....	الآية: ۴۳
۳۵۴.....	الآية: ۹۴	۳۳۲.....	الآيات: ۴۴ - ۴۶
۳۵۵.....	الآيتان: ۹۵ و ۹۶	۳۳۳.....	الآيتان: ۴۷ و ۴۸
۳۵۶.....	الآيات: ۹۷ - ۹۹	۳۳۴.....	الآيتان: ۴۹ و ۵۰
۳۵۷.....	الآية: ۱۰۰	۳۳۵.....	الآيات: ۵۱ - ۵۵
۳۵۸.....	الآية: ۱۰۱	۳۳۶.....	الآيتان: ۵۶ و ۵۷
۳۵۸.....	الآيتان: ۱۰۲ و ۱۰۳	۳۳۷.....	الآية: ۵۸
۳۶۰.....	الآية: ۱۰۴	۳۳۸.....	الآية: ۵۹
۳۶۰.....	الآيات: ۱۰۵ - ۱۰۹	۳۳۹.....	الآيات: ۶۰ - ۶۳
۳۶۲.....	الآيات: ۱۱۰ - ۱۱۳	۳۴۰.....	الآيتان: ۶۴ و ۶۵
۳۶۳.....	الآيتان: ۱۱۴ و ۱۱۵	۳۴۱.....	الآيات: ۶۶ - ۶۸
۳۶۴.....	الآيات: ۱۱۶ - ۱۲۱	۳۴۱.....	الآيتان: ۶۹ و ۷۰
۳۶۵.....	الآيات: ۱۲۲ - ۱۲۴	۳۴۲.....	الآيات: ۷۱ - ۷۳
۳۶۷.....	الآيتان: ۱۲۵ و ۱۲۶	۳۴۳.....	الآيات: ۷۴ - ۷۶
۳۶۸.....	الآية: ۱۲۷	۳۴۴.....	الآية: ۷۷

٣٩٦.....	الآيتان: ٦ و ٧	٣٦٩.....	الآية: ١٢٨
٣٩٧.....	الآيات: ٨ - ١٠	٣٦٩.....	الآيتان: ١٢٩ و ١٣٠
٣٩٨.....	الآية: ١١	٣٧٠.....	الآيات: ١٣١ - ١٣٤
٣٩٩.....	الآيتان: ١٢ و ١٣	٣٧١.....	الآيات: ١٣٥ - ١٣٧
٤٠١.....	الآية: ١٤	٣٧٣.....	الآيتان: ١٣٨ و ١٣٩
٤٠٢.....	الآيتان: ١٤ و ١٥	٣٧٤.....	الآية: ١٤٠
٤٠٣.....	الآية: ١٧	٣٧٤.....	الآيات: ١٤١ - ١٤٣
٤٠٣.....	الآيتان: ١٨ و ١٩	٣٧٥.....	الآية: ١٤٤
٤٠٤.....	الآيات: ٢٠ - ٢٢	٣٧٦.....	الآيات: ١٤٥ - ١٤٧
٤٠٥.....	الآيات: ٢٣ - ٢٦	٣٧٦.....	الآيتان: ١٤٨ و ١٤٩
٤٠٧.....	الآيات: ٢٧ - ٣١	٣٧٧.....	الآيات: ١٥٠ - ١٥٢
٤٠٩.....	الآية: ٣٢	٣٧٨.....	الآيات: ١٥٣ - ١٥٨
٤١٠.....	الآيتان: ٣٣ و ٣٤	٣٨٠.....	الآيات: ١٥٩ - ١٦١
٤١١.....	الآيات: ٣٥ - ٣٧	٣٨١.....	الآية: ١٦٢
٤١٢.....	الآيتان: ٣٨ و ٣٩	٣٨٢.....	الآيات: ١٦٣ - ١٦٦
٤١٣.....	الآيتان: ٤٠ و ٤١	٣٨٣.....	الآيات: ١٦٧ - ١٦٩
٤١٥.....	الآية: ٤٢	٣٨٤.....	الآيتان: ١٧٠ و ١٧١
٤١٦.....	الآيتان: ٤٣ و ٤٤	٣٨٥.....	الآيتان: ١٧٢ و ١٧٣
٤١٧.....	الآيات: ٤٥ - ٤٧	٣٨٦.....	الآيتان: ١٧٤ و ١٧٥
٤١٨.....	الآيات: ٤٨ - ٥٠	٣٨٦.....	الآية: ١٧٦
٤٢٠.....	الآيات: ٥١ - ٥٣		سورة المائدة
٤٢١.....	الآية: ٥٤	٣٨٨.....	الآية: ١
٤٢٣.....	الآيتان: ٥٥ و ٥٦	٣٨٩.....	الآية: ٢
٤٢٤.....	الآيتان: ٥٧ و ٥٨	٣٩١.....	الآية: ٣
٤٢٥.....	الآيات: ٥٩ - ٦١	٣٩٤.....	الآيتان: ٤ و ٥

٤٥١ .....	الآيتان: ١١٤ و ١١٥	٤٢٦ .....	الآيتان: ٦٢ و ٦٣
٤٥٢ .....	الآيات: ١١٦ - ١١٨	٤٢٧ .....	الآية: ٦٤
٤٥٣ .....	الآيتان: ١١٩ و ١٢٠	٤٢٨ .....	الآيتان: ٦٥ و ٦٦
	سورة الأنعام	٤٢٨ .....	الآية: ٦٧
٤٥٥ .....	الآيات: ١ - ٣	٤٢٩ .....	الآية: ٦٨
٤٥٦ .....	الآيات: ٤ - ٦	٤٣٠ .....	الآيات: ٦٩ - ٧١
٤٥٧ .....	الآيات: ٧ - ١٠	٤٣١ .....	الآيات: ٧٢ - ٧٤
٤٥٨ .....	الآيتان: ١١ و ١٢	٤٣٢ .....	الآيات: ٧٥ - ٧٧
٤٥٩ .....	الآيات: ١٣ - ١٦	٤٣٣ .....	الآيات: ٧٨ - ٨١
٤٦٠ .....	الآيات: ١٧ - ١٩	٤٣٤ .....	الآيات: ٨٢ - ٨٦
٤٦١ .....	الآيات: ٢٠ - ٢٣	٤٣٥ .....	الآيتان: ٨٧ و ٨٨
٤٦٢ .....	الآيات: ٢٤ - ٢٦	٤٣٦ .....	الآية: ٨٩
٤٦٣ .....	الآيتان: ٢٧ و ٢٨	٤٣٨ .....	الآيات: ٩٠ - ٩٣
٤٦٣ .....	الآية: ٢٩	٤٣٩ .....	الآيتان: ٩٤ و ٩٥
٤٦٤ .....	الآيتان: ٣٠ و ٣١	٤١٥ .....	الآية: ٩٦
٤٦٤ .....	الآية: ٣٢	٤١٥ .....	الآية: ٩٧
٤٦٥ .....	الآيات: ٣٣ - ٣٥	٤٤٢ .....	الآيتان: ٩٨ و ٩٩
٤٦٦ .....	الآيتان: ٣٦ و ٣٧	٤٤٢ .....	الآية: ١٠٠
٤٦٧ .....	الآية: ٣٨	٤٤٣ .....	الآيتان: ١٠١ و ١٠٢
٤٦٧ .....	الآيات: ٣٩ - ٤١	٤٤٤ .....	الآية: ١٠٣
٤٦٨ .....	الآيتان: ٤٢ و ٤٣	٤٤٥ .....	الآيتان: ١٠٤ و ١٠٥
٤٦٨ .....	الآيتان: ٤٤ و ٤٥	٤٤٦ .....	الآيات: ١٠٦ - ١٠٨
٤٦٩ .....	الآيات: ٤٦ - ٤٩	٤٤٨ .....	الآية: ١٠٩
٣٧٠ .....	الآيات: ٥٠ - ٥٢	٤٤٩ .....	الآية: ١١٠
٤٧١ .....	الآيتان: ٥٣ و ٥٤	٤٥٠ .....	الآيات: ١١١ - ١١٣

٤٩٣ .....	الآيات: ١١٠ و ١١١	٤٧٢ .....	الآيات: ٥٥ و ٥٦
٤٩٤ .....	الآيات: ١١٢ و ١١٣	٤٧٣ .....	الآيات: ٥٧ و ٥٨
٤٩٥ .....	الآيات: ١١٤ - ١١٧	٤٧٣ .....	الآية: ٥٩
٤٩٦ .....	الآيات: ١١٨ و ١١٩	٤٧٤ .....	الآية: ٦٠
٤٩٧ .....	الآيات: ١٢٠ و ١٢١	٤٧٤ .....	الآيات: ٦١ و ٦٢
٤٩٨ .....	الآيات: ١٢٢ و ١٢٣	٤٧٥ .....	الآيات: ٦٣ - ٦٥
٤٩٨ .....	الآيات: ١٢٤ و ١٢٥	٤٧٦ .....	الآيات: ٦٦ و ٦٧
٥٠٠ .....	الآيات: ١٢٦ - ١٢٩	٤٧٧ .....	الآيات: ٦٨ - ٧٠
٥٠١ .....	الآيات: ١٣٠ و ١٣١	٤٧٨ .....	الآية: ٧١
٥٠٢ .....	الآيات: ١٣٢ - ١٣٥	٤٧٨ .....	الآيات: ٧٢ و ٧٣
٥٠٣ .....	الآيات: ١٣٦ و ١٣٧	٤٧٩ .....	الآيات: ٧٤ و ٧٥
٥٠٤ .....	الآيات: ١٣٨ و ١٣٩	٤٨١ .....	الآيات: ٧٦ - ٧٩
٥٠٥ .....	الآية: ١٤٠	٤٨٢ .....	الآيات: ٨٠ - ٨٣
٥٠٦ .....	الآيات: ١٤١ - ١٤٤	٤٨٤ .....	الآيات: ٨٤ - ٩٠
٥٠٩ .....	الآيات: ١٤٥ - ١٤٧	٤٨٥ .....	الآية: ٩١
٥١٠ .....	الآيات: ١٤٨ - ١٥٠	٤٨٦ .....	الآية: ٩٢
٥١١ .....	الآيات: ١٥١ - ١٥٣	٤٨٧ .....	الآيات: ٩٣ و ٩٤
٥١٣ .....	الآيات: ١٥٤ - ١٥٧	٤٨٨ .....	الآيات: ٩٥ و ٩٦
٥١٤ .....	الآية: ١٥٨	٤٨٩ .....	الآيات: ٩٧ و ٩٨
٥١٥ .....	الآية: ١٥٩	٤٨٩ .....	الآية: ٩٩
٥١٦ .....	الآية: ١٦٠	٤٩٠ .....	الآيات: ١٠٠ - ١٠٣
٥١٧ .....	الآيات: ١٦١ - ١٦٣	٤٩٢ .....	الآيات: ١٠٤ و ١٠٥
٥١٨ .....	الآيات: ١٦٤ و ١٦٥	٤٩٢ .....	الآيات: ١٠٦ و ١٠٧
	سورة الأعراف	٤٩٢ .....	الآية: ١٠٨
٥١٩ .....	الآيات: ١ - ٣	٤٩٣ .....	الآية: ١٠٩

٥٥٠.....	الآيات: ١٠٠ - ١٠٢	٥٢٠.....	الآيات: ٤ - ٧
٥٥١.....	الآيات: ١٠٣ - ١٠٨	٥٢٠.....	الآيتان: ٨ و ٩
٥٥٢.....	الآيات: ١٠٩ - ١١٦	٥٢١.....	الآية: ١٠
٥٥٤.....	الآيات: ١١٧ - ١٢٧	٥٢١.....	الآيات: ١١ - ١٨
٥٥٦.....	الآيات: ١٢٨ - ١٣١	٥٢٣.....	الآيات: ١٩ - ٢٥
٥٥٧.....	الآيات: ١٣٢ - ١٣٧	٥٢٥.....	الآيات: ٢٦ - ٣٠
٥٦٠.....	الآيات: ١٣٨ - ١٤١	٥٢٧.....	الآيتان: ٣١ و ٣٢
٥٦١.....	الآيات: ١٤٢ - ١٤٤	٥٢٨.....	الآيتان: ٣٣ و ٣٤
٥٦٣.....	الآيات: ١٤٥ - ١٤٧	٥٢٩.....	الآيات: ٣٥ - ٣٧
٥٦٥.....	الآيتان: ١٤٨ و ١٤٩	٥٣٠.....	الآيتان: ٣٨ و ٣٩
٥٦٦.....	الآيتان: ١٥٠ و ١٥١	٥٣١.....	الآيات: ٤٠ - ٤٣
٥٦٧.....	الآيات: ١٥٢ - ١٥٤	٥٣٣.....	الآيات: ٤٤ - ٤٦
٥٦٧.....	الآية: ١٥٥	٥٣٤.....	الآيات: ٤٧ - ٤٩
٥٦٨.....	الآية: ١٥٦	٥٣٥.....	الآيات: ٥٠ - ٥٣
٥٦٩.....	الآية: ١٥٧	٥٣٦.....	الآية: ٥٤
٥٧٠.....	الآية: ١٥٨	٥٣٨.....	الآيات: ٥٥ - ٥٧
٥٧٠.....	الآيات: ١٥٩ - ١٦٢	٥٣٩.....	الآية: ٥٨
٥٧٢.....	الآيات: ١٦٣ - ١٦٦	٥٤٠.....	الآيات: ٥٩ - ٦٤
٥٧٤.....	الآيات: ١٦٧ - ١٧٠	٥٤١.....	الآيات: ٦٥ - ٧٢
٥٧٥.....	الآية: ١٧١	٥٤٣.....	الآيتان: ٧٣ و ٧٤
٥٧٥.....	الآيات: ١٧٢ - ١٧٤	٥٤٤.....	الآيات: ٧٥ - ٧٩
٥٧٩.....	الآيات: ١٧٥ - ١٧٨	٥٤٥.....	الآيات: ٨٠ - ٨٤
٥٨٠.....	الآية: ١٧٩	٥٤٦.....	الآيات: ٨٥ - ٨٧
٥٨١.....	الآية: ١٨٠	٥٤٧.....	الآيات: ٨٨ - ٩٣
٥٨٣.....	الآيات: ١٨١ - ١٨٦	٥٤٩.....	الآيات: ٩٤ - ٩٩



٥٨٨..... الآيات: ١٩٩ و ٢٠٠

٥٨٩..... الآيات: ٢٠١ - ٢٠٣

٥٩٠..... الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦

٥٨٥..... الآيات: ١٨٧ و ١٨٨

٥٨٦..... الآيات: ١٨٩ - ١٩٣

٥٨٧..... الآيات: ١٩٤ و ١٩٥

٥٨٨..... الآيات: ١٩٦ - ١٩٨

Marfat.com